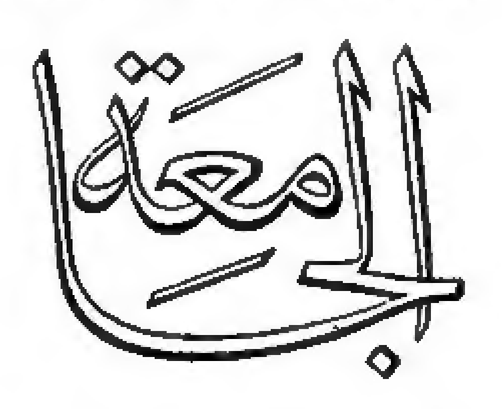
الجزء الاول السنة الرابعة



مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ — ذو القعدة سنة ١٣٢٠

مقدمة السنة الرابعة

تفتتح الجامعة سنتها الرابعة بحمد الله بارىء النسم وتسأله تعالى الهداية في طريقها والسداد في اقوالها انه المنعم الكريم

ثم هي تهدي خالص شكرها الى حضرات وكلائها ومشتركيها الكرام الذين لم يدخروا وسعاً في الاخذ بيدها تمهيداً لسبيلها جزاهم الله عن المعارف في الشرق خير جزاء

وبما ان اكثر قراء الصحافة هم غير مشتركيها على الغالب لان نسبة هؤلاء الى اولئك لا تتجاوز نسبة واحد الى عشرة اي ان الجزء الذي يرد الى مشترك واحد يقرأه حوله عشرة او اكثر . فنحن نغتنم هذه الفرصة في مفتتح هذه السنة ونرجو من هؤلاء القراء الذين يزيد عددهم على عدد المشتركين في الجرائد والمجلات عشر مرات كما تقدم ان يسمحوا للجامعة ان تقول لهم بلسان جميع الصحافة انهم مديونون للنهضة الادبية في الشرق بان يتشبهوا بمساعدي عوامل هذه النهضة مساعدة فعلية . اي ان يطالعوا ما يريدون مطالعته من الجرائد والمجلات اخذاً من ادارتها لا استعارة من مشتركيها . ولقد زدنا في هذا العام الف نسخة من الجامعة على النسخ التي كانت تطبع منها في السنة الماضية . ولكنا على ثقة من ان هؤلاء القراء الافاضل الذين لا ينكر شغفهم بالمطالعة لو عملوا بهذه الملاحظة لزادت

الجامعة في شهر واحد خمسة او ثمانية الآف نسخة على عدد المطبوع منها . وكذلك باقي الصحافة . وبذلك تحصل فائدة غير فائدة ترقية الصحافة الشرقية الى رتبة الصحافة الغربية وهي حفظ اخواننا القرّاء الذين نعنيهم هنا في مكاتبهم لانسبائهم واولادهم من بعدهم تلك الاوراق الثمينة المملوءة فوائد وحقائق والتي تسيل عليها نفوس الذين اعدّوها

ولقد اعلنت الجامعة في سنتها الماضية انها عزمت على ادخال تحسين مهمّ في سنتها الحاضرة . ولا ريب ان القارئ اذا تصفح هذا الجزء رأى آثار التحسين الجديد فيه . فان الجامعة **جدَّدت حروفها كلها** ليكون طبعها اوضح طبع وزادت رسومها حتى بلغت في هذا الجزء ١٤ **رسماً كبيراً** . واتقنت طبعها اتقاناً **لم تبق معه زيادة لمستزيد** . وهي مستمرّة متبعة الخطة التي رسمتها في هذا الجزء من **نشر الرسوم الكثيرة** في كل جزء منها في مطاوي ما تنشره من المواد الجدية المهمة اذا كان ذلك يرضي القرّاء . وفضلاً عن ذلك فقد شرعت في **زيادة ابواب جديدة** على ابوابها المعتادة ولكنها لم تتمكن من فتحها في هذا الجزء لتأخر حفرها بالزنوغراف . ولذلك تؤجلها الى جزء آخر

هذا والجامعة ترى مما يردها من الصدى من جميع الاقطار التي يصل صوتها اليها انها قائمة بالخدمة الصغيرة التي ينتظرها منها قراؤها . وقد قلنا هنا ما نعتقده من انها « خدمة صغيرة » مع ان كثيرين من قرائها من جميع العناصر الشرقية يعتقدون انها « كبيرة لا صغيرة » وان ابناء المستقبل سيذكرونها لها . على ان الجامعة لا تريد ان تنتظر جزاءها من ابناء المستقبل فقط لان ذلك جحود لجميل ابناء العصر الحاضر الذين لم يدخروا وسعاً في تنشيطها والاخذ بناصرها لتمهيد سبيلها . وانما يلتفت العامل الى المستقبل ويضع فيه امله دون سواه ويشتغل ويعمل له لا لسواه حينما يرى ان ابناء العصر لا يفهمونه . اما وابناء العصر هم الذين يدفعون الجامعة الى الامام لطلب الحقيقة المجردة ونشر المبادئ بلا تهوُّر ولا ضعف فانها يحق لها ان تنتظر جزاءها منهم وما جزاؤها الا رضاؤهم عنها وشدّهم ازرها لتتمكن من اتمام وظيفتها

ولذلك هي تعتقد ان قرّاءها سيكونون في هذه السنة اشدّ رضىً عنها واكثر اخذاً بيدها منهم في السنوات الماضية . وكل واحد منهم يعتبر نفسهُ صديقاً للمجلة ووكيلاً لها عاملاً على نشرها بين معارفهِ واصدقائه . وفي ذلك ما فيه من الخدمة النافعة لهم ولها . وفقنا الله جميعاً الى ما فيهِ الخير العام ونشر ما يفيد نشرهُ في بلادنا الشرقية

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

ملك شاعر تعيس

﴿ المعتمد بن عباد ملك الاندلس ﴾

(وخصمه ابن تاشفين باني مراكش وامير المغرب)

في هذه الترجمة تاريخ ثلاث دول بين الاندلس والمغرب يتضمن تفصيل حالتها السياسية في أواخر القرن الرابع للهجرة وما كان من الاختباط بين العرب والمغاربة والافرنج حين ضعف ملوك الاندلس

﴿ في كل جزء شرقي وغربي ﴾ رأينا في عام « الجامعة » الجديد ان نوسع باب « المشاهير » توسيعاً تكمل به الفائدة لان تراجم مشاهير الارض عبارة عن تاريخ الارض نفسها . ولذلك عزمنا على ترجمة اثنين من المشاهير في كل جزء : واحد من « **مشاهير الشرق** » وواحد من « **مشاهير الغرب** » ففي تراجم مشاهير الشرق نقف على (**الادواء والامراض التي فتكت بالشرق وعلى جوانب القوة وجوانب الضعف فيه ليكون ذلك عبرة لابنائه**) وفي تراجم مشاهير الغرب نقف على (**الاصول السياسية والعلمية والادبية والفلسفية التي رفعت الغرب الى مقامه العالي بعد ان كان دون الشرق بدرجات**) و بذلك يكون (باب المشاهير) في الجامعة عبارة عن تاريخ لذيذ مفيد يشمل (**الماضي والحاضر والمستقبل**) معاً

﴿ حوادث المغرب الاخيرة ﴾ وقد اخترنا في هذا الجزء ترجمة المعتمد بن عباد ملك الاندلس لعلاقة هذه الترجمة بحوادث المغرب التي حدثت في الايام الاخيرة وما فيها من عبرة السياسة وفكاهة الادب وبيان كيفية قيام الدول القديمة في الشرق . ويالله من عبرة التاريخ . فان رجلاً واحداً طامعاً جاهلاً يدعى « ابا حماره » (وبعض الكتاب الاوربيين يقول انه رجل وهمي لا وجود له) قدر منذ مدة على حصر سلطان مراكش في فاس وكاد يسقطه عن عرشه مع ان الجالس على هذا العرش كان في الايام الغابرة صاحب

السلطان على افريقيا كلها وكان يمدّ يده من المغرب (مراكش) فيخاصم ملوك العرب في الاندلس ويوقع بملوك الافرنج الطامعين في املاكه الاندلسية ·

***

اصل اسرة المعتمد لم تكن اسرة المعتمد متصلة بالملك منذ بدء امرها فان جدّها من العريش وكان يُدعى نعيمًا · فسافر الى الاندلس واقام بقرب تومين من اقليم طشانه من ارض اشبيلية هو وابن له يُدعى عطافًا · وامتدّ لعطاف هذا عمود النسب الى الظافر محمد بن اسمعيل القاضي فهو اول من نبغ منهم في تلك البلاد حتى ولي قضاء اشبيلية ·وكان يحيى بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمستعلي ملك (قرطبة) في ذلك الزمان · وكانت الفتن بين حكام الاندلس قائمة قاعدة · فسار المستعلي ملك قرطبة لاخضاع اشبيلية وكان مذموم السيرة · فلما حصر اشبيلية اتفق اهلها على تولية القاضي محمد بن اسمعيل الذي تقدم ذكره وهجموا على ملك قرطبة فقتلوه وهو سكران · وقد روى ابو محمد ابن حزم الظاهري في كتاب « نقط العروس » رواية غريبة بشأن هذا القاضي الذي ارتقى الى منصة الملك وهي تدلّ على ذمته وامانته اذا كانت صحيحة · ولكن غرابتها تمنع من تصديقها · وتفصيل ذلك ان الخلافة في الاندلس كانت في اسرة الامويين · وقد ذكرنا في كتاب « ابن رشد وفلسفته » ان الحاجب المنصور وثب على الفتى هشام بن الحكم الخليفة الاندلسي واغتصب السلطنة منهُ · فبعد انقضاء عشرين عامًا على موت هشام هذا ظهر رجل يُقال له « خلف الحصري » وادّعى انهُ هشام وانه كان مختبئًا من الخوف على نفسه · فلما سمع بذلك القاضي محمد بن اسماعيل الذي ولي اشبيلية ارسل واحضر الرجل من مسجد بقلعة رباح فبايعه الناس وخُطب له على جميع منابر الاندلس ·قال ابن خلكان الذي نعتمد عليه في بعض هذه الترجمة « واقام المدّعي انه هشام نيفًا وعشرين سنةوالقاضي محمد بن اسمعيل في رتبة الوزير بين يديه والأمر اليه الى ان توفي المدعو هشامًا فاستبدّ القاضي محمد بالأمر بعده » نقول ولعلّ هذه القصة لم تخرج عن كونها « أُخلوقة » كما قال محمد بن حزم في كتاب نقط العروس ·

وكانت وفاة القاضي صاحب اشبيلية في سنة ٤٣٣ للهجرة · فخلفه ولده المعتضد بالله · وكان للمعتضد بالله ولدان وهما عمر وعباد · ثم افضى الأمر الى عباد فسمي بفخر الدولة ثم بالمعتضد · وكان جوادًا شديدًا جميل الوجه مكبًا على الملاهي تزوج كثيرات من النساء وخلط في اجناسهنّ فرزق منهنّ عشرين ذكرًا وعشرين انثى · ومن شعره

شربنا وجفن الليل يغسل كحله   بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر اما بخارها   فضخم واما جسمها فدقيق

ثم توفي بعلة الذبحة في سنة ٤٦١ ه وخلفه ابنه المعتمد على الله ابو القاسم محمد صاحب الترجمة ·

***

المعتمد بن عباد ولما ولي المعتمد الحكم وجد نفسه في نعيم مقيم · قال ابن خلكان في ترجمة يوسف بن تاشفين يصف اشبيلية قاعدة ملكه «كانت من اجمل المدن منظرًا وموضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة اليه · في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخًا يشتمل على آلاف (كذا) من الضياع كلها تين وعنب وزيتون · وهذا الموضع هو المسمى شرق اشبيلية · وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف · وفي جانب المدينة قصور المعتمد وابيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها انواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش» فانصرف ابن عباد الى التمتع بتلك الخيرات · وقد قال عنه ابو الحسن عليّ بن القطاع السعدي في كتابه لمح الملح «انه كان اندى ملوك الاندلس راحةً وارحبهم ساحةً ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء ومألف الفضلاء» تقول ولكن حفظ بلاد الاندلس كان يقتضي يومئذٍ امورًا غير التمتع بالملاذ والطرب لسماع الشعر · فان ملوك الافرنج كانوا قد وحدوا كلمتهم بازاء تفرق كلمة ملوك الاندلس اي حكام اقاليمها واشتغالهم باخضاع بعضهم بعضاً وعمموا على اخراج العرب من البلاد الاندلسية · ولذلك لما وصل الملك الفونس السادس ملك كاستيل الى طليطلة واخذها في سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد صاح الشاعر الطليطلي عبدالله بن فرج بن غزلون ينذر قومه :

حثوا رواحلكم يا أهلَ اندلسٍ   فما المقامُ بها الا من الغلطِ
السلك ينثر من اطرافه وأرى   سلك الجزيرة منثورًا من الوَسطِ
من جاور الشرَّ لم يا من عواقبه   كيف الحياة مع الحيّات في سفطِ

ولقد صدق الشاعر فان ملوك الافرنج لم يكونوا يقصدون يومئذٍ باخذهم طليطلة اخضاع ملوك الاندلس لان هؤلاء كانوا يؤدون الجزية لهم اجتنابًا للنزاع والقتال ولانقضاء ذلك الزمن الذي كانت فيه الاندلس سلطنة عظيمة يؤدي ملوك الافرنج الجزية لها · وانما كان غرضهم استرداد البلاد من العرب · وهذا هو السبب في رفض ملك الافرنج بعد

اخذه طليطلة الجزية من المعتمد بن عباد اكبر ملوك الاندلس . فانه ارسل اليه يطلب منه ان يتنزل عن الحصون التي بيده ويكون له السهل فقط . فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه . فلما سمع بذلك ملك الافرنج اخذ يتأهب لمنازلته

اما مشائخ الاندلس وعلماؤها فانهم لما رأوا هذا الخطر اجتمعوا وتشاوروا . ثم اتفقوا على استدعاء يوسف بن تاشفين من افريقيا لمساعدتهم على عدوهم مع ما في عبوره من الخطر . وكان يوسف بن تاشفين سلطان المغرب يومئذٍ وهو زعيم الدولة التي كانت تسمى « الملثمين » او المرابطين وهي من البربر . ولذلك قال المعتمد بن عباد حين رؤيته نفسه بين نارين « الفرنج والملثمون ضدان وان دُهينا من مداخلة الاضداد لنا فاهون الامرين امر الملثمين . ولئن يرعى اولادنا جمالهم احبّ الينا من ان يرعوا خنازير الافرنج »

***

❋ دولة الملثمين ❋ وقبل تفصيل الحوادث التالية يحسن بنا ان نذكر شيئاً عن نشأة هذه الدولة القوية التي كان يوسف بن تاشفين رئيسها .

روى ابن الاثير في الجزء العاشر من تاريخه الكامل ابتداء دولة « الملثمين » فقال : قيل كان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا للغزو فخالفهم عدوّ لهم الى بيوتهم ولم يكن بها الاّ المشائخ والصبيان والنساء . فلما تحقق المشائخ انه العدو قادم عليهم امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن حتى لا يُعرفن ويتقلدن السلاح . ففعلن ذلك . فلما اشرف العدو ظنهنّ رجالاً فقال : هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهنّ قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان تبعونا قاتلناهم . وبينما هم يجمعون الانعام من المراعي اذ قد أقبل رجال الحيّ فهجم عليهم النساء من جانب والرجال من جانب فقتلوا منهم كثيرين . وقد قُتل من النساء اكثر منهم . ومن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يُعرف الشيخ من الشاب . نقول ولعلّ هواء الصحراء ونسفه الرمال على الوجوه مع شدة الحر هي التي جعلتهم يتخذون اللثام سنة . وقد قال الشاعر في هذا اللثام متزلفاً اليهم

قومٌ لهم درك العلا في حميرٍ وان انتموا صنهاجة فهمُ همُ
لما حووا احراز كل فضيلةٍ غلب الحياء عليهم فتلثموا

فمن ذلك يظهر انهم كانوا ينسبون الى حمير . وكانوا عدة قبائل اشهرها لمتونه وجداله ولمطه . قال ابن الاثير . وكان اول مسيرهم من اليمن ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى ابن نصير وتوجهوا مع

طارق (فاتح الاندلس) الى طنجه . ثم انهم احبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها لهذه الغاية . ففي سنة ٤٤٨ ﻫ توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة « جدالة » الى افريقيا طالبًا للحج فمرّ بفقيه بالقيروان لعله ابو عمران الفاسي وعنده جماعة يتفقهون فاعجبه حالهم . ولما قفل راجعًا من الحج قصد الفقيه وقال له « ما عندنا في الصحراء من هذا شيء غير الشهادتين والصلاة في بعض الخاصة فابعث معي من يعلّمهم شرائع الاسلام . فارسل معه رجلاً اسمه عبدالله بن يس الكزولي فاتيا قبيلة لمتونه (اشهر قبائل الملثمين) فنزل جوهر عن جمله واخذ بزمام جمل عبدالله بن يس تعظيمًا لحامل شريعة الاسلام . فاقبل الناس على جوهر وسألوه عن الفقيه فقال « هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء يعلّمكم ما يلزم في دين الاسلام » فرحبوا بهما وقالوا اذكر لنا شريعة الاسلام فعرّفهم الفقيه عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا « اما ما ذكرتَ من الصلاة والزكاة فهو قريب واما قولك من قتل يُقتل ومن سرق يُقطع ومن زنى يُجلد او يُرجم فامر لا نلتزمه . اذهب الى غيرنا » فرحل جوهر والفقيه عنهم . قال ابن الاثير « فنظر اليهما شيخ كبير فقال لا بدّ وان يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يُذكر في العالم » نقول ولعلّ ذلك قيل من بعد ان صار له ذلك الشأن

ثم انتهى جوهر والفقيه الى جدالة قبيلة جوهر فدعاهم الفقيه والقبائل التي تجاورهم الى حكم الشريعة فمنهم من اطاع ومنهم من أعرض . واجتمع المخالفون وتألبوا فقال عبدالله بن يس الفقيه للذين اطاعوا « قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا لقتالكم فاقيموا لكم راية وقدموا عليكم اميرًا » فقال له جوهر : انت الامير فقال : لا انما انا حامل امانة الشريعة ولكن انت الامير فقال جوهر « لو فعلتُ هذا لتسلط قبيلي على الناس ويكون وزر ذلك عليّ » ثم انهما قصدا ابا بكر بن عمر رأس قبيلة لمتونة وعرضا عليه الامارة فاجاب فسماه الفقيه « امير المسلمين » وجمع اليه مَن حسن اسلامه وحثهم على الجهاد وسماهم « المرابطين » ثم استمالوا اليهم نحو الفي رجل من الذين اعرضوا عن الشريعة فجمعوهم في مكان وخندقوا عليهم ثم قتلوهم وبذلك خلصوا من مقاوميهم ودانت لهم اكثر قبائل الصحراء . ولما انفرد ابو بكر وابن يس بالامر دون جوهر داخله الحسد فشرع سرًا في افساد الأمر فحكم عليه بالقتل لانه نكث البيعة . ثم ضاقت الصحراء بالملثمين فخرجوا منها فحاربهم اهل السوس الاقصى وهزموهم وقتلوا الفقيه ابن يس . فعاد ابو بكر بن عمر فجمع جيشًا من الفي راكب ورجع اليهم فاجتمع عليه منهم ومن زناته اثني عشر الف فارس

ومنعوه من العبور الى الاندلس حيث كان يقصد للغزو والجهاد . فدعا ابو بكر قائلاً « اللهمَّ ان كنا على الحق فانصرنا والاَّ فارحنا من هذه الدنيا » ثم قاتلهم وصدق هو واصحابه فهزموهم وغنموا اموالهم واسلابهم . وبعد ذلك حارب ابو بكر سجلماسة واخذها . فدانت له تلك الجهات وكان له ابن عم يدعى يوسف بن تاشفين من لمتونة ايضاً فاستعمله على سجلماسة ثم عاد الى الصحراء .

***

﴿ يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ﴾ وكان يوسف هذا رجلاً حازماً داهية حسن السيرة فساس الناس سياسة استمالتهم اليه ولم يأخذ منهم غير الزكاة . وبعد سنة عاد ابو بكر الى سجلماسة وجهزه بجيش لفتح السوس ففتح على يديه . وفي سنة ٤٦٢ توفي ابو بكر بن عمر بالصحراء فاجمعت قبائل المرابطين على تمليك يوسف بن تاشفين ولقبوه « امير المسلمين » وكانت الدولة في بلاد الغرب لزناتة فحاربهم ابن تاشفين واستخرج البلاد منهم بلداً بلداً بايسر سعي . فملأت سطوته القلوب واحبته رعيته وصلحت احوالهم به . وكانت قبائل المصامدة اشد اهل المغرب فقصد يوسف بن تاشفين جبلهم واختار بقربه بقعة متوسطة في المغرب كالقيروان في افريقيا وبنى فيها مدينة « مراكش » ليتخذها قاعدة لحروبه مع اهل تلك الجبال اخضاعاً لهم وقد جعلها مقرَّه . وكان موضع هذه المدينة ملجأ للصوص ولذلك كان المسافرون يقولون بعضهم لبعض « مراكش » اي مرَّ مسرعاً ومن هنا اشتق اسمها . غير ان الأمن استتب في ما حواليها بعد اهتمام ابن تاشفين بها . فملك ابن تاشفين البلاد من تلمسان الى ساحل البحر المحيط وفيها سبته وطنجه وسلا وغيرها .

فلما تضخم سلطانه الى هذا الحد طمحت نفسه الى الاندلس فانشأ السفن لنقل جنوده اليها . فاتفق ملوك الاندلس (العرب) على مقاومته خوفاً على ممالكهم منه واعترضوه بمراكبهم العديدة وهددوه بموالاة الافرنج عليه اذا اراد بهم شرًّا . ولكن لما قصد الفونس السادس ملك كاستيل وصاحب طليطلة التي جعلها قاعدة بلاد الافرنج محاربة المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وطليطلة وغيره من ملوك الاندلس اتفق الاندلسيون كما تقدم على الاستنجاد بيوسف ابن تاشفين لاختيارهم اهون الشرين . فاجابهم ابن تاشفين وعبر الى الاندلس لمحاربة العدو المشترك ونفسه تحدثه ولا شك بارتياد تلك البلاد التي كانت منبع الثروة والخيرات

ولما عبر يوسف ابن تاشفين الى الاندلس بجيوشه عبر معه من الجمال ما اغصَّ الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن اهل الاندلس رأوا قط جملاً ولذلك كانت خيولهم

تجفل من صورتها وصوتها . فكانت اذا حضرت الجمال الحرب نفرت خيل الافرنج منها .
اما الملك الفونس (اذفونش) فانه لما رأى اجتماع عزائم العرب عليه علم « انه عام نطّاح » فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا ونزلوا في مكان افيح يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس فلقيهم العرب والمغاربة هناك وجرت بين الفريقين وقعة هائلة كان فيها النصر لجيش يوسف بن تاشفين . ولم يفلت من الافرنج الا الملك وقليلون من جنده . فعاد الامل الى العرب في الاندلس وأمنوا بعض الامن على البلاد التي كانوا يقطنونها

***

ابن تاشفين والاندلس ولما كان المعتمد ابن عباد صاحب قرطبة واشبيلية اكبر ملوك الاندلس يومئذ استزار يوسف ابن تاشفين فزاره يوسف في قصره في اشبيلية وشاهد ما فيه من البذخ والترف . وكان معه بعض اصحابه فصاروا ينبهونه الى تامل تلك الحال ويقولون له « ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد واصحابه » وكان من طبع ابن تاشفين الاقتصاد والتدبير وقد صرف عمره في شظف العيش فاجاب مغريه بهذا الجواب البديع « الذي يلوح لي من امر هذا الرجل (يعني المعتمد) انه مضيع لما في يديه من الملك لان هذه الاموال التي تعينه على هذه الاحوال **لا بد ان يكون لها ارباب لا يمكن ابداً اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل** »

ثم عاد ابن تاشفين الى المغرب وفي نفسه شيء من بلاد الاندلس ومن المعتمد ابن عباد . اما بلاد الاندلس فقد راقه جمالها وغناها واما ابن عباد فقد ساءه منه ارتيابه فيه وعدم الفته اياه لما بين الذوق العربي وذوق البربر من الاختلاف . ولقد قال ابن عباد قبل عبور ابن تاشفين الى الاندلس « ان مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار » وربما نصح لابن عباد بعض اصحابه كما روى ابن خلكان بان يحذر ابن تاشفين على ملكه ويغتنم هذه الفرصة ويقبض عليه فوصل هذا الخبر الى ابن تاشفين فتغيَّر على حليفه . وبعد ان عاد ابن تاشفين الى بلاده اقام عسكره في الاندلس لمطاردة ملك الافرنج وجنوده فبعد مدة كتب قائد هذا العسكر سير ابن بكر الى اميره ابن تاشفين يقول انه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب فيها حراساً ولكن لا يستقيم لهذه الجيوش ان تقيم بالثغور في ضنك العيش تصابح العدوَّ وتماسيه ويحظى ملوك الاندلس من الارزاق برغد العيش » فالظاهر ان هذا القول اصاب هوىً في نفس ابن تاشفين لانه رأى ان سيد البلاد وصاحبها هو الذي يحميها لا الذي يأكل خيرها فعهد الى قائده اخضاع ملوك الاندلس مبتدءًا من الثغور وان لا يتعرض لابن

عباد ما لم يستول على البلاد كلها

***

﴿ نكبة المعتمد ﴾ وكان المعتمد يومئذ في قصره في اشبيلية مشغولاً بنعيم الدنيا . وكان مولعاً بجواريه وحظاياه . ففي ذات يوم قصد ارسالهن من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من اول الليل الى الصبح ثم رجع وانشد في ذلك

سايرتهم والليل اغفل ثوبه حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعاً وتسلمت مني يد الاصباح تلك الانجما

وكتب من قصره في قرطبة الى ندماء له اصطبحوا بالزهراء القصر المشهور في ضواحيها يدعوهم الى الاغتباق في قصره

حسد القصر فيكم الزهراء ولعمري وعمركم ما اساء
قد طلعتم بها شموساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدوراً مساء

ولكن المعتمد مع اشتغاله بهذه الملاذ فانه كان مشغول الفكر من جهة ملكه هو وابناؤه . قيل ان ابنه الرشيد كان في مجلس انس فأمر ابا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يادارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد

فاستاء وتطير وامر بالغناء من ستارته فغنت احدى الجواري

ان شئت ان لا ترى صبراً لمصطبر فانظر الى اي حال اصبح الطلل

فاشتد استياؤه وتطيره فامر جارية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسي على مال افرقه على المقلين من اهل المروءات
ان اعتذاري الى من جاء يسألني ما ليس عندي من احدى المصيبات

وكان ابن اللبانة الشاعر حاضراً فقام وارتجل ابياتاً محا بها تطير الامير ووصف ملكه بالقوة والثبات

وكان ذلك في عام ٤٨٣ هـ . ففي العام التالي وصلت جيوش يوسف ابن تاشفين بقيادة سير ابن ابي بكر الى اشبيلية قاعدة ملك المعتمد وحصرته فيها . قال ابن خلكان « وظهر من مصابرة المعتمد (في الحصار) وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله . والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع . يقطعون سبلها سباحة . ويخوضون نهرها سباحة . ويترامون من شرفات الاسوار . فلما كان يوم الاحد لعشرين من رجب سنة اربع وثمانين واربعمائة هاجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيها الغارات ولم

يتركوا لاحد شيئًا · وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بايديهم » وكان الافرنج في هذه الحرب يعاونون العرب على جيش ابن تاشفين لخوفهم منه

اما المعتمد فانهم قيدوه وجعلوه مع جميع اهله في سفينة وارسلوهم الى المغرب · وفي ذلك قال ابن خاقان في قلائد العقيان « وحملتهم الجواري المنشئات · وضمتهم كانهم اموات · بعد ما ضاق عنهم القصر · وراق منهم العصر · والناس حشدوا بصفتي الوادي · يبكون بدموع الغوادي » وقال ابن اللبانة في ذلك

تبكي السماء بدمعٍ رائحٍ غادي على البهاليل من ابناء عبادِ

على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الارض منها تحت اوتادِ

ياضيف اقفر بيتُ المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزادِ

وهي قصيدة طويلة · وقال ابو محمد عبد الجبار بن حمد يس الصقلي من قصيدة طويلة ايضاً ·

جرى لك جد بالكرام عثورُ وجار زمانٌ كنتَ منه مجيرُ

ولما رحلتم بالندى في اكفكم وقلقل رضوى منكم وثبيرُ

رفعتُ لساني بالقيامة قد دنتْ فهذي الجبال الراسيات تسيرُ

***

شعره وحاله في نكبته

وقد ارسل ابن تاشفين المعتمد واهله الى « اغمات » وهي قرية صغيرة بالقرب من مدينة مراكش بينهما مسافة يوم مشيًا وسجنهم فيها واساء في معاملتهم · قال ابن الاثير « فاباں بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة » وصار فضلاء البلاد يراسلون المعتمد بالنظم والنثر وهو في سجنه · اما اهل المعتمد فانهم سجنوا مثله ايضا وكان بناته يغزلن للناس باجرة ليسقها عليهم · وفي يوم عيد دخل على المعتمد في سجنه بعض بنيه « وفيهم بناته وعليهنَّ اطمار كانها كسوف وهنَّ اقمار واقدامهنَّ حافية وآثار نعمتهنَّ عافية » كما روى ابو الفداء · فقال المعتمد فيهنَّ ·

فيما مضى كنتَ بالاعياد مسرورا فجاءك العيد في اغمات مأسورا

ترى بناتك في الاطمار جائعة يغزلنَ للناس ما يملكن قطميرا

يطأن في الطين والاقدام حافيةً كأنها لم تطأْ مسكاً وكافورا

لاخدَّ الا تشكى الجدب ظاهره وليس الا مع الانفاس ممطورا

قد كان دهرك ان تأمره ممتثلاً فردَّك الدهر منهيًا ومأمورا

من باتَ بعدكَ في ملك يسرُّ بهِ   فانما بات بالاحلام مغرورا

وتألم المعتمد يوماً من قيده وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود   بذلِّ الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليقاً   وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا ادهماً   يعضُّ بساقيَّ عضَّ الاسود

ودخل عليه يوماً ولده ابو الهاشم فلما راى المعتمد والقيود تعض ساقيه « بعدما عهد نفسه فوق منبر وسرير . وفي وسط جنة وحرير . تخفق عليه الالوية . وتشرق منه الانديه » بكى وقال

قيدي اما تعلني مسلماً   ابيت ان تشفق او ترحما
دمي شرابٌ لك واللحم قد   اكلته لا تهشم الاعظما
يبصرني فيك ابو هاشمٍ   فينثني والقلب قد هشما
ارحم طفيلاً طائشاً لبه   لم يخشَ ان يأتيك مسترحما
وارحم أُخيّات له مثله   جرعتهنَّ السمَّ والعلقما
منهنَّ من يفهم شيئاً فقد   خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فما   يفتح الأ لرضاعٍ فما

واجتمع عليه بعض الشعراء والحوا في السوءال فانشد

سألوا اليسير من الاسير وانه   بسوءالهم لأحق منهم فاعجبِ
لولا الحياء وعزة لخية   طيُّ الحشا لحكاهمُ في المطلبِ

وللمعتمد اشعار كثيرة في نكبته ولابن اللبانة عدة قصائد فيه وفي البكاء على ايامه . منها ديوان له سماه « نظم السلوك في وعظ الملوك » وقد وفد على المعتمد في اغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء . وله فيه من قصيدة طويلة

نجمتَ منها باخوانٍ ذوي ثقة   فاتوا وللدهر في الاخوان آفاتُ
واعتضتَ في آخر الصحراء طائفة   لغاتهم في جميع الكتب ملغاةُ

يعني البربر اي ابن تاشفين وعسكره . وكانت وفاة المعتمد في سجنه في سنة ٤٨٨ هـ « فنودي في جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شانه » وقد رثاه الشعراء عند قبره . منهم شاعره المختص به ابو بكر عبد الصمد فقد انشد على قبره قصيدة اولها

ملكَ الملوك اسامع فانادي   ام قد عدتكَ عن السماع عوادي

لما نقلت عن القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الاعياد
اقبلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلتُ قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبّل الثرى وعفر خده فابكى كل من حضر

قال ابن خلكان : ورأى ابن اللبانة حفيداً للمعتمد اتخذ الصياغة صناعة وهو غلام وسيم وكان يُلقب في ايام دولتهم « فخر الدولة » فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من قصيدة طويلة

باصائغاً كانت العليا تُصاغ له حلياً وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى اني رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددتُ اذ نظرت عيني عليك به لو انَّ عيني تشكو قبل ذاك عمى

***

﴿ دولة الموحدين ﴾ تلك قصة المعتمد بن عباد اشهر ملوك الاندلس في زمنه . ولا تشبهها في التاريخ العربي قصة غير قصة البرامكة ونكبتهم في المشرق . على ان العدالة الابدية التي تدبر شؤون هذه الحياة بنواميسها الازلية الثابتة قد سلطت على ذرية يوسف ابن تاشفين الذي فعل ببني عباد هذه الفعلة الشنعاء من فعل بها مثلها . فاقامت دولة « الموحدين » في المغرب على دولة « المرابطين » كما قامت دولة المرابطين على ملوك الاندلس ولبيان ذلك نقول باختصار

تقدم في الصفحة ٨ ان قبائل المصامدة في جبال اغمات كانت اشد القبائل بأساً وان يوسف ابن تاشفين بنى مراكش واتخذها مقاماً له لاخضاع تلك القبائل . ففي سنة ٥١٤ للهجرة اي بعد انقضاء ٢٦ عاماً على وفاة المعتمد بن عباد ظهر من المصامدة رجل يدعى عبدالله بن تومرت وتُعرف قبيلته بقبيلة هرغه وهي قبيلة نزلت في تلك البلاد لما فتحها المسلمون مع موسى بن نصير . وكان هذا الرجل عالماً بالشريعة فسافر الى بلاد الشرق وحج ثم عاد الى المغرب عن طريق الاسكندرية . فعند عودته صار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فاجتمع الناس عليه واجلّوه ولقيه في ملالة رجل يُدعى عبد المؤمن بن علي فاتفق معه . ولما قدم الى مراكش عاصمة يوسف ابن تاشفين وجد فيها من المنكرات اكثر مما وجده في طريقه فزاد في امره بالمعروف . واتفق انه رأى في ذات يوم اخت الامير يوسف في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة وهن سافرات (**لان العادة كانت في دولة الملثمين ان يسفر نساؤهم ويتلثم رجالهم**) فهجم على الموكب مع اصحابه وامرهن بستر وجوههن وضرب دوابهن

فسقطت اخت الامير عن دابتها . فاحضره الامير يوسف بين يديه وامر الفقهاء ان يناظروه فقال له احدهم ان هذا الرجل لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانما يريد اثارة فتنة ليغلب على بعض النواحي . فاخرجوه من مراكش فذهب الى قبائل المصامده وصار يعظهم ويذكرهم بما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم وانه لا بدّ من ظهور المهدي الذي بُشر به . فقال له بعض السامعين وفيهم عبد المؤمن انت المهدي . فبايعوه وسماهم المهدي « موحدين » فلما بلغ ذلك الى الامير يوسف ارسل عليهم جيشاً فهزموه وبذلك قويت قلوبهم . قال ابن الاثير : وكان ليوسف بن تاشفين عدة مماليك من الروم والفرنج يغلب على الوانهم الشقرة وكان في كل عام يخرجون مرة الى جبال المصامدة ليجبوا الضرائب منها فكانوا يطردون الرجال وينامون في المنازل . فلما جاء المهدي الجديد سأل قومه مالي اراكم سمر الالوان واری اولادكم شقراً زرقاً فاخبروه ذلك الخبر . فقبح الصبر على هذا وامرهم بقتل اولئك المماليك حين قدومهم والاستقلال بالجبل ففعلوا وازدادوا جرأة على جرأة

ثم استفحل امر هذه القبائل وحصروا مراكش وصاحبها علي بن يوسف بن تاشفين لان يوسف كان قد توفي فعادوا عنها بالخيبة . وفي اثناء ذلك توفي المهدي وسلم الامر الى عبد المؤمن واوصى اصحابه بطاعته . ففتح عبد المؤمن البلاد واخذ مراكش كرسي دولة المرابطين . وكان فيها جيش من الافرنج استنجد به المرابطون كما روى ابن الاثير . وكان صاحب مراكش اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو فتى فلما وصل الموحدون الى القصر واخرجوا من فيه للقتل صار اسحق الفتى يرتعد رغبةً في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي . فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفاً فبصق في وجهه وقال : تبكي على ابيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين . فقام اليه الموحدون بالخشب فقتلوه . وقُدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة ٥٤٢ وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم . وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم اربعة : يوسف وعلي وتاشفين واسحق . وكما اسقط الموحدون المرابطين في افريقيا اسقطوهم في الاندلس وبذلك انتقموا لملوكها الغابرين

***

فيرى القارئ فيما مرّ في هذه الترجمة تاريخ ثلاث دول مهمة . (الاولى) دولة بني عباد التي قامت في اشبيلية وقرطبة وما جاورها . (والثانية) دولة ابن تاشفين (المرابطين)

التي قامت في مراكش واستولت على افريقيا والاندلس . (والثالثة) دولة الموحدين التي اسقطتها وحلت محلها . وكل هذه قوات قامت ثم سقطت وذهبت سدى دوان ينتفع بها بينما كانت امم الافرنج في اثناء ذلك تتكون وتجمع تحت سلطة امرائهم ورؤسائهم لينشئوا بعد ذلك امماً مستقلة مختلفة . ولم تكن تدري تلك الدول التي كانت تتزاحم وتتخاذل على ابواب اوروبا ان مستقبل الشرق والغرب والعالم كله كان يومئذ في ايديها

الفيلسوف اوغست كونت

(مؤسس الفلسفة الحسية وواضع ديانة الانسانية والعلم)

ترجمته وذكر مبادئه بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه في رئاسة ديانة الانسانية في الشهر الماضي في باريز

اذا ذُكر نوابغ القرن التاسع عشر فان الفيلسوف اوغست كونت يُذكر في مقدمتهم . وقد رأينا ان ننشر في هذا الجزء ترجمته وشيئاً من فلسفته بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه بطرس لافيت « رئيس ديانة الانسانية » فنقول

※ ترجمته ※ ولد اوغست كونت في مونبليه (فرنسا) في سنة ١٧٩٨ وقد تلقى دروسه في مدرسة الرياضيات ولكنه لم يتمها فخرج وانصب على الدرس لنفسه . وكان في اثناء ذلك يرتزق من التدريس لانه كان فقيراً . ومن حسن حظه انه عرف في سنة ١٨١٩ سان سيمون الكاتب الفرنسوي المشهور فاتفقا على الاشتغال بالعلم والسياسة معاً . وكان سان سيمون محتاجاً اليه وهو محتاج الى سان سيمون لان سيمون كان ذا بصيرة في السياسة ولكنه كان قاصراً في العلم وكان اوغست كونت طويل الباع في العلم ولكنه قاصر في الامور السياسية . فكمل احدهما نقص الآخر

الا ان كونت كان مطبوعاً على حب الاستقلال فلم يجد بداً من مفارقة سان سيمون الذي كان ينزل نفسه منه منزلة المتسلط الآمر . فاغتنم فرصة لذلك . وهي ان كونت كتب الجزء الثالث من كتاب « مبادئ اهل الصناعة » واتفق مع سيمون على ان ينشره باسم مؤلفه . فذهب سيمون ونشره دون ان يذكر مؤلفه فكان ذلك عذر كونت في مفارقته

وبعد ذلك انصرف كونت الى التأليف والتدريس في منزله فكان نخبة الناس يقبلون على استماع خطبه العلمية . غير انه أُصيب بعد ثلاث خطب بتهيج في الدماغ حيف عليه

الجنون منه فنقل الى احد المستشفيات واقام فيه ٧ اشهر بلا فائدة · وكانت له زوجة كريمة عاقلة فاعادته الى منزله ولبثت تداريه وتسكن اضطرابه باللطف والمجاملة حتى هدأ اضطرابه وعادت اليه قواه العقلية · وهنا لا بدّ ان يذكر القارئ رأي العلامة لمبروزو الايطالي الذي مقتضاه ان سبب نبوغ اعاظم البشر خلل يطرأ على ادمغتهم وعقولهم فيرميها عن عقول البشر الاعتيادية وبذلك يكون نوابغ البشر الذين رقوا الهيئة الاجتماعية انصاف مجانين · والعياذ بالله من هذا الرأي الغريب ·

وبعد شفائه كونت بدأت موءلفاته العظيمة التي كانت اساسًا للعلم الحسي والسيولوجيا · فصارت له شهرة واسعة · الاّ ان اخلاقه الغريبة كانت تبعد عنه كل انصاره · فانه كان يسيء في معاملة الجميع لرؤيته انهم لا يعطونه حقه ولا يقدرونه قدره · فمن ذلك انه كان يطلب التدريس في احدى المدارس الكبرى فلما خلت وظيفة كبيرة في مدرسة الرياضيات كتب الى اصدقائه في الاكاذمية كتابًا يطالبهم فيه بتلك الوظيفة كحق له ويعنفهم لاعراضهم عنه ويطعن على مشاهير الرياضيين في عصره · فانتهى الامر برفض طلبه · ومن ذلك طعنه في احد كتبه على اراغو المشهور طمعًا بجرح كبرياء اراغو الذي كان يومئذ في اوج الشهرة فسعى في عزله من وظيفة كانت له في مدرسة الرياضيات · وكان كلما تقدّم في نشر مذهبه الفلسفي وازداد تحققًا فيه واستيثاقًا من عظم عمله ازدادت اخلاقه شراسة وكبرياء حتى لم يعد يقبل نصيحة ولا اشارة من احد · ولما رأت زوجته ذلك علمت استحالة الاتفاق معه فانفصلت عنه بهدوء ولكنها بعد الانفصال بقيت تراسله ·

ولما كانت سنة ١٨٤٥ بدأ كونت يطبق فلسفته على السياسة · اي بدأ يدخل في حيز الفعل والتجربة النظريات التي ذكرها في فلسفته · فادّى به هذا الامر الى امور غريبة سنذكرها في موضعها · ولذلك يقولون ان هذا العام كان بدء نزوله عن جبل العظمة العلمية

ولما فقد كونت وظيفته الرسمية في مدارس الرياضيات فقدَ معها مورد رزقه ولكن بعض علماء انكلترا واغنيائها ارسلوا اليه مالاً طائلاً مساعدة له لان الانكليز اعجبوا بمواهبه · فطلب كونت ان تكون هذه المساعدة سنوية فرفضوا فخاصمهم كونت لرفضهم · فشرع حينئذٍ تلميذه العلامة ليتره المشهور في جمع مال طائل لاستاذه على سبيل الاكتتاب ليجعل له منه دخلاً سنويًا فاستمر ذلك اربع سنوات ولكن كونت رأى ان تلميذه ليتره لم يكن مطيعًا له الى الحدّ الذي يريده فخاصمه ايضًا وتولى هو نفسه رئاسة الاكتتاب ··

وقد كانت وفاة كونت بسرطان في معدته فجزع عليه تلامذته · ولا يزال بيته في

باريز (هيكلاً) يحج اليه تلامذته من جميع اقطار العالم

﴿ مؤلفاته وطريقة تاليفه ﴾ كان لكوت في التأليف طريقة لم تكن لسواه بين جميع المؤلفين . فانه منذ شرع في كتابة مذهبه الفلسفي انقطع عن كل درس ولم يعد يقراه كتاباً لاحد من المؤلفين . وسبب ذلك انه قصد ان لا يكون لاحد تأثير على افكاره . ولقد كان ذلك حسناً قبل افراغه جعبته في مؤلفاته . ولكنه بعد افراغه جعبته جرَّه الى الامور الصبيانية التي سنذكرها في ترجمته لانه فصله عن عالم العلم وجعله يتهوَّر في التعاليم الرمزية التي مزج فيها الدين بالفلسفة . ومهما يكن في هذا الامر فانه كان دليلاً غريباً على عظيم ثقته بنفسه

اما كيفية كتابته مؤلفاته فانها كانت كما يلي . كان يفكر اولاً في الموضوع وينشىء في ذهنه جميع اجزائه وتفاصيله . ومتى فرغ منها كلها كان يقول ان كتابه قد تم . وحينئذ يتناول القلم ويبدأ بالكتابة بسرعة غريبة ثم يرسل الاوراق التي يكتبها الى المطبعة دون مراجعتها . وبعد ترتيب حروفها لا يصحح اغلاطها المطبعية الا مرة واحدة . وعند تصحيحها لا يغير شيئاً في كلامه

واما مؤلفاته فاهمها كلها « دروس في الفلسفة الحسية » وهو ستة اجزاء فيها كل فلسفته « واقوال فلسفية في العلم والعلماء » (واقوال في السلطة الروحية الجديدة)(وكتاب في مبادىء الهندسة) (وكتاب فلسفي في علم الهيئة العامي) (وكلام عن مجمل الفلسفة الحسية) وهو كتاب اختصر فيه فلسفته (ومذهب الفلسفة الحسية السياسي) وهو اربعة اجزاء وقد دعاها ايضاً : كتاباً في السيولوجيا بحث في ديانة الانسانية (وكتاب مبادىء التعليم في الفلسفة الحسية) وهو في (ديانة الانسانية) يقابل (كتاب مبادىء التعليم المسيحي) للاولاد في الديانة المسيحية او اصول الشرع والقرآن الاولى في الديانة الاسلامية . ومنها كتب اخرى

﴿ مذهبه الفلسفي ﴾ وقبل ان نذكر شيئاً عن مذهب اوغست كونت الفلسفي نقسم اعمال هذا الفيلسوف الى قسمين : فقسم كان عظيماً جليلاً لما كان له من التأثير على الحركة العلمية والسياسية في اوربا منذ ذلك الزمن الى اليوم . وقسم كان صغيراً ـ ومع احترامنا لتذكار الفيلسوف فاننا نقول انه كان مضحكاً . وقبل الوصول الى القسم الثاني نشرح القسم الاول

لما قام كوت ورأى الفلسفة مبنية على النظريات والمجادلات العقيمة عدل عن هذه

الطريق وقام يدعو الى تأسيس الفلسفة على الامور المحسوسة . فقال اننا لا نبني فلسفتنا الا على ما نعرفه معرفة تامة . ولذلك لا نعرف للفلسفة اساساً غير **(الرياضيات وعلم الفلك والطبيعيات والكيمياء والبيولوجيا والسيولوجيا)**

وكان مراده بذلك صرف افكار الفلاسفة عن البحث في (علة العلل وسبب الاسباب) لادخال العلم في دور **(النفع)** للبشر . وان قيل ان ذلك يضع حداً للعلم ويجعله مقيداً فكونت يجيب عن ذلك بان فلسفته لا غرض لها غير **(نفع الناس)** بترقية الانسانية اما معرفة مبداء العالم ومصيره فمن العبث الاشتغال به بقوانا العقلية . فبدلاً من ان تضيع الفلسفة وقتها الثمين في البحث في هذه المسائل يجب ان تحصر قواها في درس الامور المحسوسة واستخدام العناصر الطبيعية لنفع الانسانية اذ لا شيء حقيقي غير الانسانية

وهو يرى ان الانسانية قد آن لها ان تصل الى هذا الغرض وان فلسفته هذه دور من ادوارها . وايضاحاً لذلك يقول ان كل هيئة اجتماعية لها ثلاثة ادوار الاول دور الطفولية وهو الدور الذي تظن فيه نفسها محكومة بقوات غير منظورة كالآلهة والارواح والثاني دور الشباب وهو الدور الذي تكون فيه منصرفة الى ما وراء الطبيعة والعقل والحس والثالث الدور الحسي وهو دور الرجولية . بل ان الانسان نفسه يتقلب في عمره بين ادوار كهذه الادوار فانه في صباه يكون في الدور الاول وفي شبابه في الدور الثاني وفي كهولته في الثالث .

واعظم اكتشافات كونت في هذه الفلسفة اثباته الترتيب والعلاقة بين العلوم الطبيعية . قال المسيو رويسين الذي نعتمد عليه في تلخيص هذا المذهب : ان الرياضيات قد وضعت اصولها منذ نشأتها في القرون الماضية وقد خطط كبلر وغاليله طريق علم الهيئة (الفلك) وخطط باكون وديكارت طريق الطبيعيات ولافوازيه طريق الكيمياء وبوفون وكوفيه ولينه وجفروى سانت هيلير طريق البيولوجيا . واما اوغوست كونت فانه وضع اساس السيولوجيا (علم العمران) ورفعه الى مقام العلوم الطبيعية الثابتة . وذلك باكتشافه ما بين العلوم الطبيعية من الترتيب اي لزوم بعضها عن بعض لانها تنشا عنها واثباته انها كلها تنتهي الى غرض واحد وهو خدمة علم السيولوجيا لترقية العمران في الارض وتحسين حالة الانسانية

وبناء على ذلك يكون اساس فلسفة كونت علم السيولوجيا اي علم اصلاح شأن البشر . وهو الذي وضع هذه الكلمة (السيولوجيا) واودع فيها المعنى المصطلح عليه اليوم .

وتوصلاً الى ذلك الغرض جعل همه ايجاد (سلطة روحية) جديدة ليقرنها بالسلطة السياسية ويعهد اليها تدبير شؤون البشر . وهو يرى ان الكنيسة المسيحية قد صنعت صنعاً بديعاً بجمعها بين السلطة السياسية والسلطة الروحية في شخص واحد يتولى ادارة الامة . ولكنها بما انها فصلت بين العقل و بين الطبيعة في تلك السلطة فقد ادخلت بذلك في جوفها جراثيم الضعف والانحلال . وهذا الانحلال والانقسام لم يلبث ان ظهر بقيام المذاهب الفلسفية والمذهب البروتستنتي . والمطلوب لتدبير شؤون البشر تدبيراً محكماً اقامة سلطة روحية توافق السلطات السياسية والامور الطبيعية . وليس هنالك سلطة روحية قوية غير سلطة العلماء . اذاً يجب ان تتألف لجنة من العلماء في كل الامم ليتولوا حكومة البشر بالروح وبالسياسة حكومة مبنية على الواجب . ويكون شعارهم هذه الكلمات « **محبة الناس لانها واجبة . وحفظ النظام والامن لانهما اساس الاجتماع . وتمهيد سبيل المدنية لانها غرض الانسانية** »

❊ مذهبه الديني ❊ واليك القسم الثاني من مذهب كونت الذي اشرنا اليه في ما تقدم سمى كونت الانسانية (الذات الاعظم) واوجب في اكرامها ترقية شؤونها لا عبادتها . وسمى دينه الجديد (ديانة الانسانية) وهو يوجب الصلاة لا لانها واسطة لطلب شيء للانسان بل لانها عبارة عن اشتراك وتامل في مصدر الكمال . ومن قوله : انما الصلاة حب وفكر اذا كانت بالروح والفكر فقط . ولكنها اذا كانت بالكلام ايضاً فهي حب وفكر وفعل . فكأنما الصلاة عبارة عن نموذج للحياة . وكأنما الحياة صلاة دائمة

ومعبد الانسانية يجب ان يقام في وسط حرش مقدس يجتمع فيه المؤمنون وتكون فيه العبادة عمومية . ويوضع في صدره تمثال للانسانية يمثل امرأة تحمل طفلاً . وتخصص غرفة في المعبد بالنساء اللواتي امتزن في حياتهن باعمال جليلة و١٣ غرفة تحوي تماثيل ١٣ رجلاً وهم « **موسى وهوميروس وارسطو وارخميدس وقيصر والقديس بولس وشارلمان ودانت وغوتنبرج وشكسبير وديكارت وفردريك الثاني وبيشات** » . وقد غير كونت حساب الاشهر فجعل السنة ١٣ شهراً وسمى كل شهر باسم واحد من هؤلاء المشاهير وجعل في كل يوم من ايام السنة عيد رجل من الذين افادوا البشر . اما تعاليم هذا الدين الجديد الغريب فهي ترجع الى مبداء واحد وهو (ان يحب الانسان الناس ويعيش من اجلهم) لانه جزء وهم كل . وبذلك وضع كونت اصول الآداب والفضائل فوق اصول العمران (السيولوجيا)

ومن مبادىء هذا المذهب تقديس النساء لان المرأة في رأي كونت اطهر مخلوقات

الانسانية . وهي الرباط الحي الذي يربط الانسان بالهيئة الاجتماعية سواء كانت زوجة او امًّا او ابنة . وقد وضع هذا الفيلسوف الغريب الاخلاق عبادة مختصة بالنساء . ووضع مذهبه تحت حماية (القديسة كلوتيلد) وكلوتيلد هذه اسم امرأة عرفها كونت في سنة ١٨٤٥ واحبها حبًّا شديدًا مع انه كان في السابعة والاربعين من عمره . . وهي تدعى كلوتيلد ديفو

فمن كل ذلك يظهر ان هذا الفيلسوف مزج فلسفته بكثير من الامور الصبيانية . على ان الفلاسفة ينظرون الى مذهبه العلمي لا الى مذهبه الديني . ويقولون عنه انه كان فيه شخصان : شخص عظيم وضع في الرياضيات والطبيعيات والسيولوجيا كتبًا في غاية الاهمية حوَّلت مجرى افكار البشر في الارض . وشخص وضع ذلك المذهب الديني بعد فراغ جعبته العلمية فصغر به نفسه

خلفه الذي توفي اخيرًا وقد اشتغلت جرائد اوربا منذ مدة بذكر كونت وفلسفته مرتين . الاولى حين اقامة تمثال له منذ بضعة اشهر . وقد خطب الجنرال اندري وزير الحرب في فرنسا في تلك الحفلة لانه من انصار الفلسفة الحسية . والمرة الثانية حين وفاة بطرس لافيت تلميذ كونت و(رئيس ديانة الانسانية) بعده . وقد احتفل بجنازته في ٢ موسى وهو يوم فورش (اي في اليوم الثاني من الشهر المسمى موسى والمخصص بفورش ملك فارس القديم) فجيء بالجثة الى (الهيكل) وهو البيت الذي توفي كونت فيه . وكان هذا البيت مزينًا بالرايات المختلفة دلالة على اشتراك الانسانية كلها في تشييع واحد منها . وكان العلم العثماني في جملتها . وبعد عرضها حملت الى المدفن حيث ابَّنه بعض اكابر العلماء في جملتهم المسيو اناتول فرانس احد اعضاء الاكاذمية وخطيب اسود وهو وكيل هايتي السياسي في باريز كان ينوب عن الجنس الاسود في هذه الجنازة

وقد ابَّنت الجرائد المسيو لافيت خلف استاذه كونت فقالت انه تصرف بمبادئ استاذه تصرفًا نبذ منها الامور الصغيرة وادخل فيها البشاشة واللطف فزاد في قوتها وانتشارها . وكتب المسيو غاستون ديشان المنتقد المشهور مقالة طويلة في جريدة الطان قال فيها ان جميع المؤلفين الذين قاموا بعد كونت قد استمدوا من مؤلفاته وآرائه في اوربا كلها حتى رنان وتين . ولذلك تجد الكتب والروايات مملوءة من روحه . وهذه المقالة طويلة لا محل لتلخيصها وانما نذكر منها غرض كونت كما صوَّره هذا الكاتب . قال : كان غرضه مداواة داء العصر بوضع النظام العقلي والادبي مكان الفوضى الاشتراكية . وانشاء سلطة روحية جديدة توفق بين عناصر الامة وتوحد التعليم في مدارسها لتوحيد كلمتها . ومصالحة العقل والقلب . والعلم والحب .

التي فرقتها حالة العصر. واقامة دين بابه مفتوح لكل جديد ومع ذلك حافظ للتقليد . ويكون مستمدًا تعاليمه من حالة الاجتماع وغرضه ان ينال من الناس الاجماع

☼ الفائدة ☼ هذا ما رأينا نشره بشأن اوغست كونت . وقد بقيت امور كثيرة لم نذكرها رغبة في الاختصار منها ارساله الى نقولا الاول امبراطور روسيا كتابًا يقترح عليه فيه ان يوحّد امم اوربا ويقبض على سلطتها السياسية ويعطيه سلطتها الروحية . وغني عن البيان ان هذا الكتاب بقي بلا جواب . ومنها تفصيل تاريخ انتشار مذهب كونت الديني والفلسفي في فرنسا وانكلترا واسوج والبرازيل حيث ادخله بنجامين كونستان وذكر جمعياته ومجلاته التي تطبع في باريز وعنوانها « المجلة الغربية » ولكننا نلتزم الاختصار لضيق المقام ونختم هذا البحث بذكر الفائدة التي تنجم عنه وتؤخذ منه بقطع النظر عن الامور الصغيرة التي فيه كترك الفكرة الآلهية التي تحيي نفوس البشر وتقليد العبادات المادية

وهذه الفائدة هي تقديس الانسانية واحترام شخص الانسان احترامًا مطلقًا . ويدخل في ذلك مبدأ هو اسمى المبادىء التي وضعها البشر نعني مبدأ « كراهة سفك الدم البشري » الذي يقال فيه انه المبدأ العظيم الوحيد الذي تمتاز به المدنية الحديثة على جميع المدنيات القديمة . فقد كان دم الانسان في الزمن القديم رخيص الثمن وكان البشر عبارة عن انعام يُذبحون او يُحرقون بامر رؤسائهم لاصغر الاسباب سواء كانت دينية او سياسية . اما اليوم فقد صار الشخص مقدسًا لانه جزء من الانسانية ولذلك صار همّ البشر منصرفًا الى الاتفاق على تدبير الطرق السلمية ليحملوا بعضهم بعضًا ويعيشوا بعضهم مع بعض بالفة ووئام بعد ان علموا انه من الجناية على الانسانية ومن المستحيل في شرعها استئثار بعضها بالحياة والارض دون بعض . ومن هنا نشأ ارتقاء حقيقي في حالة الانسانية . وهم يرجعون الفضل في هذا الارتقاء الى الفلسفة الكونتية



تاريخ الرسل

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

الاشتراكية المسيحية والاشتراكية العصرية

اثبت البحث في نشأة الاديان انها كلها قد نشأت للقيام بحاجات اجتماعية . فان الديانة البوذية مثلاً لم تقم بما فيها من الفلسفة العدمية ولكنها قامت باعلان بوذه الغاء الامتيازات والطبقات ووضعه شريعة ينال بها النعمة كل داخل فيها . وكما كانت الديانة البوذية عبارة عن حركة قام بها الفقراء فان الديانة المسيحية كانت كذلك ايضاً . فان الجاذب الذي جذب الناس افواجاً اليها هو ما كانت تجده فيها طبقات المساكين من الحماية والرأفة ورفعة الشان

وكان عدد الفقراء في اليهود كثيراً يومئذ . فان البلاد نفسها قليلة الموارد عديمة الصنائع ولا مورد فيها الا من جهة المعابد وجهات الحكام . اما خيرات الهيكل في اورشليم فانها كانت خاصة بقليلين من الرؤساء . وكان حول بني هيرودس بعض الاسر الغنية التي وضع هؤلاء الحكام الغنى فيها ولكن الشعب من اليهود الحقيقيين كان لا ينظر اليها بعين الاحترام بل كان يدير ظهره لها وللتمدن الروماني الذي كانت مقبلة عليه . وبذلك كان هذا الشعب يزداد فقراً على فقر . فتألف منه فريق يحفظ قواعد دينه كل الحفظ ويبذ كل جديد وهو في غاية الفقر ويعتبر اولئك الاغنياء اعداء له ويطلب اذلالهم . وكان اقصى اماني هذا الفريق مجيء اليوم الذي يكون فيه الحكم اليهم ليقيموا الشريعة الحقة . ولم يكن شيء يعادل بغضهم للمباني الفخيمة التي كانت تنشأ في جميع اقطار البلاد من سراة اليهود ومن الرومانيين . وكانوا مضطرين الى العمل في هذه الابنية طلباً للرزق والا ماتوا جوعاً ولكنهم مع ذلك كانوا لا ينفكون عن التعجير ونسبة الكفر والفساد والشر الى اولئك الاغنياء الذين كانوا يقبلون على التمدن الغريب

فبناء على ذلك كانت الطائفة المسيحية الاولى بمنزلة الفردوس لهؤلاء الفقراء . فانها كانت عبارة عن اخوية ساذجة الاخلاق لطيفتها فيها المعيشة هادئة مضمونة وآمال في المستقبل عظيمة . ولذلك اقبل الناس عليها . وكان الداخل فيها يبيع املاكه اذا كان ذا ملك ويدفع ثمنها الى صندوق الطائفة . وكانت هذه الاملاك على الغالب عبارة عن حقول قليلة الدخل صعبة الاستثمار ولذلك كان صاحبها لا يخسر كثيرا في بيعها ودفع ثمنها للطائفة ليعيش بين ابنائها وهي تقوم بحاجاته . وبما ان الطائفة كانت تقوم بحاجات كل واحد منها بقدر حاجته لا على نسبة المال الذي يدفعه في صندوقها فقد كان كل مال يخفيه عنها الداخل فيها مالاً مسروقاً منها . وهنا شبه عظيم بين هذه الحالة وحالة بعض المبادىء الاشتراكية التي قامت في هذا العصر . ولكن الاشتراكية المسيحية كانت مؤسسة على عاطفة دينية . واما الاشتراكية العصرية فهي منفصلة عن هذه العاطفة . وظاهر كالشمس للعيان ان الهيئة التي يقدم لها افرادها رأسمالاً ولا ينتظرون منها ربحاً الاَّ بمقدار الرأسمال الذي وضعوه فيها او العمل الذي يعملونه في معاملها لا يمكن ان تُبنى الاَّ على عاطفة دينية توجب على الانسان انكار ذاته الى ذلك الحد قياماً بواجباته الدينية

اقامة درجة الشماسية

ولا بدَّ في ادارة كادارة الطائفة المسيحية الاولى ان تحدث شكاوى من عدة وجوه . فان اليهود العبرانيين كانوا ينظرون الى اخوانهم اليهود اليونانيين بشيء من الاحتقار لان اولئك كانوا اعرق في اليهودية منهم . ولذلك لم يلبث ان علت شكوى اليهود اليونانيين من ان اراملهم كنَّ لا يأخذن من الحاجات اليومية حين توزيعها بمقدار ارامل اليهود العبرانيين . وكان امر التوزيع يومئذ في ايدي الرسل . فلما سمعوا هذه الشكوى رأوا وجوب التنازل عن هذه الوظيفة الى غيرهم . فاقترحوا على الطائفة ان يختاروا لتلك الشؤون الادارية سبعة من عقلائهم . فرضيت الطائفة بذلك . واختاروا لهذا الامر اسطفانوس وفيليبوس وبروخوروس ونيكانور وتيمون وبرمنياس ونقولا . وقد اوجبوا اختيارهم من الداخلين على الطائفة لا من الرسل والتلامذة الاولين . واختاروهم من اليونانيين على الاكثر فان جميع اسمائهم يونانية كما ترى . وكان اسطفانوس اهمهم وارفعهم شأناً . وبعد اختيارهم قدموهم للرسل فصلوا على رؤوسهم ووضعوا عليهم الايدي . وقد سموهم باسم سرياني وهو (شماس) واحياناً كانوا يسمونهم (السبعة) تمييزاً لهم عن (الاثني عشر) وهم

الرسل انفسهم . وهذا هو اصل درجة الشماسية التي هي اقدم درجات الكهنوت في الديانة المسيحية

اما فائدة هذا الترتيب الجديد فقد كانت عظيمة . فان ذلك كان بمثابة رفع العناية بالفقر والفقراء الى درجة دينية . بل هو بمثابة اعلان لهذه الحقيقة الثابتة وهي ان المسائل الاجتماعية مقدمة على كل المسائل والعناية بها يجب ان تكون فوق كل عناية . ولقد كان الشمامسة في الديانة المسيحية افضل وعاظها . اما تاثيرهم في تاسيس الطائفة فقد كان اعظم واشد ايضاً . فان هؤلاء الرجال المنصرفين الى تدبير الشؤون اليومية والذين كانوا قريبين من الفقراء والمرضى والنساء يرون كل شيء ويعملون كل شيء قد تعلموا بالاختبار طرق الدعوة والوعظ الاكثر تاثيراً في النفوس بينما كان الرسل جلوساً على كراسيهم في اورشليم في سكينة تامة . ولذلك يرجع اليهم الفضل في تاسيس الطائفة المسيحية

المرأة في المدنية القديمة وفي المسيحية

ولم تكن هذه الوظيفة والخدمة مختصة بالرجال فان النساء لم يابين ان دخلن فيها . وكانوا يسمون المرأة التي تشترك في هذه الخدمة (اختاً) كما يسمون الراهبات اليوم . وكانوا اولاً يستخدمون الارامل لما ثم عدلوا عن الارامل الى العذارى . فكان الرجال يخدمون في ماهو داخل في دائرة عملهم والنساء يخدمن في ما يدخل في دائرة عملهن . وبذلك وضع اولئك السذج الصالحون اساس العمل العظيم الذي هو خاص بالمسيحية وهو مباني الاحسان . وقد وضعوا ذلك ابتداعاً لا تقليداً لانهم لم يقفوا على مثال له قبل ذلك . ومن المحتمل انهم وضعوا هذا الاساس بارشاد السيد في حياته لان تعاليمه كانت لا تزال تملأ نفوسهم وتدبر شؤونهم

ولقد كان من نتيجة ذلك ان النساء اقبلن من كل صوب على هذه الطائفة التي كن يجدن فيها ملجاء يعشن فيه بسلام واكرام . ذلك ان مقامهن في الهيئة الاجتماعية يومئذ كان ضعيفاً متقلقلاً . فان الارامل على الخصوص كن مهجورات للفقر والشقاء . وكثيرون من علماء الدين عند اليهود كان مذهبهم ان لا تعلم المرأة شيئاً من المبادىء الدينية . ومما يدل على ذلك ان التلمود يعتبر من آفات العالم الارملة الثرثارة التي تصرف اوقاتها عند الجيران والعذراء التي تضيع وقتها في الصلاة . ولقد كان عصر السلوسيين في فلسطين عصر اضطراب في المنازل فانه لم يحدث في عصر آخر ما حدث فيه من التسميم والفسق والفتن بين النساء وازواجهن

فصار حكماء ذلك الزمان يعتبرون المرأة عبارة عن شيطان رجيم خلق لافساد نفوس البشر وتعطيل ما فيها من الصلاح · فالديانة المسيحية الجديدة غيرت كل هذا بان اوجدت للمرأة يومئذ ملجاء شريفاً اميناً · فكأنها رفعت جنس النساء من الدرجة التي كانت فيها الى درجة الرجال وخلقت لهن حياة جديدة ينفقن فيها ما في نفوسهن من قوى الاخلاص والاحسان · وصار يكفي ان تضع المرأة على رأسها غطاء اسود وتدخل الى الطائفة الجديدة تخدم فيها لتعامل فيها معاملة أكرم رجالها واحلهم · وبذلك صارت النساء مساويات للرجال · والارامل العذارى · وكانت الارملة التي تخدم هذه الخدمة تسمى (العجوز الجليلة) وكانوا يحترمونها احترام الام · وكان هؤلاء النساء من اقوى العوامل في نشر المذهب الجديد · ولقد اخطأ البروتستنت بانتقادهم هذا الاجتماع انتقاداً مبنياً على روح الاستفراد المصري كاعتراضهم على معيشة الرهبانيات معيشة مشتركة فان هذا الاشتراك في المعيشة كائن في طبيعة الديانة المسيحية وهو في صدر تاريخ نشأتها

ولم يكن يومئذ قد انشئت وظيفة الاسقفية والكهنوت ولكن كان بدلاً منها وظيفة العناية بالناس عناية روحية عمومية واتحاد النفوس بالروح اتحاداً مطلقاً · ففي هذه الحالة كان للمرأة مسعف ومرشد يسعفها ويرشدها · وتاريخ حرية المرأة يبدأ من تاريخ اقامة هذا المرشد لها · ذلك ان المدنيات القديمة كانت تدفع المرأة الى الرجل بلا شرط ولا ضمانة فكان ذلك للمرأة بمثابة عبودية حقيقية · ولم يكن للمرأة قبل الديانة المسيحية ضمير خاص بها وفكر ادبي مستقل يختط لها طريقها بل كانت آلة والعوبة في يد الرجل · واما الديانة المسيحية فانها جعلت لها الاسقف او الكاهن مرشداً يدبرها · وهذا المرشد الذي يصرف همه الى تدبير شأنها وارشادها محبوب اليها لان المرأة في حاجة الى الارشاد ولا تكون سعيدة الا اذا كانت محكومة · وبما ان حياة النفس هي الحياة الحقيقية فمن المعقول ان يكون ذلك الذي هو قادر على اثارة عواطف النفس وتحريك اوتارها الالهية فوق كل شخص سواه

رايه في الزواج والدير

فمن هذه الجهة كانت المسيحية عبارة عن رد فعل لحالة الزواج القديم في النسل الآري وما كان فيها من الضيق · ولقد احدثت الديانة الجديدة توسعاً في ذلك حالة جديدة وهي ترك الزواج · فانها رأت ان العائلة ليست سنة مطلقة في الحياة وان واجب النسل وان

كان مقدساً فانه لا يجب على كل انسان · ولذلك استثنت منها الكهنة والراهبات رغبة في الخير العام لانقطاعهم الى الخدمة العمومية · ولا عجب في ذلك فان بعض النفوس يلذ لها الاجتماع مع خمسمائة اكثر من الاجتماع مع خمسة او ستة ولذلك ترى العائلة ناقصة مضجرة باردة · فلماذا يجب ان نجعل نظام اجتماعنا الضيق شاملاً للجميع · ان العائلة الحالية لا ترضي الانسان وحدها · بل هو يطلب دائماً اخوة واخوات من غير طريق اللحم والدم

وبناء على ذلك جمعت الطائفة الاولى في تاريخها الاول ضدين غريبين · فمن جهة اطلاق الحرية ومن جهة تقييدها · وقد كانت الانسانية راضية مرتاحة في هاتين الحالتين · ولكن لما انتشرت المسيحية في اقطار الارض ودخلت فيها امم باسرها صار العمل بنظامها الاول امراً مستحيلاً الاَّ في الاديرة · فالاديرة اذاً ليست الاَّ تتمة للمعيشة المسيحية الاولى · والدير نتيجة ضرورية تلزم عن الديانة المسيحية · لانه لا مسيحية حقيقية الاَّ في الدير حيث لا يمكن العمل بالكمال الانجيلي في مكان سواه

تاريخ العلم في لبنان

لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ شاهين الخازن اللبناني

المقالة الثانية

عرف قارىء المقالة السابقة في مدارس لبنان انه ليس بينها مدرسة للفنون والصنائع · وقد شاعت هناك مع ذلك فنون وصنائع ولَّدها الاضطرار كما سيأْتي في مطاوي هذا البحث

المحاماة والطبابة

انتشر فنُّ المحاماة في لبنان بعد ان أُدخل فيه نظام المدلية غير ان المدلية سارت سيراً مختلاً اذ لا يمكن التوفيق من كل الوجوه بينها وبين نظامه المخصوص نظراً الى امتيازاته الاساسية التي لا يُنقض شيء منها الا بمؤتمر دولي · فكان فن المحاماة غير قانوني من وجهين احدهما انه ليس هناك من مدارس شرعية ولا نظامية · ومع ذلك نبغ افرادٌ في لبنان بعلمي الشرع والنظام نبوغاً اطار شهرتهم في بلاد الدولة العلية بما الّفوا وشرحوا وعربوا ولبعضهم تلامذة بارعون يركن اليهم في مشكلات الابحاث النظامية · ولكن الافراد المشار اليهم وصلوا

الى هذا الحد من علوم الشرائع اما لاخذهم بعض اصولها عن فقهاء غير لبنانيين ثم جدّوا في البحث والتحصيل والتمرن واما لانهم حصلوه بالاجتهاد من اوله الى هذه الغاية · وقد احدث دولتلو نعوم باشا متصرف لبنان السابق شهادة يعطاها بعد الامتحان من يريد احتراف المحاماة ولكنها لسوء الحظ اعطيت لاشخاص من بين نائليها عطلوا من الفقه والنظام ما يعلمه طالب السنة الاولى من لغة اجنبية · ولست بمنكر على كثير من رؤساء المحاكم والمحامين تمكنهم من العربية نحوًا وبيانًا وبديعًا وقريضًا الى غير ذلك فنهم الادباء والشعراء والكتبة المجيدون وقد طلبوا الفقه من طريق اللغة غير انهم لم يتجرّدوا له المدّات الكافية للتوسع فيه · وكان الخالد الذكر داود باشا قد ابتاع دار الامير قاسم ابن الامير بشير الكبير من ماله ليجعلها مدرسة كلية لبنانية يتلقى فيها اللبنانيون علوم الشرائع والصنائع وغيرها ولكن استقالته حالت دون اتمام ذلك الغرض النبيل

وليس في لبنان من حرفة قانونية غير الطبابة على ان اصحابها يتعلمونها في بيروت في الكلية الفرنسوية او الاميركانية وكانوا فيما مضى يطلبون الطب في القطر المصري ايام كان لا فرق بين القطرين الشقيقين الا من بعض الوجوه · وقد كثر الاطباء اليوم في لبنان وعددهم يزداد في كل عام لان دارسي الفرنسوية والانكليزية لا يجدون عندهم من الصناعات القانونية غير هذه الصناعة اللهم الا الصيدلة فقد اندفع الى اقتباسها المنتهون من الدروس الثانوية · وسينتشر الصيادلة في البلاد انتشار الاطباء فيها وفي كثرتهم رحمة للعباد لا تخفى

المعارف في لبنان ادبية

وقد برع كثيرٌ من اللبنانيين بعلوم أُخر طلبوها في اوربا كالهندسة والرياضة الا انهم لم يجدوا مجالاً لها في لبنان فغادروه الى حيث يتمكنون من الاشتغال بها فلم يهب سواهم الى الانتساب بهم لكساد سوقهم في بلاد الشرق

وقد انشئت في رومه وباريز مدارس للبنانيين ولكنها خُصت برجال الدين وفي لبنان من متخرجيها اليوم عدد غير قليل من الكهنة والرهبان بينهم محبو الفلسفة والرياضة وغيرها وكانت لهم منذ ٣ قرون مدرسة في رومه اخرجت كثيرين من العلماء

فلقد تبين مما مرَّ امران : الاول منهما هو ان اللبنانيين يطلبون العلم حيثما تيسر لهم اخذه فان فاتهم في بلادهم سعوا اليه في بلاد اخرى مهما بعدت شقتها ولا يرضون بان يكونوا جهلاء · فان خلا لبنان من صروح العلم في بعض الاحيان وانه لم يخلُ من العلماء في زمن من الازمان منذ حفل بالسكان · فالمشاهير منه اليوم خلفوا غيرهم ممن طواهم بطن الارض ·

فعلماء التاريخ خلفوا البطريرك بولس مسعد والدويهي والامير حيدر وهولاء جاءوا بعد اليافي وابن شباط والقلاعي وجاء هولاء بعد غيرهم الى عهد لبنان الاول · وعلماء اللغة تقدمهم الشدياق واليازجي والدحداح · وعلماء الشرائع سبقهم نقولا النقاش والمطران يوحنا حبيب والبطريرك يوحنا الحاج والخوري عبدالله العقيقي ومن قارنهم · وعلماء العلوم الأُخر كان قبلهم بطرس البستاني بعد السمعاني والحاقلاني · والاطباء خلفوا الاطباء والشعراء الشعراء والخطباء الخطباء وهلمّ جرّاً الى آخر عهد لبنان رجوعاً · ولم تنقطع اللغة السريانية التي حلت محلها العربية بل فيها مؤلفون وباحثون الى اليوم كالكفري واضع الفراماطيق المعروف باسمه والقرداحي مؤلف المعجم السرياني الجديد · وللغات الاخرى علماء ايضاً من متفرديهم المطران نعمة الله الدحداح الذي لم يمت بموته ذكر معارفه الواسعة · وغيره كثيرون احياء لم اذكر احداً منهم لكثرتهم ومنهم من يقيمون في لبنان ومنهم في جواره ومنهم من فصل البحر بين مقامهم وبينه

والامر الثاني هو ان المدارس العديدة نشرت بساط العلم في لبنان كله نشراً غريباً اقام على اساس راسخ لم يبقَ سبيلٌ الى الخوف من ترعزعه بل ان العصر الحاضر سيزيده تقدمه قوةً ومكانة · ولكنه بالعموم لم يزل اساساً يجب البناء عليه · فانك اذا جبت لبنان تجد اللغتين الفرنسوية والعربية عامتين انحاءه بجميع فروعها وترى بهما الكتبة والشعراء والخطباء فتعود بالدهشة والاستغراب · غير ان هذا كلهُ علمهم فلا علوم اجتماعية هناك ولا يعرف احد منهم ما تحتاج اليه البلاد · فلا تجد هنا فيلسوفاً وهنا مهندساً وهناك رياضياً وهنالك حاسباً او صانعاً او اصولياً الخ · بل تجد الكل متساوين بالمعارف الادبية والتفاوت بينهم ان هو الا بالتمكن منها اقل او اكثر · وفاتهم ان اكتفاءهم بها يحول دون ما يرجى منهم من خدمة الوطن لانها لا تزيد عن كونها ادباً واجادةً للقراءة والكتابة

ولما كانت معارفهم في مدارس لبنان كلها ادبية انصرف اصحابها الى الاستخدام او التدريس او هجروا الوطن واستحال عليهم العمل في بلاد الدولة لاسباب منهاجهلهم لغتها · ومَنْ من المقيمين ابت نفوسهم الا الاستقلال انشأ بعضهم المطابع والجرائد فزادوا الوطن صناعتين شريفتين كان لهما اعظم تأثير في شؤون الامم الحرة المتمدنة والدول الكبرى الا وهما الطباعة والصحافة

الصحافة والطباعة

وكان داود باشا الجليل المآثر اول موحٍ بهذا العمل الخطير فانشأ مطبعة

وجريدة في بيت الدين مركز الحكومة اللبنانية العام . الا ان الجريدة صارت الى العدم مع سائر اعمال هذا الرجل العظيمة بعد قدوم خلفه فرنكو باشا واعتيض عنها في الشؤون اللبنانية بجريدة حديقة الاخبار التي انشأها في بيروت ذو السعادة خليل افندي الخوري وهي تنشر بالعربية والافرنسية الى اليوم . واول صحيفة ظهرت بعد ذلك مجلة الصفاء فظلت تبدو حيناً وتغيب احياناً حتى بات لبنان خلوًّا من الصحف الى عهد واصا باشا . فاحدثت في ايامه جريدة لبنان المنشورة اليوم في بعبدا مركز المتصرفية الشتوي واستمرت وحيدة الى ان اتى نعوم باشا فابطلها في اوائل عهده . وكانت بعض الجرائد البيروتية تنشر اعلانات لبنان القضائية . وفي عطلتها انشئت جريدة الروضة فظهرت في بعبدا ايضاً واستقلت بالاعلانات المذكورة حتى عادت جريدة لبنان الى الظهور فتقاسمتاها . ثم حوّلت مجلة الصفاء الى جريدة اخبارية باسمها وصدرت عن قرية عبيه من قضاء الشوف وهي لم تزل كذلك الى اليوم . ثم انشئت جريدة الارز في جونية مركز قضاء كسروان وقد رخص لصاحبها من زمن غير بعيد ان ينشرها باللغة الفرنسوية واعطي امتيازاً بمجلة تسمى ضياء الالباب . ثم نزلت مجلة الرئيس الى ميدان الصحافة تصدر عن جونية مرة في الشهر . وآخر الصحف اللبنانية عهداً جريدة النصير تطبع في قرية الحدث المحاذية لبعبدا

وكل هذه الجرائد تصدر مرة في الاسبوع الا الارز فقد ابتدأت من اول هذا العام ان تظهر كل يوم حسب امتيازها وهي اول جريدة يومية في لبنان والجريدة الرسمية للحكومة اللبنانية بناء على الاتفاق الذي ابرم بينها وبين دولة المتصرف الجديد . وتمتاز عن سائر الجرائد الرسمية في بلاد الشرق بانها يومية وبان نصفها غير رسمي معدود للانباء العمومية كالجرائد الحرة السيارة . ولكل من هذه الصحف مطبعة خاصة بها الا مجلة الرئيس . وقد اخذت امتيازاتها من الاستانة العلية الا الاولى وهي التي انشأها داود باشا فانه قد احدثها بامره عملاً بما يوليه اياه امتياز لبنان ولم يتنازل خلفاؤه عن هذا الحق الا لاغراض ليس هنا محل النظر فيها

اما المطابع الاخرى الموجودة في بعض الاديار فقد ابطل اكثرها باهمال اصحابها لها لا لسبب آخر . والمعروف منها اليوم مطبعة دير الشرفة التي جددها على الطرز الحديث رئيسه السابق السيد بطرس هبرا مطران الموصل الحالي . ولغبطة السيد افرام رحماني يد مشكورة في هذا التجديد وهي مخصوصة بمطبوعات الدير وببعض ما قويت علاقته بالطائفة السريانية

ويصدر عن هذه المطابع كل يوم كتب جديدة من اوضاع اللبنانيين وتآليفهم وتعريبهم ولكن بما لا يفيد البلاد كثيرًا لاسباب منها تقييد الطباعة كما سيأتي

الصناعة والزراعة

اما سائر الصناعات اليدوية فكثيرة ولكنها تكتسب من غير علم قانوني بل بالطريق التقليدية فتنقل من سلف الى خلف بالتمرين وطول المزاولة . ومع ذلك فمنها ما هو متقن معجب كالحياكة الزوقية فقد اصبحت منسوجاتها تعدّ من النفائس ولا تقلّ قيمة عن اثمن العاديات وهي لو نشطت لاغنت البلاد عن كثير من صناعات الغربيين التي من قبيلها . والغربيون انفسهم يتنافسون باقتناء شيء منها ولا عجب فانها من اعزّ ما تزدان به قصور الملوك ومن انفس ما يُهدى اليهم . وقد كسدت صناعة المنسوجات الأُخر ايضًا في بيت شباب وبكفيا وبسكنتا وغيرها حتى لم يبقَ فيها جميعًا اليوم ما يزيد على ٦٠٠ نول . وفي هذه القرية صناعة الاجراس والنواقيس وما شاكلها وقد ضارع بها اصحابها صناعة رومة المشهورة حتى استغنت سوريا كلها من زمن بعيد عن ابتياع الاجراس والصنوج وغيرها من رومة . ولم تزل هذه الصناعة المهمة محصورة هناك لم تتعدَّ الى بلد آخر . وقد اتقنت صناعة البناء والنجارة الشرقيتان ايضًا وغيرها من الصناعات الوطنية الضرورية ولكن كلها لم تبلغ ما بلغته تربية دود الحرير من النجاح حتى عُرف بها لبنان وذلك لان الاكابر والاصاغر اشتركوا بها فلا يستعيب وجيه ولا تستحقر سيدة نبيلة او مثرية سهر الليالي لاطعام الدود واستثمار فيالجها واستصناع حريرها . ولهذا عمت لبنان منافع هذه الصناعة مع انها فيه بدون علم البتة . وقد ابتدأت اصول بستور ان تجرّب في بعض البيوت التي فيها اهل علم وبحث . وكثرت ايضًا معامل غزل الحرير في عموم الانحاء اللبنانية وهي تُعدّ اليوم بما يربو على المائة وخمسين معملاً كبيرًا حتى اصبحت صناعةً وطنية . وقد اعارها دولة مظفر باشا المتصرف الجديد عنايةً مخصوصة تُذكر له بالشكر والثناء فاحدث لها غرفة في دوائر الحكومة وألّف لجنة تجتمع برئاسته في الاحد الاول من كل شهر للتباحث في امر ترقيتها من جهتي العلم والعمل اما الزراعة فلم تزل على الفطرة ولم يدخل اليها بعد شيء من الاصلاح والتقدم . ولبنان الذي يوزّع مياهه على سوريا باجمعها بقيت فيه انهر وينابيع غزيرة مشهورة يذهب اكثرها سدىً . واراضيه الظمآء تعطي بلا سقي موسمًا وافرًا كل عام فكيف بها لو حصلت على ريّ منتظم . وليست كاراضي البلاد الاخرى محتاجة للتربة بل يكفيها القلب والريّ على ما يعرفه علماء الزراعة وتوزيع الماء في المواعيد المنتظمة فتقل وتخصب بما لا يبقى وراءه

مطلب لمستزيد · وفي اليوم

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ

وهناك شؤون اخر كالمناجم والمعادن لا تستثمر كالاشياء السابقة بغير العلم وهذا ما حملني على الاشارة اليها في مقام ليس مقامها وقد انتبه اليها دولة المتصرف وعلمت انه صارف اليها همة عالية ولكن لا يقوم بها الا اوربيون عملة بهذه الخصائص وليس مثل هذا التدبير على عزيمته بعزيز

اسباب تأخر المعارف

وبعد هذا الاستطراد اعود الى موضوع المقال مبينًا ما اعتقده يقعد بالعلم في مدارس لبنان وصحافته وهو يتناول امورًا كثيرة ترى العلم ينهض على الرغم منها ويسير منتشرًا غير حافل بالعقبات الكؤود التي تعترض طريقه · منها ان الحكومة اللبنانية لم تنشطه شيء ولم تعن باحداث مدارس تحت ادارتها فكان حكامها اصحاب النفوذ المستمد من ذوي السيطرة والتسلط بقوة الوجاهة واتساع الثروة لا بمقدار الاهلية والجدارة · واذا كان في رجالها من هم على شيء من العلم فانهم لديها لشدة الاضطرار اليهم اما لستر الاعراض واما لمقاصد اخر ليست منها افادة الامة والبلاد · ومن تلك الاسباب ان المنصرفين الى العلم هم في الغالب غير اصحاب الثراء فاذا وضع او ترجم احدهم كتابًا لا يجد سوقا يروج فيها واذا تمكن من جمع مقدار نفقته فيكون من الفائزين · ومنها ان المتعلمين لا يلاقون مراكز يشغلونها فينادون بوجوب الاصلاح من لا يفقهون له معنىً فيعدّون من الكافرين او يلجئون الى المهاجرة فلا يستفيد منهم لبنان شيئًا · ومنها ان المؤلفين لا ينظرون الى شؤون البلاد ولا الى حاجاتها بما يؤلفون او بما يترجمون وهذا من اسباب الكساد الذي تصادفه بضاعتهم · ولا غرو فانهم لم يتعلموا شيئًا منها فيكتبوا فيها وينبهوا اليها او يعلموا ما يعود بالفائدة عليها · ومنها ان قادة الامة لا يفهمون الا بالجيوب ولا يفقهون غير الحاصل وكل علم لديهم محتقر والعالم ذليلٌ مهزوءٌ به · ولا عجب فان من جهل شيئًا احتقره او عاداه · ومنها ان ليس في لبنان مدرسة واحدة وطنية عمومية والمدارس كلها كما رأيت اما اكليريكية لمنفعة رجال الدين في شؤون الدين واما خصوصية اقامها افراد على نفقاتهم وكلها على وتيرة واحدة فلا تنظر الى ما يحتاجه الطالب في بيئته من المعارف ولا الى ما تقتضيه منها المصلحة العمومية وشروط الوطنية من الدروس الاجتماعية · ولهذا اهمل كثيرون ما تعلموه بل عادوا العلم واصحابه فعدّوا من ذوي البصائر وارتفعوا منزلةً وقدرًا · ومنها ان الرؤساء الروحيين

ولئن كانوا على عكس هذه المبادىء فيما بينهم وللعالم منهم شأنه باعتبار احوانه الا انهم اهملوا الشعب اهالاً ولم يمدوا له في العلم يدًا مسعفة ولا حلموا بالسعي وراء ترقيته مع ما شادوا من المدارس العالية في لبنان وبيروت ورومية وباريز لتهذيب الاكليريكيين وما استندوا من سخاء الحكومات والدول في هذا السبيل . وهم يعلّمون الكهنة ولا يوجدون لهم مراكز تسعفهم على الافادة بعلومهم فيأتيهم العلم بالشقاء ويحرمهم نعيم الاغنياء . وليسوا رهبانًا فيعتزلوا ولا عوام فيشتغلوا بشؤون الحياة الاخر

ومن تلك الشكائم في فم العلم تقييد الصحافة والطباعة فانها بعد ان كانت حرّة ضيقت عليها الدائرة بان احدث لها دولتلو نعوم باشا مراقبة وقتية ناظرًا بذلك الى حداثة عهدها حتى لا تسير في طريق التوغي والشطط . ولكن المراقبة اضرّت بنموها لان المفيدة بينها قاست منها مايقاسيه الحرّ من نكد الدنيا مع انها لم تأتِ وهي مطلقة امرًا ادًّا ولا شطت ولا عمهت الا بعد تكبيلها اذ استرسل بعضها في الثناء المرغم والمدح المأمور وذهب في الاطراء والتمليق كل مذهب . ولم يُسمح لها ان تحوي صفحاتها ما من شأنه الانهاض والتهذيب ولم يكن للتنبيه الى مواضع الخلل في ابحاثها من نصيب . لان المراقبة سدّت دونه المنافذ وقطعت طرق اللياذ الابها وعادت كل حرٍّ عبر لائذ . وقد بات العقلاء يرجون زوالها لرسوخ الضعف في فن الصحافة فلم يبق محلٌ للخوف من تطرّفها لانها اذا تطرّفت فالحاكم تسدّد خطواتها وتؤمّن عثراتها . والناس لا يستسمنون الورم فانهم يحتقرون الطعن والطاعن ويهزأون بالمملقين وبتمليقهم ومعظمهم اليوم يجيد التفريق بين غث الكتابة وسمينها وللحكومة بهم اقوى مسعفٍ في اعلاء شأن الصحف المفيدة

واما اصلاح مناهج التعليم وترويج اسواق العلم في لبنان فان لها طرائق كثيرة يسهل التمشي عليها لو رضي اصحاب الشأن . اهمها احداث مدارس وطنية بين عالية ووسطى وابتدائية بالاوقاف العمومية والخصوصية وهي كثيرة جدًّا ووافرة الدخل وكلها ذاهبة في سبيل فئات قليلة والعموم محرومون من فوائدها مع انها لم تُجعل الا لفائدة العموم . فلو فاز دولة المتصرف الهام بالاتفاق مع الرؤساء الدينيين على تخصيص شيء من ثروات الكراسي الاسقفية اومن اموال الرهبانيات الطائلة التي لا تقل عن نصف ما تملكهُ بعض البلاد بمنشآت عمومية تقام فيها المدارس العلمية والصناعية المشار اليها لما نقصت تلك الاملاك الواسعة ولا الاموال الطائلة شيئًا ولا مُسّ استقلال رؤساء الاديار الرهبانية اقل مساس . ولا اظن الوصول الى هذا الغرض الشريف بالامر المستحيل الا اذا لقي عقبةً بايهام ان تلك

والاموال اوقاف وقد كادت تجهز على ثروة البلاد فلا حول ولا قوة الاَّ بالله · ولكن كيفما كانت الحال لا يصعب الاتفاق مع بعض الاسر التي لديها من الاوقاف الخاصة ما يقوم باعباء مثل هذه الاعمال النبيلة وهي اسر تعودت البذل في سبيل الوطنية فلا تضنّ بتحقيق نيات الحاكم العادل · ولا اظنها تحجم عن توجيه تلك الموقوفات التي لا تحسن الانتفاع منها الى انشاء الشبيبة اللبنانية غير ناظرة الى المذاهب فيشدو لبنان بنعمتها الى ما شاء الله

هذا ما رأيت ان اوجه اليه نظر دولتلو مظفر باشا في ختام هذه المقالة متعللاً بأن انتباه القادرين في لبنان من ذلك السبات الطويل يجيبه الى ندائه فيفوز لبنان بالامنية التي لم ترقَ بلادٌ بدونها الى مراقي العمران ويرتع اهلوه بعد طول الشقاق في ظلال الاخاء والوفاق ويخرجون من ظلمات الجهل الى عالم العلم الصحيح ان شاء الله

صبيٌّ حكم وصبيٌّ سيحكم

عثرنا في هذا الشهر على رسم لسمو الامير « محمد عبد المنعم » ولي عهد الجناب الخديوي · وبينما كنا نعدّه للطبع عثرنا على رسم آخر لصبيٍّ ملكٍ آخر فقدمناهما معاً في هذه النبذة

اما سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم فقلما يعرف احدٌ شيئاً عنه · ولكن لو كان البلاط الخديوي في اوربا لما بقي شيءٌ من حركات ولي العهد وسكناته الا وقيدته الصحافة ونشرته كتفكهة لقرائها واستمالة لقلوب الجمهور اليه منذ صغره

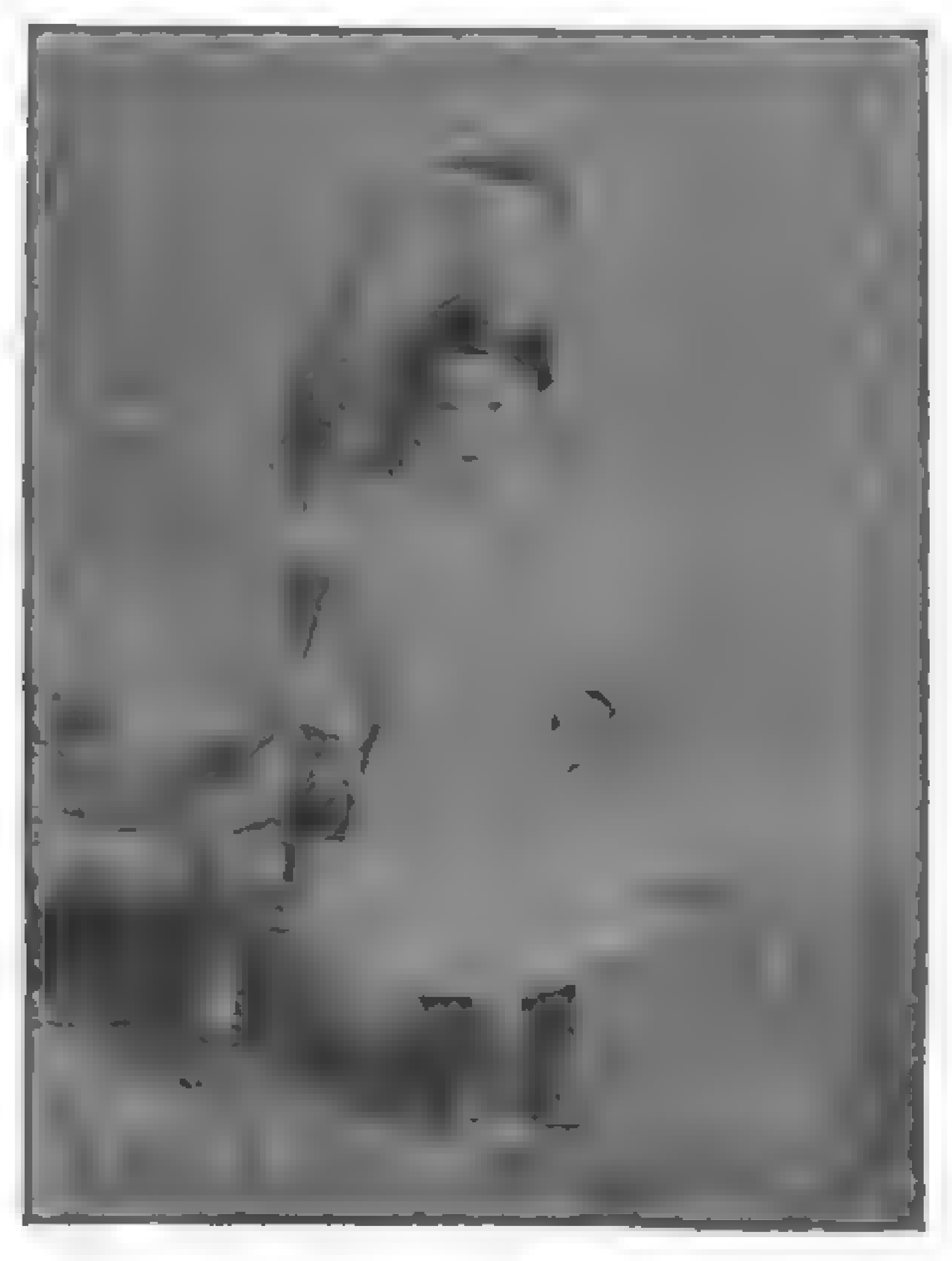
واما الصبي الثاني « جلالة الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا » فان جرائد اوربا لم تترك شيئاً من تاريخ حياته الا ونشرته · ولا بأس بنشر شيءٍ منها هنا

بلغ الملك الفونس سن الرشد في العام الماضي فاحتفل بتتويجه الاحتفال الذي يذكره القراء · وسن الرشد لابناء الملوك ١٦ سنة مع انه لسواهم ٢١ · فكأنَّ المبالغة تدريبهم وتعليمهم تعوض عليهم الخمس سنوات

ولقد نشأَ الملك الفونس تحت وصاية امه الملكة ماري كريستين وهو يحبها حبًّا شديداً · واذا اتفق وعصي لها امرًا فانها كانت تقول لهُ انني سابكي اذا لم تفعلهُ · فيفعلهُ بالحال

وقد توفي ابوه الفونس الثاني عشر وهو في بطن امهِ · فلما وُلد نودي به ملكاً · وهذا

امر مفرد في التاريخ ولم يجرِ له شبيه الاَّ مرة واحدة في فرنسا حين ولادة الملك حنا الاول ملك فرنسا في سنة ١٣١٦ وحياته خمسة ايام فقط . ومذ بلغ الفونس السنتين من عمره صارت امه تصطحبه الى الحفلات العمومية وافتتاح البرلمان فكان يجلس على العرش بجانبها وهو طفل



الامير محمد عبد المنعم ولي عهد الاريكة الخديوية

وكانت الكبرياء الملوكية تجري في مفاصله مع دمه ولذلك كانت امه تفرغ وسعها في تعليمه الاتضاع واللين . فمن ذلك انَّ مؤدبته اضطرَّت الى تعنيفه يوماً لانه اساء وكان عمره سنتين فنظر اليها بكبرياء وقال « انا الملك » وفي مرة اخرى لقيه احد اكابر البلاط وكان عمره ثماني سنوات فقال هذا الرجل متحبباً اليه « بوبي » وهو الاسم الذي كانت تناديه به

امه تحببًا فاجابه الفونس « انا بوبي عند امي ولكني (الملك) عندك »

ثم شبَّ الملك الفونس وصار يدرك شؤون الحياة وشؤون وظيفته بتدريب مدرّبيه



الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا ووالدته

وتدريس مدرّسيه . في ذات يوم كان يزور معملاً فتعجب احد العملة واستأذنهُ في

الخطابة باتضاع وذل . فقال الفونس لمرشده الذي كان يرافقه : لماذا يخجل هذا العامل من عمله فاني انا عامل مثله . ولا فرق بيني وبينه سوى انهُ يعمل في الحديد وانا اعمل بالاوراق والقرارات

والفونس فتى كريم الاخلاق هادىء لطيف كما ترى وهو نحيف الجسم محدوب الظهر قليلا كأنه ينوء تحت الحمل الثقيل الذي وُضع على عاتقه . والفضل في اعداده لوظيفته وحفظ ملكه لهُ راجع لامه الفاضلة التي قاست في السنوات الاخيرة من الحرب الاميركية التي ضعضعت عرش اسبانيا والاضطرابات السياسية الداخلية ما جعلها في التاريخ مثالاً في الصبر وثبات الجأش وحسن الادارة لجميع النساء والامهات . على ان المستقبل لا يزال مظلماً في وجه ابنها لاختباط الاحزاب في الادوِ . ولو قام الاندلسيون الذين قصصنا قصتهم في صدر باب المشاهير في هذا الجزء من قبورهم اليوم وشاهدوا حالة اسبانيا الحاضرة لرأوا ان الدهر قد انتقم لهم انتقاماً شديداً . ولتعزوا بكون الدهر يدور كالدولاب يوم للانسان ويوم عليه

وقد نشرنا رسمي الصبيين الكريمين في هذه النبذة بعد مباحث العلم والفلسفة والتاريخ لان منظرهما مما يشرح علينا شيئاً من بهاء الصبى وجماله ويشغل الذهن عن شؤون الحياة الحقيقية

مدارس زراعية بطرق جديدة

✻ وادخال هذه الطريقة الى القطر المصري ✻

اقتراح

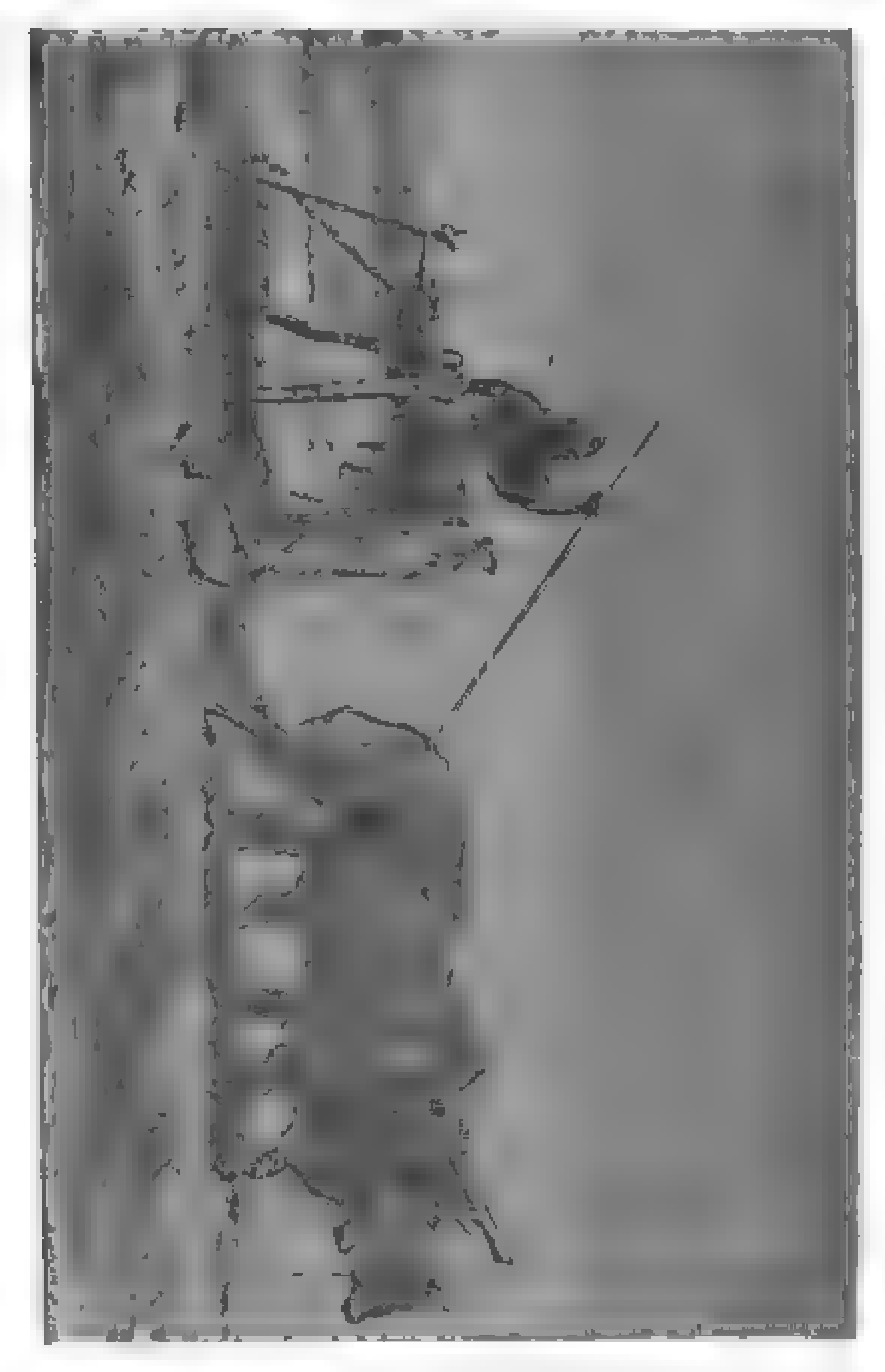
الزراعة حياة مصر : هذا قولٌ يردّده كل حاكم في مصر وكل مقيم فيها . وهو قولٌ صحيحٌ من الجهة المادية . ولذلك كان همُّ الحكومة مصروفاً الى ترقية شؤون الزراعة فيها . فنظمت الريّ اي توزيع ماء النيل على الزراع واقامت القناطر في مصر وازالت السدود من اعالي النيل وانشأت الخزانات العظيمة في اصوان واسيوط . وكل هذا في غاية النفع والفائدة للقطر اذ به حياته المادية كما قدّمنا . ولكنا مع ذلك نعتقد ان الحكومة لم تصنع بعدُ كل ما تستطيع صنعهُ لترقية زراعة القطر ترقية تعود بالفائدة العمومية على اهله

ونريد بذلك ان الحكومة لم تهتمّ حتى اليوم بما تهتم به كل حكومة بلادها زراعية . فهي قد قصرت عنايتها على اصلاح الارض والماء وتركت الزارع وشأنه . ومعلوم ان الزراعة عبارة عن اتفاق بين فريقين : الارض والزارع . فهو يعتني بها وهي تردّ له عنايته . فالذي يريد ترقية الزراعة في احدى الممالك يجب ان يهتمّ باصلاح الارض والزارع معاً . والاّ فانه اذا أُصلح الارض فقط وترك الزارع وشأنه بلا تدريب ولا تعليم ادّى هذا الامر بحكم الضرورة الى مصيبة على البلاد وهي تنبيه نفوس الشركات واصحاب الاموال لاحتكار الارض لان الفرد الساذج الجاهل لا يستطيع حفظ ارضه بازائهم لجهله طريقة استثمارها وضعفه عن مجاراة مزاحميه . وبذلك يقع الشعب في المصيبة التي هي مصيبة كل الشعوب في هذا العصر : وهي استغراق املاك الشركات وارباب الاموال املاكه ومصيره الى خدمتهم بالاجرة اي الى العبودية الحديثة التي تُدعى استئجارًا واستخداماً

فاولُ واجبات الحكومات اذاً ان ترفع نفوس الشعب الى درجة يكونون عندها عارفين بالطرق الصناعية الزراعية التي يجاريهم بها اصحاب الاملاك والشركات ليتسنى لهم مزاحمتهم والجريان في تيارهم اي ان تعلّمهم تعليماً زراعياً ادبياً يمنعهم من اضاعة ملكهم ويمكّنهم من استخراج اكثر ما يمكن استخراجه منه . ولذلك تألفت في اوربا جمعيات كبرى للزراع يرجع اليها كل فرد في شؤونه وحاجاته فتكون له بمثابة شركة كبرى تقاوم الشركات وتقوي الافراد عليها . هذا فضلاً عن التعليم الزراعي الاولي في المدارس الابتدائية لجميع ابناء الامة استمالةً لاذواقهم وامبالهم الى الزراعة واطلاعاً لهم منذ الصغر على اصولها . وفضلاً عن الجوائز التي تهبها الحكومة للزراع الذين يعجزون عن مجاراة زراع بلاد اخرى في صنف من الاصناف التي يزرعونها

فالفلاح في القطر المصري يحتاج اليوم اشد احتياج الى عناية الحكومة به افرادياً بعد عنايتها بارضه ومائه . والا اذا بقي كما هو اليوم يفلح ويزرع بالطرق التي كان يستعملها اسلافه في مصر في عهد الفراعنة (كما لاحظ ذلك غبريال شارم في سياحته) فان كل الفوائد التي تحصل في مصر من اتقان الري وبناء الخزانات واصلاح الاطيان تنصرف الى سواه . ومعلوم ان الفلاح في مصر هو الشعب كله

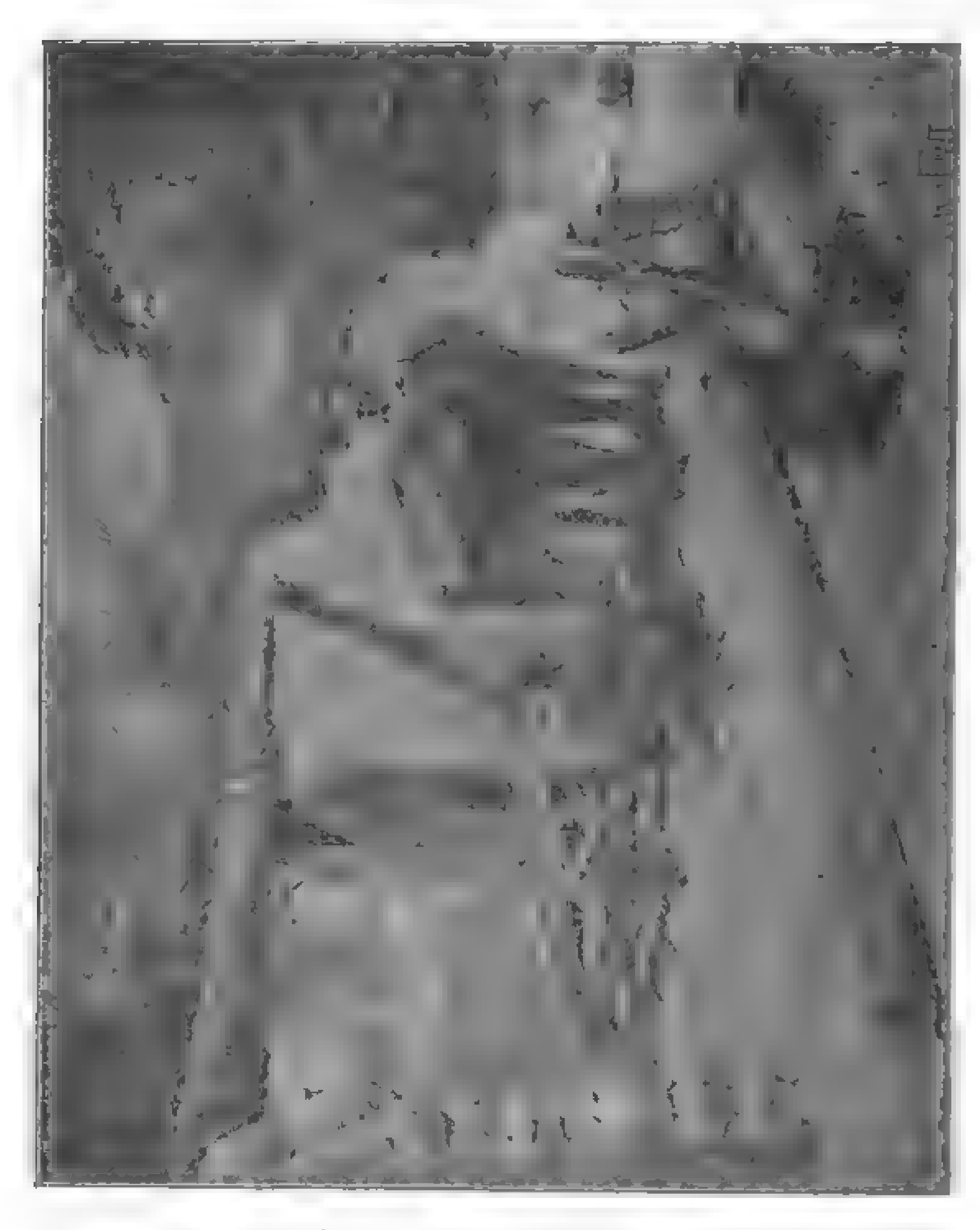
ولسنا نعني بذلك ان تنشئ الحكومة مدارس الزامية عمومية لتعميم تعليم اصول الزراعة ولا ان تقرض الفلاحين اموالاً طائلة يبتاعون بها الآلات الزراعية الحديثة وتعلمهم استعمالها . ولا ان تسعى الحكومة نفسها في ادخال اصناف جديدة من المزروعات والمغروسات



الفلاحة في مصر والسودان

بالطرق التي كانت منذ ايام الزراعة

الى القطر لتنويع زراعته وحث زراعه على هذا التنويع الضروري بدلا من اقتصارهم على صنفي القطن والذرة بالاكثر وعلى شيء قليل من قصب السكر وبعض الحبوب لسد الحاجة. فان كل هذه امور صعبة بعضها فوق استطاعتها الآن لحاجتها الى المال وبعضها ليس من شؤونها . وهي تكتفي من كل ذلك بمدرستها الزراعية التي تقوم بوظيفتها « المحدودة » خير



﴿ الساقية في مصر لاستخراج الماء ﴾
حسب الطريقة القديمة

قيام . وانما نريد بما نقترحه هنا امرًا سهلاً لا تنفق الحكومة عليه شيئاً وهو مؤدٍ الى شيء من الغرض الذي بسطناه آنفاً اي تعميم الاصول الزراعية العلمية بين جمهور الزراع في مصر لانهم الشعب وهم سواد الامة واساس مستقبلها

وهذا الامر السهل نأخذهُ من مملكة « ورتمبرج » احدى ممالك المانيا المتحدة . ومداره على انشاء « مزارع مدرسية » عمومية بطرق جديدة تفرَّدت بها هذه المملكة الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها عن مليوني ونصف نفس

وبيان ذلك ان هذه الدولة اقتطعت اطياناً واسعة من اطيانها الزراعية واعانت انها تؤجر منها كل من يريد الاستئجار وتتنازل له عن ثلث اجرتها او نصفها ليعلّم لها في مقابلة ذلك ١٢ تلميذاً او فلاحاً في كل سنة اصول الزراعة علماً وعملاً . والراغب في ذلك يستأجر هذه الاطيان ويقبل عنده الاثني عشر رجلاً ويدربهم في زراعة هذه « المزرعة المدرسية » ويجب عليه ان يجعل الزراعة فيها تابعة لمعارف تلامذته ومنطبقة على جدول الدروس المدرسية في المدارس الزراعية . ومن واجباته في اثناء التجارب الزراعية مراقبة الدروس التي يكون هؤلاء التلامذة او الفلاحون قد تلقوها في المدرسة الاصلاحية اذا وجد فيها خطاء . وتلامذته يعملون في مزرعته كل طاعة له دون ان يأخذوا اجرة لعملهم ولكنهم ينامون في المزرعة ويأكلون ويشربون على مائدتها . والحكومة تساعد مستأجر المزرعة فضلاً عن ذلك بان تعيّن له معلماً في الزراعة ومفتشاً وطبيباً بيطرياً يترددون على هذه المزرعة لمراقبة احوالها دون ان يطلبوا اجرة منه . وقد قلنا ان عدد التلامذة او الفلاحين الذين تدخلهم الحكومة الى هذه المزرعة ١٢ رجلاً ولكن اذا ادخلت الحكومة اليها اكثر من هذا العدد فانها تدفع لمستأجر مكافأة مالية في مقابلة هذه الزيادة

فالتلميذ او الفلاح يقيم في هذه المزرعة المدرسية سنة او سنتين ثم يخرج منها عالماً بجميع اصول الزراعة . فهو يتعلم فيها احوال التربة المختلفة والهواء وتركيب السماد واستعماله وزراعة النباتات والحبوب والاشجار المثمرة وصنع العلف وتربية الحيوانات الداجنة وطرق التجارة الزراعية ومعرفة تدبير شؤون المزرعة اجمالاً ومبادىء الحساب الضرورية وكتابة الرسائل ومبادىء العلوم الطبيعية الاولى . وبعبارة واحدة نقول انه يخرج منها وهو رجل رشيد يصير اديباً وزراعياً قادراً على ادارة زمام نفسه وزمام ارضه فاذا القته الاقدار بعد ذلك على ارض صخرية فانه يجعلها بقوته ومعارفه وصبره اخصب تربة ويحوّل ارضها ذهباً

ومما لا يحتاج الى بيان ان مدارس اوربا الزراعية المنتشرة في كل بلادها لا تخلو من

حدائق وحقول ملحقة بها لتعليم طلبتها الزراعة بالعمل وهم يأخذونها بالعلم . ولكن ليس في جميع اوربا مدارس زراعية كهذه « المزارع المدرسية » التي مرَّ ذكرها والتي يمكن التصرف بها في بلاد كمصر مثلاً تصرفاً يلائم المكان

مثال ذلك ان تؤجر الحكومة باجرة قليلة اطياناً لها في كل مديرية لمن يريد جعل هذه الاطيان مزرعة (عزبة) مدرسية عمومية . وهذه المزارع المدرسية تكون مفتوحة الابواب دائماً لجميع زرَّاع القطر وفلاَّحيه كأنها معرض عمومي دائم يحق لكل زارع ان يدخل اليه في الوقت الذي يريده ليشاهد ما فيه من الطرق الزراعية . وكل من يريد من الفلاحين او الزرَّاع ان يتعلَّم اصول زراعة يستحسنها في هذه المزارع فله ان يخدم في احداها اسبوعاً او شهراً ليتعلَّمها . وفضلاً عن ذلك فان كل واحدة من هذه المزارع تعلّم التلامذة الذين تقدمهم اليها الحكومة على طريقة مزارع ويرتمرج . وبدلاً من الموالد والحفلات التي تُقام دائماً في الارياف لغير فائدة تقام في هذه المزارع في كل شهر حفلات للفلاحين والزراع يحق ان تسمى « موالد زراعية » او « معارض شهرية » — والفكرة الكبرى التي يجب ان تدير هذه الاعمال كلها وتكفل نجاحها تنبيه نفوس الشعب الراقدة الى ان الطرق القديمة لم تعد تجدي نفعاً وان الشركات وارباب الاموال سيقوون عليهم لا محالة ويخرجون خيرات ارضهم من ايديهم اذا كانوا لا يقتصدون ويتحدون ويؤلفون لهم جمعية تزود عن مصالحهم وتعمم الطرق الزراعية العلمية في اطيانهم وتربي اولادهم تربية اقتصادية وتكون واسطة بين الهيئة الحاكمة وبينهم

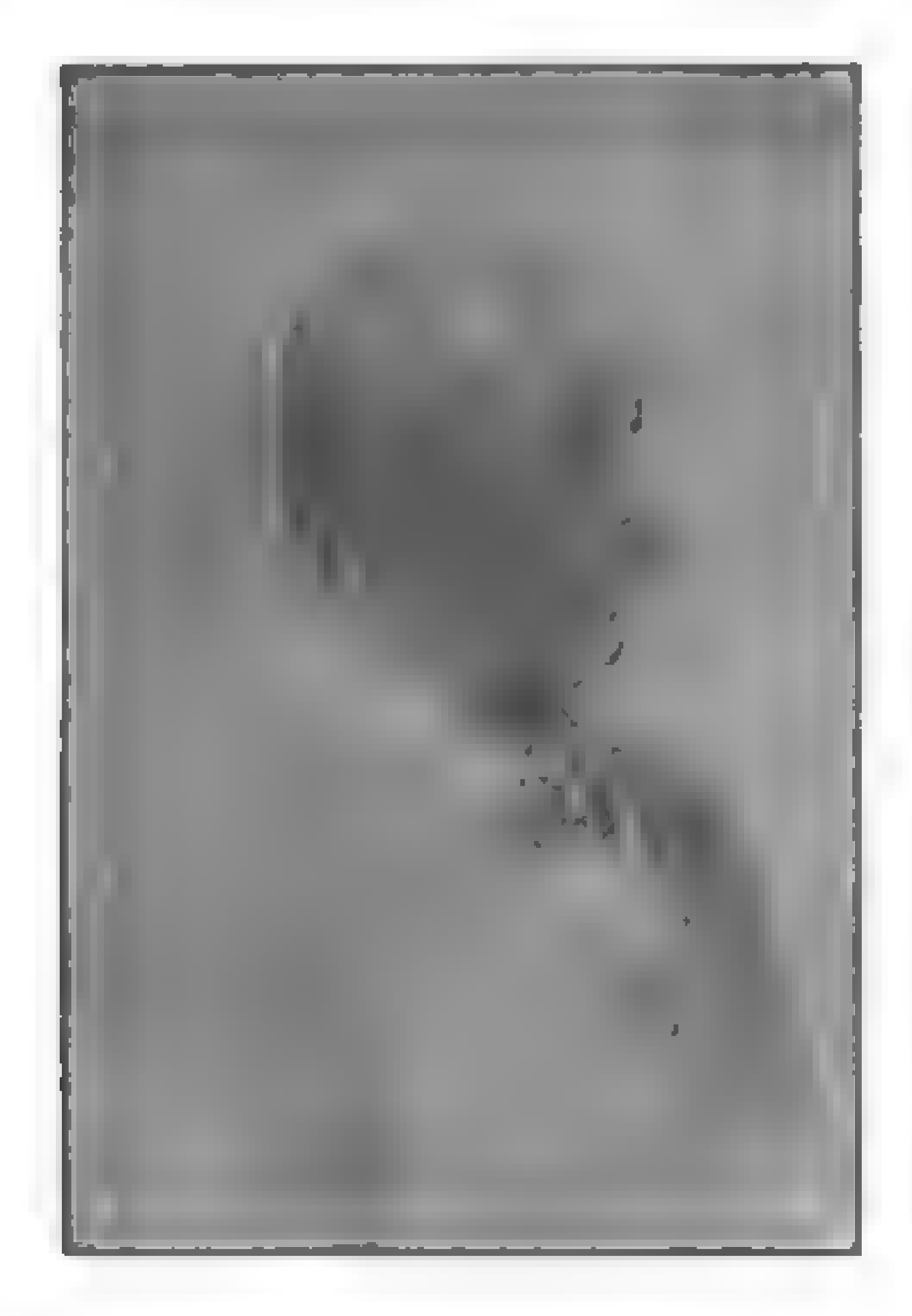
ولا ريب ان الحكومة اذا التفتت هذا الالتفات الى فلاَّحي مصر بعد افراغها جهدها في اصلاح ارضهم ومائهم فانها لا تخدمهم فقط خدمة زراعية تحفظ بها للشعب اطيانه التي هي عماد مستقبله وقوام حياته بل هي تخدمه خدمة ادبية في غاية الاهمية . لان ارتقاء معارف الشعب من الجهة الزراعية لا يمكن ان يتم بدون ارتقائه ادبياً . وتلك في رأْينا اول خطوة نحو التعليم الزراعي والادبي الالزامي الذي نعتقد ان حكومة مصر الكريمة ستجود به على الشعب في المستقبل . وبذلك تكون اول حكومة في الشرق نهضت بشعبها نهوضاً حقيقياً . اذ لا نهضة حقيقية بدونه



بين سواكن والاسكندرية

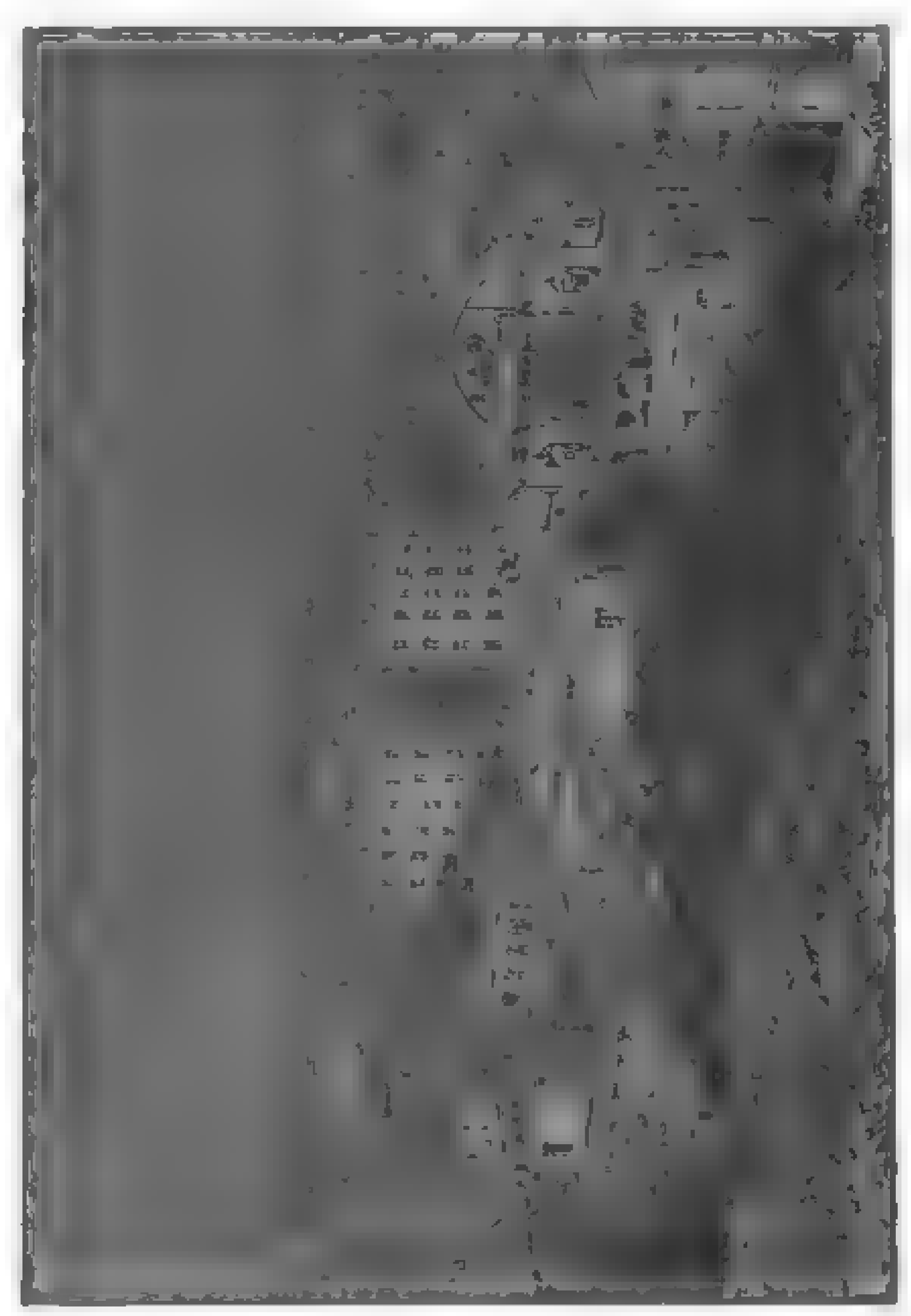
في عناية جناب اللورد كرومر

لا نعلم ماذا كان رأي اهل صور وصيدا في ايام الفينيقيين لما بنى اسكندر المكدوني مدينة الاسكندرية . ولكن الراجح لدينا انهم لم يهتموا يومئذٍ بذلك اهتماماً يُذكر لانهم



اللورد كرومر

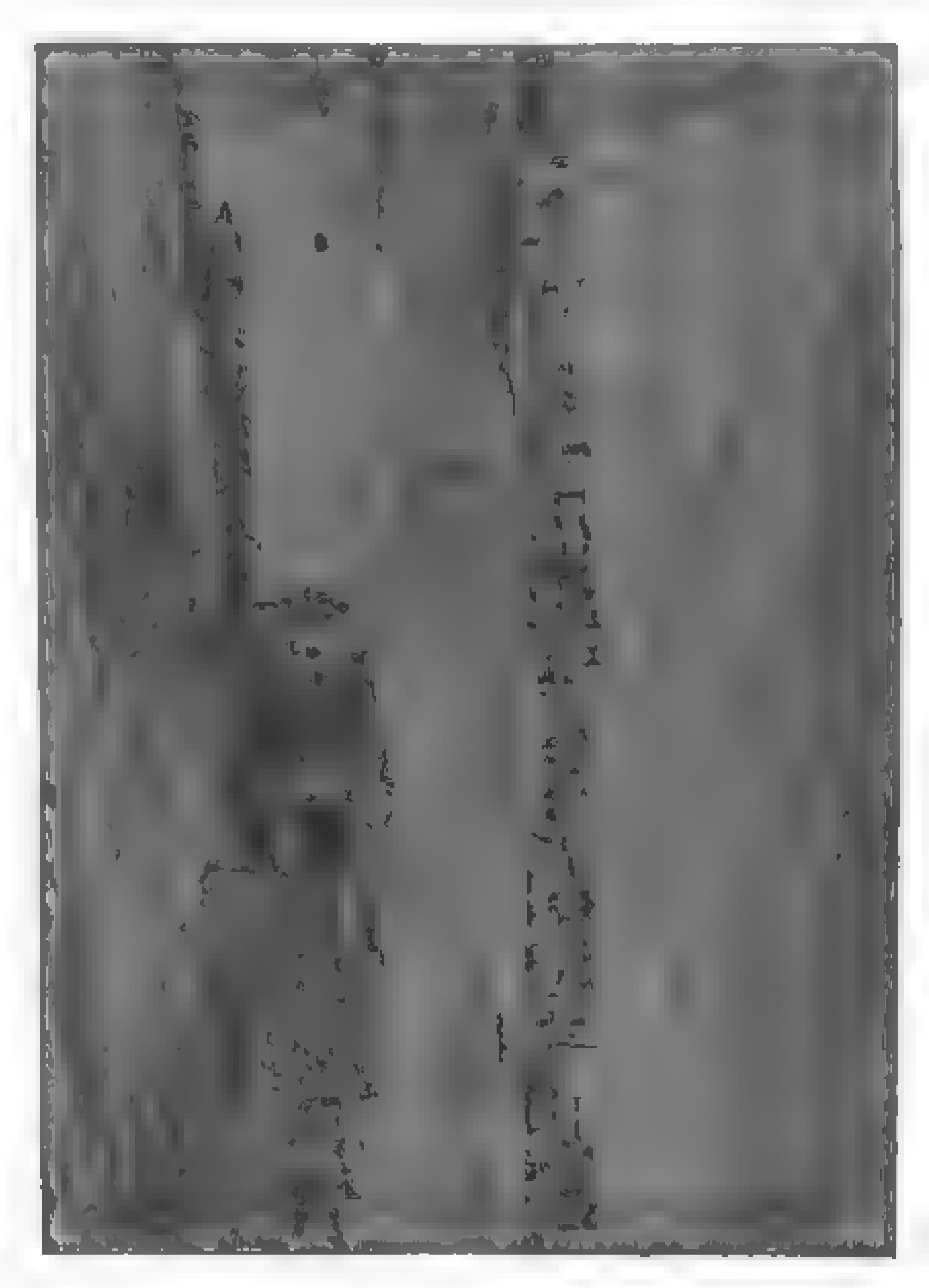
كانوا يجهلون ان مدينة الاسكندر الجديدة ستسقط مدينتهم عن عرشها التجاري وتحلّ

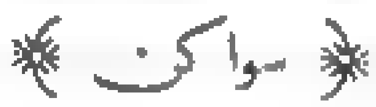


﴿ الاسكندرية ﴾

منظرمن مناظرها من جهة تياترو زيزينيا

محلها في العالم. وكأنّ هذا المثال بقي حاضراً في اذهان الشرقيين الذين اتوا بعد الفينيقيين فصاروا يهتمون به اهتماماً شديداً . فهوذا مدينة بيروت تغصب كما روت الجرائد لان دولة متصرف جبل لبنان سعى في الاستانة بتحويل الجبل حق وقوف السفن في احدى موانيه كجونيه مثلاً لتحول تجارة الجبل عن بيروت اليها . وهوذا الاسكندرية تغضب من جناب اللورد كرومر لانه يريد ايجاد ضرّة لها وهي مدينة سواكن على شواطىء البحر الاحمر





التي ستضاهي الاسكندرية بعد نصف قرن

وقد اعلن اللورد كرومر عزمه هذا في الخطبة المشهورة التي القاها منذمدة في الخرطوم وكان لها دوي في جميع انحاء القطر . ومما قاله فيها انه لا يرجى لبلاد السودان عمران حقيقي الا اذا صار لها على شواطىء البحر ثغر قريب تستورد بضائعها منه بدلاً من استيرادها من الاسكندرية وبورسعيد . وضرب لذلك مثلاً بان ثمن الطن الواحد من الفحم في الخرطوم اربعة جنيهات واكثرها تقتضيه اجرة نقله . ولذلك كان لا بدَّ من مدّ خط حديدي من الخرطوم الى سواكن . ثم قال جنابه « وكثيراً ما قيل بان هذه السكة الحديدية وان

كانت مفيدة للسودان ولكنها ستضر بالقطار المصري ضررًا شديدًا لانها تحوّل التجارة السودانية عن وادي النيل . واما انا فلا ارى هذا الراي . لانني اعتقد ان مصلحة مصر تقتضي ان يصير السودان قادرًا على القيام بنفسه وبنفقاته . وهذا امرٌ مستحيل اذا لم يفتح لتجارته باب قريب منه . وفضلاً عن ذلك فليست المسألة مسألة تحويل تجارة من مكان الى مكان بل مسألة ايجاد تجارة من العدم . وهذا الايجاد غير ممكن اذا لم تنشأ طرق المواصلات بين السودان والبحر الاحمر »

فغير بعيد ان لا تمرّ ٣٠ او ٥٠ سنة حتى تصبح « سواكن » على البحر الاحمر بمنزلة الاسكندرية من الاهمية في العمران والتجارة . وربما فاقتها ايضًا لانها اقرب منها الى خط السلطنة الافريقية الممتدة من الكاب . وحينئذٍ يُقال « من الكاب الى سواكن » لا « من الكاب الى الاسكندرية »

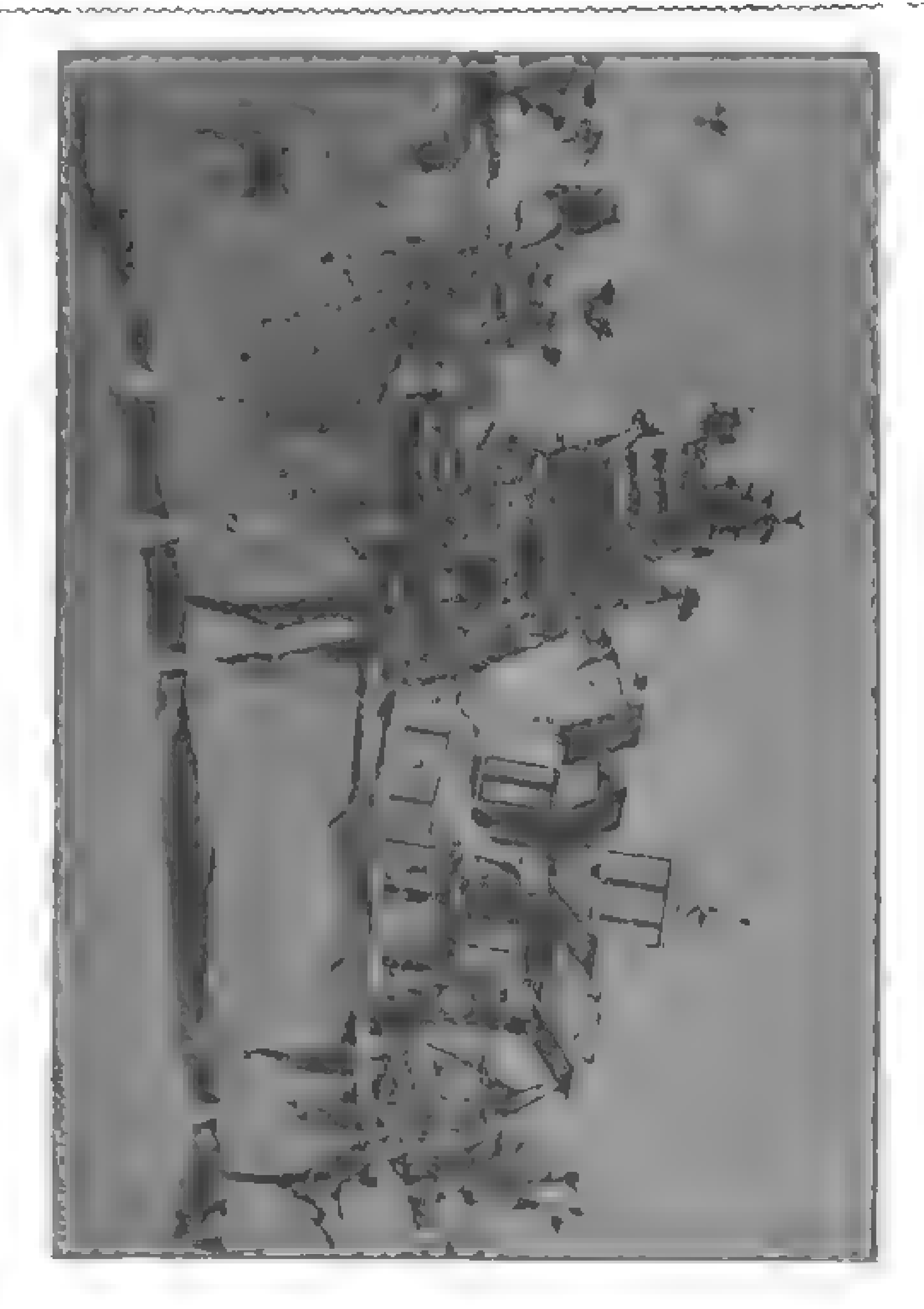
آثار مصر المتوسطة

في مصر آثار قديمة وحديثة ومتوسطة . فالقديمة ترجع الى عهد الفراعنة القديم ومدنيتهم القديمة التي استمدّت منها شعوب كثيرة . والحديثة ترجع الى عهد حملة بونابرت على مصر وقيام محمد علي باشا لادخال المدنية الحديثة اليها . واما آثارها المتوسطة فهي آثارها بين هذين الزمنين يوم كانت مصر متروكة لنفسها

واذا اردنا ان نصوّر في هذا الفصل شيئًا من الآثار المتوسطة فلسنا نعني بذلك انها قد اندرست الآن تمامًا فان تلك الآثار لا يزال لها اثرٌ . وانما اردنا تقييد بعض تلك العادات والتقاليد القديمة شيئًا بعد شيء على سبيل الفكاهة والعلم بشؤون الزمن الماضي قبل ان يزول بعد ربع قرن او نصفه من وجه المدنية الداخلة بقوة عظيمة

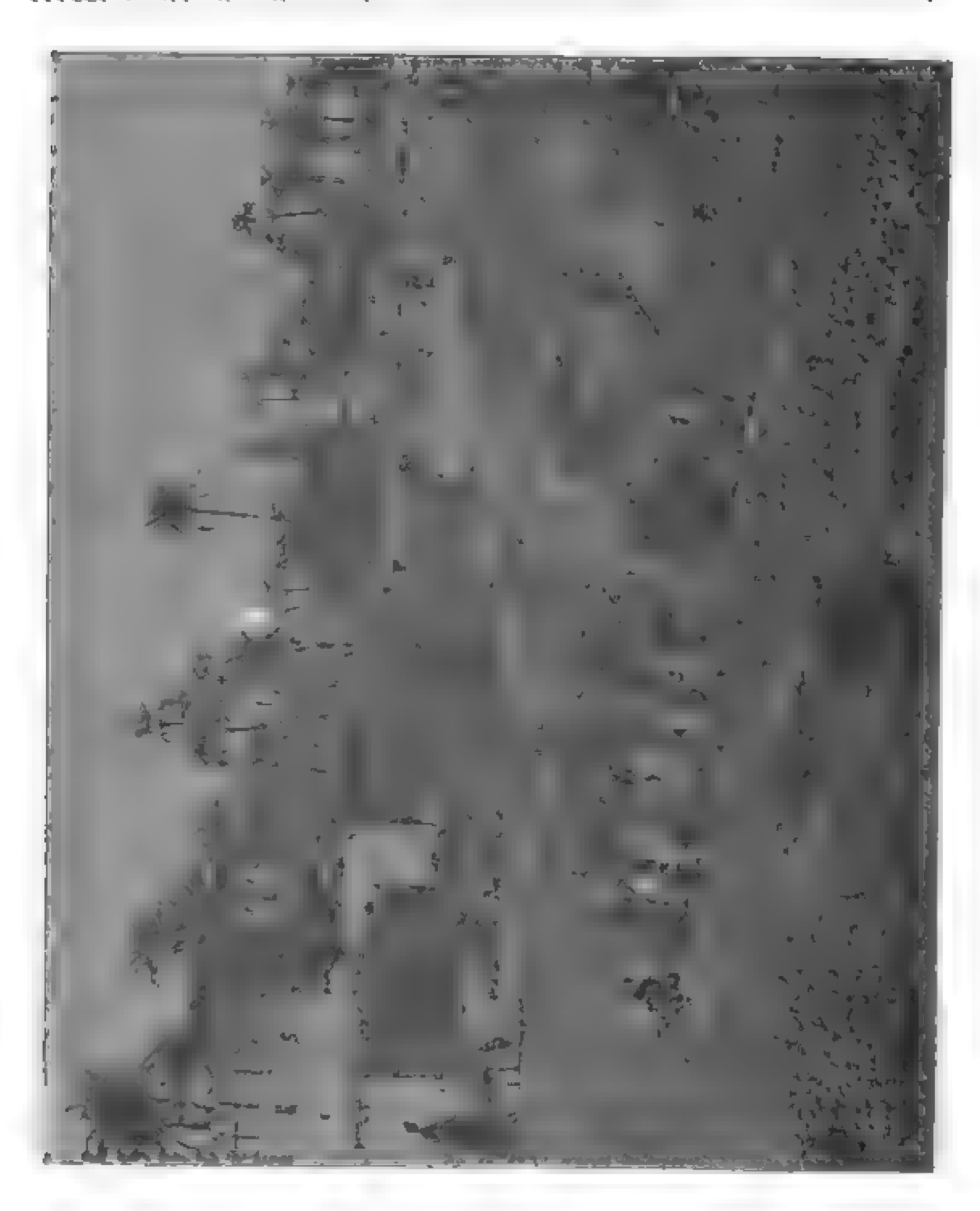
فمن ذلك هودج العروس في الاعراس وترى صورته في « **الرسم الاول** » محمولاً بين جملين بطريقة متعبة جدًّا للجمل الثاني

واما « **الرسم الثاني** » فهو رسم صناعة قديمة في مصر وهي صناعة الفخار (صنع البلاص) .



﴿ هودج العروس في زفاف ﴾

فهذه صناعة تعلمها اربابها دون ان ينتظروا فتح المدارس الصناعية التي يُدعى في كل حين اليها . وبذلك كان لهم فضل عظيم خصوصاً لان السواد الاعظم من الناس يقطرون الآن ماء النيل بلوعية منها



﴿صناعة الفخار في مصر﴾



﴿ صراف اسرائيلي قديم ﴾

واما « **الرسم الثالث** » فهو رسم صرَّاف اسرائيلي بالزيّ القديم صناعته تبديل النقود واقراض الفلاحين جنيهاً بجنيه ونصف لمدة شهر او شهرين وهو لا يقرضهم الاَّ برهن ٠٠

في « **الرسم الرابع** » وهو رسم طائفة من البدو يعيشون في حياتهم في الارياف وهم منتشرون في اكثر جهات القطر ٠ ولا بدَّ ان يأتي يوم تهتمُّ فيه الحكومة بتنظيم شؤون هؤلاء البدو الذين يعيشون في بلادها في احضان الحضارة ٠ ولا يكون اهتمامها هذا تحسين



﴿ عائلة بدو في خيامهم ﴾

احوالهم فقط وادماجهم في سلك الاهالي بدلاً من ان يبقوا كما هم الآن فريقاً مستكيناً مستقلاً ضمن فريق آخر ولكن يكون ذلك ايضاً لتقليل حوادث السطو والاعتداء والسرقات والجنايات في القطر لانه يقال ان كثيراً منها مصدره هذه الخيام البدوية

التمدن يُصلح ما افسده

(الكهرباء والبخار)

لما اخترعت ادارة الآلات بالبخار · وكثرت المعامل في المدن · وهجر العملة والعاملات منازلهم التي كانوا يعملون فيها بايديهم وهم في راحة وسكينة ليجتمعوا افواجاً افواجاً في المعامل تاركين اولادهم واطفالهم في الاسواق والشوارع · وتلا ذلك مهاجرة سكان القرى والضواحي الى المدن للعمل في هذه المعامل تاركين حقولهم الزراعية وقراهم الجميلة ذات الماء الصافي والهواء النقي · وعلت في الجوّ غيوم البخار متصاعدة من مداخن المعامل تفسد هواء المدن وتعمي الابصار · وفسدت آداب وصحة العملة والعاملات بازدحامهم في معامل ضيقة · وجُرَّ الاولاد حتى الذين يبلغون السنة العاشرة الى المعمل للعمل ١٠ ساعات او ١٢ ساعة في كل يوم وبذلك كانت بنية الناشئة تُهدم من اساسها · واضطر البشر لادارة الصناعة الى انزال ملايين منهم الى قلب الارض والمعيشة في ظلام المناجم طول النهار لاستخراج الفحم الحجري لما حدث كل ذلك قام الفلاسفة وعلماء العمران ينادون بان حسنات هذا التمدن مساوية لسيئآته · وصار الفيلسوف جول سيمون يصيح في فرنسا ملء فمه : ان نصف دم فرنسا يفسد في كل عام · يعني مهاجرة السكان قراهم الى المدن وافساد الرجال آداب العاملات في المعامل

وانه ليطيب لنا الآن ان نقول انه لو قام اليوم اولئك العلماء والفلاسفة من قبورهم وشاهدوا بدء الانقلاب الاجتماعي الذي يحدث في هذه الايام لضاعفوا ثقتهم واملهم في التمدن الحاضر وعلموا انه سيصلح في المستقبل ما افسده في الماضي · ولبيان ذلك نقول

❊ الكهربائية تحل محل البخار ❊ في ٣ اكتوبر من عام ١٨٢٥ فُتح في انكلترا خط حديدي صغير بين درلنتون وستوكتون لتجربة القاطرة البخارية لاول مرة · فنجحت التجربة وكان بها انتصار عظيم لستفنسون مخترع هذه الآلة · وفي العام الحالي بدأت الولايات المتحدة بلاد الكهربائية بتحويل قواطرها البخارية الى قواطر كهربائية · وقد قررت منذ مدة تجربة هذه القواطر في خط يمر في نيويورك طوله ٥٠ كيلومتراً والنفقة اللازمة لوضع الكهربائية فيه موضع البخار ٧٥ مليون فرنك · اما اسباب هذا التغيير فهي تفضيل القواطر الكهربائية لانها اسرع والطف والخوف من انفجارها قليل لا الرغبة في توفير النفقة · لانه قد ثبت ان نفقات الكيلومتر الواحد من الخطوط الحديدية لا تنقص اذا سارت قواطره بالكهربائية

غير ثلاثة سنتيمات عن نفقات سيرها بالبخار

فمن ذلك يظهر ان حلول الكهرباء محل البخار قد صار امرًا هينًا وربما لا يجيء عام ١٩٢٥ وهو عيد تذكار مرور مئة سنة على اختراع القواطر البخارية حتى يبطل استعمال البخار في جميع السكك الحديدية (١)

ومتى وُضعت الكهربائية موضع البخار كان لهذا التغيير فائدتان كبيرتان . الفائدة الاولى نقص المستهلك من الفحم الحجري وذهاب الخوف من نفاده . وهذا الخطر صار الانكليز على الخصوص يتهيبونه جدًا في هذا الزمان . ولذلك أَلفوا حديثًا لجنة تفحص مسأَلة الاقتصاد في الفحم . وقد كتب احد علمائهم الى مجلة « الطبيعة » يقول ان الدواء الشافي في هذا الاقتصاد انما هو اختراع آلات بخارية جديدة غير الآلات الحاضرة فان هذه الآلات تبذر الفحم تبذيرًا لانها اذا احرقت طنًا ولا تستفيد من حرارته الا ١٠ في المائة منها والباقي يذهب ضياعًا . فلو كانت تستفيد نصفه او اكثر لحصل اقتصاد عظيم في الفحم الحجري في جميع اقطار الارض

والفائدة الثانية فائدة عمرانية في غاية الاهمية وهي الغرض من كتابة هذه النبذة

❊ الفحم الابيض والفحم الاسود ❊ ان السبب الذي يحصل به توفير الفحم الحجري حين استبدال البخار بالكهربائية استغناء الكهربائية عن الفحم وتولدها بقوة المياه المنحدرة من مكان مرتفع وهو ما يسمونه الشلالات . ولذلك لقبوا مياه الشلالات « الفحم الابيض » وطريقة توليد الكهربائية بالشلالات ان تبنى المعامل الكهربائية في الجبال والآكام قرب هذه الشلالات وتستخدم قوة الماء المنصبة منها لتوليد الكهربائية . ومتى تولدت الكهربائية وزّعت من تلك الجبال على المدن والمعامل التي فيها او في ضواحيها بواسطة اسلاك خصوصية تمدّ اليها . وبهذه الكهربائية الواردة من الجبال على الاسلاك تسير قواطر السكك الحديدية وتُدار دواليب المعامل وتحدث كل الحركات الصناعية في المدن . وبذلك تصبح مياه الشلالات عبارة عن امواج من ذهب بعد ان كانت تضيع بخارًا في الهواء وماء في البحار كما تضيع اليوم شلالات النيل في مصر

وماذا تكون نتيجة هذا الانقلاب ؟

نتيجته ان الاراضي والآكام القريبة من الانهر والشلالات والجبال تصبح مقصدًا

---

(١) وقد بدأ عندنا صدى هذا الانقلاب فان سكة حديد الرمل التي كانت مركباتها تُدار بالبخار ستدار في الشهر القادم بالكهربائية

للناس ليقيموا فيها المدن الصناعية فتكون قريبة من المعامل الكهربائية · وعلى ذلك يكون فعل الكهربائية عكس فعل البخار · فان البخار ساق الناس من القرى والحقول وحشرهم في معامل المدن حيث الهواء فاسد والزحام شديد · واما الكهربائية فانها تعيد الناس من المدن الى الجبال والآكام حيث الهواء نقي والابدان سليمة فيعمّرونها ويتمتعون بخيراتها الطبيعية ناسين المدن واقذارها وبذلك يحدثون في الهيئة الاجتماعية اصلاحاً عظيماً · وهذا معنى قولنا ان التمدّن بدأ يُصلح ما افسده

وقد بدأ هذا الاصلاح الاجتماعي فعلاً في الولايات المتحدة التي سبقت العالم في هذه الطريق · فان جهات بوفالو ونياغارى مشهورة الآن بمعاملها الكهربائية التي تدير الحركات الصناعية في تلك الجهات وتنشىء المدن والقرى على جوانبها · وقد اخذت اوروبا تهتمّ بهذا الامر اشدّ اهتمام · فقد عقد بعض علماء فرنسا في الشهر الماضي مؤتمراً في غرينوبل لفحص شلالات مقاطعة الدوفينه والشروع في استخدامها · وكذلك في ايطاليا حيث استخدمت بعض شلالاتها · وغير بعيد ان تأتي قريباً نوبة شلالات النيل في مصر

﴿ كتاب الجزء القادم ﴾ في الجزء القادم تنشر الجامعة الحلقة الرابعة من مشروعها الشهري وهي رواية تاريخية ادبية عنوانها « اسبانيّة تحب عربياً » وحوادثها حدثت في الاندلس بين الافرنج والعرب وهي لمؤلف من اشهر نوابغ العرب · وقد وضع فيها اسمى صفات النفس العربية والنفس الاسبانية معاً · وستنشر كاملةً ذيلاً للجزء المذكور

﴿ اقتراح تشطير ﴾ اقترحت رصيفتنا جريدة (اقبال) الغراء في بيروت على الادباء تشطير البيتين التاليين وقالت انهما منسوبان لابي حيان وهما

خُلقنا لامرٍ لو علمنا خفيّه   لما حبّ منا المرء ليلى ولا لبنى

ولكن جهلنا فاسترحت نفوسنا   وما تلك الا راحة تُعقب الحزنا

والجامعة تنشر ايضاً كل ما يردها من التشطير لهذين البيتين

﴿ ديوانان ﴾ يعرف محبو الادب في مصر شاعرين مجيدين يشدوان دائماً في حديقة الصحافة شدو البلابل وهما حضرات احمد افندي محرم في الدلنجات واحمد افندي الكاشف في القرشية · وقد عزم هذان الفاضلان على نشر ديوانيهما الاول بعنوان « ارجوزة محرم » والثاني بعنوان « ديوان الكاشف » فمن اراد من قراء الجامعة خارج مصر او داخلها اقتناء هذين الديوانين فليخابر ادارة المجلة

آثار الشرق القديمة

آثار الفينيقيين والعرب

❊ في جنوبي افريقيه ❊

اكتشافات جديدة

ليس المستر تشمبرلن وسسل رودس واعوانهما من طلاب الذهب والثروة في جنوبي افريقيا باول من طمعوا في تلك البلاد وذهبوا اليها لاستخراج ذهبها . فان البلاد الرودسية (روديريا) مملوءة بالآثار القديمة التي اقامتها الامم المتقدمة لاستخراج الذهب منها

ولقد عاد الدكتور لوار من تلك البلاد منذ مدة بعدان فحص هذه الآثار فحصاً طويلاً وكتب يصفها فقال ما خلاصته

❊ وصف الآثار ❊ ان الانسان يمر في طريقه في روديزيا عند كل خطوة يخطوها على آثار يرجع تاريخها الى ازمنة قديمة متفاوتة . ولكن اهم تلك الآثار واسلمها من عوادي الزمان الآثار القائمة في بلاد الشرترد على مسافة ٢٥ كيلومترًا من جنوبي مدينة فيكتوريا . فانها تمتد على موازاة نهر لابي حتى متندله وهي قائمة على آكام علوها الف متر عن سطح البحر . واما ارضها فهي من الغرانيت وكل حجارتها مبنية من الغرانيت ايضاً دون تطيين اي ان الحجارة مركبة بعضها فوق بعض من غير طين كما كانت عادة الفينيقيين

وهذه الآثار مؤلفة من عدة مجموعات كل مجموعة منها عبارة عن ثلاثة اقسام . فقسم منها عبارة عن حصن قائم فوق اكمة . وتحت الحصن عدة انقاض قديمة . وفي سفحه دائرة واسعة تحيط بالجميع . وهذه الدائرة مغطاة اليوم بالاشجار والنباتات ولم تكشف الا بعد تقطيع ما كان حولها . ولا يزال سكان تلك البلاد يتخذون هذه الدوائر لحماية حقول الذره التي يزرعونها فتصبح بها هذه الحقول كأنها مستورة عن الانظار . ولما كانت جدران هذه الدوائر من حجر الغرانيت ايضاً فان الاشجار والنباتات لم تؤثر فيها بكرور الايام . اما محيطها فهو من ٦٠ الى ٨٠ مترًا واما علوها فهو من ٥ امتار الى ١١ مترًا واما ثخانتها فهي

من مترين الى ٥ امتار . وجدرانها الجنوبية مصنوعة من حجارة مخونة بدقة هندسية وهي اقوى جدرانها واتقنها

واما مدخل هذه الدائرة فهو من جهة الشمال تجاه القلعة القائمة على الاكة وعرضه متر واحد . ومن هذا المدخل ينزل الى داخل الدائرة بدرجات مطينة بطين مصنوع من الغرانيت المسحوق . وفي الدائرة مدخلان آخران اضيق من هذا المدخل احدهما الى الغرب والآخر الى الشمال الغربي

واما داخل هذه الخرابات فهو عبارة عن تيه . والقلعة في رأس الاكة تحميها عقبات موضوعة حولها . وقد ذهب المسيو بنيت العالم الارشيولوجي الانكليزي الى ان اصحاب هذه الخرابات كانوا يعبدون القمر في هذه القلعة ويحرسون منها الابنية . وفي جنوبي هيكل القلعة سلم تؤدي الى مغاور تحت الارض مخونة في الصخر . وسكان البلاد يتخذون اليوم هذه المغاور ملاجيء لهم من الحر والبرد

هذه لمحة من وصف خرابات الشرترد . وعلى مسافة ١٢ كيلومترًا من هذه الخرابات خرابات زمبابوه القائمة قرب نهر « لوندي » على مسافة ٥٠ كيلومترًا من مدينة فيكتوريا الى الجنوب الغربي وهي عبارة عن حصن مبني من الغرانيت بلا تطيين ايضاً وثخانة جدرانه متر ونصف . وكذلك خرابة اخرى في متندله على شاطيء نهر لابي وهي شبيهة بخرابة زمبابوه . وقد وجدت ايضاً جدران قديمة من نوعها حتى شمالي سالسبوري على شاطيء نهر ماجوي في ماشونالاند

اما الغرض الذي بنيت هذه الحصون والدوائر له فظاهر من الآثار التي وجدت فيها . فان المعاول والفؤوس والحراب والاجراس المزدوجة والمقابض والاغلال التي وجدت في هذه الخرابات فضلاً عن آثار استخراج المعادن في المغاور والاقنية الكائنة تحتها — كل ذلك يثبت ان الشعب الذي بنى هذه الابنية كان غرضه استخراج الذهب في ما حواليها

﴿ هل هي اوفير سليمان والفينيقيين ﴾ وبعد البيان الذي تقدّم يلزم ان نتسآل الآن من هم هؤلاء المتقدمون الذين اقاموا منذ قرون عديدة هذه المباني والقلاع والحصون لاستخراج الذهب من الروديزيا

من الثابت ان الشعب الذي بنى هذه الابنية شعب عارف باصول الهندسة القديمة . فليس هو اذاً من الزنوج سكان البلاد الاصليين لان هؤلاء لا يعرفون شيئاً من الحساب وبعضهم وهم البوشمنس لا يعرفون عدداً حسابياً فوق عدد الثلاثة . وقد بنيت هذه المباني في اماكن

يمكن لبانيها ان يرصد منها الفلك خصوصاً مراقبة الدائرة القطبية · وفي جملة الآثار التي وجدت في هذه الخرابات تماثيل طيور مصنوعة من تراب محفور من حواصها التمت وهي كثيرة هناك وهذه الطيور مركبة على اعمدة صغيرة يظهر انها كانت زينة للهيا كل · ومناقير هذه الطيور واجنحتها شبيهة بمناقير واجنحة العقبان التي كانت طيوراً مقدسة عند اهل قرطجنة والرومانيين الذين حالطوهم لانها كانت عندهم رمزاً الى الشمس · ولا يخفى ما بين اهل قرطجنة والفينيقيين من الروابط · وفضلاً عن ذلك فان كثيراً من النقوش والرسوم الهندسية وصور البقر التي وجدت على الجدران كلها شبيهة بالآثار الفينيقية التي من نوعها · وقد وجد ايضاً في خرابات زمبامبوه قالباً للمعادن شبيهاً بقالب فينيقي وجد في انكلترا

وما عدا هذا فقد روى هيرودوتس شيخ المؤرخين ان الفينيقيين الذين كانوا في مصر يخدمون الفرعون نخو (وهو اول من فكر بحفر ترعة السويس لوصل البحرين) ساحوا حول افريقيا في عام ٦٠٠ قبل الميلاد المسيحي وانهم كانوا اول السياح الذين نظروا الشمس الى يمينهم في مسيرها (؟؟) نحو المغرب · ومما لا ريبة فيه لدى المؤرخين ان الشعب الفينيقي قد وصل في اسفاره الى شواطىء افريقيا الشرقية

وبعد ان استشهد الدكتور لوار بما تقدم قال: انهُ من المحتمل ان تكون تلك الخرابات آثار مدينة اوفير القديمة التي كان الفينيقيون يقصدونها سراً في الزمن القديم لجلب الذهب منها والتي كان قبلهم سليمان الحكيم ملك بني اسرائيل يعتمد ايضاً على معادنها الذهبية · وقد اكد هذا الرأي سائح الماني يدعى كارل موش عند سياحته في جنوبي افريقيا في عام ١٨٧١

ولكن الدكتور لوار لا يرى ان هذه الآثار آثار فينيقية فقط بل يقول انها آثار عربية ايضاً · فان العرب قبل الاسلام ملكوا شرقي افريقيا في سنة ٣٥ للميلاد المسيحي · وبعض مؤرخي العرب في القرن التاسع والعاشر يذكرون ثلاث مدن في افريقيا كانت تُسمى بالاسم العربي « لابي » ولا يزال اسم « لابي » اسماً لنهر في تلك البلاد كما تقدم · وفي عام ١٥٠٠ للميلاد صادف فسكودي غاما المشهور تجاراً من العرب في شرقي افريقيا يشتغلون بتجارة شذور الذهب وتبره ووجد في ثغر سوفله القريب من تلك الخرابات وهو ثغرها الطبيعي سفينتين مشحونتين ذهباً · فالراجح ان تلك الآثار آثار فينيقية عربية

هذا ومن المحتمل ان يكون جناب المستر تشمبرلن قد زار الروديزيا في سياحته الاخيرة في الكاب · فاذا كان ممن يهتمون بالآثار القديمة واستوقفت تلك الخرابات نظره فانه ولا بدَّ يقف امامها وقفة المتأمل طويلاً ليتبصر في حوادث الزمان التي تُسقط الممالك وتفني

الدول . ولعله يذكر في ذلك الموقف ما قالهُ فولني حين وقفته على اطلال تدمر وخلاصته « ما يدرينا انه لا يقوم في المستقبل سائح شرقي يقف على اطلال لندن وباريز ويندبها كما تندب الآن اطلال الشرق البالية » - على ان هذا الفكر مما يجب ان يجعل الغرب اعدل سياسةً واكثر حكمةً واوسع صدراً مع الشرق وسواء لعل تمدنه الحاضر يسلم من ذلك الناموس الهائل - ناموس الانقراض والفناء الذي ذهبت به المدنيات الماضية

باب الاخبار العلمية

صدق مصدقو الاحلام في شيء

اقتراح على القراء

من الغرائب ان بعض الكتاب والعلماء لا يزالون يشتغلون حتى اليوم بمسألة الاحلام وصحتها . وقد عثرنا على رأي لاحد الاطباء يقوّي كثيراً اعتقاد بعضهم بصحة الاحلام . وقد قال هذا الطبيب انه لا يبحث في صحة الاحلام فلسفياً لانه لا يعتقد بها ولكنه يعتقد بصحة بعض الاحلام طبياً . واليك بعض الامثلة التي استشهد بها

من ذلك ان مريضاً من مرضاه رأى في الحلم انه متألم ألماً شديداً من مرض في جنبه الايسر وقد صار يبكي منه . فلما انتبه صار يضحك من نفسه . ولكنه في الليلة الثانية عاد فرأى نفس الحلم وشعر بثقل شديد في جنبه . وبعد يومين ظهرت قرحة شديدة في المكان المذكور فكاد يقضي نحبه بها

ومنه ان مريضاً آخر شعر في الحلم عدة مرات بان سكيناً تشق بطنه بالم شديد . وبعد مدة قصيرة طرأ على امعائه مرض كاد يذهب بحياته

فالطبيب صاحب هذه المشاهدات يقول ان صدق امثال هذه الاحلام الطبية امر معقول وهو طبيعي . لان الاعضاء المستعدة للمرض يظهر استعدادها في الحلم وذلك عن تهيوء للمرض مستتر حتى اذا كملت اسبابه ظهر ظهوراً تاماً . وبذلك تكون اسباب هذه الاحلام طبيعية اي اسباباً معقولة

ولا ريب ان المتقدين بصحة الاحلام سيتمسكون بهذه الحقيقة الطبيعية الجديدة ويقولون : ما الفرق بين هذه الاحلام التي تصدقونها والاحلام الاخرى التي لا تصدقونها . مثال ذلك ما يأتي : قبل خلع المرحوم اسماعيل باشا الخديوي بضعة ايام رأى احدهم في حلم ان هذا الخديوي قد سقط من قمة جبل الى الارض . فما معنى هذا السقوط أليس معناه الخلع . وقبل انفجار بركان المرتنيك بيومين رأى بعضهم في اوربا ان الله غضب على فرنسا لاضطهادها الرهبانيات في بلادها فامطرها نارًا . أليس ذلك انذارًا بثوران البركان؟

نقول . بما اننا خرجنا الآن بهذا القول من دائرة التقرير العلمي الى دائرة الفكاهة فاننا نقترح على القراء ان يرسلوا الى الجامعة كل ما يعرفونه من هذا القبيل عن صدق الاحلام سواء كانوا هم الذين رأوها او كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم . واذا كان احد منهم مقتنعاً بصحتها فله ان يؤيد رأيه . والجامعة تنشر كل ما يردها بهذا الشأن وتحذف اسم المراسل في رسالته اذا شاء . والغرض من هذا الاقتراح جمع مقالة فكاهية من الاحلام التي يراها الناس وهم بين مصدّقين يعتبرونها انذارًا والهامًا ومكذّبين يعتبرونها ناشئة عن ابخرة المعدة وتصورات الخيال في اثناء رقاد القوة العاقلة

﴿ هبوط مكروبات جديدة للارض ﴾ اثبت المسيو درسونفال العالم الفرنسوي في بلاغ الى المجمع العلمي ان اكثر الميكروبات والجراثيم التي تكون في الهواء لا تموت اذا سيّل ذلك الهواء وحوّل الى ماء بل تسبت سباتاً في وسط تلك البرودة حتى اذا ارتفعت البرودة عنها عادت الى حياتها الاولى . وعلى ذلك فقد حلّ هذا الاكتشاف الصغير في نظر بعضهم مشكلة كبيرة وهي امكان اتصال الميكروبات والجراثيم من جرم الى جرم في الفضاء دون ان تموت في هذا المرور . فانهُ من المعلوم انّ بعض الاجرام السموية التي هي اراض مثل ارضنا قد تطرأ عليها طوارئ فتنفجر وتتطاير هباء في الهواء فاذا كانت هذه الاجرام مأهولة فان ميكروبات الامراض التي تكون فيها تنتشر في الفضاء وتمرّ في البرودة دون ان تموت حتى تدخل في فلك جرم آخر فتقع عليه . ولذلك قال المسيو فونفيل مازحاً : لا يبعد ان يكون مكروب السل ومكروب داء الكرمة قد هبطا الى الارض حديثاً من جرم آخر في الفضاء لان المتقدمين كانوا يجهلون هذين الدائين . وغيره يعلّل نفسه بان يكتشف طريقة وصول الحياة الى الارض من هذه الطريق . ولكنه رأي بعيد . واذا افترض ثبوته فان ذلك لا يحلّ تلك المشكلة الكبرى بل يبعدها ابعاداً فقط

بان يسأل مثلاً : ومن اين اتت تلك الحياة الى الجرم الذي اعطانا الحياة . وهلم جرّا

﴿ طريقة المصريين في رصد الفلك ﴾ كان قدماء المصريين لا يتركون السماء ساعة واحدة بلا رصد لانهم كانوا يقيمون على هيا كلهم حارساً مخصوصاً لمراقبة السماء وظواهرها . وقد اخذ بعض علماء الفلك يقترحون تقليد هذه الطريقة وذلك باصعاد بالون (مطاد) في الجو ووضع آلة للرصد فيه دائماً ليلاً ونهاراً اذ قد تحدث في ساعة واحدة حوادث جوية مهمة والفلكيون غافلون عنها . والظاهر ان استعمال المناطيد (البالونات) سيصير عمومياً في المراصد لانه يمكّن العلماء من مشاهدة السماء صافية ولو كانت غائمة وذلك بالصعود في المناطيد الى ما فوق الغيوم كما صنعوا في الكسوف الماضي . فضلاً عن ان المقيم فوق السحاب في الفضاء يرى من الظواهر الجوية البعيدة ما لا يراه العلماء الجالسون في غرف المراصد

﴿ الوباء في مصر وفلسطين وفرار الطيور ﴾ بعث الاب فيكتور من دير قرب يافا في فلسطين الى مكتب الميتورولوجيا في فرنسا ملاحظات له بشأن فرار الطيور من الامكنة الموبؤة . فقال انه لما كان في دير قرب الاسكندرونة فشت بعض الحميات في ذلك المكان ففرّت طيور السنونو المعشّشة هناك ولم تعد الى ما بعد ذهاب الداء . وقد كتب اليه الاب رولان من المنيا (مصر) يقول ان الطيور فرّت من البلد حين انتشار الوباء في الضواحي ولما ذهب الوباء عادت فصار الاهالي يقولون « عادت الطيور وذلك دليل على ذهاب الوباء » وقد لاحظ الاب فيكتور نفسه حين انتشار الوباء في ضواحي ديره في جهات يافا ان السنونو قد هجرَت الدير بالحال لانها في طيرانها السريع تصل الى الضواحي الموبؤة واما العصافير الاعتيادية في الدير فانها لم تهرب لبقائها فيه وعدم خروجها الى الضواحي الموبؤة . واذا اتفق وحضرَت بعض طيور السنونو فانها تكون قادمة حديثاً من اوروبا فلا تلبث ان تفرّ دون ان تلوي على شيء . ويقولون ان سبب ذلك ان تلك الطيور تغتذي من فضلات الناس والذباب الذي يحمل مكروب الداء فلا تأمن ان يصل الوباء اليها عن هذا الطريق

﴿ ترعة السويس وسكة بغداد ﴾ يظهر ان سكة حديد بغداد ستحوّل تجارة الشرق عن ترعة السويس اليها وان هذا هو السبب الذي جعل بعض الحكومات الاوربية تلح منذ الان على الباب العالي بانشاء المنائر في البحر الاحمر لتأمين السفن في سيرها تسهيلاً لاتقان الملاحة في هذا الخط من حيث السرعة . واذا كان خط ترعة السويس وخط سكة بغداد سيتزاحمان على تجارة الشرق منذ الآن فان الدولة عملت ضد مصلحتها بانشائها المنائر الاربع

الاخيرة في البحر الاحمر · على انها معذورة في ذلك لانها رأَت الحكومة الانكليزية تقترح انشاءها بالحاح وتعرض عليها ان تنشئها هي نفسها · فلو لم تنشئها الدولة لانشأَتها الحكومة الانكليزية وجعلت بذلك لنفسها حقوقاً جديدة

⁂ الخيول العربية والخيول الانكليزية ⁂ قال المسيو جفراي في احدى المجلات الفرنسوية ان الجياد العربية هي آباء الخيول الانكليزية الكريمة التي تجري في ميادين السباق ومنها اشتقت كرائم الخيول الاوربية · فان انكليزياً يدعى دورلي سافر الى سوريا في سنة ١٧٠٣ واشترى منها مهراً كريماً سماه « درلي العربي » فانجب الانكليز بنسله ومن ذلك الحين صاروا يفضلون الجواد العربي على كل جواد · وفي عهد لويس السادس عشر اهدى باي تونس الى هذا الملك جواداً عربياً كريماً · فلما شاهده الملك احتقره لانه كان حقير الصورة صغير الجسم ولم يكن الملك يميل لغير الخيول الانكليزية الكبيرة الهامة · فانتهى الامر بيع هذا الجواد · وفي ذات يوم كان انكليزي آخر يُدعى المستر كوك ماراً بالجسر الجديد في باريز فابصر هذا الجواد يجرّ مركبة عليها برميل ماء فانتبه اليه واحسن الظن فيه لحسن فراسته فابتاعه من صاحبه ببضعة جنيهات فجاء اكرم جواد · وقد سماه صاحبه « كودولفين العربي » ومن هذين الجوادين (درلي العربي وكودولفين العربي) جاءَت جميع كرائم الخيول الانكليزية حتى الجواد « اكليبس » الذي ربح في السباق ٦٢٥ الف فرنك في ١٣ شهراً وهو اشهر الجياد الانكليزية

⁂ الفضة والمكروب ⁂ تنمو المكروبات كثيراً على قطع النقود النيكلية والذهبية ولكنها لا تعيش على القطع الفضية الا قليلاً جداً لان الفضة سم قاتل لها · وعلى ذلك فحمل القضبان التي تكون مقابضها مفضضة مما يفيد في قتل الجراثيم التي تعلق في اليد

⁂ التصوير على نور الزهرة ⁂ تمكن بعض المصورين من التصوير الفوتوغرافي على نور الزهرة نجم الصباح فجاءَت الصورة واضحة

⁂ شفاء الامراض بالنور ⁂ ابلغ الدكتور كارنول والمسيو تروهه المجمع العلمي انهما شفيا الروماتزم شفاء تاماً بالنور الكهربائي وقد شفياه بضياء النور لا بحرارته لانهما وضعا بينه وبين المريض صندوقاً من زجاج مملوءٍ بالماء · وقد قوي اعتقاد العلماء بفعل النور في كثير من الامراض الداخلية · وهذا مما يزيد فضل الشمس على الارض وسكانها كما ترى

باب تدبير الصحة

معامل الجمال للسيدات

يعنف بعض الشرقيين سيدات الشرق لصرفهنَّ مدة طويلة من وقتهنَّ امام المرآة للبس والزينة . وهم يعنفونهنَّ على ذلك مع انهنَّ لا يهتممنَ ذلك الاهتمام الا من اجلهم . فيظهر ان رجال الشرق لا يعرفون مصلحتهم حقَّ المعرفة

ولكن اذا وضعنا الهزل جانباً فاننا نجد ان سيدات الشرق مظلومات في هذه التهمة بالنسبة الى سيدات الغرب ولك ان تحكم مما يلي

في اوروبا وخصوصاً في انكلترا نوادي عمومية يتردَّد عليها النساء لاصلاح جمالهن كما يتردَّد الرجال عندنا على القهاوي والحانات . وهذه النوادي تديرها سيدات من ذوات الطرف والاختبار وفيها كل العطور والادهان والآلات الكربائية اللازمة لاصلاح الجمال

واشهر هذه المعامل معمل انيق في لندن تديرهُ مسز دلي وستون واليك بعض الشؤون التي يشتغل بها هذا المعمل المشهور لدى سيدات الانكليز

☀ ابقاء القامة معتدلة هيفاء ☀ ان السيدة التي تريد ابقاء قامتها هيفاء رقيقة معتدلة تقتصر على طعام مخصوص اكثرهُ يكون من اللحم والشاي

☀ ازالة تجعد الوجه ☀ هذه هي مسألة المسائل في الجمال . فان الشمس والريح والهموم وكبر السنّ تُحدث في الوجه الجميل غضوناً (تجعدات) تذهب بنضارته وتدل على دخول صاحبته في سنّ العجز . فما الطريقة لمحو هذه الغضون التي ترسمها السنون بيدها القاسية على الوجوه الجميلة ؟ — الطريقة لذلك في معمل مدام وستون دلك تلك الغضون باسطوانات كهربائية مخصوصة لهذه الغاية . وبما انه قد ثبت فسيولوجياً ان سبب حدوث هذه الغضون جفاف بشرة الوجه فانهم يجتهدون بدهن الوجه بدهون تجعلهُ ليناً دائماً .

وامامنا الآن رسم يمثّل صاحبة المعمل تدلك باسطوانتين كهربائيتين وجه سيدة جميلة جالسة على كرسي بين يديها كما تكوي الغسالة الثياب بمكواتها

※ازالة الذقن الثانية※ والسيدات ذوات الاجسام السمينة قد تحدث لهن غضون فوق الذقن فتكون بمثابة ذقن ثانية · وهنّ يكرهنّ هذه الذقن الثانية جدًّا ويسببها الى كبر السنّ مع انها في أغلب الاحيان تكون منتقلة بالارث · ولذلك يزلنها في هذا المعمل بمدالك كهربائية ايضًا

※جعل العينين براقتين※ وبما ان العينين هما اجمل ما في الوجه بعد الفم اوقبله فانهنّ في هذا المعمل لا يهملن العيون · ولذلك يوصين السيدات بان يربطن عيونهن بمنديل قبل النوم ويعصبن جباههن · فعصب الجبهة يحول دون تجعدها اذا رأت السيدة احلامًا مزعجة وربط العيون يجعلها براقة في الصباح متى وقع عليها النور بعد الظلام

※اجراء الدم في الجسم※ وبما ان الدم في الجسم يكاد يكون المصدر الاوّل للجمال اذ به بهاؤه ورونقه فان السيدات يتخذنَ مطارق صغيرة يطرقنَ بها اجسامهنّ طرقًا خفيفًا لتنشيط الدم واستدعائهِ الى ظاهر الاجسام

※تضمير الاعضاء※ ولكن واأسفاه ان السيدات لا يقتصرنَ على هذه الطرق السهلة فان بعض القاسيات منهنّ من اصحاب الاجسام الفخمة يحاربن اجسامهن محاربة شديدة لتضميرها وجعلها نحيفة القوام · فيعذبنها بآلات مختلفة قد يبكين احيانًا من آلامها · ولكنه بكاء كالضحك

※الحواجب والعنق والاهداب※ اما الحواجب فلها فن مخصوص بجعلها كالقوسين بازالة كل شعرة نافرة · وكذلك يُعنى بالاهداب · والعنق تُتعهد بالدهون والطيوب الخصوصية · ويجب تعهد الوجه باجماله مرة واحدة في الاسبوع على الاقل

※العناية بالايدي※ واما العناية بالايدي فهي فوق كل عناية · فان اظفارها لا تقلّم بالمقص ولكن بشفرة خصوصية تقطها بشكل هلال وتتركها طويلة اتباعًا لطريقة الطبقات العالية · وبعد ذلك ينظف داخلها بشفرة دقيقة جدًّا · ثم يؤتى باناء فيه ماء ممزوج بطيوب خصوصية مختلفة فتغمس فيه اليدان الواحدة بعد الاخرى وتبقيان بالماء حتى تتشرب البشرة منه · وبعد ذلك تُجفف اليدان وتُتعهد الاظفار بقليل من اللون الاحمر للزيادة في حمرتها الطبيعية متى كانت غير كافية · ثم تنضح اليدان بالكولونيا وتجففا ترويحًا بالمروحة لا بالمنديل لانه من الجناية ان يمسّ المنديل مهما كان ناعمًا تلك الايدي التي اعتني بها هذا الاعتناء

※اجرة الجلسة الواحدة※ اما الجلسة الواحدة لاصلاح اي امر كان في جسم السيدة من الامور التي تقدم ذكرها فان اجرتها ٢٥ فرنكًا (جنيه انكليزي) ولو كانت

ساعة او نصف ساعة

بقيَ علينا بعد ما تقدَّم ان نعلم هل كل ما مرَّ ذكرهُ يجدي نفعاً في زيادة لطف ونباهة الجنس اللطيف ام اللطف والنباهة الحقيقيان من خواص النفس لا من خواص الجسد ولذلك لا يُكتسبان بالتمنيق والتزويق بل بحسن التربية والتهذيب

باب التقريظ والانتقاد

الراوي

جريدة يومية لصاحبها جناب يوسف بك طلعت

اذا شكا ارباب الصحافة من كثرة الجرائد فان الجمهور في رأينا يرتاح الى هذه الكثرة لانها تحمل الجرائد على تحسين احوالها طبقاً لناموس المزاحمة الطبيعي . وامامنا الآن العدد الثاني من جريدة يومية صدرت في العاصمة عنوانها « الراوي » وقد تلت بضعة ايام جريدة « الجوائب المصرية » اليومية التي صدرت حديثاً ايضاً . فنحن نتمنى للرصيفتين كل توفيق ونجاح

لائحة لبنانية

طبعتها ووزَّعتها جريدة المناظر الغرَّاء بالبرازيل

وردتنا لائحة مرفوعة الى دولتلو مظفر باشا متصرف جبل لبنان وهي تحتوي آراء في اصلاح الجبل وحكومته . وقد وُضعت لفصولها عنوانات رقيقة . منها ما جاء في قاموس لاروس في تحديد كلمة الاستقلال « تكون الامة مستقلة متى كانت سيدة شؤونها » ومنها تعريف الوطنية في كتاب لدالوز « الوطنية هي الرابط الذي يجمع فئة من الناس بمصلحة واحدة في بقعة واحدة . ويزداد هذا الرابط وثوقاً اذا كانت لغة الفئة واحدة » ومنها قول بي ومارغال في كتاب الوطنية « لا تعرف آسيه حتى الآن الحرية التي تتمتع بها اوروبا منذ مدة مديدة . والشعوب الاسيوية لا تزال متقهقرة وراء الشعوب المتمدنة . ذلك

لانتفاء المصالح الوطنية بسبب الجامعة الدينية » ومنها قول لواشنطون في اول خطاب بعث به الى الندوة بعد الاستقلال « يجب ان يوحّد مبدأ الشعب الاميركي المستقبل بالمدرسة»

وفي هذه اللائحة صفحات كثيرة تدل على توقد الغيرة في صدر كاتبها على شؤون وطنه واليك واحدة منها

« اصل تحجب الحكام يا صاحب الدولة عادل ولكن اصل الحكومة اعدل . ويستمر تحجب الحكام عادلاً حتى تكون الهيئة المحكومة اعقل من ان تهيب الحاكم لمجرد تحجبه ولكن اصل الحكومة يستمر عادلاً ابداً

« يتحجب الحاكم ليكون مهاباً . ويجوز له الحجاب مع انه مخالف للمقصود من الحكومة ما زال الشعب شرساً متمرداً لا تردعه عن المنكرات والمعاصي الا هيبة الحكومة . فاذا صار الشعب الى ما صار اليه الجمهور اللبناني من السكينة والميل الى التقدم فقد صارت كل معاني الحجاب ضرراً

« لذلك نسأ لك مولاي ان تمزق الحجاب المسدول بينك وبين الجمهور لتستطيع ان تعلم حالة الرعية التي انت تحكمها

« انك مع التحجب يا صاحب الدولة لا يجالسك غير الرؤساء والاعيان والاغنياء . وهؤلاء لا يحادثونك الا بما يوافقهم . والذي يوافقهم ليس هو ما يصلح للجمهور . فانت مع التحجب للاكابر والاعيان والاغنياء لا للشعب

« ولست تستطيع ان تمزق حجاب التحجب الا اذا ابحت المقابلة للجمهور وجعلت لهم ميعاداً اسبوعياً . وهكذا تكون كما يريد جلالة المتبوع الاعظم وكما تريد مقارات البروتوكول متصرفاً للبنان لا للاكابر ولا للاعيان ولا للاغنياء »

فنحن نرجو ان يوفق دولتلو مظفر باشا لارضاء اللبنانيين عموماً بسياسة عادلة حكيمة فيها مصلحة جميع طبقات الامة اللبنانية الكريمة .

مسيح الهند

لم ننشر للقراء حتى الآن شيئاً عن رجل هندي ادّعى في الهند انه المسيح وانه جاء للتوفيق بين الناس وجمع كلمتهم لاننا رأينا ان مزاحاً كهذا المزاح ليس يعجّ الاهتمام به . ولكن حضرته لا يزال يرسل المنشورات التي ينشرها وآخر ما وردنا منه كرّاس من لاهور باللغة الانكليزية . والظاهر من لغة هذا الكراس الفصحى انه

مكتوب بقلم غير قلمه . والغرض من نشره الاقتراح على الحكومة الانكليزية ان تجمع مجمعاً من علماء المسلمين في الهند ليقرّروا ابطال الجهاد وهو اقتراح بارد ولا محلّ له لان جميع عقلاء المسلمين يقولون اليوم ان الجهاد كان واجباً في زمنه لحماية الدعوة واما اليوم فلا محلّ لهُ ولا موجب لان جميع البشر صاروا مؤمنين بالله سبحانهُ وتعالى

والذي اضحكنا في كراس مسيح الهند ترأّمهُ الى حكومة الهند ترأُف التابع للمتبوع دون ان يكتفي بالكلمة المشهورة التي تدلّ على التابعية والاحتقار معاً وهي « أعطوا ما لقيصر لقيصر » . فهل يا ترى كان المسيح متزلفاً

جريدة الرقيب ومطبوعاتها

اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغرّاء خمس روايات ادبية فكاهية مجلدة تجليداً حسناً في مجلد واحد عنوانه « باريس الخفية » وهي من تعريب حضرة الاديب راكي افندي مايرو وقد نُشرت تباعاً في جريدة الرقيب وتطلب منها ومن جميع المكاتب وثمنها ٢٥ غرشاً صاغاً

ونغتنم هذه الفرصة لشكر زميلنا الرقيب الاغرّ على نقلهِ الصفحة التي نشرتها الجامعة في غلاف جزئها السابق اعلاناً لكتاب ابن رشد وفلسفته . انما وقع خطاءٌ في عنوان ذلك الفصل فان مرتب حروف الرقيب وضع في العنوان هذه الكلمات « اعلان من ادارة مجلة الجامعة » وظاهر انهُ خطاءٌ مطبعي

وقد طرأ في المدة الاخيرة على صحة حضرة صديقنا الفاضل صاحب الرقيب اعتلال خفيف حملهُ بوقف اصدار جريدته مدة قصيرة ثم تعود الى عالم الصحافة بهمة حضرته ونشاط جناب محرّرها الكاتب الفاضل طانيوس افندي عبده احد محرري جريدة البصير الغرّاء الذي يتولى تحريرها منذ مدة بعيدة

مذهب تولستوي

(بقلم جناب سليم افندي قعبين)

طُبع هذا الكتاب على نفقة حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهو من تعريب حضرة الاديب سليم افندي قعبين . وقد جمعهُ حضرة معرّبه من اللغة الروسية ومن اللغة العربية ونقل فيه اشياء كثيرة عن الجامعة بعضها ذكر الجامعة حين نقله وبعضها اغفل فيه ذكرها كما في الصفحة ٤١ حيث بسط فلسفة تولستوي وآراءه

مع انها مأخوذة كلمة كلمة من ترجمة الجامعة لتولستوي في الجزء الحادي عشر من السنة الثانية . وهذا الكتاب يحتوي خلاصة ترجمة تولستوي ووصف معيشته وآرائه وحرم المجمع المقدس له وردود رجال الدين عليه وهو يطلب من المكتبة الشرقية في العاصمة وثمنه ٦ غروش صاغ

الاخاء

مجلة عمومية ادبية لصاحبها جناب محمود افندي كامل كاشف

صدر الجزء الاول من مجلة عمومية ادبية لصاحبها حضرة الكاتب الفاضل محمود افندي كاشف وادارتها في طوخ (قليوبية) والاخاء اقسام منه قسم اجتماعي وقسم سياسي وقسم ادبي عدا الفوائد والاخبار واشتراكه ٥٠ غرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في الخارج . فنرحب بالرصيفة الجديدة

مجلة المفتاح اتمت رصيفتنا مجلة المفتاح الغرآء سنتها الثالثة ودخلت في سنتها الرابعة . وقد صدر الجزء الاول منها مصدراً برسم جان دارك وفيه ترجمتها ومقالة في الفلسفة والقانون والمونتتوت وترجمة سقراط ومقالة في سلامة العيون وغير ذلك من الاخبار العلمية والفوائد . فنحن نهنئ الرصيفة بدخولها في سنتها الرابعة

النتيجة الشرقية اصدر حضرة الكيماوي الاصولي يوسف افندي الخوري صاحب الاجزخانة المشهورة في الثغر النتيجة التي اعتاد اصدارها في كل سنة وفيها عدة فوائد ورسوم واعلانات عن بعض العلاجات . وقد اهدانا نسخة منها فنشكر له هديته

خريطة جبل لبنان وضعت جريدة الرموز الغراء التي تطبع في البرازيل خريطة لجبل لبنان وهي باوضح شكل واجمل تصوير وقد اهدتنا نسخة منها فنشكرها على هذه الهدية النفيسة ونحث كل لبناني على اقتنائها

المنار البيروتي دخلت جريدة المنار التي تطبع في بيروت في سنتها الخامسة وصدر الجزء الاول منها في شكل مجلة يديرها جناب رصيفنا الفاضل روفائيل افندي الياس كاك مدير جريدة المحبة الغراء ويرئس تحريرها جناب الكاتب الفاضل الشيخ رشيد نفاع . فنحن نرحب بالرصيفة في طورها الجديد وندعو لها بالتوفيق في الخدمة النافعة التي تحتاج البلاد اليها

بين شاعرين في مصر

ما فرغتُ من قراءة قصيدة الشاعر الالمعي مصطفى صادق افندي الرافعي التي رثى بها الشرق في الجامعة (الجزء ٩ الصفحة ٦٢٤) حتى وجدتُ في نفسي اثرًا مؤلمًا فراجعتُ هذا الصديق الفاضل بالقطعة الآتية وبتلوها ما اجابني به عليها وقد رأيتُ ان ارسلها اليكم للتكرم بنشرها في الجامعة انجازًا لما وعدت به هذا الصديق

قلت

رثيتَ من الشرق مجدًا ذهبْ ... وعزًّا غدا نهب ايدي النوَب
فذكّرتني موقفًا كانَ لي ... باطلالهِ يستثير الكرب
فما وقفَ الدمع حتى جرى ... ولا هدأ الوجد حتى التهب
بكيتَ فابكيتَ ذا حميةٍ ... يسعّرها من بكى او ندب
أجدّكَ هل يوقظ النائمين ... صياح نردده او صخب
بلى وأبيك ولكننا ... نؤدي بذلك حقًا وجب
ولا يثنينّك ما قد ترى ... عن الشعر يُختار او يُنتخب
ألا ربَّ قافيةٍ قلتها ... يهل الاديب لها والادب
عليك السلام ونلتَ الذي ... تتوق الى نيله من ارب

فاجاب

أخيّ هل جرى مدمعٌ فانسكبْ ... ومسَّ الفؤاد جوى فالتهب
لقد كنتُ احسب ان الرقاد ... حاطَ الجفون بخيط الهدب
ولم ادرِ انك حلف السهاد ... بلى قد عرفتك حلف الادب
بربك هل أسمعتْ صيحتي ... وقد خفقتْ من صداها الشهب
فكم قد نظمتَ وكم قد نثرتَ ... وكم قد نصحتهمو بالخطب
وان قصائدكَ النيرات ... لكالبدر يُطلع او يُرتقب
اذا صحتَ في شرقنا صيحةً ... وقلتَ ارى الغرب منا اقترب
فما انت مسمعُ من في القبور ... ولا انت مفزعُ مَنْ في السحب
تخفّضْ عليك عليك السلام ... ما ذكر الناس فضل العرب

الدلنجات ... احمد محرم



الجزء الثاني   السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ مارس (آذار) سنة ١٩٣ ـ ذو الحجة سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشاهير الشرق

حموربي

(واضع الشرائع البابلية التي يُقال ان بعض شرائع التوراة نُقلت عنها)

ترجمة حموربي · شرائعه · التوراة وهذه الشرائع · كتاب الامبراطور غليوم الذي شغل جرائد العالم · الاعصر التاريخية والاعصر المجهولة · رأي المسيو ماسبيرو مدير الآثار المصرية · بابل مصروبة وضاربة

لما نشرنا منذ عدة شهور في باب « آثار الشرق القديمة » في الجزء السابع من السنة الثالثة فصلاً عنوانه « آثار من زمن ابرهيم الخليل » وذكرنا فيه ما اكتشفه المسيو دي مورغان في سوس من شرائع العيلاميين ـ لم يكن يدر في خلدنا ان هذا الاكتشاف سيكون له الاهمية العظمى التي كانت له في اوربا حتى ان الامبراطور غليوم نفسه يضطر الى المداخلة في شأنه بكتاب طويل اقام جرائد المانيا واقعدها · ونحن نغتنم هذه الفرصة لنقل هذا الكتاب الغريب الذي ادهش به هذا الامبراطور العالم شأنه في اكثر الاشياء التي تصدر عنه ·

وبهذه المناسبة ننشر ترجمة الرجل الشرقي العظيم (حمورابي) الذي كُتب هذا الكتاب بسببه وما يلزم عن ذلك من البيان فنقول

***

﴿ ترجمة حمورابي ﴾ حمورابي او حامورابي او هامورابي اسم جديد سيكون له في تاريخ البشر في الارض منزلة تعادل منزلة اعظم الرجال الذين خدموا الحضارة ورقوا شؤون البشر فلا الاسكندر في عظمته ومجده ولا داريوس في بذخه وسلطانه يساوى مقامه مقام هذا الملك المتمدّن . وهو ملك ساميّ حكم بابل بين سنة ٢٣٩٤ و٢٣٣٩ قبل الميلاد اي منذ ٤٤ قرنًا (٤٤٠٠ سنة) واسمه « حمورابي » مشتق من اللغة العيلامية ومعناه على ما يُقال « المولود من نسل كريم »

وقد نقلت احدى الرصيفات عن جريدة النشرة الاسبوعية الغراء التي تُطبع في بيروت شيئًا عن هذا الملك البابلي ومنه يُعلم ما كان له من المنزلة العليا في زمنه . وهذا نص كلام النشرة الاسبوعية :

« لم يبقَ ادنى ريب في ان هامورابي هو امرافل ملك شنعار المذكور في سفر التكوين وانه كان ساميًا دخل على الترجيح ارض شنعار الخصبة (او سومر وهي بلاد الكلدان المعروفة بكلدية الواطئة) من بلاد العرب . وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم . وكان قد مرّ على العيلاميين قرونٌ وهم مستولون على بابل . فحارب العيلاميين وطردهم من الارض الكلدانية وملك كل العالم المتمدّن في عصره ما عدا مصر . فكان ملكهُ من بلاد الفرس الى البحر المتوسط . واما الحروب المتوالية التي مكّنته من ذلك المُلك فلا نعلم تفصيلها . ولكن ما في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين يدل على انه في قديم الازمنة وكان يملك حينئذٍ في عصر فيه ملك عيلام السائد

« وكان لنا قبل اكتشاف شرائع هامورابي العجيبة ما هو كافٍ من اخباره لمعرفتنا انه الظافر والباني هيا كل الآلهة وانه كان من السياسيين المجتهدين في نفع رعاياه . قال ناقل هذا النبأ « وقد شاهدتُ مئات من الاميال المربعة من ارض وادي الفرات العجيبة الخصب فلاةً وعراءً يابسًا وعلة ذلك انسداد القنوات التي كانت تسقيها . وكان هامورابي بنى سدًّا حيال نهر دجلة دفعًا لاضرار طوفانه وانشأ قنوات يجري فيها الماء الى امدٍ بعيد فيسقي الارضين ويحييها » . قال ذلك الملك في ما تركهُ من مكتوباته « لما اعطاني الاله انو والاله بعل المُلك على ارض سومر واكاد (وهي الجنوب والشمال من بلاد بابل) ووضع مقودها

في يدي حفرتُ قناة هومارابي فحملت كثيرًا من المياه الى اراضي سومر واكاد فجعلت الارض على جانبي النهر صالحة للفلاحة والزراعة وجمعت غلة الحنطة واعددتُ المياه في سومر واكاد للاعقاب وجعلتُ الارض التي قسمها السكان واحدة واعددت طعامًا وشرابًا وسستهم بنعم وافرة واسكنتهم في الامن والسلام»

«فكان هامورابي سياسيًا مدربًا كما كان بطل حرب ووقف نفسه لتنعم رعاياه. وتبين من الكتابة على العمود الذي اكتشفه دي مرغان حديثًا انه كان ممن يؤلهون الشمس وادعى انها هي التي اعطته الشريعة. فعلى ذلك العمود ما ترجمته «باسم الشمس حاكم السموات والارض الاعظم ليكن العدل في الارض وباسم ربي ميروداخ امحى عن هدم ما اقمته تذكارًا في هيكل ايساغيل الذي احبه. فليردّد اسمي (على الالسنة) ابدًا. وليقف كل مظلوم له دعوى شرعية امام صورتي هذه باعتبار اني «ملك البرّ» وليقرإ المكتوب وليفهم كلماتي الثمينة. وهذا المكتوب يبين له دعواه فيرى ما هو الحق ويبتهج قلبه ابتهاجًا يحمله على ان يقول هامورابي ملك كأب لرعاياه تمسك بكلام ميروداخ بالهيبة والاكرام وانتصر بمساعدة ميروداخ على الشمال والجنوب وابهج قلب ميروداخ ربه فوهب منافع دائمة لشعبه ووطد شريعته في الارض. ومتى قرأ النبأ فليصلِّ بكل قلبه امام ميروداخ سيدي وزربانيت سيدتي. وحينئذ الارباب الواقية والآلهة الذين كثيرًا ما يترددون في حضرة ايساغيل لا بدَّ من ان يهبوا له بوفور النعمة المشتهيات اليومية امام ميروداخ مولاي وزربانيت مولاتي»

«ولقب «ملك البرّ» من احب الالقاب وقد ادعاه هامورابي لاعتقاده انه استحقه لبره برعيته كما يظهر من قوله على ذلك الاثر «هامورابي ملك البر. الذي منحته الشمس حقًا (او شريعةً) انا هو. كلماتي تُراعى. اعمالي لا نظير لها لا وطئ الاعلين واضع المتكبرين واني العُتاة فاذا راعى خلَفٌ متسلط كلماتي التي كتبتها في رسمي هذا ولم يُبطل شريعتي ولا يفسد كلماتي ولا يغير ما اقمته تذكارًا قوّت الشمس ملك ذلك الملك كما قوّت ملكي. فملك البر هو الذي يملك بالبر رعاياه»

«ومما كتبهُ هذا الملك يتبين ان بعضه كأنه كُتب بقلم موسى او سليمان ومن ذلك قولهُ

«في مستقبل الزمان في كل الاعقاب الآتية ليراعِ الملك الذي يكون في الارض كلمات البر التي انا كتبتها على حجري التذكاري هذا شريعة ممالكي التي وضعتها والسنن التي سننتها لا يغيرها. ولا يشوه ما اقمته تذكارًا. وان كان المتسلط حكيمًا وقادرًا ان

يسوس الارض بمقتضى الشرع فليراعِ كلماتي التي كتبتها في مرسومي القانون والفرائض والشرائع التي اعطيتها والاحكام التي وضعتها . فهذه كلها تظهرها له هذه الكتابة . فليحكم على رعاياه بمقتضاها ويحاطبهم بالعدل وليستقم بالاحكام . ولينفِ الاشرار والمجرمين من ارضهِ وليعد المنافع الى رعاياه »

" وما كتبه هامورابي للملوك الذين يخلفونه كتاب وشنتون الوداعي الى خلفائهِ . ولا ريب عندنا ان سيرته واعماله النافعة في الزمن الطويل كانت مما اكرمهُ واحترمه خلفاؤهُ . ثم كان بعد ذلك خمسة قرون سلام وراحة ونجاح ثم جاء الغزاة من جبال عيلام وعاثوا في بابل وسورية

" ويعلم من قانون هامورابي انه اشتمل على شرائع انتشرت في كل الشرق نحو ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد . وقد اتفقت شريعة موسى وشريعة هامورابي في امور كثيرة وهي تدل على قدم التمدن والعدل والشرائع النافعة . » انتهى كلام النشرة بتصرف يسير

***

شرائع حمورابي ولقد قلنا في السنة الماضية ان المسيو دي مورغان وجد شرائع هذا الملك العظيم في خرائب سوس منقوشة على عمود من الحجر الصلد طوله متران ونصف وهو مذكور هنا الصفحة ٦٩ السطر ٢٦ وعليه اربعة آلاف سطر قرأها الاب شيل العالم باللغة العيلامية . ونحن نلخصها بعضها استيفاء للكلام واتماماً للفائدة

تبدأ هذه الشرائع بعقاب السحر والتجديف والرشوة القضائية والسرقة وغيرها من الجرائم التي عقابها الموت . ثم تستطرد الى السرقة الاعتيادية وخطف الاشخاص وقصاص العبيد الآبقين وقطع الطرق . وبعد ذلك تنتقل الى مسائل بيع المنازل والاراضي وتأجيرها واقراض الاموال وتنظيم الشؤون التجارية . وللمرأة مكان واسع في هذه الشرائع فان واضعها نصّ على جميع الاحوال المتعلقة بها سواء كانت تتجر ببيع المشروبات او كانت مقيمة بالبيت . واذا زنت مثلاً يعاقَب بالقتل وذلك باغراق الفريقين في نهر . ولكن اذا كانت المرأة قد غصبت فيغرق الرجل فقط . واذا كانت امرأة قد ذهب زوجها اسيراً في الحرب فليس لها ان تتزوج غيره الا اذا كانت فقيرة لا تقدر على سد حاجاتها . ولكن اذا كانت غنية واتخذت رجلاً غير زوجها فتغرق . واذا عاد زوجها من الاسر وكانت قد تزوجت من الفقر فيجب عليها ان تعود الى زوجها الاول ولكنها تترك لزوجها الثاني الاولاد الذين رزقتهم منه . وفي هذه الشرائع نص على حالة كالحالة التي كانت مع ابرهيم الخليل . فان ساره لما رأت نفسها عاقراً دفعت خادمتها هاجر الى زوجها فولدت منه اسمعيل . ثم غارت منها

ساره فطردتها . فالشريعة الباملية تجيز امراً كهذا الامر في حالة عقم الزوجة . لكن متى وضعت الخادمة من سيدها فسيدتها لا يجوز لها بعد ذلك ان تبيعها ولا ان تسيء معاملتها . وبذلك تكون ساره بطردها هاجر قد خالفت هذه العادة البابلية التي كانت متبعة في جميع اقطار الشرق في ذلك الزمان

وفي الشريعة البابلية للاطباء نظام في غاية التدقيق . من ذلك : ان الطبيب اذا عالج عين رجل حرٍّ وشفاها اخذ اجرته . ولكنه اذا عطّلها فان يده تُقطع . . واذا كان الرجل عبداً لا حراً وعطل الطبيب عينه او اماته وجب عليه ان يبتاع لسيده عبداً غيره . وهذه الصرامة غير مقصورة على البشر بل تتناول الحيوانات . فاذا عالج طبيب حيواناً وقتله وجب عليه ان يدفع لصاحبه ربع ثمنه

وللبنائين والمقاولين نظام صارم ايضاً . فاذا بنى بنّاء منزلاً فجاء بناؤه حسناً فان البنّاء يأخذ اجرته . ولكن اذا سقط هذا المنزل وقتل صاحبه فان البناء يُقتل . واذا قتل ابن صاحبه قُتل ابن البنّاء واذا قتل عبد صاحبه وجب على البناء ان يعطيه عبداً بدلاً منه . واذا تلف اثاث المنزل بسقوطه لزم الباني ان يبتاع اثاثاً مكانه . ثم يلزمه ان يعيد بناء المنزل لانه كان سبب سقوطه

واذا اضطرمت النار في احد المنازل وركض احد لاخمادها ثم خطر له ان يسرق شيئاً من ذلك المنزل وجب القاؤه في النار المضطرمة . واذا نقب احد منزلاً ليسرقه وقُبض عليه فانه يجب قتله ودفنه امام الجدار الذي نقبه . واذا قطع احد شجرة من غير اذن صاحبها وجب ان يدفع اليه مبلغاً من الفضه . واذا استأجر بقرة وماتت من سوء معاملته وجب ان يردّ الى صاحبها بقرة مثلها واذا كان قد قلع عينها فقط وجب ان يدفع اليه نصف ثمن مثلها . واذا وهب رجل امرأته شيئاً من ماله او من حقوله وبساتينه فليس لابنائه ان يستردوا منها شيئاً بعد وفاته . ولها ان توصي بالمال الموهوب الى الولد الذي تختاره . واذا اودع رجل لدى رجل آخر وديعة ولم يكن عليها شاهد ثم وقع خلاف بهذا الشأن فلا يجوز رفع هذه القضية الى المحاكم »

وعلى ذلك فالعقاب في هذه الشرائع مبني كما رأيت على قاعدة « العين بالعين والسنّ بالسنّ » اذا كان المُساء اليه من الاحرار والاشراف . واما اذا كان من العامة والارقاء قُبلت الغرامة المالية من المسيء

ولو اردنا نشر جميع مواد هذه الشريعة للزمنا ان نملأ بها هذا الجزء كله

***

﴿ التوراة وهذه الشرائع ﴾ فلما انتشرت ترجمة هذه الشرائع في اوروبا في هذا العام قام لها العلماء وقعدوا . وكتب احدهم الى احدى الجرائد يقول : فلتحمل مكتشفو هذا الاكتشاف تبعة اكتشافه . وايضاحاً لمعنى هذا الكلام نقول

يظهر انه وجد بين هذه الآثار المكتشفة حديثاً وبين رواية التوراة شيئاً من الاختلاف والتشابه . اما الاختلاف فهو في الحوادث التاريخية واما التشابه فهو في الشرائع والنظامات . وليس يتسع المجال في هذا المقام للخوض في هذه المسألة بالتفصيل وانما نكتفي بذكر قضيتين

الاولى ان علماء المانيا قد اثبتوا ان حمورابي هذا هو الملك امرافل الذي ورد ذكره في السطر الاول من الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين وان كان علماء فرنسا لا يؤكدون ذلك . وزيادة في الايضاح ننقل هذا الاصحاح برمته . وهذا نصهُ :

((وحدث في ايام **امرافل ملك شنعار** واريوك ملك الأسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم ان هؤلاء صنعوا حرباً مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمة وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر . جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين الى عمق السديم الذي هو بحر الملح . اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدرلعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه . وفي السنة الرابعة عشرة اتى كدرلعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين في عشتاروث قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير الى بطمة فاران التي عند البرية . ثم رجعوا وجاءوا الى عين مشفاط التي هي قادش . وضربوا كل بلاد العمالقة وايضاً الاموريين الساكنين في حصون تامار . فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمة وملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر ونظموا حرباً معهم في عمق السديم مع كدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم **وامرافل ملك شنعار** واريوك ملك الأسار . اربعة ملوك مع خمسة . وعمق السديم كان فيه آبار حمر كثيرة . فهرب ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك والباقون هربوا الى الجبل . فاخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع اطعمتهم ومضوا . واخذوا لوطاً ابن اخي ابرهيم (الخليل) واملاكه ومضوا اذ كان ساكناً في سدوم . فاتى من نجا واخبروا ابرهيم . وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الاموري اخي اشكول واخي عانر . وكانوا اصحاب عهد مع ابرهيم . فلما سمع ابرهيم ان اخاه سبي جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم الى دان . وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم الى حوبة التي عن شمال دمشق واسترجع كل الاملاك واسترجع لوطاً

اخاه ايضاً واملاكه والنساء ايضاً والشعب · فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك · **وملكي صادق ملك شاليم**(مدينة السلام وهي اورشليم)اخرج خبزاً وخمراً · فاعطاه ابرهيم عشراً من كل شيء))

فيؤخذ من هذا الفصل اذا اعتبرنا ان امرافل هو حمورابي كما يقول الالمان ان ابرهيم الخليل استطاع بثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً ان يكسر جيش حمورابي العظيم وجيش اريوك وجيش لعومر وجيش وتدعال · وما عدا ذلك فملك فخم الجاه والسلطان مثل حمورابي لا يحتاج الى محالفة اولئك الملوك الصغار رغبة في اخذ مدن كسدوم وعمورة وادمة وصوعر · لانه ملك آسيا كلها حتى شاطىء البحر

هذا هو شيء من الاختلاف · اما التشابه فهو كائن في اشتراك التوراة وشرائع حمورابي في كثير من الاصول والعادات والتقاليد · وقد ذكرنا في ما تقدم عقاب « العين بالعين والسن بالسن » المذكور بهذا اللفظ نفسه في شرائع حمورابي · ونحن نذكر الآن شبهاً آخر وهو ان حمورابي يلقب نفسه في شرائعه « ملك البرّ (الخير) وملك السلام » وهذا الاسم ملك البرّ او ملك الخير او ملك الصدق » ترجمته باللغة العبرانية « ملكي صادق » وملكي صادق هو اسم للكاهن العظيم المذكور في التوراة (راجع فوق السطر الثاني) وهو يُدعى ايضاً ملك شاليم اي ملك السلام — فايهما قلد الآخر · حمورابي قلد التوراة ام التوراة قلدت حمورابي ؟

⁂

☀ كتاب الامبراطور غليوم ☀ ولقد بحث الاستاذ دليتش الالماني بحثاً مسهباً في هذه الاختلافات والمشابهات · والقى فيها خطبة حضرها في برلين علية الناس في جملتهم الامبراطور غليوم والامبراطورة · وقد قال الخطيب في خطبته ان شرائع التوراة مأخوذة من الشرائع البابلية · ثم ختم كلامه بهذه العبارة « اننا نضع يدنا على قلبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر منه »

وهذا الاستاذ من احباء الامبراطور غليوم ومن اعضاء « جمعية الشرق » الالمانية التي تستخرج الآثار الشرقية القديمة منه · فبعد الخطبة اجتمع بالامبراطور والامبراطورة وصار يحادثهما امام الحاضرين · فانكر الناس ذلك من الامبراطور غليوم لمعرفتهم حرصه على حفظ التعاليم التقليدية · ونتذكر ان جريدة الطان افردت يومئذ فصلاً مخصوصاً في صفحتها

الاولى لهذه الحادثة . ولكن بعد اجتماع آخر اجتمعه الامبراطور بهذا الاستاذ كتب الامبراطور الى صديقه الاميرال هولمن الكتاب التالي ليبدي رأيه في تلك الخطابة بصراحة وجلاء . وهذا نصُّ هذا الكتاب الغريب

« عزيزي هولمن

« لا بدَّ ان تكون الرسالة البرقية التي بعثتُ بها اليك قد محت من نفسك الشك الذي كان فيها بشأن نتيجة تلك الخطابة . ولقد فهم السامعون تلك الخطبة كما يجب ان تُفهم . ومع ذلك فيسرّني ان اغتنم هذه الفرصة لابداء رأْيي في هذا الموضوع(١)

« ان الاستاذ دليتش في اثناء احدى الاجتماعات المسائية عندما دخل مع الامبراطورة والوكيل العام دريابدر (وهو من رجال الدين) في بحث استمرَّ عدة ساعات . اما انا فقد جعلت نفسي من جملة السامعين . ولكن الاستاذ من سوء الحظ لم يلبث ان ترك البحث التاريخي المحض في المسائل الاشورية ودخل في مسائل دينية لا محلَّ لها . فلبثتُ مصغياً . غير انه لما وصل في كلامه الى العهد الجديد (الانجيل) لم يبقَ لديَّ شك في رأْيه . فانه قال في شخصية مخلصنا اقوالاً شاردة مناقضة رأْيي واعتقادي لانه لا يعتقد بلاهوت المسيح . ولذلك كانت التوراة في رأْيه لا تحتوي شيئاً من الوحي والنبوءة عن يسوع بانه المسيح

«وهنا يختفي (اي الاستاذ دليتش) المؤرخ والباحث في آثار اشور و يظهر اللاهوتي بكل ما فيه من النور والظلام معاً . اما انا فانني انصحه بان يخطو في هذا السبيل خطوة بكل تأْنٍ وحذر وان لا ينشر آراءه الاَّ في كتب لاهوتية او في دائرة رصفائه . وليكفنا نحن الخارجين عن هذه الدائرة خصوصاً « جمعية الشرق » التي لم تنشأْ لتكون ندوة تُلقى فيها كل الآراء . علماء البحث في هذه الامور . فانما انما نحفر في الارض ونستخرج آثارها القديمة ونقرأُ ما عليها من الكتابات ونشره لمساعدة العلم والتاريخ وليس لتأْييد او نقض الآراء الدينية التي يراها هذا العالم او ذاك . ولا ريب ان دليتش المؤرخ يخلّص دليتش اللاهوتي لان ذاك لا وظيفة له الاَّ اعلاء قدر هذا

«ومن التأسف لان دليتش لم يقتصر على الغرض الذي بسطه لنا في العام الماضي اعني اتخاذه الآثار القديمة التي تستخرجها جمعيتنا من الشرق دليلاً لمعرفة ما كان للتمدن البابلي القديم من التأْثير على التمدن الاسرائيلي لنقف على العادات والاخلاق والشؤون السياسية والشرائع

---

(١) ترجمنا كلام الامبراطور في هذا الكتاب حرفياً الاَّ في سطر واحد

التي يمكن ان يكون الاسرائيليون قد اخذوها من البابليين ولنرى اذا كان في هذه الآثار ما يرفع – من الجهة البشرية – عن البابليين الاوصاف التي تصفهم بها التوراة وصفاً لا ريب في انه غليظ وشنيع وغير عادل

« هكذا كان غرضهُ الاوَّل كما فهمت ذلك منه وقد كان غرضاً كبيرًا يجب علينا نحن المتفرجين ان نشكره عليه ٠ ولكنه من سوء الحظ قد جاوز هذا الغرض من فرط غيرته

« فان الآثار التي اكتشفت وحدفيها كما كان ذلك في الحسبان بعض آثار تتعلق بمسائل التوراة الدينية ٠ فحين كلام دليتش على هذه الآثار كان يجب عليه ان يشير اليها و يشرح احوالها ثم يدع السامعين يستخرجون النتائج الدينية التي يرونها ٠ ولو فعل ذلك لنالت خطبته استحسان جمهور السامعين ٠ ولكنه من الاسف ان لا يكون قد اقتصر على ذلك

« فانه في خطبته اخذ يخوض بلجة المناقشة والجدال في مسألة الوحي فانكر هذه المسألة قليلاً او كثيرًا ثم ظن نفسه قادرًا على اثبات ان اصلها تاريخي بشري محض ٠ فارتكب بذلك خطأً عظيماً لانه دخل بهذه المسألة الى باطن النفس ومسَّ هيكلها المقدس في غير شخص من سامعيه الذين تختلف عقولهم باختلاف طبقاتهم ٠ وسواءٌ كان مخطئاً او مصيباً فانه صدم وقلَّب في نفوس كثيرين انفَس الصور والافكار التي هي ثمينة مقدسة عندهم ٠ وقلقل اساس ايمانهم ان لم نقل انه ضعضعهُ ٠ وهذا عمل لا يجسر عليه احد غير المشاهير اصحاب القرائح والعقول العظمى ٠ واما درس الشؤون الاشورية درساً بسيطاً فليس مما يستوجب هذا

« ولقد بحث « جوت » يوماً في هذا الموضوع فقال انه يجب على المتكلم امام جمهور مختلف الطبقات ان يحذر حتى من هدم « هياكل الالفاظ المصطلح عليها » ولكن الاستاذ الكريم نسي من فرط حماسته المبدأ الذي يوجب الفصل بين ما يلائم الكتب وجمهور السامعين وبين ما لا يلائمهم ٠ فانه كلاهوتي يستطيع ان ينشر بين رصفائه او في كتب خصوصية الآراء والافتراضات التي يراها في المسائل الدينية ٠ ولكن لا محل لذكره ذلك في خطبة على الجمهور او في كتب تنشر بين العامة

« والآن فانني فيما يختص بالاعتقاد بالوحي اعود الى رأيي الذي بسطته لك غير مرة يا عزيزي هولمن ولكثيرين غيرك ٠ فانني أعتقد بنوعين من الوحي مختلفين ٠ الواحد وحي مستمر وهو تاريخي بلا شك والثاني ديني محض لانه عبارة عن تمهيد لمجيء المسيح

« اما رأيي في الوحي الاول فهو دون اقل ريب ان الله يظهر دائماً في الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته ٠ فانه هو الذي « نفخ في الانسان روحه » اعني منحه شيئاً من ذاته اي

نفساً حية . وهو يراقب نمو الجنس البشري بعناية الاب ليحسّن احواله . وهو يظهر تارة في رجل عظيم هنا وطوراً في رجل آخر هناك سواء كان ذلك الرجل كاهناً او ملكاً وسواء كان بين الوثنيين او اليهود او المسيحيين

"ولقد كان (حمو ربي) من هؤلاء الرجال كما كان موسى وابرهيم وهوميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وجوت وكنت والامبراطور غليوم الكبير . فان الله اختارهم ورآهم اهلاً لان يعملوا بحسب ارادته اعمالاً عظيمة لا تفنى خدمة لامهم سواء كان ذلك في الحيز الروحي او في الحيز الزمني . وكثيراً ما كان جدي (غليوم الكبير) يقول انه لم يكن سوى آلة في يد الله

"فالله اذاً يرسل اعاظم الرجال للبشر ليستفيد هؤلاء من ثمار عقولهم ويكملوا نموهم ويتمكنوا من المسير في تيه هذه الحياة وطرقها المجهولة . ولا شك في ان الله ظهر في عدة اشخاص على ضروب مختلفة وذلك بحسب حالة الامة ودرجتها من الحضارة . ولا يزال يظهر حتى في عصرنا هذا

" اما النوع الثاني من الوحي وهو الوحي الديني المحض فهو الوحي الذي كانت نهايته ظهور المسيح . وهذا الوحي بدا يظهر منذ زمن ابرهيم ببطء ولكن بحكمة . ولولاه لقضيَ على الجنس البشري

" وبحسب هذا الوحي انمى نسل ابرهيم الايمان باله واحد وهو الايمان الذي كان من الضروري حفظه . وهذا النسل لم يستطع النهوض الاّ بمعونة الله له . وما زال حافظاً هذا الايمان من قرن الى قرن والحوادث يتلو بعضها بعضاً حتى ظهر المسيح وكان ظهوره اعظم ظهور ظهره الله في هذا العالم

"ذلك لان الله ظهر يومئذ في شخص الابن بشكل بشري . وهو مخلصنا . وهو الآن يملأنا حماسة ويدعونا الى اتباعه . واننا لنشعر بناره تحرق في داخلنا . ورحمته تعزّينا . وان كان غضبه يبنينا فان شفقته تحيينا . ومتى كنا متبعين وصاياه فاننا نقتحم كل شيء ولا نخاف شيئاً لا التعب ولا الاحتقار ولا الحزن ولا الفقر ولا الموت لاننا واثقون من النصر . وذلك لاننا نسمع منه الكلام الموحى به من الله وهذا الكلام يصدق دائماً

" هذا هو رأيي في هذه المسألة . فان (الكلمة) قد صارت عندنا نحن التابعين للكنيسة البروتستنتية بمنزلة كل شيء وذلك من فضل لوثر . ولقد كان على دليتش ان لا ينسى ما كان لوثرنا العظيم يعلمنا انشاده والنداء به وهو (يجب عليكم ان تبقوا على الكلمة)

"وعندي انه من البديهي ان التوراة تحتوي على عدة فصول من صنع تاريخي بشري محض وليست كلاماً موحى به من الله. وهذه الفصول هي عبارة عن تاريخ حوادث عديدة حدثت لشعب اسرائيل في حياته السياسية والدينية والادبية. مثال ذلك الفصل الذي ورد فيه ان الله اعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل. فانني اعتقد انه لا يمكن اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الا اعتباراً شعرياً رمزياً. لان موسى على الارجح قد نقل تلك الشرائع عن شرائع اقدم منها وربما كان اصلها مأخوذاً من كتاب شرائع (حمورابي) ثم اضافها الى شرائع امته وقواها بها. وربما قدر المؤرخ ان يجد اتصالا بين شرائع حمورابي صاحب ابرهيم الخليل وبين شرائع بني اسرائيل لفظاً ومعنى. ولكن ذلك لا يمنع قطعياً من الاعتقاد بان الله قد اوحى الى موسى وانه ظهر لبني اسرائيل بواسطته

" ولذلك ارى انه يجب على استاذنا الظريف ان يجتنب منذ الآن فصاعداً دخول المسائل الدينية في الخطب التي يتلوها في حضرتنا. ولكن له ان يبحث بكل حرية في عادات واديان البابليين وغيرهم من الشعوب الذين ورد ذكرهم في التوراة

"اما انا فانني استنتج مما تقدم النتائج التالية

ا) اؤمن باله واحد

ب) نحن الرجال لا غنى لنا لمعرفته عن شيء يمثل ارادته. واولادنا اشد حاجة منا الى ذلك

ت) ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة كما وصلتنا بالتقليد. واذا ظهرت اكتشافات اثرية تخالف بعض رواياتها فهذا لا شأن له كما انه اذا فقدت بها الشعب المختار (بنو اسرائيل) شيئاً من رونق تاريخه فلا اهمية لذلك ايضاً. ذلك لان روح التوراة تبقى سليمة مهما طرأ على ظاهرها. وهذه الروح هي: الله واعماله

"ان الدين لم يكن قط حادثاً علمياً ليختلف باختلاف العلم والتاريخ وانما هو فيضان من قلب الانسان ومن وجدانه بسبب علائقه مع الله

هذا وانني مع الشكر والثناء ابقى دائماً صديقك المخلص

غليوم

امبراطور وملك

وقد تناولت جميع الجرائد الالمانية هذا الكتاب واسهبت في شرحه وانتقاده ونشر الاستاذ هرنك الالماني الذي هو اليوم اشهر علماء البروتستنت في اوروبا وصديق حميم

الامبراطور غيليوم رأيه في هذه المسألة فدافع عن الاستاذ دليتش دون ان يخطئ الامبراطور فقال ان دليتش ذو فضل لانه كشف اموراً مجهولة وانه يجب ان يصرح بالحقيقة مهما كانت النتيجة

وقدروت جريدة برلنر تاجبلاط ان قداسة البابا لما اطلع على كتاب الامبراطور غيليوم وافق على مبادئه الاجمالية . وقال احد الكرادلة لمراسل هذه الجريدة في رومه « ان قداسة البابا والامبراطور متفقان في مسألة التوراة ايضاً »

***

﴿ الاعصر التاريخية والاعصر المجهولة ﴾ وعلى ذلك فلا يسع الباحث بعد كل ما تقدم الا ان يقف متأملاً مدهوشاً . وهو لا يدهش لكتاب الامبراطور غليوم الذي نقض فيه عصمة التوراة وخالف نصها الصريح وموافقة الحضرة البابوية على رأيه . لان المطلع على الحركة الفلسفية والاجتماعية والعلمية في هذا العصر لا يجهل ان عقلاء رجال الدين وقادة الامم قد تركوا الاصرار القديم وصاروا يلتمسون منافذ جديدة للتطبيق بين العلم والدين . واين المبدأ الذي وضعه الامبراطور غليوم هنا (الصفحة ٧٧ السطر ٤و٥) من المبداء الذي احرج الفيلسوف رنان عن الطريق التي رام سلوكها في شبابه . فان رنان لما كان راهباً وتعمق في درس اللغات الشرقية راى في التوراة بعض الاغلاط التاريخية فبطل اعتقاده بانها من وحي الله . واما الامبراطور غليوم فانه قد حل تلك المشكلة بكتابه هذا اذ قال ان الكتب كلها لا تسلم في تفاصيلها وجزئياتها من امور كهذه لانها كتبت بايدي بشر وان كانت سليمة منه في اجمالها وكلياتها

واما الذي يدهش الباحث في ما تقدم ثبوت ان التمدن البشري في الارض اقدم مما كان يظنه العلماء . ولا يزال الباحثون في بلاد الكلدان يعثرون في كل عام على آثار تثبت هذا الرأي . وقد قال المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية في هذا الموضوع ما خلاصته :

« اني اصدق ان حمورابي قد وضع هذه الشرائع بل انني اؤكده ولكنني اؤكد ايضاً ان كثيراً منها كان موضوعاً قبله . فان سارغون الاول ونارانين اللذين حكما مملكة بابل قد وضعا شرائع لتنظيم حالة المرأة في العائلة وتعيين مسئولية الاطباء والبنائين قبل ان احذ ذلك الملك الشيخ (حمورابي) شرائعه من فم الاله شماش نفسه (١) بالف وخمسمائة

---

(١) يقول حمورابي في شرائعه انه تلقاها من فم الاله شماش نفسه ولذلك صور نفسه يكتب والاله على عليه . وشماش باللغة البابلية الشمس . ولعل هذه الكلمة العربية منقولة عنها

سنة تقريباً . وفي هذا الزمن كان في مصر شرائع اخرى قيل ايضاً انها تلقتها من الاله اوزيريس وهي متناهية في القدم . ولا ريب ان هذه الشرائع المصرية قد نقلت ايضاً عن شرائع قبلها وهكذا الى ما شاء الله . واني ارجو ان اولادنا يتمكنون في المستقبل من اكتشاف اسرار تلك العصور القديمة والدخول في تاريخها . بل ارجو ان نقدر نحن انفسنا على ذلك فان هذا الامر لم يعد مستحيلاً لدينا كما كان منذ مائة سنة . ولما نتمكن من هذا الاكتشاف نضطر يومئذ الى الاعتراف بان حدود التمدن في الارض ابعد بكثير مما نظنه الآن وانه كان قبل التمدن البشري المعروف امم عاشت منظمة قبل عصر التاريخ بازمنة بعيدة »

***

﴿ بابل مضروبة وضاربة ﴾ هذا ونحن نختم هذا الفصل الذي طال كثيراً بالرجوع الى بابل تلك المدينة العظيمة التي كانت صاحبة هذه الشرائع والتي قامت في آسيا قديماً كلندن وباريز في اوربا في هذا الزمان . فنقرأ عنها بلذة واسف قول اشعيا الذي ينذرها بالخراب

((انزلي واجلسي على التراب ايتها العذراء ابنة بابل . اجلسي على الارض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين لانك لا تعودين تُدعين ناعمة ومترفهة . خذي الرحى واطحني دقيقاً . اجلسي صامتة وادخلي في الظلام يا ابنة الكلدانيين لانك لا تعودين تُدعين سيدة الممالك»

وقول ارميا

هاءنذا اوقظ على بابل وعلى من فيها ريحاً مهلكة . وارسل اليها مذرّين فيذرّونها ويُفرغون ارضها . اهربوا من وسط بابل وانجوا كل واحد بنفسه لا تهلكوا بذنبها لان هذا زمان انتقام . بابل كأس ذهب تُسكر كل الارض . من خمرها شربت الشعوب ومن اجل ذلك جُنت . سقطت بابل بغتة وتحطمت ولولوا عليها . داوينا بابل فلم تشفَ . دعوها ولنذهب كل واحد الى ارضه . ايتها الساكنة على مياه كثيرة الوافرة الخزائن قد اتت آخرتك . كف جبابرة بابل عن الحرب وجلسوا في الحصون . نضبت شجاعتهم . صاروا نساء . طلع البحر على بابل فتغطت بكثرة امواجه . صارت مدنها خراباً وارضها ناشفة قفراً لا يسكن فيه انسان ولا يعبر فيه ابن آدم »

هكذا كان بنو اسرائيل يضربون بابل وينذرونها بالخراب . ولقد صدقوا في انذارهم . ولكن يا للعدالة الابدية . ان بابل قامت اليوم تردّ اليهم ضرباتهم . واكتشافات شرائع حمورابي في هذا العام ضربة شديدة لضاربيها

مشاهير الغرب

ثلاثة امثلة

باري · لكونه · كينه

قلنا في الجزء السابق اننا نترجم في كل جزء رجلاً من مشاهير الشرق ورجلاً من مشاهير الغرب · وقد صدرنا باب المشاهير في هذا الجزء بالكلام عن « حمورابي » الذي اصبح بعد اليوم من اعاظم مشاهير الشرق · ولما اردنا الانتقال الى الغرب وجدنا اننا طالعنا في الجرائد الاخيرة شيئاً كثيراً عن ثلاثة من مشاهير الفرنسويين اشتغلت بذكرهم الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر · فرأينا من الفائدة تلخيص حياتهم الادبية لاتخاذها مثالاً لان كل واحد منهم يمثل مبدأً وله صورة ادبية خصوصية · وهذه هي الفائدة الحقيقية من كتابة تراجم المشاهير

﴿ غاستون باري ﴾ هو العالم الفرنسوي المشهور رئيس مدرسة كوليج ده فرنس واحد اعضاء الاكاذيمية وجمعية الآثار والآداب · ولد في سنة ١٨٣٩ في افني من اعمال فرنسا وتوفي في كان في ٦ مارس لهذا العام · وقد احتفل بجنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه العلماء والكبراء والوزراء وكان وزير المعارف الفرنسوية من جملة مؤبنيه

وصاحب الترجمة أشهر عالم بالادب الفرنسوي واللغة الفرنسوية خصوصاً ما كان منها مختصاً بالامور الوسطى · وقد تلقى دروسه الاولى في مدرسة روليين ثم انتقل الى كلية كوتنج وكلية بون الالمانيتين وبعد ذلك دخل مدرسة الشارت الفرنسوية ليتلقى فيها علم قراءة الآثار اللاتينية القديمة · ولما اتمَّ دروسه اكبَّ على التدريس · وكان ابوه روليين باري استاذاً في مدرسة كوليج ده فرانس فلم يلبث ابنه ان خلفهُ في هذا المنصب · وفي سنة ١٨٧٦ جُعل عضواً لجمعية الآثار والآداب وفي سنة ١٨٩٥ عين رئيساً لمدرسة كوليج ده فرانس وهو منصب عالٍ جداً وفي السنة التالية جُعل عضواً للاكاذيمية خلفاً للعلامة باستور

مؤلفاته — انقطع غاستون باري الى علم واحد وهو علم الادب الفرنسوي واللغة الفرنسوية في العصور الوسطى ولكنه مع ذلك كتب كثيراً في التاريخ والفلسفة لما لها من العلاقة بذلك

العلم . وهو الثقة الذي ابرز مخبئات الآداب الفرنسوية القديمة من زوايا الزمان . واشهر تآليفه الكتب الآتية : « تاريخ شارلمان . قصص شرقية في آداب الامة الفرنسوية في العصور الوسطى . اقدم آثار الامة الفرنسوية . درس في اللهجة اللاتينية الكائنة في اللغة الفرنسوية . ترجمة القديس الكسيس . اشعار القرون الوسطى » هذا فضلاً عن مساعدته في تأسيس المجلة الاقتصادية ومجلة رومانيا والمجلة التاريخية وجريدة العلماء التي عهد اليه المجمع العلمي قبيل وفاته اعادة نشرها

اخلاقه — كان غاستون باري عظيم الهامة شائخ الرأس بشعر طويل ولحية بيضاء مهيبة . وكان الادب العلمي واللطف والتساهل في اسمى منزلة عنده . وقد حدث عنه المركيز دي فوكوه فقال : كانت قاعته مجمعاً لاكابر العلماء والاعيان من كل الاحزاب حتى الحزب الملكي . فقد كان يلتقي فيها رنان وباستور وبرتلو والكونت دي مون زعيم الحزب الملكي في مجلس النواب والجنرال دي غاليفه وغيرهم عشرات . وكانوا اذا اجتمعوا بحثوا في كل شيء : في العلم والسياسة والفلسفة والادب مع ان آراءهم متناقضة في هذه المواضيع . ومع ذلك فقد كان بحثهم لطيفاً نزيهاً هادئاً شأن العقلاء والحكماء . ولم يكدر صفوهم الا مسألة دريفوس التي قسمت فرنسا قسمين . ولكن لما مرّت حادثة دريفوس عادت جروح تلك القاعة الى الالتئام . والآن بعد وفاة صاحبها صار اكثر من عشرين رجلاً كبيراً في باريز يتساءلون في ظهر يوم الاحد : اين نصرف وقتنا بعد الظهر في هذا النهار

حبه للحقيقة — وهذا هو الخلق الشديد الذي عُرف به . فانه في ٨ دسمبر من عام ١٨٧٠ قال في اول درس القاه في مدرسة كوليج دي فرانس ما نصه :

« اني اعتقد اشد اعتقاد ان العلم لا غرض له غير طلب « الحقيقة » وهو يطلب »
« الحقيقة لذاتها دون ان يهتم بالنتيجة التي تنتج عنها عند العمل بها كأن يسأل هل تكون »
« هذه النتيجة حسنة او غير حسنة . وعندي ان كل من ينصرف بالحقيقة قليلاً او كثيراً »
« عند بحثه في المباحث التي يبحث فيها والنتائج التي يستخرجها منها سواء كان ذلك التصرف »
« لسبب وطني او ديني او ادبي — لا يستحق ان يكون له مكان في معمل العلم العظيم الذي »
« يحتاج الى النزاهة والامانة اكثر مما يحتاج الى البراعة »

وقد القى الاستاذ باري هذا الكلام الدري ليعلم سامعوه انه لا ينطق الا بما يوحيه اليه ضميره من الصدق وان كان في ذلك ما يسوء . وقد بقيت هذه القاعدة الذهبية قاعدة اعماله كلها في جميع ادوار حياته . وكان كثيراً ما ينفق وقتاً طويلاً ويتعب تعباً شديداً

في تحقيق حرف او كلمة وردت في عبارة قديمة وذلك حفظاً لقاعدته المشهورة اي الاقتراب من الحقيقة المطلقة بقدر ما يمكن الاقتراب منها

اكثر الله في بلادنا مثل هذه الامانة والنزاهة والصدق والجرأة في التحقيق والتعبير وبسط الحقائق فاننا نحن معاشر الشرقيين في اشد حاجة الى هذه الصفات التي هي اخص صفات العلماء والكتّاب الحقيقيين

❋ ارنست لكوفه ❋ وكما تعلمنا من صاحب الترجمة السابق كيف تكون النزاهة والامانة وحب الحقيقة والتساهل والتسامح بين الاحزاب المختلفة والجد والعمل نتعلم من ترجمة "ارنست لكوفه" الذي توفي في هذا الشهر ايضاً كيف يستطيع الانسان اجتناب قصر العمر واطالة حياته الى حدها الطبيعي الذي هو مائة سنة كما قيل

ولد ارنست لكوفه في سنة ١٨٧٠ في باريز فكان عمره حين وفاته ٩٦ سنة . وهو « شيخ الاكاذمية الفرنسوية » اي اكبر اعضائها سناً . وقد كان ابوه جبرائيل لكوفه شاعراً وله ديوان عنوانه "قدر النساء" اشتهر منه بيت بليغ في اطراء جنس النساء وهو : "احثُ باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك" (١) — اما ابنه صاحب الترجمة فقد كان شاعراً ومؤلفاً للروايات التمثيلية والقصص وخطيباً ومنتقداً . وله عدة مؤلفات منها "فن المطالعة . وتذكارات ستين سنة . وحرب النساء . وبياتريس . وادريانه لكوفرور" وغيرها . وهو لم يشتهر بمؤلفاته اشتهاراً عظيماً وانما كانت شهرته مبنية على كبر سنه وعلى اخلاقه اللطيفة الهادئة التي انضجتها الشيخوخة

وقبل وفاته ببضعة ايام نشر احد الكتاب الباريزيين مقالة دعى فيها الكتّاب والعلماء وعامة الناس الى الاعتبار بصحة لكوفه وحثهم على سؤاله عن طرق معيشته التي اطالت حياته الى هذا الحد . ومما قاله هذا الكاتب ان السر في طول عمر لكوفه اقباله على ترويض جسمه دائماً . فقد كان احب شيء اليه اللعب بالسيف والمشي والسباحة والعمل وترك التعب الشديد عقلياً وبدنياً . اي الاعتدال في كل شيء . وقد بقي لكوفه في كل يوم يمارس لعب السيف الى آخر يوم من حياته على رغم كبر سنه . وكذلك كان شأنه في القلم ايضاً فانه في الاسبوع الذي توفي فيه نشر مقالة طويلة في جريدة الطان موضوعها لافونتين ونوع شعره . وقد وصلنا العدد الذي فيه هذه المقالة من باريز في نفس اليوم الذي نقل به

(١) اذا شاء احد الشعراء التقاط هذه الجوهرة ونظمها في بيتين او اربعة نشرنا ابياته مع الشكر

البرق نعيه . فاعجب لشيوخ لم همة الشباب ولكتاب يموتون والاقلام في ايديهم

وكان قبيل وفاته يقول : انني لا ارهب الموت ولكنني ارهب الطريق الموصلة اليه . يعني نزع الموت . في اليوم الذي توفي فيه قال لاهله امام طبيبه : لا تخافوا فاني انام. وفي الحقيقة انه نام نوماً ابدياً بلا نزع ولا اضطراب

وقد احتفل في باريز بجنازته احتفالاً كبيراً ولكن لم يؤبنه احد طبقاً لوصيته . و بوفاته هو وغاستون باري خلت كرسيان في الاكاذمية الفرنسوية وفرغ مكانان بين مشاهير الفرنسويين (١)

ادكار كينه والثالث ادكار كينه الشاعر والمؤرخ والفيلسوف الذي احتفلت الحكومة الفرنسوية في اول مارس لهذا العام بتذكار مرور مائة سنة على يوم مولده . وقد اقيمت هذه الحفلة في قاعة كلية السوربون برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية وتليت فيها عدة خطب منها خطبة لوزير المعارف المسيو شوميه

وادكار كينه شبيه بفكتور هيكو من حيث حب الجمهورية وبذله راحته من اجلها . فانه ولد في علم ١٨٠٣ ونشأ كاتباً وشاعراً ومؤرخاً . ولما اغتصب نابوليون الثالث الحكم واسقط الجمهورية الثانية كان كينه مع فكتور هيكو في جملة المذنبين . وقد آلى كينه على نفسه ان لا يعود الى فرنسا الا بعودة الحرية اليها اي بزوال الحكم الامبراطوري منها . وكان هو وفكتور هيكو اشد اعداء الامبراطور نابوليون الثالث . فلما سقط الامبراطور عاد كينه الى فرنسا واخذ يدعو الى تعليم الشعب تعليماً يمنع عودة مثل هذا الاستبداد والاغتصاب . وهنا ظهرت مزية كينه التي جعلت له بين مشاهير فرنسا مقاماً خصوصياً

فان هذا الرجل جعل همه توحيد كلمة الامة وتربيتها تربية ديموقراطية . وقد علم انه لا سبيل الى ذلك الا بالمدرسة التي لا دخل للمذاهب الدينية فيها . فصار يدعو الى فصل المدرسة عن الدين ليتعلم فيها ابناء العناصر المختلفة تعليماً واحداً . على انه لم يكن يقصد بذلك اهمال المبادىء الدينية المنزهة عن كل شائبة لانه كان من انصارها وانما كان ينبذ دناءة البشر الذين يتخذون الدين وسيلة للامور السياسية والاغراض الخصوصية . ولذلك لما اقترح فالو في شريعته المدرسية « جعل التعليم الابتدائي شاملاً للتعليم الادبي والديني » اقترح كينه ان يزاد على هذا النص ما يلي « دون ان تدخل فيه التعاليم المختصة بالمذاهب الدينية المختلفة »

«١» في الصحيفة السابقة السطر ١٠ (سنة ١٨٧٠) وصوابه سنة (١٨٠٧)

وهذه الخطة التي رسمها كينه هي الخطة التي تجري عليها فرنسا اليوم في مدارسها كلها. واما اكرمته حكومتها بهذا الاحتفال اعترافاً بما كان لهُ عليها من الجميل . وقد قال وزير المعارف الفرنسوية في ختام خطبته عنه في هذا الاحتفال ما نصه «كان غرضه ان ينبه الضمائر وينشىء في باطن كل انسان حرماً مقدساً يكون فيه الفكر حراً مطلقاً لا تصل القوة اليه ويكون العقل فيه حاكماً مع الحق . واذا انتصر الباطل في خارجه وجد في نفسه قوة على تقريعه»

وكانت وفاة كينه في سنة ١٨٧٥ فسار في مقدمة الجنازة فيكتور هيكو وغمبتا يحيط بهما الحزب الجمهوري في باريز . وابنه فيكتور هيكو وهنري بريسون وغيرهما

ولكينه موءلفات كثيرة منها «الروح الجديد . وتربية الشعب . والثورة» وهي افضلها. اما صفاته واخلاقه ففي غاية الصدق والنبالة والنزاهة . قال المسيو ديشان : وقد اضرَّت نزاهته هذه بسمعته الادبية . ذلك لان رصفاءه من المؤلفين كانوا لا يأْلون جهداً في طلب الشهرة والتزلف الى الكتاب ليحسنوا تقريظ موءلفاتهم واما كينه فانه كان يترفع عن ذلك ولذلك قلما كان الكُتاب يوفونه حقه . وكان كلما صدر كتاب للمؤرخ ميشله صديقه يهتف كينه في الجرائد هتاف الاعجاب والاستحسان فكان ذلك يزيد في مجد ميشله ولكن ميشله لم يكن يقابله بالمثل

ولما علمت حكومة رومانيا بعزم الحكومة الفرنسوية على اقامة ذلك الاحتفال تذكاراً لكينه بعثت الى سفيرها في باريز المسيو غرغوار شيكا تأْمره بان ينوب عنها في هذا الاحتفال . ذلك ان كينه كان من مساعدي رومانيا في حوادثها الماضية . وزوجته رومانية تزوج بها في منفاه . وقد خطب هذا السفير في الاحتفال فقال انه يصرّح بالنيابة عن دولته بفضل كينه عليها . وقد قرأ في هذه الخطبة نص الرسالة التي كان قد بعث بها وزير خارجية رومانيا الى كينه يبلغه فيها ما قررهُ مجلس النواب الروماني باجماع الآراء من اعتبار كينه وطنياً رومانياً . وقد كانت الاحزاب المتطرفة قد طلبت من الحكومة الفرنسوية قبل الاحتفال ان لا تشرك فيه رومانيا لاضطهادها الاسرائيليين في بلادها وكينه كان عدواً لكل اضطهاد وعلى الخصوص الاضطهاد الديني . غير ان الحكومة لم تصغِ اليهم وكان المسيو ديلكاسه وزير الخارجية يحادث السفير في اثناء الحفلة وقد حيّاه بلطف بعد خطبته

المقالات

نشر في هذا الباب كل ما يهم مطالعته من المقالات الفلسفية والطبية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

(تابع)

مبدأ الاحسان

ولا ريب ان المسيحية قد اقتبست من اليهودية قسماً مهماً من هذه الانشاءات العظيمة. فان كل طائفة من الطوائف اليهودية التي كانت متفرقة على شواطىء البحر المتوسط كانت عبارة عن كنيسة وفيها صندوق لمساعدة محتاجيها. ذلك ان الاحسان (الزكاة) كان قاعدة من القواعد اليهودية وقد اوصى به جميع حكمائهم. وكان يؤتى في الهيكل في اورشليم وفي المعابد في الاقاليم. وكان بمنزلة اول واجبات المؤمن. ولقد امتازت اليهودية في كل الازمنة بعنايتها بفقرائها عناية اخوية

وعلى ذلك فمن الظلم اعتبار المسيحية بمثابة توبيخ لليهودية لان كل ما كان في المسيحية الاصلية وارد على الاجمال من اليهودية. فاذا ادهشنا الاحسان المسيحي فانه يدهشنا بالنظر الى العالم الروماني لا الى العالم اليهودي. فان الهيئات الاجتماعية العالمية التي تقوم على قواعد العقل لا يمكن ان تنتج نتائج بديعة كتلك النتائج. ذلك ان شريعة كل هيئة كهذه الهيئة تكون مبنية على الحرية واحياناً على المساواة لا على الاخاء. اما الاحسان فمن حيث الحقوق لا يمكن ان يكون الزامياً لانه امر مختص بالافراد فقط. وكثيرون يرون فيه ما يوجب النفور منه فينفرون. هذا فضلاً عن ان انفاق الاموال العمومية على اصلاح حال الشعب هو عبارة عن عمل اشتراكي. وبناء على ذلك لا تصنع السياسة شيئاً اذا رأت رجلاً

يموت او كانت طبقات عديدة من الشعب تضعف وتنحط . وانما نقتصر على الاستنباء من ذلك فقط . وهي بذلك تدل على انه ليس من نظام مدني وسياسي الا مع الحرية . ولكن ما هي نتيجة هذه الحرية؟ نتيجتها ان الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر ان يربح شيئاً يموت جوعاً . وهذا امر قانوني . ولكن مما لا بدّ من التصريح به ان الفساد القانوني لا يقف في وجه طبيعة الاشياء . فان حاجات الطبقة التي هي اوفر الطبقات عدداً لا بد ان تقوى على غيرها . وحينئذ لا تعود الشرائع السياسية والمدنية كافية

الشرائع الاجتماعية والشرائع السياسية

فمن مجد الشعب اليهودي وفخره انه فهم هذا المبدأ واعلنه في الارض فكان به القضاء على الدول القديمة . وهذا المبدأ قد رسخ في الارض فلا يزول منها بعد الآن . ومما ساعد على ترسيخه ان شريعة اليهود كانت شريعة اجتماعية لا سياسية وانبياؤها دعاة اصلاحات اجتماعية لا اصلاحات سياسية . فان اليهود في النصف الاول من القرن الاول للميلاد لما وجدوا انفسهم بازاء الحقوق الرومانية وتمدنها الغريب كان لا مَّ لهم الا نبذ تلك الحقوق الكافرة الشاذة التي تساوي بين الجميع والنداء بان حقوقهم التيوقراتية خير الحقوق اذ هي وحدها تنشئ هيئة اجتماعية دينية ادبية . وكانت فكرتهم الكبرى ان « الشريعة » اليهودية هي التي تجعل الناس سعداء وقد صرّح بهذا كثيرون من حكمائهم منهم فيلون ويوسيفوس . اما شرائع الغير فانها تسهر فقط على اقامة العدل ولا تهمها سعادة الناس . فكانت المسيحية عبارة عن تتمة لهذه الفكرة . فان كل كنيسة فيها دير كبير لكل واحد من اهله ما للآخر فلا فقر ولا خبث وكل ما كان موجوداً فهو للكل والكل يراقبون الكل ويأمرون الكل . واذا رمنا تعريف المسيحية الاصلية امكننا ان نعرّفها بانها جمعية كبيرة للفقراء او حملة شديدة على الاثرة مبنية على ان كل واحد لا يجب ان يكون له شيء فوق حاجته لان الفضول تُعطى لمن لا يملك شيئاً . ومن هنا يظهر ما بين هذه الروح والروح الروماني من الاختلاف الذي يتنازعان بسببه نزاعاً للموت . ومن جهة اخرى لا تتمكن المسيحية من التسلط على العالم بعد ذلك الا بتغيير شيء من روحها هذه

نشوئة عن الاشتراك والانتظام

ولكن اذا كانت قد اضطرت الى تغيير شيء من هذه الروح فان حاجات هذه الروح ابدية لا تفنى . نعم ان هذه الروح قد تشوّهت قليلاً بما طرأ عليها في العصور الوسطى

ولكن العصور الحديثة قد ظلمتها بحملتها عليها حملة شديدة . فكأننا نسينا ان الانسان لم يذق اعظم الافراح الا في حالة الاجتماع . وتنازلنا لغيرنا عن هذا النشيد « ما احلى ان يسكن الاخوة معاً » . ولكن لما يثمر الاستفراد العصري ثماره الاخيرة . لما تصبح الانسانية صغيرة حزينة عاجزة بعد تجربتها هذه . لما يقوم اقسام الانسانية الاقوياء الطالبون للكمال والملتمسون اسمى مبادئه ويطردون بالسياط رجال مبادئنا الحاضرة — فيومئذٍ تعود الانسانية الى المجتمعات العظيمة والانتظامات القوية . يومئذٍ تُنظَّم شؤون كثير من الامور العظمى (والعلم في جملتها) على نظام الاديرة ويتوارثها اصحاب هذه الشؤون ارثاً لا دخل فيه للحم والدم . يومئذ تنقص الاهمية التي للعائلة في هذا الزمان . فان الاثرة التي هي شريعة اساسية للهيئة الاجتماعية المدنية لا تكفي النفوس الكبيرة . وكل هذه النفوس تُسرع من الجهات المتضادة وتتعاون على مقاومة مبادىء الشراهة الواطئة . ويومئذ يفهم الناس كلام يسوع حق فهمه ويفقهون افكار العصور الوسطى . انهم يفقهون حينئذ ما كان يعتقده اهل هذه العصور من ان الانسان اذا ملك شيئاً كان ملكه هذا نقيصة ويعرفون السبب الذي من اجله تنازع مؤسسو الاديرة قروناً طويلة ليعلموا هل ان يسوع ملك في حياته الاشياء الاعتيادية . وعلى ذلك تصبح هذه الامور الفرنسيسكانية الصغيرة مسائل اجتماعية عظيمة . ويُكتب يومئذ على باب فردوس الانسانية مبدا الكمال الذي تنبأ به كاتب « اعمال الرسل » وهو قوله « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن احد يقول ان شيئاً من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً ولذلك لم يكن فيهم احد محتاجاً . لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون باثمانها ويضعونها عند اقدام الرسل . فكان يُوزَّع على كل واحد منهم بقدر حاجته . وفي كل يوم كانوا يكسرون الخبز معاً بسلام وفرح وبساطة قلب »

المسيحية خارج اورشليم

ولكن لا نعجلن للوصول الى هذا الوقت فاننا الآن في السنة ٣٦ بعد الميلاد تقريباً . وكان طيباريوس قيصر مقيماً يومئذٍ في كبري وهو لا يدري بالخطر الكامن للامبراطورية الرومانية والذي كان يكبر شيئاً فشيئاً . فان الطائفة المسيحية نمت في سنتين او ثلاث نمواً غريباً حتى صار فوقها عدة الوف . وكان اليونانيون قد تكاثروا جداً حول الرسل حتى صار غالباً على الظن ان الوظيفة الاولى ستكون لهم . ولم يكن قد دخل يومئذٍ في الطائفة احد من الوثنيين اي الذين لا علاقة لهم بديانة اليهود ولكن في مقابلة ذلك دخل فيها

كثيرون من المستعمرات اليهودية التي كانت قائمة على شواطيء البحر المتوسط كقبرس وانطاكية وسيرينيا · اما مصر فلم يدخل منها احد في ذلك الوقت · وقد بقيت خارج الطائفة مدة طويلة ايضاً · ذلك انه كان بين يهود مصر ويهود فلسطين شيءٌ من الخلاف في المعتقدات · فكان يهود مصر يعيشون مستقلين عن اخوانهم يهود فلسطين دون ان يصلهم صدى الحركات الدينية التي كانت تختلج في نفوس هؤلاء

الفكر لا يُحارَب بالقوة

وقد كان مما لا بدَّ منه ان وعظ رجال هذه الطائفة ينبّه غضب الذين حكموا على يسوع بالموت · وكانت اسرة حنانيا الصدوقية لا تزال قابضة على زمام الرئاسة فكان يسوء رجالها وانصارها ان يروا اولئك التلامذة والرسل السذج الذين لا وظيفة رسمية لهم يكتسبون اميال الشعب اكثر منهم · فقبضوا على بطرس ويوحنا وغيرهما وسجنوهم وجلدوهم · وكان الجلد عقاباً للكافرين بالدين · ولم يكونوا يحتاجون الى اذن من الرومانيين لانفاذ هذا العقاب · على ان هذه الخشونة لم تكن الا لتزيد الرسل اصراراً في اعتقادهم · وقد قاموا من الجلد وخرجوا وهم مسرورون لانهم تعذبوا من اجل سيدهم · فما اجهل اولئك الذين يعتقدون ان الفكر يُحارَب بالقوة

على ان هذه الخشونة والشدة كانت صادرة عن الصدوقيين فقط · اما الفريسيون فقد برد غضبهم · وسبب ذلك ان الفريسيين انما كانوا مغتاظين من عظمة نفس يسوع ومن سهام التهكم التي كان يرشقهم بها · واما الرسل فقد كانوا اناساً انقياء لا عظمة في نفوسهم ولا تهكم في كلامهم · واحياناً كان الفريسيون يميلون اليهم · وبعضهم صار منهم ودخل في مذهبهم

استشهاد اسطفانوس

وكان بين الشمامسة شماس شديد الغيرة والحماسة يُدعى اسطفانوس · فهذا الشماس اثار غضباً عظيماً بسبب وعظه · فان الشعب على ما يظهر كان يُقبل عليه لسماع تعاليمه وكان ينشا بسبب ذلك خصام شديد بين الحاضرين · وكان يعظ بحماسة مثبتاً ان يسوع هو المسيح الذي كان ينتظره اليهود وان الكهنة جنوا جناية عظيمة بحكمهم عليه بالموت وان اليهود قوم ينكرون الامور الظاهرة كل الظهور وهم عصاة ابناء عصاة · فلما سمع الرؤساء بهذه الاقوال عزموا على اهلاك هذا الواعظ الشديد · فوضعوا له اناساً يسمعون كلامه ليلتقطوا

منه شيئاً ضد موسى . ولما عثروا على ذلك قبضوا على اسطفانوس وجاءوا به الى المجمع . وكانت التهمة التي اتهموه بها شبيهة بالتهمة التي اتهم بها يسوع . فانهم قالوا انه يزعم انَّ يسوع الناصري قادر على ان يهدم الهيكل ويغير ناموس موسى . فدافع اسطفانوس عن نفسه دفاعاً طويلاً مستشهداً بالناموس والزبور والانبياء وختم دفاعه بشكوى المجمع لانه حكم على يسوع بالموت فقال « يا قساة الرقاب . وغير المختونين بالقلوب والآذان . انتم دائماً تقاومون الروح القدس . كما كان اباؤكم كذلك انتم . أيّ الانبياء لم يضطهده اباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فانباءوا بمجيء البار الذي انتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . لقد اخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » (١) وعند هذه الكلمة صاح به الحاضرون بغضب فتحمس اسطفانوس اشد تحمس حتى كادت نفسه تطير شعاعا فشخص الى السماء فنظرت عيناه منظراً قال فيه « ها انا انظر السموات مفتوحة وابن الانسان قائماً عن يمين الله » فوضع حينئذٍ كل الحاضرين اصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا هذا الكلام ثم هجموا عليه وهم يحرقون الارم . فجروه الى خارج المدينة ورجموه بالحجارة . وكان في العادة ان الشهود يبدأون بالرجم فخلع الشهود ثيابهم ووضعوها عند قدمي شاب شديد التعصب يُدعى شاول او بولس (١) . وكان هذا الشاب قد وقف هنالك ليشترك في الرجم وهو مسرور لمشاركته في اهلاك رجل مجدف على الشريعة

الاستشهاد بين التساهل والتعصب

فلما رُجم اسطفانوس احدث قتله حزناً عظيماً في الطائفة فاحتفلت بدفنه وقد شاركها اليهود اليونانيون في هذا الاحتفال لانهم كانوا اقل تعصباً من اليهود العبرانيين . وبهذا المقتل انفتح سبيل الشهداء في الديانة المسيحية . وقد ادخل هذا المبدأ ـ مبدأ الاستشهاد في سبيل الايمان ـ مبدأ جديداً في الغرب كان في حاجة اليه . فانه كان بمثابة النداء ان الايمان قوة لا تعادلها قوة في الارض وان الدين واحد في العالم . غير اننا اذا نظرنا الى هذه المسألة من هذا الوجه وجدنا ان الاستشهاد بهذا المعنى انما هو بمثابة فتح سبيل التعصب . اذ في الامكان ان نقول ان الذي يبذل حياته من اجل ايمانه متى كان مغلوباً يكون غير

«١» قوله ترتيب ملائكة لاعتقادهم أن موسى اخذ شريعته على جبل سيناء من ملاك لا من العزة الالهية نفسها . وهذا موضع خلاف بينهم

«١» هو الذي صار بعد ذلك اشهر معلمي الكنيسة واعظم رسلها

متساهل متى صار غالباً . وكذلك كانت حالة الكنيسة . فانها اجتازت ثلاثة قرون والناس يضطهدونها حتى اذا ما تغلبت وانتصرت قامت تضطهد اضطهاداً عظيماً . ذلك ان الانسان اذا اراق دمه من اجل شيء نفيس فانه يميل بحكم الطبع الى اراقة دم غيره حفظاً لذلك الشيء النفيس الذي عانى في سبيله ما عانى متى رآه مهدداً

مصدر الآداب فلسفياً

لحضرة الكاتب الفاضل صموئيل افندي يني

الآداب روح المجتمع الانساني صحبت الانسان منذ وجوده الاول وارتقت بارتقائه في سلم الحضارة والعمران . وهي التي علمتها الاديان واوجبتها على الناس لانها سنة قدسية هبطت من السماء وهي التي ترامت للشارعين فسنوها وتجلت للشعراء فهاموا بوصفها ذلك قبل ان اتجهت صوبها اقلام الحكماء وقبل ان دخلت دائرة البحث الفلسفي

واذا التفتنا الى التاريخ انبأنا انه مرت على الآداب ثلاثة ادوار اكتسبت في خلالها من المبادىء السامية ما زاد في جلالها جلالاً وفي بهاء انوارها كمالاً . فالدور الاول من ادوارها الثلاثة سموه « الدور الرواقي » وهو مذهب فلسفي نشأ في القرن الرابع قبل المسيح في بلاد اليونان ومنها انتقل الى رومة عقيب فتح اغريقية فتهافت عليه اساطين علمائها سيما نوابغ الشارعين منها فبثوا من آدابه الشيء الكثير فياسنوا من القوانين وشرعوا من الاحكام . ثم جاء الدور الثاني دور المسيحية التي افاضت على الانسانية مبادىء حب الله والقريب . والدور الثالث القرن التاسع عشر وهو الذي كشف اللثام عن وجه الحرية على تعدد انواعها من دينية وسياسية وتجارية وصناعية ومدنية بحيث عرف الحق والواجب بمعناه وشعر الانسان بانه انسان .

ومنذ دخلت الآداب دائرة البحث الفلسفي اخذ الفلاسفة يبحثون في اصلها ومبدئها ويذهبون في ذلك مذاهب شتى . على انها ترجع في اختلافها الى ثلاثة مصادر اساسية تتفرع عنها مذاهب كثيرة . وتلك المصادر هي " العقل" و " الحس" و " العواطف " ونحن نذكر للقراء الالباء ما ارتآه اساطين الفلسفة في هذه المصادر الثلاثة على قدر ما نستطيع من الايجاز المطلوب في مثل هذا المقام

﴿ العقل ﴾

خُلق الانسان حرًّا لا يأتي عملاً عن غير قصدٍ وروية يؤيد هذا الكلام ويشهد بحقيقتهِ الحس الباطن كما يشهد الحس الظاهر بالمحسوسات . وليس ثمت من قوة على الارض تستطيع نزع تلك الخاصة المميزة للنوع الانساني التي بدونها لا وجود للآداب . اذ كيف نفرض على الانسان الواجبات او نلقي عليه تبعة اعمالهِ وهو ملزم فيما بيديه لا يفعل الاَّ مضطرًّا . وبدونها فالخير والشرّ والعدالة والظلم والفضيلة والرذيلة اسماء لا مسميات لها . ولا كان للعدالة ان تأخذ على يدِ الجاني ولا للقوم ان يكرموا فاضلاً لانه ما اجترم الذنب ولا اوتيت الفضيلة اختيارًا

ولا اخال هذه القضية تحتاج الى برهان فقد عرفها البشر واعتقدوها منذ انتظم لهم الاجتماع واستوى في معرفتها واعتقادها البرابرة على خشونتهم وشظف احوالهم والحضر على اعتلاء عمرانهم وسمو شأنهم . والا فلمَ وضعت المحاكم ؟ وسنت الشرائع ؟ وقامت مجالس الشورى ؟ ولمَ وجدت التضرعات والنصائح والتهديدات والمواعظ والاعتقاد العام بخلود النفس على اختلاف وجهاتها . أليس كل ذلك دليلاً قاطعاً على اعتقاد الامم بالحرية الادبية

واذا تقرر ذلك فاعلم ان الحرية في الانسان تجري على سنن ثابتة لا كما يظن البعض انها سائبة . اذ كل انسان سليم العقل لا يعمل عملاً الا عن قصدٍ وروية . وجملة القول ان الانسان يندفع الى الاعمال باسباب هي " الاهواء " و " المنفعة " و " الواجب "

الاهواء — واذا تأملنا الانسان في بدء كيانهِ قبل ان يستهدي بنور العقل نراه كثير الاميال وتلك الاميال تلعب به كما تلعب الرياح بفسائل النبات الهزيلة . الاَّ انه قد يعترض تلك الاميال من الموانع ما يحول دون مبتغاها فيحصل في النفس اثر ذلك حالة تسمى « انقباضاً » واذا لم يعترضها مانع وفازت بشهواتها حصلت في النفس حالة اخرى تُعرف بالانبساط او المسرة . وزد على ذلك انها تتوق الى كل ما يساعدها على اميالها وتنفر من كل ما يعاكسها في اهوائها فيتفرع عن ذلك سائر الاهواء من حب وبغض وخوف ورغبة

هذا اول مظاهر الانسان فانه ينشأ كما سبق الكلام الموبة بيد الاهواء تتصرف فيه على ما تشاء وليس ثم لقوى الادراك من يدٍ فعالة فيه لتكبح جماحها بل الحكم للهوى الاقوى المتسلطان وتنتشر فيجذب الارادة اليه وتسير طبق مرامهِ ويستمر على هذه الوتيرة الى ان تبدو طلائع العقل فيه فينتبه من غفلته ويتطلع الى حاله فيجد امياله في منتهى قواها ويدرك من نفسه انها بجملتها تتجه نحو غاية واحدة ألا وهي اشباع طبيعته الانسانية . الاَّ ان الملاحظة

والاختبار يرشدان عقلهُ الى انه يستحيل عليه اشباع طبيعته فيسعى الى آخر ما في الامكان من خيرها . ولا يقف العقل عند هذا الحد بل يدرك انه اذا لم يترك للقوى العاقلة سلطتها على الاهواء يتعذر على طبيعته الحصول على اعظم ما يمكن من خيرها وانه ما دامت قوى الادراك سائبة فالانسان عرضة لوسواس الاهواء فيخضع دائماً للهوى الاقوى المتسلطن حاليًا عليه . فينجم عن هذه الحالة ضرران الاول ان لا شيء سريع التغير والانقلاب كالاهواء . فالهوى الذي يتسلط اليوم لا يلبث ان يتبدل غداً بهوى آخر بحيث يتعذر على القوى العاقلة ابان تسيّد الاهواء تتبع اعمالها . ولهذا لا تنتج شيئًا هامًا . والامر الثاني انهُ يحدث في اغلب الاحايين ان الخير الذي يحصل للانسان من اشباع اهوائه قد يصدر عنه شرٌ كبير والشر الذي يحصل له من عدم اشباع اهوائه ينبعث عنه خير كبير . والخلاصة انه يدرك ان لا سبيل لحصول الخير الا باتخاذ العقل نبراساً يُستضاء به في سائر اعمال الحياة

المنفعة ـ بهذه الامور ينتقل الانسان الى الدور الثاني اي الى النظر في المنفعة وحسبانها حيث تمتاز المنفعة بالحسبان والتعقل عن الاهواء التي تسير ولا يد لقوى الادراك فيها

الواجب ـ اما الدور الثالث فهو دور الواجب او الخير وقد ضرب احد الكتبة البارعين مثلاً ليقرّبه من الافهام فقال : اني أُودعت سرًّا خطيرًا من وجل ابغضهُ شديدًا فاذا افشيتهُ يُقضى عليه فافوز بالمنافع الكثيرة . وكل ما حولي يهيئ لي سبيل الافشاء ويدفعني الى نكث عهده . ولا تبعة عليَّ في ذلك ولا مجال لتوقع الضرر في الحال والمآل . فما الذي يصدني عن الافشاء يا ترى ؟ ان في النفس قوة تحارب تلك النزعات وعقلاً يعترضني ويأمرني بكتم السرّ لانه شيء مقدس ويوحي اليَّ بان خيانة العهد جرم وحطة . فلمَ يجب بقائي امينًا على عهده ؟ أمجاراةً لعواطف طبيعتي الحساسة وقد حاربتها البواعث المعاكسة ؟ ام في الكتمان منفعتي مع ان في خيانة عهده المنافع الكثيرة . فبعد هذا اذا كتمت السرّ اكون كتمته لا رغبة في خيري الخاص انما لانه خير صرف . فارتفع بذلك من تصور خيري الذاتي الى تصور الخير لذاته . الى تصور الخير العام . الى تصور الخير المطلق

ولا ريب ان العقل يدرك مبدأ الخير ويتوق اليه بكليته لا بل ينحني امامه تعظيماً واجلالاً ويعرف انه مقدس واجب فيسديه احترام المحكوم لحاكمه ويتخذه شريعة سامية ابدية . وهو ولا غروَ طبيعي فيه ثابت وانكاره مكابرة ولئن تعذّر ادراك كنهه وتباعدت اقوال العلماء في تعريفه فلا يوجب ذلك امتناع وجوده فقد قصرَّ العلماء عن ادراك كنه الحياة وتباعدوا في تحديدها ومع ذلك لا يختلف في وجودها اثنان

اوما ترى الناس في كل مكان وزمان يفاخرون بفضائل الفضلاء ويتحدثون عن مبرات الاكارم . او ما تراهم يشمئزون من قبح اعمال زيد ويقرفون بكرًا لرذيلة ارتكبها . فما هي تلك القوة المودعة في نفس الانسان التي بها يحكم على حسن اعمال الناس او قبحها والتي توجب عليه اتباع سنن الآداب والفضيلة . ان هي الا قوة بديهية في نفسه روحانية صرفًا لا مستخرجة من مدركات الحس ولا حاصلة فيه من عوامل التربية ولا من نتاج الاحكام . انما التربية تزيدها نموًا والاحكام تذب عن حماها لتصون المجتمع الانساني من الاضرار والشرور

ولا ريب بان مبداء الخير موجود في كل انسان وليس في وسع الوسائل البشرية ايجاده او ملاشاته تمامًا لكن احوال التربية والبيئة يؤثران في شانه كثيرا . ذلك ما حمل البعض على القول بان الضمير او مبدأ الخير من نتاج التربية . على اننا لا ننكر ان للتربية يدًا في انماء تلك القوة واذكائها لكن لا قوة لها على تغيير طبيعة الانسان . وبالجملة ان شأن هذه القوى كشان سائر قوى الادراك عرضة للخمول والضعف وقابلة للازدهاء والتموّج للاحوال

على ان مبدأ الخير وما يفرضه من الواجب يولد فينا حالة تمتاز عما تولده الاهواء والمنفعة وانه كما يحدث ان الاهواء والمنفعة تدفعنا الى عمل واحد هكذا يحدث ايضًا ان تدفعنا المنفعة والبواعث الادبية الى سبيل واحد . الاَّ انه لا بد لها مع ذلك الاتفاق من شيء يميزها . ذلك بان مبدأ الخير توجب وتكون عامة وتلك تنصح وتكون خاصة . وان الفرق يزداد وضوحًا في الحوادث التي تليها . مثال ذلك اذا عمل الانسان خيرًا بملء ارادته غير متبع مسرة عواطفه فاننا نحكم ان هذا الرجل لجدير بالاعتبار والمكافأة . وعكس ذلك ان ارتكب الشر فاننا نحكم عليه بالاحتقار . ولهذا يكون الحكم بالاستحقاق وعدمه نتيجة لازمة للاعمال الانسانية التي مصدرها صورة الخير وهي لا تتبع الاعمال التي تصدر عن المنفعة والاهواء . واذا سعى الانسان وراء منفعةٍ وامتنع عليه الفوز بها فلا يخزه ضمير على خسرانها بيد انه اذا قعد عن الخير وتهاون في الحصول عليه فيه ضمير يخزه وخزًا شديدًا

وجملة القول ان الحكم بالاستحقاق وعدمه يحصل لنا ضرورةً عقيب افعال المنفعة والاهواء فهو ووخز الضمير ملازمان ابدًا للافعال الادبية التي مصدرها مبدأ الخير ومميزان له عن سائر الافعال

الحس

يُقصد بالحس هنا ما يرجع الى رفاهه ومنفعته ويُراد بالمنفعة ان فريقًا من الفلاسفة

حسبوها مصدراً للآداب فانكروا على الانسان حريته الادبية وقالوا انه ملتزم فيما يأتيه من الاعمال غير مختار ولا هو ذو ارادة حرة . وليس هذا التنازع الفلسفي بحديث النشأة انما هو قديم العهد منذ ايام الرواقيين والابيقوريين وقد اتصل بطائفة اليهود فاحتدم لاجله نار الجدال ما بين الصدوقيين والفريسيين

على ان اشهر الفلاسفة الذين ينفون الحرية الادبية الفيلسوف هوبس وقد قال في ذلك بما معناه : اذا كان الانسان لدى شيء من الاشياء تتنازع نفسه حالتان هما الرغبة فيه والرغبة عنه . وهذا التنازع يسمى « مشورة » حتى اذا انتهى التنازع بانتصار احدى الحالتين فيسمى الانتصار « ارادة » واذا كانت الارادة « قادرة » على انفاذ رغائبها وانفذتها سميت هذه « القدرة » حرية . بحيث يكون تعريف الحرية : عدم وجود موانع تجاه الارادة . وعلى هذا التعريف تكون الحرية سواء للعاقل ولغيره . فما يحسب منها للانسان يجوز نسبته للمهر ايضاً اذ كلاهما يفعلان اذا لم يجدا مانعاً يمنع هذا الفعل

وقال بخنر في كتابه القوة والمادة : ان الانسان وقواه العقلية والطبيعية هما ثمرة الطبيعة ونتاجها . ومما لا ريب فيه انها (اي الطبيعة) ليست فقط مصدر وجوده ولكنها ايضاً مصدر اعماله وارادته وعواطفه وافكاره . ثم عدد المؤثرات التي تفعل في الانسان وتكيف اخلاقه وشؤونه . فذكر منها الاستعداد الطبيعي والعقل والاميال والاخلاق التي تنتقل بالارث عن الآباء والاجداد والبيئة وهي الوسط الذي يعيش فيه والتعليم والتربية والقدوة والعوائد والاحوال السياسية والاجتماعية والاقليم والبلد الى غير ذلك من الاحوال العامة . ثم عطف الى بيان الاحوال الخاصة كالصحة والتغذية والغنى والفقر والتعاسة والسعادة وقال ان كل تلك الاحوال عامها وخاصها تؤثر في صفات الانسان شديداً بحيث لا تترك مكاناً فيه لحرية الارادة . ثم ايد كلامه بشواهد كثيرة منها ان القبائل النازلة جنوبي افريقيا تتباعد عن بعضها في الاخلاق والعوائد ومثلها القبائل الهندية الاميركية . وان ذلك التباعد حاصل من اختلاف الاقليم والبلد . وذكر مملكة الرومان في حالتيها الجمهورية والامبراطورية وافاض في الكلام عما كان من اختلاف اخلاق الشعب الروماني وتباينه في كل من الطورين تبعاً لاختلاف الاحوال السياسية والاجتماعية

وخلاصة اقوال الذين ينفون وجود الحرية الادبية ان الارادة تابعة للظروف والاحوال وان الانسان عبد للضرورة لا حر مختار

وهكذا اهل هذا المذهب ينفون بتاتاً وجود المبادىء الغريزية في الانسان ويقولون

ان كل مدركاته تحصل بواسطة الحس وما المبادىء الادبية الا نتاج التربية . وقد قال فولتير في قاموسه الفلسفي : لا وجود للمبادىء الغريزية وليس من شيء فطري في الانسان ولكن الله خلق فينا اعضاء قابلة للنمو والشعور بكل ما يحتاج اليه حفظ النوع وان كل تصوراتنا حاصلة فينا من الاشياء التي تقع تحت الحس واني لا الفظ ولا افهم كلمة اللاتناهي الا لاني قد رأيت من قبل شيئًا متناهيًا . وزاد عليه بحتر قوله : كل من بحث في شؤون الامم العريقة في البداوة لا يرى اثرًا للمبادىء الادبية فان بعض القبائل يرون من محكم التدبير ان يقتل الرجل اباه متى عجز عن العمل وصار شيخًا مقعدًا بين ان هذا العمل تحسبه الامم المتمدنة من افظع الشرور واشد الجرائم هولاً . على ان زعماء هذا المذهب واساطينه المحنكين بعد ان انكروا على الانسان حريته الادبية ومبادئه الفطرية قالوا ان المنفعة هي مصدر الاعمال الادبية وان لا وجود للخير والشر مجردين بل هما نسبيان . وبعبارة اخرى ليس للافعال قيمة ادبية في ذاتها ولكن قيمتها تكون بالقياس الى نفعها او ضررها بحيث ان لا شيء منها بذاته خير او شر . فما كان من الافعال نافع ونفعه عائد على الجمهور فهو خير وما كان منها مضرّ وضرره يرجع الى الجمهور فهو شر

ولما كان الانسان مدنيًا بالطبع ومدفوعًا بحكم الضرورة الى الاجتماع بغيره من ابناء نوعه وكان ذلك لا يأتي له الا بمراعاة ما تقوم به مصلحة الجمهور ومنفعتهم وانكار ما تتشوق اليه اهواؤه من ملذاتها واساءة غيرها — فُرض عليه ان يأخذ بما يعود بالنفع على ابناء نوعه ويبتعد عما يرجع بالضرر عليهم . فترتبت عليه الواجبات والحقوق بالتبادل ونشأت من ذلك المبادىء الادبية مبتدئة في العائلة ثم تدرجت الى القبيل والامة . على انه لا يمكن ان تقوم الآداب اولاً الا بطريقة التبادل كما سبق القول طبقًا لهذا المبداء الكريم: افعلوا بالناس ما تريدون ان يفعل الناس بكم »

واذا تتبعنا اصحاب هذا المذهب في اقوالهم عرفنا الآداب بانها احترام حقوق الناس بالتبادل على السواء وتوطيد سعادة المجتمع . فكل ما يقاوم او يهدم تلك السعادة وذاك الاحترام فهو شر وكل ما يوطد السعادة والاحترام المتبادل فهو خير . فالشر اذًا في عرفهم الغلو في حب الذات (الاثرة) المبني على مضرة الآخرين . على ان حب الذات صفة بديهية في الانسان ضرورية لحفظ نوعه وهي ولا ريب اذا سارت سيرها الطبيعي ولم يتطرق اليها الغلو ووفقت بين منفعتها ومنفعة الجمهور صدرت عنها اسمى مبادىء الآداب واجلها . والخلاصة ان زعماء هذا المذهب اجمعوا اليوم على ان المنفعة العامة مصدر الادب

﷽ العواطف ﷽

ولقد قام بعد هوبس زعيم النفعيين هتشسون وشهر حرباً عواناً على هاتيك الآراء وذهب الى ان البحث عن مصدر الآداب يجب ان يكون في العواطف وليس في العقل والحس . ثم جعل عواطف الانسان مبعث الفضائل والواجبات وشدّ ازره الحكيم حان جاك روسو فيما ارتآه حيث قال : ولد الانسان صالحاً نقياً وفيه عواطف فطرت على الخير تتجه اليه ان لم تصدها مفاسد المجتمع . واطلق على العواطف اسم الضمير . وزعم ان العقل يخدع الانسان اما الضمير فدليل النفس ومرشدها الى الحق والواجب ولا يخادعها في شيء

وما طال الامر حتى ظهر ادم سميث يدعم آراء استاده هتشسون ببراعة في البيان سودته زعامة هذا المذهب ولئن ادخل فيه شيئاً من التبديل بان جعل مكان نزاهة العواطف الانجذاب القلبي والنفور . ويقصد بالانجذاب القلبي مشاركة الناس بعضهم بعضاً بالانفعالات والمؤثرات و بتعريف اعمّ مشاركة جميع الكائنات الحاسة بكل مؤثراتها . فانا اذا شهدنا رجلاً وقد بدت منه عواطف كثيرة واهواء متعددة لا نلبث ان نتوق لتحديه في هاتيك الشؤون . والعقل والارادة بمعزل عن الحكم على العواطف . مثال ذلك اذا رأينا اماً تضم الى صدرها طفلها الصغير وقد ظهرت على وجهها دلائل الحنان والرأفة فلا بدّ لنا من مشاركتها في عواطفها وشعورنا بوجود حالة فينا شبيهة بحالتها . وهكذا تكون حالتنا ايضاً مع غير العاقل . فاذا رأينا عصفوراً يغرد طرباً ويثب من غصن الى آخر تنشأ فينا على اثر ذلك حالة من المسرة شبيهة بحالة العصفور . وهذه الخاصية للطبيعة الانسانية تسمى انجذاباً قلبياً . وبعد ان اسهب سميث في تبيان الانجذاب وتعريفه بسرد الامثال قال ان هذا الانجذاب فينا قويّ لا يُغلب ومن شأنه ان يدفعنا الى مشاركة الغير في مسراتهم واحزانهم وسائر انفعالاتهم النفسانية وان سبب كل فعل ادبي عاطفة النفس وليس للعقل قيمة في ذاته الا بقدر ما يستفز العاطفة من الانجذاب اليه او النفور عنه . فان جذبنا اليه كان حسناً وان نفرنا عنه كان قبيحاً . وانك اذا رأيت فعلاً حسناً جُذبتَ اليه وفي نفسك عاطفة الشكر للفاعل والرغبة في خيره والحكم له بالاستحقاق ويعكس الامر معك اذا رايتَ فعلاً قبيحاً فانك تنفر منه وفي نفسك عاطفة الامتهان للفاعل والرغبة في الاقتصاص منه . هذا هو مبدأ الاستحقاق وعدمه

ثم افترض ان رجلاً ابعدَ الى جزيرة مقفرة وقضيَ عليه ان يكون منفرداً بنفسه هناك لا يساكن انساناً ولا يعاشر مخلوقاً فيعيش ولا مبدأ ولا صورة في ذهنه للخير والشرّ والعدل

والظلم حيث لا ايحاء للنفس باشباه هذه المبادىء والصور ما لم ترَ اعمال الغير . فاننا لا نستدل في حكمنا الادبي من انفسنا على غيرنا بل من غيرنا على انفسنا . واذا لم يكن قد اتيح لنا من قبل ان نشاهد ونرى اعمال الغير فلا يتأتى لنا معرفة قيم الاعمال ولا ان نحكم على انفسنا في شيء . ولذلك قيل بوجوب اتحاد عواطف الانسان بعواطف غيره وان يتخذ من الاعمال ما تجذب اليه عواطف الآخرين

هذه خلاصة من اقوال من يجعل العواطف سبباً للآداب الا ان مبدأ الخير ولا مراء هو النظام الابدي والشريعة السامية والمبدا الكلي والقانون المطلق وهو ولا سواه المصدر الوحيد للافعال الادبية التي يترتب عليها سعادة المجتمع ورفاهه والاساس الوطيد لكل الفضائل السامية والاعمال الاثيلة التي تتفاخر بها الانسانية على مدى الايام

قلنا ان مبدأ الخير مبعث الاعمال الادبية ولا خلاف في ذلك . ايجوز في حكم العقل ان نجعل المنفعة مصدراً للآداب ومن خصائصها التبدل والاختصاص فتتغير بتغير الاحوال وتتكيف بتكيف الشؤون ولا تعرف التعميم والشمول فما ينفع الواحد يضر الآخر على حد قول القائل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ

فالجندي الباسل يتوق الى الحرب ويتطلع الى شبوب نارها حيث في ساحاتها الارتقاء السريع وبلوغ المراتب العالية بين ان التجار وارباب المهن يرون فيها الخسارة وكل الضرر . والاطباء يرومون كثرة المرضى لتدر عليهم الاموال وكذلك المحامون يسرهم خصام الناس وتنازعهم لينالوا الاصفر الرنان . وصاحب الملك تطيب نفسه لارتفاع قيم غلاته وآخرون يريدون هبوطها . فانى لنا جمع هذه المنافع المتباينة الى مبداء واحدٍ كلي شامل . وانى يجوز لنا حسبان المنفعة مصدراً للاعمال الادبية وشأنها كما رأيت التبدل والاختصاص وان لا تستقر على وتيرة واحدة حتى في الانسان ذاته . فان ما يراه اليوم نافعاً له لا يلبث حتى يراه في الغد مضراً فيستحيل والحالة هذه صدور الاعمال الادبية عن غير مبداء كلي ثابت . وما احسن ما قاله في هذا الصدد الفيلسوف جول سيمون في كتاب الواجبات قال ما معناه « لا تكون الحياة شيئاً اذا لم تكن ذات نظام ولا نظام اذا لم يكن مستمراً ونحن احرار وذلك يكفي ان الله لم يمنحنا الدقة من غير ان يضيء لنا نهجاً » . ومهما يكن من امر ذلك النظام فهو واحد لا يتغير في مجرى الحياة ولا يكون في انسان خلاف ما هو في الآخر . وهو واحد ايضاً في كل مكان وزمان وفي منعةٍ عن ان تمسه عواصف الاهواء

وعوضاً عن ان يكون وقتياً متقلقلاً فهو مستحكم راسخ ابدي »

على ان بين مبداء الخير والمنفعة تفاوتاً بيّناً وفارقاً كبيراً وهذا التباين بينهما عرفه البشر يوم خرجوا من البداوة وزلوا مرابع الحضارة · وحسبنا على ذلك دليلاً انهم منذ بدأوا يكتبون تواريخهم جعلوا يدونون فيها كل ما طرأ على مجتمعاتهم من الحوادث والشؤون وكل ما جال في اذهانهم من الخواطر والافكار · وانك اذا تصفحتها وجدتها ملآى بهذه الكلمات : الواجبات · الحق · العدل · المحبة · الرحمة · واشباهها من كل ما ينطوي تحت مبداء الخير ويدخل في دائرته فضلاً عن ان هذه الكلمات موجودة في جميع لغات العالم حديثها وقديمها بذات المعنى المراد منها اليوم كما انه يوجد ايضاً فيها كلمات بمعنى المنفعة · والاثرة · والاهواء · الاّ انهم لم ينزلوها منزلة الكلمات الاولى من النحلة والاعتبار وانما وضعوها في ذات الرتبة التي نضعها فيها اليوم وميزوها عن بعضها كما نميزها نحن تماماً · ولو لم يكن هذا الفارق موجوداً عندهم لاستحال على الاثينيين ان يفهموا كلام ارستيدس يوم خاطبهم قائلاً : ايها الاثينيون ثيموستكل ينصحكم ونصيحته تنطبق على منفعتكم لكنها تضاد العدل

واذا استنطقنا التاريخ قصَّ علينا ان عدداً كثيراً من الرجال الافاضل بلغوا المكانة العليا من اكرام مواطنيهم والسدة الشماء من اعتبار قومهم لا لشرف منبتهم وواسع ثروتهم وبسطة جاههم لكن لآداب باذخة وفضائل سامية · وكم في محفوظ التاريخ من باهر عن رجال الانسانية الذين لم تأخذهم في جانب الواجب منفعة ولم يشغلهم عنه هوىً بل افتدوا الواجب بدم كريم لا يباع ولا يُشرى · هاك سقراط يوم حكم عليه المجلس الاثيني بالقتل فانه رضي بالموت في سبيل الحق عن ان يخون ضميره فشرب السم الزعاف وراح شهيد الادب البحت · سلي عن شهداء المسيحية وما فعل بهم نيرون صاحب رومة وسواه من الظلمة العتاة وكيف سيقوا الى السجون ظلماً وعدواناً واخذوا بالسيف ودُفعوا لانياب الكواسر لتنهش اجسادهم وهم راضون يؤثرون العذاب على الجهر بغير ما يعتقدون · وكم رأينا من فئة ترفعت الى مقام الحق الاعلى فلم ترَ غير الحق والواجب وتلك الفئة لم تخلُ منها امة من الامم ولا مرَّ زمن على مكانٍ من الارض لم يكن حافلاً بغر كرام · وان كنتَ في ريب فسل التاريخ كم نشر في طياته عن الابطال الذين ذهبوا فداء اما عن وطنهم او حريتهم او العدل او الرحمة او الصداقة او اشباه هذه المبادىء الجليلة

فلتقل لنا المنفعة ما هي تلك القوة العظيمة المودعة في هاتيك النفوس الطاهرة التي ذهبت ضحيةً على مذبح الحق والواجب ؟ ولتقل لنا ايضاً ما الذي جعل رجال الانسانية وابطالها

النبلاء في اعلى مكان من احترام الناس واعتبارهم وما الذي خلد ذكرهم في الالسنة مقرونًا بالاعجاب والتجلة على ترامي الاحقاب ومر الاجيال ؟ هما نرى المنفعة قد تولاها العي وعراها الحصر ولبثت وستلبث صامتةً ليس فقط بازاء الوجدان الشخصي بل تجاه وجدان النوع الانساني المعلن في التاريخ

وما يُقال في المنفعة وبُعدها عن ان تكون مصدرًا للآداب يقال اكثر في العواطف لانها ابعد مسافة من محجة الصواب . على اننا لا نحتاج في دحضها للادلة الكثيرة لانه بمجرّد النظر في طبيعتها يتضح للباحث عدم اقتدارها لان تكون اساسًا للصواب والحق . ذلك لان من خصائص الاميال والاهواء التغير والاختلاف وانها اذا تُركت لذاتها قام التنازع بينها وصيرت الانسان في حالةٍ لا يستطيع معها الجزم في امرٍ . ومن صفاتها المميزة لها ان تكون شخصية وتابعة لاحوال الزمان والمكان والجنس والمزاج . فهل يصحُّ في الافهام حسبان العواطف وهي على الشكل المذكور بديلاً من مبداء كلي مطلق راسخ

واغرب من ذلك ما ذهب اليه سميث في معرفة الخير والشرّ والاستحقاق وعدمه مما مرَّ بنا الكلام عليه . فكل منا يعرف ان الانسان اذا اراد الحكم على فعلٍ ادبي بعدلٍ مقرون بالتدقيق وجب عليه ان يتنزه عن كل ميل ويتجرّد من كل عاطفةٍ حتى يصدر حكمه مطابقًا للعدل والصواب . فكيف يجوز والحالة هذه ان نتخذ عواطفنا حكمًا في الافعال ومميزًا بين صالحها وطالحها

هذه لمعة من آراء جهابذة الفلاسفة في مصدر الآداب ذكرناها اختصارًا . على ان من تتبع الاسهاب في كلامهم وامعن النظر في ادلتهم الكثيرة يرى ان مذهب القائلين بمبداء الخير (او الضمير او الواجب) اقرب من غيره الى الصواب . والله اعلم

اقتراحات الجامعة

الاحلام وصدقها — المداهنة والمداراة

رأينا في كثيرين من القراء والادباء ميلاً الى الكتابة في الجامعة وقد كثرت لدينا رسائلهم في مواضيع مختلفة فكنا نضطر الى ان نضرب صفحاً عن نشرها لانه لا يمكننا ان ننشر في الجامعة الا ما نرى وجوب نشره فيها . ولكننا رغبة في ارضاء محبي الكتابة وجدنا طريقة تحل هذه المشكلة التي تكون في بعض الاحيان مشكلة حقيقية . **وهي ان تعين المجلة نفسها المواضيع التي تقبل الرسائل فيها بطريقة اقتراحات تقترحها**

وهناك امر آخر وهو ان بعض الادباء والقراء **يروقهم كثيراً باب الاسئلة والاجوبة** وقد طلبوا ذلك غير مرة . ووردنا في هذا الشهر اربع رسائل يطلب اصحابها فتح هذا الباب في الجامعة . فرأينا ان نجيبهم الى ذلك ايضاً . وسنعود الى فتح هذا الباب في الجزء القادم

اما اقتراحات هذا الجزء فهي ما اقترحناه في الجزء السابق بشأن « صدق الاحلام » « والمداراة والمداهنة في الاجتماع » وهما مبحثان اقرب الى الفكاهة منهما الى الفائدة . وقد وردتنا اجوبة عديدة ننشر بعضها

١

الاحلام وصدقها

حضرة الفاضل منشيء مجلة الجامعة

قرأت في باب الاخبار العلمية من العدد الاخير من الجامعة ما كتبتموه عن الاحلام وقد اقترحتم على قرائها ان يرسلوا اليكم كل ما يعرفونه عن صدق الاحلام . فها انا اورد للجامعة ما سمعته من امي عن بعض احلام رأتها وصدقت ولو اني لست من مشتركي الجامعة بل احد العشرة الذين يلتفون حول المشترك ليقرؤا الجزء . قالت امي . انها لما كانت في سن الشباب كانت ترى الزائرين في الحلم قبل زيارتهم للمنزل فكانت تنظف البيت وترتبه استعداداً لهم وقد كانت احلامها دائماً تتحقق . منها انها حلمت مرة انها واقفة داخل حمام وبلاط الحمام حامٍ للغاية فاحترقت قدماها من حرارته ثم احست ان رأسها احترق ايضاً

وكان لهيب النار يخرج منه . فوضعت يدها على رأسها وصرخت لعدم استطاعتها احتمال هذه الحرارة . وقد استفسرت بعض العارفين بتفسير الاحلام فاخبرها بقرب وفاة زوجها . ولم تمض مدة حتى تحقق هذا الحلم . فكأن العناية الالهية قبل وقوع المصائب على بني البشر تخبرهم عنها بواسطة الاحلام حتى يستعدوا لها ويحتملوا جزءًا من المصاب قبل وقوعه والجزء الاخير عند وقوعه . ليت شعري هل ابخرة المعدة وتصورات الخيال تأتي باحلام كهذه الاحلام . اننا نعرف ان رأس المرأة هو رجلها وامي رأت رأسها يشتعل باللهيب الخارج منه واستدل المفسر من ذلك على قرب وفاة زوجها فصدق . او هل رؤية الزائرين قبل اتيانهم الى المنزل وتحقق ذلك في اليقظة تأتيه ابخرة المعدة وتصورات الخيال . ان ذلك اكبر دليل على صدق الاحلام وان تحت ذيلها علمًا واسعًا يحتاج الى البحث والتدقيق . ولعلنا نصل يومًا الى هذا العلم

اما اعتقادي في الاحلام فهو ان الله بحكمته الازلية قد وضع للبشر واسطة يعرّفهم بها ارادته سواء كانت ارادته فعل شيء او وقوع مصيبة . وهذه الواسطة هي الاحلام . ثم اذا سئلت وكيف تقدر تفسر هذه الاحلام لتعرف ارادته عزّ وجلّ فاجيب نفسرها بواسطة مقارنة الحلم مع الاحوال . مثال ذلك اذا حلم انسان انه وجد خاتمًا فيراقب الاحوال التي تحدث ويكتبها في مذكرة معه فربما تكون احدى هذه الاحوال حضوره عرسًا . ثم اذا حلم بالخاتم مرة ثانية وحضر عرسًا ايضًا فيتأكد ان رؤية الخاتم تنبيء بحدوث عرس . وبهذه الطريقة يمكننا تفسيرها . هذا واني لا اريد ان يفوت الجامعة معرفة ما كان يكسبني اعتقادي هذا من اللذة في بعض الاوقات فقد سبق وقلت انني اعتقد انها الواسطة لمعرفة ارادة الله . عادًا بها يعرف الانسان اشياء عن مستقبله . فتراني في بعض الاوقات عند ذهابي الى الفراش والقاء رأسي على الوسادة اتلذذ كثيرًا ويمتليء قلبي فرحًا لافتكاري باني ساحلم احلامًا تريني ارادة الله واشياء عن مستقبلي . هذا هو اعتقادي بالاحلام وهذه هي اللذة التي اكسبني اياها اعتقادي . واني اظن ان كل من يعتقد اعتقادي ينتظر ان يعمّ هذا الاعتقاد حتى يصير عالمنا الارضي اشد ارتباطًا بالعالم السماوي وبموجده الاقدس بواسطة معرفة ارادته

الاسكندرية جبران صفره

حضرة الفاضل منشيء الجامعة الغراء

اقترحتم في العدد الماضي على القراء ان يرسلوا للجامعة كل ما يعرفونه من قبيل صدق

الاحلام « سواء كانوا هم الذين راوها ام كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم » وقد جال في خاطري ان ارسل للجامعة شيئًا من ذلك على سبيل الفكاهة فاقول

اخبرني صديق لي ذات يوم بينما كنا نتحدث في موضوع (صدق الاحلام وكذبها) قال : قالت لي امي في يوم ما حلمت حلمًا لم ازل اردده في سري بخوف وارتياب وقصته عليَّ فقالت : رأيت على حائط البيت رفًا عاليًا قليلاً ثم نظرت فوجدت على الرف ثلاث بكرات من الخيط الابيض كل واحدة منهن اكبر من الاخرى فمددت يدي لاخذهن فمسكت البكرة الكبرى وكانت هي الاولى ثم مددت يدي ثانية فاخذت البكرة الوسطى وكانت تليها ثم تطاولت لاخذ البكرة الثالثة وكانت تليهما فلم اتمكن من اخذها وقد حاولت مرارًا فلم اتمكن واخيرًا امسكت بطرف خيط البكرة وجعلت اسحبه قليلاً حتى انقطع ففزعت من ذلك وقمت من نومي مرعوبة استغفر الله . قال الصديق وكنا ثلاثة اخوة فلم يمض زمن قليل حتى مرض اخي الاصغر ومات . اقول ذلك وانا متأكد صدق الاحلام ان لم يكن كلها فبعضها وان لم يظهر صدقها في الحال ففي الاستقبال

طنطا راوٍ

حضرة الفاضل منشئ مجلة الجامعة

اقترحتم في العدد الاول من السنة الرابعة للجامعة البهية على حضرات قرائها الكرام ان يرسلوا اليها كل ما يعرفونه من قبيل صحة الاحلام سواء كانت حدثت لهم او لاحد اصدقائهم وقد حدا بي اقتراحكم هذا الى ان ابعث للجامعة بالحلم الآتي تفكهة . فاقول

حلمتُ في احدى الليالي ان احد اصحابي دعاني الى ليلة انس في منزله فلبيتُ الدعوة شاكرًا . ولما ذهبت الى منزله جلست مع الجالسين . ومن عادتي اني لا ادخل منزلاً الاَّ وارفع طربوشي عن رأسي واضعه امامي . وبعد ان استقرَّ بي المقام رفعتُ الطربوش ووضعته امامي ومكثت جالسًا الى انتهاء السهرة . وبعد ان خرج المدعوون نهضت على الاثر طالبًا للخروج . فصافحت الداعي بعد ان شكرته على دعوته اياي وذهبتُ توا حيث كنت جالسًا لاتناول طربوشي واذهب . ولكني لم اجد طربوشي . فصرت اخطر في منزل الداعي ذهابًا وايابًا فما كنت اهتدي اليه . وبعد ان اعياني التفتيش والانتظار معًا صحت في وجه صاحب المنزل : اين طربوشي . اريد طربوشي . فما شعرتُ الاَّ وابن اخي يقول لي : قم ياعماه . صارت الساعة الثامنة . فانتبهت من النوم مذعورًا وقلت له : اين الطربوش .

فاجابني ان اخي اخذه وتوجه الى المدرسة . وهنا لا اقدر ان اصف عظيم الدهشة التي اعترتني عندما سمعت هذه الكلمة

الاسكندرية توفيق

حضرة الفاضل منشىء الجامعة

لست ممن يصدقون الاحلام ولكنني مع ذلك تعروني الدهشة من بعضها وارى فيها رمزاً الى الحياة . وانا اروي حلمين من هذا القبيل واضمن صدق الرواية . من ذلك ان تاجراً كان يشتغل بتجارة فابتاع شيئاً كثيراً من البضائع وفي آخر يوم من الاستبضاع خطر له وهو على فراش النوم ان يعرف المبلغ الذي انفقه والقيمة التي بقيت معه . ولكنه كان نعسان فقال في نفسه انني اعمل هذا الحساب في الصباح . في الصباح انتبه من النوم وهو يفتكر انه بقي معه ٢٧ جنيهاً . ثم قوي فكره هذا فقام الى صندوقه وعدّ المال الباقي معه فوجده ٢٧ جنيهاً تماماً

وقد قص هذا الحلم على احد اصدقائه فاجابه ان القوة العاقلة في دماغه احصت في الليل على غير علم منه قيمة المال الذي انفقه على شراء البضائع وطرحته من رأسماله واستخرجت الباقي . فهذا اذاً حلمٌ معقول طبيعي . وكثيرون من الرياضيين والعلماء يجدون في الرقاد حلّ المسائل والمشاكل التي ينامون وهم يفكرون فيها . حتى ان بعضهم قد ينهض من فراشه ويكتب ذلك الحلّ ثم ينام . وفي الصباح ينهض دون ان يذكر شيئاً مما جرى لو لم يرَ الحلّ على مائدته

والحلم الثاني ان صديقاً خارج مصر في اثناء حدوث الهواء الاصفر فيها كتب اليه يقول له : نظرتك امس في الحلم مرشوقاً بسهم قوي فاصابك دون ان يضرك . فما تفسير هذا . وكان هذا الصديق المرشوق بالسهم قد اصابه في نفس ذلك اليوم تقريباً اسهال شديد الزمه الفراش وخيف ان يتحول الى كوليرا ولم يذهب الا بدواء الكوليرا نفسه

وانني لست ممن يستحسنون الخوض في هذا البحث لانه يزيد اعتقاد الناس بصحة الاحلام وهذا امر يضرهم لانهم كثيراً ما يعملون بموجبها فيكونون كأنهم يضعون زمام حياتهم في ايدي خيالات الليل . ولا ريب عندي ان هذا الامر غير مقصور على البسطاء بل هو يتناول جميع الناس من بعض الوجوه . مثال ذلك ان زيداً صديق لبكر . في احدى الليالي يحلم ان بكراً اوقع فيه اذية شديدة لا تدوم معها صداقة مهما كانت قوية وخالصة .

فينزعج زيد اشد انزعاج . وهو ينهض من النوم ويرى بكرًا صديقه ويعلم ان تلك الاذية لا وجود لها ومع ذلك كله يبقى في نفسه شيء من النفور من بكر . فكأن الصداقة القديمة قد خُدشت من احد جوانبها . وهذا كله من اجل حلم . فلا ريب ان العلم اذا تمكن في المستقبل من جعل الانسان يحلم احلامًا محبّبة او احلامًا مكرّهة فانه يقبض بذلك على عواطف الانسان ويوجهها حينئذٍ حيث يريد . ولا يعود الحب والنفور امرين طبيعيين واضطراريين في بعض الاحيان بل يصيران امرين صناعيين

وبناء على ذلك فقد تحوّلت الآن مسألة الاحلام عن وجهها . فلم يعد البحث في صدقها ومحتها فان هذا حديث خرافة ولكن صار البحث في تأثيرها على عواطف الانسان وهذا امر لا ينكره انسان

الاسكندرية — احد القراء

٢

المداهنة والمداراة

اما الاقتراح الثاني « المداهنة والتمليق والتزلف والمداراة » فنكتفي منه برسالتين اولاها لحضرة الشاعر الناثر صاحب التوقيع وهذا نصها

« لا شيء ابغض الى نفس المرء واثقل على طبعه مهما كانت مرتبته من القحة من اظهار غير ما يضمر واعلان نقيض ما يسر . فالتملق وما جرى مجراه ليس بالسهل على النفس الى حد ان تتصاغر معه امام الوجدان والحقيقة وتخالف باستشعاره ما رسخ فيها من اعتقاد وثبت من يقين . فالمتزلف على ما اصطلح القوم (او المتملق او المداهن) انما يأتي هذه النقائص مدفوعًا اليها بما يراه من تكلفها بجلب ما يسرّهُ من خير ودفع ما يسوءه من شرّ وضير . وقد تسامحوا في الكذب اذا انجى من مكروه وهو اشدّ آفات الفضيلة واعدى اعدائها وحسبك من تقبيح الكذب والحطّ من قدر الكاذب انهُ قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (أيكون المؤمن جبانًا قال نعم قيل أفيكون بخيلاً قال نعم قيل أفيكون كذابًا قال لا) وقال صلى الله عليه وسلم (ان الكذب يهدي الى الفجور وان الرجل ليكذب — اي مرة بعد مرة — حتى يُكتب عند الله كذابًا)

وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يابني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه وانما يدل على عيبه . ويتعرض للعقاب من ربه . فالآثام له عادة . والاخبار عنه متضادّة . ان قال حقًا لم يُصدّق . وان اراد خيرًا لم يوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله . والدال على فضيحته بمقاله . فما صحّ من صدقه نُسب الى غيره . وما صحّ من كذب غيره نُسب اليه

تسامحوا في الكذب وهذا مكانه من الضعة ومحل المهانة اذا خيف ان يجرّ الصدق شرًّا او يجلب ضرًّا وهذا الراجز يقول

ورقّع الخرق بلطفٍ واجتهدْ وامكر اذا لم ينفع الصدق وكدْ

وانك لو قلت له كيف عميَ عليك وجه الصواب فوضعتَ المكر موضع الكذب وما هما من الاضداد لقال ما بي من خطاه ولكني كرهت ذكر هذه النقيصة التي لايستعذب ذكرها اللسان ولا يسيغ اسمها ذوق انسان · فيا عجبًا للناس يستعظمون القول ويستصغرون الفعل · واشد من هذا ما قاله بعد

الشهم من يُصلح امر نفسهِ ولو بقتل خله او عرسهِ

فانْ من يقصد قلع ضرسهِ لم يعتمد الاّ صلاح نفسهِ

و يا لله من ذلك الصلاح المعكوس · ماذا يجب ان يُقال عن هذا الراجز وقد وضع ارجوزته لتهذيب الاخلاق وتقويم الطباع · وظن انها من اكرم واشرف وسائل الاستفادة والانتفاع · مَن احق باللوم هو ام الحريري الذي اخذ عليه بعض كتّاب العصر قوله في احدى مقاماته

عشْ بالخداع فانتَ في دهرٍ بنوه كاُسد بيشه

وأدِرْ قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه

واظن ذلك الآخذ او المؤاخذ لو وجد في المجال سعة لزاد في الحطّ من قدر صاحب المقامات بايراد قوله :

ياليتَ شعري أدهري احاطَ علمًا بقدري

وهل درى كنه غوري في الخدع ام ليس يدري

كمْ قد قمرت بنيهِ بحيلتي وبمكري

وكمْ برزت بعرفٍ عليهم وبنكرِ

اصطاد قومًا بوعظٍ وآخرين بشعرِ

الى ان يقول :

ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري

لخابَ قِدحي وقدحي ودامَ عسري وخسري

لاي شيء نلوم الحريري اذا قال اكثر من هذا وهو انما وضع مقاماته في قالب خيالي وفكاهي معًا ومثل هذا المقال انما جاء على لسان (بطل المقامات) المعروف الذي طالما عنفه

الحريري لتوحي هذا المسلك وانتهاج ذلك السبيل . أمن الانصاف ان تذكر للحريري تلك المساوىء الخيالية ونغمض الجفن عن مثل قوله في نفس المقامات

واذا مطلبٌ كسا حلة العا ر فبُعداً لمن يروم نجازه
ومتى اهتزّ للدناءة نكسٌ عافَ طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنى ركوب الجنازه

لا جرم ان الراجز احقُّ بالملامة وأولى بالمعتبة . على انا لو تدبرنا الامر رأينا انهُ قد جرى على سنّة العقلاء فامر بما يستطاع رجاء ان يُطاع ــ نقول ذلك عنهُ ونعلم انهُ لو نُعت فنوقش الحساب على قوله لما اجابنا بغير هذا الجواب ولا عمد الى سواه في دفع اللوم او العتاب . على انا ندعهُ في حفرته آمناً مطمئناً ونقبل على ما كنا فيه فنقول ان التملق والمداهنة من ضروريات هذا الاجتماع الذي يخطىء من يقول انه قائم على اساس الحقيقة او دعامة الفضيلة اذ لو كان كذلك لما كان للناس من حاجة الى تينك الخلتين الذميمتين ورحم الله القائل :

ظهرَ الكذب في الورى والنفاقُ فلسوق النفاق فيهم نفاقُ

ولقد يحضرنا الشيء الكثير من اقوال المتقدمين التي تجول فيها روح التملق والمداهنة وزعموا انها في معنى المداراة والمسالمة فمن ذلك قول بعضهم

كنْ مع الناس كيف كانوا ووافقْ انّ من لا يوافق الناس مائقْ

اي روح يرى القارىء في هذا البيت وأيُّ حكم يطلق عليهِ بل بأي عين ينظر الى قول الآخر

من يحمد الناسَ يحمدوه والناسُ من عابهم يُعابُ

أليس في ذلك صورة من صور المداهنة المرذولة ؟ بل أليس هذا القول مبدأها المتين واساسها المكين . ومثله قول الشاعر

عظّم الناس تنل تعظيمهم واجتنب تحقيرهم فهو الردى

ما معنى هذا التعظيم المطلق والانذار المخيف . وايُّ علاقة بين المداراة وهذا القول الملقى على عاهنه . كيف اعظّم من لا ارى التعظيم من حقه . واي نفع لي في ان يعظمني من لا يعرف معنى العظمة الحقيقية التي لا تصدر الاّ عن الفضيلة ولا تكون حقاً لغير الفضلاء . ألم يكن يكفي القوم في الحضّ على المداراة ما قال قائلهم واصاب

اصبر على خلق من تعاشره ودارهِ فاللبيب من دارى

لا ندري ماهذا الخلط من الناس (وما اشبه المتقدمين بالمتأخرين) بين المداراة والمداهنة على شدة تنافيها واختلاف امريهما . ومتى صحّ ان يكون الحزم والنفاق سيين . وحسن الرأي والغش اخوين . لا احسبني في حاجة الى ايراد ما قيل في النفاق والغش من اقوال الانبياء والحكماء ولا ما جاء في المداراة والمسالمة . وكفى ان اذكر عن الشطر الثاني قول النبي العربي صلى الله عليه وسلم « أُمرت بمداراة الناس كما امرت باداء الفرائض » . وقد رأيت العلامة الطرطوشي يقول في كتابه سراج الملوك (من دارى سلم ، ومن داهن اثم ،) وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون الى ان يقول « واعلم انه اذا سقمت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة « ان توافق الناس على وجه يذهب فيه دينك » والمداراة « مخالفتهم على وجه يسلم معه دينك » ـ هكذا يقول هذا العلامة وهو قول من الصواب بمكان ويجيئني في المداراة والمصانعة قول احد الاعراب

اكاشر اقواماً على سرّ بغضة ... واضحك في وجه العدوّ المكاشر

اريه كذا كم ما اريه واتقي ... به في غدٍ خوف الجدود العواثر

كلانا يرى ان ليس في الصدر ريبة ... على حنق بين الشرا سيف واغر

وكيفما كان الفرق بين المداراة والمداهنة فان كلمة الحق مُرة في الاذواق ثقيلة على الاسماع وقد كان يقال : من قلّ صدقه قلّ صديقه . اما الان فقد انعكست الحال فاصبح الصدق مجلبة العداوة ومدرجة الجفاء والقطيعة . فمن لك في الناس بمن ان قلت له اخطأت عمد الى اصلاح خطأه شاكراً لك صنيعك . من لك بمن يرى الصديق والصداقة بعين ذلك القائل .

صاحب صديقك ما بدالك نصحه ... فاذا ارابك غشه فتحوّل

من لك بمن يفهم ان النصيحة روح الصداقة وان الغش من حقه ان يكون داعية العداوة ولقد كنت في عهد حداثتي الوم العلامة الطويراني لقوله في رسائله (النسر الدهري)

واني ان اداهن او اداجي ... فتلك سجية البشر الوضيع

بها قامت مصالح كل حيٍّ ... فتمّ نظام عالمنا البديع

اما اليوم فلا لوم اذ وضح السبيل وبدا الدليل . وان من يريد انتزاع تلك النقائص من النفوس لكمن يقاوم الطبيعة ويدافع الاقدار واني لاسمع المعرّي يناديه من جانب حفرته ببعض ما يؤثر من حكمته

اردت تهذيب هذا الخلق من دنس ... والله ما شآء للاقوام تهذيبا

الدلنجات ... احمد محرم

وهذه الرسالة الثانية

« اذا كان الغرض من اقتراح الجامعة معرفة هل يمكن ان يعيش الانسان من غير مداهنة وتزلف وتمليق فالجواب سهل . وهو نعم ان ذلك ممكن . وهذا امر لا ينكره احد . ولكن اذا كان الغرض معرفة هل يعيش الانسان في هذه الحياة « وينجح » فيها من غير تزلف ولا مداهنة وتمليق فقد صار الجواب عن ذلك صعباً

اني ارى ان فوق مبداء النجاح في الارض مبدأ ين اشرف واسمى . وهما مبدأ الادب المحض ومبدأ الاصلاح في الارض . وهذا المبدأ (الاصلاح) لو بني على التزلف والتمليق والمداهنة والمداراة لما رسخ في الارض شيء نافع ولما قدر الرسل والانبياء ان يصنعوا شيئاً . فالجنس البشري في الارض اذا كان يتقدم ويسير الى امام فانما يتقدم باصحاب المبادىء الذين يعملون بمبادئهم حرفاً ومعنى دون ان يتساهلوا فيها . اما التمليق والمداهنة والمداراة والتزلف فهي مما يسهّل معاملات البشر ويجرّ لهم المنافع ولكنه لا يقدّم الافكار والعقول خطوة واحدة

وليس المراد بذلك ان يتصلّب كل صاحب مبداء في مبداءه ويحمل سيفاً ليدافع به عنه . فان هذا يدعى خشونة وقلة ادب لا فضيلة وادباً . وانما المقصود ان لا يتساهل صاحب المبداء في شيء من مبادئه ويبقى مع ذلك هادئاً راسخاً باشاً مسالماً لان المبادىء لا يليق بها غير الهدوء والرسوخ والبشاشة والمسالمة . وهذا هو التساهل الذي يشير به الحكماء لا التنازل عن المبداء او ستره او انكاره طلباً للفائدة

وبناء على ذلك يكون الحد الذي يمكن للانسان التساهل عنده ولا سيما في معترك الحياة ومزاحماتها هو جعل مصلحة غيره مقياساً لتساهله لا مصلحة نفسه . اي انه اذا وجب عليه ان يداري دارى لا طلباً لنفعه الخاص بل فراراً من ان يسيء الى سواه . والبعد بين الامرين كالبعد بين الارض والسماء » « مشترك »

✻ **اقتراحات للجزء القادم** ✻ هذا ما نشرناه في اقتراحات هذا الجزء اما الاقتراحات التي تقبل الجامعة الرسائل فيها للجزء القادم فهي التالية « هل يصير التعليم مجانياً الزامياً لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل . وكم هي المدة اللازمة لذلك . وهل يفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان التعليم على الطريقة الحاضرة . واذا كان التعليم محتاجاً الى اصلاح فما هي اهم وجوه هذا الاصلاح » ــ ولا يخفى ما لهذا الموضوع من الاهمية ليس في مصر فقط بل في جميع بلاد الشرق

السماء والارض والانسان

رأي جديد غريب لرفيق درون

من المشهور ان رجال الدين في اوربا وفي كل مكان قد قاوموا الاعتقاد بكروية الارض ودورانها مقاومة شديدة . ولم تكن تلك المقاومة منهم عن جهل اوعن مقاومة للعلم بل عن خوف من ان يهدم هذا الاعتقاد شيئاً من معتقدات البسطاء ويجرّ الانسان الى التصاغر والسئآمة من الحياة . فقد كان من الشائع في الزمن القديم (دينياً وفلكياً) ان الارض هذه هي مركز الكائنات وان الكون كله قد خُلق من اجلها ومن اجل الانسان ساكنها . وهذا الانسان هو سيد المخلوقات وسلطانها لانه ارقاها كلها . واما الاعتقاد بكروية الارض ودورانها حول الشمس فانه يجعل هذا العالم بمثابة قبضة من التراب سابحة في الفضاء مع ملايين غيرها من قبضات اكبر منها والانسان يعيش عليها كالديدان على برتقالة في شجرة . وعلى ذلك لا يعود للخالق سبحانه وتعالى عناية خصوصية بهذا الانسان وبارضه اد مثله ومثلها كثير في الفضاء الابدي . هذا فضلاً عن ان الحياة والعالم يصغران حينئذٍ في عيني الانسان العاقل ويرى كل شيء كبير في هذه الارض صغيراً حقيراً بالنسبة الى عوالم الابدية التي يراها فوق راسه في قبة السماء كانها نقط صفراء في صحيفة زرقاء

وكما ان كتاب كوبرنيك الذي ظهر في عام ١٥٤٣ قد احدث انقلاباً عظيماً في علم الفلك لانه اثبت ان ارضنا هذه ليست مركزاً للعالم بل هي سيارة تدور حول الشمس كسائر السيارات فان المستر ارثر ولس العالم الطبيعي الانكليزي يرى اليوم رأياً جديداً سيحدث انقلاباً عظيماً في هذا الشأن اذا كان صحيحاً

﴿ مقام صاحب الرأي ﴾ وقد نشر المستر ولس رأيه هذا في « فورتنيتلي رفيو » وهي مجلة انكليزية من افضل المجلات وعنوان مقالته فيها « مرتبة الانسان من الكون » ولكن قبل ان نلخص رأيه يجب ان نذكر شيئاً عن هذا العالِم للدلالة على مقامه العلمي في قومه

كان المستر ولس رفيقاً لدرون العالم الطبيعي المشهور وهو واضع مبداء « تنازع البقاء » وسابق دروين الى مبداء « الارتقاء والتحوّل والاختيار الطبيعي » . ولذلك نادرة لا يخلو ذكرها من فائدة . فان درون صرف عشرين سنة وهو يبحث في هذا المبداء حتى اثبته

فلما اطلع السير دافيد ليل عليه حثه على نشره بين العلماء · فاخذ دروين يشتغل بكتابه · في ١٨ يونيو من عام ١٨٥٨ بينما كان دروين قد فرغ من نصف عمله ورده كراس من المستر ولس مقرون بكتاب منه يسأله فيه ان يطالع هذا الكراس واذا وافق على ما فيه فليدفعه الى السر دافيد ليل ليطبع وينشر · وكان دروين لم يلتق بالمستر ولس الأ مرة واحدة · وكان عمر المستر ولس يومئذ ٣٥ سنة وعمر دروين ٥٠ سنة · فطالع دروين هذا الكراس فوجد ان مؤلفه قد اثبت فيه ذات المبداء الذي مرّ عليه هو عشرون سنة وهو يبحث فيه · فاتفقا حينئذ ونشرا مبداءهما في مقالة واحدة وقعا عليها معاً · وكان اكتشاف دروين نتيجة بحث طويل وصبر شديد لانه لم يتوصل اليه الا بعد التنقيب والملاحظة عشرين سنة · وكان اكتشاف ولس نتيجة وحي عقلي وقد كتبه في ثلاث ليالٍ · وهذا خير مثال لنوعيّ العقل البشري في النوابغ ودليل لا ينقض على صحة توارد الخواطر · ولكن لا عجب في هذا التوارد لان كلاً من دروين وولس قد انتبه الى هذا المبداء من مطالعته كتاب ملتوس الاقتصادي الانكليزي في الشعوب والقبائل

﴿ الرأي ﴾ هذا هو المستر ولس صاحب الرأي الجديد الذي نحن الآن في صدده · وهو اليوم شيخ جليل في نحو الثمانين من عمره · وبعد هذا الايضاح ننتقل الى رأيه

واذا كان رأيه السابق في التحوّل والارتقاء الحيواني قد صدم الكتب الدينية صدمة شديدة لانه يرجع اصل الانسان الى الحيوان فان رأيه الجديد يؤيد الكتب الدينية تأييداً يسرّ به اهل المذاهب والاديان · ذلك انه يقول اننا نحن الآن ساكنون على الارض في مركز الكون كله خلافاً لاعتقاد العلماء بأننا ذرة طائرة في الفضاء مثل باقي الذرات · فمرتبتنا في الخليقة مرتبة مستثناة ممتازة وربما لم يكن في فضاء الابدية كله حالة كحالتنا · وفضلاً عن ذلك فانه يعتقد ان الغرض من وجود كل هذه العوالم والاجرام الواسعة هو ايجاد نفوس حية في ابدان البشر الفانية وترقية هذه النفوس

ولكن بماذا يؤيد المؤلف اعتقاده باننا في مركز الكون ؟

يؤيد اعتقاده بادلة فلكية واليك خلاصتها

يقول ان عدد النجوم التي تكتشف فذاخذ بالتناقص مع ان النظارات المكبرة تزداد اتقاناً شيئاً فشيئاً · فهذا دليل على ان عدد النجوم الغير المنظورة اقل مما يظنه العلماء · وان الفضاء السماوي المجهول يكاد يكون خالياً · وزد على ذلك ان صور السماء الفوتوغرافية ونواميس

النور وتجارب المستر نيوكومب فيها — كلها تدل على ان الشموس عددها محدود في الفضاء

وقد ثبت لدينا ان هذه النجوم ليست كلها ثوابت فان لاكثرها ان لم نقل كلها «حركة ذاتية» . وليس اقرب هذه النجوم الينا اشدها سطعاناً واشراقاً كما هو الشائع بل اقربها الينا تلك التي حركتها الذاتية اسرع من حركة غيرها في نظرنا

وهذه النجوم التي هي اقرب النجوم الينا ليست تجتمعة في جانب واحد في الفضاء على جوانب المجرّة (طريق التبانه عند العوام) او في جانب آخر بل هي منتشرة في جميع انحاء الفضاء السماوي . وهي منتشرة هذا الانتشار بشكل كروي اذ لو لم يكن شكلها كروياً لما كان لانتشارها ما له من الانتظام . ومرتبة الارض من هذه النجوم القريبة منا هي في الوسط اي اننا نحن في وسط مجموعها الكروي

ثم ان المجرّة (طريق التبانة) تشرف على اكثرية النجوم في الفضاء لان هذه النجوم متجمعة على جوانبها . وقد اقام هرشل الدليل على ان هذه المجرّة هي عبارة عن دائرة في الفضاء بالنظر الينا . فنحن «يجب» ان نكون في وسط هذه الدائرة ولولا ذلك لما امكننا ان نرى انها دائرة . فنحن اذاً والنظام الشمسي في وسط مجموع النجوم القريبة منا . وهذا المجموع الكروي هو وايانا في وسط دائرة المجرة وحواليها النجوم المختلفة . وبناء على ذلك نكون نحن في وسط الكون وما وراء تلك الحدود خلاء وفضاء لا شيء فيه

ثم ان مرتبة الارض من النظام الشمسي مرتبة ممتازة ايضاً وهي المرتبة المتوسطة التي يمكن وجود الحياة فيها . فعلى ذلك يكون الانسان غرض هذه الاكوان كلها ولا يكون للحياة اثر في غير هذه الارض

هذا هو رأي المستر ولس الجديد الذي اقام اهل العلم واقعدهم في هذين الشهرين . وهو رأي جميل لانه يعيد الى الانسان كبرياءه وعظمته البشرية وان كان يحرمه لذة الامل في ان يكون له في العوالم السماوية اخوان من بني الانسان ارقى من اناسية الارض وابعد منها عن الشرور والمصائب المختلفة

ابن ملك في شوارع مصر

(قصة)

زارت مصر في هذه الاثناء احدى ملكات اوروبا وبعد ان شاهدت مع ولديها الآثار المصرية الفخيمة والمباني الجميلة عادت من سياحتها في النيل مرتاحة الى ما رأته من عظمة مصر الماضية وتقدمها الحالي في حلبة العمران شيئاً فشيئاً . ولكن احد ولديها قال لها بعد عودتها : لقد بهرتْ عيني يا اماه مما شاهدتُ من محاسن مصر وآثارها العظيمة . وانا مسرور من هذه السياحة . ولكني لا اكتمكِ انني لا احسب نفسي شاهدت كل ما اريد مشاهدته في مصر الا اذا نزلت الى شوارع مدنها وطفت بنفسي بين احيائها لارى الحياة الحقيقية فيها . فان ما رأيناه اكثره من ظواهر مصر خصوصاً مصر الماضية

وليس يُستكثر على ابناء الملوك ايًّا كان سنهم ان يلاحظوا هذه الملاحظة المهمة فان عقولهم منذ الصغر تُدرَّب تدريباً خصوصياً لتعدَّ لوظيفتها الخطيرة . فاذنت لفيكتور امه في ما سألها اياه لانها رأت سؤاله حقاً . وودت لو ان نظام وظيفتها يسمح لها بان تصنع صنعه اي ان تخرق ولو ساعةً ذلك الجدار الكثيف الذي يفصلها عن بني الانسان ويضعها في مرتبة هي ارفع منهم كثيراً ولكنها بعيدة عنهم كثيراً

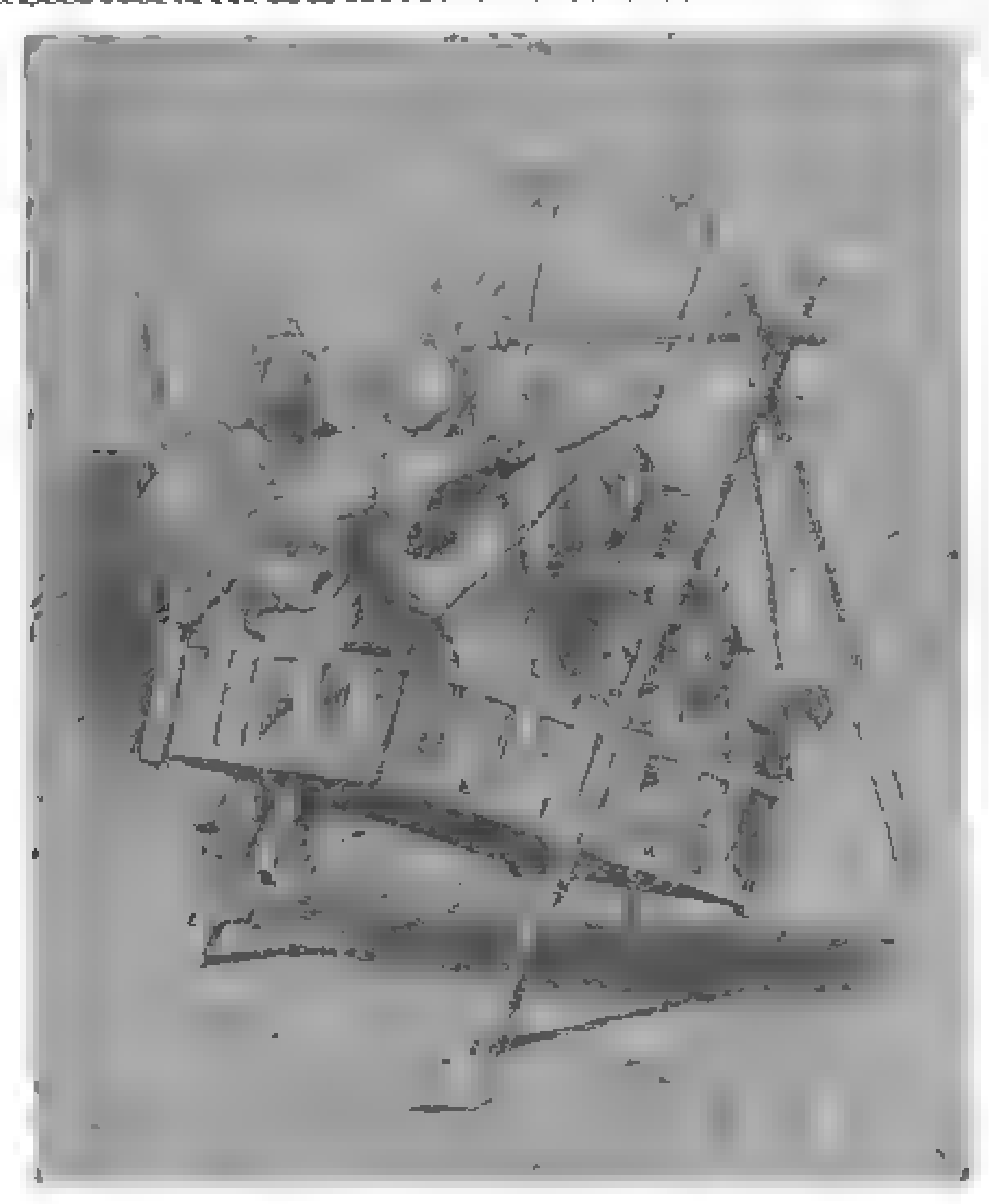
فاصطحب الصبي فيكتور رفيقاً من حاشية امه وترجماناً من اهل البلاد وخرج الى الشوارع متنكراً كعامة الناس . فزار القهاوي الكبيرة التي هي في النهار مجتمع الكسالى وفي الليل مجتمع الذين يترددون اليها يطلبون فيها التسلي وقطع الوقت عبثاً بدلاً من صرفه بهدوء وفائدة في وسط عائلتهم . وتفرَّج في مسيره بمشاهدة الشوارع الواسعة والمخازن الجميلة اللامعة تقف عليها المركبات . والحدائق الغناء تحيط بالمنازل فتحسّن الهواء بما ينبعث منها . والمركبات تمر مرَّ البرق تروح خفافاً وتعود ثقالاً . احياناً فيها الرجال ولوائح اشتغال البال على وجوههم مما يدل على انهم مسرعون الى اشغالهم . واحياناً فيها السيدات ولوائح اللطف وفراغ البال مرسومة على جباههن وفي افواههن ابتسامات جميلة يوزعن منها بلا قصد على طول الشارع كبستانيات ينثرن في طريقهن ورداً غضاً . وبين اولئك وهؤلاء شعب نشيط عامل في حركة دائمة كانه البحر الخضم وهو يروح ويجيء في حوائجه . كأنهم ممثلون مختلفو الهيئات والملابس والازياء يمثلون في ملعب الحياة رواية من الروايات

وبعد ان مرّت على فكتور ساعات وهو يشهد آثار المدينة اجمالاً وتفصيلاً تعب فقصد مع رفيقه احدى القهاوي الكبيرة التي على طريقه وجلسا فيها . ولم يستقر بهم المقام حتى احاط بهم مساحو الاحذية من كل صوب وهم بين كهول وشبان وصبيان . فنظر الفتى الى



حتى احاط بهم مساحو الاحذية من كل صوب «صفحة ١١٢ سطر ٢»

ما حوله مستغرباً وسأل الترجمان ماذا يريد هؤلاء . ولم يخطر في بال فكتور انهم فوضويون يقصدون به شرّاً لانه كان يعرف ان نزاهة الشعب المصري وانطباعه على المسالمة ارفع من ان تخرج من احشائه آفة كتلك الآفة . هذا فضلاً عن ان الآلات التي في ايديهم كانت متشابهة وهي عبارة عن صندوق صغير من الخشب «وفورشة» يضربون بها عليه . ولكن الترجمان ازال حيرته بقوله انهم يطلبون مسح الاحذية . فضحك الصبي وقال نحن هنا ثلاثة وهم اكثر من عشرة . ثم انه تناول من جيبه عدة غروش والقاها اليهم من بعيد . فتصوّر ما قام بينهم من النزاع والضرب والزحام للحصول عليها



ذلك انه شاهد امامه في ساحة صغيرة ارجوحة منصوبة « صفحة ١١٥ سطر ٦ »

وبعد ان ضحك فكتور من هذا المشهد قليلاً نهض مع رفيقه وهو يقول لها . عندنا لا نحتاج الى من يمسحون الاحذية لان في منعطف كل شارع تقريباً آلة ميكانيكية للمسح . فكل من يدفع فيها قطعة معلومة من النقود ويبقي قدمه عليها تشرع في مسح حذائه كابرع الماسحين . واذا لم يضع فيها شيئاً لا تتحرك ابداً . فضحك الترجمان من هذا الاختراع الغريب . فاردف الامير بقوله . وليس لي على هؤلاء البشر الا اعتراض واحد وهو انني نظرت بينهم رجالاً اشداء اقوياء اذا ربطوا في شجرة وجذبوا اقتلعوا تلك الشجرة من قوتهم . فهل يحسن بمن هذه قوته ان يتولى مسح الاحذية . ولماذا لا يتركون هذه الصناعة الهينة للصبيان والضعفاء . فهمّ الترجمان بان يجاوبه بخبره بان المحافظة كانت قد عزمت على ذلك ولكن الجمعية الارمنية وبعض وجوه الارمن توسطوا فيه وارجعوها عنه لان كثيرين من قومهم الكهول يحترفون هذه الحرفة ولكن رفيق الامير بادره بقوله بلغته وما صنع بنداء حرية



ماذا يقول بائع السوس ينادي على بضاعته «صفحة ١١٥ سطر ١٠»

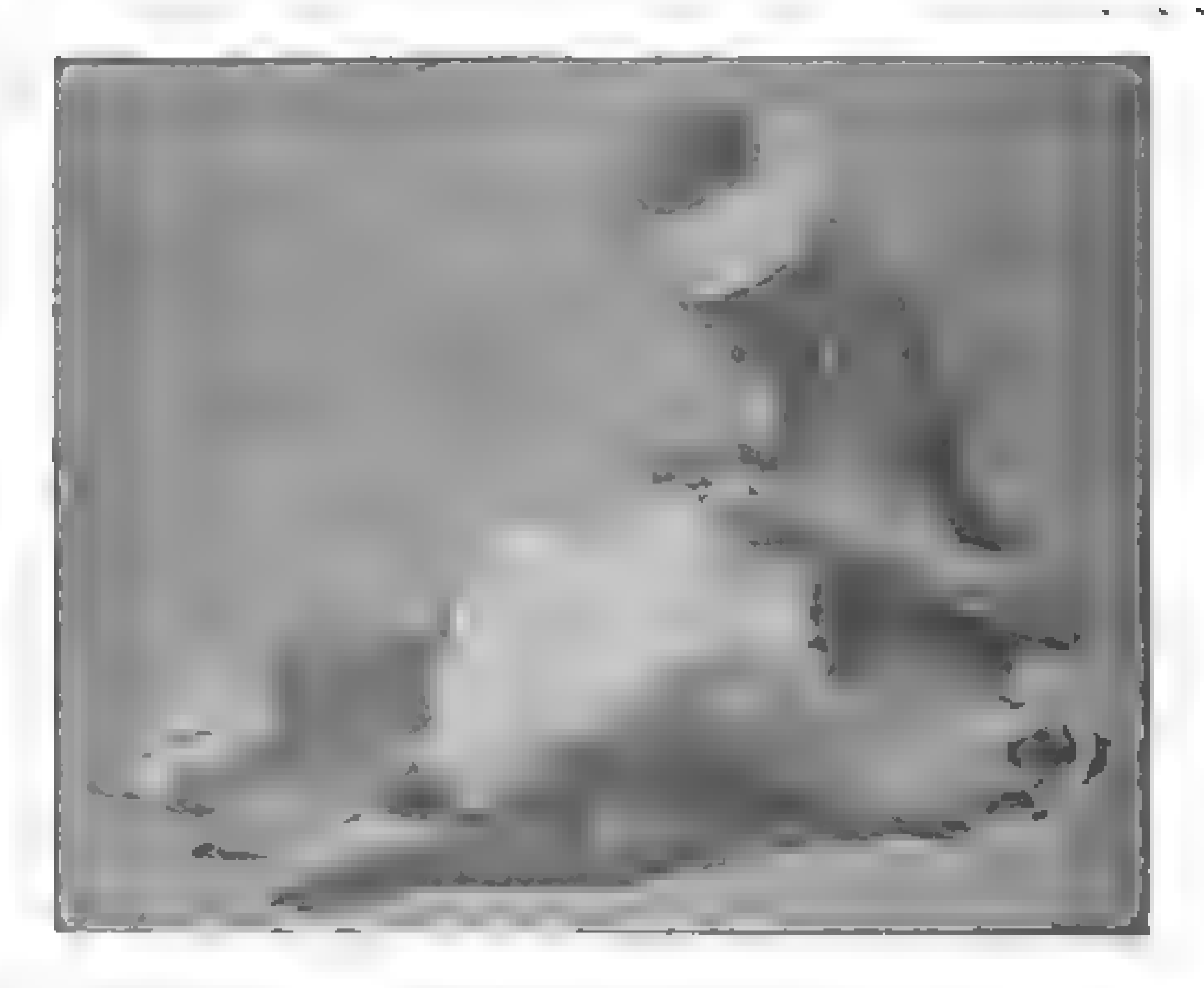
الانسان اي حرية الصناعة والتجارة ايها الامير . فان الانسان حر مطلق في اختيار الصنعة التي يريدها . فاحمر وجه الامير واجابه بشيء من الغضب : ان كلمة الحرية هذه تستحق الى اقاصي الدنيا

ولكن لم يلبث الامير الصغير بعد قوله هذه العبارة التي هي اكبر منه والتي لو سمعها احد من قومه في بلاده لاقاموا القيامة عليه — ان تغير وجهه من العبوسة الى البشاشة . ذلك انه شاهد امامه في ساحة صغيرة ارجوحة منصوبة وجماعة يتسلون بها . فوقف يضحك وسأل الترجمان عنها فاخبره انها لعبة من ملاهي الشعب في الاحتفالات . فبقي الامير واقفا نحو عشر دقائق يتفرج . ولم يلفته عن ذلك المنظر الا صياح صائح وراءه : شربت شربت . فاحتفل الامير والتفت الى الصائح فاذا به بائع السوس ينادي على بضاعته . ولما علم الامير ببضاعته سأل الترجمان وهل يشرب جميع الشاربين من آنية واحدة . فاجاب الترجمان

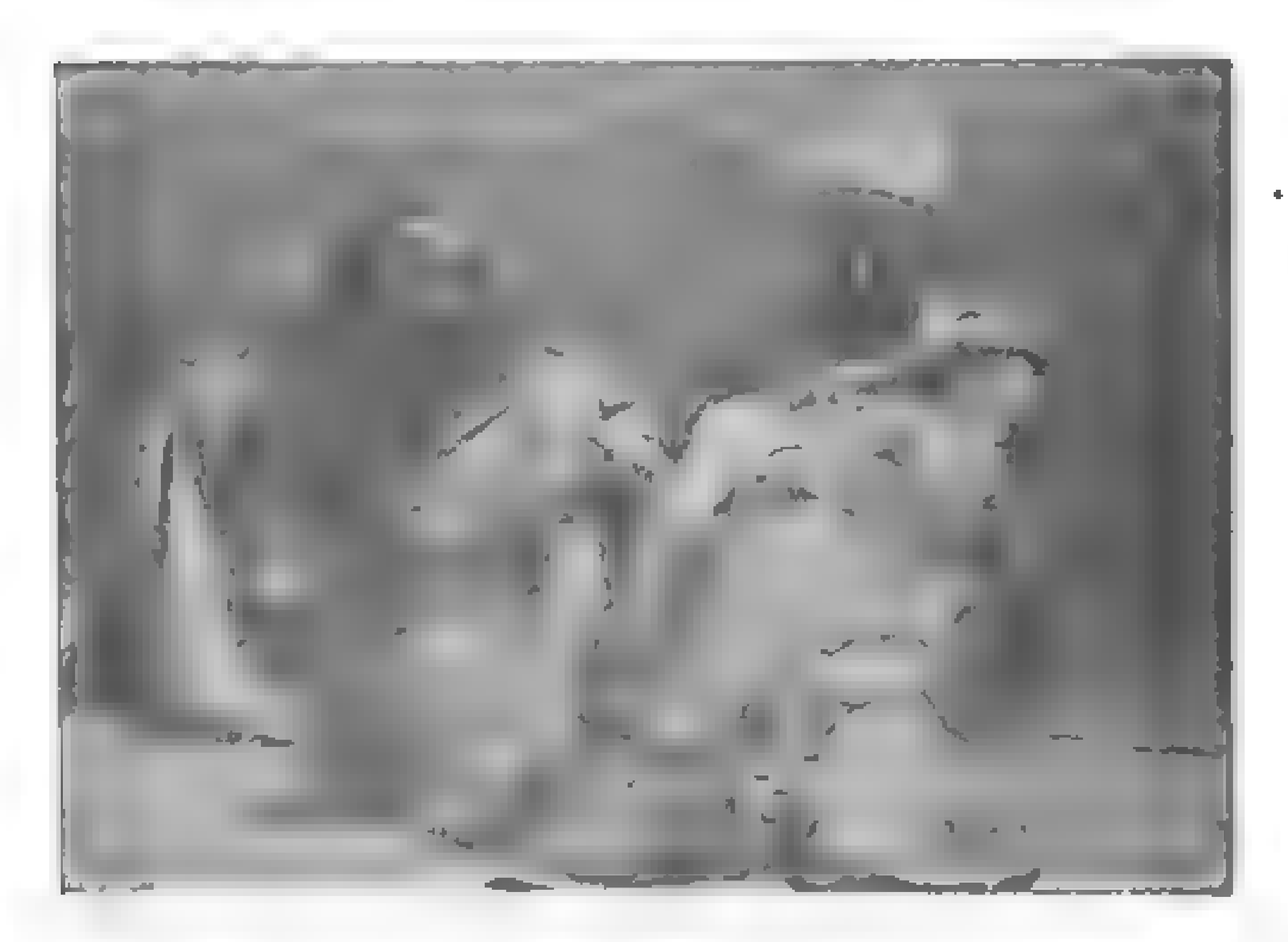


« فقيل له هذا السقاء يبيع الناس الماء » صفحة ١١٦ سطر ٣ »

نعم . فقال الامير هذه احدى العلل في سرعة انتقال العلل . ثم سار وهو يفتكر . وفيما هو سائر ابصر رجلاً يحمل على ظهره صرة فسأل ما هذا فقيل له . هذا السقاء يبيع الناس الماء . فقال هذا امر يعيدنا الى موضوعنا السابق ومن اين يأتي بالماء فاجاب الترجمان من النيل . ففتح الامير عينيه دلالة الاستغراب وسأل . من النيل رأساً بلا ترشيح ولا تصفية ؟ فاجاب الترجمان ان هناك حنفيات تأتي بالماء وقد يأتي به السقاء رأساً ايضاً . ولكني لا اكتم الامير انه بلا ترشيح وان كان هذا القول مما يجب ان نخجل منه . على ان العيال



وهو يفتش في ثيابه في نور الشمس عن الهوام المؤذية التي فيها «(الصفحة ١١٩ السطر ١٤)»



وهو واقف امام رجل وامرأة ضعيفين جالسين في شارع ومعهما كيس الشحادة (الصفحة ١١٩ السطر ١٢)

آثار عصرية



بائع الليموناده — منار الاسكندرية الكبير

المنار الصغير عند مدخل البوغاز

باب شرقي — عمود بومبيوس

التي تعرف ضرر شرب الماء بلا ترشيح ترشحه دائماً وهي تأخذ ماءها من انابيب شركات المياه . ويقال ان المجالس البلدية تسعى في وضع مرشحات رسمية على النيل ولكننا لا نعلم متى تنتهي من هذا المشروع

وبينما كان الامير سائراً يصغي الى ترجمانه واذا اكفهر وجهه بغتة . ذلك انه وقع نظره على منظر اترقبه . فسأله ترجمانه ما هذا ؟ فاجاب الترجمان مضطرباً : هذه هي الحالة التي وصفها فيكتور هيغو في كتابه « التعساء » فقال الامير وهل ليس في المدينة ملجأ للشيوخ والمرضى الفقراء يأوي اليه هؤلاء المساكين التعساء بدلاً من ان ينطرحوا في الشوارع . فاجاب الترجمان نعم في المدينة ملاجيء . ولكنها للاجانب على ان جمعية خيرية وطنية في الاسكندرية عزمت على انشاء ملجاء كبير وقد فتحت لذلك اكتتاباً تحت حماية الجناب الخديوي . فاجاب الامير قد وهبت هذا الملجاء مائة جنيه وانني ارجو ان يتمكن اهل الخير من انشائه

وكان الامير يتكلم وهو واقف امام رجل وامرأة ضعيفين جالسين في الشارع وامامهما كيس الشحاذة وبجانبهما بعيداً عنهما رجل آخر طاعن في السن منطرح في الشارع وهو يفتش في ثيابه في نور الشمس عن الهوام المؤذية التي فيها . . .

على ان هذه المناظر قبضت نفس الامير فرام الفرار منها لان النفوس الحساسة لا تطيق منظر الشقاء والالم . فنادى سائقاً وركب مع رفيقه مركبة قاصداً الميناء لاستنشاق هواء البحر الذي يشرح الصدر . ومن هناك ركب زورقاً الى الفنار الصغير على فم البوغاز بعد ان مرّ بالفنار الكبير . ولم يسعه وهو هناك الآن يذكر ما قرأه عن منارة الاسكندرية القديمة

ولما طرد هواء البحر كل ما كان في صدر الامير من الانقباض وازال ما كان في اعصابه من التعب عقيب هذه السياحة الطويلة عاد الى امه واخذ يقصّ عليها تفاصيل رحلته . وكان تارة يضحك وتارة ينقبض في اثناء قصته تبعاً للعواطف التي كانت تقوم في نفسه في اثناء الحكاية . وكان آخر قولها : لم ارَ يا اماه شعباً لطيفاً هادئاً قنوعاً مسالماً كالشعب المصري . فليت عرشنا كان قائماً على ظهر هذا الشعب او كان هذا الشعب قائماً تحت عرشنا هناك

هل الخمور مغذية

واحتدام الجدال بين العلماء بشأنها

احتدم الجدال في الشهرين الاخيرين بين علماء اوروبا في مضار الخمور وفائدتها فلم تخلُ من هذا البحث جريدة من جرائدهم · وقد انقسم هؤلاء العلماء فريقين شأنهم في كل المسائل واليك البيان

رأى المهتمون بقلة النسل في فرنسا ان زيادة النسل الفرنسوي زيادة تعادل زيادة النسل الالماني امر مستحيل لان اخلاق الفريقين متباينة ودرجة مدنيتهما متفاوتة فقاموا يدعون الى الوسائل التي تقلل الوفيات بدلاً من الدعوة الى الوسائل التي تكثر النسل دعوة لا يُرجى نجاحها · ومتى قلت الوفيات كان ذلك بمثابة زيادة النسل · وكثيرون من علماء الاقتصاد في فرنسا معتقدون ان كثرة الوفيات ناشئة بالاكثر عن الافراط في شرب الخمور · ولذلك اخذوا يشنون غارة شعواء على هذه الآفة المهلكة · فالقوا الخطب ونشروا المنشورات وعقدوا الجمعيات والصقوا الاعلانات في الشوارع لمقاومة المسكرات · وكان شعارهم في هذه الحرب المعنوية قولهم « ان النسل الفرنسوي ينقرض اذا لم يترك شرب الخمور »

وبينما هم في وطيس هذه المعركة واذا بالمسيو ديكلو العالم الفرنسوي الذي خلف باستور في رئاسة المعمل البكتريولوجي المشهور المعروف باسمه وقف وصرّح على رؤوس الملاء : بانه ليس من الحكمة مناصبة الكحول (الخمور) العدوان الى هذا الحدّ لانها غذاء للذين يعتدلون في شربها اي الذين لا يتناولون في اليوم اكثر من لتر واحد منها · وقد بنى رأيه هذا على تجارب عالمين اميركيين اسمهما اتوتر وبنديكت · فان هذين العالمين اجريا عدة تجارب في اناس كانوا يغذونهم بخمر وبغير خمر فاسفرت تجاربهما عن ان الخمر مغذّية كاللحم

ولما انتشر قول المسيو ديكلو عمّ الفرح في الخمارات والحانات وشمل الاسف كثيرين من العقلاء · فصار اسم ديكلو ورأيه بين فريقين · فجمعيات الزراعة التي تستقطر منهل الخمور نشرت قوله في جميع الانحاء نقضاً لرأي جمعية المسكرات التي كانت تحارب هذه الآفة بخطب واعلانات كثيرة · واما جمعية مقاومة المسكرات هذه فانها عقدت اجتماعاً وخطبت فيه ضد المسيو ديكلو وافرغت كثيراً من زجاجات الماء القراح الصرف في شرب نخب انتصار

مبادئها المنمية . واما العلماء رصفاء ديكلو فقد انقسموا فريقين ايضاً ولكن الا كثرية الكبرى كانت ضد ديكلو . وقد القت احدى المجلات على اكابر علماء الطب والكيمياء اسئلة بشأن رأي ديكلو فاجابها كثيرون منهم في جملتهم برتلو ومتشنيكوف والدكتور رو . وكانت خلاصة اجوبتهم ما يأتي : هب ان في الخمر القليلة غذاء فلا ينبغي التصريح بذلك لان الشعب اذا سمع به زاد افراطاً في شربها . ولا ريب ان الافراط فيها قتل للذات . فردَّ عليهم فريق آخر بقوله : لا بل يجب علينا ان نقول الحقيقة كيفما كانت النتيجة . والحقيقة ان القليل من الخمر مغذٍ مفيد

وبما ان الزعم بلا دليل يبقى زعماً فقد خرج الاطباء والعلماء من دائرة الزعم الى دائرة التجربة . فاجرى كثيرون منهم عدة تجارب . اما تجارب اتوتر وبنديكت الاميركيين فليس في الامكان اعادتها لان آلاتها تقتضي نفقات كثيرة كما قال المسيو ديكلو

✻ تجارب المسيو غريهان ✻ ومن هذه التجارب تجارب المسيو غريهان احد علماء الفسيولوجيا . فانه كان يجرع الكلاب والقطط والانسان كميات مختلفة من الخمور ويفحص حالتهم بعد ذلك . فثبت لديه من التجارب العديدة انه ما دامت نسبة دقائق الخمر الى دقائق الدم في جسم الانسان كنسبة واحد الى الف (اي كل جزء من الخمر في الف جزء من الدم) فان صحة الانسان لا خطر عليها ولكن اذا زادت هذه النسبة خيف من الخطر . ثم قال ان الانسان الذي ثقله ٦٥ كيلوغراماً يستطيع ان يشرب في كل يوم لتراً واحداً من النبيذ اي نصف لتر على الغداء ونصف لتر على العشاء دون ان يخشى على صحته . لان هذا اللتر يجعل دقائق الخمر في دم الانسان بمقدار النسبة المشار اليها

✻ تجارب الدكتور شنيدر ✻ على ان التجربة المهمة التي جرت في هذا الصدد هي تجربة الدكتور شنيدر السويسري . وقد اهتمَّ العلماء اشد اهتمام بها لانها مضبوطة بآلة ميكانيكية . ولايضاح ذلك نقول

صنع الدكتور شنيدر بمساعدة الاستاذ ديبوى في برن عاصمة سويسره آلة تُقاس بها قوة الانسان . وذلك انه يقبض باصبعه على حلقة ويشدها فترفع الحلقة ثقلاً معيناً . وهذا الثقل يرتفع على نسبة قوة اليد التي تشده . وقد جرب الدكتور شنيدر والاستاذ ديبوى رفع الاثقال بهذه الآلة اياماً عديدة . وكانا احياناً يتناولان الخمر بلا طعام واحياناً يتناولانها مع الطعام واحياناً يتناولان الطعام بلا خمر . وكانا يشرعان في رفع الثقل بالآلة بعد الطعام . فثبت لديهما بعد التجربة مائة مرة واكثر ما يأتي

الخمر بلا طعام — كان الدكتور شنيدر يصوم ثم يتناول ١٥٠ سنتيمترًا مكعبًا من نبيذ بوردو ويشرع في الحال في رفع الثقل فكان يرفع في اول التجربة ٨ كيلو غرامات و٤٨ غرامًا وفي نهايتها اي بعد تعبه كثيرًا في الرفع كيلوغرامين و٢٣٨ غرامًا . ولكنه اذا لم يتناول خمرًا اي اذا اشتغل بلا اكل ولا شرب فانه كان يرفع في اول التجربة ٧ كيلوغرامات و٢٥٤ غرامًا وفي آخرها كيلوغرامًا واحدًا و٩٠٣ غرامات . فالربح اذًا في جانب الكحول في مجموعها كيلوغرامان و٧٦٨ غرامًا

طعام بخمر وبلا خمر — ولكن هذا الربح الذي ربحته هنا الخمر بلا طعام تخسره كله متى وضع الطعام موضعها . اي ان رغيفًا واحدًا من الخبز يعطي قوة اشد من قوتها . وقد جرَّب الدكتور شنيدر رفع الاثقال بعد تناوله طعامًا بخمر ورفعها بعد تناوله طعامًا بلا خمر . وكان طعامه من اللحم ومرقه والحمص والخبز . فكانت نتيجة عمله انه رفع ٢٦ كيلوغرامًا و٦١٣ غرامًا بلا خمر و٢٥ كيلوغرامًا و٧٢٩ غرامًا مع الخمر

وهذه الارقام كلها مذكورة على سبيل التعديل لكثرة هذه التجارب التي استمرت اياما طوالاً . وكانت نتيجتها ان الخمر لا تزيد قوة العامل على عمله كما يعتقد بعضهم لان في كسرة الخبز من الغذاء اكثر مما فيها . وهذا بقطع النظر عن تحريكها شهية الطعام ولذتها في فم الشاربين

❋ **بحث المسيو غراندو** ❋ وقد بحث المسيو غراندو في هذا الموضوع بحثًا مسهبًا ايضًا فتوصل بعد تحليله الخمر كيماويًا ومعنويًا الى النتائج التالية

(١) ان الخمر لا تساعد على انشاء الانسجة في الجسم او توليدها وذلك لانها لا تحتوي شيئًا من الازوت ومعلوم ان الدم والانسجة وعضلات الجسم لا يمكن وجودها بدونه (٢) ان الخمر لا تنشىء في الجسم شيئًا من الخزانات التي تُخزن فيها قوته كالدهن وما اشبه . وهذا علة انتقالها بسرعة في الجسم (٣) ان الخاصية الوحيدة التي تشترك فيها الخمر والمواد المغذية هي توليدها الحرارة . فانها عند احتراقها في وسط انسجة الجسم تترك مجالاً للهواء ثم تتحد بالاوكسجين في باطن الجسم وتنقلب الى ماء والى حامض كربونيك

❋ **رأي اكاذمية الطب** ❋ وبعد كل ما تقدم عن هذه المسألة لا نجد قولاً احدر بختام هذا الموضوع غير رأي اكاذمية الطب في باريز . فان هذه الاكاذمية عينت لجنة خصوصية لفحص هذه المسألة فقدم اليها المسيو لابورد بالنيابة عن هذه اللجنة تقريرًا ضافي الذيول اسهب فيه في بيان المضار العظيمة التي تنشأ من قولهم ان الخمر مغذية . وقد

حمل حملة شديدة على المسيو ديكلو . وبعد جدال طويل بين اعضائها استمرّ عدة جلسات قررت الاكاذمية ان الخمور (الكحول) تضرّ ولا تنفع وانه يجب اعتبارها كالدواء الذي لا يجب ان يُتخذ الاّ حين اذن الطبيب . وبذلك قطعت جهيزة قول كل خطيب

﴿ كاس لفتح الشهية وتسهيل الهضم ﴾ بقيَ ان يقول الذين اعتادوا ان يتناولوا في كل يوم شيئاً من الخمر قولهم المشهور : اننا نتناول كأساً واحدة فقط لفتح الشهية . او اننا نتناول كأساً فقط لتسهيل الهضم . وهذه كمية لا تضرّ مطلقاً بل تفيدنا زيادة القابلية للطعام . — فالجواب عن ذلك نعم ان كاساً واحدة لا تضر « اذا كانت من الخمر الجيدة التي لم تمزج بمواد مضرة » ولكن لا تقولوا انها تفيد بل قولوا انها لا تضرّ اذ بين القولين فرق بعيد . اما تسهيل الخمر الهضم فهو حديث خرافة لان زيادة الحرارة في المعدة قد يضرها بدلاً من ان ينفعها . واما زيادة القابلية للطعام ففيها ضرر ايضاً . ذلك ان المعدة اذا هيجتها الخمر وجعلتها تطلب من الطعام فوق القدر الذي تقدر عليه فهي لا تلبث ان تُصاب بالضعف بعد نزول الطعام الكثير اليها . اذ يكون مَثلها مثل حيوان يُحمل حملاً فوق طاقته . فليكن كل انسان اذاً على ثقة من ان القليل من الخمر اذا لم يضر فهو لا يفيد . واما الكثير منهُ فهو آفة مهلكة تظهر عاجلاً او آجلاً . — ولا يغرنَّ شاربيها ما قيل فيها

ولو وضعوا في فيءِ حائط كرمها عليلاً وقد اشفى لفارقه السقمُ

فان هذا الكلام قيل هناك عن الخمر المعنوية

اللغة المصرية القديمة

﴾ الهيروغليف ﴿

لغتا مصر القديمة . منشأ اللغة الهيروغليفية وصورها . اقتباس الفينيقيين حروفهم الهجائية منها . شمبوليون في مصر وهتافه لشربه من مائها . حجر رشيد . حل شمبوليون رموز هذه اللغة بوقوفه على كلمتين مشهورتين معاً (الرسم الثاني العمود الثاني)

كل منا تأمل في الوف السياح والعلماء والامراء الذين يفدون من اوروبا في كل عام الى القطر المصري ويصرفون فيه قسماً من وقتهم ومالهم لا يسعه الا الثناء على اهل الهمم والمعارف الذين مهدوا لهم هذا السبيل فاوجدوا به للقطر ثروة جديدة . ومن هؤلاء الافاضل الذين جعلوا القطر المصري محط رحال اهل العلم والوجاهة في العالم بضعة من علماء الآثار المصرية الذين نشروا في اوروبا واميركا محاسن مصر بما كتبوه عنها وحلوا رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليف) ففتحوا بذلك للناس كنوز تاريخ الامة المصرية القديمة التي كانت بلادها منشاء العمران والمدنية . وفي مقدمة هؤلاء العلماء في صف مخصوص به وحده العلامة شمبوليون . فان هذا العالم الفرنسوي هو الذي اكتشف اسرار الاحرف الهيروغليفية ومكّن الناس من قراءة الآثار المصرية والوقوف على تاريخ مصر . وهو ايضاً كاتب اجمل وصف لمصر ومحاسنها حتى ان قارىء مؤلفاته خصوصاً « سياحته في مصر » يعشق بلاد مصر وآثارها لكثرة اطرائه لها

﴾ **الكتابة الهيروغليفية** ﴿ ولكن قبل ان نأتي على شيء من تاريخ اكتشاف اسرار الكتابة الهيروغليفية نذكر شيئاً عنها

في الزمن القديم كان في مصر لغتان . لغة للعامة وهي التي يتكلمون ويكتبون بها . ولغة للخاصة تنقش بها الكتابات على الآثار وهي اللغة الهيروغليفية المقدسة . فشأن ذلك شأن اللغة العربية العامية واللغة الفصحى في هذا الزمان تقريباً : وكلامنا هنا عن اللغة المصرية القديمة الفصحى اي الهيروغليف

وهذه اللغة كانت مؤلفة من اكثر من ثلاثة آلاف علامة . وهي عبارة عن صور تدل على المعنى المقصود ابلاغه . وهذا منشأ الكتابة . لانه من الثابت ان البشر قد تكلموا قبل ان

يكتبوا . ولما ارادوا الكتابة للتعبير عن كلامهم كانوا يعبرون عن كل معنى بصورة . فاذا راموا الدلالة على الاسد صوروا اسداً او الشجرة صوروا شجرة . ثم لما كثرت هذه الصور اضطروا الى الاختصار فكانوا اذا ارادوا الدلالة على حرب وقعت يصوّرون يداً تحمل حربة وترساً بدلاً من تصوير صورة معركة . ولما قدم عهدهم بهذه الاصطلاحات تحوّلت من صور الى اصوات . مثال ذلك صورة البيت . فانهم كانوا اولاً اذا راموا ان يكتبوا (بيت) صوروا البيت تصويراً . وحين قراءته يلفظونه مثلاً (بيت) ثم مع كرور الوقت تغيرت لفظة (البيت) تبعاً لناموس الاختصار وصارت (باء) فصار لفظ (البيت) عبارة عن حرف هو (الباء) وبذلك نُقلت الصورة الى صوت وصار هذا الصوت حرفاً . وحينئذٍ لم يعد رسم البيت دليلاً على البيت بل صار حرفاً هجائياً هو (الباء) . خصوصاً بعد حذف الحرف الصوتي للاستغناء عنه وعدم استعماله احياناً الا عند الحاجة اليه اي في اوّل الكلمة وآخرها

هذا مثال على انتقال الصور من الرسم الى الصوت كما في الحالة في الهيروغليفية . ولقد كان للمصريين القدماء فضل عظيم بهذا النقل لان الفينيقيين اخذوا على الارجح حروفهم الهجائية عنهم وادخلوا فيها ما ادخلوه من التغيير ثم نشروها في اقطار الارض وبها علّموا الامم الكتابة

وتجد الاحرف الهيروغليفية في (الرسم الاوّل) في هذا الفصل . ولكل حرف منها عدة صور كما ترى تبعاً للاصل . فمنها صور طيور وكلاب وضفادع وسمك واوراق ونجوم وبشر وغيرها . واما الرسم الثاني ففيه اسماء بعض الملوك والامراء منذ العصر المصري القديم الى العصر الروماني . وهي مكتوبة بذات الشكل والهيئة التي توجد بها على الآثار المصرية اي في هيئة خرطوشية اكراماً للملوك كما كانت عادتهم في الكتابة . ويقابل هذه العادة عندنا اليوم وضع اسماء الملوك والامراء في اثناء الكتابة بحروف ممتازة

❊ شمبوليون مكتشف اسرارها ❊ ولد شمبوليون في فيجاك من اعمال فرنسا في سنة ١٧٩٠ وتوفي في باريز في سنة ١٨٣٢ . وقد انصبَّ منذ صغره على درس اللغة العبرانية والعربية والكلدانية والسريانية والحبشية للاستعانة بها على درس احوال الشرق . وقد استمالته مصر اليها في اثناء الدرس دون جميع الامم الشرقية فانقطع الى البحث في تاريخها وشؤونها . ولكن ماذا يجدي درس تاريخ مصر اذا كانت اللغة المصرية التي كُتب بها هذا التاريخ على الآثار المصرية لا تزال مجهولة . فانصرف منذ ذلك الحين الى درس اللغة الهيروغليفية . وقد مرَّ بك ذكر الصعوبة التي كانت قائمة في وجه طلاب هذه اللغة

صور كانت رموزا للآلهة المصرية القديمة

حروف الهجاء الهيروغليفية

القاب وصفات الآلهة والملوك والاشخاص

العصر المصري | عصر الاسكندر | عصر البطالسة | العصر الروماني

اسماء الملوك والامراء والمشاهير الذين كانت لهم علاقة بمصر باللغة الهيروغليفية

EPOQUE GRECQUE

Alexandre

Philippe

EPOQUE PERSANE

Epiphane

EPOQUE ROMAINE

Commode

Lucius Verus

M. Aurèle

Antonin

Hadrien

Trajan

Domitien

Titus

Vespasien

Néron

Claude

Tibère

Auguste

العصر الفارسي

التي حروفها الهجائية اكثر من ثلاثة آلاف صورة ولا مرشد اليها . وكان بعض متقدمي اليونان قد حاولوا حلّ رموزها ولكن سعيهم ذهب سدى . فخطر في ذات يوم للعلامة شمبوليون ان اللغة القبطية في مصر هي فرع من اللغة الهيروغليفية القديمة كما ان اللغة الفرنسوية فرع من اللغة اللاتينية . فشرع في درس اللغة القبطية . وبعد ان كتب عدة كتب في مصر وشؤونها القديمة وعين مديرًا للقسم المصري في متحف اللوفر في باريز لم يبقَ له همٌّ الاّ الحضور الى مصر ليرى سماءها بعينيه ويطأ ارضها بقدميه . فاجابته الحكومة الفرنسوية الى ذلك وعهدت اليه مهمة علمية فيها . فسار شمبوليون من طولون ووصل الى الاسكندرية في ١٨ اغسطس سنة ١٨٢٨ . وفي ذلك كتب يقول لاخيه في رسالة خصوصية « لقد وصلتُ في ١٨ اغسطس الى ارض مصر التي كنت منذ زمن بعيد اتنهد واشتاق لرؤيتها . ولقد عاملتني الى الآن معاملة الام الحنون . وفي ظني انني ساحفظ فيها صحتي سليمة كما هي . وقد شربت من مائها البارد بقدر ما اردت . وهذ الماء من ماء النيل نفسه »

فتأمل كيف ان شربة واحدة من ماء النيل كانت تملأ نفس ذلك العالم مسرة وحبورًا

ثم سافر شمبوليون الى الصعيد واقام بين خرائب ثيبة صيفًا كاملاً يدرس درسًا دقيقًا وفي اثناء ذلك اكتشف اكتشافه الجليل الذي حلّ به رموز الهيروغليف

واليك الطريقة التي اهتدى بها الى هذا الاكتشاف

وُجد في رشيد حجر اشتهر بين علماء الآثار بحجر رشيد . وهذا الحجر نُقشت عليه كتابة قديمة بثلاث لغات : اليونانية . والمصرية العامية . والمصرية المقدسة (الهيروغليفية) وكانت الكتابة اليونانية والكتابة المصرية العامية سليمة في الحجر فتمكن (اكربلاد) من قراءة الخط المصري العامي وذلك بمقابلته بالخط اليوناني . واما الخط الهيروغليفي في الحجر فقد كانت قراءته متعذرة من سوء الحظ لان الحجر كان مكسورًا من شماله ويمينه ولم يكن فيه من الكتابة الهيروغليفية الا الثلث تقريبًا . على ان العالم (يونغ) الانكليزي لاحظ ان كتابات هذا الحجر تحتوي ثلاثة اسماء مكررة في عدة مواضع فيها وكل اسم منها منقوش بهيئة خرطوشية (كما ترى في الرسم الثاني) وكانت هذه الاسماء لكليوبترة وبطليموس وبرنيس لان هذا الاثر كان من عهد البطالسة . غير ان الكتابة الهيروغليفية في هذا الحجر لم تكن تحتوي الا اسمًا واحدًا ضمن خرطوشة لانكسار الاسمين الآخرين . فافترض (يونغ) ان هذا الاسم الموجود في الكتابة الهيروغليفية هو اسم « بطليموس » وبناءً على هذا الافتراض قال ان الصورة الاولى هي الحرف (ب) والثانية (ت) وهلم جرًّا . غير ان هذا القول لم

يخرج عن كونه افتراضاً ولذلك وجب التفتيش عن دليل يثبته . فوجد شامبوليون هذا الدليل

وبيان ذلك انه كان يجول في ذات يوم في جزيرة انس الوجود (فيله) فعثر فيها على مسلة جميلة اقامها هناك كهان مصر القدماء اكراماً لكليوباتره وبطليموس ونقشوا عليها كتابة باللغة اليونانية . وكان منقوشاً على هذه المسلة اسمان ضمن حرطوشتين باللغة الهيروغليفية احدهما شبيه بالاسم الهيروغليفي الذي وجد على حجر رشيد . فلم يبق لدى شمبوليون شك في ان هذين الاسمين هما لكليوباتره وبطليموس . وانما بقي عليه ان يعلم ايهما لكليوباتره وايهما لبطليموس وبذلك يقبض على مفتاح بضعة حروف من اللغة الهيروغليفية فيفتح بها باقي اسرارها

واذا فتشت عن هذين الاسمين في الرسم الثاني وجدت اسم كليوباتره في الحرطوشة الثانية والثالثة والسادسة من العمود الثالث الذي كتبنا فوقه « عصر البطالسة » وهذه الحروف التي فيها هي نفس الحروف التي اهتدى بها شمبوليون الى حل رموز هذه اللغة . وكذلك اسم بطليموس تجده في الحرطوشة العاشرة من العمود نفسه . وفيه نفس الحروف التي هدت شمبوليون

ومن مقابلة هذين الاسمين تمكن شامبوليون من قراءة حروفهما . فعلم ان ربع الدائرة في اسم كليوباتره هي الحرف (K) والاسد الرابض الحرف (A) والورقة التي وراءه هي الحرف (E) والغصن الملوي بجانبها هو الحرف (O) والمربع الذي وراءه هو الحرف (I) والطائر الذي بعده هو الحرف (A) واليد الممدودة بعده الحرف (T) والفم المفتوح تحتها الحرف (P) والطائر الاخير الحرف (A) ايضاً — وذلك طبقاً لاسم كليوباتره باللغة اليونانية

ومنذ هذا الحين اخذ شمبوليون يطارد باقي الحروف مستعيناً بالاحرف التي حل رموزها فتمكن من قراءة كثير من اسماء الاعلام ثم تدرج شيئاً فشيئاً حتى صار يقرأ الكتابات الهيروغليفية على الآثار كما تقرأ الكتب . وقد وضع قاموساً للغة الهيروغليفية والف كتاباً في صرفها وبيانها . وقد استعان كثيراً على ذلك باللغة القبطية التي مر ذكرها . اما صدى اكتشافه في اوروبا فحدث عنه ولا حرج وقد جعله في اسمى مقام بين مكتشفي اوروبا . واليه ينسب الفضل في اطلاق تاريخ مصر القديم من اسر الحجارة الصماء التي كان منقوشاً عليها وابراز بهاء عظمتها الماضية

مجلة السيدات والبنات

(مجلة نسائية للعائلات)

تصدر مرة في الشهر في « الاسكندرية »

لصاحبتها المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة البنات الاميركية بالابراهيمية

لما صدر الاعلان بالعزم على انشاء هذه المجلة اجمع جمهور القراء والقارئات وربات العيال على الاحتياج اليها · ولذلك لقيت من الاقبال والرواج اول صدورها ما تلقاه المشروعات التي تكون الحاجة ماسة اليها

ولسنا نقول هذا للثناء على مجلة لنا علاقة بها ولكننا نقوله لامرين (١) سهولة انتشار المجلات النسائية لان عدد القارئات كثير جداً بالنسبة الى عددها (٢) اعتقادنا ان المجلات النسائية التي تقوم بواجباتها حق القيام تفيد اضعاف الفوائد التي تفيدها الصحافة الخاصة بالرجال

اما سهولة انتشار المجلات النسائية فامر لا يحتاج الى بيان لانها لا تزال قليلة العدد وان كان القارئات قليلات ايضاً · وهي الآن في جميع العالم العربي مجلتان : مجلة انيس الجليس الغراء ومجلة السيدات والبنات · واما فائدة المجلات النسائية فلانها تخاطب الام والزوجة والمعلمة — ثلاث كلمات يتوقف عليها مستقبل كل امة وبها تُقاس درجة تمدنها · ولذلك قال العلاّمة روسو القول الذي صدرنا به غير مرة باب التربية والتعليم : يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

وامامنا الآن الجزء الاول من « مجلة السيدات والبنات » وهي مصدرة بعنوان جميل منقوش عليه اسمها وهو يمثل ملاكاً بهيئة امرأة ويده آخذة بيد صبي صغير · وتحت هذه الصورة نقشت هذه العبارة « ملاك الام يحرس ويرشد النسل البشري في العالم » وذلك دلالة على وظيفة المرأة السامية في المجتمع البشري — تلك الوظيفة التي هي اسمى من وظائف الملوك لان الملوك انفسهم يخضعون لها في صغرهم وتؤثر اشد تأثير في تربيتهم وفي مستقبلهم ومستقبل ممالكهم

اما مقدمة هذا الجزء فقد جاء فيها بعد بيان غرض المجلة ما نصه « وبما ان صاحبة

هذه المجلة هي حديثة في هذه الصناعة الصحافية الصعبة وكان من الواجب ان لا تكون « مجلة السيدت والبنات » اضعف من مجلات الرجال فهي قد اتخذت شقيقها منشئ الجامعة مساعداً لها في هذا المشروع المهم . ولذلك فمنشئ الجامعة مع كثرة اشغاله يحرر في هذه المجلة بعض الابواب وهي الابواب التي تحتها ثلاثة انجم (***) اما باقي ابواب المجلة فهي وان كانت لا تستغني عن ملاحظته الا ان اخواتنا القارئات اللواتي عرفن انقطاع صاحبة المجلة الى الدرس ومطالعة كتب التربية والادب من سنتها الثانية عشرة حتى الآن في مدرسة من اشهر مدارس البنات الاميركية الكبيرة في سوريا وممارستها بعد ذلك صناعة التعليم وتدبير عقول الطالبات ودرس نفوسهن فضلاً عن مطالعة المجلات العربية مطالعة دقيقة — كل ذلك يجيز لها عندهن ان تضع اسمها في مجلة لهن تخاطبهن فيها بالمسائل التي مرّت عليها مدة العشر السنوات الماضية . واخواتها السيدات والبنات يكنّ على ثقة من انهن يقرأن افكار وكتابات واحدة منهن دون ان يؤثر عليهن سوء ظن احد وان كان لسوء الظن عذر في بلاد كبلادنا »

اما مواد المجلة فهي موزعة على ابواب كثيرة وهذه مواضيعها : باب لترجمة (شهيرات النساء الشرقيات والغربيات) اي ذكر خلاصة اعمالهن في حياتهن . باب (الام والولد والمدرسة) وهو يحتوي على ما له علاقة بالتربية الادبية والجسدية في البيت والمدرسة خصوصاً عناية الامهات بالاطفال . باب (المنزل والمطبخ والمائدة) وهو يحتوي على كلام في تدبير المنزل والاقتصاد وترتيب المائدة وتدبير الصحة في البيت والعناية بالطبخ والزينة . باب (مراسلات بين بنات شرقيات) وقراء الجامعة يعرفونه . باب (اخبار نساء الغرب) ويجمع فيه اخبار السيدات الغربيات في الادب والعلم والجمعيات الخيرية والعمومية . باب (اخبار نساء الشرق في صحافته) ويلخص فيه ما تنشره المجلات والجرائد العربية عن نساء الشرق . باب (اسئلة صحية وادبية) يجاب فيها عن اسئلة القارئات واستشاراتهن الطبية والمجلة تعتمد على طبيبين فاضلين للمجاوبة عن هذه الاستشارات . باب (القصص الشهرية) وفيه قصة تهذيبية فكاهية تبتدئ وتنتهي في الجزء نفسه . باب (فوائد وفكاهات) وفيه نوادر وملح واخبار ادبية متفرقة . باب (صحيفة الازياء) وهذا الباب يهم كثيراً السيدات خصوصاً خارج مصر اذ فيه تفصيل جميع اخبار الموضه الجديدة (الازياء الحديثة) في الاسكندرية وفي الخارج وهو مأخوذ من اشهر الخياطات في الثغر ومن جرائد الازياء في باريز ولندن . والمجلة تهدي في كل جزء كل واحدة من قارئاتها تفاصيل من ورق مثالاً لهذه الازياء

الجديدة وتنشر رسومها . وهذه التفاصيل تكلف المجلة من النفقة واجرة الخياطة التي تعدّها ونفقات ورقها على قدر الاجزاء المطلوبة ما تساوي نفقته وعناؤه نفقة وعناء طبع ملزمة كاملة (اي ١٦ صفحة) من المجلة

وقد صدر الجزء الاول طافحاً بالابواب التي تقدمت وهو مطبوع على ورق جميل طبعاً باتقان الجامعة وبحروف جميلة لحروفها وحجم لحجمها . وغلافه مطوق بعصن من الورد الجميل في رأسه ثلاثة ازرار نظمها رمزاً الى الدعائم الثلاث التي يجب ان تُبنى عليها المعيشة الاجتماعية في العائلات وهي « الفضيلة والعلم والبشاشة »

ونحن نختتم هذا البيان او هذا التقريظ بكلام ورد في مقدمة هذا الجزء وهذا نصه : « مع كل ما بذلته المجلة من الاجتهاد لجعل مجلة السيدات في اول ظهورها مجلة كبيرة جامعة كل ما يهم السيدات والبنات الاطلاع عليه ستزيد في المستقبل تحسينها وزيادة صفحاتها كما رأينا ان الاقبال عليها في ازدياد . وهذا الاقبال عندنا مضمون بلا شك لاننا لا نظن انه يوجد ام عائلة او رب عائلة يطلع على جزء واحد من (مجلة السيدات والبنات) الأ ويطلب ادخالها الى منزله لسيدته وبناته »

اما اشتراك هذه المجلة فهو ٥٠ غرشاً صاغاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج وهي تُطلب من ادارتها في الاسكندرية



آثار الشرق القديمة

كنوز السلطنة العثمانية

الاراضي ما بين النهرين وخطبة السير وليم ولكوكس

نشرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية (الصفحة ٨٦٥) مقالة عنوانها « المدنية الجديدة والمدنية القديمة في الدولة العثمانية » وتكلمنا فيها عن الاراضي ما بين النهرين (دجلة والفرات) وخطة سكة بغداد الحديدية . وقد قلنا يومئذٍ في مقدمتها ما نصه « ان هذه الارض كانت وطناً لاقدم مدنية . قال المسيو ليفني : ان اراضي ما بين النهرين وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يُصدق . فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك . وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة . فتكون غلة تلك الاراضي في كل سنة ١٢٠٠ مليون ليرة فرنسوية وهي ثروة لا تعادلها ثروة . وبما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها مضاعف دخل الدولة اربع مرات . ولذلك كان المقدَّم على كل شيء التفكير في احيائها . واذا كانت الفكرة العسكرية قد احلَّت مشروع سكة بغداد الحديدية في اسمى منزلة في ذهن جلالة السلطان فان هذه الفكرة المالية قد زادت ولا شك اهتمام جلالته به »

ولم يكن يومئذٍ يخطر لنا بالبال عند كتابة تلك السطور ان جناب المهندس المشهور السير وليم ولكوكس كان في مثل ذلك الوقت تقريباً يشتغل باعداد خطبة في غاية الاهمية في هذا الموضوع . وقد القى بحضرته هذه الخطبة في العاصمة في اواسط مارس لهذا العام على جمهور غفير من محبي الفوائد بين وطنيين واجانب فرأينا من الواجب بعد الفصل الذي كتبناه بهذا الموضوع ان ننشر خلاصة خطبته هذه وذلك نقلاً عن جريدة المؤيد واليك هذه الخلاصة

« قال في مقدمة الخطبة « يُروى عن المأمون ابن هارون الرشيد انهُ قال لما صعد على جبل المقطم وابصر ارض وادي النيل منبسطة امامهُ « ما كان اضلَّ فرعون لما قال متبجحاً « أليس لي ملك مصر» وهو لو رأى ارض الجزيرة لاستحى ان يقول ما قال » ولكن المامون لا شك قد بالغ في القول لان مصراً كانت وستبقى دائماً ملكة البلاد التي تروى اراضيها . ويعقبها بلا خلاف في الدرجة الارض العجيبة التي كان يرويها الدجلة في الازمان الماضية . وهذه سكة حديد بغداد تزحف من جهة الغرب والمدنية الغربية تكسح امامها الاعراب المنتشرين في تلك البقاع وتبدّدهم ايدي سبا . ولطالما خطر ببالي انهُ في الامكان مدّ سكة حديدية تبتدئ من الخليج الفارسي واخرى من شاطئ البحر الابيض المتوسط وان يلتقي هذان الطريقان في وادي نهر الدجلة والفرات »

« ثمَّ انتقل من ذلك الى الكلام على سكة حديد كندا في شمال اميركا وكيف منحت اميركا شركتها ارضا واسعة لمد خطوطها وان الحال لا يستلزم مثل هذه الارض فيما يختص بسكة حديد بغداد . ثم اخذ يصف وادي الدجلة والفرات فبدأ ببغداد وما حواليها واطال في هذا الوصف وعرج على ما لهذه البقعة من الاثر التاريخي فقال في هذا الصدد

« تعلو بغداد على سطح البحر بمقدار مئة وستين متراً وتبعد عن البحر مسافة ٨٠٠ كيلو متراً اذا قيست على شاطئ الدجلة ولكنها على مسافة ٥٥٠ كيلومتراً اذا قيست على خطّ مستقيم . ويحيط ببغداد ارض مقفرة في هذا الزمان ولكنها كانت في ازمان ماضية تاج ممتلكات الدول التي قبضت على ناصية الشرق . هناك يوجد كنز الملوك التي حكمت الشرق . فحيثما ذهبت يميناً او شمالاً لا تطأ اقدامك الاَّ ارضاً تاريخية . واذا نزلت جنوباً على شاطئ الدجلة ترى آثار مدينة الدورة التي كان يبتدئ بجوارها بحر النهروان (او ترعة النهروان) ثم ترى السهل الذي اقام فيه بختنصر تمثاله الذهبي الذي شيده على ما يظن تذكاراً لاصلاح ذلك البحر . ثم ترى بعد ذلك (تل البنج) الذي مات فيه الامبراطور جوليان من جراحه عند ما كانت نتيجة طرد الرومانيين من تلك البقاع انتقالها بل انتقال العالم الشرقي الى دولة الفرس . ثم بغداد دار السلام ومقرّ ملك الخلفاء وحيث كان عرش هارون الرشيد . وترى ايضاً آثار كتسفون عاصمة ملوك دولة بني ساسان الفارسيين . ثم بابل القديمة وغيرها وغيرها . وكان يحمي هذه الارض الواقعة على ضفاف الدجلة سور مدين من جهة الغرب — ومن المحتمل ان هذا السور كان مقاماً على ضفة ترعة ري . ومن الغرب بحر النهروان . وبذلك صارت هذه البقعة آمنة من تعديات صعاليك الاعراب واغنى البقاع في

بلاد الشرق

« وكما ان (مينا) حوّل النيل من صحراء الغربي وساقه في طريق سفح صحراء العرب ليحمي به عاصمة مملكة منفيس من العرب الرحالة كذلك انشأ الملوك الكلدانيون الاولون تلك الترع الكبيرة لحماية البقاع الخصبة والمدن الآهلة العامرة على شواطئ الدجلة

« ثم انتقل من ذلك للكلام على ان مياه الامطار لا تكفي لري تلك البقاع وانه حصل على المعلومات الخاصة بمقدار سقوط الامطار وكل ما يتعلق بالمسائل الجوية من مذكرات للكبتن فيلكس جونس احد ضباط البحرية الهندية الذي اقام ازماناً طويلة في بغداد لدراسة كل ما يتعلق بالريّ هناك وان الذي استلفت نظره الى هذه المذكرات هو المستر سرنج رايس الذي كان مندوب انكلترا في صندوق الدين المصري (والآن في سفارة بطرسبرج) ثم قال انه لا دخل له في السياسة مطلقاً وان كل ما يرمي اليه هو ان يرى (عشرة عيدان من الحشائش تنمو في مكان لا ينمو فيه عود واحد الآن »

« ثم شرع يتكلم عن مجرى نهر الدجلة ونبوعه من بحيرة (فان) في بلاد فارس ومروره على آثار مدينة نينوى القديمة وذكر ان مدينة اوبس القديمة اشبه في مركزها بالنسبة لنهر الدجلة بمدينة القاهرة بالنسبة لنهر النيل . فكما ان القاهرة على مسافة قليلة من رأس الدلتا وتوجد على مقربة منها القناطر واصول الفروع التي تروي ثلاثة ملايين فدان من ارض الدلتا كذلك كانت اوبس على مقربة من رؤوس الترع التي كانت تروي ارض دلتا الدجلة . وكأنما ارادت الطبيعة ان تكون هذه البقعة مصدراً لنظام خاص بالريّ »

« ثم انتقل الى الكلام عن نظام الري القديم في تلك البقاع وانه كان هناك بحر النهروان على الشاطئ الايسر ونهير الدجيل من الشاطئ الايمن من نهر الدجلة وكيف كانت تلك البقاع جنة . ثم اخذ يبين سبب انحلال ذلك النظام الهندسي وتسرب الخراب الى تلك البحار والترع مما يدخل في ضمن دائرة المباحث الهندسية ولذلك نضرب عنه صفحاً

وبعد الكلام طويلاً عن ماضي تلك الاصقاع وما آلت اليه من الخراب والدمار حتى صارت صحراء بلقعاً تهب فيها رياح السموم قال في صحيفة ١٥ وما يليها

« ولقد تكلمنا كثيراً عن اسباب هذا الخراب ووصفنا حالة الدمار . واما اعادة هذه الديار الى ماضيها فلسنا ننتظر ان يذهب اليها الاوروبيون ليستعمروها ويعيدوا خصبها بل الذي يغلب على الظن ان اهل الشرق سيذهبون اليها ليعيدوا شبابها ويستثمروا ارضها . وهذه سكة حديد بغداد كما قلنا تزحف من الغرب وستقام خطوطها

الحديدية على ضفاف ترعة النهروان بعد تجديدها واصلاحها ونرى بعد ذلك ماء الحياة والخصب يجري في عروق ارضها . وليت شعري هل تصلح هذه الديار باموال انكليزية تساق اليها من الخليج الفارسي جنوبًا ام باموال المانية تأتي اليها من سكة حديد بغداد غربًا ؟ ولكن ما لا خلاف فيه هو ان اعادة الترع المذكورة ستؤدي الى احياء اراض واسعة حول سكة حديدية تشبه في غناها وخيراتها ارض مصر وتقوم محصولاتها بنفقات السكة الحديدية واعمال الري ويزيد من ايراداتها مقدار كبير لا يقدر قيمته الا الذين خبروا احوال الزراعة المصرية . وليس ببعيد ان يقوم عمال من الهند وربما يكونون من المصريين بحفر الترع وانشاء القناطر التي تعطي المياه بقدر معلوم . ثم يستوطنون تلك الاراضي ويحيون مواتها فتكثر موارد خيراتها وتنمو ثروتها وكأنهم في بنجاب او مصر اخربين »

« ثم اخذ بعد ذلك يبين لسامعيه الاعمال التي تلزم لاعادة تلك الترع واصلاح الري في تلك البقاع ولبيان مقدار ما يلزم من الاموال وما ينتظر من فوائدها فقال

« ان مساحة الارض الواقعة غربي مجرى نهر الدجلة القديم تبلغ ٢٨٠٠٠٠ فدان والارض الواقعة بين المجرى القديم والجديد ١٦٠٠٠٠ فدان والارض الواقعة شرقي الدجلة شمال بغداد ٤٢٠٠٠٠ فدان وجنوب بغداد ٤٢٠٠٠٠ فدان فيكون مجموعها ١٢٨٠٠٠٠ فدان . وقدر النفقات اللازمة لاصلاح الري بمبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات . وقدر اثمان الاراضي المذكورة على حساب ٣٠ جنيهاً الفدان بمبلغ ٣٨٠٠٠٠٠٠ جنيه . وايجارها على حساب ثلاثة جنيهات عن كل فدان بمبلغ ٣٨٤٠٠٠٠ جنيه . وفرض انه يصرف في كل عام على اعمال الري والسدود والقناطر ١٨٤٠٠٠٠ جنيه . فيبقى بعد ذلك ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه ايرادًا لراس مال قدره ٨٠٠٠٠٠٠ جنيه فيكون الربح باعتبار ٢٥ بالمائة . ثم سأل سامعيه « فليقل الذين خبروا مصر هل تعدّ هذه الارقام مبالغًا فيها » ثم قال

« اكتفيت بالكلام عن الاراضي الواقعة عند ابتداء دلتا نهر الدجله لانني ارى ان هذه الاراضي اهم ما يستحق الذكر في تلك البقاع ولكن هناك قطعة ارض اخرى مملوءة الآن بالمستنقعات وهي واقعة بين الدجله والفرات . وهذه البقعه في الحقيقة لا تقارن بالارض الكائنة بقرب بغداد وهي التي سبق الكلام عنها ولكن هذه البقعة الاخيرة كانت في الازمان السابقة كثيرة الخصب تخترقها ترع ومجار لريها وكانت آهلة بالسكان »

ثم اخذ يتكلم عن هذه البقعة فقال انها تسمى في كتب العرب (بالعراق العربي) ومساحتها تقدر بمليون وخمسمائة الف فدان اي عبارة عن نصف مساحة الوجه البحري في

مصر ثم قال :

« لما استوطن الكلدانيون القدماء — وهم القوم الذين جابوا الاقطار وركبوا متون الاسفار من شرق البلاد الى غربها — هذه البقعة لا بدّ انهم وجدوا نهري الدجلة والفرات يسيران في مجراهما الطبيعي اللذين كانا يحفظان مياههما على الدوام . ولا شك في ان مياههما كانت تفيض في بعض الاحايين على الاراضي المحيطة بهما . ولكن لما ازداد عدد الاهالي وكثرت الحاجة الى اصلاح الاراضي وحمايتها من الفيضانات انشئت الترع واقيمت الجسور وبنيت القناطر ووزعت المياه في المصارف بقدر معلوم فاخذ مجريا النهرين في التغيير على حسب ما يناسب الحالة الجديدة . فلما تغيرت الايام وتبدّلت الاحوال واقبلت المصائب والرزايا بكلكلها على هذه البلاد وسدّت افواه المصارف والترع لم يعد مجريا النهرين قادرين على تحمل المياه ففاضت حتى صيرت تلك البقعة الواسعة مستنقعاً وهكذا وصلت الى ما وصلت اليه اليوم

« وفي هذه النتيجة التي وصلت اليها بلاد العراق خير درس لمصر يجب ان لا تنساه في ايام عزها وثروتها

« ويعرف المشتغلون بهندسة الريّ ان طريقة الريّ من مجرى النهر الاصلي ان المياه كانت تؤخذ من النيل مثلاً في اوّل الفيضان محملة بالطمي ثم تعود اليه في التصفية خالية من الطمي المذكور وبذلك كان مجرى النيل يبقى نظيفاً حافظاً لشكله الاصلي واتساعه المعتاد ولهذا السبب عينه وجدنا نهر النيل بعد سبعة آلاف عام قادراً على تحمل مياهه كما كان ايام (مينا) . اما الآن وقد حلّ الريّ الصيفي (اي الريّ بواسطة الترع وغيرها) مكان الري من مجرى النهر فنحن نقلد الكلدانيين فيما عملوه على شاطىء الدجلة والفرات . فلذلك ارى من الواجب علينا ان نراقب بعين اليقظة مجرى نهر النيل ولا نتركه ينقص او يضيق عن تحمل مياهه وواجب ان نتخذ الاحتياطات باخذ المقاسات السنوية حتى اذا وقفنا على نقص في جهة عملنا على تدارك الخطب قبل استفحاله »

« وعاد بعد هذا الى موضوع امكان اصلاح العراق العربي وما يلزم بناؤه وانشاؤه من الترع والجسور وغيرها فقال : انه وصل الى علمه ان جلالة السلطان عبد الحميد بدأ بنجاح وافر في احياء الاراضي الواقعة بالقرب من بابل وذلك بانشاء ما يلزم انشاؤه لاحيائها .

واذا اعتمدنا في تحقيقاتنا على النفقات التي أُنفقت على القناطر والجسور والمصارف في مصر نقول ان هذه الاعمال نفسها في وادي الدجلة والفرات تكلف جنيهاً واحداً عن

الفدان الواحد لانشاء القناطر ونصف جنيه عن الفدان للجسور وجنيهين ونصفاً عن الفدان للترع وجنيهاً ونصفاً عن الفدان للمصارف او بعبارة اخرى عشرة جنيهات عن كل فدان »

« وذكر ان هذه الارقام ماخوذة من كتابه المسمى « الري المصري » وانه وصل الى تقديرها بعد خمس عشرة سنة قضاها في الاختبار والعمل · ويؤخذ من الجدول الآتي البيان الكافي عن تقديرات الخطيب لاثمان الاراضي ونفقات الاعمال الخاصة باصلاح ريها »

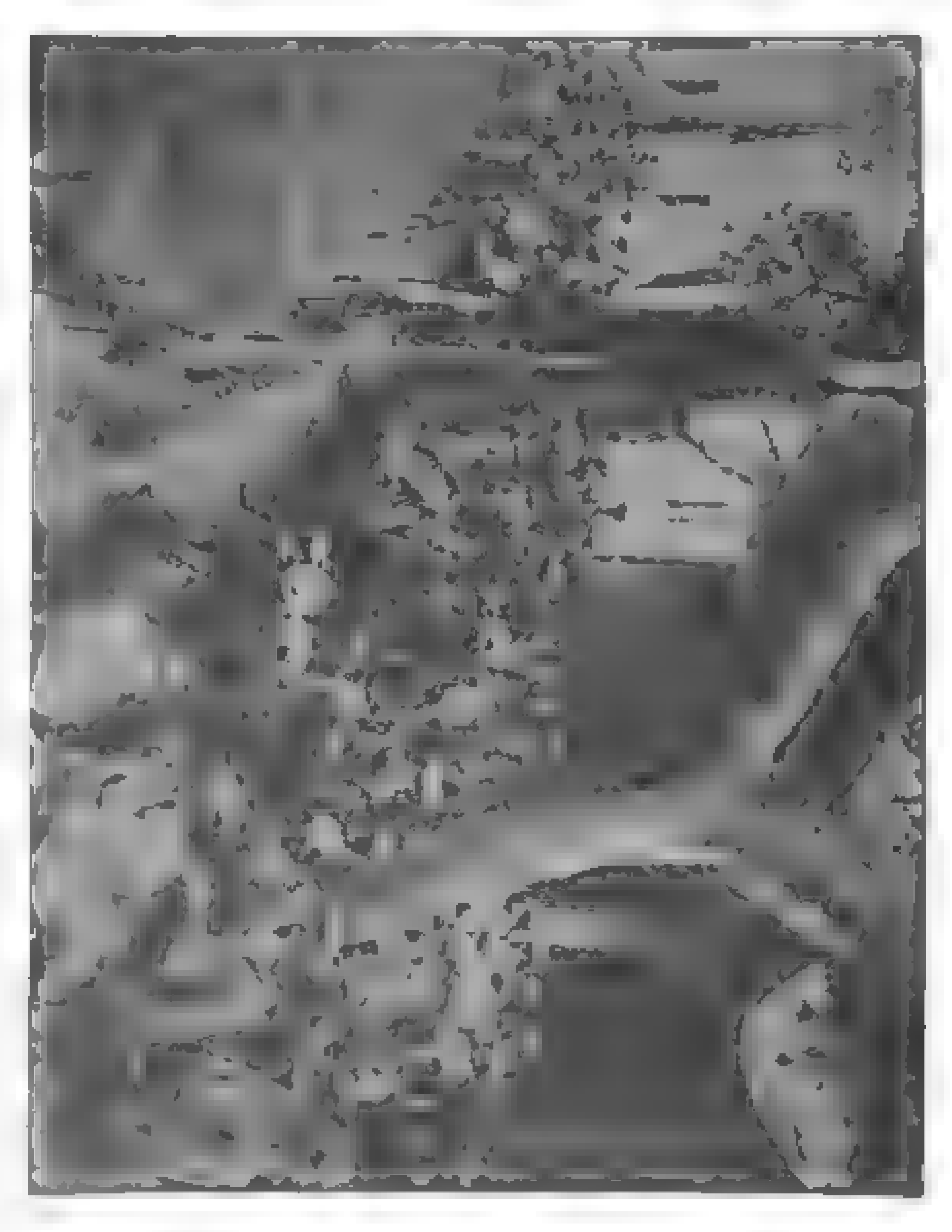
	فدن	نفقات الاعمال	ثمن الارض
كلدانيا الشمالية	١٣٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	١٩٠٠٠٠٠٠
كلدانيا الجنوبية	١٥٠٠٠٠٠	٣٢٥٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠
المجموع	٢٨٠٠٠٠٠	٥٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠

« وقال في ختام خطبته ما يأتي « تسمى بغداد دار السلام ولكنه سلام سوف يحل ساحتها وهو السلام الذي حرمت منه في زمان طويل منذ ايام تيمور وهلاكو وغارات التتار الذي كان قدومهم الى تلك الاصقاع انكى وادهى من تغيير مجرى الدجله وتركه تلك الارض قاعاً بلقعاً · وستكون هذه الارض غرة في جبين الدنيا يهرع اليها الوف العمال من الهند ومصر لانشاء السكة الحديدية من الكويت (او القويط) شمالاً والترع والمصارف بالقرب من آثار اوبيس القديمة جنوباً · وهكذا تنقل السكة الحديدية الرحال والعمال والادوات من الخليج الفارسي لاحياء الاراضي وانشاء المدن في تلك البقعة الواسعة · ولا حياة للسكة الحديدية بغير احياء الارض · ففي اليوم الذي تلتقي فيه السكة الحديدية من البحر الاحمر بالسكة الحديدية من الخليج الفارسي تكون بطاح كلدانيا القديمة حضراء زاهرة تقوم بتصدير محصولاتها التي يطلبها الشرق او الغرب · وليس في الارض بقعة اجود تربة وانفع لزراعة الخضر والحبوب من هذه البقعة · فالقطن وقصب السكر والذرة والبرسيم والافيون والدخان وغيرها من النباتات التي تنمو في مصر تنمو ايضاً في تلك البلاد · وزد على ذلك ان جوها صالح لكل شيء · فبلادٌ هذه شأنها يجب ان لا تبقى مقفرة قاحلة في الوقت الذي تزحف فيها سكة حديد بغداد من الشمال واوربا تبحث عن ارض تستثمر فيها المال » اهـ

باب تدبير الصحة

اهمية الرياضة البدنية

من افضل المبادىء التي أُدخلت الى المدارس الاميرية في القطر المصري مبادىء الرياضة البدنية . وقد عمَّت هذه المبادىء مدارس اوروبا كلها خصوصاً مدارس الانكليز والاميركان وتطرقت من مدارس الذكور فيها الى مدارس الاناث حتى صار ترويض جسم



حضور آباء الطلبة في مدرسة الفرير في الثغر الاحتفال السنوي بالالعاب الرياضية الخاصة بالمدرسة

الابية بمنزلة تلقينها اسمى المبادىء . ولا عجب في ذلك فان صحة الابدان في هذه المدنية المتمدنة التي يزداد فيها ميل الانسان الى الراحة والكسل متوقفة على إتعابها وترويضها . فعسى ان تعمّ مبادىء الرياضة البدنية جميع المدارس الشرقية

وهنا ننشر صورتين يمثلان احتفالاً اقيم في احدى مدارس الثغر دلالة على اهتمام المدارس الغربية بالرياضة البدنية



الطلبة بملابس الالعاب الرياضية قبل الشروع فيها

الاطفال وجناية غلي اللبن اللبن غذاء ضروري للاطفال . ولكن باعة اللبن قد يغلونه ويستخرجون منه مادته اللبسيتينية (القشطه) ليبيعوها على حدة وبذلك يأخذون افضل ما فيه من الغذاء . وتلك جناية على الاطفال يجب الانتباه اليها . وقد ابلغ الدكتور برواردل اكاذمية العلوم ان اللبن اذا أُغلي على النار مباشرة فقد ٢٨ في المئة من مادته المذكورة ولكنه اذا أُغلي بحرارة النار لا بالنار نفسها وذلك بطريقة تعرف بطريقة « حمام ماري » فانه لا يفقد منها الاّ ١٢ في المائة

الغبار الغبار الغبار كان باستور اوّل من صرخ هذه الصرخة لانه بعد

اكتشافه امر الميكروبات علم ان الغبار اقوى موصل لها لدخوله الى جسم الانسان بطريق الانف ولا يزال علماء الصحيين يحاربونه الى اليوم . وهم يشيرون على ربات المنازل ان لا يكنسن كنساً جافاً لان الكنس الجاف يثير في البيت الغبار الكامن في زواياه واذا كان في هذا الغبار مكروبات ثارت في فضاء الغرفة واستنشقها اهل البيت مع الهواء والغبار . وكثيراً ما تدخل مكروبات السل والطاعون والتتانوس والحمى من هذه الطريق . فالافضل اذاً مسح المكان الذي يُراد كنسه بخرقة مبلولة او اسفنجة وبذلك تُستأصل جراثيم الغبار . ولذلك صاروا يشيرون بوجوب ان لا يُستعمل في المنازل الا كل شيء يمكن مسحه وغسله اي ابطال استعمال الستائر على النوافذ والسجادات وما اشبهها . وقد اخترع احدهم آلة هي عبارة عن ممص يوضع في اماكن الغبار فيمتصها مع الهواء ثم يعيد الهواء ويبقى الغبار في جوفه

باب الاخبار العلمية

❋ آثار مصر في انكلترا ❋ في ستونهنج في انكلترا خرابات قديمة قيل انها من العصر الحجري وهي عبارة عن حجارة ضخمة قائمة فوقها حجارة اخرى طويلة بمثابة سقف لها . وقد وجدوا بعد البحث الكثير انها آثار قوم كانوا يعبدون الشمس وقد عرفوا ذلك من ان الشمس حين بزوغها تقابل مدخلها وترسل منه اشعتها الى الداخل في اطول يوم من ايام السنة . وهذه الطريقة هي طريقة الكهنة المصريين القدماء في بناء هياكلهم ليدهشوا الشعب بظهور الشمس لهم بغتة في يوم معين . ولذلك قيل ان الذين بنوا هذه الخرائب اقتبسوا طريقتها من مصر

❋ سبب حدّة بعض الكتاب ❋ حين صنع ورق الطباعة وصقله يمر تحت اسطوانات كهربائية . قال بعضهم : فسبب حدّة بعض الكتاب ونزقهم وهم يكتبون تهيجهم من تلك الكهربائية الكامنة في الورق . فلا شك ان هذا العذر اجمل الاعذار

❋ القطب الجنوبي ❋ روى البرق خبر نجاح البعثة الانكليزية التي سافرت الى القطب الجنوبي . فان هذه البعثة سافرت اليه في شهر اغسطس من سنة ١٩٠١ وبقيت اخبارها كل هذه المدة مقطوعة . وهي بعثة اوفدتها الجمعيات العلمية الانكليزية لارتياد

القطب . فتمكنت من الوصول الى ما فوق الدرجة ٨٠ في القطب اي انها تجاوزت السياح الذين ارتادوا القطب الجنوبي قبلها بمسافة ٣٠٠ كيلومتر . وكانت الحرارة تهبط هناك الى الدرجة ٤٥ تحت الصفر . وقد اكتشفت جبلاً ارتفاعه من ٣ الى ٤ آلاف متر . وكل ما رأته يؤيد ما نقلناه قبلاً من وجود قارة كبرى عند القطب الجنوبي . وقد عزمت على صرف فصل الشتاء هناك لتكمل ملاحظاتها في فصل الصيف . على ان في القطب الجنوبي بعثتين اخريين غيرها واحدة المانية وواحدة اسوجية ولكن اخبارها مقطوعة منذ مدة طويلة

﴿ علم الفلك في المدارس الابتدائية ﴾ عاد بعض علماء الفلك الى ما اقترحه العلاَّمة له فربه المشهور من وجوب وضع نظارة مكبّرة صغيرة في كل مدرسة ابتدائية لتربية اذواق الطلبة على علم الفلك

﴿ كوكلين في الاستانة ﴾ كوكلين اشهر ممثلي فرنسا وقد سافر الى الاستانة منذ شهر ومثل في القصر السلطاني مع جوقه بعض رواياته المضحكة فكان جلالة السلطان يهبه كل مرة ٥٠٠ ليرة عثمانية وقد انعم عليه بالنشان المجيدي الثالث

﴿ مراهنة تنقلب لعا النفس ﴾ تراهن بحريان في اوروبا (ولا نذكر جنسيتهما) على ان تربط يدا احدهما خلف ظهره ويربط جرذ حيّ امامه على المائدة بخيط طويل . والرجل يهاجم الجرذ فيمسكهُ بفمهِ فقط ويقتلهُ بهِ . ففعل الرجل ذلك ونال الجائزة بعد ان خدشهُ الجرذ وعضَّهُ كما عضه . .

﴿ موافقة المانيا على معاهدة الاختراعات الدولية ﴾ كانت المانيا خارجة عن دائرة معاهدة الاختراعات الدولية فوافقت على هذه المعاهدة في هذا الشهر وبذلك صارت حقوق المخترعين من غير رعاياها مرعية فيها

﴿ الفيلة والماء والنار ﴾ الفيلة تكره الخوض في الماء فبدلاً من جرها اليه يحيط بها رجال بايديهم مشاعل من كل جانب الاَّ من جانب الماء فتتجه حينئذٍ الى هذا الجانب من تلقاء نفسها وتخوضه

﴿ تاثير الهواء في النبات ﴾ اخذ المسيو بونيه عدة نباتات من فصائل متشابهة وزرع بعضها في باريز وبعضها في شواطىء البحر المتوسط فلم تمرَّ عليها ثلاث سنوات حتى ظهر التغير فيها وصارت النباتات التي على شاطىء البحر تختلف عن النباتات الباريزية وهذا مما يثبت سرعة تغير الاحياء بتغير المكان والهواء

﴿ المناطيد والطيران في الهواء ﴾ يعرف القراء سنتوس ديمون البرازيلي مخترع

المنطاد (البالون) المعروف باسمهِ . وقد نشرنا هنا صورة احد مناطيده التي طار بهِ فوق ضواحي باريز . ويُقال انه سيعرض مع كثيرين من الهوائيين في معرض سان لويس القادم الذي سيقام في اميركا منطاداً ارقى من جميع مناطيده السابقة حتى الذي نال به الجائزة يوم دورانه حول برج ايفل



سنتوس دمون في منطاده فوق ضواحي باريز

﴿ تاج سايتافارنس ﴾ سايتافارنس ملك مشهور من ملوك القبائل السكيثية القديمة التي عاشت في شمالي اوروبا الشرقي بينها وبين آسيا . ومنذ عدة سنوات ابتاع

متحف اللوفر في باريس بمبلغ ٢٠٠ الف فرنك تاجاً من ذهب قيل ان هذا الملك كان يلبسهُ في حياته . على انه شاع اخيراً في كل الجرائد الفرنسوية ان هذا التاج مزوَّر فعينت الحكومة لجنة لفحصه . وبذلك وقعت الشبهة على كثير من الآثار القديمة النفيسة فصار اصحابها يقلّبونها وهم في خوف من تزويرها

﴿ تجارة اوستراليا مع اوربا ﴾ بلغ ما اصدره اقليم فيكتوريا من اوستراليا فقط الى انكلترا من السمن ١٧ الف طن في سنة واحدة وقيمتها ٤٠ مليون فرنك

﴿ ظهور نجم مذنب ﴾ ظهر لعلماء الفلك نجم مذنب آخذ في الاقتراب من الارض وهو قريب جداً من الشمس ولذلك لم يظهر جلياً . وقد كان ظهوره لهم في ١٩ يناير الماضي ولكن لم يدخل يوم ١٦ مارس حتى صار يرى اكبر مما رؤي عند ظهوره بواحدة وار بعين مرة

﴿ وجود الارسنيك في كل عناصر الطبيعة ﴾ ثبت ان الارسنيك موجود في كل شيء حتى في جسم الانسان ولذلك صحَّ ما قاله احد المحامين لاحد القضاة في قضية تسميم « انني قادر على استخراج الارسنيك من كرسي القاضي نفسه » اي من مادتها الخشبية . وبناء عليه لم يعد وجود الارسنيك في امعاء الميت دليلاً على تسميمه وانما يجب لاثبات ذلك وجود مقدار كثير منه فيها

باب التقريظ والانتقاد

الخبط في مسألة الضغط

تأليف حضرة السيد ابن شهاب

اهدانا حضرة السيد ابن شهاب من علماء الهند الافاضل نسخة من كراس وضعه بهذا العنوان وغرضه تخطئة علماء الطبيعة في قولهم ان الهواء الكروي يضغط على الاجسام التي على الارض . وقد اسهب حضرة المؤلف في اثبات مذهبه هذا وهو لا يعتقد به كل الاعتقاد كما ظهر من قوله مخاطباً القارىء « فان وجدتني مخطئاً فذلك شأني وشأن المتطفلين امثالي ولست اول سارٍ غره القمر . وان وجدتني اصبت كبد المرمى وجئتك بالصواب الصراح فرمية من

غير رام ومع الخواطىء سهم صائب » ولا شك في ان الكاتب قد قال هذا القول وهو يفتكر في المشاهدات العديدة التي يثبت بها علماء الطبيعة في هذا الزمان مذهبهم في ضغط الهواء وهي في حكم الاوليات مثل المضخات (الطلمبات) والممصات وغيرها · وبناء عليه يكون مذهبه عبارة عن رأي يعرض للنقد · ولذلك كان الاجدر بحضرته ان لا يسميه « رفع الخبط عن مسألة الضغط » فان في كلمة « الخبط » تحقيراً لجميع جهابذة العلم الذين استنق المؤلف منهم · بل كان يجب ان يسميه « رأي في مسألة الضغط »

المباحث العصرية

تاليف جناب راشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية

يسرنا ان يظهر من قلم الناشئة المصرية حيناً بعد حين كتاب ككتاب « المباحث المصرية » الذي وضعه جناب راشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية · وهذا الكتاب يشتمل على فصول في مواضيع متفرقة وهذه ابوابها : حقوق المجرمين · السحر الحديث اي التنويم المغنطيسي · الداء الاجتماعي اي السكر · الاحسان وعلاقته بالحكومات والافراد · حقوق الانسان الطبيعية وفيها حق البقاء والحرية والملكية · وقد ايد جناب المؤلف اقواله بكثير من آراء العلماء المتقدمين والمتأخرين مما دل على سعة اطلاعه · فنحن نتمنى الرواج لكتابه ليكون ذلك مشجعاً له على الاستمرار في الكتابة · ومما اعجبنا في الكتاب قول المؤلف في المقدمة « واني لا اود ان اتبع خطة غيري من الذين كتبوا قبلي فابث في مقدمة كتابي عبارات الاعتذار لقصر الباع وقلة المتاع لان ذلك القول صار مبتذلاً عند العقلاء يا نفه ذوو الافكار الحرة اذ الكاتب بنشر خلاصة افكاره يعترف ضمناً باعتقاده في نفسه بعض الكفاءة والمقدرة »

آسيا

لحضرة واضعه شارل افندي مقصود

هو كتاب جغرافي مدرسي مكتوب باللغة الفرنسوية وفي حواشيه شروح باللغة العربية لحضرة مؤلفه شارل افندي مقصود مدرّس اللغة الفرنسوية في مدارس جمعية العروة الوثقى · وموضوع هذا الكتاب البحث في جغرافية آسيا واقسامها كلها وشيء من تاريخها مما يفيد في المدارس الابتدائيه فائدة تذكر · فنثني على جناب مؤلفه اجمل ثناء لاننا لانجد

احداً اجدر بالثناء من اولئك الشيطين الافاضل الذين يبذلون قوام واوقاتهم في تثقيف عقول الناشئة دون ان يلقوا في هذا التثقيف في بلادنا الشرقية المكافأة والاكرام اللائقين بهم

الجمعية الخيرية الارثوذكسية في طرابلس الشام

اهدتنا هذه الجمعية الكريمة نسخة من بيان حساباتها لسنة ١٩٠٢ ويؤخذ منها ان دخلها قد بلغ اكثر من ١٩ الف غرش ونفقاتها ١٣ الفاً. ونحن لا يسرّنا شيء مثل اقبال اهل البلاد على الاشتراك في معاونة بعضهم بعضاً بجمعيات خيرية عمومية او خصوصية. انما نسأل الله ان يزيد الهمم علوّاً في هذا السبيل فان مبدأ التعاون والاجتماع الذي صار قاعدة اعمال العرب كلها سياسةً وتجارةً وادباً لا يزال في اول طفوليته عندنا حتى انهُ لولا المذاهب الدينية لما كان بيننا جمعية قط

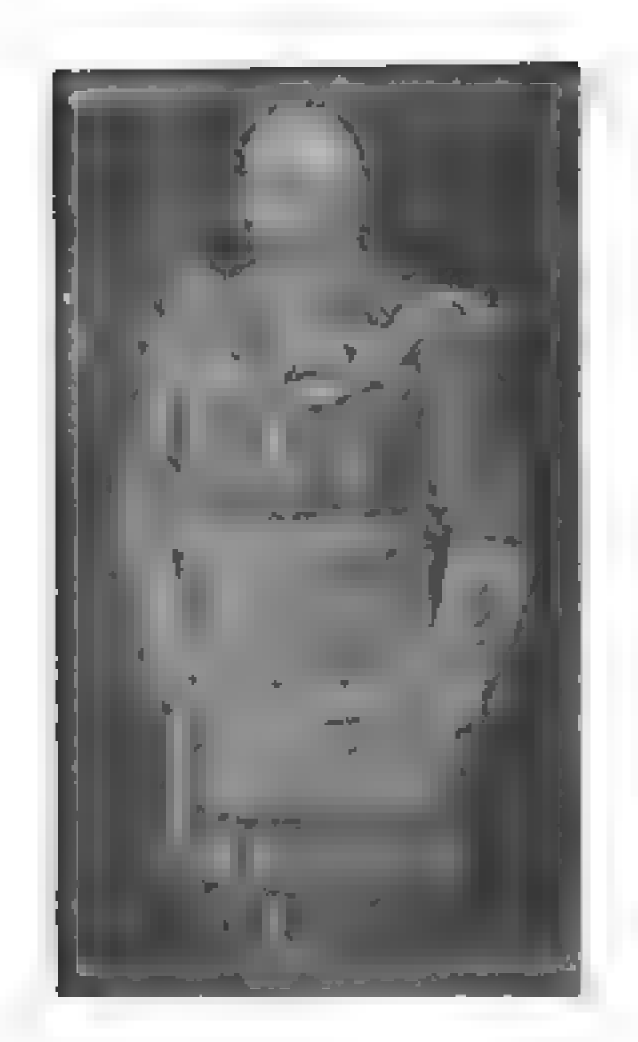
❊ **المصباح** ❊ عادت الى عالم الصحافة جريدة المصباح الغراء التي تطبع في بيروت بادارة حضرات نجيب افندي حبيقة والياس افندي جدعون فنحن نرحب بالرصيفة

❊ **مطبوعات المكتبة العمومية** ❊ اهدتنا المكتبة العمومية في بيروت لصاحبها جناب سليم افندي ابرهيم صادر نسخة من قائمة مطبوعاتها التي صدرت حديثاً وفيها اسماء الكتب والروايات التي تباع فيها . وهي تُطلب من هذه المكتبة في بيروت

❊ **مطلع الميامن** ❊ جمع حضرة الرصيف عزتلو عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران الغراء كتاباً عنوانه «مطلع الميامن في تهانيء غبطة البطريرك كيرلس الثامن» وقد ضمّنه تاريخ طائفة الروم الكاثوليك بالتفصيل وذيله بالتهانيء التي رُفعت الى غبطة الحبر الجليل السيد كيرلس الثامن بعد ارتقائه الى العرش البطريري وبرسم غبطته ورسوم كثيرين من احبار الطائفة الاجلاء . وهذا الكتاب يُطلب من جناب واضعه في العاصمة وثمنه خمسة فرنكات عدا اجرة البريد

❊ **الامام** ❊ الامام جريدة اسبوعية سياسية ادبية قضائية لصاحبيها حضرات عزتلو محمد ابو شادي بك المحامي ومحمود افندي واصف وقيمة اشتراكها في مصر ٨٠ غرشاً صاغاً و٢٥ فرنكاً في الخارج . وقد قرأنا فيها ابحاثاً مهمة منها بحث في المقارنة بين العقوبات في الشريعة الدينية والشريعة المدنية تدلّ على سعة اطلاع فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة

❊ **دليل الكاتب** ❊ هي رسالة في فن الخط صغيرة الحجم كبيرة الفائدة لواضعها جناب محمد افندي حلمي الكاتب بدائرة دولتلو الامير محمود حمدي باشا وقد طبعت في مطبعة التمدن طبعاً في غاية الاتقان شأنها في كل مطبوعاتها



﴿ ادورد السابع ملك انكلترا ﴾

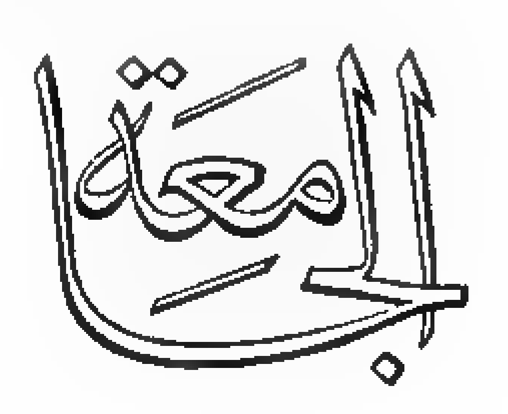
بلباس رئيس الجامع الماسونية وهو ولي العهد



﴿ اميل لوبه ﴾

رئيس الجمهورية الفرنسوية

الجزء الثالث



السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ — صفر سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

مشاهير الغرب

الملك ادورد * الرئيس لوبه

الملك ادورد والرئيس لوبه هما اليوم الرجلان اللذان يمثلان ارقى امم الارض وحكومتها (مع حكومة الولايات المتحدة) ارقى الحكومات في العالم . ولمناسبة التقائهما في باريز بعد سياحة الرئيس لوبه في الجزائر وتونس يحسن ان نصدر هذا الجزء بشيء من ترجمتهما

***

☸ **الملك ادوار** ☸ولد الملك ادوار في سنة ١٨٤١ ويوم ولادته ساد الفرح في انكلترا كلها لان بكر امه كان بنتاً . وقد صرف ابوه همه الى تحويل ميله منذ صغره الى المعارف والفنون تنبيهاً للميل الادبي فيه لان امته امة علم وادب . فشبّ الامير ادوار اديباً مطلعاً .

الاَّ ان امه المرحومة فيكتوريا وضعته بمعزل عن المعيشة الملوكية الرسمية اي لم تكن تسمح له بالتداخل في شأن من الشؤون لئلا يجرّ ذلك عليه الانتقاد واللوم · ولذلك كان الامير يقول: ان ابن اختي الامير غيليوم (يريد الامبراطور غيليوم وهو ولي عهد) يدبّر كل شيء ويتداخل في كل شيء اما انا فكأنني غير موجود · ولكن لما توفي ابوه جزعت الملكة فيكتوريا لوفاته جزعاً شديداً وانقطعت عن الحفلات الرسمية فصار نجلها الامير ادور ينوب منابها فيها · ومع ذلك فقد كانت وظيفته مقصورة على الظهور في تلك الحفلات دون ان يتداخل في شيء من امور الدولة الرسمية احتراماً لارادة والدته التي لم يكن يخالف لها امرًا

وكان من صفات الامير وهو ولي العهد كراهته للاستقبالات الرسمية ورغبته في ان يروح ويجيء في المدينة كما يريد دون ان يعرفه احد او يحفل به احد · ومن اقواله: اني اكون سعيدا جدًا يوم اقدر اروح واجيء كما احب فلا يقال عني راح البرنس دي غال وجاء البرنس دي غال · او لعب البرنس دي غال الليلة وخسر مالاً لا يقدر على وفائه »
وكان من المغرمين باقتناء الخيل وتضميرها للسباق وقد ربح جائزة دربي ثلاث مرات · وكذلك كان من محبي التأنق في اللبس وكثيرون من الباريزيين والباريزيات لا يزالون يذكرون نزهاته في حرش بولونيا في باريز بقبعة منحرفة على اذنه قليلاً كالشبان المرتاحين الى الحياة وسترة بزيّ جديد خاص به وهذه السترة كانت لا تلبث ان تصير منذ ذلك اليوم زيًا عمومياً (موضة) فيتهافت اهل التأنق على لبس سترة مثلها

ولكن لما توفيت المرحومة الملكة فيكتوريا والقيت على عاتقه اعباء الدولة الثقيلة تغير الامير تغيرًا كلياً · فصار منظره رسمياً محضاً · ومنذ اول اسبوع رحب الشعب الانكليزي بملكه الجديد اجمل ترحيب · غير ان الساسة باتوا يتساءلون: هل ان الملك ادوار يجري في ملكه على سياسة وزرائه ام له آراء خصوصية يريد تحريك سفينة الدولة نحوها · فيظهر من الحوادث التي مرَّت عليه الى الآن ان الملك ادوار ملك جدي لا يترك نفسه آلة في ايدي وزرائه · فانه على ما يقال هو الذي جعل الوزارة الانكليزية تصالح البوير على الشروط التي تمَّ الاتفاق عليها · وهو ايضاً الذي حرَّك سفينة الحكومة نحو صداقة فرنسا · ومما هو معروف عنه انه شديد الميل للفرنسويين خصوصاً لباريز لانه اقام فيها مرارًا مدات طويلة وعرف اكابر رجالها وسيداتها خصوصاً في المجتمعات العليا · ومن اقوال بعض اخصائه عنه: ان ابتسامة باريز له تعادل عنده ابتسامة الدنيا كلها

وفي يقيننا ان باريز لا تكتفي بالابتسام له هذه المرة التي تحظى فيها بزيارة سلطان

السلطنة الانكليزية . لانه يظهر من الاخبار الواردة منها ونحن نكتب هذه السطور انها ستنفجك له ابتهاجاً بزيارته ملء فيها . فعسى ان يكون في هذه الزيارة خدمة جديدة للسلم العام في العالم وازالة النفار من بين الامتين العظيمتين اللتين خلفتا الامة اليونانية والامة الرومانية

***

اميل لوبه ولد اميل لوبه في مونتليمار في اقاليم فرنسا ونشأ محامياً ووكيلاً للدعاوى ولبث يتدرج من هذه الحرفة حتى وصل الى رئاسة الجمهورية . اي انه مرَّ في جميع الدرجات التي بينها وبين هذه الرئاسة . فكان عضواً في المجلس البلدي في بلدته ثم عمدة لها ثم موظفاً في الحكومة فنائباً في مجلس النواب فوزيراً فعضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً لهذا المجلس . فتقدمه اذاً كان عبارة عن سير تدريجي مطرد بلا وثبة ولا عنف لانه كان عبارة عن نتيجة ارادة قوية وصبر شديد . وقد كان انتخابه لرئاسة الجمهورية في الاحوال التالية :

لما فُتحت مسألة دريفوس انقسمت فرنسا قسمين قسم يُدافع عن الجيش وقسم يطلب الحقيقة اي يطلب تبرئة دريفوس اذا كان بريئاً ولو ادى ذلك الى اهانة رؤساء الجيش الذين كانوا يؤكدون خيانته . وكان على رئاسة الجمهورية يومئذ المرحوم فليكس فور وكان من حزب الجيش وبعض الجمهوريين المعتدلين الذين كانوا يعضدونه اعتقاداً بخيانة دريفوس . فيظهر ان هذه الحادثة اثرت بالمرحوم فليكس فور فاصيب بداء السكتة من جرائها وبعضهم يقول انه مات مسموماً وهو حديث خرافة . فلما خلت رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت الذي كان اشد اوقات الضيق على فرنسا عرف اعداء الجمهورية ان هذه هي ساعتهم . فزادوا في تنفير الشعب منها والحملة عليها . اما الجمهوريون فانهم اجتمعوا بسرعة غريبة لانتخاب رئيس الجمهورية . فوجدوا من مصلحة الجمهورية يومئذ ان يضعوا في رئاستها رجلاً جامعاً لصفتين: الاولى ميله الجمهوري المحض لكي لا يخون الجمهورية وينحاز الى اعدائها . والثانية الاعتدال واللطف والمسالمة التي لا بدَّ منها في منصب فوق الاحزاب كهذا المنصب . فوقع اختيارهم على المسيو اميل لوبه الرجل الكريم الجامع للصفتين معاً

ولما بلغ خبر انتخابه الى باريز قام حزب الناسيوناليست وقعد . وانتشر هذا الحزب على الطريق التي مرَّت بها مركبته قاصدة قصر رئاسة الجمهورية يصيحون : بناما بناما . يريدون بذلك تعيير الرئيس بانه كان له يد في قضية بناما المشهورة . مع ان المسيو لوبه لم يكن له يومئذٍ يدٌ الاَّ في دفن تلك الاقذار لئلا تنتشر رائحتها فتضر سمعة فرنسا نفسها . فاحتمل

المسيو لوبه مهاجمات واهانات اعداء الجمهورية بصبر غريب بالنسبة الى كبر سنه · ولكن كبر النفس لا تتوقف على كبر السن او صغرها · ولما اعترض المسيو ديروليد زعيم حزب الناسيوناليست الجيش وهو عائد من جنازة المرحوم فليكس فور وطلب من قائده ان يزحف معه الى قصر رئاسة الجمهورية لاخراج الرئيس الذي فيها واقامة جمهورية جديدة « للشعب من اجل الشعب » قابل المسيو لوبه في قصره هذا الخبر بالابتسام · ولكن لما حضر سباق اوتيل وهجم عليه احد ابناء الاشراف وضربه بعصاه على قبعته على مشهد من جميع الناس ذهب يومئذٍ هذا الابتسام وتحوّل الى جدّ غريب · فان الرئيس قال يومئذٍ لاحد اخصائه : انهم يصنعون بي هكذا ليحملوني على الاستعفاء ضمصمة لاركان الجمهورية ولكن فليعلموا انني سابق في منصبي مهما جرى لي

ثم كانت وزارة المسيو والدك روسو بطل الجمهورية والبرلمان الفرنسوي لجمع شمل الجمهوريين واضعف اعداء الجمهورية بمساعدة المسيو لوبه وبذلك انتصر هذا الرئيس اللطيف بصبره ورزانته وصار بعد تلك الاهانات والمهاجمات محترماً في فرنسا كلها وصارت الملوك (كالقيصر والملك ادورد السابع) تتسابق لزيارته وهزّ يده

مشاهير الشرق

ملك شاه * نظام الملك

حين خروج الامة التركية من بلادها في اقاصي آسيا واكتساحها ما يليها من البلاد التي كانت في قبضة العرب والفرس اشتهر منها سلطان ووزير طبقت شهرتها الخافقين وفتحا اكثر بلاد آسيا وهما السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك · وفي ترجمة هذين الحاكمين عبرة للحكام وفائدة للقراء · لانه اذا صحّ كل ما روي عن ملكشاه من الخصال والمناقب وجب وضعه في مقدمة الملوك المتمدّنين الذين اشتغلوا لترقية الحضارة والمدنية في الارض

✻ السلطان الب ارسلان ✻ السلطان ملكشاه هو ابن السلطان الب ارسلان الذي خلف السلطان طغرلبك · ويوم وفاة هذا السلطان كان الب ارسلان صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فولوه دون سليمان بن داود جغري بك الذي عهد اليه السلطان طغرلبك بالسلطنة · فاتسع سلطان الب ارسلان حتى لُقب « بسلطان

العالم » وكان رفيقاً بالفقراء حكيماً متبصراً . قيل « ان بعض السعاة كتب اليه سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ما له ما في ممالكه من الرسوم والاموال وترك هذه الورقة على مصلاه . فاخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس » قال ابن الاثير بعد سرده هذه الحكاية : وهذه حال لا يذكر عن احد من الملوك احسن منها . وكان ألب ارسلان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية . وقد بلغه يوماً ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازاراً فاخذ المملوك وصلبه . فارتدع الناس من التعرض الى مال غيرهم . ولقد كانت هذه الشدة ضرورية بعد ما احاق ببغداد والبلاد من السلب والنهب على يد الجنود والعساكر

⁂ ملك شاه ونظام الملك ⁂ فعند وفاة ألب ارسلان اوصى ابنه ملك شاه بالاعتماد على وزيره نظام الملك فاعتمد عليه ملك شاه ولقبه القاباً جليلة من جملتها « اتابك » يعني الامير الوالد . فقام نظام الملك بهذا الامر احسن قيام

وكان نظام الملك رجلاً مقداماً . وقد كانت ولادته في سنة ٤٠٨ للهجرة في نوقان احدى مدينتي طوس . قال ابن الاثير « وقد زال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم » ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان متولي الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان ثم اتصل بداود نفسه فاوصى به ابنه الب ارسلان

⁂ المشاكل الثلاث ⁂ ولما تولى ملك شاه السلطنة وعهد بوزارتها الى نظام الملك وجد نظام الملك نفسه لدى ثلاث مشاكل : المشكلة الاولى قيام الخليفة المقتدي بالله اماماً في بغداد والتفاف العرب حوله وما ينشأ عن ذلك عادةً من الاحتكاك بين الخلافة والسلطنة . والمشكلة الثانية هياج الجند ورغبتهم في ان تطلق ايديهم في اموال الرعية ليأخذوا ما يريدونه منها . والمشكلة الثالثة تسكين الثورات واخضاع الخوارج في اطراف البلاد وتأمين السبل فضلاً عن فتح البلاد اللازم فتحها تأميناً على ما في اليد من الاملاك

⁂ المشكلة الاولى ⁂ اما المشكلة الاولى فقد اتخذ فيها نظام الملك سبيل اللين والمسالمة . فصار يبالغ هو والسلطان في زيارة قبور الائمة والاولياء كقبر موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة (رضه) وغيرها من القبور المعروفة . وفي ذلك قال ابن

القطب . فتمكنت من الوصول الى ما فوق الدرجة ٨٠ في القطب اي انها تجاوزت السياح الذين ارتادوا القطب الجنوبي قبلها بمسافة ٣٠٠ كيلومتر . وكانت الحرارة تهبط هناك الى الدرجة ٤٥ تحت الصفر . وقد اكتشفت جبلاً ارتفاعه من ٣ الى ٤ آلاف متر . وكل ما رأته يؤيد ما نقلناه قبلاً من وجود قارة كبرى عند القطب الجنوبي . وقد عزمت على صرف فصل الشتاء هناك لتكمل ملاحظاتها في فصل الصيف . على ان في القطب الجنوبي بعثتين اخريين غيرها واحدة المانية وواحدة اسوجية ولكن اخبارها مقطوعة منذ مدة طويلة

✵ علم الفلك في المدارس الابتدائية ✵ عاد بعض علماء الفلك الى ما اقترحه العلاَّمة له فريه المشهور من وجوب وضع نظارة مكبّرة صغيرة في كل مدرسة ابتدائية لتربية اذواق الطلبة على علم الفلك

✵ كوكلين في الاستانة ✵ كوكلين اشهر ممثلي فرنسا وقد سافر الى الاستانة منذ شهر ومثل في القصر السلطاني مع جوقه بعض رواياته المضحكة فكان جلالة السلطان يهبه كل مرة ٥٠٠ ليرة عثمانية وقد انعم عليه بالنشان المجيدي الثالث

✵ مراهنة تتقلب لها النفس ✵ تراهن بحريان في اوروبا (ولا نذكر جنسيتها) على ان تُربط يدا احدهما خلف ظهره ويُربط جرذ حيّ امامه على المائدة بخيط طويل . والرجل يهاجم الجرذ فيمسكهُ بفمهِ فقط ويقتلهُ بهِ . ففعل الرجل ذلك ونال الجائزة بعد ان خدشهُ الجرذ وعضّهُ كما عضه . .

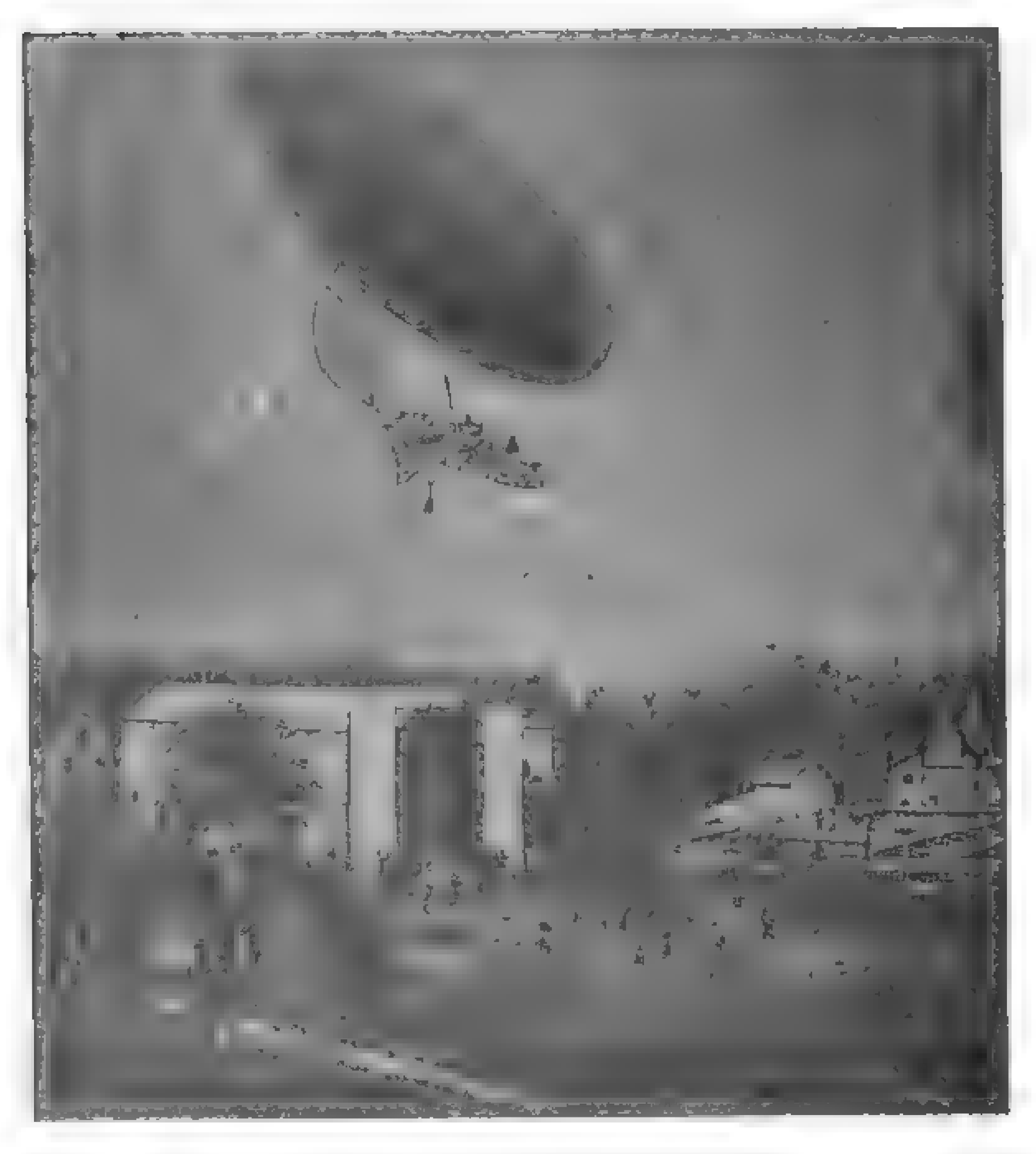
✵ موافقة المانيا على معاهدة الاختراعات الدولية ✵ كانت المانيا خارجة عن دائرة معاهدة الاختراعات الدولية فوافقت على هذه المعاهدة في هذا الشهر وبذلك صارت حقوق المخترعين من غير رعاياها مرعية فيها

✵ الفيلة والماء والنار ✵ الفيلة تكره الخوض في الماء فبدلاً من جرها اليه يحيط بها رجال بايديهم مشاعل من كل جانب الاَّ من جانب الماء فتتجه حينئذٍ الى هذا الجانب من تلقاء نفسها وتخوضه

✵ تأثير الهواء في النبات ✵ اخذ المسيو بونيه عدة نباتات من فصائل متشابهة وزرع بعضها في باريز وبعضها في شواطىء البحر المتوسط فلم تمرّ عليها ثلاث سنوات حتى ظهر التغير فيها وصارت النباتات التي على شاطىء البحر تختلف عن النباتات الباريزية وهذا مما يثبت سرعة تغير الاحياء بتغير المكان والهواء

✵ المناطيد والطيران في الهواء ✵ يعرف القراء سنتوس ديمون البرازيلي مخترع

المنطاد (البالون) المعروف باسمهِ . وقد نشرنا هنا صورة احد مناطيده التي طار بهِ فوق ضواحي باريز . ويُقال انه سيعرض مع كثيرين من الهوائيين في معرض سان لويس القادم الذي سيقام في اميركا منطاداً ارقى من جميع مناطيده السابقة حتى الذي نال به الجائزة يوم دورانه حول برج ايفل



سنتوس ديمون في منطاده فوق ضواحي باريز

﴿ تاج سايتافارنس ﴾ سايتافارنس ملك مشهور من ملوك القبائل السكيثية القديمة التي عاشت في شمالي اوروبا الشرقي بينها وبين آسيا . ومنذ عدة سنوات ابتاع

متحف اللوفر في باريس بمبلغ ٢٠٠ الف فرنك تاجاً من ذهب قيل ان هذا الملك كان يلبسهُ في حياته · على انه شاع اخيرًا في كل الجرائد الفرنسوية ان هذا التاج مزوَّر فعينت الحكومة لجنة لفحصه · وبذلك وقعت الشبهة على كثير من الآثار القديمة النفيسة فصار اصحابها يقلّبونها وهم في خوف من تزويرها

﴿ تجارة اوستراليا مع اوربا ﴾ بلغ ما اصدره اقليم فيكتوريا من اوستراليا فقط الى انكلترا من السمن ١٧ الف طن في سنة واحدة وقيمتها ٤٠ مليون فرنك

﴿ ظهور نجم مذنب ﴾ ظهر لعلماء الفلك نجم مذنب آخذ في الاقتراب من الارض وهو قريب جدًا من الشمس ولذلك لم يظهر جليًا · وقد كان ظهوره لهم في ١٩ يناير الماضي ولكن لم يدخل يوم ١٦ مارس حتى صار يُرى اكبر مما رؤي عند ظهوره بواحدة وار بعين مرة

﴿ وجود الارسنيك في كل عناصر الطبيعة ﴾ ثبت ان الارسنيك موجود في كل شيء حتى في جسم الانسان ولذلك صحَّ ما قاله احد المحامين لاحد القضاة في قضية تسميم « انني قادر على استخراج الارسنيك من كرسي القاضي نفسه » اي من مادتها الخشبية · وبناء عليه لم يعد وجود الارسنيك في امعاء الميت دليلاً على تسميه وانما يجب لاثبات ذلك وجود مقدار كثير منه فيها

باب التقريظ والانتقاد

الخبط في مسألة الضغط

تأليف حضرة السيد ابن شهاب

اهدانا حضرة السيد ابن شهاب من علماء الهند الافاضل نسخة من كراس وضعه بهذا العنوان وغرضه تخطئة علماء الطبيعة في قولهم ان الهواء الكروي يضغط على الاجسام التي على الارض · وقد اسهب حضرة المؤلف في اثبات مذهبه هذا وهو لا يعتقد به كل الاعتقاد كما ظهر من قوله مخاطبًا القارئ « فان وجدتني مخطئًا فذلك شأني وشأن المتطفلين امثالي ولست اول سارٍ غره القمر · وان وجدتني اصبت كبد المرمى وجئتك بالصواب الصراح فرمية من

غير رام ومع الخواطئ سهم صائب » ولا شك في ان الكاتب قد قال هذا القول وهو يفتكر في المشاهدات العديدة التي يثبت بها علماء الطبيعة في هذا الزمان مذهبهم في ضغط الهواء وهي في حكم الاوليات مثل المضخات (الطلمبات) والممصات وغيرها . وبناء عليه يكون مذهبه عبارة عن رأي يعرض للنقد . ولذلك كان الاجدر بحضرته ان لا يسميه « رفع الخبط عن مسألة الضغط » فان في كلمة « الخبط » تحقيرًا لجميع جهابذة العلم الذين استنق المؤلف منهم . بل كان يجب ان يسميه « رأي في مسألة الضغط »

المباحث العصرية

تاليف جناب راشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية

يسرنا ان يظهر من قلم الناشئة المصرية حينًا بعد حين كتاب ككتاب « المباحث العصرية » الذي وضعه جناب راشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية . وهذا الكتاب يشتمل على فصول في مواضيع متفرقة وهذه ابوابها : حقوق المجرمين . السحر الحديث اي التنويم المغنطيسي . الداء الاجتماعي اي السكر . الاحسان وعلاقته بالحكومات والافراد . حقوق الانسان الطبيعية وفيها حق البقاء والحرية والملكية . وقد ايد جناب المؤلف اقواله بكثير من آراء العلماء المتقدمين والمتأخرين مما دل على سعة اطلاعه . فنحن نتمنى الرواج لكتابه ليكون ذلك مشجعًا له على الاستمرار في الكتابة . ومما اعجبنا في الكتاب قول المؤلف في المقدمة « واني لا اود ان اتبع خطة غيري من الذين كتبوا قبلي فابث في مقدمة كتابي عبارات الاعتذار لقصر الباع وقلة المتاع لان ذلك القول صار مبتذلاً عند العقلاء يانفه ذوو الافكار الحرة اذ الكاتب بنشر خلاصة افكاره يعترف ضمنًا باعتقاده في نفسه بعض الكفاءة والمقدرة »

آسيا

لحضرة واضعه شارل افندي مقصود

هو كتاب جغرافي مدرسي مكتوب باللغة الفرنسوية وفي حواشيه شروح باللغة العربية لحضرة مؤلفه شارل افندي مقصود مدرّس اللغة الفرنسوية في مدارس جمعية العروة الوثقى . وموضوع هذا الكتاب البحث في جغرافية آسيا واقسامها كلها وشيء من تاريخها مما يفيد في المدارس الابتدائيه فائدة تذكر . فنثني على جناب مؤلفه اجمل ثناء لاننا لا نجد

احدًا اجدر بالثناء من اولئك النشيطين الافاضل الذين يبذلون قواهم واوقاتهم في تثقيف عقول الناشئة دون ان يلاقوا في هذا التثقيف في بلادنا الشرقية المكافأة والاكرام اللائقين بهم

الجمعية الخيرية الارثوذكسية في طرابلس الشام

اهدتنا هذه الجمعية الكريمة نسخة من بيان حساباتها لسنة ١٩٠٢ ويؤخذ منها ان دخلها قد بلغ اكثر من ١٩ الف غرش ونفقاتها ١٣ الفًا. ونحن لا يسرّنا شيء مثل اقبال اهل البلاد على الاشتراك في معاونة بعضهم بعضًا بجمعيات خيرية عمومية او خصوصية. اننا نسأل الله ان يزيد الهمم علوًّا في هذا السبيل فان مبدأ التعاون والاجتماع الذي صار قاعدة اعمال الغرب كلها سياسةً وتجارةً وادبًا لا يزال في اول طفوليته عندنا حتى انه لولا المذاهب الدينية لما كان بيننا جمعية قط

المصباح عادت الى عالم الصحافة جريدة المصباح الغراء التي تطبع في بيروت بادارة حضرات نجيب افندي حبيقة والياس افندي جدعون فنحن نرحب بالرصيفة

مطبوعات المكتبة العمومية اهدتنا المكتبة العمومية في بيروت لصاحبها جناب سليم افندي ابرهيم صادر نسخة من قائمة مطبوعاتها التي صدرت حديثًا وفيها اسماء الكتب والروايات التي تباع فيها. وهي تطلب من هذه المكتبة في بيروت

مطلع الميامن جمع حضرة الرصيف عزتلو عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران الغراء كتابًا عنوانه «مطلع الميامن في تهانيء غبطة البطريرك كيرلس الثامن» وقد ضمنه تاريخ طائفة الروم الكاثوليك بالتفصيل وذيله بالتهانيء التي رفعت الى غبطة الحبر الجليل السيد كيرلس الثامن بعد ارتقائه الى العرش البطريركي وبرسم غبطته ورسوم كثيرين من احبار الطائفة الاجلاء. وهذا الكتاب يطلب من جناب واضعه في العاصمة وثمنه خمسة فرنكات عدا اجرة البريد

الامام الامام جريدة اسبوعية سياسية ادبية قضائية لصاحبيها حضرات عزتلو محمد ابو شادي بك المحامي ومحمود افندي واصف وقيمة اشتراكها في مصر ٨٠ غرشًا صاغًا و٢٥ فرنكًا في الخارج. وقد قرأنا فيها ابحاثًا مهمة منها بحث في المقارنة بين العقوبات في الشريعة الدينية والشريعة المدنية تدل على سعة اطلاع فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة

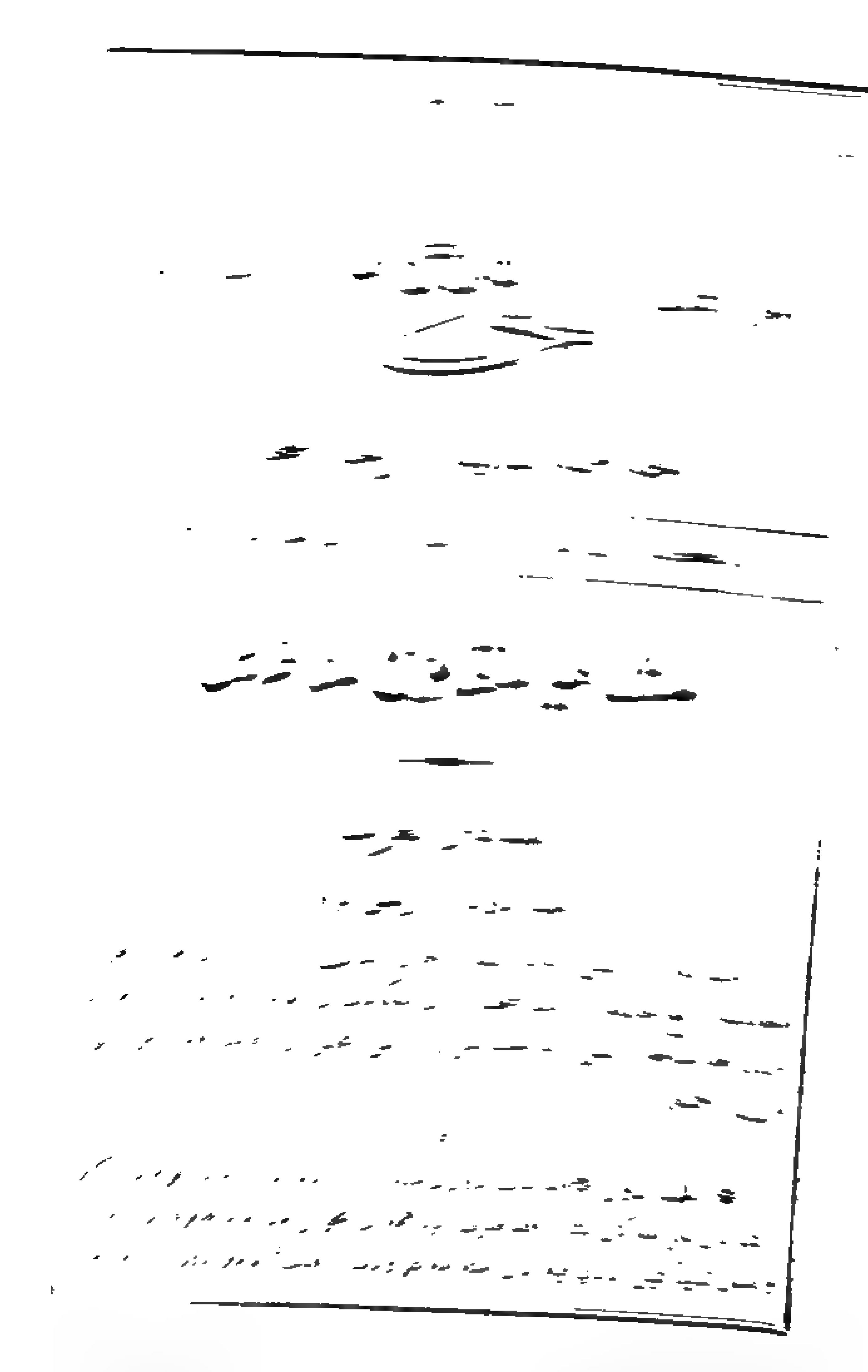
دليل الكاتب هي رسالة في فن الخط صغيرة الحجم كبيرة الفائدة لواضعها جناب محمد افندي حلمي الكاتب بدائرة دولتلو الامير محمود حمدي باشا وقد طبعت في مطبعة التمدن طبعًا في غاية الاتقان شأنها في كل مطبوعاتها



﴿ ادورد السابع ملك انكلترا ﴾
بلباس رئيس الجامع الماسونية وهو ولي العهد



﴿ اميل لوبه ﴾
رئيس الجمهورية الفرنسوية



الأ ان امه المرحومة فيكتوريا وضعته بمعزل عن المعيشة الملوكية الرسمية اي لم تكن تسمح له بالتداخل في شأن من الشؤون لئلا يجرّ ذلك عليه الانتقاد واللوم . ولذلك كان الامير يقول: ان ابن اختي الامير غيليوم (يريد الامبراطور غيليوم وهو ولي عهد) يدبّر كل شيء ويتداخل في كل شيء اما انا فكأنني غير موجود . ولكن لما توفي ابوه جزعت الملكة فيكتوريا لوفاته جزعاً شديداً وانقطعت عن الحفلات الرسمية فصار نجلها الامير ادور ينوب منابها فيها . ومع ذلك فقد كانت وظيفته مقصورة على الظهور في تلك الحفلات دون ان يتداخل في شيء من امور الدولة الرسمية احتراماً لارادة والدته التي لم يكن يخالف لها امراً

وكان من صفات الامير وهو ولي العهد كراهته للاستقبالات الرسمية ورغبته في ان يروح ويجيء في المدينة كما يريد دون ان يعرفه احد او يحفل به احد . ومن اقواله : انني اكون سعيداً جداً يوم اقدر اروح واجيء كما احب فلا يقال عني راح البرنس دي غال وجاء البرنس دي غال . او لعب البرنس دي غال الليلة وخسر مالاً لا يقدر على وفائه » وكان من المغرمين باقتناء الخيل وتضميرها للسباق وقد ربح جائزة دربي ثلاث مرات . وكذلك كان من محبي التأنق في اللبس وكثيرون من الباريزيين والباريزيات لايزالون يذكرون نزهاته في حرش بولونيا في باريز بقبعة منحرفة على اذنه قليلاً كالشبان المرتاحين الى الحياة وسترة بزيّ جديد خاص به وهذه السترة كانت لا تلبث ان تصير منذ ذلك اليوم زيّاً عمومياً (موضة) فيتهافت اهل التأنق على لبس سترة مثلها

ولكن لما توفيت المرحومة الملكة فيكتوريا والقيت على عاتقه اعباء الدولة الثقيلة تغير الامير تغيراً كلياً . فصار منظره رسمياً محضاً . ومنذ اول اسبوع رحب الشعب الانكليزي بملكه الجديد اجمل ترحيب . غير ان الساسة باتوا يتساءلون : هل ان الملك ادوار يجري في ملكه على سياسة وزرائه ام له آراء خصوصية يريد بتحريك سفينة الدولة نحوها . فيظهر من الحوادث التي مرّت عليه الى الآن ان الملك ادوار ملك جدي لا يترك نفسه آلة في ايدي وزرائه . فانه على ما يُقال هو الذي جعل الوزارة الانكليزية تُصالح البوير على الشروط التي تمّ الاتفاق عليها . وهو ايضاً الذي حرّك سفينة الحكومة نحو صداقة فرنسا . ومما هو معروف عنه انه شديد الميل للفرنسويين خصوصاً لباريز لانه اقام فيها مراراً مدات طويلة وعرف اكابر رجالها وسيداتها خصوصاً في المجتمعات العليا . ومن اقوال بعض اخصائه عنه : ان ابتسامة باريز له تعادل عنده ابتسامة الدنيا كلها

وفي يقيننا ان باريز لا تكتفي بالابتسام له هذه المرة التي تحظى فيها بزيارة سلطان

السلطنة الانكليزية . لانه يظهر من الاخبار الواردة منها ونحن نكتب هذه السطور انها متبهجة له ابتهاجاً بزيارته ملء فيها . فعسى ان يكون في هذه الزيارة خدمة جديدة للسلم العام في العالم وازالة النفار من بين الامتين العظيمتين اللتين خلفتا الامة اليونانية والامة الرومانية

***

❊ اميل لوبه ❊ ولد اميل لوبه في مونتلمار في اقاليم فرنسا ونشأ محامياً ووكيلاً للدعاوى ولبث يتدرج من هذه الحرفة حتى وصل الى رئاسة الجمهورية . اي انه مرّ في جميع الدرجات التي بينها وبين هذه الرئاسة . فكان عضواً في المجلس البلدي في بلدته ثم عمدة لها ثم موظفاً في الحكومة فنائباً في مجلس النواب فوزيراً فعضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً لهذا المجلس . فتقدمه اذاً كان عبارة عن سير تدريجي مطرد بلا وثبة ولا عنف لانه كان عبارة عن نتيجة ارادة قوية وصبر شديد . وقد كان انتخابه لرئاسة الجمهورية في الاحوال التالية :

لما فُتحت مسألة دريفوس انقسمت فرنسا قسمين قسم يُدافع عن الجيش وقسم يطلب الحقيقة اي يطلب تبرئة دريفوس اذا كان بريئاً ولو ادى ذلك الى اهانة رؤساء الجيش الذين كانوا يؤكدون خيانته . وكان على رئاسة الجمهورية يومئذ المرحوم فليكس فور وكان من حزب الجيش وبعض الجمهوريين المعتدلين الذين كانوا يعضدونه اعتقاداً بخيانة دريفوس . فيظهر ان هذه الحادثة اثرت بالمرحوم فليكس فور فاصيب بداء السكتة من جرائها وبعضهم يقول انه مات مسموماً وهو حديث خرافة . فلما حلت رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت الذي كان اشد اوقات الضيق على فرنسا عرف اعداء الجمهورية ان هذه هي ساعتهم . فزادوا في تنفير الشعب منها والحملة عليها . اما الجمهوريون فانهم اجتمعوا بسرعة غريبة لانتخاب رئيس الجمهورية . فوجدوا من مصلحة الجمهورية يومئذ ان يضعوا في رئاستها رجلاً جامعاً لصفتين: الاولى ميله الجمهوري المحض لكي لا يخون الجمهورية وينحاز الى اعدائها . والثانية الاعتدال واللطف والمسالمة التي لا بدّ منها في منصب فوق الاحزاب كهذا المنصب . فوقع اختيارهم على المسيو اميل لوبه الرجل الكريم الجامع للصفتين معاً

ولما بلغ خبر انتخابه الى باريز قام حزب الناسيوناليست وقعد . وانتشر هذا الحزب على الطريق التي مرّت بها مركبته قاصدة قصر رئاسة الجمهورية يصيحون : بناما بناما . يريدون بذلك تعيير الرئيس بانه كان له يد في قضية بناما المشهورة . مع ان المسيو لوبه لم يكن له يومئذ يدٌ الاّ في دفن تلك الاقذار لئلا تنتشر رائحتها فتضر سمعة فرنسا نفسها . واحتمل

المسيو لوبه مهاجمات واهانات اعداء الجمهورية بصبر غريب بالنسبة الى كبر سنه . ولكن كبر النفس لا تتوقف على كبر السن او صغرها . ولما اعترض المسيو ديروليد زعيم حزب الناسيوناليست الجيش وهو عائد من جنازة المرحوم فليكس فور وطلب من قائده ان يزحف معه الى قصر رئاسة الجمهورية لاخراج الرئيس الذي فيها واقامة جمهورية جديدة « للشعب من اجل الشعب » قابل المسيو لوبه في قصره هذا الخبر بالابتسام . ولكن لما حضر سباق اوتيل وهجم عليه احد ابناء الاشراف وضربه بعصاه على قبعته على مشهد من جميع الناس ذهب يومئذٍ هذا الابتسام وتحوّل الى حدّ غريب . فان الرئيس قال يومئذٍ لاحد احصائه : انهم يصنعون بي هكذا ليحملوني على الاستعفاء ضعضعة لاركان الجمهورية ولكن فليعلموا انني سابق في منصبي مهما جرى لي

ثم كانت وزارة المسيو والدك روسو بطل الجمهورية والبرلمان الفرنسوي لجمع شمل الجمهوريين واضعف اعداء الجمهورية بمساعدة المسيو لوبه وبذلك انتصر هذا الرئيس اللطيف بصبره ورزانته وصار بعد تلك الاهانات والمهاجمات محترَماً في فرنسا كلها وصارت الملوك (كالقيصر والملك ادورد السابع) تتسابق لزيارته وهزّ يده

مشاهير الشرق

ملك شاه * نظام الملك

حين خروج الامة التركية من بلادها في اقاصي آسيا واكتساحها ما يليها من البلاد التي كانت في قبضة العرب والفرس اشتهر منها سلطان ووزير طبقت شهرتها الخافقين وفتحا اكثر بلاد آسيا وهما السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك . وفي ترجمة هذين الحاكمين عبرة للحكام وفائدة للقراء . لانه اذا صحّ كل ما روي عن ملكشاه من الخصال والمناقب وجب وضعه في مقدمة الملوك المتمدّنين الذين اشتغلوا لترقية الحضارة والمدنية في الارض

﴿ السلطان الب ارسلان ﴾ السلطان ملكشاه هو ابن السلطان الب ارسلان الذي خلف السلطان طغرلبك . ويوم وفاة هذا السلطان كان الب ارسلان صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فولوه دون سليمان بن داود جغري بك الذي عهد اليه السلطان طغرلبك بالسلطنة . فاتسع سلطان الب ارسلان حتى لُقب « بسلطان

العالم » وكان رفيقاً بالفقراء حكيماً متبصراً . قيل « ان بعض السعاة كتب اليه سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ما له ما في ممالكه من الرسوم والاموال وترك هذه الورقة على مصلاه . فاخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس » قال ابن الاثير بعد سرده هذه الحكاية : وهذه حال لا يذكر عن احد من الملوك احسن منها . وكان ألب ارسلان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية . وقد بلغه يوماً ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازاراً فاخذ المملوك وصلبه . فارتدع الناس من التعرض الى مال غيرهم . ولقد كانت هذه الشدة ضرورية بعد ما احاق ببغداد والبلاد من السلب والنهب على يد الجنود والعساكر

❊ ملك شاه ونظام الملك ❊ فبعد وفاة ألب ارسلان اوصى ابنه ملك شاه بالاعتماد على وزيره نظام الملك فاعتمد عليه ملك شاه ولقبه القاباً جليلة من جملتها « اتابك » يعني الامير الوالد . فقام نظام الملك بهذا الامر احسن قيام

وكان نظام الملك رجلاً مقداماً . وقد كانت ولادته في سنة ٤٠٨ للهجرة في نوقان احدى مدينتي طوس . قال ابن الاثير « وقد زال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم » ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان متولي الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان ثم اتصل بداود نفسه فاوصى به ابنه الب ارسلان

❊ المشاكل الثلاث ❊ ولما تولى ملك شاه السلطنة وعهد بوزارتها الى نظام الملك وجد نظام الملك نفسه لدى ثلاث مشاكل : المشكلة الاولى قيام الخليفة المقتدي بالله اماماً في بغداد والتفاف العرب حوله وما ينشأ عن ذلك عادةً من الاحتكاك بين الخلافة والسلطنة . والمشكلة الثانية هياج الجند ورغبتهم في ان تطلق ايديهم في اموال الرعية ليأخذوا ما يريدونه منها . والمشكلة الثالثة تسكين الثورات واخضاع الخوارج في اطراف البلاد وتأمين السبل فضلاً عن فتح البلاد اللازم فتحها تأميناً على ما في اليد من الاملاك

❊ المشكلة الاولى ❊ اما المشكلة الاولى فقد اتخذ فيها نظام الملك سبيل اللين والمسالمة . فصار يبالغ هو والسلطان في زيارة قبور الائمة والاولياء كقبر موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة (رضه) وغيرها من القبور المعروفة . وفي ذلك قال ابن

ذكرويه الواسطي يهني نظام الملك بقصيدة منها :

زرتَ المشاهد زورة مشهورة ارضت مضاجع من بها مدفونُ
فكأنك الغيث استهلّ بتربها وكأنها بك روضة ومعينُ
فازت قداحك بالثواب وانجحت ولك الاله على النجاح ضمين

قال ابن الاثير في سنة ٤٧٩ « وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده بقي نظام الملك قائماً يقدم الى الخليفة اميرًا اميرًا . وكلما قدم اميرًا يقول : هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا الى ان اتى على آخر الامراء » وفي هذه الزيارة « فوّض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم . وطلب السلطان ان يقبّل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبّل خاتمه فاعطاه اياه فقبّله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد . وخلع الخليفة ايضاً على نظام الملك »(١) فتأمل هذا الاحترام الجليل الذي كان السلاطين يقابلون به الخلافة وان كان في ذلك شيء كثير من ضروب السياسة

﴿ عرس جليل ﴾ وزيادة في الاستيثاق من الخلافة رغب السلطان ملكشاه في تزويج ابنته الخليفة المقتدي بالله فتمّ الاتفاق على ذلك بعد ممانعة الخليفة قليلاً وقد « نقل السلطان جهاز ابنته الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي . وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين بغلاً مجللاً بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنى عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب » اما الخليفة فانه ارسل ابا شجاع وزيره الى زوجة السلطان تركان خاتون ام العروس لان السلطان كان يومئذ متغيباً في الصيد « وكان بين يديه (يعني اباشجاع) نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل . ولم يبقَ في الحريم دكان الا وقد اشعل فيه الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك . وارسل الخليفة مع (ظفر) خادمه محفة لم يُرَ مثلها حسناً . وقال الوزير لتركان خاتون (ام العروس) سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها . وقد اذن في نقل الوديعة الى داره . فاجاب بالسمع والطاعة . وحضر نظام

(١) وقال ابن خلكان « دخل نظام الملك على الخليفة المقتدي بالله فاذن له في الجلوس بين يديه وقال له يا حسن رضي الله عنك برضاء امير المؤمنين عنك »

الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير . وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان . ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء . وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة . وكانت ليلة مشهورة لم يرَ ببغداد مثلها » ولكن ابنة السلطان لم يطل مقامها في حرم الخليفة اكثر من سنتين اذ سنة ٤٨٢ « ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بدَّ منه . وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بالله » ولما وصلت الى اصبهان اقامت بها الى ذي القعدة ثم توفيت فجلس وزير الخليفة في بغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مراثيها في بغداد مقر الخلافة وفي أصبهان معسكر السلطان

❋ **المشكلة الثانية** ❋ اما المشكلة الثانية وهي كف ايدي الجند عن اموال الرعية فقد لجأ فيها نظام الملك الى سياسة السلطان الب ارسلان وهي التشديد في معاقبة الاعتداء . فكبح بشدته جماح الجند كبحاً شديداً بعد ان كاد الجند يعود الى السطو كما كان يفعل في ايام السلطان طغرلبك وغيره . وفضلاً عن ذلك فان نظام الملك شغل الجند بالفتوحات والحروب الخارجية عن الفتن الداخلية

❋ **المشكلة الثالثة** ❋ وبهذه الفتوحات والحروب الخارجية مدَّ ملكشاه ونظام الملك سلطنتهما من « حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه (يعني الى ملكشاه) ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد » « وكان منصوراً في الحروب ومغرماً بالعمائر فحفر كثيراً من الانهار وعمل الاسوار على كثير من البلدان وانشأ في المفاوز رباطات وقناطر . وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها اموالاً كثيرة خارجة عن الحصر وابطل المكوس والخفارات في جميع البلدان . وكانت السبل في ايامه ساكنة والمخاوف آمنة تسير القوافل مما وراء النهر الى اقصى الشام وليس معها خفير و يسافر الواحد والاثنان من غير رهب »

ومن ذلك يُعلم عظمة تلك الارادة القوية التي سكنت سائر الفتن بين العناصر والمذاهب المختلفة وبسطت رواق الامن في آسيا

﴿المدرسة النظامية﴾ ومن اهم الامور التي صرف اليها نظام الملك فكره انشاء المدارس . ومن المدارس التي انشأها المدرسة النظامية الكبرى في بغداد التي اشتهرت اشتهار اعظم كليات اوروبا . وكان نظام الملك يربي ابنه فيها . وقد « شرع نظام الملك في بنائها في بغداد عام ٤٥٧ وفي عام ٤٥٩ جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ ابو اسحق الشيرازي . فلم يحضر . فذكر الدرس ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوماً . ثم جلس الشيخ ابو اسحق يدرّس بعد ذلك . وكان الشيخ ابو اسحق اذا حضر وقت الصلاة خرج منها (لكي لا يصلي فيها)) وصلى في بعض المساجد » ذلك انه كان يقول « بلغني ان اكثر آلاتها غصب » يعني ان نظام الملك بناها بغصب الناس اشياءهم . وكان نظام الملك كما قدم الى بغداد « يدخل اليها ويجلس في خزانة الكتب (اي مكتبتها) ويطالع فيها كتباً . وقد سمع الناس عليه بهذه المدرسة جزء حديث واملى جزءاً آخر » وممن اشتغلوا بالتدريس في هذه المدرسة بعد ذلك اكابر علماء العراق منهم حجة الاسلام الامام الغزالي حتى صارت في العراق بمنزلة الجامع الازهر في مصر . ويظهر ان الخلاف بين الحنابلة والاشاعرة اشتدّ في سنة ٤٧١ ودخل فيه مدرّسو هذه المدرسة وطلبتها فجرت بسبب ذلك فتن دموية فكتب ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك في ابيات

يا نظام الملك قد ✻ حلّ ببغداد النظام ✻ يا قوام الدين لم ✻ يبقَ ببغداد مقام
فاذا لم تحسم الد ✻ اء اياديك الحسام ✻ ويكف القوم في بغـ ✻ ـداد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيها ✻ ومن فيها السلام

فقدم حينئذ نظام الملك الى بغداد ودخل مدرسته النظامية والقتل بجوارها فسكن ثائر تلك الحركة . وكان يومئذ التوفيق بين العناصر والمذاهب مشكلة رابعة بذل نظام الملك جهده في حلها

﴿مقتل نظام الملك﴾ قال ابن خلكان « ان نظام الملك وطّد المملكة لملك شاه فصار الامر كله لنظام الملك وليس للسلطان الا التخت والصيد . واقام على هذا عشرين سنة » ويظهر ان علو كلمة نظام الملك في المملكة الى هذا الحد اثار عليه غضب السلطان في نهاية الامر لا سيما وان خصمه تاج الملك كان يوغر عليه صدر السلطان دائماً . فبطش به السلطان كما بطش هرون الرشيد بالبرامكة والمنصور بابي مسلم الخراساني خوفاً وحسداً . وقد اغتنم ملك شاه لذلك اول الفرص . واليك البيان :

كان لنظام الملك حفيد يدير شؤون مرو ويدعى عثمن . ففي ذات يوم ارسل اليه ملك شاه رجلاً من اكابر مماليكه يدعى قودن فتنازع هو وعثمن تنازعاً افضى الى ان فعل به عثمان فعلة تضرب عنها صفحاً . فذهب قودن الى السلطان شاكياً مستغيثاً . ثم بلغ هذا الامر الى ملك شاه فغضب وارسل الى نظام الملك يقول له « ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم . وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة » ثم ذكر له استيلاء اولاده على الكور وتطاولهم على شؤون مدونه . فحين بلغت نظام الملك هذه الرسالة غضب واجاب عليها بقوله « قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي . قولوا له ان ثبات تلك القلنسوة (يعني قلنسوة السلطان) معذوق بهذه الدواة . وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة . واذا اطبقت هذا يعني الدواة) زالت تلك »

فلما بلغ هذا الجواب الى السلطان وقع وقعاً عظيماً عنده فدبر له على الارجح من قتله . وتفصيل ذلك ان نظام الملك كان يوماً في قرية قريبة من نهاوند يقال لها « صحنة » واد اعترضه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح مستغيث وبيده ورقة فدنا منه نظام الملك ليتناولها فطعنه الصبي في فؤاده ثم فر فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه . واما نظام الملك فانه حمل الى مضربه فمات لساعته

وكأن النظام بقوله ان دواته منوطة بقلنسوة السلطان قد نظر الى المستقبل . فان السلطان ملك شاه لم يعش بعده اكثر من خمسة وثلاثين يوماً . وكان سبب موته « انه اكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم » وبعد موتهما انحلت تلك الدولة الواسعة التي لم يملك مثلها احد من ملوك العرب بعد الخلفاء المتقدمين كما قال ابن خلكان ووقع السيف فيها . اما دفنهما فقد كان في اصبهان

وقد رثى الشعراء نظام الملك من ذلك قول شبل الدولة مقاتل بن عطيه

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

﴿ عود الى الخليفة المقتدي بالله ﴾ وقبل وفاة ملك شاه « بايع الخليفة المقتدي بالله لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر . فالزم السلطان الخليفة ان يخلعه ويجعل جعفراً ابن بنته (التي تزوج بها الخليفة كما تقدم) ولي عهده ويسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة . فشق ذلك على الخليفة وبالغ في استنزال السلطان عن هذا

الرأي فلم يفعل وطلب المهلة عشرة ايام ليتجهز فامهله . فقيل ان الخليفة في تلك الايام جعل يصوم ويطوى واذا افطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله على السلطان فرض السلطان في تلك الايام ومات وكفى الخليفة امره »

﴿ نوادر عن اخلاق نظام الملك ﴾ كان عالماً كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت . « وكان اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه . فقيل له في ذلك فقال : ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي انت كذا وكذا و يثنون علي بما ليس فيّ فيزيدني ذلك عجباً وتيهاً . وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه »

« وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم و بالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد . فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرّب المقطوع اليه فاكل معه . وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه »

ولما ولي ملكشاه السلطنة خرج عليه احد اعمامه فاسره ملكشاه وامر بقتله فطلب اليه عمه ان يعفو عنه وانفذ اليه حريطة مملوءة من كتب امرائه ليثبت له بذلك انهم هم الذين حملوه على الخروج عن طاعته . فاخذ ملكشاه الحقيبة ودفعها الى نظام الملك ليفتحها ويقراء ما فيها . فتناولها نظام الملك والقاها في كانون نار كان هناك فاحترقت الكتب وسكنت قلوب الامراء والعساكر ووطنوا انفسهم على خدمة ملكشاه بعد ان كانوا قد خافوا من الحريطة لان اكثرهم كان قد كاتبه . وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام الملك وكانت سبباً في ثبات قدم ملكشاه في السلطنة »

﴿ نوادر عن اخلاق ملك شاه ﴾ كان ملك شاه يلقب بالسلطان العادل . ويروى ان رجلين من ارض العراق السفلى قصدا ملك شاه وشكيا اليه مصادرة احد العمال لهما بالف وستمائة دينار وكسره ثنيتي احدهما « فنزل السلطان عن دابته وقال « ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن (يعني نظام الملك) فامتنعا من ذلك واعتذرا فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكمٍ من كيه ومشى معهما الى نظام الملك . فبلغ الخبر الى نظام الملك فخرج مسرعاً ولقيه وقبل الارض وقال ياسلطان العالم : ما حملك على هذا . فقال كيف يكون حالي غداً عند الله اذا طولبتُ بحقوق

المسلمين وقد ملكتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف . فان نال الرعية اذى فانت المطالَب

لما خرج عليه اخوه سار ملك شاه ونظام الملك لقتاله « فاجتازا بقبر علي بن موسى الرضى بطوس فدخلا وصليا فيه واطالا الدعاء . ثم قال ملك شاه لنظام الملك باي شيء دعوت . قال دعوت الله تعالى ان ينصرك ويظفرك باخيك . فقال اما انا فلم ادعُ بهذا بل قلتُ اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية »

وسطا بعض الجنود على سوادي فغصبوه بطيخاً معه فلقيه ملك شاه يبكي . واذ عرف الخبر بعث من يطوف في الجنود ليجيء بمن يجد عنده بطيخاً . ولما جاء الرجل وكان من امراء المماليك سأله من اين لك البطيخ فاجاب ان بعض الغلمان جاءوا به فقال السلطان جئني بهم فذهب الامير وهرَّبهم ثم عاد وقال للسلطان اني لم اجدهم . فالتفت السلطان الى السوادي وقال له : هذا مملوك قد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين اخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن رقبتك . فاخذه السوادي بيده فاضطر الامير ان يشتري نفسه منه بثلاثمائة دينار

وروي ايضاً انه « احضرت اليه مغنية وهو بالريّ فاعجب بها فاستطاب غناءها و رام منها ما لا يُرام فقالت ياسلطان اني اغار على هذا الوجه الجميل ان يُعذَّب بالنار فان الحلال ايسر و بينه و بين الحرام كلمة . فقال صدقتِ واستدعى بالقاضي فتزوجها منه

هذه خلاصة ترجمتي ذينك الرجلين العظيمين اللذين يحق للشرق ان يفتخر بهما



ننشر في هذا الباب كل ما نتم مطالعته من المقالات العلمية والطبية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

بيت المقدس

(اورشليم او القدس والاماكن المشهورة فيها)

لحضرة نجيب افندي خوري نصار اللبناني في طبريا

هي المدينة الطائرة الصيت والذائعة الشهرة لاشتهارها بالوقائع التاريخية والحوادث الدينية التي جعلتها منذ ابتداء التاريخ المدني ذات شأن مهم في كل قرن تقريباً · فكانت شهرتها تتعاظم كلما تقادم عهدها حتى اشرأبت اليها اعناق الملوك وتسابقت الابطال الى اكتساب الشهرة بالحرب عند ابوابها والمدافعة عن اسوارها · وسعت الى السجود في معابدها رجال الدين وتاق الاتقياء من كل ملة الى تأدية فرائضهم الدينية فيها معتقدين ان كل وطأة قدم من اديمها مقدسة بما وطئها من اقدام الانبياء والمرسلين

✻ موقعها الجغرافي ✻ موقعها الجغرافي على سلسلة جبال كلسية قائمة في وسط فلسطين وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلاً الى الجهة الجنوبية الغربية من يافا في عرض شمالي ٣١ ٤٧ وطول شرقي ١٥ ٣٥ من كرينوج · وتعلو ٢٥٦٠ قدماً عن سطح البحر

والمدينة الاصلية محاطة بسور محيطه ميلان وثلاثة ارباع الميل وارتفاعه نحو ثمانية وثلاثين قدماً وفيه اربعة وعشرون برجاً وثمانية ابواب اشهرها باب الخليل نسبة الى حبرون بلد ابرهيم الخليل · والافرنج يسمونه باب يافا وهو في جهة السور الغربية · وباب صهيون المعروف بباب النبي داود لانه واقع على جبل صهيون مدينة داود الاصلية في الجهة الجنوبية ·

(الجامعة) رأينا من الفائدة بعد نشر تاريخ المسيح والرسل بقلم رنان ان ننشر هذه المقالة المهمة التي تضمنت وصف المدينة العظيمة التي حدثت تلك الحوادث فيها

وباب العمود المسمى ايضاً باب دمشق والباب الحميدي الذي فُتح من عهد قريب وكلاهما في جهة المدينة الشمالية . والباب الجميل في الجهة الشرقية مسدود

❋ اسواقها وابنيتها وسكانها ❋ اسواقها ضيقة وقذرة بسبب ازدحام الاقدام وبعض اقسام منها اقبية مظلمة وفيها منعطفات كثيرة وليس فيها انتظام كاسواق المدن الجديدة

والمدينة مبنية على اربع تلال يُفصل بينها باودية صغيرة يميزها الناظر من جبل الزيتون الواقع الى شرقيها . واسم هذه التلال صهيون وهو القسم الجنوبي الغربي الى المدينة والموريا او جبل الهيكل المقدس وهو القسم الجنوبي الشرقي منها . ويقابلها تلا اكرا وبرانيا والمدينة الجديدة . وقد امتدت المدينة في السنين الاخيرة مسافة ثلاثة اميال الى الجهة الشمالية الغربية ونحو ميل الى الغرب وميل ونصف الى الجنوب الغربي وكثرت فيها الابنية المتقنة والقصور الشاهقة والمستعمرات الاسرائيلية وازداد عدد سكانها من خمسة واربعين الفاً في سنة ١٨٩٧ الى ما يزيد عن السبعين الفاً في يومنا هذا . منهم نحو تسعة آلاف من المسلمين وبينهم عائلات عريقة جداً في النسب كالاسرة الحسينية المتسلسلة من سيدنا الحسين ابن علي بن ابي طالب والاسرة الخالدية نسبة الى خالد ابن الوليد . ونحو عشرة آلاف من المسيحيين بينهم عدد من الارمن والاقباط والالمان والاروام وبعض الاميركان . والباقون يهود من اسبانيا وجزائر الغرب وكردستان ورومانيا واوستريا وروسيا . واكثرهم هاجروا منها الينا في السنين الاخيرة بسبب ضغط بعض تلك الدول عليهم

❋ ماؤها ❋ ولولا قلة المياه في القدس لنمت كثيراً عن ذلك وصارت ام المدن السورية رغماً عن رداءة فرضتها يافا وقلة محاصيلها لجدب الاراضي حواليها . وهي تستقي ماءها من الآبار الشتائية وقد جرّت اليها الحكومة السنية من مضي ثلاث سنوات مياه برك سليمان الواقعة على مسافة خمسة اميال الى جنوبيها باسطوانات حديدية . غير ان هذه المياه قليلة في جنب حاجة المدينة

❋ هواؤها ❋ جيد على ما اختبرناه بانفسنا وسمعناه من اذكياء الاطباء الموجودين فيها . وهو معتدل بنسبة ارتفاعها عن سطح البحر

❋ تاريخها ❋ يسمح لي القراء ان اكتفي بذكر المهمّ منه بايجاز لانه وان يكن غير خافٍ ما في مطالعة التواريخ المستوفاة من الفكاهة وما يجتنيه المدققون من متابعة ارتقاء وانحطاط البلدان بسلامة وفساد مبادىء الحكام والشعوب وغير ذلك من الفوائد كدرس اخلاق الرجال ومعرفة اطوار البشر فان ذكر ما قلّ ودلّ مراعاة لضيق المقام خير من ترك الكل

اول ما ورد ذكر هذه المدينة في التوراة باسم شاليم مدينة ملكي صادق الكاهن العظيم · ويجدر بنا هنا ان نذكر حكاية عن ملكي صادق الذي لم تذكر لنا التوراة شيئاً عن سلالته · قيل : كان لملخي بن مولوخ ولد اسمه ملخي صادق فطلب اليه ابوه ان يذهب ويصطاد له عدداً من الغنم البرية ليقدمها ذبيحة لابيه مولوخ · فبينما كان الولد ذاهباً لقضاء هذه المهمة خطر له بالمام انه لا يجوز تقديم الذبائح لجده مولوخ الذي كان جباراً عاتياً · فعاد واخبر اباه بما خالج ضميره · فانتهره ابوه وامره بلزوم طاعته · فعاد الولد الى امه واخبرها ظاناً انها تشفع به عند ابيه · غير انها الحت عليه بوجوب تنفيذ اوامر ابيه لئلا يقتله · فضاقت الحيل على الولد ولم يجد سبيلاً في غير الفرار · فهرب من وجه ابيه ولجاء الى كهف في جبل الطور بقرب الناصرة وصمم على انكار ابويه وصلى الى الله ان يقتص منهما وممن يتبع ضلالتهما · فابتلعتها الارض في معبد مولوخ · وبعد ان اقام مدة اربعين سنة متسترًا في كهفه ومتنسكاً جاء مدينة شاليم (مدينة السلام وهي القدس) فوجده اهلها رجلاً صالحاً فاقاموه ملكاً عليهم

ودعيت القدس ايضاً يبوس نسبة الى اليبوسيين الذين لم يقوَ اليهود على طردهم منها وكانت عاصمة لهم حتى قبض داود على صولجان الملك على مملكة اسرائيل كلها فحصنها وجعلها كرسي مملكته وصارت تُدعى اورشليم والمدينة المقدسة ومدينة الملك ومدينة داود وصهيون وورد ذكرها باسماء اخرى كثيرة في التوراة · وبقيت عاصمة المملكة وكرسي الديانة مدة تنوف عن خمسمائة وخمسين سنة حاربها في غضونها المصريون والاشوريون وغيرهم · وفي سنة ٥٦٠ ق·م خربها نبوخذ نصر ملك بابل وسبي اهلها وجميع اليهود الى بلاده · ثم بعد غربة سبعين سنة عاد اليهود اليها واعادوا بناء اسوارها وهيا كلها · وفي سنة ٣٣٢ سلمت الى الاسكندر الكبير بدون حرب فدخلها باحتفاء جدير بعظمته وقدّم فيها الذبائح والقرابين بمقتضى الطقوس الاسرائيلية · ثم انتهت الى حكم السلوقيين الذين اضطهدوا اليهود كثيراً ودنسوا هيكلهم بذبح الخنازير على مذبحه فهاجت لذلك احقادهم وتحركت الضغائن وفضّلوا الموت على اهانة شريعتهم فجاهر متثياس الحشموني بالعصيان وكان من احدى عائلات رؤساء الكهنة وحرّض اليهود على ذلك فتبعه بعضهم واستفحل امر ابنائه يهوذا ويوناثان وسمعان وفازوا بمساعدة الامة كلها فخلعوا نير السلوقيين وكان ذلك في اواسط القرن الثاني قبل المسيح · وحاربوهم وابناؤهم حروباً مجيدة انتصروا فيها انتصارات باهرة ذكرها يوسيفوس (اخبار اليهود كتاب ١٢ و١٣ وحروب اليهود كتاب ١) · ولكن حب الرئاسة

افضى باختلاف ارستو بيولس وهركانوس . فطلب هركانوس مداخلة بومبيوس القائد الروماني فدخل هذا المدينة بعد قتال شديد مع انصار ارستو بيولس . قال يوسيفوس : ان الرومانيين تعجبوا كثيرًا يومئذٍ مما شاهدوه من ورع كهنة اليهود الذين لم ترعهم جنود الاعداء بهجومهـا على الهيكل وقتلها كل الذين كانوا فيه بالحراب والخناجر بل بقوا يمارسون وظائفهم الدينية بكل هدوء واحترام . وهكذا قضي على استقلال اليهود بوقوعهم تحت سلطة الرومان الذين قبضوا على ازمتهم بايدٍ فولاذية واقاموا عليهم الولاة الرومانيين . غير ان بعض هؤلاء الولاة عاملوهم بقسوة ادَّت بهم الى التمرد والمقاومـة فانتهز هيرودس الكبير (وهو ابن انتيباتر رجل ادومي دخل في خدمة الحشمونيين وتزوج منهم) فرصة هذه الاضطرابات والقلق الذي حدث في رومية على اثر قتـل الامبراطور وتداخل مع مرقص وكاسيوس اللذين اتيا سوريا للاستيلاء على فرق الجيوش الرومانية المرتبة للبلاد فولياه على سوريا لانهما شهدا منه اقتدارًا ودهاء سياسيين املاهما بالانتفاع منه عند الحاجة . ولكن القلاقل المستمرة اضطرته الى الذهاب بنفسه الى روميه فتمكن بدهائه ومساعدة انطونيوس والاحوال من الفوز برضى القيصر وتسميته ملكاً على سوريا . فعاد اليها وحارب القدس حرباً شديدة وقتل انتيكونوس آخر سلالة ملوك الحشمونيين الذين حكموا في شعبهم اليهود ١٢٦ سنة . وحصن هيرودس سور المدينة الثاني بثلثة ابراج منيعة سماها هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا واعاد بناء الهيكل وحصن برجه الذي دعاه انطونيا وسيأتي استيفاء الكلام عليه في محله . واقام ابنية شاهقة عظيمة ومحلات ملاهي وملاعب وتماثيل كثيرة في المدينة على الطراز الروماني . غير انه كان كثير المخاوف والشكوك ولذلك لم يسترح هو ولا البلاد التي كان يملك عليها . وقد اغرته وساوسه بارتكاب جرائم فظيمة كقتل امرأته المكابية وولديها وكثيرين من اخصائه واصحابه . وانقسمت المملكة اليهودية بعد وفاته الى اربعة اقسام تولى ارخيلاوس ابنه قسم اليهودية منها ولكنه لم يحسن الادارة فنفي وخلفه ولاة رومانيون . ثم انتهى الملك في ايام القيصرين كايوس وكلود يوس الى اغريباس الاول حفيد هيرودس وكان هذا رجلاً حكيماً تمكن من التسوية بين مطالب الحكومة الرومانية في اخضاع رعاياها لاحكامها خضوعاً تاماً واليهود الذين لم يكن قد مرَّ عليهم الزمان الكافي لنسيان لذة الحرية . وبنى سور المدينة الثالث حول المدينة الجديدة وحصنه بتسعين برجاً . وبعد موته أُعيدت الولاية لولاة رومانيين فجاهر اليهود بالعصيان وبدأُوا بتحصين المدينة واتموا بناء سور اغريباس الذي كان أُوقف

بناؤه بامر قيصري. وارسلوا يوسيفوس المؤرخ لحصن الجليل. ولكن لم تعد تقوى الجيوش الرومانية التي كانت في البلاد على اخماد نار الفتنة والقاء اليهود في قيد طاعتهم . فاوفدت لهم روميه فسباسيانوس القائد الشهير لتدويخهم فخارب مدن الجليل واخذها كما سيجيء . ثم علم بموت القيصر فتوجه الى رومه ليتبوأ عرش الامبراطورية تاركاً القيادة لابنه طيطس الذي جاء القدس واصلاها تلك الحرب الحامية اذ احاط اسوارها احاطة السوار بالمعصم وشدد عليها الهجمات وحبس عنها المؤن وقطع عنها المواصلات . وكان المحاصرون في داخل المدينة مقسومين الى اربع فرق تحارب بعضها بعضاً. وكان زعماؤها يرتكبون فظائع بربرية . فعم الويل والبلاء واشتدت في المدينة المجاعات ومع ذلك كان طيطس بالرغم عن شدة بأسه يلاقي اشد الصعوبات في اثناء هجماته على المدينة . وبعد انقضاء شهرين على اقامة الحصار فاز بدك اسوار المدينة الجديدة واستولى بعد ذلك بشهر على برج انطونيا فخرق احد جنوده الهيكل العظيم بمشعل نار رماه في داخله. ثم لاقى بعد ذلك مقاومات عنيفة مدة شهر كامل من الذين كانوا يحاصرونه في مدينة صهيون العليا . وبعد ان تم له النصر هدم اسوار المدينة وحصونها وابنيتها كلها ما عدا الابراج الثلاثة هيبكوس وفاسيلوس ومريمنا التي بناها هيرودس فانه ابقاها لاسكان بعض الجنود التي تركها في القدس ولتكون مثالاً لمناعة الحصون التي فوزت جنوده على فتحها. واطلق الحرية لاربعين الفاً من اليهود واخذ الباقين وهم نحو ٧٩ الفاً اسرى. وكان ذلك في سنة سبعين بعد الميلاد المسيحي

وفي سنة ١٣٦ بدأ الامبراطور ادريانوس باعادة بناء المدينة ولكنه لم يسمح لليهود بالاقامة فيها بل فرقهم في البلاد خوفاً من عودهم الى العصيان . لكنهم لم يلبثوا ان شقوا عصا الطاعة بامرة رجل يهودي يدعى باركوخبا واستولوا على القدس وعدة محلات اخر فاسترجع الامبراطور جيوشه التي كانت تحارب بقيادة يوليوس سفروس في بريطانيا وبعث بها الى البلاد السورية فبددت شمل العصاة واستعادت البلاد التي كانوا قد استولوا عليها وعاد هو الى اتمام بناء المدينة وبنى اسوارها على الاسس القديمة الا من جهة الجنوب فانه ضيقها فرارًا من الاودية ودعاها كولونيا االيا كابيتولينا وبنى فيها على اسس الهيكل هيكلاً لجوبتير وبنى هيكلاً آخر للزهرة في محل كنيسة القبر المقدس الحالية . وبقي اسم المدينة الجديد عليها مدة مئتين وخمسين سنة اذ اعاد لها الملك قسطنطين اسمها الاول واذن لليهود بزيارة القدس والدنو من اسوارها ثم اذن لهم بالدخول اليها ليبكوا وينوحوا على خراب هيكلهم المقدس

قيل ان اليهود كانوا في القرون الثلاثة الاولى كلما تشددت ايديهم يضطهدون المسيحيين وقد بالغوا في اضطهادهم اثناء ثورة باركوخبا فاضطر المضطهَدين ان يتحاشوا كل مداخلة معهم وصاروا ينتخبون مطارنتهم من الامم المتنصرين فقط . وكان اسم اول مطران انتخبوه في ايام باركوخبا مرقص فنه حتى ايام قسطنطين الملك قام ثلاثة وعشرون مطرانًا

قال يوسيبيوس ان تنصر قسطنطين ازال عقبات كثيرة من طريق الديانة النصرانية وكان لزيارة امه هيلانة في عجزها للقدس اشد التأثير على النفوس حتى صار الناس يتقاطرون لزيارتها من جميع اطراف المعمور . وفي سنة ٤٣٥ قرر مجمع كاليدونيا جعل القدس كرسي بطريركية وبنى فيها الامبراطور جوستينيانوس في اوائل القرن السادس كنيسة وعدة اديرة ومستشفى للزوار وآخر للغرباء . وفي اوائل القرن السابع اشاع بعض رجال الدين انهم حصلوا على عظام القديسين فصارت الاديرة تفاخر باحرازها وتبيعها للزوار باثمان غالية . وصارت بعد ما انتشر خبرها في البلدان تجارة مهمة . ومما تقدم يتبين انه مضى على القدس مدة الثلاثة القرون الاول بعد المسيح وهي تحت حكومات امية والثلاثة الأُخر تحت حكومات مسيحية

وفي سنة ٦١٤ استولى خسرو على القدس فاسترجعها هيراقليوس منه في سنة ٦٢٨ وسنة ٦٣٦ حاصرها ابو عبيده قائد العرب فابى بطريركها ان يفتح ابوابها لغير الخليفة نفسه فجاءها الامام عمر بن الخطاب وامَّن اهلها على دمائهم واملاكهم ودخلها وصلى على مقربة من باب كنيسة القبر المقدس حيث شاد المسلمين جامعاً . ولم يرضَ ان يصلي في القيامة نفسها لئلا يطلب المسلمون الاستيلاء عليها بعده . وامر ببناء الجامع الاقصى وصارت المدينة منذ ذلك العهد باسم القدس وبيت المقدس . وفي اواسط القرن الثامن اتصلت الخلافة بالعباسيين فاتخذوا بغداد كرسياً لم وحدث في ايامهم اضطهاد على المسيحيين دام حتى بداية القرن التاسع اذ تولى الخلافة هرون الرشيد المشهور بالعدالة وكرم الاخلاق فدفع المظالم وسمح للمسيحيين باعادة كنائسهم واديرتهم . ولم يحد ابنه المأمون عن خطة ابيه بعد ما رقي كرسي الخلافة فارتاحت البلاد بظل دولتها وراجت الاشغال واطمأنت قلوب الناس . غير ان الخلاف بعدها افضى الى انحلال الدولة العباسية وقيام الدولة الفاطمية التي لم ينتبه خلفاؤها الى القدس وراحة اهلها فاضطُهد المسيحيون مدة خلافتهم وعومل زوار الافرنج بخشونة نشأت عنها الحروب الصليبية المشهورة التي هلكت حماتها الاولى قبل وصولها

الى الديار السورية . واما الحملة الثانية فاستولت على الشواطئ السورية وبعض داخليتها وعلى البلاد الفلسطينية وجعلت القدس عاصمة لها وسمي كودفروى ملكاً عليها . وبقيت البلاد في ايدي الصليبيين مدة نيف وثمانين سنة قام في غضونها ثمانية ملوك على القدس فبنوا فيها عدة ابنية ومستشفيات وحصون وكنائس وحاربوا المسلمين عدة حروب وبنوا في البلاد عدة قلاع جسيمة منيعة لم تزل آثارها تشهد لهم بالقوة واتقان صناعة البناء . وسنذكر اشهر هذه الحملات في مقالاتنا التالية . وفي سنة ١١٨٧ قام الملك صلاح الدين الايوبي فجمع كلمة المسلمين وساقهم الى محاربة الصليبيين على اثر تعدي امير الكرك على قافلته وانتصر عليهم تلك النصرة الباهرة بعد واقعة حطين الشهيرة الآتي ذكرها فيما بعد . واستولى على القدس وطرد الافرنج منها وحصن اسوارها وحصونها لاتقاء هجمات ريشارد قلب الاسد بطل الحملة الصليبية الثالثة الذي حارب صلاح الدين في عدة مواقع واسترجع بعض المدن البحرية من ايدي المسلمين وانتهت المحاربة بينهما بمعاهدة اعطيت فيها الشطوط البحرية بين يافا وصور للفرنج والغيت الرسوم التي كان المسلمون يأخذونها من زوار الفرنج . وهكذا حُسم الخلاف وعُقد الصلح بين بطلي الشرق والغرب في عصرهما اللذين كانت كرامتها وانفتها تحليان صفاتهما وزاياها الحربية . وفي سنة ١٢١٩ هدم الملك المعظم اسوار القدس خوفاً من ان يستولي الافرنج عليها ويتحصنوا فيها . وسنة ١٢٢٩ اعطيت لفردريك الثاني على شرط ان لا يبني اسوارها غير ان الفرنج بنوها بعد ذلك بعشرين سنة فجاءها امير الكرك وهدمها . وسنة ١٢٤٤ اخذها خرزميان . ولا يخفى ان تداول الايدي واختلاف مشارب العال عليها والحروب المتوالية والضغط المتبادل حط من عظمتها وقاص ظل تقدمها كثيرًا . وسنة ١٥١٧ خضعت البلاد للسلطان سليم فزار القدس بعد عودته من مصر . وسنة ١٥٤٢ بنى السلطان سليمان ما كان متهدماً من اسوارها واحدث فيها وفي ابنية الحرم اصلاحات مهمة . ولم تزل من ذلك العهد حتى يومنا هذا تحت ظل الدولة العلية العثمانية وقد اخذت في هذا العصر تنمو نموًّا سريعاً . وربما لا يمضي عليها على ما نظن زمن طويل حتى تصير تضارع اختيها بيروت والشام

الاماكن المشهورة في فلسطين

الحَرَم

هو المكان البالغ في قدميته حد نشأة اول المذاهب الصحيحة . فحق له ان يُدعى مهد الهدى في ارضنا . وقد تداولته ايدي دول المذاهب الثلاثة فاتفق شعوبها على

احترامه وتقديسه . موقعه على جبل الموريا في جهة المدينة الجنوبية الغربية في فناء طوله ١٥٣٠ قدماً انكليزياً وعرضه ٩٧٠ قدماً طبقاً لقياس مجير الدين وهو ٦٩٩ ذراعاً طولاً و٤٠٦ اذرع عرضاً . وذلك يساوي ربع مساحة المدينة الواقعة داخل السور تقريباً

﴿ تاريخه ﴾ في رواية التوراة ان ابرهيم الخليل قصده ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليه . وهناك تراءى الرب لداود فبنى مذبحاً . وحول المذبح بنى سليمان هيكله العظيم . ولما لم يكن سطح الجبل كافياً لبناء هذا الهيكل اقام له جدراناً بناها بحجارة ضخمة جداً بناء متيناً من جهتي وادي يهوشافاط الشرقي ووادي التيروبيون (اي الجبانين) الجنوبي ملأها باقبية كبرى تساوت سطوحها بسطح الجبل فاتسعت المساحة لابنية الهيكل . وكان هذا الهيكل مؤلفاً من قدس الاقداس الذي لم يكن يدخله الا رئيس الكهنة مرة في السنة للتكفير . والقدس قدامه من جهة الشرق وهو المكان الذي كان الكهنة يمارسون فيه وظائفهم الدينية ودار الشعب امام القدس احيطت بجدار فيه اربعة ابواب من جهاته الاربع . ودار اخرى خارجية للامم

وكان الهيكل كله محاطاً بعدة اروقة . وقد كانت تلك الابنية غاية في العظمة والاتقان . وبعد ان اتم سليمان بناء الهيكل في سنة ١٤٤٠ بعد الطوفان وصل بينه وبين جبل صهيون الذي كان قصره مبنياً عليه بجسر كبير فوق وادي التيروبيون . وقد اقتضت الحروب والمحاصرات هدم ذلك الجسر واعادة بنائه مراراً حتى ردم الوادي واختفت آثار الجسر وبقيت مجهولة الى ان اكتشفها العلامة الدكتور روبنصن الشهير فدعيت من ذلك الوقت باسم (اقواس روبنصن) وآثارها ظاهرة في حائط سور الجامع الاقصى الغربي . — وصار الهيكل بعد بنائه كعبة بني اسرائيل وصار الحج اليه فريضة واجبة ثلاث مرات في السنة على كل اسرائيلي تجاوز السنة الثانية عشرة من عمره

وفي سنة ٥٩٠ (ق م) خربه نبوخذنصر ملك بابل وسبى اليهود الى بلاده واسكن مكانهم السمرة . ولكن اليهود عادوا بعد غربة سبعين سنة كما تقدم وتمكنوا بعد مقاومات شديدة دامت مدة طويلة من اعادة بناء الهيكل . الا انهم بنوه اصغر كثيراً من هيكل سليمان واقل منه ظرفاً واتقاناً . وقد جاء في التوراة ان شيوخهم الذين كانوا يعرفون الهيكل الاول حزنوا وبكوا لما رأوه من حقارة الهيكل الثاني

ولما استقام الملك لهيرودس الكبير بين السنة الثلاثين والعشرين (ق م) رغب في ان يصلح ذات البين بينه وبين اليهود الذين كانوا حانقين عليه لانه قتل انتيكونوس آخر سلالة

ملوكهم الحشمونيين فعرض عليهم ان يبني لهم هيكلاً جديداً يفوق هيكل سليمان كبراً وعظمة . فارتابوا بصدقه ولذلك اعدَّ مواد البناء قبل ان أُذنوا له بهدم الهيكل الثاني . واقام من وراء جدران سليمان على جانبي الواديين المذكورين جدراناً لتوسيع نطاق المساحة . واقام عوضاً عن الهيكل الثاني هيكلاً كبيراً في غاية الظرف واتقان البناء وضخامة الحجارة المنحوتة وزينه من الداخل اجمل زينة . وقد بالغ يوسيفوس في وصف هذا الهيكل في كتابه اخبار اليهود كتاب ١٥ فصل ١١ وحروب اليهود كتاب ٥ فصل ٥ . وحصن هيرودس الحصن المبني على صخرة شاهقة قائمة في زاوية فناء الهيكل الشمالية والشمالية الغربية وسماه انطونيا تيمناً بانطونيوس قيصر وقد كان امراء الحشمونيون يسمونه باريس . ونحت تلك الصخرة حتى لا يتسلقها الاعداء في وقت الحرب ووضع في البرج شرذمة من العسكر الروماني كان يعززها في مدة الاعياد خوفاً من ثورة اليهود . وهذا هو الهيكل الذي يذكره الانجيل وهو الحصن الذي لاقى امامه طيطس المقاومات العنيفة والوقائع التي تشيب لها الولدان رغماً عن شدة بأْس عساكره ودربته الحربية قبل ان تمكن من دكه . وقد حُرق الهيكل في هذه الحرب كما تقدم ولكن لم يكن لطيطس يد ولا رغبة في هذا العمل القبيح

واعاد ادريانوس بناء الهيكل في القرن الثاني وكرسه لجوبتير . وقد قال سائح : انه رأَى هيكل ادريانوس ورأَى تمثال جوبتير قائماً بجانب الصخرة . وفي بعض الاقوال التاريخية ان القديسة هيلانه بنتْ هناك كنيسة . ولا خلاف في كون جوستينيانوس بنى في القرن السادس كنيسة كبرى متقنة للعذراء في محل الجامع الاقصى الحالي

ثم ان الخليفة عمر ابن الخطاب امر ببناء جامع من خشب بجانب الصخرة ذكره اركولفوس في القرن السابع . وفي سنة ٦٠٨ مسيحية امر الخليفة عبد الملك ببناء قبة الصخرة الحالية الواقعة في اعلى نقطة من فناء الحرم فوق الصخرة بشكل مثمن . واما حيطانها من الخارج فهي مغطاة من الاسفل ببلاط رخامي وقد صفح الاقسام العلوية منها السلطان سليمان بالواح صينية جميلة خُطت عليها آيات قرآنية . والقبة نفسها مغطاة بالرصاص ولها اربعة ابواب كبرى مربعة وامام الباب القبلي رواق مفتوح قائم على ثمانية اعمدة رخامية . واما داخل القبة فقطره ١٧٤ قدماً . وهو مقسوم الى ثلثة اقسام بصفي اعمدة مستديرين . الصف الاول يحتوي على ستة عشر عموداً عليها ثماني قناطر والصف الآخر الامامي القائمة عليه القبة نفسها يحتوي على اثنى عشر عموداً عليها اربع قناطر . وقد غطيتْ قواعد هذه الاعمدة بالرخام في القرن السادس عشر لانها مختلفة الاشكال . والاعمدة كلها رخامية

مختلفة الالوان والحجم وكذلك رؤوسها مختلفة الاشكال . ويرجح انها من اعمدة هيكل ادريانوس ومن كنيسة الملك قسطنطين . واقسام الجدار العلوية مرصعة بالفسيفساء الدقيقة الملوّنة برسوم آنية ازهار وسنابل حنطة وقطوف عنب على ارض ذهبية ترصيعاً يأخذ بمجامع القلوب . وقد قيل ان اشهر صناع البيزانتيين في القرن العاشر صنعوا تلك الصنعة الباهرة . ومما يزيدها جمالاً ورونقاً الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي بلون ذهبي على بحر سماوي . واما الشبابيك فهي صفان الواحد فوق الآخر وكل برواز منها مركب من قطع زجاج صغيرة ملوّنة بالوان عديدة تضعف نور الشمس وتكسره فتبعثه الى الداخل محجوباً خجلاً مما يقابله من جمال وبهاء النقوش الداخلية البديعة . وقصارى القول ان القلم يعجز عن وصف ظرف هذا الجامع واتقان الصناعة الظاهرة فيه . وقد نُقل رسمه في ايام الصليبيين الى اوروبا فشيدت عليه الكنائس في عدة مدن منها . قال لنا جملة من سياح الفرنج الذين زرناه واياهم . انه يفوق جوامع الاستانة ومصر ظرفاً وبهاء

اما القبة نفسها فعلوها ٩٩ قدماً وقطرها ٦٦ قدماً . وهي مبطنة من الداخل بالخشب الملون بالازرق المزين باقلام الجبسين المذهب . والقبة قائمة فوق الصخرة المقدسة التي يبلغ طولها سبعة وستون قدماً وعرضها ثلاثة واربعون . وهي منقورة في الوسط او قربه ولذا ظن بعض الكتبة ان محل مذبح المحرقة الاسرائيلي كان عليها . واليهود يقولون ان اسم الله مكتوب عليها . وبعض المسلمين يعتقدون انها آتية من الجنة وان الحق عز وجل سيجلس عليها في يوم الدين ليدين البشر . ولقد حوّل الصليبيون هذه القبة الى هيكل بعد ما استولوا على القدس ووضعوا المذبح على الصخرة بعد ان صفحوها بالبلاط الرخامي . و بقيت كذلك الى ايام صلاح الدين الذي اخذها من ايدي الصليبيين واعادها لما كانت عليه . و بقربها بلاطة صغيرة يسمونها بلاطة الجنة . ويوجد ضمن هذا البناء البديع عدة اشياء أُخر صغيرة تستلفت الانظار ولا محل لذكرها هنا

وامام باب قبة الصخرة الشرقي المدعو باب السلسلة قبة اخرى صغيرة جميلة قائمة على صفي اعمدة تدعى محكمة داود . والى الشمال الغربي من قبة الصخرة قبة المعراج . ويوجد ايضاً قبتان صغيرتان تدعيان قبة الارواح وقبة الخضر . وهناك ايضاً منبر مبني من الرخام بناء انيقاً يخطب فيه الائمة في ايام الجمعة

*** الجامع الاقصى *** ويقابل قبة الصخرة التي يدعوها الفرنج جامع عمر الجامع الاقصى (عن الكتبة) واصله كنيسة بناها جوستينيانوس في القرن السادس وحوّلها الامام عمر بن

الخطاب الى جامع · وقد وجده المهدي في القرن الماضي متهدماً على اثر زلزلة فاعاد بناءه ولكن باختصار في طوله وزيادة في عرضه · وطوله ٢٥٠ قدماً وعرضه مئة وخمسون وهو قائم على صفي اعمدة بيزانتية لا شك في كون بعضها لم يزل قائماً في مكانه من عهد جوستينيانوس

اما قبة هذا الجامع فصفحة من الخارج بالرصاص وداخلها اشبه بقبة الصخرة بترصيفها بالفسيفساء وتكوين شبابيكها · وبجانب المحراب منبر من خشب مطعم بالعاج واللؤلؤ اتى به السلطان صلاح الدين من مدينة الشهباء · ووراء المنبر اثر قدم السيد المسيح · وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكاراً لاستشهاده بين الهيكل والمذبح · ودعي قسم من تلك الجهة من الجامع الاقصى جامع الاربعين شاهداً

ويلاصقه من الجهة الغربية جامع النساء المدعو ايضاً الجامع الابيض القائم على صفين من الاعمدة ولعله من بقايا الابنية التي شادها الصليبيون · وتحت الاقصى اقبية بيزانتية قائمة على اعمدة وقناطر قوية متينة البناء يقول بعضهم انها كنيسة القديسة هيلانة ويقول آخرون ان جوستينيانوس بناها لتسوية ارض الجامع · وفي الفناء الوسيع عدة آبار اكتشف على سبع وثلاثين منها · منها بئر الورقة داخل الاقصى وامامه بئر عين الكاس التي كان يأتيها الماء من برك سليمان

❋ اصطبلات سليمان ❋ وتحت قسم من هذا الفناء اقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفاً من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى تدعى اصطبلات سليمان · ولعلها استخدمت لهذه الغاية في زمن الصليبيين · ومن شكل بنائها يُستدل انها من القرن السادس بعد المسيح · والمسلمون يدعونها المسجد القديم · وفي جدارها الشرقي عند اسفل الدرج بعض حجارة ضخمة قديمة يعتقد الخبيرون انها من بناء هيرودس · قالت جمعية البحث عن الآثار الفلسطينية : ان بناء الباب الجميل وعدة من اقبية الآبار التي ذكرناها ترجع الى القرن السادس

❋ موقع الحرم القديم والحديث ❋ اجمعت آراء المدققين على كون دائرة الحرم هي ذات دائرة الهيكل الذي بناه هيرودس · لان الصخرة الكبرى الواقعة في زاوية الدار الشمالية الغربية التي يقول يوسيفوس ان الحشمونيين بنوا عليها برج باريس الذي حصنه هيرودس لم تزل قائمة شاهداً بعدم تغيير تلك الزاوية · وقال يوسيفوس ان اروقة هيكل هيرودس امتدت من الوادي الى الوادي · وان سور الارفل اتصل باروقة الهيكل الشرقية · وقد اكتشف السير تشارلس ورن حائطاً على تل الارفل ملاصقاً لسور الحرم في

زاويته الجنوبية الشرقية تجاه اكتشافه هذا مؤيد القول يوسيفوس ولكون الفسحة لم تتغير من تلك الجهة ايضاً . ولم يختلف الثقاة في كون الزاوية الجنوبية الغربية الحالية هي في مكان الزاوية القديمة ولكنهم اختلفوا في الزاوية الشمالية الشرقية . فمنهم من قال بكونها على مكان الزاوية القديمة وخالفهم آخرون بقولهم ان القديمة كانت عند الباب الجميل

وقد اتفق اكثر الرواة على كون قدس الاقداس كان قائماً على الصخرة المقدسة معتمدين في ذلك على مناسبة موقعها . وقول يوسيفوس بان قدس الاقداس كان حيث أعلى نقطة من دائرة الهيكل التي هي الصخرة . وكل الاقيسة لجميع الامكنة التي ذكرها يوسيفوس تطابق المواقع الحالية بنسبتها الى علو الصخرة . وخالفهم البعض في ذلك متخذين لتأييد آرائهم براهين اخرى لم يحتفل بها الرأي العام

البراق

محل نواح اليهود

يأتي اليهود في عصارى كل الايام خصوصاً في ايام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم فيقفون امام هذا الجدار وهو قسم من جدار سور الحرم بجانب زاويته الجنوبية الغربية . علوه ست وخمسون قدماً وحجارة قواعده السفلى كبيرة جداً . وقد اثرت عليها فواعل الطبيعة والزمان حتى بالغ بعضهم في قدميتها فقالوا انها من ايام هيرودس . وهناك يبكون على حالتهم ويتذكرون ازمانهم ويصلون الى الله ان يعيد لهم سابق مجدهم وهذا بعض ما يقولونه باصوات حزينة وبكاء مر

(يقول الحاخام) من اجل الهيكل المقدس العظيم (فيرد الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل اسوار هذه المدينة الساقطة (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل مملكتنا التي بادت (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل رؤسائنا الذين ماتوا (« الجماعة) نقف بذلة وننوح الخ

ثم يقول آخر

(حاخام) آه تحنن على صهيون (الجماعة) واجمع شتات ابناء اورشليم
(حاخام) اعد سابق مجدك لصهيون (الجماعة) وانظر مترحماً اليها . الخ

ثم تقرأ مراثي أخر وتقدم صلوات عديدة كهذه في هذا المكان . ولا ريب ان هذه العادة نشأت من بعد صلاة سليمان التي قدمها امام المذبح بعد فراغه من بناء الهيكل . ومضمونها انه مهما اشتدت الضيقات على شعب اسرائيل وصلوا الى الله باسطين ايديهم

نحو الهيكل فان الله يستجيب لهم · وقد تقدم القول ان ادريانوس منع اليهود من دخول اورشليم والدنو من اسوارها · واما قسطنطين فقد سمح لهم بالدخول اليها لينوحوا على خرابها وخراب الهيكل · ولعلهم اختاروا هذا المكان لهذه الغاية من ذلك العهد · وقد اشار بنيامين توربلا في القرن الثاني عشر الى هذا الحائط · غير ان الكتبة المسيحيين والمسلمين لم يعيروه جانباً من الاهمية · فلم يأتوا على ذكره البتة

كنيسة القيامة

وقبر المسيح

قال يوسيفوس ان ادريانوس بنى في هذا المكان هيكلاً للزهرة وانه اوحي الى قسطنطين بعد ان تنصر ان يطهره من ادناس الوثنيين وان يقيم عليه كنيسة · فبناها فوق القبر وزينها بالاعمدة والنقوش الجميلة وبلط فسحة امامها من جهة الشرق ببلاط منحوت رمزاً الى البستان الذي صُلب فيه السيد · واقام الكنيسة على صخرة الجمجمة او الجلجلة شرقي الفسحة وصفح حيطانها بالرخام الملون وزين سقفها بنقوش حفرية انيقة حلاها بالذهب وغطى السطوح بالرصاص وجعل لها ثلاثة ابواب كبرى من جهة الشرق واقام امامها اثني عشر عموداً بشكل نصف دائرة تذكاراً للتلاميذ · وفي سنة ١٤٦١ احرق العجم في غزوتهم بقيادة خسرو الثاني هذه الابنية بالنار ولكنها اعيدت بمساعي راهب يدعى مورستوس وبمعاونة بطريرك الاسكندرية سنة ٦٢٨ · وفي سنة ٨٧٠ ذكر برنهارد فيضان النور من القبر المقدس في يوم السبت الواقع قبل عيد الكبير عند الطائفة الشرقية · وسنة ٩٦٩ احرقت القيامة بالنار فبنى تجار املفي من اعمال ايطاليا سنة ١٠٠٤ ديراً وكنيسة للعذراء على مقربة من القبر المقدس · وبني بعد ذلك دير للراهبات بالقرب من هذه الابنية · ثم اقتضى الامر بناء مستشفى للزوار وعُزي الى يوحنا اليمون بطريرك الاسكندرية · وفيه تألفت في عهد الصليبيين فرقة فرسان ماري يوحنا حامية القيامة · وهذا هو المكان الذي وهبته الحكومة لجد امبراطور المانيا الحالي فاقام هذا على قسم من آثاره كنيسة احتفل بتدشينها بحضور جلالته · وفي سنة ١٠١١ خرب القيامة حاكم الرملة وقد كان يسمى رئيس جند فلسطين فاعيد بناؤها بتوسط الملك رومانوس في سنة ١٠٤٨ · واحاط الصليبيون جميع ابنيتها بهيكل كبير اذ شاهدوا حقارتها · وسنة ١٢٤٤ خربها خوزميان فبُنيت سنة ١٣١٠ بعناية الافقان · وفي سنة ١٨٠٨ التهمت النيران كنيسة الارمن فيها وقبة القبر المقدس وكنيسة الروم الارثوذكس واحدثت اضراراً غير يسيرة في عدة محال اخر ولكنها اعيدت في مدة سنتين الى ما كانت عليه من

الظرف باحكام زائد حتى صار يتعذر التمييز بين ما أُصلح وما كان

❋ الكنيسة الحالية ❋ هي تختص بالروم الارثوذكس والارمن والكاثوليك والاقباط والسريان واشهر ما فيها كنيسة الجلجلة الى جنوبي الباب وهي مقسومة الى قسمين قسم منها يختص بالروم الارثوذكس والآخر بالكاثوليك . وكنيسة الارمن الى شماليه . وامامه من الشرق كنيسة الروم الارثوذكس وهي اكبر الكنائس واجملها بما فيها من النقوش والزين والثريات الثمينة . وامام هذه من الشمال القبر المقدس القائمة عليه القبة الكبرى وهو مبني بالرخام الجميل ومزين بالقناديل الذهبية والفضية والمعدنية . والى الشرق منه الكنيسة الكاثوليكية وفيها العمود الذي رُبط اليه السيد ليُجلد ووراء هذه الابنية من جهة الجنوب كنيسة بيزانتية لم تزل اعمدتها تشهد بكونها من ايام مورستوس وهي التي بناها على آثار كنيسة قسطنطين . ويُنزل من هذه الكنيسة بثلاث عشرة درجة الى المغارة التي اكتشف فيها قسطنطين خشبة الصليب . و يوجد محلات اخر عديدة تستحق الذكر ولكن ضيق المقام يلجئنا الى ان نضرب صفحاً عنها

❋ البحث في صحة موقعها ❋ يعتقدون بصحة هذا المكان منذ القدم معتمدين على رواية يوسيبيوس التي ذكرناها . وعلى الاقوال التقليدية بكون القديسة هيلانة هي التي اوحي اليها بناء الكنيسة قبل قسطنطين ابنها. وعلى كون الوثنيين وفي مقدمتهم ادريانوس في الجيل الثاني بنوا هيكلاً لالهة اخرى في هذا الموقع بالنظر لما رأوه من احترام المسيحيين الاولين له . ويتخذون مثل هذه الادلة برهاناً على كون التاريخ لم يُضع تلك النقطة فلم يبق باب للاشتباه بها . فضلاً عن كونهم يعتبرون المدافن القديمة التي اكتشفت داخل الكنيسة اليعقوبية المنقورة في الصخر مدافن ليوسف ونيقوديمس . ولا يشكّون في كون الباب المكتشف على مقربة من القيامة في الجهة الجنوبية الشرقية هو باب سور المدينة الثاني . وعلى ذلك يكون موقع القيامة الحالي واقعاً خارج الاسوار القديمة . وقد عارضهم الكتبة المتأخرون وفي مقدمتهم كانون وليمس والسر تشارلس ورن والدكتور روبنصن والجنرال غوردون بقولهم : اذا فرضنا ان موقع القيامة الحالي هو خارج السور الثاني القديم فلا بد ان يكون رسم ذلك السور مغايراً من جميع الوجوه للاصول الفنية والعسكرية في بناء الاسوار . وقال آخرون : هب ان محل القيامة كان خارج السور الثاني فلا شك انه كان واقعاً بين ابنية المدينة الجديدة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت حتى اضطر اغريباس الاول بعد ذلك بقليل الى احاطتها بسور ثالث لوقايتها . ومعلوم ان اليهود لم يكونوا يدفنون

بوجود محل عقاب المجرمين فيما بين بيوتهم لان ذلك محرم عندهم . وقالوا ايضاً ان حالة المدافن الموجودة في كنيسة اليعقوبيين تدل على كونها اقدم كثيرًا من عصر المسيح . و يعترضون على الباب المكتشف حديثًا والمظنون بانه باب السور الثاني بانه ربما كان باب الهيكل الذي بناه الصليبيون حول ابنية القيامة . وليته اكتُشف وهم بعد في البلاد ليتمكنوا من الحكم عليه من حيث هيئة بنائه التي يمكن الاستدلال منها على قدميتها . ولعل بعض الخبيرين بهذا الفن يجلو لنا حقيقة ذلك . ورأي هؤلاء المعارضين ان التل المحفورة تحته مغارة ارميا خارج باب العمود شمالي السور يلائم من جميع الوجوه موقع الصلب . فانه شبيه بهيئة الجمجمة وهو على قارعة الطرق وخارج المدينة . وقد اكتشفت حوله مدافن يُستدل من شكلها انها من نوع المدافن التي كانوا يستعملونها في الاعصر المسيحية الاولى. على اننا نؤمل ان تسفر الابحاث المستمرة عن رفع كل اعتراض عن موقع القبر المقدس الحالي الذي لم يختلف فيه المسيحيون حتى القرن الثامن عشر

❋ محلات اخر ❋ يوجد عدة محلات اخر جديرة بالذكر كدير الارمن وفيه كنيسة مار يعقوب وهو اكبر بناية داخل اسوار المدينة . ويُظن انه قائم على آثار برج مريمنا وقبر النبي داود وكنيسة العشاء الرباني وهما خارج السور. وهذه المحال الثلاثة واقعة على جبل صهيون . والى شرقي المدينة جبل الزيتون وفي سفحه فوق وادي يهوشافاط بستان جثسيماني وعلى قمته محل صعود السيد ومنارة روسية شاهقة تطل على كل الامكنة المجاورة . والى الشمال من المدينة في طرف ابنيتها الجديدة قبور السلاطين ودُعيت بذلك غلطًا لان ملوك يهوذا دُفنوا على جبل صهيون. وقد ثبت انها قبور للملكة هيلانة ملكة اديابيني (بلاد في العربية) تمذهبت بالمذهب اليهودي في القرن الاول ق. م وجاءت القدس مع امراء اسرتها وحفرت في ذلك المكان آبارًا ودارًا واسعة ومغارة امامية فتحت في جوانبها الاربعة ابوابًا الى مغائر اخر داخلية وجعلت فيها دكانًا لوضع النواويس وكل تلك الحفريات في صخر واحد كبير . وباب هذه المغائر كحجر الرحى قائم على حرفه يدحرج على باب القبر وعنه . وقد اكتفينا بالاشارة الى هذه الاماكن واغضينا عن اخرى تاريخية وغير تاريخية خوفًا من ملل القراء ومراعاة لضيق المقام

ولو لم تكن القدس وما ذكرناه عنها ذات اهمية كبرى لما اطلنا الكلام عليها . ولا نظن غير القدس من المدن والاماكن الفلسطينية التي سنتكلم عنها تضطرنا الى اسهاب كهذا الاسهاب

سيبيريا والنفي السياسي اليها

(وكلام سائح انكليزي ساح فيها)

لحضرة الياس افندي خليل عبساوي ب ٠ ع

قيل ان سجن ملوك فرنسا العلماء والادباء والابرياء في سجن الباستيل المشهور هو الذي دفع الشعب الفرنسوي الى الثورة الفرنسوية التي قلبت وجه العالم وخرج منها الاصلاح السياسي ٠ واذا كان هذا القول صحيحاً فقد جاز ان نقول ان نفي روسيا الناس الى سيبيريا كان له شيء من ذلك التأثير على السياسة الروسية التي بدا فيها الانقلاب الذي نراه ٠ لان سيبيريا عند الروس كانت تقابل الباستيل عند الفرنسويين ٠ ويسرُّ كل محب لهذه الدولة العظيمة ان يراها قد دخلت الآن في طريق الاصلاح بالمنشور الذي نشره جلالة القيصر منذ مدة يعلن فيه رغبته الشديدة في اصلاح احوال الامة التي وضعها الله في ذمته ٠ ولقد رأيت لهذه المناسبة ان الخص شيئاً عن سيبيريا ومنافيها السياسية واحوالها القديمة والحديثة ومنه يطلع القراء على التحسين المستمرّ في احوال روسيا

تمهيد

سيبيريا والمنفيون السياسيون

سيبيريا واقعة في القسم الشمالي من قارة آسيا ٠ وهي بلاد واسعة الاطراف تتخللها الانهر في كل جهاتها ويغطيها الثلج خصوصاً في شماليها مدة طويلة من السنة ٠ وسكانها يبلغون عشرة ملايين نفس نصفهم من السكان الاصليين والنصف الآخر روسيو الاصل ممن اضطرتهم حكومة بلادهم للاقامة والتوالد هناك ٠ والبلاد خصبة في اكثر جهاتها خصوصاً القسم الغربي منها ٠ ويبدأ تاريخ خصبها بابتداء مهاجرة التجار وخصوصاً الالمان اليها منذ مدة قريبة ٠ وبذلك اصبحت البلاد تضاهي بمدنيتها كثيراً من البلاد الاوروبية حتى ان في بعض مدنها الكبيرة كاركيتسك وتومسك ملاعب متقنة لتمثيل الروايات ومطاعم وفنادق كما في احسن البلدان الاوروبية مما يسلي المهاجرين عن اوطانهم

وقد افتتحت روسيا سيبيريا في سنة ١٦٥٨ وجعلتها من حين افتتاحها مستعمرة تنفي اليها المجرمين السياسيين والمذنبين وغيرهم ممن كان يقع عليهم سخط القياصرة والحكام ٠

فبطرس الاوَّل كان يُبعد اليها العصاة افواجاً افواجاً . ثم حكم بعده بعض الملكات فكنَّ ينفين اليها من اذنب اليهن من اهل البلاط . ثم جاءت الملكة كاترين المشهورة واخذت ترسل اليها البولانديين زرافات زرافات بدون ادنى رحمة او شفقة . ثم بعد ذلك صار يُنفى اليها النهليست والسوسياليست وغيرهم مما كان يُشتبه في امرهم . ولكن عدد المنفيين كان قليلاً حتى القرن الثامن عشر حين ابتداء عددهم يزيد زيادة كلية . الا ان عددهم لم يكن يُعرف تماماً قبل سنة ١٨٢٣ لانهم لم يكونوا يعملون احصاآت رسمية كما في الوقت الحاضر . ولكن من المحقق انه في ابتداء القرن التاسع عشر كان يُنفى الى سيبيريا كل سنة نحو الفي رجل . وابتدأ هذا العدد يزيد حتى صار بين سنة ١٨٧٣ و١٨٧٧ ١٨٠٠٠ كل سنة . وفي سنة ١٨٨٢ اي حين اغتيال المأسوف عليه القيصر اسكندر الثاني بلغ عدد المنفيين ٢٠٠٠٠ ماعدا نساءهم واولادهم الذين تبعوهم وعددهم ٦٠٠٠ . ومن هؤلاء المنفيين من يُحكم عليه بالاشغال الشاقة ومنهم بسقوط الحقوق المدنية ومنهم بالنفي فقط . اما الذين يحكم عليهم بالاشغال الشاقة فيوزعون بين مناجم الذهب ومعامل الملح في كارا وازوليا . ولما كانت هذه المناجم والمعامل لا تسع اكثر من ١٠٠٠٠ رجل فيرسل الباقون الى سفاليان حيث يشتغلون في مناجم الفحم . وبعد قضاء مدة سجنهم يصير للمنفيين الحق بان يسكنوا في الضياع والقرى . ويظهر من الاحصاآت الرسمية ان عدد الذين نُفوا منذ الابتداء الى اواخر القرن التاسع عشر يقارب مليوني نفس وثلث هذا العدد لم يعد يُسمع عنه خبر بعد نفيه . ويقال انه كان منذ مدة ٢٠٠٠٠ منفي يواصلون السير في الاحراش كي يرجعوا الى بلادهم ولكن كثيرين من هؤلاء يتيهون فيموتون في تلك الاحراش وتذهب آثارهم

ولكن المنفيين اقل كثيراً مما يظن . ففي مقاطعة توبولسك يبلغون ٤٦ في المئة من السكان وفي مقاطعة تومسك ٢٩ وفي غيرها اكثر . ولكن المعدل ٤٩ في المئة من السكان . وقد كان المنفيون يُسامون في الابتداء اشد العذاب ويعاملون اردأ المعاملة ولكن في السنين الاخيرة تنبهت الحكومة لذلك واخذت في اصلاح حالة المسجونين وجعل السجون مطابقة للاصول الصحية كغيرها من سجون اوروبا . والفضل في كل ذلك للفيلسوف تولستوي الذي اذا لم يكن من فوائد قلمه غير هذا الاصلاح لكفى ذلك لوضعه في جملة المصلحين العظام في المجتمع الانساني . وقد عثرتُ في احدى المجلات الانكليزية على مقالة بقلم احد سياح الانكليز زار في خلال هذه السنة اعظم سجون سيبيريا بعد ان استأذن الحاكم العام في ذلك . فرأيتُ من الفائدة تلخيص مقاله . قال :

اعظم سجون سيبريا

« لستُ انسى في كل حياتي تلك الليلة التي سافرتُ فيها من مدينة اركتيسك (عاصمة سيبيريا الوسطى الواقعة على مسافة ٤٠٠٠ ميل من شرقي موسكو عاصمة بلاد الروس القديمة) لاشاهد اعظم سجون سيبيريا وهو سجن « الكسندروفسكي » وكان البرد قارصاً والرياح تعوي عواء الذئاب اما الشتاء فانه في تلك البلاد يمتد الى ثلثي السنة و يشتد فيه البرد حتى لا يستطيع الاَّ القليلون ان يسكنوا تلك الاصقاع . والاهالي انفسهم لا يكادون يقوون على احتماله فيلتفون بالفرو من قمة الرأس الى اخمص القدم بحيث يصعب التمييز بين رجالهم والنساء

وقبل زيارتي لذلك السجن كنت اعتقد كما يعتقد لحد الان كثيرون غيري من الانكليز انني سارى هناك اشخاصاً يساقون للموت قسرًا بسبب المعاملة الرديئة التي يذيقها ايام الجنود والضباط الموكلون بحراستهم . وانني ساسمع علاوة عن تنهدات اولئك المساكين التي تنفطر لها القلوب جلجلة السلاسل الحديدية التي تربطهم بعضهم ببعض . ولما استأذنت من حاكم اركتيسك العام بزيارة السجن كنت منتظرًا ان يصادف طلبي رفضاً لانّ لعلمي ان الروس يريدون ان يخفوا عن العالم المتمدن تلك المعاملة التي يعاملون بها المنفيين . ولكن كان استغرابي عظيماً حين القيت منه بدلاً من الرفض الثبات كل التسهيلات والمساعدات الممكنة

وسجن الكسندروفسكي هذا واقع على مسافة ٥٠ ميلاً من شمالي اركتيسك وصار الاتفاق ان اسافر اليه ليلاً مع احد موظفي السجون لانه لا يوجد في الطريق من محاسن الطبيعة ومناظرها الجميلة ما يرغّب المسافرين بالسفر اليه نهارًا . فتسلح كل منا بالمسدسات اللازمة للطريق خوفاً من ان يهاجمنا بعض الذين اتموا مدة نفيهم واتخذوا لانفسهم بعدها حرفة اللصوصية . ذلك لان الحكومة الروسية لا تكلف نفسها ارجاعهم الى بلادهم بل تتركهم وشأنهم فيرجع منهم القليل ويقصد البعض امهات المدن السيبيرية فيجدون اشتغالاً فيها . اما الاكثرون فيحترفون حرفة اللصوصية وقاطعي الطرق فيتعرضون للمسافرين ويقتلونهم و يسلبون امتعتهم ونقودهم . وسكان المدن انفسهم ترى كثيرين منهم من الاشقياء لان سكان سيبيريا و يبلغون عشرة ملايين نفس نصفهم اما من المجرمين الذين اكملوا مدة سجنهم او من نسلهم . ولما كان « العنب لا يُجنى من الشوك ولا التين من الحسك » فلا يُنتظر اذًا ان يكون هؤلاء ادباء مهذبين . ولكن قد قدرت العناية الالهية ان لا نصادف في طريقنا احد هؤلاء اللصوص . فوصلنا الكسندروفسكي الساعة الرابعة في الصباح بعد ان ذقنا في اثناء سفرنا مرارات البرد القارص

واول شيء وقع عليه نظري كان كنيسة ارثوذكسية كبرى سقفها مغطى بالثلج · اما المكان فكان هادئاً لا يُسمع فيه غير وقع حوافر افراس يعلوها بضعة انفار من القوزاق المنوط بهم حراسة السجن · والسجن نفسه كان مظلماً كالقبر وهادئاً لا يُسمع منه ادنى حركة او صوت · وقد رأينا تجاه السجن بناء جميلاً هو منتدى للاجتماعات · فاوقفنا المركبة ودخلنا اليه · وما وقفت بنا المركبة حتى طلع من ذلك المكان عدة اشخاص كانوا من المجرمين الذين اختاروا ان يستبدلوا سجنهم بالخدمة في ذلك النادي وهي نعمة عظمى عند المنفيين لا ينالها منهم الا من كان سلوكه حسناً وحاز رضى رؤسائه · وقبل ان اشرح ما رأيت في سجن الكسندروفسكي لا ارى بدّاً من الاشارة الى سجون سيبيريا على الاجمال والمنافع التي تعود على روسيا من ارسال المجرمين اليها

سجون سيبيريا على الاجمال

من المعلوم ان كل البلاد الواقعة الى شرقي جبال اورال التي تفصل روسيا عن آسيا كانت قبل امد غير بعيد لا يُعرف عنها شيء · فكان يظنها الاوربيون بلاداً قاحلة تكسوها الثلوج على مدار السنة · ويغشاها الظلام عدة اشهر من كل عام · ولما كان الحكم بالقتل قليلاً جداً في بلاد الروس ارتأت الحكومة الروسية ان تبعد كل المجرمين من لصوص وقتلة وغيرهم ممن يُغضبون جلالة القيصر الى تلك البلاد المخيفة فلا يرجع منهم الا القليل وبهذا تتخلص الهيئة الاجتماعية من شر اعضائها الاشرار او الذين يُحسبون اشراراً · ولذلك كان الاهالي قبل امتداد السكك الحديدية في سيبيريا يتجمهرون حول المجرم يوم سفره فينسون جرمه مهما كان كبيراً ويقدمون اليه بسخاء المال والطعام ظناً منهم ان ذلك المنكود الحظ ذاهب الى سيبيريا ليُقبر فيها حياً · وهذا ماجعل الاوربيين يبالغون في وصف المعاملة السيئة والعذابات التي يتحملها المنفيون · ولكن كما انه في المدة الاخيرة وخصوصاً بعد الشروع في عمل السكة الحديدية السيبيرية ذهب منا كثيرون الى سيبيريا فطرحوا اعتقادهم السابق وصاروا يعرفون جيداً انها ليست البلاد التي كانوا يظنونها قبلاً وانها بلاد خصبة طيبة الهواء خصوصاً في ايام الصيف هكذا زيارتي لسجون سيبيريا وان يكن في تلك السجون شيء كثير قابلاً للنقد واللوم لكنها جعلتني انبذ تصوراتي القديمة بخصوصها · فروسيا متأخرة قرناً كاملاً في الحضارة والمدنية عن باقي رصيفاتها الاوربيات · ومنذ زمن قريب كانوا يعاقبون في سجونها عقابات صارمة جداً · فكانوا مثلاً يجلدون المذنب جلداً يهون عنده الموت حتى ان جلاداً ماهراً من جلادي سيبيريا يقدر ان يذيق المجلود حتفه بستة

اسواط فقط · والمنفي بعد ان يُسجن المدة المحكوم عليه بها يُصرح له بترك السجن على شرط ان يبقى في سيبيريا مدة معينة قبل ان يُسمح له بالرجوع الى بلاده · ويحق لزوجة المنفي ان تعتبر نفسها طليقة بحسب الشريعة الروسية ولكنها اذا ارتأت ان تتبع زوجها تنقلها الحكومة مع اولادها بدون اجرة · وهناك تسكن مع اولادها في القرية الاقرب للسجن (ويوجد في اغلب الاحيان قرية بجانب كل سجن) والحكومة لا تساعدها الا بدفع ثلاثة ارباع البس (٤ مليات) في اليوم عن كل واحد من اولادها ولكنها تعطيها ثيابًا لتخيطها او لتغسلها فتنتفع باجرتها · والزوج اذا حاز رضى رؤسائه يُسمح له في كثير من الاحيان ان يذهب ويسكن مع عائلته وان يشتغل ليقوم بمعاشها · والقسم الاكبر منهم لا يرجعون الى روسيا عند قضاء مدتهم بل يفضلون البقاء في سيبيريا · ولما صار في المدة الاخيرة يقصد روسيا كثير من التجار الروسيين جعلوا يرفعون العريضة وراء العريضة طالبين من جلالة القيصر ان لا يرسل اليهم « اوباش البلاد » فقبل جلالته اخيرًا وامر ان لا يُرسل اليها بعد الآن سوى المجرمين السياسيين والمجرمين المحكوم عليهم بالسجن المؤبد · اما الباقون فيعاقبون في مدنهم كما في باقي الممالك · واكثرهم الآن يُنفى الى جزيرة سفاليان الواقعة على الساحل الشرقي · وفيها اردأ السجون حتى اذا دخلها المجرم لا يبقى له بارقة امل بالخروج منها حيًا · وحالما يدخلها يُلغى اسمه ويسمى بدل الاسم بعدد يميزه عن غيره · ولا يُسمح له بمخالطة احد من اقاربه واصدقائه · وحين يموت لا يعلم اهله بموته · فهو بالنسبة الى العالم ميت بصورة الاحياء · اما معاملة المجرمين والقصاصات التي تُنفذ فيهم فهي ليست من القساوة بالدرجة التي يتصورها البعض · وانا لا الوم الحكومة الروسية سوى لابعادها الى سيبيريا المجرمين السياسيين او بعبارة اخرى اصحاب الافكار الحرة واكثرهم من تلاميذ الكليات الذين يريدون ان ينشروا مبادىء الحرية والصلاح ولو بواسطة « الديناميت » · فهؤلاء الاحداث والشبان الذين تتقد في صدورهم نار الحرية يطلبون الاصلاح بواسطة الثورات كما كنا نعمل في حداثتنا حين كنا في المدارس · ولكن الحكومة الروسية بدلًا من ان تعير هؤلاء الاحداث (اقول احداثًا لاني شاهدت كثيرًا منهم في الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر) اذنًا صاغية وتنظر الى مطالبهم بعين الرضى والاستحسان تبعدهم الى سيبيريا لكي تموت تلك العواطف الشريفة من نفوسهم مدة السجن · وقد تحادثت مليًا مع كثيرين منهم فاخبروني انهم يتأسفون جدًا لهذا الضغط التي تضغطه روسيا على الافكار الحرة · ولم يزيدوا على هذا ولا تذمروا من معيشتهم · وهؤلاء « السياسيون » لا يُلقون في السجون مع غيرهم من

المجرمين المدنيين بل لهم سجون خاصة بهم . ويُسمح لهم بقراءة الكتب غير الاجتماعية والسياسية منها . وهم عائشون معاً كعائلة . وبالاختصار ان معاملتهم ليست كما يُظن . وحين تنتهي مدة سجنهم يبقى اكثرهم في سيبيريا حيث يجدون وظائف عديدة لانهم كما تقدم القول من المتنورين ويمكن ان اقول بدون مبالغة ان ٨٠ في المئة من اصحاب الوظائف المهمة الذين صادفتهم مدة وجودي في سيبيريا هم من المجرمين السياسيين الذين انهوا مدة سجنهم

سجن الكسندروفسكي

ولنعد الآن الى وصف ما شاهدته في سجن الكسندروفسكي . فبعد ان استرحنا قليلاً ذهبنا لمشاهدة السجن المذكور فدخلنا غرف النوم فالفيناها واسعة جداً ويفصل الواحدة عن الاخرى ابواب حديدية غاية في الفخامة . ولاحظتُ ان الفريق الاكبر من المسجونين رجالٌ اقوياء البنية ووجوههم مطبوع عليها علامة الاجرام . وكان كل واحد منهم لابساً رداء من اللباد . ولما كانت هذه الملابس تُصنع كلها على قياس واحد فكنت ترى امامك صوراً مضحكة . وقد استنتجت انهم لا يخافون الموظفين كما كنت اظن قبلاً وان جميع الموظفين غاية في اللطف معهم . ثم ذهبنا لورشة الصنائع فوجدنا المجرمين يشتغلون بعمل ثياب واحذية واثاث بيوت وغيرها . وقد اخبرني الحاكم ان اثاث القسم الاكبر من بيوت اركيتسك هي من صنع سجن الكسندروفسكي . وفي كل واحدة من الغرف كنا نجد معلقاً على الجدران الايقونات الكنائسية (الصور) كما هي العادة عند الروسيين . وقد رأيت بين عداد المسجونين ٢٠٠ من مسلمي البلاد التابعة لروسيا كبلاد التتر وبخارى وكردستان وغيرها ويُسمح لهؤلاء ان يكرموا يوم الجمعة للعبادة ويسمح لليهود ان يعيدوا السبت ايضاً . ومن الغريب اني وجدت في جملة المنفيين اليهود رجلاً انكليزي الاصل كان قد ذهب الى روسيا بقصد الاتجار فابتداء هنالك يزور اوراقاً مالية ويقلد تواقيع الناس فحكمت عليه الحكومة الروسية بالابعاد ١٦ عاماً الى سيبيريا

وقد سألت الحاكم عن الوسائط التي يتخذها لكي يدفع الضجر والسآمة عن المنفيين . فاخذني الى غرفة واسعة فيها رفوف كتب مختلفة المواضيع وفي وسطها موائد عليها جرائد ومجلات مصورة . وكان حول الموائد كثيرون من المسجونين يتفرجون بمشاهدة الصور في المجلات . ويوجد معلم خصوصي لتعليم من اراد منهم القراءة والكتابة . ولما آنست من الحاكم هذه المعاملة اللطيفة لم احببت ان امزح معه فقلت له « يظهر لي انكم تعاملون هؤلاء المذنبين معاملة تكاد لا تصدق فلماذا لم تبنوا لهم ملعباً للتمثيل يتسلون به » فاجابني الحاكم

على الفور « عندنا لهم ملعب للتمثيل » ثم اخذني الى قاعة جميلة وقال لي « في كل اسبوع يجتمع المسجونون الذين كان سلوكهم حسناً فيمثلون روايات هزلية » ثم طلب مني ان لا اذكر شيئاً عن هذا الملعب في كتاباتي لئلا يستاء من ذلك رؤساؤه في روسيا . وقال لي « يذكر لي بعض السياح الذين يأتون لزيارة السجن هنا انني اعامل المسجونين بلطف كلي ولكني في الحقيقة لا اعمل سوى الواجب . لان المقصود من السجن ليس العقاب فقط بل جل القصد منه ان يعلم السجين ان يكون نادماً بعد ان يترك السجن . ولذلك فانا لا افرض على احدهم شغلاً لا يعود بفائدة عليه . وقد علمني الاختبار ان اللطف يؤثر بالمجرمين فيحسن سيرتهم و يجعلهم يفتخرون بصنائعهم التي يتعلمونها هنا »

ثم زرت المطبخ فوجدته نظيفاً والاكل مغذياً ولذيذاً . وبعده زرت المستشفى حيث لاحظت ان اغلب المرضى مصابون بالتدرن الرئوي . ثم ذهبت الى المدارس التي يتلقى فيها ابناء المجرمين المعارف والصنائع وسررت جداً من النظافة والاتقان في كل المحلات . ولا ريب ان صنيعاً كهذا يشفع بالمعاملة السابقة في الازمنة الماضية مهما كانت درجتها من الشدة

سجن النساء السياسيات

ولاتمام الفائدة لا ارى بداً من ان اذكر قليلاً عن سجن النساء في اركيتسك . فهو وان يكن يسمى « سجناً » لكن ليس بالحقيقة سوى بيت اعتيادي محاط بجدار عالٍ ومفتوح الابواب في اكثر الاوقات بحيث يقدر من شاء ان يخرج منه بدون ان يشعر به احد . وهو ليس نظيفاً كسجون الرجال . وقد استغربت كيف لا يخافون ان تهرب السجينات منه ما دامت ابوابه مفتوحة فبناء عليه سألت رئيسته عن ذلك فاجابت « انه لا يخطر ابداً ببال السجينات ان يهربن . وفي طول مدة وجودي هنا كرئيسة لم يحدث غير حادث من هذا القبيل . وذلك انه عند ما قرأنا ذات يوم اسماء السجينات في المساء كما هي العادة وجدنا احداهن غائبة فاستغربنا ذلك ولكنها ما لبثت ان عادت ثانيةً بعد خمسة ايام . فسألناها عن سبب هربها فاجابت « بما انه غير مسموح للرجال ان يزوروا السجن رأيت نفسي مضطرة ان اذهب لارى حبيبي في مكان قريب » فسامحناها لان عذرها مقنع ..

تاريخ حياة المسيح واعماله

﴿ كما يكتبه مؤرخو العرب ﴾

(نقلاً عن التاريخ الكامل للمؤرخ المشهور ابي الحسن ابن الاثير الجزري)

(منقول عن كتاب تاريخ المسيح بقلم رنان تحت الطبع)

ليس يخلو من فائدة ان نردف تاريخ المسيح كما كتبه رنان بتاريخ المسيح كما يكتبه مؤرخو العرب نقلاً عن الكتب والاخبار الدينية . فاخترنا من كلامهم بهذا الصدد كلام المؤرخ ابن الاثير المشهور . وهذا نصه

(ذكر ولادة المسيح الى آخر امره)

« كانت ولادة المسيح ايام ملوك الطوائف . قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين . وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضي ثلاثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على ارض بابل . وزعموا ان مولد يحيى (١) كان قبل مولد المسيح بستة اشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين . وان عيسى عاش الى ان رُفع (الى السماء) اثنتين وثلاثين سنة واياماً وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة . وان يحيى قُتل قبل ان يرفع المسيح . واتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة . وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة . وكان يوسف حكيماً نجاراً يعمل بيديه ويتصدق بذلك . وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها اخذ كل واحد منهما قلّته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيا فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء . فقال عندي من الماء ما يكفيني الى غدٍ . فاخذت قلّتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل (الملاك) قد مثله الله لها بشراً سوياً . فقال لها يامريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاماً زكياً . قالت اني اعوذ بالرحمن منك

(١) يوحنا المعمدان

ان كنت تقياً . اي مطيعاً لله . وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلاً . قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر قال كذلك قال ربك (الى قوله امراً مقضياً) فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها . وملأت قلتها وعادت . وكان لا يعلم في اهل زمانها اعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار . فلما حملت واتتها خالتها امرأة ذكريا ليلة تزورها وفتحت لها الباب التزمتها فقالت لها امرأة ذكريا اني حبلى فقالت لها مريم وانا ايضاً حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك . وولدت امرأة زكريا يحيي (يوحنا) وقد اختلف في مدة حملها فقيل تسعة اشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية اشهر فكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود لثانية اشهر غيره . وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو اشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً » عقبه بالفاء . فلما احست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فاتت اقصاه فجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً . يعني نُسي ذكري واثري فلا يرى لي اثر ولا عين . قالت مريم كنت اذا خلوتُ حدثني عيسى وحدثته . فاذا كان عندنا انسان سمعتُ تسبيحه في بطني . فناداها جبرائيل (الملاك) من تحتها اي من اسفل الجبل : لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهو النهر الصغير اجراه تحتها . فمن قرأ مِن تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله . وهزي اليك بجزع النخلة . كان جزعاً مقطوعاً . فهزته فاذا هو نخلة . وقيل كان مقطوعاً فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضرّ وارطب . فقيل لها وهزي اليك بجزع النخلة فهزته فتساقط الرطب . فقال لها كلي واشربي وقرّي عيناً فاما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرتُ للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً . وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي . فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت . فاقبلوا يشتدون بدعوتها فاتت به قومها تحمله . وقيل ان يوسف النجار تركها في مغارة اربعين يوماً ثم جاء بها الى اهلها وكانت من نسل هرون اخي موسى كذا قيل . قلتُ انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهوذا ابن يعقوب من نسل سليمان بن داود . وانما كانوا يُدعون بالصالحين . وهرون من ولد لاوي بن يعقوب . قالت لم ما امرها الله به بعد ذلك . وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بكِ قتلوك وولدكِ . فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم

مصر ادركها المخاض . فلما وضعت وهي محزونة قيل لها لا تحزني (الآية الى انسيا) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء . واصبحت الاصنام منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاءوا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث في الارض حادث . فطار عند ذلك وغاب عنهم فمرَّ بالمكان الذي ولد فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به . فعلم ان الحدث فيه . ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر لاضل به اكثر من يهتدي . واحتملته مريم الى ارض مصر فمكث اثني عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها . وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيرودس . فان اليهود اغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثني عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام . وقيل ان هيرودس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله اعلم

ذكر معجزات المسيح

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسُرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال اتريدين ان ادلَّه على ماله قالت نعم قال انه اخذه الاعمى والمقعد . اشتركا فيه . حمل الاعمى المقعد فاخذه . فقيل للاعمى ليحمل المقعد فاظهر العجز فقال له المسيح كيف قويتَ على حمله البارحة لما اخذتما المال فاعترفا واعاداه . ونزل بالدهقان اضياف ولم يكن عنده شراب فاهتمَّ لذلك فلما رآه عيسى دخل بيتاً للدهقان فيه صفان من جرار فامرَّ عيسى بيده على افواهها وهو يمشي فامتلأت شراباً وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة . وكان في الكتّاب يحدّث الصبيان بما يصنع اهلوهم وبما كانوا يأكلون . قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فالقاه بين رجلي المسيح متلطخاً بالدم . فانطلقوا به (اي المسيح) الى الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبياً . فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا ان يبطشوا به فقال ائتوني بالصبي حتى اسأله من قتله . فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل . فدعا الله فاحياه فقال من قتلك فقال قتلني فلان يعني الذي قتله . فقال بنو اسرائيل للقتيل مَن هذا . قال هذا عيسى ابن مريم ثم مات الغلام من ساعته . وقال عطاء : سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال

للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلتُ في كل ثوب منها خيطاً على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتى اعود من حاجتي هذه . فاخذها المسيح والقاها في جب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال اين هي قال في هذا الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدتها على اصحابها وتغيظ عليه . فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها . وقام واخرجها كل ثوب منها على اللون الذي اراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى

ولما عاد عيسى وامه الى الشام نزلا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فاقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما امر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره . وحضر يوماً طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من انت قال انا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من اصحابه فكانوا الحواريين (١) وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره واصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله اعلم . وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً وكانوا اذا جاعوا او عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا . فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفين وما يشربون . فقالوا من افضلُ منا . اذا شئنا اطعمتنا وسقيتنا . فقال افضلُ منكم من يأكل من كسب يده . فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة . ولما ارسله الله اظهر من المعجزات انه صوَّر من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائراً باذن الله . قيل هو الخفاش . وكان غالباً على زمانه الطب فاتاهم بما ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى تعجيزاً لهم . فممن احياه عازر وكان صديقاً لعيسى فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة ايام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة ايام فاتى قبره فدعا لهُ فعاش وبقي حتى ولد له . واحيا امرأة وعاشت وولد لها . واحيا سام بن نوح . كان يوماً مع الحواريين يذكر نوحاً والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فاتى تلاً وقال هذا قبر سام ابن نوح ثم دعا الله فعاش وقال : قد قامت القيامة ؟ فقال المسيح لا ولكن دعوتُ الله فاحياك . فسألوه فاخبرهم . ثم دعا ميتاً واحيا عزير النبي . قال له بنو اسرائيل احيِ لنا عزيراً والا احرقناك فدعا الله فعاش . واحيا يحيى بن زكريا واحيا غير من ذكرناه وكان يمشي على الماء

«١» رسل المسيح وتلامذته

ذكر نزول المائدة

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة . وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له ياعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء . فدعا عيسى فقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا . فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم ياكلون منها ولا تنفد . فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها . فما مضى يومهم حتى ادخروا . وقيل اقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم . وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تمد بكل طعام الا اللحم . وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شيء . فلما اكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد انك رسول الله . ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر اعينكم . فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي . فبقوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا . وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين ايديهم . فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين . اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة . واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحاً اطيب من ريحها . فقال شمعون (سمعان) يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الجنة . فقال المسيح لامن طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته . فقال لهم كلوا مما سألتم . فقالوا له كل انت يا روح الله فقال معاذ الله ان آكل منها . فلم ياكل ولم ياكلوا منها . فدعا المرضى والزمنى والفقراء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص . فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء . ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت . وندم الحواريون حيث لم ياكلوا منها . وقيل انها نزلت اربعين يوماً كانت تنزل يوماً وتنقطع يوماً . وامر الله عيسى ان يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وجحدوا نزولها وشكوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها . فاوحى الله الى عيسى اني شرطت ان اعذب المكذبين عذاباً لا اعذب به احداً من العالمين فسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً فاصبحوا خنازير . فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين . فلما ابصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم باسمائهم ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا

ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة .

فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير . فلما رأى ذلك رأس بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال : يا معشر اليهود ان الله يبغضكم . فغضبوا من مقالته وساروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل فادخله في خوخة الى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة . فامر رأس اليهود رجلاً من اصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم يرَ احداً والقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه . وقيل ان عيسى قال لاصحابه ايكم يحب ان يُلقى عليه شبهي وهو مقتول . فقال رجل منهم انا يا روح الله . فالقى عليه شبهه فقتل وصُلب . وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلي اسمه يوشع ايضاً . وقيل لما اعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاماً فقال : احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا اخذ يغسل ايديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد عليَّ الليلة شيئاً مما اصنع فليس مني . فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي فليكن بي اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض . واما حاجتي التي استعينكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يوءخر اجلي . فلما نصبوا انفسهم للدعاء اخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة . قالوا والله ما ندري مالنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء حيل بيننا وبينه . فقال يُذهب بالراعي ويفترق الغنم . وجعل ينعي نفسه ثم قال : ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني . فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين وقالوا هذا صاحبه . واختلف العلماء في موته قبل رفعه الى السماء فقيل رُفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم احياه ورفعه . ولما رُفع الى السماء قال الله له انزل . فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد وقال ما انا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثاً . فلما سمع صياح الديك بكى واحزنه ذلك . واتى احد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح واعطوه ثلاثين درهماً فاتى معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح والقى شبهه على الذي دلهم عليه فاخذوه واوثقوه وقادوه وهم يقولون له انت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجي نفسك . وهو يقول انا الذي دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها . وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحواري اتبعوه واخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه . فاظلمت الارض

وارسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه . والقي شبه المسيح على الذي دلهم عليه فاخذوه ليصلبوه . فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها . ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم احياه ورفعه . ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن حزنها . فنزل عليها بعد سبعة ايام فاشتعل الجبل حين هبط نورًا وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان ابرأها من الجنون . فقال ما شانكما تبكيان قالتا عليك قال اني رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم وامرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلاً عن الله وامرهم ان يبلغوا عنه ما امره الله به . ثم رفعه الله اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسيًا ملكيًا سماويًا ارضيًا . فتفرق الحواريون حيث امرهم فتلك الليلة التي اهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى . وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلاً كان في بني اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا هذا من امره فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه . ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدي اليهود وسألهم عن دين عيسى فاخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شبه لهم فغيّبه واخذ الخشبة التي صلب عليها فاكرمها وصانها وعدا على بني اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة . فمن هناك كان اصل النصرانية في الروم . وقيل كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طيباريوس وكان هذا ايضًا يسمى ملكًا . وكان ملك طيباريوس ثلاثًا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة واياماً » انتهى كلام ابن الاثير بحذف يسير

السماء والارض والانسان

(جدال العلماء)

(هل الارض في مركز الخليقة)

ردّ العلامة كاميل فلامريون على العلامة ارثر ولس

نشرنا في الجزء السابق تحت هذا العنوان تفصيل رأي جديد للعلامة ارثر ولس رفيق العلامة درون وخصّله ان كرتنا الارضية كائنة في مركز الكون وانها مأهولة بالسكان دون غيرها من الكواكب والسيارات . ولقد كان لهذا القول دهشة في العالم الشرقي كما كان له دهشة في العالم العربي . ومما قرأناه في البريد الاخير مقالة للعلامة كاميل فلامريون المشهور يردّ بها على المستر ولس . فرأينا من الواجب تلخيص الردّ بعد تلخيصنا الرأي

قال المسيو فلامريون : ان الانسان يتساءل كيف ان عالماً معدّ مثل ارثر ولس يرى ان الشمس كائنة في مركز الكون ولا وظيفة لها غير انارة الارض وان هذه الارض هي الجرم الوحيد المأهول في الفضاء . نعم سمعنا كثيراً من هذه الاقوال في بعض المواعظ والخطب الدينية ولكننا لم نسمع مثلها قبل الآن من عالم موضوع في الدرجة الاولى بين العلماء

ثم ان المسيو فلامريون يقول : على ان ذلك امر محزن لان هذا الحجر الذي القاه صاحب الرأي في بحيرة العلم يحدث امواجاً تمتدّ الى بعيد و يبقى منها اثر في الاذهان . ذلك ان الاوهام والاغلاط خصوصاً ما كان منها منطبقاً على اهوائنا وموافقاً كبرياءنا لا تتلاشى بسرعة . وكم من القواعد التي وضعها ارسطو قديماً تعرقل الآن عقولنا في مباحثنا الفلسفية . ولذلك نعتبر ان رأي المستر ولس لا يجب ان يعتد غيمة مرّت في سماء العلم بل ظلاماً تكاثف فيها

ثم شرع المسيو فلامريون في الردّ على هذا الرأي فقال ما خلاصته

محصل رأي المستر ولس ثلاثة (الاول) ان عدد النجوم في السماء محدود لا غير متناهٍ كما قيل (الثاني) ان الكون كله كائن على جوانب المجرة وهذه المجرّة مؤلفة بترتيب دقيق (الثالث) ان الشمس واقعة في مركز الكون اي في مركز المجرّة

اما الامر الاول فيردّ عليه بان بين كلمة « العدد » وكلمة « غير متناهٍ » تناقضاً لا يزول . لان كل عدد لا يمكن ان يكون غير متناهٍ . اذ الغير المتناهي ما استحال الزيادة عليه .

والعدد قابل للزيادة دائماً . فلا مانع من القول بان عدد النجوم في السماء غير متناهٍ ـ ولكن لا ينبغي الخلط بين النجوم والفضاء . فانه اذا كان عدد النجوم متناهياً فالفضاء (الخلاء) لا يمكن الا ان يكون غير متناهٍ اذ ليس فيه فوق ولا تحت ولا شمال ولا يمين كما انه في ابدية الزمن لا بداية ولا نهاية . على ان بعض الفلاسفة يعرّفون الفضاء بانه المسافة التي تفصل بين جسمين ولذلك لا يتصوّرون فضاء بلا اجرام . واللاهوتيون ينكرون لا نهاية الفضاء خوفاً من ان يطلقوا على الفضاء صفة من صفات الله (اللانهاية) غير انني اجاسر واقول ان هذه الاقوال سفسطائية اذ هب ان الاجرام لم توجد ولا وجد هذا الكون فان الفضاء يكون موجوداً . اي يوجد فراغ يحتمل وجود الاجرام فيه

ومن براهين المستر ولس على ان عدد النجوم غير متناهٍ انه لو كان كذلك لوجب ان تكون النجوم منتشرة في كل جوانب الفضاء وبما ان كل نجم من تلك النجوم شمس منيرة فانه يلزم ان تلتقي انوارها الساطعة وتؤلف افقاً منيراً كنور الشمس . ولكن هنا اربعة اعتراضات على هذا القول (الاول) ما ادرانا ان النور الواصل الينا من الفضاء لا تعرض له عوارض تضعف خواصه ولماذا لا يؤثر الاثير على اشعته بان يمتص منها ويضعف نورها (الثاني) وجود شموس مظلمة (اي منطفئة خامدة) في الفضاء كما يوجد فيه شموس منيرة فلماذا يعتبر المستر ولس كل تلك النجوم شموساً منيرة . وما المانع من ان تكون تلك الشموس الخامدة واقعة بين الشموس المنيرة وحائلة دون التقاء انوارها وانتشارها (الثالث) ان الفضاء مملوء بالسدم والغازات وفن الفوتوغراف يكتشفها في كل جانب تقريباً . وهذه السدم والغازات قد تكون منيرة وقد تكون مظلمة فما المانع من ان يكون المظلم منها ذا تاثير على النور في السماء (الرابع) وجود الغبار بكثرة في الفضاء منتشراً عن عوالم السماء وامكان تاثيره على النور

ثم ردّ المؤلف على القول الثاني والثالث (المجرّة وترتيبها ووجود الشمس في مركزها) فاقام الدليل على ان المجرّة ليست نظاماً مخصوصاً مرتباً بل هي مجموعة سدم واجرام صغيرة وقد عدوا منها بالتلسكوب نحو عشرة الآف . وهي عبارة عن دائرة حولنا وحول الشمس ولكن الشمس ليست في مركزها تماماً ولا هي اكبر الاجرام الواقعة ضمن دائرتها لان الفا دي سانتور التي هي في جملة هذه الاجرام جرمها مضاعف جرم الشمس . ومع ذلك فهب ان شمسنا في مركز المجرة تماماً فانها لا تبقى دائماً في هذا المركز . ذلك انها سائرة بسرعة نحو مجموع هرقل وستجتاز المسافة من هنا الى الفا دي سانتور بخمسة وستين الف سنة . وهي

مدة قصيرة في نظر تاريخ الخليقة كما ان الجيولوجيين يعتبرون ان عشرين مليون سنة مدة ليست طويلة في تاريخ الطبيعة . وهذه مدة ٥٦٠ الف سنة كافية لاخراج واخراج كل شمسنا من دائرة المجرة

ثم انتقل المؤلف الى الكلام عن عدد الشموس فقال يؤخذ من تقدير الاستاذ كمس الاخير ان عدد الشموس في عالم السماوي ليس اكثر من مليار شمس تقريباً . وقد افترض ان معدل جرم كل واحدة من هذه الشموس مساو لجرم شمسنا . فيكون معدل سرعة الاجرام في دورانها الناشئ عن تجاذبها وتدافعها من ٢٠ الى ٣٠ كيلو متراً في الثانية . ولكن لو كان عدد تلك الشموس عشرة مليارات مثلاً لزم ان تكون سرعة الاجرام متعلقة بهذا العدد واشد كثيراً من السرعة المذكورة . . . لا دخل . . . عدد الشموس في الفضاء مليارها الفائدة من هذا الافتراض . . . العالم عدد شموسه ايضاً مليار . . . حولنا ليست سوى نقطة في فضاء الابدية

ومما يقوي لدينا هذا الظن اكتشاف نجوم ليست تابعة . . . النجم الذي ذكره نيوكب والمعروف بنجم كرمبردج وكان اكتشافه في سنة ١٨٣٠ . . . النجم في دورانه بلغت ٣٠٠ الف متر في الثانية الواحدة . . . خارجه ككرة مقذوفة بقوة هائلة . . . مرّاً . ويقوي هذا الظن ان قوة جاذبية مليار من الشموس . . . لا يمكن ان تسبب سرعة هائلة كهذه السرعة لان معدل السرعة التي تحدث من ذلك . . . من ٣٠ الى ١٠٠ كيلومتر في الثانية كما تقدم

ثم ختم المسيو فلاماريون رده بخاتمة . . . يعتقد بالنشوء والتحوّل . . . الذي يعتقد مع ذلك ان الزمنا هذا وارضنا هذه . . . مثلاً من . . . ان الارض في ست ايام كما ان القمر . . . المسيو فلاماريون . . . ان الارض غير ممتازة بشيء . . . وقد حدثت . . . يوم . . . كانت موجودة من قبل في القمر . . . في السيارة المشتري يوم استعداد هذه السيارة . . . وهذه عقدة العقد التي يصعب تصديقها كما يصعب . . . يوم ثبوتها

اقتراحات الجامعة

هل يصير التعليم مجانيا الزاميا لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل ؟ وكم هي المدة اللازمة لذلك ؟ وهل تفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان هذا التعليم على الطريقة الحاضرة ؟ واذا كان التعليم محتاجاً الى اصلاح فما هي اهمّ وجوه هذا الاصلاح ؟

اقترحنا في الجزء السابق على الادباء الاقتراحات التي سطَّرناها فوق جرياً على القاعدة التي وضعتها المجلة وهي ان تعين المواضيع التي تقبل الرسائل والفصول فيهـا . فوردتنا عدة اجوبة . غير ان في هذه الاجوبة ما لو اردنا نشره كله لاستغرق عدة صفحات من الجامعة . ولذلك نكتفي بنشر شيء من كل جواب لنتمكن من نشر آراء جميع المراسلين والاَّ اضطررنا الى الاقتصار على رسالة واحدة

واولى هذه الرسائل مقالة مسهبة من جناب حليم افندي لوقا في اسيوط وقد ختمهـا حضرته بما يلي :

« اهم الطرق الواجبة لاصلاح التعليم

(اولاً) ادخال المجانية الالزامية على قدر الامكان ولو في المدارس الابتدائية وان شئت فالكتاتيب على الاقل (ثانياً) انشاء مدارس تجهيزيه في كل بلدة وكل قرية يتعلم فيها الطلبة القراءة والكتابة والمبادئ الطبيعية (وهي التي نرى ضرورة جعلها مجانية) (ثالثاً) طلبة المدارس التجهيزية اذا شاءوا دخلوا المدارس الابتدائية التي يجب ان تنشأ في عاصمة كل مديرية وكل مركز ويجب ان يكون العلم فيها مقروناً بالعمل وتُشغل اوقات الفراغ بالرياضة الجسدية كالسباحة وركوب الخيل والجمستيك وغير ذلك . وفي كل سنة من سني الدراسة يتعلم التلامذة صناعة يدوية او فنية عن يد استاذ ماهر . وينبغي الاعتناء الشديد بالتربية الادبية اي حفظ الفضائل والآداب ومراقبة سلوك التلامذة اشد مراقبة وتعويد الشاب الاعتماد على نفسه في كل عمل يأتيه ومعاملته معاملة الرجال (رابعاً) تنشأ ثلاث مدارس كلية في مصر والاسكندرية واسيوط على مثال مدارس اوروبا (خامساً) تنشأ ما عدا ذلك المدارس الصناعية والزراعية والتجارية ويكون التعليم فيها علمياً عملياً وعددها بقدر حاجة البلاد »

حليم لوقا (اسيوط)

وجاء في رسالة لجناب سليمان افندي كرم في الشيخ فضل

« من شأن الشعوب مهما كانت ضعيفة ان تميل للارتقاء . وهذا لا يتم الا بالعلم والغنى . ومصر غنية بشهرتها عن بيان ثروتها فلا ينقصها اذاً الا التثقيف العام . وهذا منوط بالزامية التعليم والذي يحملنا على الحكم بالحصول عليه فيما بعد السنة العظمى السائدة في العالم وهي الزحف الى امام . وغير بعيد ان حكام مصر بعد ان درسوا سر تقدم الممالك الغربية وعرفوا اسباب انحطاط الشرق لا يرتضون ان يتركوا الامة في دياجي الجهل بل تأخذهم غيرة التقدم الحقيقي فيدخلوا في القانون المصري الزامية التعليم

اما مدارسنا الآن فتعليمها سطحي . وعندي انه قد حان لنا الوقت الذي يجب فيه الخروج من هذه الحالة . وذلك يتم بان تنقش على جدران مدارسنا وكتاتيبنا هذه الكلمات التي تغير الامة وهي : قرن العلم بالعمل

(الشيخ فضل) سليمان كرم

وجاء في رسالة بلا توقيع

« لم يسلم التعليم الالزامي المجاني من الاعتراض والنقد شان جميع المسائل الادبية . ففيه مذهبان تختلفان كل الاختلاف

فالمذهب الاول مذهب اللورد سبنسر وغيره من الفلاسفة الذين يريدون توجيه عقول البشر في الارض الى الاشياء العملية النافعة . فان هؤلاء القادة يرون ان عامة الشعب اذا تلقوا الدروس الابتدائية والثانوية خرجوا من المدارس وهم كالغراب الذي رام يمشي مشية الحجل . ذلك ان نفوسهم تنفر من حالتهم الاجتماعية وتتطاول الى الارتقاء الى طبقة اعلى من طبقة آبائهم واجدادهم . وبما انهم لا يستطيعون الوصول الى هذه الطبقة يصبحون بين الطبقتين اي لا يكونون من طبقة آبائهم لانهم نفروا منها ولا من الطبقة التي فوقهم لانهم لا يستطيعون الوصول اليها . ولذلك يسميهم الفلاسفة « فاقدي الطبقة » وهؤلاء الفاقدو الطبقة يكونون حملاً ثقيلاً على انفسهم وعلى اهلهم وعلى امتهم لانهم لا يستطيعون ان ينفعوا ولا ان ينتفعوا . على حين انهم لو تلقوا بدلاً من الدروس الادبية التي تلقوها شيئاً من المعارف الابتدائية وانصرفوا الى صناعة آبائهم واجدادهم لعاشوا معهم مستريحين مريحين

ويظهر ان جناب اللورد كرومر قد اقنعه ما قاله الفيلسوف هربرت سبنسر في كتاب له صدر منذ عامين وخلاصته استياء الفيلسوف الجليل من مبالغة الناس في توقعهم الخير

من التعليم وافراطهم في تعميمه . ولذلك ارتأى اللورد كومر في تقريره الاخير رأياً موافقاً كل الموافقة لرأي الذين يدعون الى تقليل عدد « فاقدي الطبقة » . واذا بقي اللورد كومر على هذا الرأي ولم تصرفه نظارة المعارف عنه في المستقبل فمن المحتمل ان التعليم الالزامي المجاني لا يتمّ مع الاحتلال في القطر المصري

على ان انصار التعليم الالزامي يردّون على ذلك بقولهم

لا نجهل ان التعليم الالزامي لكل ابناء الامة قد يُفضي الى تكثير عدد « فاقدي الطبقة » كما ذكرتم . ولكن هذا الضرر لا ينشأ من نفس التعليم الالزامي بل من فساد طريقته . فان المدارس الادبية التي تقتصر على تدريس الصرف والنحو والشعر والبيان وشيء من مبادىء العلوم لا يمكن ان يخرج منها التلامذة الا وهم « فاقدو الطبقة » وليس العجب في خروجهم منها كذلك بل العجب في ان لا يخرجوا منها كذلك . وانما الكلام هنا على المدارس المفيدة اي على مدارس غير المدارس الادبية المقصود بها اعطاء التلميذ شهادة الدروس الثانوية . المقصود بالتعليم الالزامي المجاني التعليم المنطبق على حاجات الامة . فاذا كانت الامة زراعية كان التعليم مقروناً بالمعارف الزراعية واذا كانت صناعية كان مقروناً بالمعارف الصناعية وان لم تكن هذا ولا ذاك بل وجب ايجادها وتكوينها فانه يُنشأ لها مدارس لايجادها وتكوينها باخلاص وحسن نية

نعم من المحتمل ان اشعة نور العلم اذا وقعت على ادمغة بعض الاولاد اضرتهم بدلاً من ان تنفعهم لان تلك الادمغة « محدودة » اي قاصرة لم تخلق الا لعمل محدود . وان ذلك يجرّ عليها وبالاً في معترك الحياة لانه يريها سوء الحال التي هي فيه دون ان يعطيها قوة للخروج منها — ولكن اي شأن لهذا الامر بازاء اكتشاف تلك الاشعة في طبقات الشعب والعامة القرائح العظمى والعقول الكبرى والنوابغ الذين وهبتهم السماء مواهب ليخدموا بها البشر في الارض

ان اكثر اعاظم الرجال الذين نبغوا في القرن التاسع عشر (اي بعد الثورة الفرنسوية) كانوا عصاميين وخروجهم كان من احشاء الشعب والعامة . هذا محمد علي باشا وهذا علي باشا مبارك وغيرهما من نوابغ مصر . من اية طبقة خرجوا ؟ أليس من طبقة الشعب . فلتكن اذاً مباركة الف مرة تلك الاشعة الجليلة التي تقع على ادمغة عامة الشعب منذ الصغر فتُظهر ما فيها من المواهب والاستعداد العظيم بدلاً من تركها تصداء وتفنى بالاهمال والغباوة كالذهب الذي يلحقه الصداء فيستتر معدنه الكريم

وما عدا فائدة التعليم الالزامي في اظهار النوابغ في الامة فهناك فائدة اخرى . وهي ان قوة الامة متوقفة على قوة افرادها . وافرادها لا يكونون اقوياء الا بمعرفتهم حقوقهم وواجباتهم في الامة . وقد صارت الحياة في هذا الزمان عبارة عن معترك شديد بين الناس . وذاك يسلح الفرد بسلاح العلم والاقدام والجرأة التي تقوي قلبه وتدربه في طريقه وبه يسقط ويداس . ومن اين للامة هذه الفضائل من غير تربية علمية عمومية

فحبذا لو تصنع الحكومة المصرية متى وجدت العشرة ملايين جنيه التي تريد انفاقها على ازالة السدود من اعالي النيل ان تأخذها وتنفقها على وضع اساس التعليم الالزامي المجاني في مصر فان العناية بهذا الامر ليس باقل اهمية من ذاك »

﴿ اقتراحات الجزء القادم ﴾ اما اقتراحات الجزء القادم فهي « اصحيح ما ورد في « مقالة السودان ونغمته الجديدة » في هذا الجزء من عواطف السودان نحو مصر . وهل سمعت شيئاً عن ذلك . وما سببه اذا كان صحيحاً . وما هي الطرق للتوفيق بين الفريقين وكيف يكونان في المستقبل . وهل يبقى السودان مستعمرة لمصر ام يصدق ما يقال من انه سيسبقها في حلبة العمران » — ولا ريب ان قراءنا الافاضل في اقطار السودان اقرب القراء الى هذا الموضوع المهم . غير اننا نرجو من كل من عنده معلومات بهذا الشأن ان لا يبخل بها على قراء الجامعة

السودان ونغمته الجديدة

« وباء الجنسيات والمذهبيات »

بمناسبة صدور جريدة السودان لصاحبها جناب محمود افندي القباني

السودان بلاد واسعة الاطراف واهله داخلون في الحضارة شيئاً فشيئاً وكلهم يتكلمون اللغة العربية فلا ريب في ان مستقبل الصحافة فيها سيكون عظيماً متى كثر قراؤها . وقد بدأت الصحافة السودانية منذ الآن فان ادارة جريدة المقطم نالت امتيازاً من الحكومة السودانية بفتح مطبعة وجريدة في ام درمان . وامامنا الآن جريدة سياسية ادبية تجارية اسبوعية عنوانها « السودان » لمديرها ومحررها جناب محمود افندي القباني قال في فاتحتها ما نصه : « انني كنت اصدرت جريدة باسم السودان منذ بضع سنوات ثم بدا لي

بعد فتح ام درمان تعطيلها الى اجل غير مسمى حتى اتمكن من اعادة اصدارها في نفس وطني الخرطوم حينما تنقاص من بلاده الاحكام العرفية وتباح فيه حرية المطبوعات . — ولما كنتُ من اهل مدينة الخرطوم الذين حوصروا فيها مع الطيب الذكر الجنرال غوردون باشا الذي يمتزج تاريخ اعماله وحياته بتاريخ السودان عموماً والخرطوم خصوصاً جعلت شعار جريدتي صورته الكريمة وبجانبها راية العدل والعمران الانكليزية وفي الجانب الايسر صورة اعرابي من بدو السودان الشرقي بزيه الشائع بين تلك القبائل الضاربة في تلك الفيافي وفي عنقه وذراعيه « التمائم » والتعاويذ . — ولما كانت الغاية تبرر الواسطـة (كذا) فان غايتي خدمة قومي بما لا يخرج عن رغائب الاصلاح اذ نعدُّ انفسنا اليوم من رعايا جلالة الملك ادورد السابع (كذا فقط) يحكمنا موظف سام من خيرة رجاله مستمداً انوار الاصلاح والمدنية من ذلك الوزير الخطير والمصلح الكبير صاحب الفخامة اللورد كرومر الذي لا نحتاج الى تعريفه باكثر من هذا »

والحق يُقال ان هذه الجريدة مفيدة في موضوعها لانها تروي من اخبار السودان والشؤون المتعلقة به ما لا يوجد في غيرها . واذا كانت فاتحة جرائد السودان هكذا فلا ريب ان صحافته ستكون قوية جداً . ولا عجب في ذلك فان مصر كانت مدرسة للصحافة وحملة الاقلام في القطرين

ولكن ثناءنا على حضرة صاحبها الفاضل لما حوته جريدته من الفوائد لا يمنعنا من الجهر بحقيقة تنجلي لكل من يقرأ سطرين في جريدته

فانه يظهر انه رأى من الفائدة ان يختار حزب التطرف على حزب الاعتدال في المسألة السودانية فقام يدعو ابناء وطنه الدعوة التي اتتها جميع الاحزاب المتطرفة في جميع البلاد لمراعاتها في ذلك مصالحها ومصالح احزابها قبل مصلحة امها . ولذلك قلما ترى بلداً خلا من كتاب مجيدين يقطعون اوقاتهم و يتسلون بانتقاد الغرباء والاجانب حتى اخوانهم المشاركين لهم في كل شيء الا في شيء ويحرضون عليهم فراءهم تحريض الريح البحر ان يثب على المدن وان كان لهذا التحريض في بعض الاحيان سبب مفهوم قد يصح اتخاذه عذراً ولا نظن ان بعض رصيفاتنا الجرائد السورية التي تُطبع في اميركا قد سلمت من هذا الوباء فان بعضها قام يناصب فئة من الغرباء والاجانب في البلاد السورية ويحمل عليهم حملات منكرة بحجة المصلحة العمومية . فيا ايتها المصلحة العمومية كم من الصغائر يصنع الناس باسمك

ويكفي ان نروي لك بعض فقرات من رصيفتنا جريدة السودان لتعلم الخطة التي اتبعتها .

فمن ذلك ما رأيت في فاتحة الجريدة . ومنه ما جاء في العدد الثالث في مقالة عنوانها العلائق بين مصر والسودان . فقد قال فيها ان المهدي لم يجذب السودانيين اليه و يجعلهم يلتفون حوله الا بقوله لهم في كل منشوراته « اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بان الترك « اي المصريين » كفار وهم اشد الناس كفرًا لانهم ساعون في اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » قال الكاتب « هذه هي الجملة التي تلقاها اهل السودان كلهم بالقبول و رقصت لها افئدتهم المفعمة بالغيظ والحقد على ظالميهم المصريين» - ثم استطرد من هذا الى قوله « باستحالة التوفيق بينهما (اي بين المصريين والسودانيين) بغير وجود الانكليز . والعواقب وخيمة اذا اصر المصريون على تعنتهم ولم يصغوا لنصائح رجال الاصلاح الذين يدأبون في التوفيق بين مصلحة مصر والسودان » ثم يقول « ان بعضهم يزعم ان اهل السودان يحبون المصريين وانهم لا يرضون حتى الآن ان يكونوا الا محكومين بسلطة مصر وهو قول لم يكن له نصيب من الصحة البتة . ومما يدل على فساده ان قائليه ابعد خلق الله عن السودانيين وليس لهم رابطة ما معهم . وفي اي نادٍ قال لهم السودانيون هذا القول . وفي اية جريدة عثروا لهؤلاء الغرباء المتملقين بهذه الافكار التي لو رأى السودانيون ملصقها بهم لشربوا من دمه »

ثم يقول عن زيارة الجناب الخديوي المعظم للسودان « ان زيارة الوالي (يعني الجناب الخديوي) لم يكن لها فائدة سوى انه اخبر اهل السودان بصريح القول بحقوق انكلترا فيه من الفتح والامتلاك . وقد جاء ذكر الراية الانكليزية المظفرة قبل الراية المصرية في تصريح حضرته الرسمي . والسودانيون يسمون الراية المصرية هكذا « الرويية » تصغير راية او « التريكوه » تصغير تركيه فاذا كانوا (يعني جرائد مصر على الاغلب) ناطقين بأميال الامة السودانية فليفهموا معنى هاتين الكلمتين اللتين ندعهما بلا تفسير . - وقد ادعاوهم بان حضرة الوالي (يعني الجناب الخديوي المعظم) قوبل هناك بالاحتفاء والزينات فاذا كان بين عباراتهم كلمة صدق فهي هذه . اذ الزينات والحفاوة واجبان لكل ضيف سيما اذا كان الغرض منها مثل هذا الاعتراف الذي قطع كل قيل وقال وفقأ حصرما في اعين المدعين باننا نميل الى الترك (المصريين) ونبغض الانكليز - سبحانك هذا بهتان عظيم . - ومما يدحض حجتهم وينهض حجتنا ما يقوله السودانيون اجمعون باننا احتفينا وزيّنا عملاً بواجب الضيافة ولكننا لم نبرهن قط باننا نميل الى حكمه دون الانكليز بدليل اننا لم نرفع الى حضرته اقل شكوى ولم نسأل جنابه ادنى مسألة . - والفرق ظاهر بين ما استقبلنا به

حضرته وبين ما نستقبل به صاحب الفخامة اللورد كرومر مصلح وادي النيل الذي لا يصل الى بلد او محطة حتى يحتشد حوله الالوف من الاهلين وهم يصيحون بملء افواههم قائلين « يا وكيل الملك نشكو من كيت وكيت» ونريد « كذا وكذا » . فيقف وسط الجموع وينظر في جميع ما يعرض عليه ويحكم عن الدقيق والجليل من الشكاوى او الالتماسات التي نعرضها عليه . وينفق في كل رحلة الالوف من الجنيهات ولم يشأ نشرها والطنطنة بها على صفحات الجرائد حتى صار الدين يؤاسيهم بتلك الاموال يطالبونه بوفائها كلما زار السودان وهي اعطية نذكر ما يأتي على ذكر واحدة منها قياساً على الباقي وهي ثلاثون جنيهاً لامام مسجد ام درمان ومن على شاكلته كل بما يناسب مقامه . فهل فعل حضرة الخديوي شيئاً من هذا القبيل وهل سألناه اياه وهل اذا سألناه نجد منه ما نجده من فخامة اللورد كرومر ؟ »

هذه هي المبادىء والآراء التي تنشرها رصيفتنا جريدة السودان و بموجبها يكون غريباً كل من لم يكن سودانياً . ونحن لا نعلم هل هي منطبقة على آراء السودانيين حقيقة او فيها شيء كثير من المبالغة كما اننا لا نعلم هل يرضى عنها شركاء مصر في السودان او لا يرضون خصوصاً حاكمه العام المشهور بالاعتدال والتأني والحكمة سعادتلو ونجت باشا . ولكن ما لا ريب عندنا فيه ان هذه المبادىء تضر السودان ومصر معاً . وحسناً يصنع السودان اذا لم يُدخل اليه وباء الجنسيات والمذهبيات التي هي عبارة عن ميكروبات الانحطاط والضعف والانحلال في الامم . بل يتشبَّه بالولايات المتحدة تلك الامة الفتاة القوية التي ينادي رئيس جمهوريتها في خطبه بقوله : فلتأتنا العناصر القوية من كل اقطار الارض لاننا الآن في زمن نؤلف فيه بالتدريج الامة الاميركية العظيمة . ولكن لو افترضنا المستحيل واحتلت احدى الدول الولايات المتحدة فان الشغل الاكبر للدولة المحتلة يكون منع تقوية الامة الاميركية المختلطة بالعناصر القوية الحية التي تهاجر اليها . فبدلاً من ان يكون سكان اميركا كلهم « اميركيين » كما هم اليوم يصبحون ومنهم « الاميركيون الاصليون » والايرلنديون والالمان والهولانديون والفرنسويون والايطاليون والسوريون — اي يُجزأ ذلك الكل الكبير الى اجزاء تتدافع وتشتغل باضطهاد بعضها بعضاً ولا يكون في ذلك غير انتصار القوي المشرف على الفريقين الذي يضحك في سره لهذا الانقسام المنطبق على سياسته لكونه يشغل محكوميه عنه ويلهيهم بانفسهم وبصغائر الامور

هذا ما رأينا ان نقوله في رأي جريدة السودان . ولذلك نثني لها ماتمنته لها جريدة المؤيد من الاعتدال لاسيما وانها فاتحة الصحافة في السودان واول ما تقع عليه انظار الناشئة السودانية

مقاومة داء السل

اجتماع اللجنة الدولية في باريز وخطبة المسيو كازيمير بريه الذي كان رئيساً للجمهورية الفرنسوية

ألّفت الدول الاوربية لجنة دعتها «لجنة مقاومة داء السل الدولية» وغرضها درس الطرق الفعالة لمقاومة هذه الآفة المهلكة بالاتفاق بين الدول . وقد وفد اعضاء هذه اللجنة الى باريز للاجتماع فيها وفيهم كبار الاطباء فعقدوا في ٥ مايو جلستهم الاولى وقد رأسها المسيو كازيمير بريه الذي كان رئيساً للجمهورية والقى فيها خطبة الافتتاح . ومما قاله ان مؤتمر السل الدولي القادم سيجتمع في العام المقبل في باريز . ثم قال ان الناس كانوا يعتقدون قبلاً بان هذا الداء الوبيل يستحيل شفاؤه اما الآن فكل المؤتمرات وجميع العلماء قد صرحوا بان شفاءه امر سهل اذا تداركه صاحبه . وبعد ذلك قال انه ليس من العدل ان تقضي بفرز المسلولين واعلان دائهم قبل ان نوجد لهم اماكن للمعالجة يعيشون فيها مستريحين حتى الشفاء . واشار الى ان مسالة مقاومة هذا الداء مرتبطة بالمسالة الاجتماعية في العالم لان شفاءه يقتضي تحريك كل القوات الاجتماعية اي يقتضي ان تهتم الامم بتحسين احوال الشعب ومساعدة الناس ادبياً ومادياً لئلا يفغي بهم جهلهم وفقرهم وافراطهم الى الوقوع فيه . ثم قال مخاطباً الاعضاء : ولكم حلفاء ايها السادة يجب ضمهم اليكم . وهؤلاء الحلفاء هم اولئك الكرام الذين يهتمون باصلاح مساكن العملة . وجمعيات التعاون التي تجمع الفقراء وتولد لهم الغنى من الفقر بواسطة اشتراكهم فيها بمبلغ جزئي . واولئك الذين يقاومون المسكرات بجرأة وشجاعة . فاجمعوا هذه القوات وضموها . وسيروا كرسل المدنية والسلام شاهرين حرباً عواناً على آفتي الجنس البشري وهما : الشقاء المادي والشقاء الادبي

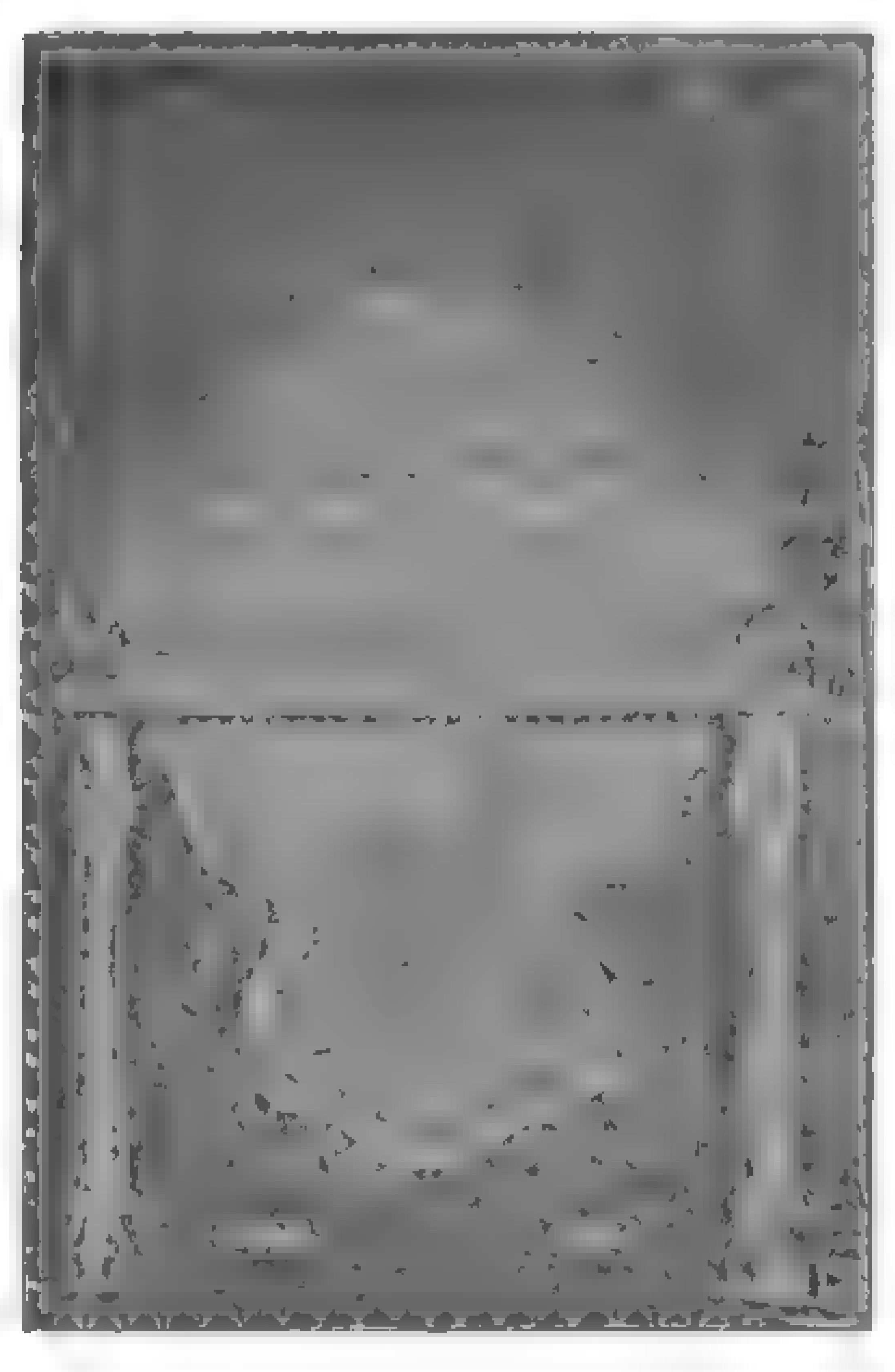
ثم قال : ولقد سألني رئيسكم الكريم المسيو بروارديل ان اجلس في مكانه في هذه الجلسة . فانا اعتبر انني لم اجلس هنا الا لامثل الرأي العام ولاقول لكم بالنيابة عنه اننا ننتظر من العلم تحقيق الآمال . فسيروا ونحن نتبعكم وامامنا العلم كعمود من نار ينير الطريق »

وقد حضر هذه الجلسة كثيرون من علماء فرنسا واوروبا في جملتهم فون ليدن طبيب امبراطور المانيا الخاص نائباً عن المانيا . ويُعد اجتماع هذه اللجنة في باريز تمهيداً للمؤتمر الدولي العام الذي سيجتمع فيها في العام القادم كما اجتمع في لندن منذ سنة

عاد من الحج فائزًا بالرهان

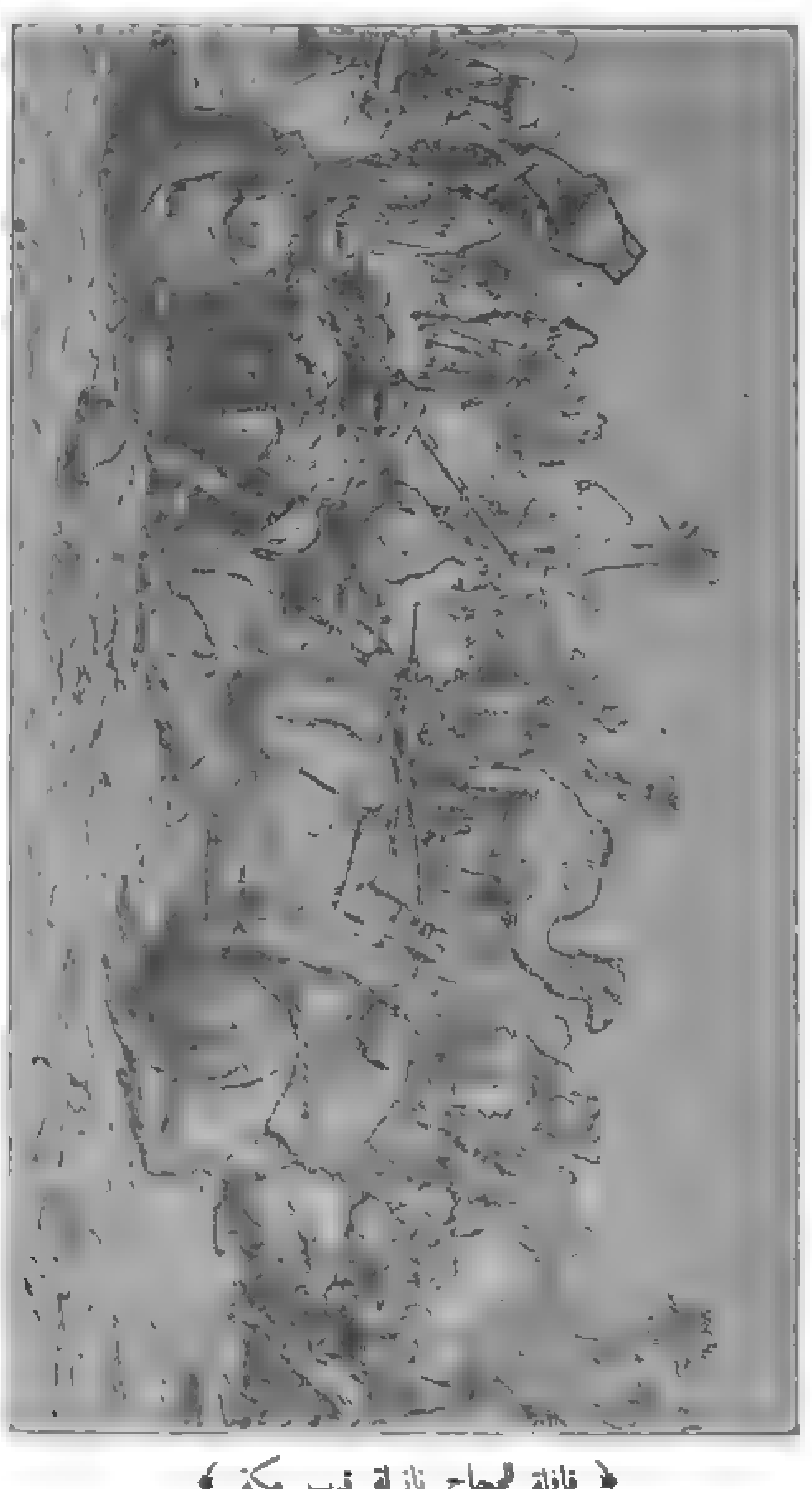
(قصة)

لما قررت الحكومة في هذا العام تسيير الحجاج مع ركب المحمل واوجبت على من يريد الحج دفع ٥٠ جنيهاً او ٧٠ لتقوم هي بنفقة طريقه استاء الذين كانوا عزموا على قضاء هذه



الكسوة السنية التي يحملها المحمل في كل عام

الفريضة الدينية المقدَّمة من الطبقات المتوسطة والعامة لاستصعابهم دفع ذلك المبلغ او



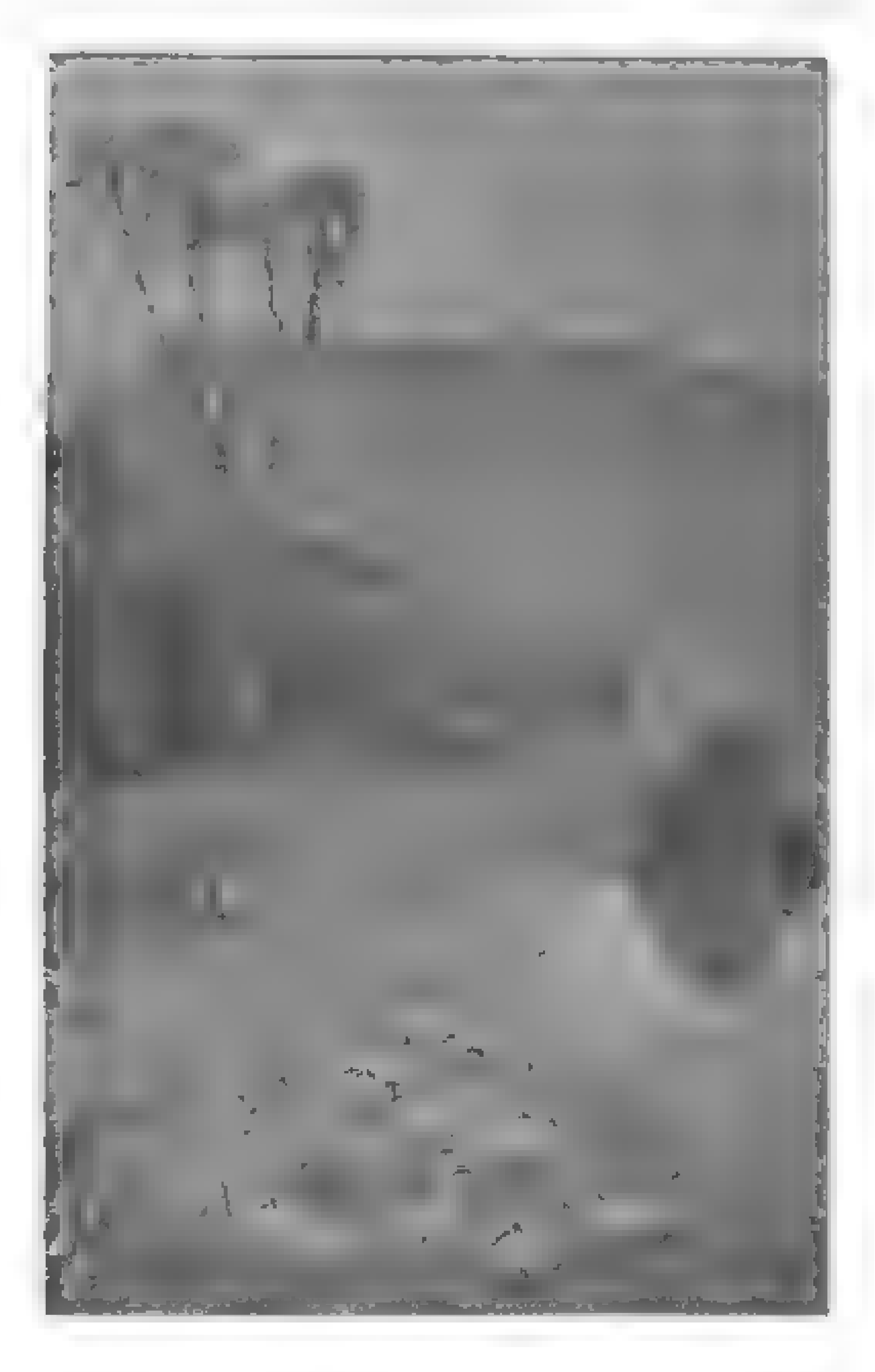
﴿ قافلة الحجاج نازلة قرب مكة ﴾



﴿ الكعبة المكرمة والطواف حولها ﴾

لعدم مقدرتهم عليه . ولذلك امتنع الحجاج المصريون عن السفر في هذا العام الا ٣٢ شخصاً دفعوا الرسم المذكور وسافروا مع المحمل

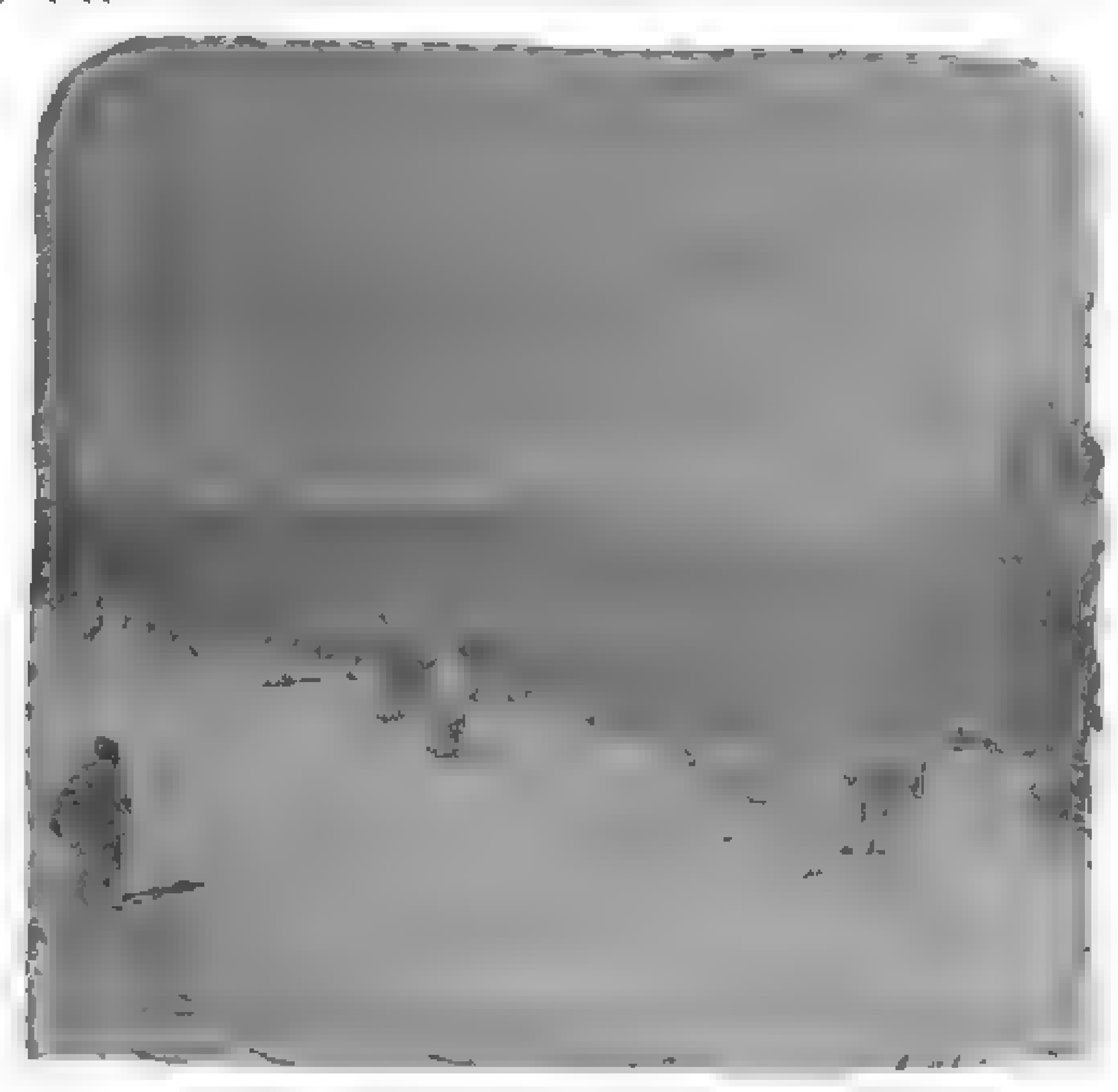
ففي يوم تشييع المحمل في العاصمة كان اثنان يتحادثان على مقربة من الاحتفال . وكان احدهما شاباً قوياً مفتول العضل وهو من « جدعان » الريف الذين لهم فيه غارات معروفة على الاطيان يسممون مواشيها ويقتلعون زراعتها ويقتلون خفيرها اما انتقاماً منه او من صاحب الاطيان نفسه . فقال هذا الشاب لرفيقه وكان شيخاً ضعيفاً : ما قولك يا ابتاه اذا كسرت امر الحكومة وسافرتُ الى الحج بدون ان ادفع الرسم



﴿ جبل الطيور على شاطئ البحر الاحمر (الصفحة ٢٠٧ السطر ٣) ﴾

وكان بجانبهما رجلٌ عليه لوائح السعة والثروة وكان ينظر كل تلك المدة الى حملة المحمل بشيء من الانقباض · ذلك انه كان يقول في نفسه : ان الاصل في تسيير هذا المحمل يحمل الكسوة السنية المعدة للمكان الذي الدلالة على ان طريق الحج مفتوحة لا خوف على سالكيها · وهذا معنى انشاء الملك الظاهر عادة تسيير هذا المحمل من القاهرة · فكيف يسير المحمل في هذا العام والطريق نصف مسدودة

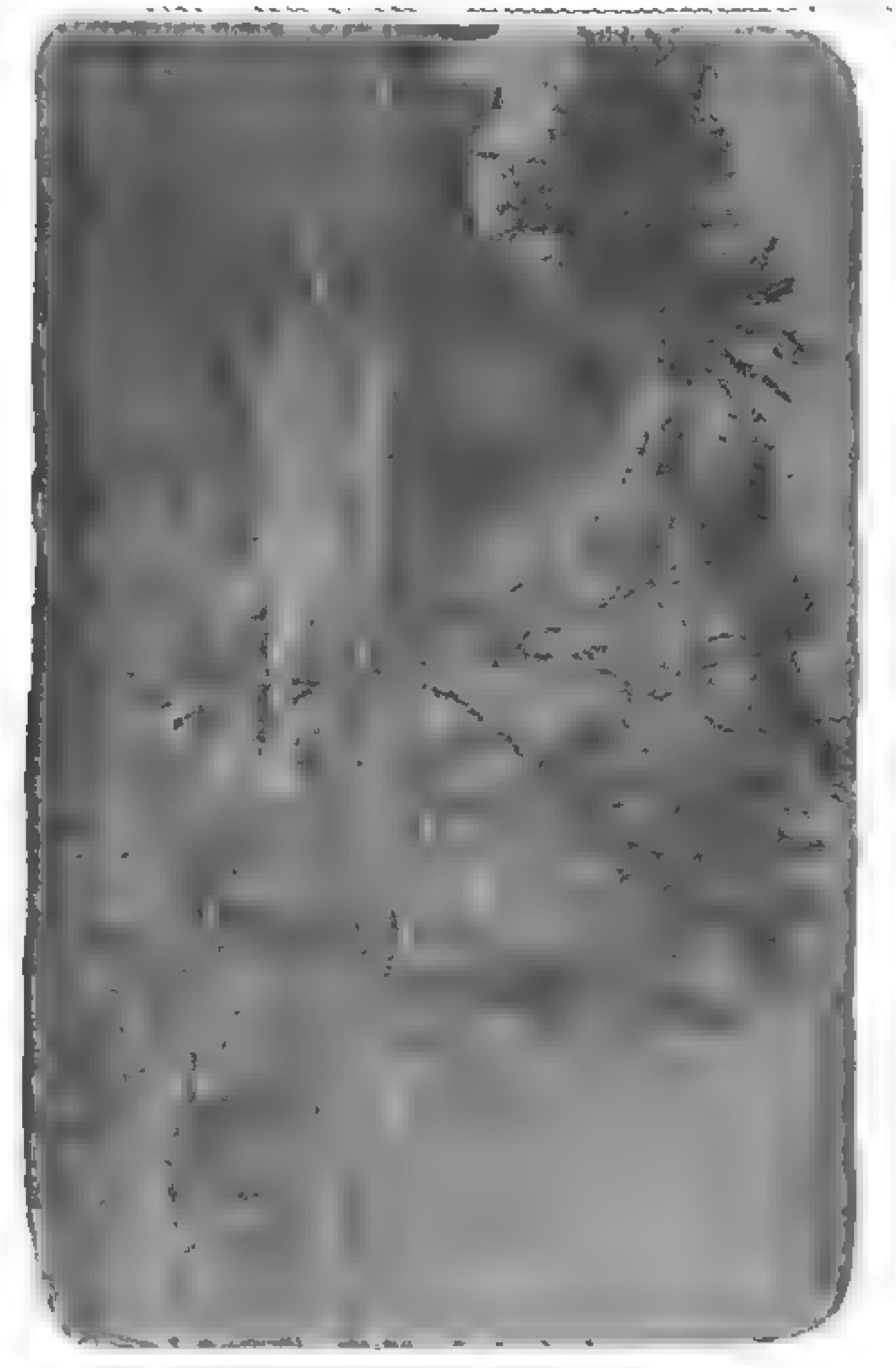
الا ان هذا الرجل لما سمع كلام الشاب التفت اليه وقال له : ماذا تقول ماذا تقول ·



﴿ اهل الحجاج ينتظرونهم على شاطئ البحر الاحمر ﴾

فالتفت الشاب اليه وسلم قائلاً : مرحبا عمي حسن . اني اقول اني لو اردتُ لسافرت الى الحج من غير ان ادفع الرسم . فاجابه العم حسن . هذا امر مستحيل يا احمد . فقال الشاب وان قدرتُ عليه فماذا تدفع . فاجاب الرجل ادفع لك الرسم الذي قررته الحكومة اي ٥٠ جنيهاً . فقال الشاب متحمساً قد قبلت هذه المراهنة وساسافر الساعة

وفي الحقيقة ان الفتى احمد هيأ نفسه في ذلك اليوم للسفر . فما برح المحمل القاهرة حتى كان هو قد ركب القطار قاصداً الاسكندرية ومنها ركب احدى البواخر الخديوية قاصداً بورسعيد وفي الباخرة اختلط ببعض الركاب الاتراك المهاجرين فابتاع منهم شيئاً من ملابسهم وعمامة ضخمة كعمائمهم وتعلم منهم بضع كلمات باللغة التركية : « بك اعلى » (جيد جداً) « اوت » (نعم) « يوك افندم » (لا ياسيدي) « صباح شريف لرز خير اولسون افندم » (نهاركم سعيد يا سيدي) « صو استيورم » (اريد ماء) « بكي بكي » (طيب طيب) ثم حمل عصا طويلة ضخمة ليتوكأ عليها وسار في الباخرة كلها يضرب ظهرها بعصاه ويردد



﴿ عيون ام موسى ﴾

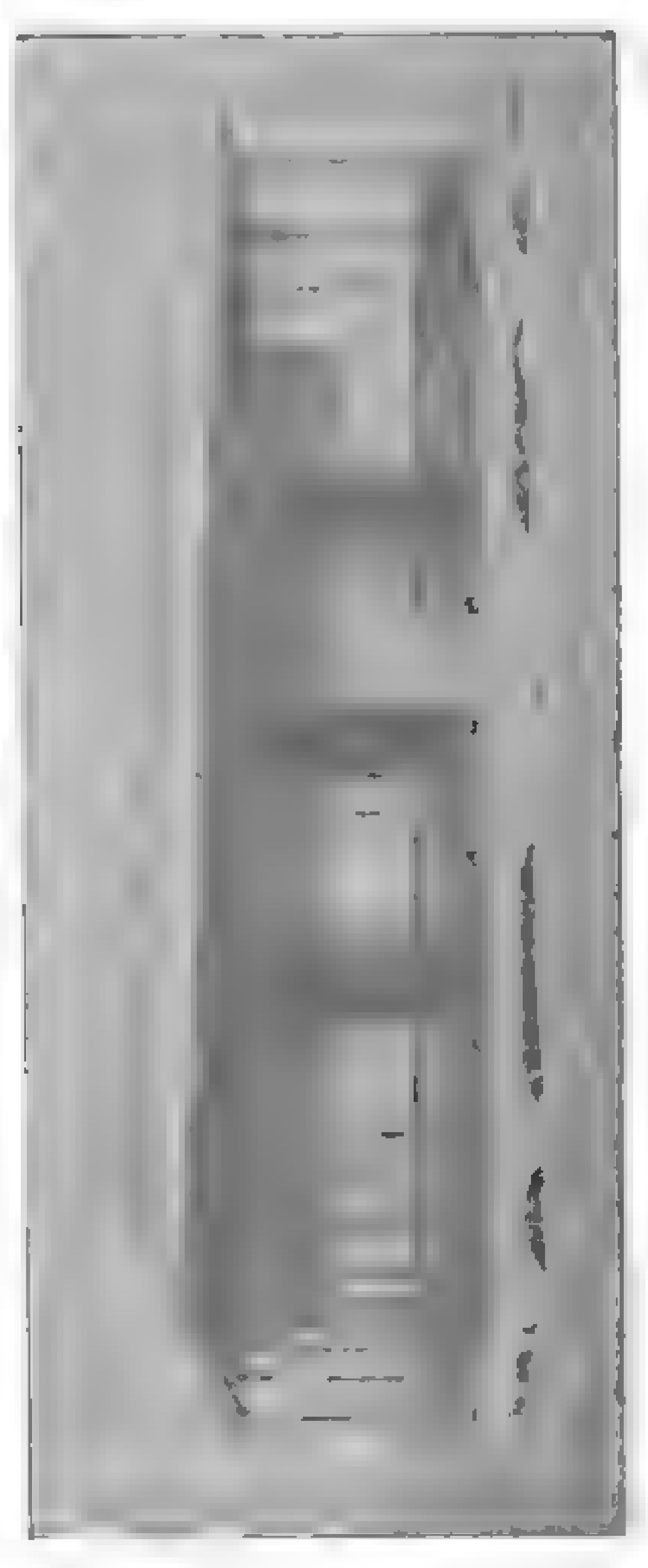
هذه الكلمات كأنه نسي اللغة العربية تمامًا

ولما وصلت الباخرة الى بور سعيد نزل الى البر تركيًا محضًا لا شك فيه . ومن بورسعيد اختلط بحجاج الاناضول وسار معهم حاجًا تركيًا فطاف الحجاز كله وحج حجًا هنيئًا . ومما زاد سروره انه استطاع خلع الزي التركي في الحجاز واختلط بالحجاج المصريين . واما



﴿ دار المرغني في معاجر الحجاج ﴾

انصرف الحج عاد قافلا . فانفرد ببعض اصحابه وزيّن لهم ان يستقلوا عن الحجاج حين وصولهم الى الشاطىء ويركبوا بالسر سفينة الى الشاطىء الافريقي على البحر الاحمر ومن هناك يعودون الى مصر عن طريق سواكن كانهم قادمون منها لا من الحج وبذلك لا يدخلون



﴿ دار التطهير والتبخير في محاجر الحجاج ﴾

المحاجر . ففرح رفاقه بهذا التدبير وعجبوا بذكاء رديقهم . فركبوا جمالهم وهم مسلحون بالسلاح الكامل لا يخشون من العرب غارة حتى وصلوا البحر بعد السفر اياماً طوالاً . وحين نزولهم من البحر شاهدوا هناك جبلاً يسمونه جبل الطيور لكثرة ترددها عليه . فنزلوا ليصطادوا شيئاً

منها . غير ان احدهم وكان اكرمهم اخلاقاً قال لهم لا تستحلوا الآن دماً حتى ولا دم الطيور لاننا عائدون انقياء انقياء من الاماكن المقدسة » وهكذا بقيت تلك الطيور الجميلة آمنة في مواقعها

ثم ركب اصحابنا البحر من الشاطئ الاسيوي قاصدين الشاطئ الافريقي . الا انهم وجدوا في طريقهم ما لم يكن في الحسبان . فان مجلس الصحة والمحاجر اقام هناك مخافر مخصوصة شديدة المراقبة لمنع فرار الحجاج من الشاطئ الاسيوي الى الشاطئ الافريقي قبل قضائهم مدة الحجر . فامسكهم الجنود بعد ان تهددوهم بالرصاص وارسلوهم الى محاجر الطور

فلما كانوا على الطريق صار صاحبنا تركياً مرة ثانية . فصار يتمتم و يدمدم بكلام يفهم ولا يفهم . فما وصل الى المحجر الا وهو تركي صرف فاسكنوه بين حجاج الاتراك و بذلك خلّص نفسه

ولما انقضت مدة الحجر وذهب عناء الانتظار ركب البحر مع باقي الحجاج الى السويس وفيها خلع الزي التركي وعاد مصرياً . وفي السويس ركب السكة الحديدية كراكب من السويس لا كحاج وكان دخوله الى العاصمة يوم دخول المحمل اليها عائداً من الحج

و بذلك استحق قيمة الرهان وقبضها مسروراً بانه فاز على الحكومة وحج من غير ان يدفع رسماً

جبرائيل الدلال الحلبي

نشرت ترجمة المرحوم جبرائيل الدلال الشاعر الحلبي مقرونة بمقتطفات من شعره فرأينا تلخيص شيء منها هنا اهتماماً برجال الادب في الشرق خصوصاً من كان منهم مجهولاً لا تتعدى شهرته بلده في هذا الزمن

ولد جبرائيل الدلال في سنة ١٨٣٦ في حلب ودرس مدة في مدرسة عين طورا في لبنان ثم عاد الى وطنه واكب على درس اللغة الفرنسوية والطليانية والتركية . « وكان يحفظ ديوان المتنبي واكثر شعر صفي الدين الحلي ومقامات الحريري وكثيراً من مقدمة ابن خلدون والمعلقات السبع والبردة وطائفة من اشعار العرب وقسماً كبيراً من القرآن الكريم » ثم سار الى الاستانة فاقام فيها مدة وامتدح بعض وزرائها و بعد ذلك عاد الى حلب ومنها سافر للسياحة في اوروبا مع قرينته فوصل الى البرتغال وقابل ملكها ومن هناك انحدر الى اسبانيا لزيارة آثار العرب في الاندلس وقد كتب يقول في ذلك « وبت كأني اشاهد من الامراء

والوزراء حيال المعتمد بن عبّاد صاحب قرطبة واشبيلية وابي الحجاج وبني السراج وبني المظفر ومن العلماء والشعراء ابن خلوف وابن زيدون وابن عبدون وابن خاقان وابرهيم بن سهل . وكنت ارى آثارهم واضحة لا فقط من الاسماء الباقية على كثير من الاماكن والابنية العربية الشامخة بل ايضاً من هيئة الجنس والسحنات الدالة على الاصل العربي واخص ذلك العيون والحواجب »

ولما عاد الى باريز « انتدبه وزير المعارف للتحرير في صحيفة الصدى العربية التي كانت تصدر فيها بامر الحكومة الفرنسوية . لكنه لم يكن يكتب فيها ما يريد بل ما يُراد بايعاز وزارة المعارف الفرنسوية المشار اليها وكان يترجم بين سفراء الحكومات العربية الذين كانوا يقصدون باريز كوزراء مراكش وزنجبار وبين وزراء فرنسا » « ثم قدم باريز خير الدين باشا وزير باي تونس فاتخذه نديماً وجعله امين سره » ولما استدعي خير الدين باشا الى الاستانة ليكون صدراً اعظم فيها ارسل فاستدعى صاحب الترجمة الى عاصمة السلطنة « وانتدبه لانشاء صحيفة (السلام) وكان الصدر ينشر بها آراءه السياسية وافكاره في طرق الاصلاح وعُرفت انها جريدة الصدر وقد ارَّخ ظهورها يومئذ المرحوم ابرهيم كرامه وهو ابن الشاعر المشهور بطرس كرامه بهذين البيتين »

نُشرت صحيفتنا (السلام) ونشرها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضاق بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثه السلام عليكمُ

و بعد استقالة خير الدين باشا جُعل صاحب الترجمة استاذاً للغة العربية في المدرسة الملكية في فينا ثم قدم الى حلب فاكرمه اهلها المشهورون بحب الادب ولكن حدث بينهُ وبين بعض خصومه فيها نفور افضى الى هجر وطنه واتخاذه بيروت مقاماً له . ومنها قصد الاستانة وكانت له معرفة بوزير المعارف صيف باشا وكثيرين من الاكابر والوزراء فعينه الصدر كامل باشا اميناً لصندوق المعارف في حلب ورئيس المحاسبة في دائرتها واستاذاً اول للغة الفرنسوية في مدرستها الاعدادية . ولكن بعض خصومه فيها اتهموه « بتأليف وطبع قصيدة (قبل ذلك العهد بزمن بعيد) تخالف القوانين العثمانية فالقي في السجن بعد ان عُزل من منصبه وظلَّ فيه سنتين » ثم توفي فيه في سنة ١٨٩٢ عن ستة وخمسين عاماً

ومن شعره في رثاء شقيقة له توفيت بازمير

اترى الحبيبة باكرتك غوادي دمعٍ يصعّده زفير فؤادي
يا ليت شعري والبلاد بعيدة هل تسمعين شقيقتي فانادي

أغريبة الاوطان هل من عودة ترجى فذكرك لم يزل في النادي
حقّ الطبيعة ان اكون مقدّماً فعلامَ قد اخلفت في الميعادِ
شطّ المزار واصبح الاخوان بال شهباء ذاك وذا بقرب بلادِ

وله في الغزل

ومليحة قلبي لديها قد صار اهون ما عليها
قصدت تكمل حسنها لتزيد فتنة مقلتيها
فتمايلت وتضاحكت وغدت تزجّج حاجبيها
انظرتها مرآتها فعكست فتنتها اليها

وله في مزين

يا ربّ حلاق بلوني به اذاقني مرّ العذاب الاليم
شماله كالطور ثقلاً وفي يمينه موسى وخدي الكليم

ولما كان في بيروت بعد هجره وطنه كما تقدم كتب اليه ابن اخته جناب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي ناشر الترجمة التي نحن في صددها (من منزل الشاعرة السيدة مريانا مراش) يشوقه فيها الى حلب فاجابه صاحب الترجمة بقصيدة طويلة يفاخره فيها ببيروت ومحاسنها . منها

وذكرتم لنا ضروباً من الحلوى م التي تاكلونها بالمرافع
وبها تصنعون اقراص شيبا نَ ولوزينجا وغير صنائع
ذا طعامٌ ان لذّ فهو غليظٌ كظّةٌ للرغيف غصةُ بالع
فانعموا بالنقامه واستلذّوا والعقواعقبهُ رؤوس الاصابع
اين هذا مما هنا يصلح الطا هي طعاماً للهضم يصلحُ نافع
عندنا البحر نجتني الغر الاسماك منه وتاكلون الضفادع
وجبالٌ نصيد منها صنوف ال طير ما بين ناهض ثم واقع
واذا لم يكن هنا غير ان ال حرّ فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظاً لقلبي وان سا لت على غربتي غروب المدامع

ثم قال انه لا يشتهي من الشهباء

غير قرب الفريدة اللطف ذات ال صون والحسن والذكا والبدائع
ربةُ الفضل والفضائل مريا نا التي ذكرها يسرّ المسامع

والتي زانهـا الكمال اذا زا ... نَ سواها الحلي وسدل البراقع
ان تكن اطمتكمُ الان تفا ... حًا شهيًا تخلتموهُ كبـائع
ذاك لا بدعَ انها بنت حوًّا ... وحديث التوراة في الامر ذائع
اشبهتها والامّ للبنت طبعـًا ... اقرب الشبه ما لذلك دافع
بيد ان التفاح في البرد لا يُنضج والطعم منـهُ بالحمض فاقع
وهو فجٌّ كالخلّ طعماً فانْ ما ... لتْ الى اكلهِ فمن ذا يراجع
غير مستنكرٍ محبتها الاحماضَ حبُّ النساء للحمض شائع
ما عسى ان يكونَ تفاحكم انْ ... م لاثمـارنا تحنّ الاضالع
ولدينـا الريخُ اضحى يحاكي ... اكرَ التبرِ فهو اصفر لامع
وكذاك الرمان فالحبُّ كاليا ... قوت لونًا والقشر ابيض ناصع
يفضلان التفاح لونًا وحجماً ... وانا تعلمون في ذين والع
وبودّي اذيقكمُ ثمر المو ... ز الشهيّ اللذيذ يُشبع جائع
وكذا التمر وهو كالشهد طعماً ... طامه كالنجوم في الافق طالع
وطويل الرماح من قصب السكرِ ... م مصًّا فـا رمـاح المعامع
فاذا عدتُ نحوكم جئت منها ... بالهدايا لكم متى ابت راجع

هذا احسن شعر المرحوم جبرائيل الدلاّل . وله غير شعره عدة مؤلفات منها « رسالة في الهمزة واحكامها ورسالة ثانية في قواعد اللغة العربية تقرّب منالها على الطالبين من الفرنج ورسالة في ملخص التاريخ العام وكلها لم تُطبع عدا روايات كثيرة ترجمها عن الفرنسوية وبعضها مطبوع وهو نادر الوجود » اما قصيدته التي سُجن من اجلها وعنوانها « العرش والهيكل » فهي قصيدة طويلة حذا فيها حذو فولتير في التهكم على الدين والملوك

فنحن نثني على حضرة الكاتب الفاضل جامع هذه الترجمة لانه احيا بها ذكر شرقي فاضل هو اهل لهذا الاكرام . انما كنا نودّ لو خفف حضرته قليلاً من المبالغة في وصف ممدوحه للمطابقة بين الوصف والموصوف . فان قوله في ممدوحه « فكأنه (يعني المرحوم صاحب الترجمة) اخذ القلم ونفخ فيه من روحه ثم قال باسم ربك تكلم فنطق بما لو كان بلغة الفرنج لقالوا افهذا سحرٌ ام انتم لا تبصرون) لما لا يُقال الاّ للمتنبي او لفيكتور هيكو او جوت او شكسبير او شوقي بعد ٢٠ سنة اذا استمرّ يشتغل ويدرس بجدّ . ونحن نتمنى ان يقلل المشارقة ما امكنهم من هذه المبالغات التي يصفهم الفرنج بها

آثار الشرق القديمة

بقايا الصنائع في الشرق

السجاد العجمي

وحسن ذوق نساء الشرقيات

ذهب الزمن الذي كانت فيه المعامل العربية في الاندلس وشمال افريقيا تصنع المصنوعات وتصدرها الى الشرق والغرب وجاء الزمن الذي صار فيه الغرب مصدراً لتلك المصنوعات الى الشرق . غير ان الشرق لا يزال يصدر الى الغرب صناعة لم يستطع الغرب حتى الآن ان يصنع مثلها . ونريد بذلك السجادات العجمية التي هي آية في حسن الاتقان والزخرف والمتانة

وهذه السجادات تصدر الى اوروبا باسم « سجادات بخارى » (١) وهي في الحقيقة من خمسة مصادر لا من بخارى وحدها . الاول بلاد العجم (والثاني) الاناضول (والثالث) القوقاز (والرابع) آسيا الصغرى (والخامس) بلاد الهند

وافخر السجادات التي تصدر من هذه الاماكن المتعددة سجادات طهران وخراسان وكردستان وقرمان . وصناعها يفاخرون بعضهم بعضاً باتقان صناعتها . والغالب ان صناعتها في يد النساء . ولذلك يتزوج الرجال بالنساء الماهرات في هذه الصناعة وان كن متقدمات في السن او لم يكنَّ على شيء من الجمال ويفضلونهن على الجميلات اللواتي لا يحسنَّ هذه الصناعة . ورب امرأة تشتهر بهذه الصناعة فيصير لها من الاحترام والكرامة عند زوجها واهلها ما لنساء الغرب من سمو المقام والاعزاز

ومما هو حري بالذكر والاعجاب تمكن اولئك النساء البدويات الساذجات من اتقان هذه الصناعة الى حد الاعجاز . فقد قيل ان اتقان الفنون انما هو نتيجة ارتقاء الانسان في الحضارة وتهذيب ذوقه بيدائعها ونفائسها قرناً بعد قرن . ولذلك لا يخاف بعض الغربيين

(١) السجادات افخر انواع البسط سميت كذلك لاتخاذها تحت المصلي يسجد عليها كما هي العادة في الشرق كله . وهي زينة المنازل في الاقامة ورفيقة المسافر في السفر للصلاة وقضاء حوائجه عليها

من الشرقيين على صنائع الغرب و بضائعه لان هذه الصنائع المحكمة والبضائع المتقنة نتيجة مدنية الغرب قروناً طويلة . فاذا كان هذا القول سديداً فما الذي يمكّن تلك البدويات الجاهلات من ان يخرجن من بين ايديهن نفائس فنون في غاية الزخرف والجمال و الاتقان حتى ان اوروبا نفسها لتعجز ان تصنع مثلها . نعم انه قد مرّ على اسلاف هؤلاء النساء نحو الف سنة وهن يمارسن تلك الصناعة ولذلك اتقنّها ذلك الاتقان البديع . ولكننا نظن ان مرور الزمن الطويل لا يكفي لجعل الجاهل بالصناعة صانعاً ماهراً مبدعاً اذا لم يكن في نفسه وذوقه استعداد لقبول روحها. فلا ريب ان النساء العجميات والكرديات والقوقازيات ذوات استعداد عظيم للفنون والصنائع اليدوية الجميلة . ولو ربين في مدارس اوربا التي تعلّم النقش والتصوير والرسم لنبغ منهن عدة نابغات

وقد شهد الفرنج ان المعامل التي اقيمت في اوربا لصنع السجاد والبسط فيها على الطريقة الشرقية لم تتمكن حتى الآن من ان تصنع مثل السجادات الخارجة من ايدي اولئك النساء الشرقيات بل هي تصنع شيئاً قريباً منها . ومما زاد الصعوبة انّ لاولئك العاملات الشرقيات طريقة في صبغ الصوف الذي ينسجن السجاد منه وتلوينه الواناً جميلة ثابتة مختلفة وهذه الطريقة سرٌّ من الاسرار التي يتوارثنها في هذه الصناعة جيلاً عن جيل ولا سبيل للاطلاع عليه . وهب ان المعامل الاوربية وقفت على هذا السر الصناعي فانها تبقى بحاجة الى الشجرة التي تزين بها العاملة الشرقية سجادتها تزييناً لا يخطر في البال

وافضل السجادات الشرقية من حيث الزخرف والزينة سجادات النساء الكرديات اللواتي يحكنها في جبالهن الشامخة . والفرنج يطلبونها لجمالها ودقة صناعتها الغريبة . فان الواحدة منها قد تحتوي في كل متر مكعب ٧ او ٨ الاف زهرة مشتبكة متعاقدة ولونها صافٍ نقيّ . ولذلك يقف عملة الفرنج مدهوشين امامها

قال احد السياح الذين ساحوا في جهات آسيا الوسطى : ان السائح اذا زار آسيا الوسطى وجبال القوقاز وصار يفتش عن السجادات النفيسة لدى السكان بصبر وتأنٍ فانه يبتاع منهم باثمان بخسة نفائس يبيعها في اوربا متى عاد اليها باضعاف ثمنها الاصلي عشرين مرة او خمسين



آثار قديمة في جوف البحر

للارخبيل في البحر المتوسط ويعنى بها جزيرة رودس وما حولها وبعدها من الجزر — اهمية كبرى في نظر التاريخ اذ كانت مهد قوة وعلم وصناعة يونانية ضرب بذكرها المثل حتى عد هيكل رودس النحاسي احد عجائب الدنيا السبع فكل ما يستخرجه الآن منها الباحثون عن العاديات يتلقاه عالم الاثار القديمة باهمية كبرى ويجيل فيه نظره ليستخرج منه الحقائق التاريخية

وقد اطلعنا اخيراً ان صيادي الاسفنج في جزيرة شيما من توابع ولاية جزائر بحر سفيد غرق لهم بالقرب من (سربقوتو) سفينة واذ كانوا يبحثون عليها في البحر عثروا في قعره بعمق ٥٠ متراً على جملة كبيرة من الهياكل والآثار القديمة فتمكنوا من اخراج اهمها وهي ستة هياكل :

١) رأس انسان في ارتفاعه الطبيعي مصنوع من النحاس واذ كان يشبه رأس المحاربين فلم يبق شك انه كان في اوليمبي

٢) هيكل نحاسي ارتفاعه ٥٤ سنتيماً وهو سالم محفوظ . وقد استلفت انظار علماء الآثار بدقة صنعه . ومما زاد في اهميته لديهم اعتلاء تاريخه الخامس قبل الميلاد وصنعه بيد الرسام الشهير بوليقله او احد تلامذته

٣) هيكل نحاس ارتفاعه ٤٥ سنتيماً وتاريخه يعلو للعصر الثالث والخامس وعلى كتفه الشمالي نوع من الاردية الوسيعة

٤) هيكل امرأة بقطع صغير للعصر الخامس من الميلاد . وهي مصنوعة على اصول (اوربك) المهارية الا ان القسم العلوي منها مفقود

٥) هيكل من المرمر مصنوع بدقة عظمى وهو يصور رجلاً قد القي اليه شيء من الكلام ذو بال وهو يمعن النظر فيه

٦) هيكل نحاسي ارتفاعه متران الا انه منكسر لعشرين قطعة كبيرة الامر الذي اوجب اسف الباحثين . وهو من اعظم ما يستدل به على دقة الصناعة اليونانية

« جريدة طرابلس »

باب الاخبار العلمية

﴿ الارسنيك في كل عناصر الطبيعة ﴾ ذكرنا في الجزء السابق نقلاً عن مجمع العلوم في باريز خبر اكتشاف الارسنيك في كل عناصر الطبيعة تقريباً حتى في جسم الانسان . وقد ورد حديثاً في وقائع المجمع ان المسيو جبرائيل برتران وجد الارسنيك في البيض وهو كثير في الصفار وقليل في البياض (الخ)

﴿ اخطار اكل الفسيخ والسمك المالح ﴾ كثيراً ما يصاب اكلة الفسيخ والسمك المملح النيء بالتسمم عقب الاكل ويقضون نحبهم من تلك الاكلة . وسبب ذلك ان السمك المملح يتولد فيه بتركيب كياوي خصوصي سم قاتل وذلك قبل الفساد متى اوشك ان يفسد . وقد كثرت حوادثه في اوربا وروسيا فوضعت اكاذمية العلم في بطرسبرج ثلاث جوائز لمن يؤلف احسن كتاب في هذا الموضوع . الجائزة الاولى قيمتها ٥ الاف روبل والثانية ١٥٠٠ والثالثة ١٠٠٠ . وموضوع هذا الكتاب درس مادة السمك السمية ووصف اعراض الاسماك التي تحتوي على شيء منها والاسماك السليمة والاسباب المانعة لتسمم السمك والادوية الناجعة في علاج دائه بعد وقوعه . وفي اول العام القادم سيصدر حكم الاكاذمية في الكتب التي تعرض عليها . فلا ريب انه من الضروري نشر خلاصة هذه الكتب في هذه البلاد

﴿ الغليسرين في الدم ﴾ وجد المسيو موريس نكلو الغليسرين في دم الحيوانات فكان هذا الاكتشاف مهماً اذ ربما توصل الباحثون الى معرفة سبب وجود الدهن في الدم الطبيعي من مجرد درسهم المادة الغليسرينية المذكورة

﴿ رمل افريقيا طار مسافة ١٥٠٠ كيلومتر ﴾ ابلغ المسيو شوفو مجمع العلوم في باريز انه شاهد على مسافة ٥٠٠ ميل من جزيرة اسور احدى جزائر الاوقيانوس الاتلانتيكي سحاباً طائراً في الفضاء وقد تكاثف حتى حجب نور الشمس . ولما صار فوق قرية سان نقولا وقع منه شيء على الارض فاذا به رمل دقيق . وقد اثبت المسيو شوفو انه من رمال صحرائنا الافريقية حملتها الرياح الى تلك الجزيرة وبينهما مسافة ١٥٠٠ كيلومتر . فتامل

﴿ غناء الصحراء ﴾ كل الذين سافروا في الصحراء لا بدّ ان يكونوا قد سمعوا اصواتاً ترد من باطن الارض في وسط تلك القفار الهادئة . وقد ذهب بعضهم ان سبب

تلك الاصوات تماوج الرمل على سطح الارض · غير ان البعض الآخر رجح ان السبب هو احتكاك مليارات دقائق الرمل بعضها ببعض في الارض لانها في حركة دائمة

معرفة دم الانسان من اثره كثيراً ما يوجد على ثياب القتلة اثر دماء القتلى فيدعون انها دماء حيوانات لا دماء بشر فيحتار الكيماويون والقضاة في ذلك اذا كانت تلك البقع الدموية قديمة جافة · على ان الدكتور ليوسيه والدكتور لموان اكتشفا طريقة يعرف بها دم الانسان بسهولة · ذلك انهم يحقنون الارنب بدم الانسان مراراً ثم يستخرجون منه مصلاً ويضعونه في زجاجة صغيرة · واذا ارادوا فحص بقعة الدم الجافة يبلون القطعة بماء حتى يتشربها الدم ثم يعصرونها · وبعد ذلك يصبون من هذا الدم المعصور في الزجاجة التي فيها المصل المستخرج من الارنب فاذا تعكر لون المصل وامتزج بالدم المصبوب فيه فهو دم انسان والاَّ فهو دم حيوان · ولمعرفة دم اي حيوان هو يُستخرج من الارانب مصل من الحيوانات المختلفة فالحيوان الذي يتفق دمه مع الدم المعصور من البقعة يكون هذا الدم منه

فائدة جديدة لاشعة رنتجن صارت اشعة رنتجن مشهورة وهي الاشعة التي تُري الانسان ما في باطنه وقد خدمت بذلك في الجراحة والطب اجلّ خدمة · وقد اكتشف لها الآن فائدة جديدة في غاية الاهمية · وهي ان هذه الاشعة بدخولها الى باطن الجسم لا تساعد فقط على زيادة نشاط الاعضاء الصحيحة وتقويها بل ايضاً تجهز على الجوانب المصابة وتعجل في استئصالها · وهكذا تفيد في معالجة السرطان وغيره من العلل الباطنية · غير ان السبب في ذلك لا يزال مجهولاً · فمنهم من يرى ان سبب فعلها هذا تقويتها كريات الصحة في الدم واضعافها كريات المرض · ولا يزالون يوالون البحث في ذلك

استعداد الاطفال للامراض ابلغ الاستاذ بوشار مجمع العلوم في باريز رأياً للمسيو دلامار مفاده عجز الاولاد في بدء عمرهم عجزاً طبيعياً عن مقاومة جراثيم الامراض · من ذلك انهم قلما يعرقون في الايام الاولى من ولادتهم مع ان العرق من احسن الوسائل في منع دخول ميكروبات الامراض الى الجسم عن طريق الجلد لان هذه الميكروبات تعلق بالعرق فيستحيل عليها الدخول · ومن ذلك ان المادة القاتلة للميكروبات في العصارة المعدية تكون قليلة فيهم في الايام الاولى ايضاً فاذا دخلت الميكروبات الى اجوافهم امكنها النفوذ والبقاء

العصر الحجري وجدوا في كندا جمجمة انسان من العصر الحجري · وقد عرفوا ذلك من ان هذه الجمجمة مثقوبة بحربة حجرية قُتل ذلك الانسان بها ولا تزال الحربة داخلة في جمجمته

❋ جائزة ٣٠ الف فرنك ❋ وضع المسيو فالوري احد اعضاء مجلس الشيوخ الايطالي جائزتين سنويتين بقيمة ٣٠ الف فرنك لتعطيان في كل سنة واحدة لمؤلف احسن كتاب ادبي وواحدة لمؤلف احسن كتاب علمي طبيعي

❋ الفحم الحجري في العالم ❋ ورد في تقرير رسمي في نيويورك ان المستخرج من الفحم الحجري في عام ١٩٠١ قد بلغ في العالم ٨٤٠ مليون طن منها ٢٨٨ مليون طن للولايات المتحدة و٢٤٦ مليوناً لانكلترا و١٥٠ مليوناً لالمانيا

❋ نور الشمس والبذار ❋ ثبت ان نور الشمس يؤثر تأثيراً سيئاً في الحبوب والاثمار اذا بقيت معرضة له مدة طويلة بعد بلوغها حالة النضج والبلوغ لانه قد يضعف نموها اذا زُرعت . واحياناً ينتهي هذا الضعف بموت الحبة

❋ خاصية جديدة للراديوم ❋ من المشهور ان الراديوم اغرب المعادن لانه جسم منير بذاته اي يصدر منه نور خاص به يسمى نور الراديوم . وقد اكتشفوا له الآن خاصية اخرى وهي وجود حرارة خصوصية فيه ايضاً . فقد اثبتت التجارب الدقيقة حديثاً ان حرارة هذا المعدن تكون دائماً اقل من حرارة المكان الذي يوضع فيه بدرجة واحدة ونصف درجة . وهم يبحثون الآن في هذه الخاصية الجديدة الغريبة

❋ هل قطع الاتلانتيك ❋ وجدوا على شواطىء جزائر شتلند قرب سكتلنده حجراً بركانياً من الحجارة المعروفة « بالحجارة الخفيفة » (الخفاف) التي تكثر على شواطىء البحار الا ان هذا الحجر مساحته ١٢٠٠ سنتيمتر مكعب وثقله لا يتجاوز ١٢٠ غراماً . وقد كان طافياً على وجه الماء كخشبة . فذهب كثيرون الى انه قادم من جزائر المرتنيك مقذوفاً من فوهة بركانها وقد قطع الاوقيانوس الاتلانتيكي الى انكلترا عائماً . فلما درى بذلك بعض العلماء اهتموا به اهتماماً شديداً وصوّروه وفحصوه . غير ان الاستاذ بوني الانكليزي المشتغل بالبراكين وآثارها قرّر بعد فحصه انه من حجارة التنانير البشرية لا الطبيعية وانه قُذف من شاطىء انكلترا الشرقي

❋ الفيلسوف سبنسر وفرنسا ❋ سأل مراسل جريدة الماتن في لندن الفيلسوف هربرت سبنسر رأيه في اتفاق انكلترا وفرنسا حين زيارة الملك ادورد باريز فكلفه الفيلسوف الجليل ان يصرح للفرنسويين عن لسانه بهذه العبارة « انني امرؤٌ لكل ما من شأنه زيادة الاتفاق مع فرنسا » ورأي هذا الفيلسوف في الحرب والخصام معروف فانه في كتابه الاخير الذي نشره في اثناء حرب الترنسفال قال انه يخجل مما صنعته حكومته بالبوير

باب التقريظ والانتقاد

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد

تأليف المرحوم عبد الرحمن الكواكبي
طبع طبعة ثانية على نفقة المكتبة الشرقية بالعاصمة

عبد الرحمن الكواكبي عالم متضلع من العلوم الاسلامية وملمٌّ بالعلوم الطبيعية العصرية . نشأ في حلب مسقط رأسه ثم هاجر منها فراراً من اضطهاد اعدائه ولجأ الى مصر . ولما اتخذ مصر مقاماً له تمكن في مدة قصيرة ان يشغل مكاناً واسعاً فيها لسعة علمه وانطباع المصريين على اكرام العلم والعلماء . فنشر فيها كتاباً دعاه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وكتب كتاباً عنوانه « النظام في الاسلام » وكتاباً دعاه « ام القرى » وقد الفه باسلوب خيالي اذ جعله على طريقة اجتماعات تصوَّر اقامتها في مكة المكرمة للبحث في حالة الاسلام . وله غيرها عدة رسائل واوراق لم تنشر ولكن تلك اهمها . وقد فاجأته المنية في العام الماضي فذهب الى رحمة ربه مأسوفاً عليه من كل من عرف فضله . وقيل انه اشتُبه بسبب وفاته فنهم من زعم انه توفي مسموماً . ولكن هذا الخبر حديث خرافة لانه لو كان صحيحاً لما امكن كتمان ذلك بل كان لا بد ان يرتفع في مصر صوت واحد على الاقل للنداء به . وبعد وفاته اهتم بعض اكابر الاستانة باوراقه فابتاعوها على ما يقال من نجله

ولما توفي هذا الرجل الكريم في العام الماضي عتب علينا بعض القراء لاننا لم ننشر ترجمته وقد كان هذا العتاب في محله لان رجلاً كالكواكبي لا يليق السكوت عنه . ولكننا مع ذلك كنا معذورين اولاً لاننا لم نتشرف بمعرفة الفقيد في حياته فلم نكن نعرف شيئاً عنه وثانياً لان الرجال الذين يكونون في حالة كحالة الكواكبي لا يمكن لمترجميهم ان يكونوا منصفين في ترجمتهم الا بعد ان يبرد تراب ضريحهم وتخمد قليلاً نار الحزن عليهم وحينئذٍ تخمد الاهواء التي آثارها موتهم فيمكن الكلام عنهم بانصاف وحق

وربما عدنا في فرصة اخرى الى ترجمة المرحوم الكواكبي لنبسط الكلام على آرائه الفلسفية والادبية والدينية والسياسية فان هذا الكاتب الشرقي ممن يحق للشرق ان يفتخر بهم

ويجب على ابنائه الاهتمام بآرائهم للوقوف على قوتها وضعفها لاسيما وان هذه الآراء مرتبطة بحياتهم الاجتماعية والسياسية

اما الآن فاننا نكتفي بالاشارة الى كتابه « طبائع الاستبداد » الذي نحن في صدده. فقد طالعنا هذ الكتاب حين صدوره في اوقات الفراغ كما تطالع الكتب الجليلة التي تقتضي الامعان لان القارئ لا يطلب ما في سطورها والفاظها فقط بل يطلب ايضاً ما بين سطورها وما وراء الفاظها . وبعد مطالعته انتهينا الى هذا الاعتقاد

(١) ان المرحوم الكواكبي كاتب نادر المثال وكل سطر في كتابه يدلّ على قوته وعلمه . وانك لتتأثر من قوة كلامه كما يتأثر الانسان من قوة كهربائية . الا انه يميل كثيراً الى الاسلوب الخطابي او الشعري . ولعل ذلك تابع لمزاجه العصبي المتجسم في كلامه او انه يريد التاثير في قرائه لجذبهم الى رايه اكثر مما يريد بسط ما في نفسه

(٢) ان في روح هذا الكتاب شيئاً من التناقض . فان مؤلفه حذا فيه حذو مونتسكيو في كتابه روح الشرائع وجان جاك رسو في كتابه الميثاق الاجتماعي (الكونترا سوصيال) من انذار الاستبداد بتخريب البلاد واعتبار الامة والشعب مصدر السلطة . ولذلك اقام القيامة على المستبد . على ان جان جاك روسو لم يحارب الاستبداد « اي روح الملوك والملكية » ليخصص حربه هذه ببعض الملوك دون بعض . بل انه حاربهم كلهم على وجه الاجمال اي حارب المبداء الذي يمثلونه وان كانت حرباً ضمنية مستترة . واما المرحوم الكواكبي فانه على ما يظهر قصر حربه على الاستانة فقط بدليل ما ورد من الثناء في فاتحة الكتاب على مليك عزيز جليل . وهذا ما يسمى الكيل بكيلين . والوزن بميزانين

على اننا نرجو ان لا يعجل القارئ فيظن اننا من راي مؤلف الكتاب في محاربة روح الملكية فان الجمهوريات (كجمهورية الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وجمهورية فرنسا والولايات المتحدة وسويسره) قلما يكون لها في الشرق الآن النجاح الذي يكون لها في الغرب. ذلك لان امم الشرق المختلفة وعناصره المتعددة ستبقى في حاجة الى قوة تكون فوقها كلها ما لم ينحصر كل عنصر في ارض ويتولى شؤونه بنفسه . وهذه حالة لازمة عن تعدد العناصر خصوصاً متى كان العنصر الكثير العدد لا يريد ان يُدخل شيئاً جديداً على شرائعه تكون فيه مشاركة باقي العناصر له في كل حقوقه مطلقاً . — ومن هذا ينتج ان كثيراً مما سماه المؤلف رحمه الله « استبداداً » لازم في بعض الاحيان مراعاة للزمان والمكان على ان هذا لا يمنع من الاعجاب بجراءة المؤلف رحمه الله على اعلان مساوىء الاستبداد.

والاسطر الاخيرة من كتابه تدل على انصاف في تقرير الحقيقة قلما يصدر عن الكتاب الذين في منزلة كمنزلته

ديوان الرافعي

لناظمه جناب مصطفى افندي صادق الرافعي

يعرف قراء الجامعة جناب الشاعر المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي . وقد سرنا ان حضرته نشر الجزء الاول من ديوانه واودع فيه من نظمه الرقيق المتين ما تجب مطالعته على كل اديب . وقد قال في مقدمة له طويلة حرية بالمطالعة ما نصه للدلالة على منزلة الشعر قديماً . « كان من قدر الشعر ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل وهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس . وايام كانوا لا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ او فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء » نقول ولكن من سوء الحظ (بل من حسن الحظ) قد ذهب ذلك الزمن لان البشر لا يمكن ان يقيموا في الطفولية الا بمقدار طور الطفولية

وفي هذا الديوان ستة ابواب وهي في التهذيب والمديح والوصف والغزل والمقاطيع والرثاء . واليك بعض مختارات منها

قال في وصف المأمون الخليفة العباسي المشهور

وعزَّز العلمَ فاعتزَّ الانامُ بهِ ... وما الى العزّ غير العلم من سببِ
ودولة السيف لا تقوى دعامتها ... ما لم تكنْ حالَفتها دولة الكتبِ
ويل لمن عاش في لهو وفي لعب ... ثمينة المجد بين اللهو واللعبِ

وقال في وصف التربية في الصغر وهو نهاية في الجودة

ومن لم يرشدوه في صباهُ ... تحكّم في شبيبته الضلالُ
فاقلب الصغير سوى كتابٍ ... تُسطَّر في صحائفه الخلالُ
فكم رجل ترى فيه صبياً ... وكم من صبيةٍ وهمْ رجالُ

وقال في زمن المدرسة

يا بني الدرس من تمنى الليالي ... كلياليكم تمنى المحالا
قد خبرت الانام في كل حال ... فاذا الطفل احسن الناس حالا

ومن قوله يحث الطالب بعد الدراسة وقد اجاد كل الاجادة

والفتى من اذا تنكّر حالٌ ... لم يقف في وجوهه حيرانا

ليس يجدي الانسان ان يأمل الناس فلاناً من قومه وفلانا
فاسع في الارض ان عقبان هذا الجوّ لا يرتضين منه مكانا
واحذر الناس انما يأمن النا س صبيٌّ يظنهم صبيانا
واركب الجدّ في الامور ولا تجبن اذا مات بعضها احيانا
ان هذا الوجود كالحرب لا يُكرم في الحرب من يكون جبانا

وهذا الديوان يُطلب من مكاتب مصر . فنثني على حضرة ناظمه اجمل ثناء لاتحافه الادباء بشعره المتين

الجمعيات الخيرية

قلنا غير مرة انه لا اوقع في نفوس محبي خير الشرق من اخبار جمعياته وان كان عددها لا يزال قليلاً في البلاد ومبداء التعاون فيها لم يبرح في طفوليته

﴿ جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية ﴾ وقد وردنا من جناب الفاضل عبد الفتاح افندي شريف رئيس جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية بالاسكندرية ان هذه الجمعية الكريمة قد ابرزت مشروعها من حيز القوة الى حيز الفعل فاستأجرت منزلا رحباً وهيأته للايتام واللقطاء في الثغر . وهو عمل جدير بان يصادف المساعدة من جميع سراة البلاد اقتداء بالجناب الخديوي الذي وضع هذا المشروع تحت حمايته . ونحن ندعو بتوفيق هذه الجمعية الكريمة الى اتمام هذا العمل الجليل

☼ مستشفى الروم الارثوذكس في بيروت ☼ ووردنا بيان اعمال جمعية مساعدة المرضى في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت لتطبيب مرضى «جميع الطوائف بدون استثنا» وذلك عن سنة ١٩٠٢ وهي السنة الرابعة والعشرون للمستشفى . ويؤخذ من هذا البيان انه بلغ عدد المترضين في مستوصف هذا المستشفى في هذا العام ٤٢٣٩ نفساً منهم ٢٢٠٢ روم و ١٠٢٩ موارنة و٣٠٤ كاثوليك و٢٩٤ مسلمون و٧١ اسرائيليون و١٦٢ انجيليون و ٦١ ارمن و٧٩ دروز و٦٢ متاولة . والمترضون في داخل المستشفى على هذه النسبة تقريباً . فكل ثناء يقصر في جنب همة الكرام الذين يديرون هذا المستشفى المفيد الذي يعامل فيه البشر كبشر دون ان يُترك فيه مجال لوباء الجنسيات

﴿ اعانة فقراء الروم الكاثوليك في دمشق ﴾ ووردنا ايضاً بيان لجنة هذه الجمعية الكريمة في الشام عن سنة ١٩٠٢ ويؤخذ منه ان دخلها بلغ ١٢٨٧٦١ غرشاً ونفقاتها اكثر من ٨٦ الفاً

﴿ جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس ﴾ ووردتنا خلاصة اعمال هذه الجمعية النشيطة المؤلفة من عدة من نشيطي اسكلة طرابلس الشام ومحبي الخير فيها وذلك عن سنة ١٩٠٢ فبلغ دخلها اكثر من ٢٢ الف غرش ونفقاتها اكثر من ١٢ الفاً

﴿ جمعية البر الارثوذكسية في القدس ﴾ واهدتنا هذه الجمعية الكريمة خلاصة ميزانيتها عن السنة الماضية فيؤخذ منها ان مجموع دخلها بلغ ٥٢ الف غرش ومجموع نفقاتها ٤٠ الفاً

﴿ جمعية اتحاد البر الارثوذكسية في بيروت ﴾ ووردنا بيان اعمال هذه الجمعية الكريمة عن السنة الماضية و يؤخذ منه ان دخلها بلغ اكثر من ٤٢ الف غرش ونفقاتها نحو ٢٥ الفاً

﴿ جمعية الاحسان في بوسطن اميركا ﴾ وكتب الينا جناب الفاضل الياس افندي صوايني رئيس هذه الجمعية الكريمة انها قد تألفت في بوسطن (الولايات المتحدة) للتأليف بين المهاجرين ومساعدة فقرائهم وانشاء غرفة للمطالعة تضم اهم الجرائد . وهي تقبل المساعدة اليها وتعلن اسماءهم اقراراً بجميلهم . فنحن ندعو لها بالنجاح ونثني على الافاضل الذين اسسوها ونسأله تعالى ان ياخذ بيد جميع الساعين في الخير وخدمة الجمعيات المفيدة التي لا خلاف في ان البلاد والعباد في اشد حاجة اليها

البحث القويم في فن التنويم

لجامعه جناب يوسف افندي مقار

جمع هذا الكراس جناب يوسف افندي مقار مدرّس اللغة الانكليزية الايطالية ببني سويف وموضوعه بيان ماهية التنويم المغنطيسي وطرقه وتاريخه . ويظهر ان حضرة المؤلف ابرع في اللغة الفرنسوية والانكليزية منه في اللغة العربية لان في هذا الكراس بضع فقرات بالفرنسوية سليمة من الخطاء غير الخطاء المطبعي خلافاً للنص العربي فيه . وهذه احدى نتائج التعليم الحالي في البلاد . وقد ذكر جامع هذا الكراس في خاتمته انه نحت كلمة فرنسوية جديدة لتقوم مقام كلمة « Oncle » و« Tante » الكلمة الاولى معناها « العم والخال » والكلمة الثانية « العمة والخالة » فرغبة في منع الالتباس خصص كلمة « Oncle » بالخال و« Tante » بالخالة ونحت للعم والعمة كلمة « Neuthin » و « Neuthine » اخذها من اللغة اليونانية (Neo معناها جديد و Thio عم اي العم الجديد والعمة الجديدة) وهو اختراع جميل . وقد كتب في سنة ١٨٩٧ الى الاكاذيمية الفرنسوية يبلغها اختراعه هذه الكلمة لمنع الالتباس

فورده الجواب من حافظ اوراق الاكاذمية يقول ان الاكاذمية ليست وظيفتها نحت كلمات جديدة للمعاني بل وظيفتها ان تقبل الكلمات الجديدة متى عم استعمالها وصقلتها الالسنة حتى صارت جزءاً من اللغة . على انه لو كان حافظ اوراق الاكاذمية يعرف اللغة العربية لكتب لحضرته حاشية في كتابه وهي : ان اللغة العربية احوج الى نحت الالفاظ الجديدة من اللغة الفرنسوية والاوجب على ابنائها ان يهتموا بلغتهم قبل لغة غيرهم

مسامرات الشعب

ورقة الآس لجناب شوقي بك

مصارع الشهوات لجناب اتربي افندي ابو العز

مسامرات الشعب روايات صغيرة تصدر في الشهر مرتين ويحرر كل رواية منها كاتب من الكتاب . فهي روايات « نصف شهرية » كما ان الروايات التي يصدرها جناب يعقوب افندي جمال « روايات شهرية » وآخر رواياتها رواية « ورقة الآس » تأليف جناب عزتلو احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ورواية « مصارع الشهوات » تعريب جناب المحامي اتربي افندي ابو العز . ونحن نرجو ان يسمح لنا جناب شوقي بك ان نقول له ان عشاق ادبه تطربهم قصيدة واحدة على نسق قصيدته في ولي عهد المانيا التي نشرها في جريدة اللواء اكثر من عشر روايات يكتبها على نسق « ورقة الآس » . ويظهر انه قد كُتب للقلم الذي يكتب به حضرته النثر ان يبقى حاسداً القلم الذي يكتب به الشعر الى ما شاء الله .

*** الاقبال *** الاقبال جريدة سياسية ادبية تجارية لصاحبيها حضرات يوسف افندي صليبا وغصن افندي غصن تصدر في لورنس ماس بالولايات المتحدة وهي غير رصيفتنا « الاقبال » الاسلامية التي تطبع في بيروت . وقيمة اشتراكها في السنة ثلاثة ريالات في الولايات المتحدة وثلاثة ونصف في الخارج . فنرحب بالرصيفة الجديدة

*** بطرس الاكبر *** هي رواية تاريخية غرامية ادبية نقلها من اللغة الروسية جناب سليم افندي قبعين ونُشرت تباعاً في جريدة العمران الغراء وهي تطلب من ادارتها في العاصمة وثمنها خمسة غروش صاغ

*** قانون نظام معلمي المدارس *** وضع جناب سيد افندي محمد صاحب المجلة المدرسية قانوناً لمعلمي المدارس وهو عبارة عن نظام شامل للعلائق بين التلامذة والمعلمين

وعلائق المعلدين بعضهم ببعض . وثمن النسخة غرشان صاغ وهي تطلب من حضرته في مصر

❊ **الفضيلة** ❊ مجلة ادبية عمومية تصدر في آخر كل شهر لمنشئها جناب سليم افندي العصم وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ غرشاً صاغاً في السنة و١٣ فرنكاً في الخارج وادارتها بالاسكندرية

❊ **المودة** ❊ مجلة نسائية ادبية تهذيبية لصاحبها جناب سليم افندي خليل فرح وادارتها بالاسكندرية . وهي تبحث في ما يتعلق بالشؤون النسائية . فندعو لها بالنجاح في هذه الخدمة المفيدة

❊ **تنوير الاذهان** ❊ اعلن حضرة الدكتور شاره افندي زلزل عزمه على نشر كتاب عنوانه « تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان وتفاوت الامم في المدنية والعمران » وسيصدره اجزاء كل جزء منها يتألف من ٦٤ صفحة يصدر في كل شهر . وقيمة الاشتراك في السنة ٨٠ غرشاً صاغاً

❊ **مراثي المرحوم الياس سعاده** ❊ عزم جناب الاديب سامي افندي سعاده على جمع مراثي الادباء واقوال الجرائد في عمه المأسوف عليه الشيخ الجليل المرحوم الياس سعاده . فمن نظم او نثر شيئاً في ذلك فليرسله اليه في نيويورك . تغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه والهم اسرته الكريمة العزاء والصبر الجميل على فقده

❊ **مسامرات النديم** ❊ هي مجلة روائية تصدر في الشهر مرة لمنشئها جناب ابرهيم افندي رمزي وعزت افندي حلمي وعنوان روايتها الاولى سلطان الهوى وقيمة الاشتراك فيها عشرون غرشاً صاغاً يدفع نصفها مقدماً

❊ **المجلة الماسونية** ❊ عادت المجلة الماسونية الى الظهور لمنشئها جناب يوسف افندي لمونه ومديرها جناب نقولا افندي سابا وفيها اخبار الماسون في القطر المصري ومقالات ادبية وتاريخية وقيمة اشتراكها ٢٥ غرشاً في مصر و١٠ فرنكات في الخارج

❊ **احياء العلوم** ❊ هي مجلة نصف شهرية لمنشئها جناب عبد الفتاح افندي جاب الله وغرضها البحث في العلوم الاسلامية وقيمة اشتراكها ١٥ غرشاً صاغاً وادارتها في زفتي

❊ **الصحة** ❊ هي جريدة اسبوعية سياسية ادبية لمحررها ومديرها جناب محمد افندي الشاذلي وقيمة اشتراكها ١٠٠ غرش صاغ تدفع مقدماً وادارتها في طنطا

❊ **الاصلاح** ❊ الاصلاح جريدة سياسية انتقادية لصاحبيها ومحرريها حضرات محمد افندي زياد بدران واحمد افندي الماجدي وقيمة اشتراكها ٨٠ قرشاً في مصر و١١٠ غروش في الخارج وادارتها في العاصمة

❋ معين المتعلّم ❋ مجلة شهرية لمساعدة طلبة اللغة الانكليزية من ابناء الشبيبة المصرية يحررها حضرات رزق الله افندي حنا وعجبان افندي بطرس وقيمة الاشتراك فيها ١٠ غروش في مصر و١٢ في الخارج وادارتها في العاصمة

❋ مائة مسئلة ومسئلة حسابية ❋ وضع هذا الكراس جناب رشدي افندي كامل في مصلحة السكة الحديدية بالعاصمة وضمنه مسائل حسابية لتلامذة الشهادة الابتدائية وهو يطلب من جناب واضعه

عقدٌ وتشطير

اقترحت الجامعة في حاشية في الصفحة ٨٢ في الجزء السابق عقد هذا المعنى للشاعر إكوفه في اطراء جنس النساء « اجثُ باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك » فنظم في ذلك حضرة الشاعر الرقيق مصطفى افندي صادق الرافعي البيتين التاليين

اجثُ خضوعاً واحتراماً لمن امك في حواء من امّها
الا ترى الجنة فيما رووا مطلوبة من تحت اقدامها

وفيه اشارة الى الحديث الكريم « الجنة تحت اقدام الامهات »

وقد نشرت « مجلة السيدات والبنات » في جزئها الثاني هذا السؤال وجوابه

❋ سؤال ❋ ما هو الجمال

❋ الجواب ❋ ان الجمال بمعناه الحرفي هو جمال النفس . فان وراء كل جسم جميل يجب ان تكون نفس جميلة . ولذلك قالوا ان الجمال بدون النفس الجميلة ليس بجمال حقيقي . والنفس الجميلة هي النفس التي تحب الخير والصلاح وتخضع لناموسها وتبتعد عن كل ما يخالفهما »

فنظم في هذا المعنى حضرة الشاعر الاديب علي افندي علي الغربي في دمياط الابيات التالية

ومعجبة باعطاف ودلٍّ وحسن صانه منها جلالُ
ووجه زانهُ خد اسيل يؤذّن للدلال به بلالُ
والحاظ مراض كم اراشت سهاماً دون مبعثها النبالُ
وثغر دره بالدر يزري وجيد لا يحاكيهِ غزالُ
تقول لصبها الولهان تيهاً امثلي في البهاء لهُ مثالُ

فقد حزتُ الرشاقة عن تمام | وبي جُمعت محاسن لا تُنالُ
فقال وقد رأى فيها اختيالاً | وكل جميلة فيها اختيالُ
تقولين الجمال وليس هذا : | جمال النفس منك هو الجمالُ

اما البيتان اللذان اقترحنا تشطيرها في الجزء الاول :

خُلقنا لامر لو علمنا خفيه | لما حبّ منا المرء ليلى ولا لبنى
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا | وما تلك الا راحة تعقب الحزنا

فقد وردتنا بشانهما عدة اجوبة . ونشرها كلها يستغرق اكثر من صفحتين . لذلك نكتفي بنشر عجز الصدر الاول لان جواب الشرط فيه يدلّ على فكر كل شاعر . قال جناب الدكتور امين افندي الخوري في المنصورة في جوابه

خلقنا لامر لو علمنا خفيه | لما عمرٌو عادى بلا سبب حدّاً

وقال ايضاً

خلقنا لامر لو علمنا خفيه | لكانت حياة المرء في ارضنا غبنا

وقال جناب فرج الله افندي فرج الله في رام الله (فلسطين)

خلقنا لامر لو عرفنا خفيه | لأجهدت الارواح في عمل الحسنى

وقال « احد المشتركين » في طنطا

خلقنا لامر لو علمنا خفيه | زهدنا وآثرنا الكهوف لنا مسكنى

وقال جناب القانوني محمد افندي نور المحامي بقنا

خلقنا لامر لو علمنا خفيه | علمنا بانا للطبيعة سُخّرنا

وليس بعجيب ان يحتار الشعراء في الامر الذي خلقنا من اجله فان حيرتهم هذه قديمة من زمن شيخ المعرة ابي العلاء بل من عهد وجود نوع الانسان . والفلاسفة يشاركون الشعراء في هذه الحيرة . على انهم ولئن شاركوهم فيها فانهم لا يكتفون بان يقولوا مع شيخ المعرة

هذا الذي صيّر الالباب حائرة | وصير العالم النحرير زنديقا

بل ينادون ان غرض الانسان في هذه الحياة : صنع الخير المطلق والقيام بالواجب والرفق ببني جنسه وممارسة الفضائل وتصفية روح الانسانية عن كدورات المادة لترقية شؤون البشر وابلاغهم طور الكمال . ومن ادار ظهره لهذه الاغراض واخذ يبتعد عنها كان كأنه يبتعد عن الانسانية الحقيقية





الجزء الرابع — السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ — ربيع اول سنة ١٣٢١

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

مشاهير الشرق

محمد عبدالله

مهدي الصومال الذي تحاربه انكلترا الآن

لا نعرف شيئاً عن محمد عبدالله المهدي الذي ظهر في بلاد الصومال الا ما تكتبه المجلات والجرائد الغربية عنه . ولكن هذه الجرائد تصمه بصفات لا تخلو من المبالغة اذ تنسب اليه الجهل المطبق والتوحش والغش وتسميه « ملا المجنون » وهذا مما يصعب تصديقه . ذلك لان رجلاً يحرك الصومال ويجتذب قلوب اهلها اليه يلزم ان لا يخلو من صفات جليلة واخلاق مخصوصة تسهل له هذا الاجتذاب واليك ما نقتطفه من اخبار هذا المهدي الجديد

﴿ بلاد الصومال ﴾ بلاد الصومال واقعة في شرقي افريقيا وهي في الخريطة عبارة عن لسان واسع عريض داخل نحو بحر الهند في جنوبي بلاد العرب يفصله عنها خليج عدن . وهي مقسومة بين اربع دول . القسم الاول لفرنسا ومنه اوبك وجيبوتي . والقسم الثاني

لانكلترا وهو يمتد من زيلع الى (بندر زياده) والقسم الثالث للحبشة وهو يمتد من جنوبي هرر الشرقي الى جنوبي القسم الانكليزي . والقسم الرابع لايطاليا وهو ما بقي من هذه البلاد اي كل الشاطىء من بنادر الى جوبه فضلاً عن رأس اللسان الداخل في البحر . الا ان ايطاليا لم تحتلَّ قسمها بعد .

﴿ اهل الصومال واخلاقهم ﴾ ويزعم سكان الصومال انهم من اصل عربي . وهم شديدو الافتخار بهذا الاصل . ولقد كانوا ذا حق في هذا الفخر لو كانوا من نسل عربي حقيقة . ولكن الحقيقة انهم من نسل غالاسي امتزجوا بالعرب بعض الامتزاج حين الفتوحات العربية في افريقيا . واخص قبائلهم ثلاث : الاولى بنو حجي والثانية بنو حاوية والثالثة بنو رهانوين . وجميع ما بقي من القبائل تشتق من هذه القبائل الثلاث .

وكل واحدة من هذه القبائل يحكمها زعيم تارة يسمى « سلطان » وتارة يسمى « جراد » (كذا) وهم قوم على البداوة والفطرة كبار الاجسام يغلب على جلودهم السواد مشوباً بالحمرة . وشعورهم سوداء خشنة متفرقة ونساؤهم يجمعن شعورهن على رؤسهن بشيء شبيه بالكيس فلا يظهر منها شيء . وهن سافرات الوجوه لا يحتجبن . ويشاركن الرجال في كل اعمالهم حتى الحرب والقتال كما كان نساء العرب في القرون الماضية . اما زينتهن فهي الاقراط للآذان والعقود من الخرز والاساور في المعصم وفي اليد . وهن يلتففن بقطعة طويلة من النسيج ويبرزن عاريات الصدر والذراعين كالديكولته عند نساء العصر . . اما الرجال فلا زينة لهم سوى بضع آيات قرآنية مكتوبة وملفوفة بقطعة جلد ومعلقة باعناقهم . وهم يلتفون بقطعة نسيج كما تصنع النساء . ولهذه القبائل الرحل جوامع ثابتة قرب الشاطىء مبنية بالحجر وبعضها مموَّه بالكلس (الجير) . غير انهم في رحلاتهم يبسطون قطعاً من الجلود ويحيطونها بدائرة من الحجارة ويصلون ضمنها

﴿ ظهور المهدي محمد عبدالله ﴾ هو شاب في الثانية والثلاثين من عمره ولد من ابوين كانا يرعيان المواشي في اوغادن من بلاد الصومال ولكنه ربي بين قبائل الدناقلة . ولما بلغ سن الرشد اخذ على ما يقال يتعلم شيئاً من الشعوذات التي تدهش العوام فكانوا يجتمعون عليه لمشاهدتها ويعجبون بقوته . وبعد ذلك درس القرآن على بعض مدرسيه في الصومال وحج اربع مرات فصارت له مكانة سامية بين قومه . وكان محمد عبدالله مطبوعاً على حب السيادة والسلطة فاتخذ مكانته هذه ذريعة الى مقاصده . فحاول اولاً الوعظ في بربره بين القبائل النازلة على شواطىء خليج عدن ليدعو الناس الى المعروف وينهاهم عن

المنكر فانكرت عليه القبائل ذلك ولم تبالِ به . فعلم ان داخلية البلاد أكثر استعداداً لعمله من شواطئها فدخل الى النوجل حيث تقيم قبائل الدليبنتي . واخذ يدعو الناس الى سبيل الله بكلام فصيح وحماسة وجرأة فاعتقدوا انه مرسل اليهم والتفوا حوله يصغون الى وعظه وارشاده

ولما صدقوا دعوته وكثر انصاره ركب معهم وقصد قبائل بربره التي بذته للجهاد فيها عقاباً لها على تكذيبه . ومن هنا ابتدأت رغبته في الاستيلاء على كل بلاد الصومال واخضاع مكذبيه ومقاوميه للاستئثار بها . فاضطرت انكلترا الى حماية مستعمرتها من هولاء الغزاة الاشداء الذين هاجموها بحماسة غريبة وفتكوا بقبائلها فتكاً ذريعاً . فارسلت في سنة ١٨٩٩ الى بربره حملة من الهند لمساعدة الحامية الانكليزية . فرأى المهدي من الحكمة حينئذ ان يخرج من الاملاك الانكليزية فعاد الى اوغادن واستثار قبائلها الصومالية وغزا بهم املاك الحبشة قاصداً هرر . فحشد الرأس ماكونين جيشاً عظيماً ولقيه به بين « حدجبا » « وململ » فهاجم الصوماليون الاحباش مهاجمات هائلة ولكنهم لم يستطيعوا ان يدحروهم فعادوا عن الحبشة بعد ان قتل منهم الفا رجل . ولكن هذا الرجوع لم يؤثر في نفوذ المهدي فعاد وساق قبائله على الاملاك الانكليزية في عام ١٩٠١ فلقيه الكولونل سوين وهزمه . فلجاء المهدي حينئذ الى اراضي الصومال الايطالية . ومع ذلك فقد بقي يدعو الى الجهاد لطرد الاجانب من البلاد ومعاقبة الصوماليين الذين حالفوهم . ورغبة في تقوية سلطته حالف سلطان ماجورتين وتزوج بابنته فاتسع سلطانه واشتدت قوته . واضطرت ايطاليا ان تطلق مدافعها من الشاطيء على قرى هذا السلطان لانه كان يهرب الاسلحة للمهدي .

وفي سنة ١٩٠٢ عاد المهدي الى الاراضي الانكليزية فلقيه الكولونل سوين بجيش من الجنود الانكليز والصوماليين . لكنه اضطر ان يعود عنه بعد ان قُتل ٧٠ من رجاله . فكان لهذا الفشل دوي عظيم في بلاد الصومال . وفي هذا العام اتفق الانكليز والايطاليون والاحباش على مطاردته فلم يفلحوا وانتهى الامر بانكسار حملة انكليزية كانت مسوقة عليه . فعزز هذا الانكسار منزلة المهدي تعزيزاً عظيماً . ولكن كل آماله لا تغني عنه فتيلاً لانه سيقع في خاتمة الامر اسيراً في يد مطارديه ويُنفى من بلاده ان لم يُقتل في ساحة الحرب كما قُتل التعايشي

ويقدرون اليوم قوات هذا المهدي باكثر من ٣٥ الف جندي

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات العلمية والطبية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة

لكل عصر حاجات . ولو كان العصر اليوم كعصر الهمذاني والزمخشري وابن المقفع والمتنبي لما كان لاحد ان يذكر للكتّاب حاجات جديدة . فان الهمذاني كان يزور خراسان مثلاً فينشد بضعة ابيات ويكتب بضع رسائل فيعود بملء الاردان . والمتنبي كان يقول قصيدة واحدة فيعطى من اجلها الوف الدنانير . ومتى كانت سوق الادب رائجة الى هذا الحدّ فذلك دليل على وجود الاتفاق التام في اذواق القائلين والسامعين

ولو ان العصر بقي كما كان في ايام من اشرنا اليهم لجاز ان يقال لادباء اليوم : تحدوا سابقيكم واقتدوا بمتقدميكم . وحينئذ كان هذا الاقتداء امراً معقولاً مقبولاً . ولكن العصر قد تغيرّ من حسن الحظ . ولم يعد المقصود من الادب وصناعته مدح الملوك والامراء او العظماء بل صار يُقصد به امر اسمى من هذا كثيراً : ونريد بذلك تكوين الامم وتكبير نفوسها وانهاض ضعفائها وترقية شؤونها

كان المتنبي لا ينظم شعره الا لممدوحه وطبقة الشعراء والمتأدبين . وكان يظن ان هؤلاء الشعراء والمتأدبين هم الدنيا كلها بدليل قوله « اذا قلتُ شعراً اصبح الدهر منشدا » . مع ان هؤلاء الشعراء والمتأدبين كانوا جزءا صغيراً من الامة . اما اليوم فالكاتب العصري عليه ان يكتب لمجموع الامة كباراً وصغاراً . اغنياء وفقراء . رجالاً ونساء . تجاراً وصناعاً وزراعاً وادباء . اي ان الادب والعلم افلتا من قيدهما القديم الذي كان يحصرهما في طبقة واحدة لغرض التسلية والطرب واندفعا نحو جميع الطبقات لاغراض عمومية يقصد بها فوائد ادبية وعملية . فنتج عن ذلك ان رواج الادب لم يعد متوقفاً على طرب

امير كسيف الدولة ولا على جود الملوك والخلفاء . بل على تأثير اقوال الكاتب في الجمهور الذي صار السيد الحقيقي على الادب والادباء . فوظيفة الكاتب اذاً ان يحسن التأثير في نفوس هذا الجمهور

وان قيل ان الملوك والامراء قد يؤثرون اعظم تأثير في ترويج الادب لمساعدتهم اهله . فنجيب ان هذا القول صحيح متى كانوا يقصدون بمساعدتهم لهم مجرد انماء مواهبهم لتنتفع الامة بها . ولكن اذا كانوا يقصدون بذلك تقييد تلك المواهب بهم لتنشر نور مجدها عليهم وعلى اعمالهم بالمدح والثناء فان الحال تتغير تغيراً عظيماً خصوصاً متى كانت مصلحة الملك مخالفة لمصلحة الامة . ذلك ان صاحب تلك المواهب لم يعطَ مواهبه من الله ليجعلها وقفاً لفرد واحد ولو كان ملكاً بل اعطيها ليخدم بها جميع بني جنسه . فاذا خطر له وقفها على واحد او جماعة او طائفة او مذهب دون غيره فانه بذلك ينقض العهد الذي اعطاه على نفسه وهو في بطن امه حين اخذ تلك المواهب عن طريق الطبيعة من يد العناية الالهية . وحينئذ يقع بين نارين اما دوس مصلحة الامة من اجل مصلحة ملكها واما ترك الملك وقيوده الذهبية مختاراً عليها معيشة الفقر والحرية مع الامة . ولا ريب في ان اولئك الكتاب والشعراء المتقدمين الذين كانوا يتزاحمون على ابواب الخلفاء والامراء و يتنافسون في اطراء ممدوحيهم و وضعهم احياناً في مرتبة الالهة ليستدروا منهم الوف الدراهم والدنانير ـ تلك الاموال التي كانت مأخوذة من دماء الشعوب والامم بطرق مختلفة ـ لو علموا انهم وُجدوا لمساعدة الشعوب والامم لا لمساعدة ملوكها على ابتزاز اموالها ومشاركتهم بعد ذلك فيها بطرق تشبه طرق الشحاذة لعلموا انهم اضاعوا مواهبهم في غير وجوهها ولم يأكلوا مالاً حلالاً .

ومتى ثبت ان اول اعراض الادب والعلم ترقية الامم وانهاض الشعوب ترتب علينا ان نعلم حاجات الكاتب الشرقي الجديدة في هذا العصر .

الحاجة الاولى وعندنا ان اولى حاجات الكاتب «الجرأة والحرية» ونريد بذلك حرية الفكر والنشر . وتحت الحرية تدخل فضائل كثيرة . فانه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر فانه يكون صادقاً منصفاً عادلاً قليل الشذوذ والشرود . ويشترط في ذلك ان تكون الحرية مطلقة في اقواله لا ان يتكلم بحرية في هذا الموضوع لان الحرية فيه موافقة لمصلحته ويداهن و يصانع في ذاك لان الحرية فيه مخالفة لمصلحته . وكل انسان يعذر الكاتب الذي يعيش في بلاد اقلامها مقيدة اذا لم يتجاوز في كتابته حد المداراة القانونية ولكن

ما عذر الكاتب الذي يعيش في بلاد اقلامها مطلقة . لا عذر له غير « المصلحة » فمصلحته هي التي تمنعه من ان يقول الحق الذي يفتكر به وتجبره على مدح ما يستحق الذم وذم ما يستحق المدح . وحينئذ يخرج عن دائرة الوظيفة الحقيقية التي توجد لها الصحافة وتثقف لها الاقلام . ولسنا ننكر ان هذه الحالة شائعة في كل العالم لانها حالة عمومية اذ كل انسان يطلب تاييد مصلحته قبل كل شيء . ولذلك كانت اكثر صحافة اوروبا نفسها مبنية على المصلحة . قال احد كتابهم في الشهر الماضي « ان جرائدنا صارت عبارة عن وباء حقيقي . فان المدح والذم يكالان فيها بلا عدل . وقد قتلوا الانتقاد الصحيح المبني على الصدق وحرية الفكر ووضعوا في مكانه اوراقاً يرسلها المؤلفون واصحاب الكتب . فاذا قرأت انتقاد كتاب فاعلم ان اكثره مكتوب بقلم المؤلف نفسه او بقلم صديق له » . نقول ولكن اذا كان في الغرب جرائد هذه حالها ففيه ايضاً جرائد كالتيمس والطان و برلنر تاجبلاط لا يمكن ان يلحقها شيء من هذا الغبار . فنحن نرجو ان تقوى في الشرق صحافة جدية مستقلة كهذه الصحافة لتخرج من الدائرة التجارية المحضة الى الدائرة الصحافية الحقيقية . ويلوح لنا ان ذلك لا بد منه والا بطل كل تاثير لها على القراء لان الاقوال لا تؤثر الا متى كانت خارجة من القلب والضمير .

الحاجة الثانية وربّ قائل يقول : ماذا يحل بالافكار في الشرق اذا كان كل كاتب فيه يبسط آراءه بكل حرية دون مراعاة مع ما هو معروف من تعدد العناصر . فنجيب : لا يحل بالافكار سوء لان « التساهل » كالماء يخمد كل حدة وكل نزق . فالحاجة الثانية « التساهل » ـ وليس المراد بالتساهل ان يكون ما يكتبه الكاتب موافقاً لكل الآراء وكل العناصر وكل المذاهب . كلا . فان هذا التساهل يفني قوى الكاتب ويذهب بتعبه ادراج الرياح ويشوه الحقائق اقبح تشويه . ولقد سمعنا مرة بعضهم يقول : ان موقف الكاتب الشرقي صعب جداً في هذا العصر . لانه يكتب للمصري والشامي والجزائري والتونسي والهندي والفارسي والافغاني والقوقازي الخ الخ ولذلك يجب عليه ان لا يكتب الا ما يرضي الجميع . فضحكنا عند سماعنا هذا الكلام وقلنا ان وظيفة الكاتب اسمى من ذلك بكثير . اجل ليست وظيفة الكاتب بتر الحقيقة هنا وتمويه الكلام هناك ارضاء لهذا او ذاك . بل وظيفته ان يقول الحق وينطق بالصدق في اي جانب كان . لكن يشترط عليه في ذلك شرطاً لا بدّ منه . وهو ان يترك دائماً للقارىء الحكم في المسائل التي يبسطها . لان القارىء قلما يحب ان تضغط عليه لتقنعه . واذا كنت تطلب منه التساهل فيجب عليك ان تعلّمه ذلك بالقدوة اي ان تكون متساهلاً في آرائك . لان القدوة خير المعلمين . اذن

لا تضع آراءك واقوالك في منزلة الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد مسه فان لكل انسان نظرًا ومذهبًا في الامور . ومتى احتكت هذه المذاهب والآراء بعضها ببعض فلا يبقى منها مع الوقت الا افضلها . وهذه هي الطريقة الوحيدة لنشر الحقائق والمبادىء نشرًا فعليًا بين الناس وترقية العقول عن الاشياء المألوفة الراسخة في النفوس بحكم العادة . وكن على ثقة من ان كل العناصر التي ذكرتها تقراء اقوالك ولا تستاء منها اذا راعيت هذا الشرط ولو وجدت فيها ما يسوءلانها تعلم انك لا تقصد بها سوءًا ولا سيطرة على عقولها فيما تكتب وانما تقصد بسط الآراء والمبادىء بعضها بجانب بعض طلبًا للحقيقة في اي جانب كانت

الحاجة الثالثة والحاجة الثالثة ان يحب الكاتب صناعته و يولع بها و يطلبها لذاتها . ولا بد هنا من اعتراض قوي وهو ان جميع الكتاب في كل البلدان يحبون صناعتهم وكثير منهم لا يجنون منها فائدة كبيرة ومع ذلك تراهم متعلقين بها . فالجواب ان هنا اشكالاً تجب ازالته . اذ شتان بين من يولع بشيء لانه عمله الذي خلق له و بين من يريد ان يجعله عمله قسراً و يرغم طبيعته به ميلاً الى جماله وجلاله . وهذا الخطر موجود في كل مكان لا في الشرق فقط . وقد وضع المسيو بونيه الفرنسوي منذ بضعة اشهر كتابًا سماه « خطر صناعة القلم » او « ثلاثة من عائلة نكران » اثبت فيه ان الوفًا من الادباء يتهافتون في كل عام على صناعة القلم في فرنسا وتسوء حالهم لانهم قهروا طبيعتهم قهرًا على عمل لم يكونوا من رجاله . وانما جذبوا اليه بجاذب جماله .

وانما اردنا « يحب الكاتب صناعته وطلبها لذاتها » مقاومة داءين شديدي الفتك . (الداء الاول) يأس كثيرين من الكتاب من صناعة الادب في الشرق . ولذلك يولولون عليها ويقيمون المآتم حزنًا لموتها وهذا الامر يسبب ضررين الاول الحط من كرامة الادب لدى قرائه والثاني ازالة الثقة من نفوس اولئك الكتاب . ومتى زالت من نفس الكاتب ثقته في نفسه وفي صناعته فقد قضى على نفسه وعلى صناعته وعلى قرائه ولم يعد يقدر ان يصنع شيئًا مفيدًا . فالاجدر به في هذه الحالة ان يترك القلم بسكون وهدوء و يطلب الرزق من باب آخر . (والداء الثاني) اتخاذ الادب شباكًا لصيد الذهب . وهذه آفة الادب في الشرق . ولسنا ممن يحرّمون الغنى على طلاب الادب ولكننا ممن يحرّمون في الادب جعل المال في المرتبة الاولى والعلم والادب في المرتبة الثانية . لان صناعة الادب ليست بصناعة تجارية ومن يريد معاملتها معاملة التجارة فهو غير اهل لان يكون منها . وسبب ذلك ان موضوع الادب خدمة الجمهور كما تقدم . وهذه الخدمة تقتضي ان تعطي الجمهور من

قوتك ومن نفسك اكثر ما يمكنك اعطاؤه · فالكاتب الذي لا يطلب صناعته لذاتها بل لاجرتها يكتفي في اكثر الاحيان بملء الورق بما يكون قريب المنال اذ غرضه ربح المال لا ابراز ارقى ما يمكنه ابرازه من قوى نفسه · وبذلك يصبح الجمهور مغبوناً والادب مظلوماً لانه ينحط بهذه الطريقة ولا يمكن ان يترقى معها · وحينئذ يتساءل الناس لماذا لا تؤثر الاقلام في النفوس · مع ان السبب معروف محسوس · وان قيل ان التبعة في هذه الحالة واقعة على الجمهور لانه لا ينشط اهل العلم والادب التنشيط الواجب ليسد حاجاتهم ويجعلهم يطلبون صناعتهم لذاتها · فالجواب ان على الجمهور تبعة عظيمة في هذا الامر ولكن هذا لا يخفف التبعة التي على الكاتب · اذ متى وجد كتاب يطلبون العلم والادب لذاتها فانه يكون عندهم الفقر والغنى سيين في هذه الصناعة · لان الغنى الذي في النفوس لا تنقص قيمته عن الغنى الذي في الخزائن ان لم نقل انه افضل منه

﴿ الحاجة الرابعة ﴾ واما الحاجة الرابعة فهي مختصة بقلم الكاتب ونريد بها تضلعه من المواضيع التي يكتب فيها ·

وهذه الحاجة تنقسم عندنا الى قسمين · « المادة ولباسها » اي الافكار والالفاظ التي يعبر بها عنها والاسلوب الذي يجري هذا التعبير به ·

اما المادة فهي تكاد تكون موجودة في كل يد · · فان كل كاتب يكفيه لخوض ابواب السياسة والتاريخ والعلم الادبي والعلم الطبيعي والفلسفة ان يفتح اي جريدة اوروبية او اي كتاب اوروبي · · وهذا من فضل اللغات الاجنبية التي تسهل للكتاب طريق هذه العلوم التي تعب المؤلفون عشرات سنين في سبيل تحصيلها · ولكن الحق يقال ليس الذنب في ذلك للشرقيين بل للناموس الطبيعي فاننا الآن في عصر يسميه علماء العمران « عصر القرود » يريدون به عصر التشبه بالغير والتقليد · واذا ساعدت الاحوال المعارف الشرقية فانها ستنتقل ان شاء الله من طور « الاتباع » الى طور « الابتداع » وحينئذ ينبغ في الشرق المفكرون والمخترعون · ولا نعود نرى المعارف الشرقية عبارة عن نسخة من المعارف الاوروبية وصدى لمجلاتها وجرائدها العلمية والسياسية · بل يكون الباحث في الكيمياء معتمداً في بحثه على معمله لا على مجلته والباحث في التاريخ معتمداً على سياحاته لدرس الآثار في اماكنها الاصلية لا على الكتب والاوراق وهلم جرا · وربما وصل الشرق الى هذا الزمن بعد قرن او نصف قرن اذا ساعدته الاحوال وكثر قراء اللغة العربية فيه كثرة تمكن احد الكتاب من التفرغ لكتابة كتاب واحد في عامين او ثلاثة · اي ان الكاتب يستفيد من كتابه هذا بعد كتابته ونشره

فائدة مالية تكافي‌ء اتعابه ونفقاته ·

وبما ان « المدة » صارت اليوم موجودة في كل يد كما تقدَّم فقد صار العصر والدعوة في الاسلوب الذي تحرز به · ورب مادة يعطاها كاتبان فيصنع احدهما منها فصلاً ترقص له عجائز وائل ويصنع الآخر منها فصلاً لا يقرأه احد · وهنا مذهبان مختلفان يتنازعان الكتاب في كل امة تقريباً · المذهب الاول مذهب الذين يعتمدون على قواعد السلف واصولهم في الكتابة والتاليف ولا يخرجون عنها قيد اصبع · و مذهب الثاني مذهب الذين يحكمون عقولهم وافهامهم في جميع شؤونهم ويكرهون التقييد اذا لم يكن في محله ويرومون ان يكتبوا كما يشعرون · وعندنا لهذين الفريقين كلمة تدل عليهما احسن دلالة · وهي ان الفريق الاول يهتمّ بالالفاظ قبل اهتمامه بالمعاني · والفريق الثاني يهتمّ بالمعاني قبل اهتمامه بالالفاظ »

ومهما صرخ انصار المذهب الاول فان مذهبهم آخذ في الانقراض · لان تلك الاسجاع الضخمة والالفاظ المنتفخة كانها امر يحكي الاسد « قد نبتت في المعد · وصارت في كل يد » كما قال الهمذاني رحمه الله · واذا قابلت بين اسلوب الكتابة العربية منذ ٣٠ سنة وبين اسلوبها اليوم رأيت الفرق بين الاسلوبين · وان قيل انه قد بقي الى اليوم شيء من تلك الاسجاع والالفاظ المترادفة والتعابير الخطابية التي تسرد منها سطرين او ثلاثة ولا يكون تحتها الا فكر واحد ـ كانها صبيرة طمثن ـ نقول ما ذلك الا لان لهذا الاسلوب اصلاً مكيناً في نفس اللغة العربية وهذا الاصل لا يموت وينقرض تماماً الا بانقراض طلابه · ولكنه الآن يموت شيئاً فشيئاً · ولا امل باحيائه الا بطريقة واحدة · وهذه الطريقة يرضى بها حتى اهل المذهب الثاني · وهي ان يعود مؤسسو ذلك الاصل من قبورهم الابدية ويكتبوا لنا مثل كتاباتهم الماضية · فحينئذ نقبل منهم ذلك بكل سرور ورضى لان كتاباتهم ارق ما يتصور الانسان كتابته في هذا النوع · وكيف اذا قام الهمذاني من قبره و كتب شيئاً من رسائله يمكننا ان نقول له اترك هذا فقد ذهب وقته · وكيف اذا قام ابن المقفع بلغته السهلة البليغة المفهومة ليعرب عن الهدية كتاباً آخر ككليلة ودمنة يمكننا ان نقول له عربه بلغة الكتابة العصرية لا بلغتك · كلا · اننا لا نقول لهما ذلك · وانما نقوله بلا تردد للذين يحاولون تقليدهما في هذا العصر ولا يكون لهما مقدرتهما · وقد قيل : بين المقلّد والمقلّد ما بين التكحّل والكحَل · وان قيل ان الاموات لا يعودون بل ينبغ من الاحياء من يقوم مقامهم و يبلغ منزلتهم · فالجواب اين الذي يضمن لنفسه نفساً كنفوسهم ثم يصرف قواها

كاباعشرين سنة او اربعين في درس كتب اللغة والادب ليبلغ منزلتهم فيها · ثم اذا كان مثل هذا الانقطاع ممكناً في الشرق الا يكون من الجناية على الشرق جعله للغة والالفاظ بدل جعله للعلم الحقيقي الذي يرقي الامم وينقلها من حال الى حال ·

فالافكار الافكار · المعاني المعاني · هذا هو الغرض الحقيقي من الكتابة · لان الالفاظ ليست سوى لباس او قشور للمعاني — بقي الاسلوب الذي هو صلة بين الالفاظ وبين المعاني لانه قالبها الذي تُسبك به · وفي ذلك نقول

قال بعضهم : ان انشاء الانسان هو الانسان نفسه · يعني بذلك ان كتابته تدلّ عليه لانها صادرة عن نفسه · وعلى ذلك يكون اسلوب الانسان في الكتابة على نوعين : اكتسابي وغريزي · فالاسلوب الاكتسابي ما حصله الانسان بكدّ الخاطر وتهذيب النفس ومعرفة الاصول ومطالعة اشهر المؤلفين · والاسلوب الغريزي ما يكون مغروساً في فطرة النفس وهذا لا يُشرى ولا يُباع ولا يُحصّل لانه ملازم للنفس · وقد قال بوفون وغيره ان قرائح النوابغ تنشأ عن الصبر والكد والمزاولة · وهو قول صحيح من بعض الوجوه خصوصاً في العلوم الطبيعية التي تقتضي من علمائها والمخترعين فيها الكدّ والصبر والجلد الشديد · وهذا نيوتن وباستور خير مثال على ذلك · ولكن العلوم الادبية والفلسفية تختلف عن العلوم الطبيعية · وبما ان العمدة في تلك العلوم (الادبية والفلسفية) على التأثير في النفوس فالواجب ان يكون اسلوبها اللطيف اول اسلحتها · وماذا كان عمل روسو وبرناردين دي سان بير ورسكن ورنان وغيرهم لو لم تكن فطرتهم مسلحة بذلك السلاح اللطيف الذي كان يهزّ النفوس كما تهزّ الزوابع باسق الاشجار · وعلينا في الشرق ان نذكر اننا محرومون تلك اللذة الحقيقية التي تتناجى بها نفوس القراء والكاتب لاستطاعته تحريكها من اعماقها · ولا نلقين التبعة في ذلك على القراء بل على الكتاب وان كان لهم بعض الاعذار · لان اشجار الحدائق اذا بقيت ساكنة ولم تتحرك فالذنب للريح لانها لم تهب لتحركها ·

ولكننا نرى ان هذه الريح محالٌ ان تهب لتحريك الاشجار اذا لم تطلق اللغة العربية من اسر الاهتمام بالالفاظ والسجع والمترادفات وتحدي المتقدمين ويقدّم عليها الاهتمام بالمعاني المقصود ابلاغها الى فهم القارىء · ذلك لان الانسان لا يستطيع ان يعبر عن العواطف المختلفة التي تختلج في نفسه اذا كان يتعوّد صرف قواه حين الكتابة الى الالفاظ لا الى تلك المعاني · الا ترى الكاتب اذا تكلم بلغته العامية اندفع اندفاع السيل وابرز بكل سهولة صوراً جميلة من المعاني كانت تجول في نفسه · ولكن اطلب منه ان يبرز تلك الصور الجميلة

باللغة الفصحى ملتوتة بالمترادفات الزائدة والالفاظ الفخمة والاسجاع الفارغة . فانه يقيم يوماً كاملاً لكتابة ما عبَّر عنه في ساعة واحدة بلغته التي يتكلم فيها. وما يكتبه يجيء بارداً. ولا تقل ان سبب ذلك كونه لم يتعود الكتابة بلغة الهمذاني والحريري . كلا . ما من سبب لذلك سوى انه مع اللغة العامية يفتكر بالمعاني فقط ومع لغة السجع والمترادفات يفتكر بالالفاظ . ولكن اخبرونا ما هو الكاتب . الكاتب كالشاعر هو الذي يشعر بالمعاني شعوراً اشد من شعور سواه ويبرزها الى القراء باسلوب جميل لطيف سهل مفهوم لابلاغها اليهم . ويتفاضل الكتاب كما يتفاضل الشعراء اي ان افضلهم اشدهم شعوراً والطفهم احساساً . ولذلك قالوا ان الكتابة صناعة من صناعات النفس . وما الكتاب العظام الذين اقاموا بني عصرهم واقعدوهم بما كانوا يشعرونه بينهم سوى نفوس ادق شعوراً من باقي النفوس كانوا يجمعون العواطف التي تختلج في صدور بني عصرهم بوجه مبهم غامض ويبسطونها واضحة جلية يتناولها القريب والبعيد لانهم كانوا اشد شعوراً بها . ـــ فتأملوا في هذه الوظيفة التي هي وظيفة الكتاب الحقيقيه وقابلوها بوظيفتهم متى كان عملهم مقصوراً على طلب الالفاظ الغريبة من قواميس اللغة واقتناص التعابير البدوية والاساليب القديمة التي لم يبقَ ما يسوّغ استعمالها في عصر كهذا العصر . لاريب عندنا ان هذا بمثابة ردم معادن المعاني في نفوس الكتاب وجعل اذهانهم عبارة عن مخازن للالفاظ فقط . وبذلك يقضى على الكاتب العربي ان تبقى كتابته بلاتاثير في قرائه مهما ابدع واجاد في تنسيق التعابير والالفاظ لان الالفاظ عبارة عن جماد لا يؤثر في النفس اذ النفس لا يؤثر فيها الا فيض المعاني الخارج من نبعها العذب . ولا تنسَ اننا قلنا في مقدمة الكلام ان وظيفة الكاتب الكتابة للامة لا لنفسه ولالطبقة واحدة من طبقات الامة وان حسن التأثير شرطها الاول والفائدة العمومية اساسها الحقيقي

فلسطين واشهر آثارها

لحضرة نجيب افندي نصار الخوري اللبناني في طبريا

تكلمنا في المقالة الاولى عن اشهر مدينة في فلسطين وهي مدينة القدس او اورشليم ·
وقبل الاستطراد الى باقي الاماكن والبلدان المشهورة في هذه القطعة التاريخية المقدسة
عند الامم الثلاث نذكر شيئاً عن مملكة بني اسرائيل القديمة تمهيداً للموضوع

ان بني اسرائيل لم يستولوا استيلاء تاماً الاَّ على قسم سوريا الواقع غربي الاردن —
ما عدا الارياف البحرية الجنوبية من يافا حتى غزة وهي بلاد الفلسطينيين الحقيقية من غزة
مملكة الاسرائيليين من بئر سبع على مسافة نحو ثلاثين ميلاً الى الجنوب الشرقي· وامتدت
حتى دان اي تل القاضي الواقع عند سفح جبل حرمون ووراء سهل الحولة · وانقسمت هذه
المملكة في ايام الملك رحبعام بن سليمان الى مملكتي يهوذا واسرائيل · فانحصرت مملكة
يهوذا الجنوبية في القسم الواقع حوالى القدس بين بئر سبع جنوباً ورامة بنيامين على بعد
ثمانية اميال من القدس شمالاً · وتضمنت مملكة اسرائيل البلاد الواقعة شمالي تلك· وانقسمت
اراضي هاتين المملكتين بعد سبي نبوخذنصر الى ثلاث مقاطعات · وهي مقاطعة اليهودية
ويمكن حصرها تقريباً في متصرفية القدس الحالية · ومقاطعة السامرة وهي ما تحتويه متصرفية
نابلس بدون فرق كبير · ومقاطعة الجليل وهي بلاد الناصرة وطبريا وصفد الحالية

وقد قسم الرومانيون البلاد بعد ذلك الى اربع ولايات ومقاطعات لا يمكننا ذكرها
لضيق المجال لانها كانت تختلف كثيراً باختلاف الازمان والعمال والحروب

اما بلاد اليهودية فهي بلاد جبلية وعرية قليلة الخصب والقسم الجنوبي الشرقي منها
الواقع حوالى البحر الميت برية جدباء · ومن اشهر مدنها القدس التي مرَّ الكلام عليها· ويافا
وهي موضوع كلامنا الآن

يافا

يافا فرضة بحرية واقعة على اكمة تعلو قليلاً عن سطح البحر في نقطة متوسطة بين غزة
وراس الكرمل وعلى مسافة نحو ٣٥ ميلاً الى الشمال الغربي من القدس وهي كائنة في
طرف سهل شارون الخصيب الذي تغزل سليمان الحكيم بجمال ازهاره

❋ تاريخها ❋ هي من اقدم مدن العالم وقد كانت تُدعى جافو لاعتبار بعضهم ان

اسمها مشتق من يافث ابن نوح وبوما لزعم آخرين انه مشتق من اصل عبراني ومعناه جميل . وجوبا نسبة الى جوبا ابنة عولص التي ربطت مع اندرو ميدا ابنت زفس الى صخر في البحر هالك وتركتا عرضة لحيتانه حتى اطلقها برسوس . قال احد المؤرخين ان ملاحي اليونان لفقوا هذه الحكاية مما وصل اليهم من رواية يونان النبي والحوت

واول ما ورد ذكر يافا في سفر يشوع بن نون غير انها اشتهرت في ايام الملك سليمان بانها كانت ميناء مملكة اسرائيل . ومنها هرب يونان وجرى ما جرى له كما هو مذكور في سفره . ولقد ظن الكتبة ان حسن موقعها كان السبب في نجاتها من الخراب في غزوة نبوخذنصر . وجاء في سفر المكابيين انها كانت امنع حصن في فلسطين . وكان سكانها يومئذ اخلاطاً من مكدونيين ومصريين وسوريين ويهود . واذ اتفقت الفرق الثلاث الاولى على اليهود وثاروا عليهم وطرحوا منهم عدداً في البحر هاجمها يهوذا المكابي ليلاً واخذها واحرق سفنها بمن لجاء اليها من تلك الفرق . وقد هاجمها سامتيوس في سنة ٦٣ مسيحية واحرق الوفاً من سكانها وضمها الى الولاية السورية الرومانية . ثم سلخت منها واعطيت لهيرودس الكبير . وبعد عزل ابنه ارخيلاوس اعيدت مع باقي فلسطين الى الولاية السورية الرومانية وقد غزاها سامتيوس غالوس في سنة ٦٦ مسيحية . ثم تجمع اليها اليهود من انحاء فلسطين فارسل اليهم فسباسيانوس فرقة من جنده من قيصرية فالتجاؤوا الى السفن . فهبت عليها عاصفة كسرتها واغرقتهم . ثم قتل العسكر الروماني من نجا منهم على الشاطئ

ودخلها الدين المسيحي منذ ايام الرسل . وفيها رأى بطرس رؤياه « ان يذبح ويأكل مما انزل الله عليه في ملاءة من السماء واوحي له ان لا ينجس ما حلله الله تعالى » وهذه الرؤيا وقعت كالضربة القاضية على تقاليد اليهود القديمة وجرت الرسل على المناداة بالمساواة بين جميع الشعوب وحلت الطائفة المسيحية ومستقبلها من قيود الشريعة اليهودية وما الحق بها من التقاليد بوجوب تحريم بعض المآكل وتحليل الاخرى واعتبار هذا طاهراً وذاك نجساً

وصارت المدينة في ايام قسطنطين كرسي اسقفية وبقيت كذلك الى الفتح الاسلامي اذ صارت ميداناً لحروب دموية متتابعة بين الفاتحين والصليبيين الجات سكانها الى الهرب من ويلاتها . فبقيت مهجورة حتى اوائل القرن السابع عشر اذ اطمأن الناس فعادوا اليها وعمروها وبالنظر لحسن موقعها التجاري كانت تنمو نمواً سريعاً . وفي سنة ١٧٩٩ هاجمها بونابرت وكانت يومئذ تحت ولاية الجزار . ولما لم تفتح له ابوابها هدم اسوارها ودخلها

عنوة وقتل الفاً ومئتي اسير ممن اسرهم فيها بدعوى انهم خانوا عهده وعادوا الى محاربته قبل انتهاء الاجل الذي ضرب لهم في ان لا يعودوا الى مثل ذلك عندما اطلق سراحهم بعد اسره اياهم في موقعة العريش . فحسب له التاريخ هذه وتسميمه الجنود التي اصيبت بالطاعون من جيشه فظائع ضد الانسانية

وبعد ما غادر نابوليون المدينة عاد الانكليز فرمموها ولم تلبث طويلاً حتى نمت كثيراً وهي لا تزال آخذة في النمو بالابنية وعدد السكان . ولها سهم كبير في التجارة بصادرات البلاد كالحنطة والذرة والسمسم والبرتقال والصابون وغير ذلك . وهي الميناء الاولى للسياح وزوار البلاد الفلسطينية . فتربح بذلك ارباحاً جزيلة

❋ سكانها ❋ كان عددهم ستة آلاف يوم غزوة بونابرت ولكنهم بلغوا الثلاثين في يومنا هذا منهم نحو خمسة عشر الفاً من المسلمين وسبعة آلاف من المسيحيين وستة الاف من الاسرائيليين . والباقون اجانب من الالمان واليونان وغيرهم

❋ المدينة ❋ مركز قائمقامية من الصنف الاول تابعة لواء القدس وقد جددت فيها محكمة تجارية لاتساع تجارتها وفيها وكلاء لقناصل الدول الاجنبية وعدة مدارس للحكومة والجمعيات الخيرية ومستشفيات خيرية انكليزية وفرنسوية والمانية

❋ ابنيتها ❋ ان ابنيتها كباقي المدن الشرقية القديمة عديمة الانتظام ومزدحمة . اما الابنية الجديدة فمتقنة وجميلة ولا سيما خارج البلد . ومن جهة المدينة الشمالية الشرقية مستعمرة المانية جميلة جداً تتخلل ابنيتها الطرق الواسعة المستقيمة وتحيط بها الجنائن الصغيرة الغاصة بالاشجار والازهار وفي المستعمرة فنادق كبرى متقنة معدة لقبول السياح والغرباء

واسواقها القديمة ضيقة وقذرة اما الجديدة في شرقي المدينة وشماليها وجنوبيها فهي احسن من تلك كثيراً ويلقى الناظر فيها ما يدل على الهيئة المدنية

وفي جهتها الجنوبية بقرب الفنار جامع صغير يُظن انه في مكان بيت سمعان الدباغ الذي راى فيه بطرس رؤياه غير ان ذلك يحتاج الى اثبات

❋ ميناؤها ❋ شبيه بمرفإ صغير محاط بصخور طبيعية هائلة اكثرها تحت سطح المياه . والمدخل الى هذا المرفإ ضيق بين صخرين كبيرين فيخاف الملاّحون من عبور القارب في ذلك المضيق ابان الانواء التي تتعاظم كثيراً اثناء هبوب الرياح الصرصرية حتى لا تعود السفن تجسر على الوقوف في تلك الميناء . وقد قال بعض الكتبة ان المرفاء كان اصطناعياً في الاعصر القديمة وان ابنيته كانت قائمة على الصخور الطبيعية الحالية غير

انه يستدل من وصف يوسيفوس ان حالة الميناء القديمة لم تكن الا كما هي اليوم . وحبذا لو تهتم الحكومة في تحسين هذا المرفاء وجعله امينا فيكون ذلك سبباً لتقدم كل فلسطين الجنوبية ونجاحها نجاحاً عظيماً

﴿ سكتها وجنائنها ﴾ ويسير القطار الحديدي ذهاباً واياباً مرة في كل يوم بين يافا والقدس ويقطع مسافة الطريق البالغة اربعة وخمسين ميلاً في ثلاث ساعات واربعين دقيقة . والمدينة محاطة بجنائن البرتقال اليافي الذائع الشهرة في جميع البلدان . ولزهره رائحة عطرية تعطر الارجاء والنواحي في فصل الربيع . والثمر بعد نضجه منظر بين اغصانه الخضراء الغضاء يأخذ بمجامع القلوب . وترسل منه مقادير كثيرة الى اوروبا فيربح اليافيون به ارباحاً وافرة

اللد

اللد واقعة على مسافة اثنى عشر ميلاً الى الجنوب الشرقي من يافا ومحاطة بكثير من اشجار التين والزيتون والتوت والرمان والصبر الكثير الذي تتناثر اشواكه الدقيقة في الرياح فيصيب الاعين نصيبها منه ولذلك تكثر الامراض البصرية في اللد . وفيها محطة للسكة الحديدية وقد كانت قديماً على طريق القوافل التجارية بين بلاد الشام ومصر . ولذلك لم تكن قليلة الاهمية

﴿ تاريخها ﴾ يدعوها العبرانيون لود ولُد ١ والرومانيون ديوسبوليس . ولم تكن ذات شهرة في عهد الاسرائيليين وقد سكنها البنياميون منهم بعد العودة من السبي . وسلخها ديمتريوس نيكانور عن السامرة وضمها الى اليهودية دلالة على رضائه عن المكابيين . وبعد موت يوليوس قيصر باع كاسيوس اهلها عبيداً فحررهم انطونيوس بعد ذلك بقليل . وقد سبب شفاء بطرس اينياس المفلوج من دائه انتشار الدين المسيحي فيها . واحرقها سستيوس غالوس في طريقه الى القدس فلم يمض عليها زمان طويل حتى عادت الى العمران . ويشهد بذلك وصف يوسيفوس لها حين سلمت لفسباسيانوس بقوله عنها : انها قرية لا تقل عن مدينة في حجمها وعدد سكانها . وانه كان فيها مدرسة يهودية اسرائيلية شهيرة . وجعلها المسيحيون كرسي اسقفية في القرون الاُول بعد المسيح . وبقيت في زمن المسلمين عاصمة جند فلسطين حتى بنى سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة ونقل كرسي الولاية اليها . وزهت كثيراً في ايام الصليبيين الذين اعادوا بناء كنيسة مار جرجس فيها . ولكن لم تلبث طويلاً حتى اصابها ما اصاب غيرها من جراء الحروب وتداول الايدي لها . ويروى ان بعض المسلمين

يعتقدون ان المسيح يقضي على المسيح الدجال عند ابوابها . وقد خربها المغوليون في سنة ١٢٧١ وبقيت في حالة الاهمال الى اواخر القرن السابع عشر اذ عمرها اهالي يافا

﴿ كنيسة الشهيد جورجيوس ﴾ لم يوفق الباحثون بعدُ الى معرفة بانيها كانهم لم يتفقوا كلهم على كون القديس المذكور دُفن فيها. وصح ما قيل انه ولد في اللدواستشهد في اواخر الجيل الثالث في نيكوديميا على اثر الاضطهادات التي ثارت على المسيحيين في عهد ديوكليشيان ومكسيميان وان عظامه نُقلت من هناك الى اللد . وقد قال البعض ان جوستينيانوس هو الذي بنى هذه الكنيسة غير ان بروكوبيوس الذي يعدد الابنية والآثار التي شادها هذا الامبراطور لم يأتِ على ذكر هذه الكنيسة في لد بل ذكر كنيسة باسم هذا القديس في ارمينيا . والذي يتبادر الى الذهن ان كنيسة اللد بُنيت قبل تلك بزمن طويل . وقد بنى المسلمون على آثارها جامعاً في اواخر القرن الخامس عشر . غير ان الحكومة جادت به من زمن غير بعيد على الروم الارثوذكس

الرملة

الرملة واقعة على مسافة ثلاثة عشر ميلاً ونصف الى الجنوب الشرقي من يافا على ارض رملية ولذلك دعاها بانيها الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان مدة خلافة اخيه والياً على جند فلسطين « الرملة » . وقد بناها في سنة ٧١٦ مسيحية . غير ان اسمها هذا جعل بعض الكتبة يظنون بكونه محرفاً عن (رعمفايم صوفيم) المذكورة في التوراة واقتاد آخرين الى تاويله الى رامة صموئيل . وقال غيرهم انه مشتق من اريماثا المذكورة في الانجيل . ولكن المدققين لم يحفلوا بهذه الآراء لان مؤرخي المسلمين اثبتوا حقيقة زمن بنائها

﴿ تاريخها ﴾ واول ما بنى سليمان المذكور قصره ثم داراً للصباغين واسس الجامع وشرع في بنائه واتصلت اليه الخلافة بوفاة اخيه فاتمه . واتم بناء المدينة عمر بن عبدالعزيز الذي تولى على جند فلسطين بعده . وقد قال المقدسي ان المدينة كانت ذات سور وحصن واسواق . وان لها اثني عشر باباً . وقال الادريسي ان اسواقها الكبيرة كانت متصلة بابوابها الاربعة الكبرى وانها كانت ذات اهمية كبرى لانها كانت داراً لحكومة الجند الفلسطيني وقد احرقها ايفالين في سنة ١١٧٧ . وفي سنة ١١٨٧ استولى عليها صلاح الدين غير انه احرقها بعد ذلك مع كنيسة اللد خيفة من استيلاء ريشارد قلب الاسد عليها . وبعد عقد الهدنة بين هذين الرجلين العظيمين جعلوا الرملة مناصفة ثم اعطيت كلها للصليبيين فاستخلصها منهم السلطان بيبار . وزارها بيلون في سنة ١٥٤٧ فلم يجد فيها اكثر

من اثنى عشر بيتاً وزارها نابوليون الكبير واقام فيها ليلة واحدة . وهي الآن قرية كبرى فيها نحو سبعة آلاف من المسلمين والف من المسيحيين الارثوذكس وهي مركز مديرية تابعة يافا وفيها محطة للسكة الحديدية وفندق الماني

﴿ جامعها ﴾ واقع في جهة المدينة الغربية الحالية وقد كان واقعاً في وسط المدينة القديمة . ولقد ذكرنا بانيه . وقد قال المقدسي انه لا مثيل لمحرابه في كل البلاد الاسلامية . اما مأذنته فبناها هشام ابن عبد الملك بمواد كان المسيحيون اعدوها لبناء كنيسة بلمة وتهددهم بهدم كنيسة اللد اذا لم يعطوه المواد لبناء تلك المأذنة . فاستدل بعض كتبة المسيحيين الجاهلين حقيقة هذه الرواية من شكل هذه المواد على ان الجامع كان كنيسة ومأذنته قبة جرس . ولهذه المأذنة نظارة واسعة تحيط بكل الانحاء المجاورة

وليس هناك محلات اخر ذات اهمية كبرى بين القدس ويافا تستحق ان تفتح لها مجالاً في هذه العجالة غير عمواس التي دعاها الرومانيون نيكوبوليس المذكورة في الانجيل . غير ان الثقاة اختلفوا كثيراً في حقيقة هذا الموقع فلا يسعنا المجال لسرد آرائهم فيه

العناصر الشرقية والتقريب بينها

﴿ نبذتان ﴾

واحدة للفيلسوف ابن رشد وواحدة لرئيس الكلية الاميركية في بيروت

لو سئل الشرقي : اي عمل افضل الاعمال في بلادك . لاجاب ان افضل الاعمال ما كان متعلقاً بتآخي العناصر الشرقية المتعددة والتقريب بينها لتعيش بهدوء وسلام في ارض واحدة بدل ان تفني قواها في ما لا فائدة منه . ولذلك يسرنا دائماً ان نشير الى ما نجده في طريقنا من دلائل الاعتدال والالفة وعوامل التقريب والتوفيق . ولقد عثرنا في هذا الشهر على اثرين راينا من الواجب ان نشير اليهما . الاول فقرة لفيلسوف الاسلام ابن رشد مختصة بمسالة التثليث عند المسيحيين . فانه يرى فيها راياً موافقاً لراي عقلاء النصارى اليوم كل الموافقة . واليك كلامه .

قال ابو الوليد رحمه الله في كتابه تهافت الفلاسفة يشرح مسالة النفس وصفاتها « (فان قيل) ان الفلاسفة يعتقدون ان النفس فيها امثال هذه الصفات وذلك انهم

يعتقدون انها دراكة مريدة محركة وهم معتقدون مع هذا انها ليست بجسم . والجواب انهم ليس يرون هذه الصفات هي للنفس زائده على الذات بل يرون انها صفات ذاتية . ومن شان الصفات « الذاتية » ان لا يتكثر بها الموضوع الحامل لها بالفعل بل انما يتكثر بالجهة التي يتكثر المحدود باجزاء الحدود **وذلك انما هي كثرة ذهنية عندهم لا كثرة بالفعل خارج النفس** . ومثال ذلك ان حد الانسان حيوان ناطق وليس النطق والحياة كل واحد منهما متميزاً عن صاحبه فيه خارج النفس بالفعل واللون والشكل . ولذلك يلزم من يسلم ان النفس ليس من شرط وجودها المادة الا يسلم انه يوجد في الموجودات المفارقة بما هو واحد بالفعل خارج النفس كثير بالحد . وهذا هو مذهب النصارى في الاقانيم الثلاثه وذلك انهم ليس يرون انها صفات زائدة على الذات **وانما هي عندهم متكثرة بالحد وهي كثرة بالقوة لا بالفعل** ولذلك يقولون انه ثلاثة «في» واحد اي **واحد بالفعل ثلاثة بالقوة** . »

والاثر الثاني خطبة وجيزة القاها حضرة المفضال رئيس الكلية الاميركية في بيروت يوم الاحتفال بتذكار المولد النبوي . وقد وجدنا خلاصة هذه الخطبة في رصيفتنا ثمرات الفنون الاسلامية الغراء التي تطبع في بيروت فنقلناها عنها حسب روايتها قالت الرصيفة

« اتصل بنا انه في يوم الاثنين الماضي المصادف لذكرى المولد النبوي الشريف قام حضرة الفاضل الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية الجديد واعظاً في منتداها وقال

« اليوم يحتفل اخواننا المسلمون بذكرى ميلاد عظيم من عظام الانبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) ومع ان للمسيح المقام المعلوم الذي نعتقده ينبغي لنا ان نفكر بمقاصد ذلك النبي العربي الكريم ونجعل حياته نصب اعيننا

« ثم استشهد الرئيس بكلام (لكرليل) الكاتب الشهير هاته خلاصته

« كلام مثل هذا العظيم (يعني النبي محمد صلعم) هو لسان الفطرة وروح الوجود وعلى العالم ان يصغوا له . قد كان يجول في خاطره اثناء رحلاته وحجه كثير من المواضيع الكونية المعضلة . منها ما انا ؟ وما هذا الوجود الذي لا يسبر غوره ولا يعرف سره ؟ ماهي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ ماذا اعمل ؟ وكان يطلب عليها مجيباً . لكن صخور حراء وسيناء ورجال الفيافي الموحشة والسماء المحيطة مع نجومها المتلالئة لم تشف غليلاً ولم تردّ جواباً . من هاته لا ينتظر كشف المعميات . لكن قلب الرجل وما اودعه الله هناك من الوحي هما عليهما كشف الحقائق ورفع الستور

« وفي رمضان سنة ٤٠ من حياته صعد يوماً الى جبل حراء للتفكر ثم رجع لزوجته

خديجة واخبرها انه بتعطف الهي يعجز اللسان عن وصفه عرف الحقيقة واهتدى لامور الكون وان كل هاته الاوثان اخشاب لا تسمن ولا تغني من جوع . وان تلك التقاليد الدينية هي بقايا لا معنى لها ولا فائدة فيها . وان ثمة الهاً عظيماً بيده مفاتيح الكون واليه ترجع الامور . خلقنا وهو يحفظنا . وما الموجودات الا ظله تعالى

« الله أكبر من كل كبير . والاسلام هو التسليم لمشيئته وقدرته . قال غوث (اشهر شعراء الالمان) اذا كان هذا هو الاسلام اما نحن في وسط الاسلام عائشون ؟ انتهى باختصار يسير

نقول والمقصود مما تقدّم اظهار ان الاعتقاد بالله تعالى وتسليم الامور اليه والاتكال عليه كاف لان يكون رباطاً يجمع جميع البشر على الاخاء والتعبد له . لان العدو الحقيقي للاديان في هذا الزمان انما هو الجحود والتعطيل . و بذلك تكسد بضاعة التعصب والتفريق والتضليل

حادثة السرب

لجناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

ذكر مقتل الملك اسكندر والملكة دراجا زوجته التي كانت من نساء امه وتزوج بها لحبه لها وقد قتلها روساء الجيش هجوماً على قصرها كالوحوش الضارية

قتل الحب ياليالي الوداد ... فاسلمي بالقلوب والأكباد
مهجة تلتظي غراماً ولكن ... الف قلب يغلي من الاحقاد
وصدور كالنار غطى عليها ... من سواد الرياء شبه الرماد
وهموم الحياة تخلق للقلـ ... ـب وأي امرىء بغير فؤاد
ما أمنا الزمان الا كما يأ ... من ابليس زاهد الزهاد
كل يوم يصيح بالناس صوت ... كضجيج « الساعات » في الميعاد
أين من يأمن العوادي والنا ... س بأجناسهم ثمار العوادي
من تدعه لربما يدرك النضـ ... ـج ورب البستان بالمرصاد
وقتيل من كان في الغاب حياً ... لو لاه أعين الآساد
انما الناس ما يخلده النا ... س وان كان امرهم للنفاد
ان ذكر الذين شادوا وسادوا ... لم يزل راسخاً على الاطواد

واذا المرء اودع الارض سرًا — نبشت سره يد الآباد
ان تشأ ان ترى حديثك بعد الـ — ـموت فانظر الى حديث العباد
كم ترينا الايام من عبر شتى — كأن الايام في استعداد
واراها في عبرة قد طوتها — كانطواء (المليون) في الاعداد
في مليك كساه امس جلالاً — وغدا اليوم بالي الابراد
كان فوق السرير فانقلب الدهـ — ـر فامسى به على الاعواد
وقضى العمر يوم عيد فلما — مات ضجّت ايامه بالحداد
ومن الهم ان ترى عين باك — ادمعُ الموت غير ادمع الميلاد
شدّ ما يؤخذ الظلوم اذا ما — سار في الناس سيرة استبداد
انما انفس الانام سيوف — ان تُحرك سالت من الاغماد
اين من كان في الثغور ابتساماً — وهو اليوم مضغة الحساد
اين من كان في البلاد رجاء — وهو اليوم عبرة في البلاد
سطروا ذكره على صحف التاريـ — ـخ من سوء فعله بمداد
واروه ان الفساد وان طا — ل فعقبى اموره للفساد
لم يكن يجهل الرشاد ولكن — عمي الحب عن سبيل الرشاد
واضلّ الهوى هوى ملك الار — واح يبغي محاسن الاجساد
ان للتاج ربة لا تزين التا — ج الا بطلعة الاولاد
لا كتلك التي هي الصدف الفا — رغ نحساً لطالع الصياد
عذلوه فيها فكان مريضاً — ساخراً بالطبيب والعوّاد
واذا كان للخطيئة عذر — ايـ عذر لمخطئ في التمادي
ابعدوها عن القلوب فلم يرْ — ضَ وصعبٌ تجاور الاضداد
هو القى في النار فحماً فلما — اجّ لم يختطف سوى الوقاد
ليس للملك من يسوق هواها — حامل التاج مثل سوق الجياد
انضجته بالحب حتى اذا ما — بلغ النضج اطعمته الاعادي
وارته العينان ان بياض الحظ — قد شابه الموسى بسواد
جردت من لحاظها فاتكات — جرأت كل تلكم الاجناد
ليتها حين لم تقده لمجد — لم تخلِّ الزمام « للقواد »

ليتها حين أُسهرته عليها ما جزته بمثل هذا الرقاد
قتلته يبغيهـا وتلتـه ورى البغي جامعًا كالوداد
اي ايد قد بدات ذلك الود بجب الرصاص فوق المواد
او ماخافت الكواكب ان تـ قط من غيرة على الاجياد
ما لتلك المحاظ وهي حداد اصبحت في المدو غير حداد
لم تؤثر في قلبه نظرات ربما اثرت بجسم الجماد
قتلوا ظبية القصور ولكن قتلة الصائدين جبة وادي
حسبوها فأرًا وهم قطط البيـ ت فلم ياكلوه قبل الطراد
وكذا يقدم اللصوص اذا ما ابصروا الرأس مال فوق الوساد
ما ارى هذه الشهامة الا حمقًا من فظاظة الاكباد
عربدوا في الدم المراق وما الوحـ ش اذا اغتال يترك الدم بادي
وكذاك اليهود من قبل عدوا يوم صلب المسيح في الاعياد

اولاد الفقراء ومصائفهم

﴿ اختراع اميركاني ﴾

مما يطيب ذكره للدلالة على اهتمام الغربيين بالاعمال العمومية النافعة اختراع للمستر ويلرد برسنس احد رعاة الدين في احدى قرى بنسلفانيا في الولايات المتحدة . وهذا الاختراع يدوي الآن في اوربا لدى علماء الاجتماع دويًا شديدًا . فان هذا الرجل خطر له في سنة ١٨٧٧ ان يأتي بتسعة اولاد من شوارع نيويوك ويُسكن كل واحد منهم لدى مزارع في قريته مدة ١٥ يومًا . وكلما انقضت هذه المدة كان يعيد اولئك الاولاد الى نيويورك ويأتي بغيرهم . فما انقضى فصل الصيف حتى بلغ عدد الاولاد الذين تمتعوا بالاصطياف بلا نفقة نحو ٦٠ ولدًا . فخطر حينئذٍ للمستر برسنس ان يعم هذا العمل . فانشأ جمعية كبرى غرضها ارسال الاولاد الفقراء من المدن السوداء الى البرية ليتمتعوا باستنشاق الهواء النقي ومشاهدة الحقول الخضراء ولو ١٥ يومًا في السنة

وقد ارسل المستر برسنس في عام ١٨٧٧ ــ ٦٠ ولدًا فقط . اما اليوم فجمعيته ترسل

في كل نصف شهر ٢٠ الف ولد الى البرية ليقيموا فيها ١٥ يوماً و٣٠ الف ولد ليقيموا فيها يوماً واحداً . وقد بلغت ميزانية الجمعية في العام الماضي ١٤٠ الف فرنك مجموعة من اهل الاحسان الذين يرومون نفع اولئك الاولاد . اما نفقة ارسال الولد فهي لا تجاوز ٩ فرنكات اذ لا يُدفع عنه سوى اجرة السكة الحديدية لتناوله كل ما يحتاج اليه من بيت مضيفه

والفائدة الاجتماعية الكبرى من هذا العمل المفيد انما هي في خروج اولئك الاولاد المساكين خمسة عشر يوماً من وسَطهم واقامتهم في وسط هادىء يجدون فيه كل شروط الادب والتهذيب والنظافة وجودة الغذاء . فيعقد بين الاولاد وبين مضيفيهم عهود الصداقة والوداد منذ الصغر . قال احد مضيفيهم « والغريب ان تأثير هؤلاء الاولاد على مضيفيهم يكافىء هؤلاء على ما يحسنون به عليهم . فانهم يبقون البركة وراءهم . ويعطون اكثر مما ياخذون . ذلك انهم يؤثرون في القلوب . فان اهالي بلادنا سمعوا كثيراً من العظات عن الصدقة والاحسان غير انهم كانوا لا يلبثون ان ينسوها . ولكن اقامة هؤلاء الصغار عندهم جعلت في نفوسهم من الاحسان صورة لا تُنسى »

ويؤخذ من الاحصاء الاخيران الني ولد من الاولاد الذين ارسلوا الى القرى وردهم بعد رجوعهم الى مدنهم دعوات من مضيفيهم يطلبون فيها ان يعودوا اليهم كل سنة . ومنهم من تزوج في القرية التي كان يذهب اليها . ومنهم من استخدم عند مضيفه واقتصد مالاً فابتاع به مزرعة صغيرة ثم تزوج بابنة سيده . ومنهم من أجبر اهله على ترك المدينة للاقامة في البرية لانه لم يعد يجد لذة في الاقامة بين الاقذار والاوضار . فكأن هذه الجمعية المفيدة تعاكس فعلاً قبيحاً للتمدن . فان التمدن يخطف الفلاح من قريته الهادئة ليحشره في المدينة السوداء اما هي فانها تخطف ابن المدينة وترسله الى الخلاء ليقوم فيه مقام ذلك المغتر بجمال المدن .

تلاعب الحسان بعقول الفتيان

او الشاب المغرور في الازبكية

لحضرة محمود افندي خيرت معاون مركز ادفو

يامن لنا عهدٌ لديه وموثقُ العفو اولى بالكريم واليقُ
لم اجنِ ذنباً في هواك وانما هم زوّروا لك ما سمعت ولفقوا

ولقد رجوت الصبر بعدك باطلاً والقلب يا أبي والمدامع تسبق
فقصدت نحو الازبكية عانياً امحو بها تلك الهموم وامحق
ودخلت اجمل قهوة مع صاحب صادفته واخو الهموم موفق
وجلست اذجلس الصديق ولا تسل عما حواه المجلس المتأنق
قد زينت بالكهربا ارجاؤه حتى كأن الشمس فيه تشرق
وغدت مراوحه تدور كأنها طير يرفرف والهواء يصفق
واجمع الى هذا الجمال اوانساً يبرزن للقلب الخلي فيعشق
ولقد تكلفت الحديث وصاحبي في شاغل يرنو لهن ويطرق
يشكو الهوى سرًا وخاطر فكره وجدًا يغرب تارة ويشرق
حتى دنت من بينهن مليحة رومية ترمي القلوب وترشق
فتنفس الصعداء لما اقبلت وفؤاده وجدًا بها يتحرق
جلست بجانبه تخامره الهوى واخو الخلاعة بالتهتك اخلق
قالت له ما ذا تريد (أبيرة) ؟ فاجاب لا . كنياك . ذلك اوفق
واذا سمحت لمجالسينا لحظة ثم اطلبي ما تشتهين وا نفق
فتهللت فرحًا واسرعت الخطا مدفوعة فكأنما هي زئبق
ثم انثنت من بعدها وبكفها خمر تذيب بها القلوب وتحرق
خمر معتقة ولكن الذي يحيي بها عبد لها لا يعتق
ولقد نصحت الى الصديق وكلما محضته نصحي يزيد ويحنق
فتركتها لفنونها وتركته لجنونه وهو الجنون المطلق
ولبثت انظر ما يكون من الهوى في امره وانا عليه مشفق
فاذا هما يتغامزان وصاحبي بادي الهموم وفكره متفرق
فاسترجعت قالت وقد لمحت على احدى يديه خاتماً يتألق
دع عنك حب الغانيات فلست من اربابه حتى تلاقي ما لقوا
ان كنت تهوى اين تذكار الهوى يا ايها المتلون المتملق
ورمت باسرع ما يكون لكفه يدها . فابعدها . فقامت تبرق
وجرت . فامسك ثوبها . فتفلتت منه وادمعه تسيل وتنطق
فسعى بخاتمه لها واعادها والاشعبية لا ترق وترفق

في كل نصف شهر ٢٠ الف ولد الى البرية ليقيموا فيها ١٥ يوماً و٣٠ الف ولد ليقيموا فيها يوماً واحداً . وقد بلغت ميزانية الجمعية في العام الماضي ١٤٠ الف فرنك مجموعة من اهل الاحسان الذين يرومون نفع اولئك الاولاد . اما نفقة ارسال الولد فهي لا تتجاوز ٩ فرنكات اذ لا يُدفع عنه سوى اجرة السكة الحديدية لتناوله كل ما يحتاج اليه من بيت مضيفه

والفائدة الاجتماعية الكبرى من هذا العمل المفيد انما هي في خروج اولئك الاولاد المساكين خمسة عشر يوماً من وسَطهم واقامتهم في وسط هادىء يجدون فيه كل شروط الادب والتهذيب والنظافة وجودة الغذاء . فيعقد بين الاولاد وبين مضيفيهم عهود الصداقة والوداد منذ الصغر . قال احد مضيفيهم « والغريب ان تأثير هؤلاء الاولاد على مضيفيهم يكافىء هؤلاء على ما يحسنون به عليهم . فانهم يبقون البركة وراءهم . ويعطون اكثر مما ياخذون . ذلك انهم يؤثرون في القلوب . فان اهالي بلادنا سمعوا كثيراً من العظات عن الصدقة والاحسان غير انهم كانوا لا يلبثون ان ينسوها . ولكن اقامة هؤلاء الصغار عندهم جعلت في نفوسهم من الاحسان صورة لا تُنسى »

ويؤخذ من الاحصاء الاخير ان الفي ولد من الاولاد الذين ارسلوا الى القرى وردهم بعد رجوعهم الى مدنهم دعوات من مضيفيهم يطلبون فيها ان يعودوا اليهم كل سنة . ومنهم من تزوج في القرية التي كان يذهب اليها . ومنهم من استخدم عند مضيفه واقتصد مالاً فابتاع به مزرعة صغيرة ثم تزوج بابنة سيده . ومنهم من أجبر اهله على ترك المدينة للاقامة في البرية لانه لم يعد يجد لذة في الاقامة بين الاقذار والاوضار . فكأن هذه الجمعية المفيدة تعاكس فعلاً قبيحاً للتمدن . فان التمدن يخطف الفلاح من قريته الهادئة ليحشره في المدينة السوداء اما هي فانها تخطف ابن المدينة وترسله الى الخلاء ليقوم فيه مقام ذلك المغتر بجمال المدن .

تلاعب الحسان بعقول الفتيان

او الشاب المغرور في الازبكية

لحضرة محمود افندي خيرت معاون مركز ادفو

يامن لنا عهدٌ لديه وموثقُ العفو اولى بالكريم واليقْ

لم اجنِ ذنباً في هواك وانما هم زوَّروا لك ما سمعت ولفقوا

ولقد رجوت الصبر بعدك باطلاً والقلب يا أبي والمدامع تسبق
فقصدت نحو الازبكية عانياً امحو بها تلك الهموم وامحق
ودخلت اجمل قهوة مع صاحب صادقته واخو الهموم موفق
وجلست اذ جلس الصديق ولا تسل عما حواه المجلس المتأنق
قد زينت بالكهربا ارجاؤه حتى كأن الشمس فيه تشرق
وغدت مراوحه تدور كأنها طير يرفرف والهواء يصفق
واجمع الى هذا الجمال اوانسا يبرزن للقلب الخلي فيعشق
ولقد تكلفت الحديث وصاحبي في شاغل يرنو لهن ويطرق
يشكو الهوى سرًّا وخاطر فكره وجدًا يغرّب تارةً ويشرّق
حتى دنت من بينهن مليحةٌ رومية ترمي القلوب وترشق
فتنفس الصعداء لما اقبلت وفؤاده وجدًا بها يتحرق
جلست بجانبه تخامره الهوى واخو الخلاعة بالتهتك اخلق
قالت له ما ذا تريد (أبيرةٌ) ؟ فاجاب لا . كنياك . ذلك اوفق
واذا سمحت بمجالسينا لحظةً ثم اطلبي ما تشتهين وا نفق
فتهللت فرحًا واسرعت الخطا مدفوعةً فكأنما هي زئبق
ثم انثنت من بعدها وبكفها خمرٌ تذيب بها القلوب وتحرق
خمرٌ معتقةٌ ولكن الذي يحيي بها عبد لما لا يُعتق
ولقد نصحت الى الصديق وكلما محضته نصحي يزيد ويحنق
فتركتها لفنونها وتركته لجنونه وهو الجنون المطلق
ولبثت انظر ما يكون من الهوى في امره وانا عليه مشفق
فاذا هما يتغامزان وصاحبي بادي الهموم وفكره متفرق
فاسترجعت قالت وقد لمحت على احدى يديه خاتمًا يتأنق
دع عنك حب الغانيات فلست من اربابه حتى تلاقي ما لقوا
ان كنت تهوى اين تذكار الهوى يا ايها المتلون المتملق
ورمت باسرع ما يكون بكفه يدها . فابعدها . فقامت تمرق
وجرت . فامسك ثوبها . فتفلتت منه وادمعه تسيل وتدفق
فسعى بجانبه لها واعادها والاذهبية لا ترق وترفق

وادار رنات الكؤوس فاوشكت روحي تذوب لهول ذاك وتزهق
وعجبت من هذا الذي شاهدته فكتمته والصدر مني ضيق
حتى دنا الميعاد فانصرف الورى وهو الذي فيه الملاهي تُغلق
وبدت مصابيح المحلة تنطفي شيئاً فشيئاً والظلام يحلّق
فتجلته على الحساب ودفعه والهم يحتاط الفؤاد ويُحدق
فرمى لها عشراً من الذهب الذي يرنو له قلب الفقير فيخفق
ثم انثنى فتكلفت توديعه والغرّ يحسبها تحبّ وتصدق
فتبعته عدواً فلم اعثر به وانا احدق في الدجى واحقق
فقصدت ساحة بيته وانا الى ما كان بعد خروجه متشوق
فاذا به قطع الطريق له على قدميه(١)وهو يكاد غيظاً يصعق
فعجبت من نزق الشباب وجهله وكذاك يفتقر الغنيّ الاحمق

آثار الشرق القديمة

برغاميا وفنونها الجميلة

انشأت المانيا في برلين متحفاً جديداً دعته «برغامون» تجمع فيه آثار برغاميا وفنونها الجميلة

﴿ برغاميا الاولى والثانية ﴾ ويُطلق اسم برغاميا عادة على مدينتين . الاولى مدينة ترواده المشهورة التي زعم الدكتور شليمان انها كانت حيث قرية حصارلك التركية اليوم . والثانية مدينة في آسيا الصغرى كانت فيما مضى عاصمة لمملكة كبيرة وهي المقصودة في هذا الفصل . وقد كان لهذه المملكة شأن يُذكر في عهد ليزيماكوس (احد قواد اسكندر المكدوني) الذي استأثر بها بعد وفاته وانقسام سلطنته . ثم اخذت برغاميا تترقى حتى صارت في عهد ملكها اتال الاول والثالث (سنة ١٣٣ ق م) من اقوى ممالك آسيا واهمها . وقد انشأ فيها ملوكها كثيراً من المباني العمومية والخصوصية وزينوها بالفنون اليونانية الجميلة

(١) اشارة الى انه لم يبقَ معه شيء من المال يركب به الى منزله

﴿ فنونها وآثارها ﴾ وقد مضت على الالمان عدة سنوات وهم يحفرون ويبحثون في آثار برغامس فتمكنوا من جمع قطع هيكل قديم وعدة تراكيب · ووجدوا كثيراً من التماثيل والنقوش التي كان البرغميون يصفون فيها حوادثهم وحروبهم · منها تماثيل تمثل حرب الآلهة وابناء السماء الذين تمردوا عليهم · [illegible] وبيان ذلك ان فريقاً من عفاريت كانوا يدعون عندهم ابناء السماء والارض تمردوا على الآلهة ولم تكن تسمح لهم بالصعود الى السماء فصاروا يركبون جبلاً على جبل قصد الارتقاء اليها · فحاربت الآلهة دفعاً لهجماتهم واشتبك القتال بين الفريقين · وبغي عن [illegible] انتهى بانتصار الآلهة · وفي التماثيل التي وجدت في برغامس منظر الآلهة [illegible] يحاربون عفاريت [illegible] بعض اشكال في غاية الجمال · منها شاب من ابناء السماء يسقط مصعوقاً بضربة من [illegible] الآلهة المحكمة · وكل آثار هذه الفنون تدل على ان الفن البرغمي فن مستقل بذاته · لان الفن اليوناني الذي تقدمه كان يمتاز بالهدوء والسكينة لاعتماده على رقة صور الكمال في النقش · واما الفن البرغامي فاعتماده على الحركة والهيجان · ولذلك ترى اكثر آثاره منقوشة بحالة الحركة والهياج الشديد · ولكن في الفن البرغمي ما ليس في الفن اليوناني ككمال القدماء من ثم معرفة الجسم البشري وابراز حالاته النفسية باتقان غريب ·

﴿ الامبراطور غليوم ومتحفه ﴾ ويوم افتتح هذا المتحف الالماني في برلين تلا الامبراطور غليوم خطبة لانه يخطب في كل شيء · فقال ان الفن العصري المبني على الاصول الطبيعية العملية افضل من الفن القديم المبني على التصور والخيال · فرد عليه علماء الفنون بقولهم ان الفن الطبيعي الذي يطلب تمثيل الموجودات الحقيقية ان هو الا عبارة عن رد فعل للفن التصوري الخيالي ولذلك كان في آثار برغامس كثير من الفن الطبيعي · ـــ نقول وهذه الحرب بين الطبيعي الموجود وبين الخيالي الكمالي كائنة اليوم في كل مكان وفي كل فرع من فروع العلوم والفنون

باب الاخبار العلمية

﴿ كانت الخرطوم بحراً ﴾ بحث العلماء حديثاً في جيولوجية افريقية · وعندهم مذهبان فيها · المذهب الاول المذهب القديم وهو الاعتقاد بان البحر كان داخلاً

في صحراء ليبيا ممتداً من النوبة الى الخرطوم دون ان يصل الى بحيرة تشاد . والمذهب الثاني مذهب المسيو لابران احد اعضاء المجمع العلمي . فان الكابتن غاردن ارسل اليه حفريات وجدها في الصحراء الافريقية بين النيجر وبحيرة تشاد فظهر له انها شبيهة بكثير من الحفريات التي وجدت في نواحي باريز . فاستنتج من ذلك ان البحر لما كان غامراً باريز كان غامراً افريقيا حتى بحيرة تشاد والنيجر

هل هنود اميركا آخذون بالانقراض لا يألو المستر بوب والماجور بول الاميركيان جهداً في نقض ما يعتقده الناس من ان هنود اميركا آخذون في الانقراض . وقد اثبتا رايهما باحصاءات عديدة ونشر رسوم مدارس اولئك الهنود وصور عائلاتهم وطلبتهم فاذا بهم لا فرق بينهم و بين المتمدنين في شيء

التصوير الفوتوغرافي بالتلغراف عرض المسيو كورن على مجمع العلوم في باريز اختراعاً يقدر به وهو في مرسيليا ان يصور بالفوتوغراف رجلاً مقيماً في باريز وذلك بان يقف الباريزي امام سلك ممتد من باريز الى آلة الفوتوغراف في مرسيليا . ولكن هذا الاختراع لا يزال ناقصاً وهو آخذ في اكماله

علاج للتتانوس كانو يعالجون التتانوس بمصل يستخرج لهذا الغرض اما اليوم فقد ابلغ الدكتور كالمت مجمع العلوم انهم يستعملون بدل المصل مسحوقاً مصنوعاً منه ليتمكنوا من نقله الى اقاصي البلدان دون ان يطرأ عليه طارىء . ومما قاله في بلاغه هذا ان اي جرح يلحقه التراب او الوحل يمكن ان يصاب بالتتانوس اذ تكون ميكروباته كامنة في ذرات التراب .

قتل اللبن للاطفال بلغت وفيات الاطفال الذين يرضعون من الممصات الصناعية (الرضاعات) في باريز ٢٣٠ طفلاً في اسبوع واحد مقابل ٣٩ طفلاً يرضعون من الثدي . ولا سبب لذلك غير رداءة اللبن الذي يتناولونه لان تجاره يغشونه و يمزجونه بمياه فاسدة . فيجب الانتباه جيداً الى لبن الاطفال عندنا .

نفقة العائلة في اليابان بشهر واحد حسبوا ما تنفقه عائلة معلم من معلمي اليابان اذا كانت مؤلفة من زوج وامراة وولد فاذا به في شهر واحد ٢٨ فرنكاً . هذا مع ان اثمان المواد ارتفعت كثيراً بعد حرب اليابان مع الصين . فلا ريب في ان المعيشة في اليابان رخيصة جداً و ربما كانت شبيهة بمعيشة الشرقيين منذ ٤٠ سنة .

اولادهم واولادنا ذكرنا في باب المقالات (مصائف الاولاد) في

اميركا وهنا نذكر مكاتبهم · ففي بوسطن من اعمال الولايات المتحدة مكتبة للاولاد في الطبقة الثانية من المكتبة العمومية فيها نحو ١٠ الاف مجلة من كل ما يحب الاولاد الاطلاع عليه كالقصص والتواريخ والسياحات والصور والكتب المفيدة · وقاعة المكتبة تسع ١٥٠ ولداً وفيها فتيات لرعاية الاولاد واحضار الكتب لهم · وفي ايام الآحاد والاعياد يضاف رجلان لمساعدتهن لكثرة عدد الفتيان والفتيات الذين يتوافدون على مكتبتهم · وجميعهم يجلسون و يطالعون بكل لطف وادب · وكبارهم يأتون باخوانهم الصغار ليروهم الرسوم ويقرءوا عليهم بعض القصص · ولم يُذكر قط ان احدهم خطر له يوماً ان يسرق كتاباً او صورة من المكان · وقد بلغ في العام الماضي عدد الكتب التي طلبت ٦٤٦٨٦ كتاباً · ويجوز لهم ان ياخذوا بعضها الى الخارج ــ فلا عجب ان يصبح اولادهم رجالاً في كبرهم ما دام هذا هو الوسط الذي يربونهم فيه ويكون اولادنا على ما تعرف من احوالهم ما دام وسطهم القهاوي والحانات والشوارع والاجتماعات الفارغة التي يتعلمون بها سوء الخلق بالقدوة السيئة ·

باب التقريظ والانتقاد

الاحتلال في مصر والهند

اليتيم

بقلم جناب احمد افندي حافظ عوض

في مصر ــ وكل بلاد تحتلها سلطة اجنبية ــ حزبان · حزب يكره هذا الاحتلال لانه في منزلة القتل لحرية الامة · وحزب لا يرى امكان التقدم والارتقاء في مصر مع وجود العناصر المختلفة فيها الا بقيام سلطة عليا فوق جميع هذه العناصر لتساوي بينها مساواة مطلقة في الحقوق العمومية · والعادة انه اذا رسخت قدم الاحتلال وظهر انه لا أمل للبلاد المحتلة بالتخلص منه ان ينقسم سكان هذه البلاد الى ثلاث فئات : الاولى تتنفس الصعداء لأمنها على اشيائها وحينئذ تطلق اموالها من قيودها لتستثمرها في بلاد امينة وتبتاع الاملاك والاطيان وتؤلف الشركات اي تعمل عمل مقيم اقامة نهائية · والثانية تبقى مطالبة بحق الحرية والاستقلال

وحكومة الذات بالذات والوعود والعهود وذلك باسم المبادىء الطبيعية الابدية التي لا يجوز نقضها · والثالثة ترى ان القوة هائلة لاتقاوم فاذا قاومت خسرت الفوائدالتي تنتج عن المسالمة فتدير الظهر للاستقلال وتعمل على طلب الفائدة ــ ولكل فريق من هؤلاء الثلاثة حجج قوية يؤيد بها رأيه ·

وامامنا الآن كتاب صغيرالحجم كبير الفائدة عنوانه « هنا وهناك » بقلم جناب احمد افندي حافظ عوض احد محرري جريدة المؤيد · وموضوع هذا الكتاب بحث في حالة الاحتلال في الهند ومقابلته بالاحتلال في مصر · ويظهر من مطالعة صفحاته ان جناب المؤلف من الفئة الثانية وبذلك يكون على خلاف مع جريدته لانها صارت في المدة الاخيرة في جملة الفئة الثالثة · قال جنابه في الصفحة ١١ « والذي يطالع الجرائد التي يحررها الهنود انفسهم باللغة الانكليزية يتوهم من اول وهلة ان الانكليز اصلحوا البلاد الهندية تماماً ورقوا اهلها ونظموا امورها لما يقرؤه من الثناء والمدح في سياسة انكلترا فيقول الانسان اذا كان هذا ما يقوله الهنود انفسهم فهو اعظم برهان على تقدم البلاد الهندية وارتقاء احوالها واصلاح امورها · ولكن الباحث المدقق الذي لا يأخذ الامور بظواهرها لا يكتفي بذلك · وحقيقة انه لا يكاد يفرغ الانسان من تلاوة اقوال المدح والثناء والتبجيل والاجلال لانكلترا واعمالها حتى يجد في الصحيفة التالية او في النهر التالي لما قرأه من الجريدة شكوى من القحط او المجاعة او الفقر او سوء الادارة في الحكومة الهندية مصحوباً كل ذلك بالتعطف والرجاء وان شئت فقل بالمدح والثناء حتى يكاد يضيع صواب القارىء ولا يعرف اي القولين يصدق عن اعمال انكلترا · واذا طالع الانسان الجرائد التي يحررها الانكليز يجد في كل صحيفة وفي كل نهر من الجريدة ما يراه في بعض الجرائد المصرية التي اخذت على نفسها ان تبرر اعمال الانكليز دائماً بغير تمحيص او تدقيق وتحرق لهم بخور الثناء في كل صباح ومساء وهو ما لا يحبه ولا يقول به الانكليز انفسهم » · وقال في الصفحة ١٤ « وما غرضي من ذلك بعد ان امتنعت زمناً طويلاً عن الكتابة في السياسة قاصراً نفسي على المباحث الاجتماعية والادبية وما يجري مجراها الا خدمة بلادي بان اوضح للناس حقيقة اعمال الانكليز في الاقطار الهندية ليكونوا على بصيرة من حاضرهم ومستقبلهم اذ ان المثال اوضح من النظرية والواقع اصدق من كل شيء · فانا اعتقد ان الهند هي خير مثال لسياسة انكلترا وكل ما يصدق عليها او ما تم لها يصدق علينا او سيحصل لبلادنا عاجلاً او آجلاً » · وقال في الصفحة ٥٨ « سترى من الجدول الآتي هل صدق الانكليز في وعودهم مع الهنود حتى تنتظر منهم الصدق في عهودهم

معنا . ولا يفلح شعب يسلّم نفسه لغيره سياسياً ومالياً وادبياً وتجارياً »

وفي هذا الكتاب فوائد كثيرة موءيدة بالارقام عن الهند وسياستها وتجارتها ونهضة العنصر الاسلامي فيها فنحث القراء في الهند على اقتنائه ومطالعته

اما اليتيم فهي رواية صغيرة للموءلف نفسه ايضاً وقد كتبها عند خروجه من المدرسة واعادت طبعها الآن مسامرات الشعب . ويظهر ان اكثر هذه القصة كانت عن نفسه

البوءساء

تعريب حضرة الشاعر المشهور حافظ افندي ابراهيم

كتاب « الميزرابل » اشهر كتاب لفيكتور هيغو . بعضهم يرفعه الى السحاب فوق كل كتاب وبعضهم يضعه في مرتبة باقي الكتب الجليلة الاعتيادية . قال المسيو بول بورجه احد رجال الاكاذمية الفرنسوية في مقالة كتبها بالفرنسوية لجريدة التيمس ونشرتها هذه الجريدة في يوم الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على ولادة هيغو « ان فيكتور هيغو لم يبتدع شيئاً مهماً في هذه الرواية . بل كل ما ذكره فيها سُبق اليه . فان الراوي اوجين سو سبقه الى وصف مكنونات باريز وشقائها وطلب الرحمة لصعفائها . غير ان الشيء الوحيد الذي اخترعه هيغو في روايته هو الصبي كفروش الذي وصف فيه صبيان الازقة في باريز وصفاً صار مضرب المثل »

ولكن مهما قيل في رواية « الميزرابل » فانها تبقى عبارة عن محكمة اجتماعية عظيمة خاصم فيها فيكتور هيغو وحده الهيئة الاجتماعية الحاضرة وجعلها تنكس رأسها واجبر المحكمة بالحكم عليها . وقد سرّنا ان جناب الشاعر المشهور حافظ افندي ابرهيم اقدم على تعريب هذه الرواية وابرز الجزء الاول منها . ونحن على ثقة من انه متى اتمّ جنابه تعريبها واطلع قراء الشرق على موضوعها بالتمام فقلما يجدون فيها امراً غريباً من حيث الاخلاق الفاضلة المقصود وصفها لان تصورات الشرقيين قريبة جداً من التصورات الدينية والانسانية التي هي جمال هذه الرواية وذلك لتمسكهم بشرائعهم الدينية ورؤيتهم في تاريخها كثيراً من الاعمال الجليلة التي بالغ المؤلف في وصفها واطرائها

ونحن نشكر لجناب المعرب الفاضل خدمته الادب . اما زجوان يسمح لنا بملاحظة صغيرة . وهي ان طريقة هيغو في الكتابة كانت طريقة الرومانتيك ولقد كان هيغو زعيم هذه الطريقة في فرنسا وهو الذي نصرها على طريقة الكلاسيك بروايته هرناني كما شرحنا ذلك في ترجمته

في الجزء السابع من السنة الثالثة (الصفحة ٤٣٥) فلو قام اليوم هيغو من قبره ورأى ان مترجمه قد ترجم كتابه بطريقة الكلاسيك لاستاء كثيرًا منه لانه كان اعدى اعداء هذه الطريقة التي تأسر روح الكاتب وتحمله يهتم بالالفاظ اكثر من اهتمامه بالمعاني ·
ونحن نرجو مع محيي هذه الرواية الاجتماعية ان يعدل عن هذه الطريقة في اجزائها المقبلة ويحرص على الاصل ويتابع تصورات هيغو الفلسفية اذا كان يحرص على جمال الرواية ويروم ان تروج في اللغة العربية رواجًا حقيقيًا · والاَّ فانه يجني على المعلّم هيغو جناية لا نظنه يرضاها له اذ يجعله صغيرًا حتى بازاء الكتَّاب المعاصرين فضلاً عن المتقدمين

لحن كيوتزر

تاليف الفيلسوف تولستوي وتعريب جناب رءول افندي سعاده

نشرت رصيفتنا جريدة المناظر الغراء في سنتها الماضية رواية للفيلسوف تولستوي معربة بقلم جناب رءول افندي سعاده عنوانها « لحن كيوتزر » · واتفق اننا في ذلك الحين كنا نقرأ جريدة الطان فرأينا فيها عن هذه الرواية خبرًا غريبًا · وخلاصة هذا الخبر ان احد ناشري الكتب في الولايات المتحدة نشر هذه الرواية فيها فكان لها دوي شديد ونفدت نسخها كلها في شهر واحد · وقد سرت مبادئها في نفوس قرائها فكره كثير من الازواج المعيشة الزوجية الاعتيادية وصاروا يميلون الى معيشة العفاف حتى مع زوجاتهنَّ لانَّ من مبادىء تولستوي ان اجمل واشرف معيشة يعيشها الرجل هي المعيشة بعيدًا عن المرأة وقد قال : ان المسيح بقوله « من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنا في قلبه » قصد به كل امرأة حتى الزوجة ايضًا · وعلى هذا بنيتْ هذه الرواية

فلما رأى ناشر هذه الرواية رواج روايته الى هذا الحد · كتب الى تولستوي كتابًا طويلاً يطلب منه رواية اخرى · وبعد ان ذكر له ذلك الرواج المظيم الذي اصاب روايته قال : وبناء على هذا فانني اقدّم للفيلسوف ثلاثة ريالات اميركية عن كل كلمة من روايته الجديدة مهما كان عدد صفحاتها

ولكن هل يعلم القارىء ماذا كان جواب تولستوي على هذا الطلب ؟ اليك خلاصة جوابه · قال : بما انك تربح من رواياتك الى هذا الحدّ فيجب عليك ان تخفض قيمتها للناس · اما انا فلا ابيع كتاباتي بالمال

قال الكاتب الذي روى هذا الخبر : ولكن ما ضرَّ تولستوي لو قبل تلك العطية الملوكية

ثم وهبها للفقراء والمحتاجين ما دام في غنى عنها

وقد جمعت رواية « لحن كيوتزر » على حدة بعد نشرها في جريدة المناظر وقدّم لها حضرة معربها مقدمة اجاد فيها حيث قال « ولكن اذا كان الفكر هو الذي يصنع الرجل كما قال شاتوبريان ولا يستطيع ان يقاتل ذلك الفكر الا الفكر نفسه كما قال بنجامين كو نستان فعبثاً يحاول جماعة من الروس الضغط على استاذنا الاعظم تولستوي وعلى مؤلفاته » ثم قال « وعند ما ثار عليه اضداده جاءه صديق واخبره بما ينسبون اليه وبما يعيرونه به فابتسم وامسكه بيده واخرجه الى خارج البيت وكان اذ ذاك وقت الهاجرة وقال له مشيراً الى الشمس — هل ترى هذا الكوكب العظيم الذي يسبح في الفضاء فوق رؤوسنا لا يحجبه عنا شيء . فقال نعم اراه — فقال له — هل يمكنك ان تحدق نظرك فيه جيداً . فقال كلا لان الاشعة القوية المنبعثة عنه تضرّ بباصرتي . فقال له الفيلسوف وهكذا الحقيقة تظهر واضحة لكل الناس ولكن لا يتجرأ الكل على الجهر بها لانها تجرح

فنحن نشكر حضرة المعرب لاخراجه هذه الرواية الجميلة الى اللغة العربية . انما كنا نود لو حذف من بعض صفحاتها بعض العبارات التي « تخدش الآذان » كما يقولون . نعم نحن لا نجهل ان الرواية كلها مبنية على « ذلك الموضوع » ولكن ما هذا بعذر لها عندنا اذ كان في الامكان الاكتفاء باشارات خفيفة اليها . واما عذرها الحقيقي عندنا ان القارىء يكره « ذلك الموضوع » وينفر عنه بعد وقوفه على عباراته بدل ان يتهيج له ويميل اليه . وهذا هو السر في التهذيب والفائدة من المطالعة

وستلخص « مجلة السيدات والبنات » في جزئها الآتي شيئاً من هذه الرواية لانها رواية نسائية محضة

✻ **الخطوة الاولية** ✻ لقد خدم جناب شكري افندي الخوري ابناء وطنه في البرازيل خدمة تذكر فتشكر بوضعه لهم كتاباً يتلقون به اللغة البرتغالية اللغة الشائعة في تلك البلاد . وقد بدأ كتابه بمقدمة هذه فاتحتها « يستغرب الواقف على هذا الكتاب اذا كان يعرف جامعه معرفة شخصية ويعرف عدم تضلعه باللغة البرتغالية . اما انا فاقول ان هذا الضعف في معرفتنا لغة البلاد كان الحامل على نشر هذا الكتاب » . فنحن نشكره بلسان المهاجرين الذين يحتاجون الى كتابه على هذه الخدمة المفيدة

✻ **اللائحة الجلية** ✻ هي خلاصة اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت في السنة الماضية . وقد طبعت بمصادقة سيادة الحبر الجليل السيد جراسيموس مطران بيروت وتوابعها ومنها

يؤخذ ان دخل الجمعية بلغ اكثر من ١٩٣ الف غرش ونفقاتها اكثر من ١٢٣ الفاً منها ١٧ الفاً احسانات شهرية وغير شهرية و ٥٨ الفاً رواتب اساتذة و ١٩ الفاً لابنية جديدة و ٩ الاف رسوماً اميرية . والذي سرنا في هذه الارقام ان نفقات التعليم تبلغ اكثر من ثلث النفقات العمومية فيا حبذا لو كانت تزيد على نصفها فان كل ما ينفق في هذا السبيل يذهب في احسن طريق سواء كان ذلك لزيادة عدد المدارس وترقية التعليم او كان لمكافأة المعلمين الافاضل الذين يبذلون دماءهم في مهنة هي اشق المهن واجلّها

❋ **الخدمة المدرسية** ❋ اهدانا حضرة الفاضل جرجس افندي الخوري المقدسي (ب ٠ ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام نسخة من كتابه المدرسي « الخدمة المدرسية في تسهيل قواعد اللغة العربية » وقد توخى فيه تسهيل قواعد الصرف والنحو للمتعلمين المبتدئين بناءً على اختباره الطويل في صناعة التعليم . فنحث المعلمين على الاطلاع عليه ومقابلته بالكتب التي بين ايديهم لعلهم يجدون فيه من السهولة ما هو ضالتهم المنشودة . وهو يطلب من جناب مؤلفه في طرابلس الشام .

❋ **النجم** ❋ هو كراس وضعه حضرة كامل افندي الخلعي وفيه ملح وفكاهات وحكم منها : كان رجل مصارع يكون ابداً مصروعاً . فترك الصراع وتعلم الطب . فقال احد الفلاسفة : الآن يصرع الناس .

❋ **الفتى الريفي . غادة الربيع** ❋ اهداناجناب الناظم الناثر محمود افندي خيرت معاون مركز ادفو وصاحب القصيدة الرقيقة في هذا الجزء نسخة من روايته « الفتى الريفي » التي نشرها في مسامرات الشعب واخرى عنوانها « غادة فصل الربيع » فنشكر هديته ونثني على اجتهاده في خدمة الأدب .

❋ **الفتاة اليابانية** ❋ هي الرواية السادسة عشرة من روايات مسامرات الشعب لواضعها جناب حسن افندي رياض في نظارة المعارف العمومية . وقد كتب عليها انها « تأليف » لا تعريب فاذا كان حضرة واضعها الفاضل قد عانى مشقة وضعها من غير اعتماد على رواية اجنبية فقد كان الاسهل له ان يؤلف رواية عن الفتاة المصرية بدل الفتاة اليابانية وحينئذ يكون الاقبال على روايته اكثر مع ان مشقة التأليف واحدة في الروايتين .

❋ **جمعية تهذيب الشبيبة السورية** ❋ اسست في بيروت جمعية بهذا العنوان وغرضها « تهذيب الاحداث السوريين في المدارس العالية بقطع النظر عن مذهبهم وموطنهم » وقد وردتنا نسخة من قانونها فنرجو لها النجاح

ثمن النسخة الواحدة فرنكان واجرة البوسطة غرش صاغ

الدين والعلم والمال

المدن الثلاث

ذكر مدينة الدين ومدينة العلم ومدينة المال وما جرى بين سكانها من النزاع ودعاوى كل فريق منهم على خصمه وكيف انتهت مشكلتهم التي هي اليوم أكبر المشاكل عند كل الامم والشغل الشاغل لفلاسفة العمران ورؤساء الحكومات

تأليف

فرح انطون

منشىء مجلة (الجامعة)

« سيحذر العالم من يوم يصير فيه
« الضعفاء اقوياء والاقوياء ضعفاء

الاسكندرية في ١ لوليو (تموز) سنة ١٩٠٣

فهرست الكتاب

المقدمة

من الروايات ما يُنشأ للتفكهة والتسلية ومنها ما يُنشأ للافادة ونشر المبادىء والافكار . والذين انشئوا رواياتهم للافادة في الغرب معدودون في مقدمة مشاهير المؤلفين كتولستوي وزولا وكيبلنغ وغيرهم . فان كل واحد من هؤلاء الكتاب لا يرى في وضع الروايات خطة وضعة بل يعتبر الرواية منبرًا ينشر منه آراءه وافكاره بطريقة تبلغها الى اذهان القراء بسهولة . ونحن في الشرق محرومون هذه الطريقة لعدم رواجها لاسباب لا محل لذكرها هنا . ولذلك كانت الروايات التي تُنشر عندنا لا غرض منها غير التفكهة الا بعضها

ولما وصلنا في ابراز مواد « الجامعة » الى المواضيع المهمة التي تكمّل مباحثها السابقة خطر لنا ان نهجر اسلوب المقالات المتقطعة والفصول المتفرقة الى اسلوب الرواية لانه اجمع واوعى فضلاً عن كونه اشد تاثيرًا واحسن وقعًا . فعزمنا بحوله تعالى على ابراز عدة روايات كل واحدة منها تبتدىء وتنتهي في جزء واحد تسهيلاً لمطالعتها واستيعابها لان الانتظار يقطع الرغبة فيها . وسيكون اهتمامنا فيها بالمبادىء والافكار مقدمًا على الاهتمام بالحوادث والاخبار . ولكن هذا لا يمنع من التزام ما تقتضيه الروايات من الوصف وتصوير العواطف والحوادث تصويرًا طبيعيًا لان فن الروايات فنٌ بسيكولوجي جماله وتاثيره متوقفان على حسن سبكه ولطف اسلوبه ودرس باطن الانسان واخلاقه وبثه درسًا دقيقًا

وهذا الكتاب « الدين والعلم والمال » هو الرواية الاولى من هذه الروايات . وموضوعه معروف من عنوانه . وقد سميناه هنا (رواية) على سبيل التساهل لانه عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في علائق المال والعلم والدين وهو ما يسمونه في اوروبا « بالمسالة الاجتماعية » وهي عندهم في المنزلة الاولى من الاهمية لان مدنيتهم متوقفة عليها

وربما قيل ان هذا الموضوع غير لاصق بنا كل اللصوق لان « المسألة الاجتماعية » لا تزال صغيرة عندنا . فالجواب ان هذه المسائل هي مدخل للمباحث التالية في الكتب التالية . ذلك لان المباحث الاجتماعية والفلسفية مرتبطة في الحقيقة بعضها ببعض فلا يمكن تحقيق احدها دون الغوص الى اعماقها لمعرفة اساسها . وقد اظهرنا الاساس في هذا الكتاب . فعسى ان ينال من رضى ساداتنا القراء والكتاب ما ينشطنا في خدمتنا

الاسكندرية ١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ « المؤلف »

الفصل الأوَّل



والمدن الثلاث التي كان يحج اليها الناس

فقال له الشيخ وهل تقيم عندنا طويلاً يابنيّ

فاجاب الشاب نعم ياعم فاني جئت من اقاصي البلاد لاشاهد المدن الثلاث التي صار يذكرها الركبان . وربما استغرقت اقامتي عندكم شهرًا على الاقل . لانني سازورها واحدة واحدة وابحث في شؤونها بحث مؤرخ دارس لا بحث متفرج

فتنفّس الشيخ الصعداء وقال . اف اف كم يزور الناس هذه المدن الثلاث . فهم يظنونها عجيبة من عجائب الدنيا مع اننا نحن لا نراها الاّ مدناً كباقي المدن . انظر اليها اي فرق بينها وبين باقي المدن سوى قيامها في هذا السهل الفسيح بشكل مثلث

فنظر الحاضرون الى حيث اشار الشيخ فشاهدوا امامهم سهلاً فسيحًا لا يعرف الطرف آخره . وكان في هذا السهل ثلاثة بلدان جميلة البنيان محاطة من كل جهة بالحدائق والبساتين والحقول الصفراء من منظر الزرع تتخللها المواشي المختلفة وهي ترعى بحراسة فتيان وفتيات كانوا جالسين افرادًا وازواجًا وجماعات تحت الاشجار المثمرة او في ظل بعض السياجات

فقال الشاب بعد ان سرّح طرفه في هذا المنظر البرّي . حقًا انه منظر بديع

وكان المكان الذي يقيم فيه الشاب والشيخ مع بعض من الزائرين منزلاً صغيرًا في قرية صغيرة قريبة من « المدن الثلاث » وكانت هذه القرية في اول السهل على مقربة من

النهر الجميل الذي كان ينساب في السهل انسياب الافعى ليسقي زروعه واشجاره . وقد سمى الناس هذه القرية « الدخول » او قرية الدخول لانها المدخل الى المدن الثلاث — الى تلك البقعة التي كان يحسبها الناس جنة الله في ارضه

فبعد ان امعن الشاب النظر قليلاً في المدن الثلاث التفت الى الشيخ وقال : هل تعرف ياعم تاريخ تأسيس هذه المدن بالتدقيق

فاجاب الشيخ : كل الناس هنا يعرفون هذا التاريخ يا بنيّ لانهم لا ينسون ذكر ذلك الرجل الكريم والانسان الذي لا مثيل له بين البشر مؤسس هذه المدن ومنشئها . انظر الى تلك الحديقة البعيدة الكائنة في وسط المدن الثلاث . هذه حديقته وقد اقام لها فيه اهل هذه المدن تمثالاً عظيماً يحتفلون بتذكاره مرة في كل عام

فقال الشاب انك تتكلم عن المرحوم الشيخ سليمان فاحكِ لي قصته وقصة تأسيس هذه المدن من اولها

فسعل الشيخ قليلاً واصلح جلوسه فوق الوسادة ثم اخذ يقول

منذ نحو مائة سنة يا بنيّ كان الشيخ سليمان فتى فقيرًا يتيماً يتجول في المدن يطلب عملاً . فذاق في صباه كل انواع العذاب في هذه الحياة . ومما كان يزيد عذابه نفسه الحساسة الكبيرة طبقاً لما قيل

وانعس الناس حالاً من تكون له نفس الملوك وحالات المساكين

ولكن يظهر ان العناية الالهية يا بنيّ لا تخصّ بعض هذه النفوس بالشقاء والنقم والعذاب الا لمقاصد سامية . فانه اذا كانت المصائب تسحق النفوس الصغيرة وتفلّ عزائمها فانها تشدّد عزائم النفوس الكبيرة لانها تعلّمها بالاختبار ما لا تتعلمه بسواه . فهي كالعود الطيب الذي لا تنتشر رائحته الامق مسته النار او كالزيت الذي لا يضيء الا بالاحتراق . وهذا ما جرى للشيخ سليمان . فانه بعد ان ذاق من مصائب الحياة ما ذاق في ابان الفقر والضيق لم تسمح له طبيعته الكريمة ان ينسى ذلك في ايام الثروة والرخاء

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

ولذلك كان همه اول ما اثرى وجمع مالاً طائلاً ان يقوم بمشروع كانت تحدثه نفسه به منذ صباه . فانه في ذات يوم اعلن في البلاد كلها اعلاناً غريباً الصقه في الشوارع وفرقه في الناس وبعثره في الطرق والاسواق . ومحصل هذا الاعلان ان كل فتى وكل فتاة يجولان في الشوارع بلا شغل ولا رزق اذا قصداه فانه يعطيهما شغلاً ورزقاً واسعاً . فلم يمضِ على

هذا الاعلان اسبوع واحد حتى بلغ عدد الفتيان الذين قصدوه ٣٢٤٥ فتى وعدد الفتيات ٣١٢٠ . فاشترى الشيخ سليمان هذا السهل الواسع الذي امامنا ومساحته ٥٠٠٠ فدان واسكن اولئك الفتيان والفتيات فيه واحضر لهم زراعاً وصناعاً يدربونهم على الزراعة والصناعة واقام منهم حكومة لهم وسن لهذه الحكومة قوانين وجعل فيها قضاة وجنداً ورئيساً اعلى . نعم ان ذلك كان مضحكاً في بدء الامر ولكنه لم يلبث ان صار جدياً معاً . فان اولئك الفتيان والفتيات الفقراء الذين اجتمعوا من كل الجهات انتقلوا بهذه المعاملة من حالة الى حالة . فبعد ان كانوا مثلا يجمعون اعقاب السكائر من الشوارع والاسواق ليبيعوها الى تجار الدخان او يطوفون المدينة بالنهار باثواب بالية قذرة يستعطون قوتهم او يطلبونه من فضلات المنازل في المزابل وفي الليل ينامون اكداساً اكداساً في زوايا الطرق على البلاط البارد حتى في اشد ليالي الشتاء برداً كانهم حيوانات لا بشر — صاروا يشتغلون بشرف واجتهاد في اماكن معدة لذلك ويلبسون من اجرة شغلهم ثياباً نظيفة ويتغذون باطعمة مغذية . ولم تعد ترى في عيونهم ذلك القلق الشديد الذي كان فيها حين كانوا في تيار تلك المعيشة الهائلة التي لا يكون فيها الانسان على ثقة حتى من بلغة يسد بها رمقه في المساء او في الصباح لتدوم له حياته . بل حل محل ذلك القلق طمانينة تامة لثقة ذلك العامل الصغير بان حياته صارت مضمونة . ولذلك صار يبتسم للحياة ابتسام الراحة والارتياح بعد ان لم يكن يبتسم من قبل الا ابتسام عدم المبالاة بشيء حتى بالحياة . ومما زاده راحة وسعادة حكومته نفسه بنفسه تحت مراقبة الشيخ سليمان وصيه . فانه لم يمر على هؤلاء الاولاد نحو سنة من الزمان حتى صاروا يشعرون بالتبعة التي عليهم ولذلك صاروا يراعون الحدود في سلوكهم . ومن هذا اليوم يبداء تاريخ نهوضهم من عثرتهم

فقطع الشاب كلام الشيخ وقال : اذاً اجداد سكان هذه المدن الثلاث كانوا من فضلات الازقة والشوارع

فقال نعم يا بني ولكن تذكر ان الورد لا ينبت الا من الشوك والنرجس لا يخرج الا من بصل . على اننا نحن سكان هذه القرية كنا نود لو اقتصر سكان هذه المدن الثلاث على المعيشة التي عاشها اجدادهم اولئك الفتيان العاملون لان في ذلك راحتنا من الاضطرابات والفتن التي قام قائمها بين السكان في الازمنة الاخيرة . فاولئك الفتيان كان لا هم لهم غير زراعة ارضهم واتقان مصنوعاتهم والمعيشة بسلام بعضهم مع بعض . اما اصحابنا هؤلاء فان دابهم النزاع والخصام . نعم الآباء ولكن بئس ما ولدوا

فقال الشاب وما سبب نزاعهم وخصامهم

فقال الشيخ انت ترى يا بنيَّ ان هذه المدن ثلاث . فاحداها تُدعى مدينة المال لان اهلها كلهم يشتغلون بجمع المال . والثانية تدعى « مدينة العلم » لان اهلها كلهم يشتغلون بالعلم . والثالثة تدعى « مدينة الدين » لان اهلها كلهم منقطعون الى الدين . وقد حدث هذا الانقسام على ما ترى منذ زمن بعيد . فان اولئك الفتيان والفتيات الذين اسسوا هذه الجمهورية الصغيرة بعد اشتغالهم بزراعة الارض واتقان المصنوعات اصابوا نصيباً من الثروة والسعة . فلما تزاوجوا وتكاثروا جاء ابناؤهم ارقى منهم واكثر ميلاً الى الشؤون المعيشية . فعكف بعضهم على التجارة وبعضهم على العلم وبعضهم على الادب وبعضهم على الدين — كل بحسب استعداد نفسه وقابليتها . فلم يمر زمن طويل حتى قام النزاع بينهم على ساق وقدم . فارتأى بعض منهم زيادة في توسيع المعيشة على السكان ان ينشئوا بلدتين اخريين قريبتين من البلدة الاصلية . ثم رغبةً في حصر النزاع في مكان واحد او منعاً للنزاع قرروا ان تسكن كل طبقة في بلدة . فطبقة المال تسكن في البلدة الشرقية وطبقة العلم في البلدة الغربية وطبقة الدين في البلدة الجنوبية . ولكنَّ هذا التدبير قد ذهب سدى بلا جدوى لانَّ النزاع ما زال قائماً بينهم

الفصل الثاني



الحب

في قلب لم يعرف الحب

وكان الشاب الذي القى على عمه الشيخ تلك الاسئلة في نحو الثلاثين من العمر وقد جاء سائحاً لمشاهدة هذه المدن الثلاث التي سمع بها من بلده . وكان رجلاً قد درس علوم المتقدمين والمتاخرين ووقف على المبادىء القديمة والحديثة وصار يطلب ضالته بينها على غير فائدة . فلا المدنيات القديمة كانت تعجبه لان حقوق الضعفاء كانت مهضومة فيها وبناءها قائم على القوة والعسف . ولا المدنيات الحديثة كانت ترضيه لانها جعلت الحياة عراكاً هائلاً وجهاداً عظيماً بين الناس . وكان وهو في المدرسة قد لاح في ذهنه عصراً يسميه مؤرخو اليونان العصر الذهبي ويسميه كتاب المسيحية عصر الفردوس الارضي فبقي منه في فكره

اثر كان يحضر فيه كلما رأى زحام الحياة وجهادها بين افرادها . فلما سمع بهذه المدن الثلاث ومعيشة سكانها في وسط الطبيعة معيشة خالية من ادران الاجتماع ورذائله خُيل له انها بداية العصر الذهبي الموعود به الانسان في الارض (١) فقال في نفسه : فلنذهبن لمشاهدة تلك البقعة التي ابتدأ بها العصر الذهبي فانه قد آن للانسانية في الارض ان تصل اليه وتجد شيئاً من الراحة بعد جهاد القرون الماضية

لكن لما سمع الشاب ما حدّثه به الشيخ عن نزاع تلك المدن الثلاث سقط امله وخاب ظنه . على انه كان من الذين يستفيدون من كل شيء . فقال في نفسه : اني مولع بدرس كل ما له علاقة بتنازع المال والعلم والدين . فربما قدرتُ في هذه المرة على اكتشاف اسرار جديدة بهذا الشان . بل ربما كان تنازع هذه المدن الثلاث المنصوبة احداها تجاه الاخرى كمنجانيق للحرب مؤدياً الى حلّ لهذه المشكلة القديمة

وبينما كان الشاب يفكر في هذه الامور واذا سأله الشيخ : متى تدخل الى هذه المدن ياولدي حليم . فاجاب الشاب : سادخلها غداً . فقال الشيخ وهل تعرف فيها احداً يا بنيّ . فتنهد حليم واجاب مبتسماً كلا . فقال الشيخ : لقد رابني في جوابك شيئان . تنهدك وابتسامك فاصدقني . فزاد حليم في الابتسام وقال : وما يمنع من ان اصدقك لو كنت اعرف فيها احداً

الا ان حليماً لبث بعد هذا الجواب مبهوتاً . وقد تنهّد هذه المرة تنهداً لم يدع عمه الشيخ يشعر به وشخصت عيناه حينئذ الى المدينة الشرقية — مدينة المال . ثم انتقلت من مدينة المال الى حديقة واقعة تجاه القرية على شاطىء النهر عند مدخل السهل . ولما وقع نظره عليها اغمض عينيه كما يغمضها من لا يريد ان ينظر ما امامه او من يريد ان ينظر في داخله صورة نفيسة مخبوءة فيها . وكان غرض حليم الامرين معاً

وكان مع حليم رفيق اكبر منه سناً وافخم منه جسماً . فلما شاهد حركاته هذه ابتسم له . فتوردت وجنتا حليم لهذا الابتسام لانه فهم معناه . فخشي رفيقه ان يكون قد اساء اليه بهذه الاشارة فمال نحو اذنه وهمس فيها قائلاً على سبيل المداعبة : اما تظن ان العصر الذهبي قد ابتدأ

فازدادت حمرة جبين واجاب صديقه ضاحكاً : مهما كان في عبارتك من التهكم فانها مقبولة لانها اختراع جميل

فقال له صديقه على سبيل المداعبة ايضاً : انت اجمل يا صاح . ولكن لا تله نفسك

«١» ملكوت الله

الآن بهذا الكلام عن الامور المهمة — ثم اشار نحو الطريق

فلفت جميل نظره الى حيث اشار صديقه فتمشى قلبه في صدره لمنظر رآه بعيداً · ذلك انه شاهد خمسة جياد عليهن خمس فتيات يركضن عليهن خبباً · فطار نظره في الحال الى التي تلبس ثوباً ابيض بينهن · فرآها تسير في الوسط وهي اخفهن حركةً وجوادها اسرع حطىً · فلبث شاخصاً نحوها · اما صديقه فتركه في مناجاته ولم يزعجه هذه المرة بالمزاح الثقيل لانه كان يعلم ان النفوس الحساسة المخلصة لا تطيق المزاح احياناً في بعض الاشياء· ذلك ان المزاح سهمٌ يخدش دائماً وان كان خدشه خفيفاً · والرجل الكريم يغار على ما هو نفيس عنده ومحبوب ان يُخدش حتى بوردة · ومن الغريب ان سوءالاً واحداً كان في تلك البرهة يشغل فكر حليم وفكر صديقه معاً · وهذا السوءال هو · هل تلتفتُ الفتاة الى النافذة ام لا · الا ان حليماً كان يشك في التفاتها · واما صديقه فانه كان على يقين منه· ذلك لانه راى منها في البستان الذي شاهداها فيه مع رفيقاتها قبل وصولها الى هذه القرية ما لم يرَه حليم منها · وكانت عائلة ابيها سينزلان في ذلك المنزل · ولكن مع ذلك صدق ظن حليم وخاب ظنه هو · فمرّت الفتاة مع رفيقاتها في الطريق البعيدة دون ان تلتفت الى النافذة

وكان حليم شاباً كريماً · وكان قد صرف عمره في مطالعة الكتب وانتقاد احوال الاجتماع · ومن سوء حظه لم تعرض في طريقه فتاة تريه خطأً ذلك الانتقاد · ولذلك كان حليم الى تلك الساعة بلا حب · ولكن لا يجب ان يُستدل بهذا القول على ان قلبه كان جامداً كالحجارة ولذلك لم يتحرك قبل الان · كلا · ان قلب حليم كان بسلاسة الماء ولطف النسيم ولين الشمع · ولكنه لم يكن يجد في طريقه من تقدر ان توءثر عليه وتحرك هذا القلب · فهل الذنب ذنبه في هذا الامر ام ذنب الناس · وكيف تريدون من النار ان تشتعل اذا لم يكن هنالك حرارة الاشعال او من الحديد ان يُجذب اذا لم يكن هنالك مغناطيس لجذب · وقد كان يُقال له احياناً : كيف يمكن ان تحب وتتزوج اذا بقيت بعيداً عن الناس كما انت · هل الحب هواء يطير ويدخل في الاجسام ليأتيك وانت بعيد عنه بين المحابر والالوان والاقلام · كلا · اذاً فعاشر وساير ان رمت ان تحب · اما هو فقد كان يجيبهم باسماً : انني من الذين يقرأون الرسالة من العنوان ويعرفون الشجرة من الثمرة · فانا في وادٍ ونساوءكم وبناتكم في وادٍ · على انني لست الوم النساء اذا لم يفهمن اخلاقي وعواطفي ما دام الرجال انفسهم لا يفهمونها · فالانفراد عن هذه الهيئة الباطلة الكاذبة التي نعيش

فيها غير مبالين بها ولا بمسراتها ولا بآمالها — لانها تختلف عن مسراتنا وآمالنا — خير من الانضمام اليها وسريان عدواها الينا

ولذلك كان حليم يقابل السيدات بلا مبالاة ولا مجاملة كما يقابل الرجال . وبينما كنت ترى جميع الشبان في الحفلة يطوفون بكراسيهم اجمل السيدات والبنات ويبذلون جهدهم في خدمتهن كأنهم كلاب صيد لاشان لهم في الجلسة الا احضار ما يطلبنه اونداء لا غرض لهم الا بسطهن وتسليتهن — كنت ترى حليماً جالساً في زاوية يضحك من اولئك وهؤلاء ويتسلى بمراقبة الحركات الباردة والكلمات الشاردة والنظرات الجاهدة — وعند كل واحدة منها كان يضحك في نفسه ويقول : ما اكذبك ايها الانسان

ولكن لما قدم حليم في هذه المرّة الى هذه القرية قاصداً السياحة في المدن الثلاث ووجد في طريقه قبل الوصول الى القرية تلك الفتاة بين رفيقاتها — تغير وجه المسالة في نظره . والغريب ان هذا الوجه قد تغيّر بلا سبب مغير اي من غير ان يحادث حليم هذه الفتاة ويختبر اخلاقها ليعرف ما وراء جمالها وهل هي ارقى من بنات بلده حقيقة تستحق ميله وحبه . فهل ترى كان ذلك التغيير من تاثير السفر على الاخلاق لانه يهيئها لقبول كل تاثير يعرض لها لانها تكون في حاجة اليه في غربتها ؟ ام ذلك لميل النفوس دائماً الى البعيد ونبذها القريب المالوف طبقاً لقول العامة « الدبر القريب لا يشفي » ؟ ام ذلك لان عواطفه المضغوطة في قلبه قد وجدت هذه المرة منفذاً ففاضت رغماً عنها اذ طال بها عهد انتظار الحب وهو لا يأتي ؟ ام ذلك لان علم حليم بان تلك الفتاة من احدى المدن الثلاث قد جعل لها في نفسه مكاناً سنياً في الحال فنظر اليها بعين الكمال بعد ان كان ينظر الى بنات جنسها بعين النقص ؟ ام ذلك لان كهربائية حليم وكهربائية الفتاة قد اتحدتا لاول نظرة لانهما خُلقا ليتحدا معاً طبقاً لاعتقاد بعض المتقدمين بان الله يصنع النفوس انصافاً انصافاً وان الحب هو عبارة عن وجود النفس نصفها الثاني المكمّل لها ؟



الفصل الثالث

﴿ المدن الثلاث ﴾

مدينة المال · مدينة العلم · مدينة الدين

وفي صباح اليوم الثاني استعدَّ حليم ورفيقه صادق للدخول الى المدن الثلاث · فنهض حليم الى ثيابه يصلحها بتأنقٍ خلافاً للعادة · فنظر اليه صديقه وابتسم · فعبس حليم قليلاً وقال له · يظهر ان صحبتك ستكون ثقيلة قليلاً بعد الآن · فاجابه رفيقه : قل ما تشاء في ذمي ولومي ودعني ارى فيك ما لم اره ُ قبل الآن وهو اهتمامك بظاهرك · فقال حليم وقد رام تغيير الحديث : بأي مدينة نبتدئ · فابتسم رفيقه واجاب : هل من حاجة للسؤال وانا سنبدأ بمدينة المال · ففهم حليم حينئذ انه انتقل من الرمضاء الى النار فاجابه ضاحكاً ومتورداً خجلاً : حقا انك لا تستطيع ترك المزاح

وما طلعت الشمس في ذلك النهار تبعث الى الخليقة حرارتها المحيية ونورها المنعش حتى خرج حليم وصادق من القرية وقصدا المدن الثلاث · فوجدا في الطريق الزراع خارجين الى حقولهم وبساتينهم والرعاة يسوقون مواشيهم الى مراعيها الخصيبة وفي مقدمتها ومؤخرتها الكلاب لحراستها وهم سائرون وراءها في ايديهم قصب رخيم الصوت ينفخون به لحناً يذكّر السامع نفخ زمار الرعاة في جبال لبنان واوديته اوغناء الرعاة في عصر الاله ابولون لما نزل الى الارض وجعل نفسه راعياً وعلَّم الرعاة اناشيد الآلهة · ثم سارا بضع خطى فوجدا اعمى يستعطي جالساً تحت سياج بستان على الطريق ووراء السياج في داخل البستان رجل في يده كيس كبير يملأه من الثمار والقلق بادٍ على وجهه مما يدل على انه يسرق تلك الاثمار · ثم بعد برهة شاهدا صياداً يطارد الطيور ليصطادها رغبة في لحمها ويترك بعد ذلك صغارها تنتظرها في اعشاشها حتى تموت برداً وجوعاً · وبعيداً في رأس شجرة منفردة صبي لا يتجاوز عمره عشر سنوات ينصب قضبان دبق للطيور ليمسكها بها · وقريباً من هذه الشجرة رجلان كل منهما آخذ بخناق رفيقه وهما يشتمان ويتضاربان بحدة وحنق كأنهما كلبان يقتتلان على عظمة · وفي الجانب الآخر وراء جذع شجرة فتى يرافق فتاة لا هي اخته ولا هي نسيبته ··

فلما شاهد حليم هذه المشاهد قال في نفسه باسماً : نحن في وادٍ والعصر الذهبي في وادٍ ، فان هذه المصائب والقبائح تدل على اننا اقرب مدن كمدن … أوية الاعتيادية

وبعد السير نحو ساعة وصل الصديقان الى مدينة المال . فدخلا اليها بلهفة وشوق ليروا داخلها

وكانت هذه المدينة اكبر المدن الثلاث واوسعها . وكانت ممتازة عن المدينتين الاخريين بقصورها الشاهقة ودورها الباذخة وجنائنها المحيطة بمنازلها . فلما اخذ حليم ورفيقه يجولان في اسواقها وشوارعها لم يكونا يسمعان الا نداء الباعة واصوات تجار ورنين المال يُدفع او يُقبض ودوي اصوات البضائع تُحمل او تُنزل . ونظر حليم الى اهلها نظر متنقد فرآهم باجسام سمينة وعيون هائمة لا تستقر في مكان لا لقتها النشاط والحدة والتفتيش وثياب نظيفة مرتبة تدل على سعتهم . فخيل له انه بين قوم سعداء يعلهم اقوياء بنشاطهم وجدهم . لكنه كان من الذين لا يكتفون بظواهر الاشياء للحكم عليها حكماً سديداً . فقال في نفسه سنرى النتيجة بعد زيارة المدينتين الاخريين

ومما لا يحتاج الى بيان ان حليماً كان يفتش بعينيه كثيراً عن فتاته لعله يلمحها في نافذة مفتوحة او شرفة اوحديقة . ولكن تعبه ذهب بلا جدوى . فانه كان يرى في النوافذ والشرفات والحدائق والطرق كثيرات من الحسان وكلهن كأنهن اقمار فوق اغصان بان . الا انه لم يقف على اثر لحسنائه . فكان كلما رأى حسناء وظنها اياها ثم ظهرت له خيبة ظنه يردد قول الشاعر

أليس عجيباً ان نكون ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلمُ

وبعد ان جال حليم وصديقه في مدينة المال ساعتين خرجا منها الى مدينة العلم . فمرّا في طريقهما اليها بالحديقة العظيمة الواقعة بين هذه المدن الثلاث وهي ملتقى اهلها ومجمعهم ومتنزههم . فشاهد فيها جميل ورفيقه رهباناً وقسساً وشيوخاً وائمة ورجالاً وشباناً يحملون بايديهم كتباً وصحفاً وهم تارة يقرأون فيها وطوراً يتأملون وآونة يتذاكرون . فقال حليم لرفيقه هذه طلائع مدينتي العلم والدين . ثم مرّا قاصدين مدينة العلم دون ان ينتبه اليهما المقيمون في الحديقة

ولما وصل جميل ورفيقه الى مدينة العلم وجدا السكون والهدوء مخيمين عليها حتى انك لتسمع حين مرورك في الشوارع طنين الذباب في طيرانها . وكانت منازلها صغيرة حقيرة وشوارعها ضيقة . فارتاحت نفس جميل لما وجده من الهدوء فيها وقال . اين نحن من جلبة

تلك المدينة . غير ان البياض اذا اشتدَّ صار برصاً . ولذلك لم يوغل جميل في المدينة حتى صار ذلك الهدوء التام ثقيلاً على نفسه . فانه لم يكن يسمع حركة ولا يرى شخصاً في الشارع ولا يلمح يداً ولا وجهاً في النافذة . فكأن كانه في مقبرة او مدينة اموات لا احياء . الا انه كان احياناً في مروره ببعض المنازل يرى شاباً مستلقياً على سريره وكتابه في يده او رجلاً يروح ويجيء في غرفته وهو يفكر ويتأمل كأنه متجرد عن هذا العالم . او قارئاً كتابه في يده ولكن فكره يسبح بعيداً في الفضاء الابدي

ولو لم يكن حليم ممن الف هذه الحالات واحبها لداخلته خشية منها وعراه نفور عنها . لان هذا الهدوء هدوء الاموات وذلك الانقباض البادي في وجوه النفر الذي رآه لما يبعث في النفس شعوراً رهيباً لمعرفتها ان ما يقع في ذلك الحين في وسط ذلك الهدوء الشديد مع ذلك الانقباض الاليم يجب ان يكون امراً رهيباً خطيراً تقف عنده النفوس رهبة واجلالاً . والنفس غير مخطئة في شعورها هذا لان ذلك الامر هو عبارة عن عراك ونضال بين الارض والسماء . والمعلوم والمجهول . والمادة والروح . والمحدود وما لا حد له . ذلك ان الانسان الترابي القاصر الضعيف يطلب الوصول بفكره الى الذي لا يصل اليه فكر والعقل المحدود يروم الاستيلاء على العقل الذي لا حدَّ له

وبعد ساعتين خرج حليم ورفيقه من مدينة العلم وقصدا مدينة الدين . وكان حليم يمشي وفكره مشغول للعواطف التي قامت في نفسه حين مروره في مدينة العلم . فهناك تجدَّدت هواجسه كلها وبلغ اضطرابه معظمه . هناك كان ينتظر ان يرى العلم ضاحكاً باشاً لانه وجد ضالته فاذا به يراه كما عهده منقبضاً مظلماً يطلب ويفتش عبثاً . فانقبض صدر حليم ونسي في هذه الدقيقة حسناءه نسياناً حقيقياً . ومن هنا نقدر ان نستدل على اخلاق هذا الشاب استدلالاً مهماً وتعرف السبب الذي جاء من اجله الى هذه البلاد . فان الناس يضعون عادة حبهم فوق كل امر . وقد وضعه الملوك مرات كثيرة فوق تيجانهم وعروشهم . اما حليم فلم يكن يعرف احبَّ اليه من ان يعرف (١)

ولكن لم يلبث حليم ان دنا من مدينة الدين . وكان يسير اليها وهو مطرق مفكر بكل ما في فكره من القوة . ولكنه ما قرب من باب المدينة حتى سمع اصواتاً شقَّت الفضاء وانغاماً رخيمة يصيحون من اعالي المآذن — الله اكبر الله اكبر . لا اله الا الله . فالتفت حليم بغتة وقال هل وصلنا ؟ ثم سرَّح بصره في المدينة التي امامه . وكان حينئذ دخول

(١) في الحديث « لا يكمل ايمان امرء حتى لا يعرف احبَّ اليه من ان يعرف »

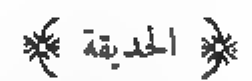
الظهر والمؤذنون يدعون في المآذن الى الصلاة . فلبث جميل بنأمل فيهم من بعيد بلذة لا توصف وهو يتبع كل حركة من حركاتهم . وما كاد ينتصف الاذان حتى علت اصوات الاجراس ايضاً من قبب الكنائس . فامتزجت اصوات الاذان باصوات الاجراس تذكّر البشر في الارض بالخالق جلّ جلاله وتنبهم الى واجباتهم وتنذرهم بانهم ضيوف في هذا العالم . اما رفيق حليم فانه ضحك وقال : في بلادنا تستمرّ الصلاة الى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر في يوم الاحد اما في هذه البلاد فالظاهر انها تستمرّ الى الظهر . غير ان حليماً لم تكن نفسه مستعدةً للضحك في تلك الساعة لانها كانت تنكر في موضوع ارفع واسمى . فسرّح نظره في مدينة الدين بين اصوات المؤذنين الشجية ونغمات الاجراس الرخيمة التي تناجي السماء فراقهُ جمال هذه المدينة بجوامعها الفخمة الجليلة ومآذنها الانيقة وكنائسها وقبابها المبنية احمل بناء . وصار يقول في نفسه : هذه مدينة السلام لكثيرين من الناس . هنا مستقرّ السعادة والراحة للملايين من البشر . هنا وطن الاخاء والحب والحرية والمساواة . هنا مدفن احقاد الانسانية ومصائبها ومتاعبها وصغائرها لو كانت تعلم

ولما دخل حليم الى مدينة الدين استغرب ما رآه فيها من آثار الثروة والنعمة والغنى . فانّ جوامعها وكنائسها ـ وكلها كانت كنائس وجوامع ـ كانت مبنية باتقان وزخرف يستوقف النظر . وكانت شوارعها فسيحة فيها الناس يروحون ويجيئون الى الجوامع والكنائس ومنها . وهم بين رجال ونساء بالخرز ينة

فبعد ان جال جميل ورفيقه ساعة في المدينة وشاهدا ما فيها قال لرفيقه : لقد شاهدتُ الآن ما اردت مشاهدته من هذه المدن فهلمّ بنا الآن نذهب الى الحديقة التي هي مجمع اهلها ومتنزههم فقد بقي علينا الوقوف على دخائلها بعد ان وقفنا على ظواهرها

فقال صديقه ولكن الحديقة تكون خالية في وقت الظهر فاجل الى المساء دخولنا اليها وهلمّ بنا الآن الى فندق لنتغدى ونستريح فقد تعبنا

الفصل الرابع



﴿ الحديقة ﴾

والظاهر ان حليماً ورفيقه قد ناما قليلاً في الفندق بعد الغداء ولذلك لم يخرجا منه الا بعد العصر . فاقبلا نحو الحديقة وكانت غاصة بالناس من كل الطبقات

وكان في الحديقة ثلاث قاعات كبرى كل واحدة منها قائمة في احد جوانب الحديقة . فكان كل فريق من سكان مدينة العلم والدين والمال يجتمع في احدى هذه القاعات للبحث في شؤونهم واحوالهم . فكانت قاعة اهل المال عباره عن بورصة صغيرة وقاعة اهل العلم عبارة عن مكتبة كبيرة . وقاعة اهل الدين نصفها مكتبة ونصفها مجتمع للحديث

فلما دخل حليم ورفيقه الى الحديقة شاهدا الناس منتشرين في اطرافها بين اشجارها الجميلة وازهارها العطرية واكثرهم يتحادثون ويتجادلون بحدة . غير ان دخول هذين الزائرين الغريبين الى الحديقة نبّه المتنزهين فيها اليهما فصاروا يقلبون انظارهم في هيئتهما وملابسهما . فقال حليم حينئذ لرفيقه : ان القوم قد التفتوا الينا فاذا سألك احد عن اسمي فقل له اني ادعى جميلاً وصناعتي التجارة وقد جئنا نستبضع من مدينة المال . واياك ان تذكر لاحد اسمي فانني اكره الرسميات في سياحتي هذه

وبينما كان حليم يوصي رفيقه بهذا الامر على مقربة من قاعة اهل العلم كان ثلاثة شبان وقوفاً قرب هذه القاعة وهم يتفرسون بهما جيداً . ثم سُمع احدهم يقول لا شك انه هو لانني شاهدتُ صورته قبل اليوم في احدى مجلاتنا . فقال الآخر لا يبعد ان يكون هو بعينه فان منظره اللطيف المادىء لا يُكذّب شهرته الواسعة . وحينئذ انفرد المتكلم الاول عن رفيقيه وسار نحو حليم وصديقه بخطى واسعة وهو يبتسم

فلما رآه حليم قادماً بهذه الهيئة لم يشك في كونه قادماً لمخاطبته فتشاغل عنه بمحادثة رفيقه . اما الشاب القادم فانه لما صار على مقربة منه مدّ يده اليه مسلماً وقال باحترام وبشاشة : ارجو ان تسمح لي بسؤال ياسيدي . هل تريد ان تشرّفني بمعرفتك . فتلعثم حليم قليلاً لانه كره الكذب ثم اجاب . نحن ضيوف يا سيدي في المدن الثلاث الجميلة وقد جئنا لمشاهدتها والاستفادة من اهلها الكرام . فقال الشاب نعم لا ريب عندي في انكم ضيوف ولكني اول ما وقع نظري على جنابك تذكّرت اني شاهدت هذا الوجه قبل الآن

في احدى مجلاتنا . ألست جنابك الخواجا حليم المصوّر الطائر الصيت

فلما رأى حليم انهم عرفوه ضحك واجاب : ان ذكاءكم في هذه البلاد غريب ياسيدي فانكم تعرفون الرجل من غير ان تعرفوه

فلم يتمالك الشاب ان عاد وثبًا الى رفيقيه واخبرهم ان ذلك الضيف هو المصوّر حليم نفسه . فانتشر هذا الخبر بسرعة البرق في الحديقة كلها . فصار الناس يتداعون لمشاهدة الرسام الطائر الصيت الذي بارى في هذا الفن اشهر الرسامين وطارت شهرته في جميع اقطار العالم . ولم تمض دقيقتان حتى اجتمع كل من في الحديقة من اهل العلم والمال والدين حول حليم ورفيقه وصارت الاعناق تتطاول اليهما من كل صوب . فازداد الورد في وجنتي حليم خجلاً من ذلك لانه كان كثير التواضع قليل الجرأة على مقابلة آلهة الشهرة . ولكنه لم يكن ضعيفًا الى حد الجبن . ولذلك رفع رأسه بعد ذلك الحياء بجرأة وشاشة وحيّا بهز رأسه باسماً . وكان الجمع الذي حوله في حركة في ذلك الحين ثم انفرد منهم خمسة بينهم رجال من اهل المال والعلم والدين وتقدموا نحوه . فتبعهم باقي الجمع زاحمين نحو حليم كالجند وهم كالبناء المرصوص . فخطا حينئذ حليم نحوهم بخطى واسعة وهزّ الايدي التي كانت تمدّ اليه من كل جانب كانها اغصان مشتبكة

ومنذا هذا الحين فقد حليم نصف لذة السفر لانه صار مقيدًا بعدان كان مطلقًا يروح ويجيء كما يشاء . الا ان خسارته هذه لا تعادل الفائدة التي استفادها في ساعة واحدة بعد ان عرفه اهل هذه البلاد . فانه صار دفعة واحدة في وسطهم فاصبح قادرًا على الوقوف على كل ما اراد الوقوف عليه منهم

وبعد ان جلس حليم واستراح برهة حدثهم في اثنائها عن سفره وما شاهده في المدن الثلاث ثم بالاستئذان فدنا منه الشاب الذي كان اول من عرفه وقال : لي على جميع اخواني حق التقدم لانني كنت اول من تشرف بمعرفتك . فانا ارجو ان تتخذني صديقًا ورفيقًا لك في هذه الديار لادلّك في سياحتك . فشكر له حليم لطفه وادبه . ثم نهض يطلب الخروج من الحديقة وكل جوارحه تتماه . فهمس ذلك الشاب في اذنه قائلاً . ألا تحضر الاجتماع الليلة في الحديقة . فقال حليم واي اجتماع . فقال الشاب : ان الليالي الثلاث القادمة ليالي في غاية الاهمية . فان السكان عزموا على الاجتماع فيها ثلاث مرات لحل بعض المشاكل التي بينهم والتي هي سبب النزاع والخلاف بين طبقاتهم . ولا ريب ان خراب مدننا الثلاث وعمرانها يتوقفان على نتيجة هذه الاجتماعات . والليلة الاولى مخصوصة بالمال .

والليلة الثانية بالعلم · والليلة الثالثة بالدين ـ فقال حليم ساحضر هذه الاجتماعات لا محالة · ثم ودّع وخرج مع رفيقه وهو يقول في نفسه انه قد جاء في احسن الاوقات واهمها

الفصل الخامس

﴿ تمهيد الجلسات الثلاث ﴾

«رجاء الشيخ الرئيس»
وشكاوى اهل العلم والدين والمال

وفي المساء برزت الحديقة بالانوار الساطعة واقبل الناس عليها من الجهات الثلاث واكثرهم سكوت كانهم يفكرون في امر عظيم · وكانت اشكال ملابسهم تدل على انهم من طبقات مختلفة بين تجار وعمال واهل علم واهل دين · وكان كل فريق مشغولاً عن الفريق الآخر بمباحثة حزبه همساً استعداداً للجدال العلمي الشديد · وما دخلت الساعة التاسعة مساء حتى غصت الحديقة بالناس على اتساعها وجلسوا ينتظرون · وكان حليم ورفيقه قد اختارا مقعداً في زاوية مظلمة قريبة من دكة الرئيس فكانا يشاهدان الحاضرين دون ان يشاهدهما احد

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الاولى جلس رئيس ذلك الاجتماع على كرسيه وهو رئيس جمهورية المدن الثلاث · وكان شيخاً جليلاً في نحو الثمانين من العمر وهو بقية الشيوخ الذين عاصروا الشيخ سليمان مؤسس هذه المدن · فلما سكنت الضوضاء اخذ يقول

ايها الابناء الاعزاء

قد عزمتم على عقد ثلاثة اجتماعات كبرى لتتباحثوا في مسائلكم المهمة والمشاكل التي نغّصت عيشكم وعطّلت اشغالكم وقسمت قلوبكم وعيالكم · فيسرّني انا حاكمكم وابوكم ان تؤدي هذه الاجتماعات الى قطع كل ما بينكم من اسباب النزاع والخلاف حرصاً على سعادتكم وعلى عمران مدننا الثلاث التي تعبنا في انشائها وترقية شؤونها · انما قبل الشروع في المباحثة اتمنى من صميم قلبي امراً · وهو ان يجتنب كل فريق منكم في اثناء كلامه كل قول يسوء الآخر فان الانسان يستطيع ان يصرّح بادب ولطف بكل ما توجب عليه مصلحته التصريح به · ولا يجدي العدوان والشدة نفعاً · واني اسال الله ان يوفق اعمالكم ويسدّد آراءكم وينير عقولكم

فهنا حصلت ضجة بين بعض من اهل العلم · فانتصب رجل من فريق الدين وقال بصوت جهوري : ماذا ؟ هل صرتم تكرهون ان تسمعوا اسم الله ايضاً · فصرخ خمسون عاملاً من العملة كانوا جالسين قرب فريق اهل العلم : كذاب كذاب · فانتصب حينئذ احد هؤلاء وكان اقربهم الى العملة وقال مخاطباً فريق اهل الدين : لا تبدأوا بالعدوان اذا كنتم مخلصين في طلب المسالمة · فقال الشيخ الرئيس حينئذ :

— لستُ اجهل سبب الضجة التي حصلت بين بعض من الابناء · فانهم لا يزالون يطلبون ترك المسائل الدينية للجوامع والكنائس ولذلك لا يجيزون لحاكمهم ان يلفظ عبارة دينية في منصبه الرسمي · وانا على ثقة من ان ذلك لم يكن منهم عن انكار للمسائل الدينية بل عن رغبة في الفصل بين شؤون المذاهب المختلفة · ولكني اظن انهم يُجيزون لشيخ بسني صار قريباً من القبر ان يستسلم لعواطفه احياناً

ثم قال الرئيس

— اما الآن فاننا نسمع الشكاوى التي اجتمعنا للنظر فيها بصدق وحسن نية · ولنعلمن قبلُ نوعها وتفصيلها

فنهض حينئذ زعيم العملة وقال

— ان شكوى العمال من طمع ارباب الاموال · فالعمال يتعبون ويجنون وارباب الاموال يتنعمون بتعبهم ويتلذذون · فمن العدل ان يشارك اولئك هؤلاء في كل الاشياء

فنهض النائب عن ارباب الاموال وقال

— ان شكوى ارباب الاموال لم تكن من العملة انفسهم فاننا نحب عمالنا كما نحبُّ اولادنا · كيف لا وهم رفقاؤنا وشركاؤنا في اعمالنا · وانما شكوانا من بعض الطامعين الذين يثيرون خواطرهم علينا ويحرّضون طبقتهم على طبقتنا · فلتفصل الحكومة العمال عن هؤلاء المحرّضين فيستتب السلام بين الجميع

فنهض رجل من فريق العلم وقال

— اذا صحّ انه متى رُفعت يد الذين يسمونهم « محرضين » من بين العمال واصحاب الاموال فان السلام يستتبُّ في الحال فقد زال نصف شكوى اهل العلم · وانما يبقى عليهم في هذا الموضوع ان يبحثوا هل يرافق السلام الذي يحصل حينئذ هناء العمال وراحتهم وسعادتهم ام يبقى سلامهم موتاً ادبياً ومادياً كسلام اهل القبور · وانا معشر اهل العلم نفتخر في هذا العصر باننا حللنا في هذه المسألة محل اهل الاديان وصار همنا الاول التفكير

بانهاض الشعوب وترقيتها بينما نرى اهل الاديان يسلّمون الشعوب بايديهم الى الاطماع المختلفة . فكان مثلهم مثل ملوك يحامون انفسهم بانفسهم . ولذلك تراهم يكثرون من التزلف للاغنياء وارباب الاموال ويجارونهم في كل شيء حتى في ما يخالف مبادئهم الدينية وينقض اساسها ويلهون الشعب في اثناء ذلك بالتدجيل عليه ليشغلوه بالاوهام والاحلام عن مصالحه الحقيقية . فغرض العلم في هذا الزمان تفتيح عيني الشعب وترقية احواله والضرب على ايدي المدجلين . وشكواه من كل من يحاول منعه من الوصول الى هذا الغرض الشريف

فهمس حينئذ واحد من اهل العلم كان قريباً من الخطيب في اذن جاره قائلاً : ليت اصحابنا انابوا عنهم خطيباً اكثر اعتدالاً من هذا الخطيب فان مقاماً كهذا المقام لا يفيد فيه غير التأني والاعتدال . اما رأيت السياسة التي اتخذها نائب ارباب الاموال

وكان قد نهض نائب فريق الدين فقال

— اما شكوانا نحن خدمة الله تعالى فمن اولئك الكفرة الجاحدين الذين يبثون روح ضلالهم وكفرهم في النفوس . فاننا والحق يقال لولاهم لكنا كلنا في الف نعمة من الله تعالى . فانهم بداءوا ضلالهم بيننا بتعليم اولادنا مبادئهم الطبيعية الممقوتة والعياذ بالله . ثم تدرَّجوا منها الى انكار المذاهب المختلفة فالوحي وجحود الخالق سبحانه وتعالى . فما دام هؤلاء المفسدون يفسدون عقول الناس فلا سلام ولا راحة عندنا

فقال الشيخ الرئيس حينئذ : نعم هذه هي الشكاوى المختلفة التي مرَّ عليَّ عشرات سنوات وانا اسمعها . فاستحلفكم بكل ما هو عزيز ومقدس لديكم . استحلفكم بالشيخ الجليل المحسن الى هذه المدن والواقف الآن بيننا في وسط الحديقة على تمثاله الرخامي يسمع كلامنا وينظر الينا — ان تكسروا حدتكم قليلاً وتتباحثوا في مشاكلكم بسلام وادب . فاننا كلنا يا ابنائي اخوان . وكلنا في هذه الارض ضيوف وغرباء

اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب قريبُ

وانتم تعلمون ان الانسان لا يعيش في الارض عمرين وان ايامه فيها معدودة . فلماذا لا يصرف هذه الايام بما يدعو الى الراحة بدل ان يصرفها في خصام صبياني . هل ان حطام الدنيا وخيراتها الزائلة ومسراتها الفانية تستحق هذا الاقتتال الشديد عليها . اما سمعتم ذلك القول البديع المنسوب لحكيم عظيم (١)

---

(١) فيلسوف العرب والعجم ابي نصر الفارابي

احي حلّ حيّز ذي باطلٍ   وكن للحقائق في حيّز
فما الدار دار مقامٍ لنا   وما المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على   اقلّ من الكلم الموجز
وهل نحن الاّ خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات اولى بنا   فماذا التنافس في مركز

فتباحثوا الآن في مسائلكم واذكروا ان عمران مدنتا وخرابها متوقفان على نتيجة بحثكم . ولنبدأ اولاً بمشكلة العمال وارباب الاموال وان كانت هذه المسائل كلها مرتبطة بعضها ببعض

الفصل السادس

﴿ الجلسة الاولى ﴾

المال ومشاكله

فساد حينئذ في الحديقة سكوت تام لم يُسمع في اثنائه سوى حفيف الاوراق وهمس بعض السيدات اللواتي كن جالسات على مقعد في زاوية مقابلة للزاوية التي جلس فيها حليم ورفيقه . وكان حليم قد بدا يرمي ببصره الى هؤلاء السيدات منذ لمح وجودهن هناك لعله يجد ضالته بينهن

دعوى زعيم العمال

وبعد دقيقة تقدم زعيم من زعماء حزب العمال وقال مفتتحاً البحث

ـ لقد احسنتم في تخصيصكم الجلسة الاولى بمشاكل العمال واصحاب الاعمال لان هذه اكبر المشاكل في الحقيقة . ومتى حللناها حللنا معها سواها . ولكن لا سبيل الى حلها الا بطريقة واحدة . وهي إشراك العمال في ربح الاعمال . فاننا الآن نخدم اصحاب الاعمال كما يخدم العبد سيده . واسعدنا حظاً واعظمنا قدراً يتناول في الشهر مائة فرنك . اي يأخذ في السنة اجرة لعمله ١٢٠٠ فرنك . فاذا افترضنا ان عددنا في العمل ٣٠ عاملاً كان مجموع ربحنا جميعاً في العام ٣٦ الف فرنك . على حين ان ذلك العمل يربح في كل عام مليون فرنك ربحاً مجرداً . وكل هذه القيمة تذهب وتصبّ في صندوق صاحب العمل مع اننا نحن

السبب في ربحها . فاية عدالة عند الله والناس تُجيز هذا الامر . واي دين يرضى بان يسعى مائة وواحد يأكل

« ولكن فلنترك مسألة الربح جانباً ولننظر الى مسألة اخرى . وهي ان بين العمال المستخدمين قوماً لا يتناولون في اليوم اكثر من فرنك واحد اجرة لهم . فكيف يمكن ان يكفيهم هذا الفرنك خصوصاً اذا كان لهم اولاد عليهم القيام باودهم . أليس ذلك عبارة عن ضرب الشقاء والذلة عليهم مدى العمر

« ثم ان العامل قد يمرض وقد يعجز وقد يموت . فماذا يحل به و بعائلته اذا كان قد صرف حياته كلها في خدمة صاحب العمل ولم يعد قادراً في مرضه وفي آخر عمره ان يكسب رزقه بعرق جبينه . ايموت جوعاً هو وعائلته . ام يدور في المدينة يستعطي

« لذلك نطلب منكم نحن العمال باسم الانسانية والاخاء البشري ان تنصفونا فاننا نحن الاكثرية في البلاد . وبدوننا لا تقدرون ان تصنعوا شيئاً . فنحن نحارب لرد غارة العدو . ونحن نفلح الارض لنخرج منها القوت والغذاء . ونحن نخدم في دوائر الحكومة والمحال العمومية والخصوصية . ونحن ندير المصانع لصنع المصنوعات ونسج الانسجة . فحرام ان نصنع كل شيء وعلى ظهورنا تُلقى كل الاحمال ثم تترك الحكومة فريقاً قليلاً من اصحاب الاموال يحتكر منافع البلاد وفوائدها وخيراتها و يحتكر لنفسه الامة كلها

فصاح به حينئذ صائح من فريق المال

ـ ولكن ماذا تريدون ان تصنع الحكومة . هل من حقها ان تتداخل بينكم لتجبر ارباب الاعمال على زيادة اجوركم او مقاسمتكم ارباحهم . ألا تعلمون ان لاصحاب الاموال الحق المطلق في التصرف باموالهم واملاكهم كما يريدون . وان الحكومة لا يمكنها التعرض لحق الملكية لانه من الحقوق الطبيعية التي لا تُنقض

فاجاب الخطيب زعيم العمال

ـ هذه شنشنة عرفتها من اخزم . فكأنكم نسيتم ان هنالك مذهبين متناقضين واحد معكم وواحد عليكم . ومما يحق لنا الفخر به نحن العمال الصغار ان مذهبنا في هذه المعضلة موافق لمذهب جميع شارعي الاديان من موسى الى يسوع الى محمد . فان هؤلاء الكواكب الثلاثة الذين اناروا سماء الشرق والعالم قاطبة لو عادوا اليوم الينا لكانوا من حزبنا ذلك لانهم يعلمون ان كل هيئة اجتماعية تُبنى على ظلم الفئة الكبرى وراحة الفئة الصغرى هيئة فاسدة ستسقط لا محالة . فاذا كان في حزبكم فلاسفة كبار وعلماء اعلام ففي حزبنا من هم

فوق العلماء والفلاسفة . ثم هل تريدون منا فلاسفة فاسمعوا رأي الفيلسوف كارل ماركس

فضحك هنا بعض فريق المال وقال احدهم

ـ ما شاء الله . تستشهدون بأشد انصاركم غلوًا

فقال الزعيم

ـ لا بل نستشهد بفيلسوف من الفلاسفة رأيه يناقض رأيكم في الملكية . فانكم تقولون ان ارباب الاموال مطلقو التصرف في معاملهم ومصانعهم ومتاجرهم . اما نحن فنقول لكم مع هذا الفيلسوف انكم في خطاء عظيم . فان معامل الامة ومصانعها ومتاجرها واراضيها هي من مرافقها ومنافعها كالانهر والابحر والهواء . ولذلك لا يجوز ان تكون ملكاً لفرد ايًا كان بل هي ملك لجميع الامة . فعلى الامة اذًا ان تتولى ادارتها بنفسها وتوزع ارباحها بين ابنائها . اي ان الحكومة تجعل نفسها التاجر الكبير الوحيد الذي تنحصر في يده تلك المتاجر والمصانع والمزارع وتستخدم فيها افراد الامة وتعطيهم اجرتهم من تلك البضائع نفسها اي من عين المال كلاً بقدر حاجته وكفاءته . والعامل يستطيع ان يستبدل البضائع التي تجتمع عنده باي بضاعة احتاج اليها . ـ هذا ما يراه بعضهم عدلاً وانصافًا . ونحن لا نطلب منكم كل هذا فاننا نترك لكم مصانعكم ومعاملكم ومتاجركم واراضيكم . وانما نطلب منكم ان تعطوا نصف ربحها في كل عام للعمال والمستخدمين الذين يخدمونهم فيها وتبقوا النصف الثاني لكم

« ولا تقولوا اننا قد طلبنا شيئًا كثيرًا فاننا لا نطلب الا حقوقنا . لقد كرهت نفوسنا الخدمة بالاجرة كالاجراء . لقد كرهنا هذه العبودية الجديدة التي اخترعها التمدن الجديد . فاذا لم تنصفونا وتريحونا منها فاعلموا اننا نحذو حذو شمشون اذ نأخذ باعمدة الهيئة الاجتماعية ونشدها قائلين « علينا وعلى الجميع يارب » فيسقط البناء علينا وعليكم .

« ايها الاخوة . ان نور الشمس ونسيم الصباح وحنان الامهات ورغد العيش ومسرات الاجتماع وراحة البال ـ كلها لم تخلق فقط لارباب الاموال . فان الله العادل خلقها لجميع البشر على السواء . ونحن معشر الفقراء المساكين من جملة البشر . فانظروا الينا وارحمونا . صدقونا ان لنا نفوسًا كنفوسكم تتألم من المصائب والفقر والشقاء . وان لنا اولادًا كاولادكم ونساء كنسائكم يجب علينا سد حاجاتهم . صدقونا ان الطبيعة ـ تلك الطبيعة القاسية الظالمة ـ لم تخصنا بخواص الجماد . فانها من ـ سوء حظنا ـ جعلت لنا معدًا تتألم من الجوع . وقوى تخور اذا لم تغذ . ونفسًا تفضل الجحيم احيانًا على هذه الحياة . وهذا ما يدفعها مرارًا الى اقصى حدود الوحشية : كالفوضوية وما اشبهها . ففي ايديكم الآن يا ابناء

الوطن خراب بلادكم او عمرانها »

وما سكت زعيم العمال حتى قامت ضجة في صفوف اهل المال فصاح احدهم : يتهددوننا بالفوضوية . وصاح آخر : لا نخافهم فوراءنا جيش الحكومة . ولكن لم يلبث ان نهض زعيم اهل المال واشار الى رفاقه بالسكوت ثم اخذ يقول

دعوى اهل المال

ايها السادة

ـ مسألتنا مع عمالنا مسألة قديمة منذ وجود الانسان في هذه الارض . فمنذ وجد فيها رجل نشيط قوي مدبر عامل ورجل ضعيف ساذج مهمل تسلط الاول على الثاني واستخدمه في ما فيه مصلحتهما معاً . وان هذا الاتفاق بين القوي والضعيف ـ بين الرأس المدبر الآمر والجسد المدار المأمور ـ بقي وثيقاً وطيداً الى ذلك اليوم الذي قام به الحسد والطمع يحرّضان الضعيف على القوي ويغريانه بان يعطل اعماله ان لم يشاركه فيها . فالحسد والطمع سبب كل هذا الخلاف

«ولقد كان العمال قبلاً يشكون من ان اجورهم قليلة وشغلهم كثير . فانهم كانوا يعملون من شروق الشمس الى ما بعد غروبها واسعدهم حظاً كان يتناول فرنكين في النهار . فرأينا ان نخفف عنهم فجعلنا اوقات عملهم ٨ ساعات في النهار (١) وابلغنا راتب الواحد منهم الى مائة فرنك . ثم انشأنا لهم منازل صحية رخيصة الاجرة ليقيموا فيها . واعتنينا بنسائهم واولادهم في اوقات الولادة والمرض . ولكن كل هذا لم يقنعهم بل تدرّجوا من طلب الى طلب حتى وصلوا الى طلب مشاركتنا في مصانعنا ومتاجرنا ومزارعنا . فاذا اجبناهم اليوم الى ذلك فانهم لا يلبثون ان يطلبوا غداً طردنا منها ليستولوا عليها من دوننا

«فاعلموا ايها السادة انكم الان بازاء الطمع والحسد الاجتماعي لا بازاء مظالم بشرية كما يقولون . والويل لحكومتنا ولهيئتنا الاجتماعية اذا تركتموها تخضع للطمع والحسد . ولا ريب عندنا ان حرصكم على مصلحة وطنكم المرتبطة بمصلحة اهل المال والاعمال اشد ارتباط سيجعلكم تردّون دعوى العمال لا محالة

«ذلك انكم تذكرون ولا بدّ في هذا المقام اموراً عظيمة عليها تتوقف حياتنا وحياة بلادنا

(١) سنّ البرلمان الانكليزي سائر الامم بتعيينه في العام الماضي ساعات العمل في المناجم ٨ ساعات فقط . وهذه المسألة يهم بها العمال في كل مكان اهتماماً عظيماً . وينكرها اصحاب الاعمال لانها تعطل اعمالهم

(الامر الاول) منزلة اهل المال في الهيئة الاجتماعية · فانكم تعلمون ايها السادة اننا مصدر ثروة البلاد وحياتها · فبتدبيرنا وسعينا تنشأ المتاجر الواسعة والمصانع العظيمة والمزارع الخصيبة وندرّ على الامة بها اخلاف الثروة · ولو شئنا ان نحبس اموالنا ونقفل صناديقنا ونبطل سعينا لماتت الامة في سنة واحدة · والحكومة التي قراطيسها المالية في ايدينا تعرف ذلك حقّ المعرفة · وان قيل لكم ان العملة واهل العلم سبب هذه الثروة فاجيبوهم: لماذا اذاً لا يستغنون عنا ويتصرفون بهذه الثروة كما يشاؤون دون حاجة الينا اذا كانوا صادقين · ولكنهم غير صادقين لانهم يبالغون في نسبة الفضل اليهم · فانهم بينما يكون الواحد منهم غائصاً في احلامه واوهامه يكون فكر الواحد منا حائماً حول متاجر الارض ومصانعها يفتش عن ثروة جديدة لبلاده · بينما يكون احدهم منهمكاً بكتابة مقالة على مائدته (حبر على ورق) او نظم شعر في غرفته (هباء في الهواء) فان احدنا يُسمع الامة موسيقى اجمل من موسيقى الشعر ويريها جمالاً ابهى من جمال الادب : اعني به جمال الذهب الذي ينساب من صناديقنا قناطير قناطير وينشر الراحة والسعة والخيرات في طبقات الامة كلها · فاذا كنتم ايها السادة في غنى عن هذه القوة التي لا تعادلها في الوجود قوة فاخبرونا ذلك ولا تخجلوا منا

(الامر الثاني) حفظ مركز الامة الصناعي والتجاري والزراعي · فانكم تعلمون ان المزاحمات الصناعية والتجارية قائمة في الدنيا على ساق وقدم · والنصر النصر في هذه المزاحمات لمن يصنع المصنوعات والبضائع بارخص الاثمان · فاذا حكمتم علينا بزيادة اجور العمال وتقليل مدة العمل او اشراكهم فيه كنتم كأنكم تحكمون باقفال معاملنا ومتاجرنا لاننا بعد ذلك لا نستطيع مزاحمة المعامل الاجنبية

(الامر الثالث) حفظ شرائعنا المقدسة حفظاً مطلقاً · فان حق الملكية حق مقدَّس لا يجوز للحكومة مسه · ونحن بموجب هذه الشرائع مطلقو التصرف في املاكنا ومزارعنا ومتاجرنا · فاذا رامت الحكومة الضغط على حرية الملاك نقضت الشريعة والنظام نقضاً يخشى منه بعد ذلك على اساس هيئتنا الاجتماعية

(الامر الرابع) ايقاف تيار الاشتراكية عند حده · فان هذه الآفة الكبرى قد عظم خطبها وجل امرها · ولذلك طريقتان بسيطتان (الاولى) امتناع الحكومة عن المداخلة بين العمال واصحاب الاعمال لان ذلك ليس من وظيفتها (والثانية) ابطال الحكومة جمعيات العملة اي عدم معرفتها اياها رسمياً ومنع مداخلتها بين العمال واصحاب الاموال · فان

الشرّ كل الشر وارد من هذه الجمعيات التي تحرض العملة وتغرر بهم بوعود باطلة · وهنا مهد الاشتراكية · اذ متى ورَّقت الحكومة هذه الجمعيات استؤصلت جرثومة الاشتراكية لسقوط نيرها عن اعناق العمال المساكين وصار ارباب الاعمال يحلون مشاكلهم معهم بكل لطف وسلام

(فقهقه هنا بعض في صفوف العمال وصاح احدهم : هذا وعد الهرة للفأ ر ان لا تاكله)

فقال زعيم اهل المال من غير ان يجاوبه

(والامر الخامس) هدم التجارة والصناعة والزراعة متى صار صاحب العمل شريكاً لعمّاله · ذلك لان هذه الفنون المتشعبة العظيمة تقتضي وحدة الادارة واطلاق الارادة · فمتى كان صاحب العمل مقيداً باراء عمّاله فقد خرب العمل لا محالة وخمدت نار النشاط والاقدام الشخصي على الاعمال لان الفرد لا يعود يخاطر بماله ووقته وذكائه من اجل غيره

(والامر السادس) ان تذكروا ايها السادة ان حكومة بلاد كبلادنا لا يليق ان تُبنى على الاوهام والاحلام ويُلقى زمامها الى اصحاب التصورات والتخيلات · ان المخلوقات كلها قد خلقها الله طبقات مختلفة · ففيها القوي والضعيف والكبير والصغير والخامل والنبيه · وما الاشتراكية التي تحاول جعل جميع الناس متساوين الاّ وهم وخيال · فهي تطلب مثلاً ان توزّع ثروة الدنيا واراضيها على جميع البشر بالسواء حتى لا يكون فيهم فقير وغني بل يكونوا كلهم في مرتبة واحدة · فهل سمعت خرافة كهذه الخرافة : وهب اننا وزعنا اموال الدنيا واراضيها بين الناس بالسواء فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة ان الكسالى والجهلاء والضعفاء والخاملين والمسرفين ينفقون اموالهم ويبيعون اراضيهم بعد مدة وجيزة فيحصرها ويستولي عليها المجتهدون والمقتصدون واهل الذكاء والتدبير · وحينئذ تعود الحالة الى ما هي عليه اليوم ونرجع الى ما نحن فيه · فهل تريدون ضعضعة اساس الهيئة الاجتماعية من اجل تجربة كل التاريخ البشري في الارض يشهد بفسادها · كلا · لا تخالفوا نواميس الاجتماع والطبيعة نفسها · ان نواميس الطبيعة الثابتة تُثبت هذا الامتياز بين المخلوقات · ولذلك يأكل قوي الحيوانات ضعيفها · اية قوة في العالم تقدر ان تساوي بين الذئب والحمل والهرة والفأر والبازي والعصفور · اية قوة تقدر ان تنقض ناموس تنازع البقاء وبقاء الافضل في الارض · ان هذا الناموس وحده كافٍ لنقض مذهب الاشتراكية · في الحياة طبيعياً واجتماعياً وسياسياً القوي يقوم والضعيف يسقط · وهذا سبب انقراض كثير من الامم وقيام كثير من الشعوب · فمن اراد جرّ القوي من طبقته وانزاله ليساوي

بينه و بين الضعيف كان كمن يهدم قوة الهيئة الاجتماعية و يجعل جميع افرادها ضعفاء حاملين بحجة المساواة بينهم »

«ولقد ختم نائب العمال كلامه بذكر كارل ماركس و بتهديده لنا . فنحن نشك في رضائكم عن هذه المبادىء لانكم تعلمون عقباها . انكم لا تجهلون ان دعامة مذهب كارل ماركس اعتقاده بان الحكومات لا يمكن ان تهب الشعب والعمال من تلقاء نفسها حق الاستيلاء على مرافق الامة ومنافعها لان رجال هذه الحكومات من اهل المال الذين هم في رأيه اعداء للعمال . ولذلك يوجب على الشعب ان يغتنم احدى الفرص و يهاجم الحكومة و يستولي عليها . و بعد ذلك يتصرف بها طبقاً لمصلحته من جعل المعامل والمتاجر والمصانع والمزارع ملكاً للامة نفسها واعطاء اصحابها تعويضاً عنها . فاذا كانت هذه مبادئهم ايها السادة فما هذا التحكيم والرغبة في المسالمة الا رياء لا ينطلي محاله علينا

«فهم استحلفوكم ايها السادة باسم الاخاء الانساني ان تجيبوهم الى طلبهم اما نحن فنستحلفكم باسم دستورنا وعمران بلادنا ومستقبل امتنا وشرف صيت حكومتنا عند الامم ان تردوا هذا الطلب »

وما جلس زعيم اهل المال في مجلسه حتى اضطربت صفوف العمال وصفوف اهل العلم المجاورة لها . ثم انفرد احد رجال العلم وقام . فشخصت اليه جميع الانظار واشرقت وجوه العملة لانه كان معروفاً عندهم . فابتدأ هذا الخطيب خطابه قائلاً

دعوى اهل العلم

ايها السادة

« كان في نيتي ان لا اتكلم اليوم بل غداً ولذلك سمعت كثيراً من الاقوال والمزاعم التي تقتضي الرد دون ان تتحرك نفسي للرد عليها . غير ان كلمة واحدة لفظها خطيب اخواننا اهل المال في آخر مقاله اثارت نفسي للكلام رغماً عنها

«فهو ايها السادة استحلفكم في آخر خطابه « بمستقبل امتنا » ان لا تجيبوا الشعب الى ما طلب من مشاركة اصحاب الاعمال في اعمالهم . فهذا الاستحلاف « بالمستقبل » امر مدهش ايها السادة في مسألة كهذه المسألة . المستقبل؟ بالله دعوا المستقبل لله . وهل تعتقدون حقيقة ان الانسانية ستكون في المستقبل على ما هي عليه اليوم من الشقاء . اتصدقون ان اكثرية البشر سيبقون في المستقبل عبيداً وخداماً للاقلية . ايدخل في تصديقكم ان الشعوب ستبقى ضعيفة ضئيلة تحت نير الاجتماع اقوياؤها يموتون ضنى وجهاداً في هذه الحياة

لانهم لا يكادون يقدرون على تحصيل رزقهم ورزق اولادهم وضعفاؤهم يموتون جوعا وبردًا في الشوارع والاسواق وعاجزوها يعاملون معاملة الكلاب ـ بينما افراد قليلون في المدينة يجمعون قناطير الاموال

«اذا كنتم تعتقدون حقيقةً بذلك فقد انكرتم الله وجحدتم العدالة وقررتم الاباحة وبررتم قول من يقول: بطون تدفع وارض تبلع فلا نظام ولا ناموس

فصاح حينئذ واحد من صفوف رجال الدين

ـ هذا قول بارد . فان الانسان حرٌّ . وله ان يتصرف بحريته كما يشاء . ولذلك كان مسئولاً عن اعماله . وما الحيلة بسنة تنازع البقاء

فاستشاط الخطيب حينئذ وصاح مخاطباً فريق الدين

ـ لله ما اجهلكم

فاجابه ذاك

ـ لله ما احمقكم

فقال الخطيب :

ـ نعم نحن نحمق من جهلكم . أَلا تعلمون ان سنَّة تنازع البقاء هذه سنة وحشية تناقض كل سنة دينية . أَلا تعلمون ان السنة الدينية ما وضعت الا لمقاومتها . أَلا تعلمون ان رجال الدين اذا قالوا بها كانوا كانهم ينتحرون وينحرون مبادئهم

«سنَّة تنازع البقاء معناها ان كل واحد من البشر يسعى لنفسه ويجاهد رفيقه ليستأثر بالمنافع والخيرات دونه . وتكون خاتمة هذا الجهاد ان الاقوى يكون الفائز . والضعيف يغلب ولا بأس ان يموت ايضاً لان الهيئة الاجتماعية في غنى عنه . وبعض المتقدمين كانوا يقتلون اطفالهم الضعفاء وفقاً لناموس بقاء الافضل . فهذه الحالة هي حالة الحيوانات تماماً ايها السادة . كذا تحيي وتعيش وتموت وتنمو او تنقرض . فهل صار من فخرنا في تمدننا هذا ان نقتدي بالحيوانات في معيشتها الدنيئة

«فمبدأ تنازع البقاء وبقاء الافضل مبدأ فظيع وحشي يهدم كل ما بنته الاديان وكل ما وضعه الفلاسفة وعلماء الآداب في الارض . اذ ما الفائدة من مراعاة الآداب والفضائل ما دامت الطبيعة تسمح للقوي ان يتمتع بكل قواه . ولماذا توضع الحدود والشرائع لكف الناس اذاهم بعضهم عن بعض ما دام القوي معذورًا في اعتدائه لانه يعمل وفقاً للناموس الطبيعي ولماذا نكذب الاديان وتحثنا على الخير والبرّ والرفق والزهد والوئام والسلام مادام

كل هذا مخالفاً لناموس تنازع البقاء والكلمة العليا هي لهذا الناموس دائماً . اليس ذلك بمثابة غش للضعفاء من اجل منفعة الاقوياء

« فرجاكم لا تخلطوا بين الحالة الطبيعية والحالة الاجتماعية . ان تنازع البقاء وبقاء الافضل امران صحيحان في الحالة الطبيعية . وهنالك لا مرد لهذين الناموسين الهائلين . لذلك يأكل القوي الضعيف ويسحق الكبير الصغير كما تصنع الحيوانات الوحشية . اما في الاجتماع فان الحالة تختلف كل الاختلاف . ذلك ان الحكومة قد اخذت على نفسها من حين عزم البشر على الاجتماع والمعيشة معاً في مدينة واحدة « ان ترفع ظلم القوي عن الضعيف وتمد الضعيف بالقوة ليعيش بامن وسلام » وهذا ميثاق معقود بين الحكومة والناس . وبموجبه يعيش في المدن جنباً الى جنب الاقوياء والضعفاء . الاغنياء والفقراء . المرضى والاصحاء . فلزم عن هذا اذاً ان يكون للحكومة حق التداخل لرفع ظلم القوي عن عنق الضعيف كلما شكا الضعيف من الظلم . اي ان وظيفة الحكومة الاصلية التي اعطت على نفسها بها عهداً انما هي حماية الضعفاء من الاقوياء : اي مقاومة ناموس تنازع البقاء

« فعلى الحكومة اذاً لا ان تنزل الاقوياء من طبقتهم لمساواتهم بالضعفاء بل ان ترفع الضعفاء من طبقاتهم لمساواتهم بالاقوياء . وهذا امر ممكن وذلك بالتعليم والتدريب والمساعدة . ومتى حصل هذا وصار جميع افراد الشعب اقوياء بتربيتهم العمومية سقطت حجة الذين يقولون ان البشر نبيه وخامل . وانه لا بدّ من تسلط الاول على الثاني كما قال الخطيب

هذا ما نسميه اصلاح ظلم الطبيعة . على اننا لو كنا حيوانات ضارية نعيش في واسع البر لكان من المحتمل ان نترك الطبيعة تفعل فعلها الذي يحلو لها

« ولكنني اؤكد لكم اننا لو كنا نعيش في الطبيعة كالحيوانات لما عاش بيننا كثيرون مثل نيوتن . فان هذا النابغة كان ضعيفاً في صباه الى درجة الموت . ولم يعش الا بعناية امه وعناية الله . ولو عاش بين الاسبرطيين مثلاً لكانوا قتلوه لانه ضعيف لا يجدي نفعاً فذهب ضحية ناموس بقاء الافضل وتنازع البقاء . وانتم تعلمون كيف قلب هذا الرجل العلم باكتشافاته العظيمة . وذلك يثبت انّ ناموس بقاء الافضل وتنازع البقاء قد يكون احياناً ضد ناموس العمران (١)

« بقي بعد هذا ان نسأل : ماذا يصنع الشعب بعد ان يقوى ويتعلم ويتدرب ؟ هل

---

(١) لان العمل في الطبيعة والقوة هي القوة البدنية التي عليها مدار ناموس تنازع البقاء وبقاء الافضل . واما في الاجتماع فقد تغيرت هذه القوة وصارت عقلية .

يعود للاستخدام كالرقيق ام يذهب ويستخدم هو نفسه بعضاً من اخوانه بني الانسان ويكون سيداً عليهم فيعمل بذلك عملاً كان هو نفسه يشكو منه ـ لا هذا ولا ذاك بل على الحكومة حينئذ ان تسلمه معامله ومصانعه ومتاجره ومزارعه . اي ان تشغله فيها تحت ادارتها هي ومراقبتها . وتوزع ارباحها عليه . وفي شيخوخته تعين له راتباً صغيراً يكفيه حتى لا يموت جوعاً : هذه كل مطاليبهم ايها السادة . فاذا عرضنا هذه المطاليب على بدوي ساذج لم يدخل المدن قط لاستغرب ان يوجد بين البشر قوم ينكرونها

« يقولون ان حق الملكية لا يُنقض . ولكن لماذا تنقضه الحكومة يوم تقرر نزع ملكية الاراضي والاملاك التي تحتاج اليها في مقابلة تعويض تعطيه لاصحابها . فالمعامل والمصانع والمتاجر والمزارع تُنزع ملكيتها ويُعطى اصحابها تعويضاً عنها

« يقولون انه اذا قُسمت الاموال والاملاك بين الناس على السواء فانها تعود تجتمع في ايدي المدبرين المقتصدين . نقول ليس احد يطلب قسمتها بالسواء فان هذا وهم وافتراء علينا وعلى العمال . وانما نطلب وقف المصانع والمزارع والمتاجر والمعامل للامة وقفاً لا يجوز بيعه وشراءه لانه للجمهور . وليس يجوز للجمهور ان يتمتع سوى ريعه . وتكون الحكومة الوكيلة العظمى لهذا الوقف العظيم

« يقولون ان ذلك يضعف الهيئة الاجتماعية لانه يجعل الاقوياء ضعفاء . نقول بل بالعكس انه يقوّي الهيئة الاجتماعية لانه يجعل الضعفاء اقوياء

« يقولون ان ذلك يهدم التجارة والزراعة والصناعة من قلة الاقدام حينئذ عليها وتقييد صاحب العمل بآراء عماله . نقول اذاً كيف تنجح المشروعات الكبرى التي تديرها الشركات الكبرى . والحكومة اليست حاضرة للمساعدة . وهل نجحت الاعمال التجارية والصناعية والزراعية من غير تنشيط الحكومات ومساعداتها

« يقولون ان المتاجر تكسد لانها لا تعود قادرة على مزاحمة البضائع الاجنبية الرخيصة . نقول ان بضائعنا ترخص اثمانها حينئذ بدل ان تغلو لان الحكومة لا تطلب ربحاً منها تخزنه في صناديقها

« يقولون ان ذلك يضر بالحالة الحاضرة . نقول ولكن هل تريدون ان تخون المستقبل ونؤخره حفظاً للحالة الحاضرة

« المستقبل . لقد عدنا للمستقبل . انما نريد في المستقبل حياة افضل من حياتنا الآن . وان اعصاب الانسانية الآن كلها متوترة متهيجة . كل واحد لا يأتمن اخاه على

اقل الاشياء . كل واحد يحذر اخاه حذره من الذئاب الضارية . وما ذلك الاّ لذلك المبدإ الملعون الذي انبث في نفوسنا وهو مبدإ تنازع البقاء مبدإ طلب الفائدة للذات بكل الطرق وان اضرّ ذلك بالغير ضررًا عظيمًا . فنحن نريد بدل هذه الانسانية المضطربة المتشنجة انسانية هادئة مطمئنة متمتعة بامن وسلام بنعم الارض والسماء . وهذا لا يتمّ مع النظام الحاضر والحالة الحاضرة لان الانسان لا تهدأ نفسه ويسكن جاشه وتتلطف اخلاقه الا اذا صار امينًا على رزقه . ولا امن على الرزق ما دام الاقوياء متروكين على الضعفاء يمتصون دماءهم والضعفاء يزمجرون ويزبدون في سرّهم حسدًا وغضبًا للنقمة

« ولقد سمعت الخطيب الثاني يتهكم على العلم واهله ويقول ان اهل المال هم المحسنون الى الهيئة الاجتماعية بقناطيرهم الذهبية . فهذه دعوى غريبة لانني كنت اظن ان ادل يسمم الآن هيئتنا الاجتماعية تسميما

« وليس سبب هذا السم المال نفسه ولكن الطريقة التي يُستعمل بها . فان طلاب المال لا غرض لهم في مصانعهم ومتاجرهم ومزارعهم سوى « ربح اكثر ما يمكن ربحه بكل الطرق » ولذلك نظلمهم اذا اردنا وضع قواعد ادبية ورمنا منهم حفظها في معاملاتهم . ان طلب المال والادب لا يجتمعان . ولذلك قيل « لا يُعبد ربان : الله والمال » ـ وهذا بخلاف ما لو كانت تلك المصانع والمزارع والمتاجر في ايدي الحكومة . فانه لما كان اساس كل حكومة عادلة الفضيلة المطلقة وكان غرضها حماية الضعفاء لا جمع المال فانها تنبو بالطبع عن الروح التجاري الافرادي الذي يسمم الهيئة الاجتماعية اليوم ويبثّ فيها روح الفساد بدل روح الاصلاح والاحسان الذي اشار الخطيب اليه

« وروح الفساد هذا ظاهر في كل مكان . فان النفوس اليوم لم تعد تعرف نظامًا غير الذهب ولا فضلاً لغير الذهب ولا قيمة لغير الذهب . انظروا الى اعمالهم لا تجدوا لها غرضًا غير جمع الذهب والظماء الى الذهب . ولذلك صار كل شيء يُشرى ويباع عندهم بالذهب . فالاستقامة والامانة : كلام فارغ لان المقصود جمع الذهب . الآداب والفضائل : حلية العاجزين لان الحلية الحقيقية حلية الذهب . الضمير والذمة والشرف والمبادىء الازلية والرفق بالناس ومحبة القريب وصنع الخير والله : دعنا منها كلها فما هي الا حبائل نصبها الساسة والشارعون لاخضاع الشعوب والحقيقة ان كل شيء دون الذهب ـ فما هذه الحالة الهائلة التي ترتعد منها فرائص الانسانية ايها السادة . هذه هي جهنم الحقيقية . هذه هي الهاوية السافلة التي يلقون فيها كل ما هو محبوب وكل ما هو مقدس وكل ما هو جميل وكل

ما هو عزيز عندنا . وهم يسمون هذا الامر سعة وثروة وخيرات ونعماً . واما انا فاسميها : فظاعة وجنوناً وهوساً و شراهة ونهماً وقبضاً على الهواء

« وقد قلت « قبضاً على الهواء » لان طالب الذهب يرى وهو على فراش الموت في يومه الاخير في ساعته الاخيرة انه سعى وتعب وجدّ عبثاً . اذ ماذا عمل ؟ واي فائدة له مما جناه؟ هل كان يأكل كل يوم الف كبش كما تهكم عليه اليازجي ام كان يكتفي بكسرة من الخبز وقطعة من اللحم كما كان يأكل جاره الفقير . وما يعمل اولاده بتلك القناطير المقنطرة التي تركها لهم . هل ترى جمعها قطعة قطعة من كل طريق و بكل الوسائط ومن كل الجيوب لكي يرى عدم فائدتها في ساعته الاخيرة وعجزه عن اخذ شيء منها معه ـ وحينئذ يتمثل له الاشخاص الذين امتصها منهم في حياته والدموع التي جرت من بعضهم والغضب الذي ثار في بعضهم والعرق الذي انصب من بعضهم في سبيل خدمته فيرى ان حياته كانت حملاً ثقيلاً على البشر . وفي هذه اللحظة الاخيرة يفهم معنى قول المالي المشهور كارنجي غريبة الغرب « سيأتي يوم يكون فيه كل غني يموت دون ان يفرّق امواله موصوماً عند الناس بوصمة العار » فيغطي حينئذ عينيه بيديه ويقول : لم يبقَ لي غير رحمة الله . ولكن الله لا يرحمه الا اذا كان يهب في تلك اللحظة نصف ماله للفقراء والمساكين : اي ان يعيد نصف ماله للامة التي اخذه منها . ـ وعلى خلاف ذلك من لا يجعل غرضه في حياته مقصوراً على جمع المال بل يطلب غرضاً اشرف موافقاً لمصلحته ومصلحة الهيئة التي يعيش فيها معاً

« وهذا الغرض الاشرف هو حفظ النظام في الارض والمساعدة على حفظه . فان البشر لا يمكن ان يعيشوا براحة في الارض من غير شرائع تحكمهم . وهذه الشرائع منها سياسي وديني واجتماعي وادبي . ومجموعها نسميه « النظام » اي الشريعة المطلقة التي تدخل فيها كل الشرائع . وحفظ النظام اول ما يجب على الانسان الذي يستحق ان يُسمى انساناً . وكل من يخرق هذا النظام يخرج عن حدود الانسانية . ولكن كيف يُخرق هذا النظام ؟ يُخرق بطرق عديدة . فالصانع الذي يغش صناعته والزارع الذي يغش زراعته والتاجر الذي يغش تجارته انما يخرقون ذلك النظام لانهم يخدعون اخوانهم بني البشر ليربحوا منهم اكثر مما اعتادوا ربحه . وصاحب العمل الذي يستخدم العمال في عمله باجرة قليلة بالنسبة الى ربحه وصاحب الاموال الذي يضايق مديونيه والسيد الذي يسيء في معاملة مسوده لانه لا يعظمه بقدر ما يريد ان يُعظَّم ـ كل هؤلاء ايضاً يخرقون حرمة النظام الاجتماعي لان الرفق والرأفة اساس هذا النظام فانتم ترون ان « حفظ النظام » و « جمع

المال » نقيضان لا يجتمعان وضدان لا يأتلفان . فاين ما قاله الخطيب من ان الهيئة الاجتماعية لا تستغني عن اهل المال

« كلا ثم كلا . ان الهيئة الاجتماعية تحتاج الى المال لا الى اهل المال . والمال متى عاد الى صندوقه الحقيقي انحصر في يد الحكومة . اما الذين لا يمكن للهيئة الاجتماعية ان تستغني عنهم فهم اهل العلم . هم حفظة هذا النظام الذي نشير اليه . هم الذين يطرحون انفسهم بين الانسانية المقتتلة على حطام الدنيا وخزعبلاتها ليسموها كلمة المحبة والرفق والالفة ويذكروها بزوال هذه الاباطيل . هم الذين يولدون فقراء ويعيشون فقراء متفخرين بفقرهم لان قناطير الاموال التي تُجمع في الصناديق انما تُجمع من دماء بني جنسهم اما من التسفل لاقويائهم او الضغط على ضعفائهم . هم الذين تراهم مع فقرهم هذا مكتفين قنوعين يستنشقون براحة وهناء هواء جوهم النقي من جراثيم الرذائل والفظائع التي تسمم جو غيرهم . هم الذين يطبقون اعمالهم على اقوالهم فلا يظلمون ولا يخدعون ولا يتسفلون . فكأنهم اعمدة شامخة نصبها الله بيده الازلية في هذه الارض ونقش عليها فضائل اديانه بكتابات جديدة وطرق جديدة بعد ان صدئت الاعمدة الاولى التي نقشها عليها اولاً بفساد قلوب الرجال الذين كانوا يحرسونها

« هذا ما يُقال في العلم حافظ « النظام المطلق » في الارض . بقطع النظر عما كان له من الفوائد العملية كالاكتشافات والاختراعات التي احيت التجارة والصناعة والزراعة ولولاه لما كانت الآن على جزء من تقدمها الحاضر

« فمن الغريب ان يهاجمنا اهل المال وينكروا فضل العلم ونعمته بعد كل ما صنعه العلم للهيئة الاجتماعية

« اما حكمكم في مشاكلنا هذه ايها السادة فليكن كما تشاؤن ولكن علينا ان نذكركم بان الدنيا كلها تنتظر حكمكم بشوق شديد لترى الى اي درجة وصل العدل في الكرة الارضية »

ولما جلس الخطيب تزحزح الشيخ الرئيس ونظر في ساعته ثم قال بصوت جهوري

ـ اني مسرور لاننا سمعنا اقوال الخطباء الثلاثة بكل هدوء وسكينة . فهل ترون ان نتباحث الآن فيها

فنهض واحد من فريق رجال الدين وقال

ـ ل ارجو ان نترك البحث في كل المشاكل الى ما بعد سماع اقوال باقي الخطباء

فهز بعض من فريق العلم رؤوسهم لانهم علموا ان هذه حيلة عليهم وقال الشيخ الرئيس

اذا انعقد بعد الجلسة الثانية

الفصل السابع

﴿ الجلسة الثانية ﴾

العلم ومشاكله

وفي الليلة التالية ازدحمت الحديقة بالاقدام ازدحاماً شديداً . ذلك ان الخطب التي أُلقيت امس حمّست السكان ولم يكن في المدن الثلاث في ذلك النهار حديث في غيرها . وقد حدثت بعد العصر عدة فتن في مدينة المال بين العمال واصحاب الاعمال فاضطرت الجنود الى المداخلة اعادة للنظام . ولذلك كان عدد الجند حول الحديقة في هذه الليلة اكثر منه في العادة

ولما انتظم عقد الاجتماع وجلس الشيخ الرئيس في كرسيه وعلى وجهه لوائح القلق واشتغال البال انصت الجميع . فقال الشيخ الرئيس

ــ كملوا يا اولادي مباحثتكم في مصالحكم واذكروا وصيتي لكم بالهدوء والسكينة

وكانت هذه الجلسة مخصوصة بالعلم ورجاله . فنهض زعيم كبير من صفوف رجال الدين وابتدأ يخطب في الجمع بصوت جهوري . فقال

دعوى اهل الدين

ايها السادة

ــ لما كنت اصغي الى الخطب الثلاث التي القيت امس كنت اظنني في حلم . لان الخطباء الثلاثة بعد كل ما ذكروه في اثناء كلامهم لم يدخلوا في اساس الموضوع . فكل كلامهم كان خارجاً عن دائرة المسألة

ان المسألة الكبرى التي هي مسألة المسائل في الهيئة الاجتماعية هي « كبح هوى الانسان » اي وضع شكيمة تضبط شهواته واهواءه لان الاجتماع مستحيل من غير هذه الشكيمة . وهذا هو السبب في نزول الاديان وقيام المهذبين والمرشدين ليعلّموا البشر انهم لا يكونون بشراً الا اذا كسروا حدتهم وقللوا طمعهم وسكّنوا اهواءهم وسامحوا المسيئين اليهم . الى غير ذلك . ولكن تعالوا وانظروا ماذا يصنع اهل الكفر والضلال

فصاح صائح من بين صفوف اهل العلم

ــ لم يصنعوا شيئاً سوى انهم نقلوا الجنة من السماء الى الارض

فاتمَّ الخطيب كلامه دون ان ينتبه اليه قائلاً

ــ انهم قاموا يعلّمون الناس الانفكاك من هذه القيود الادبية الجليلة التي حفظت الهيئة الاجتماعية الى اليوم . فانهم يحرّضون الضعفاء على ان يتمتعوا بالحياة كالاقوياء . ويعلمونهم ان ذلك من حقهم لانهم الاكثرية . وان اللذات الموعودين بها فوق تعويضاً لهم عما فاتهم منها هنا انما هي لذات وهمية . وبهذا التعليم ايها السادة يهدمون نظام الاجتماع الذي يزعمون انهم حافظوه ويثيرون كل ما في نفس البشر من الاحقاد والضغائن والشهوات الحيوانية

فصاح حينئذ صائح من صفوف العمال

ــ كم اعطاك اهل المال لتقوم مدافعاً عنهم

وصاح صائح آخر منهم

ــ لا عتب علينا نحن العوام اذا كنا نطلب التمتع بخيرات الارض ما دام رجال الدين قد سبقونا الى ذلك منذ ازمان

فاتمَّ الخطيب كلامه قائلاً

ــ فاهل الضلال هم السبب في كل هذه الفتن وهذه الاضطرابات . ولست اسميهم « اهل العلم » لان العلم الحقيقي براءٌ منهم . وها في صفوفنا نحن كثيرون من اهل العلم الحقيقي ينكرون تلك البدع المهلكة

« ايها السادة . ان بابل ونينوى وسدوم وعمورة انما خربت وصُب عليها غضب الله لانها اطلقت اهواءها وشهواتها من كل قيد . فهل ترومون ان يصيبنا ما اصابها

« هؤلاء المصلحون اصلحهم الله يريدون الاشتراكية . اي يريدون هيئة اجتماعية فيها الجميع اخوة وتكون ادارتها تهتم بالجميع . فعافاكم الله ايها المقلّدون الذين يُسمّون انفسهم مخترعين . الا ترون ان هذه الهيئة هي هيئتنا نفسها . فتعالوا اذاً الينا . ولكنكم لا تأتون لان اشتراكيتنا نحن مبنية على المحبة والرفق لا على العنف والغضب . نحن نعتبر الكبير فينا صغيراً والصغير فينا كبيراً واما انتم فتريدون ان تكونوا كلكم كبراء . نحن نجامل الجميع ونساوي بين الجميع لنرضي الجميع واما انتم فتريدون جعل الفقراء اغنياء والاغنياء فقراء . نحن نطلب خيرات الدنيا لنفرقها على غيرنا واما انتم فتطلبونها لتدسوها في بطونكم

« فالفرق بيننا وبينكم في المسألة الاقتصادية كالفرق بين الخير والشرّ والبيض والسواد . انتم تحرّضون وتهيجون ونحن نسكّن ونهدّد . والله من اعالي السماء يعلم اينا انفع للهيئة الاجتماعية

فصاح حينئذٍ صائح من بين العمال

ـ هذا افتخار من يكبح جماح البقرة ويمسكها لمن يريد حلبها

وصاح صائح من فريق اهل العلم

ـ نراكم جبرتم تفتخرون بفوائد مبادئكم بدل الافتخار بصحتها

فاجاب الخطيب ـ ان المفيد يكون صحيحاً دائماً

فصاح واحد آخر من فريق العلم ـ ان دين بوذه وكونفوشيوش وبرهما صحيح ايضاً لانه مفيد

فاستشاط الخطيب غضباً حينئذ وصاح مخاطباً اهل العلم

ـ كل المذاهب خير من مذهبكم . ونحن سواء كنا مسيحيين او مسلمين او اسرائيليين او بوذيين او براهمة او كونفوشيوشيين كنا على اتفاق ضد مبادئكم المهلكة

فصاح صائح آخر من فريق العلم

ـ هذا افتراء فظيع علينا فاننا نؤمن بالله مثلكم

فاشتد غضب الخطيب فقال

ـ نعم تؤمنون بالله لتتخذوا هذا الايمان ستاراً تنشرون وراءه مبادءكم . وهل تحسبوننا بلهاً الى هذا الحد حتى نكتفي منكم بالايمان بالله . فاما ان تؤمنوا كما نؤمن نحن او تكونوا جاحدين . هل تؤمنون برسالات الرسل والانبياء والاقانيم الثلاثة وعلم الله بكل شيء ومقدرته على كل شيء والبعث والحساب في عالم آخر فيه جنة وفيه نار . كلا انكم لا تؤمنون بذلك . ومع ذلك تنادون « ان علمكم موافق للدين » . وعلمكم لا يكون موافقاً للدين عندنا الا متى اضاف الى ايمانه بالله الايمان بهذه الامور لانها في الدين . فتدجيلكم اجيزوه بعد الآن على السذج لا علينا

فقطع كلامه احد رجال العلم قائلاً

ـ هل تعلمون سياستكم هذه الى اي هاوية تجركم

فاجاب الخطيب

ـ كل الهاويات عندنا مقبولة بالنسبة الى هاويتكم . انكم تهدمون ما بنيناه في عدة قرون . انكم تقوضون الهيئة الاجتماعية من اساسها . فعلينا محاربتكم بكل سلاح

« ولكن خبرونا ماذا تريدون ان تضعوا بدل الشيء الذي تطلبون هدمه . لا ريب انكم تعلمون المبداء القائل « لا يمكن في الاجتماع هدم شيء الا متى امكن وضع شيء آخر مكانه يقوم مقامه » فماذا تضعون موضع الدين . أتضعون العلم ؟ لله ما

لله ما اسخف احلامكم. اذهبوا وقولوا للناس وخصوصاً للشعب المسكين : يجب عليكم ان تحبوا قريبكم من اجل العلم . وتصنعوا الخير من اجل العلم وتعفّوا عن مال غيركم اكراماً للعلم . ولا تصنعوا شرًّا في السر ولا في العلانية اكرامًا للعلم — وحينئذ تسمعون الجواب. ولكن ويل للهيئة الاجتماعية في ذلك اليوم الذي تقطع بيدها الاثيمة قيود خوف الله ورهبة الدين لتجرب هذه التجربة الهائلة

فقطع هنا كلامه خطيب العلم السابق قائلاً

— هل تسمح لي ان اجيبك الآن عن هذا الكلام

فقال الخطيب

— اذا كان جوابك وجيزًا فلا بأس

فقال المعترض

— معاذ الله ان نروم هدم الدين كما تفترون علينا وانما نروم هدم الاوهام والخزعبلات في الدين . ولماذا تجعلون هذه قسماً منه . واول هذه الخزعبلات قولكم ان الانسان لايمكن ان يعبد الله ولا ان يفهم الكتب الدينية الا بواسطة كاهن او شيخ . وبذلك تضعون انفسكم بين الله وبين عباده رفعًا لشأنكم وطلباً للمائدة لكم . وهذا ما حمل بعض رجال الدين في بعض خطبه العمومية يفضّل الذبيحة اليومية في الكنيسة على كل ما في الديانة المسيحية من الفضائل وروح الكمال . فنحن اذا حاربناكم فانما نحارب هذه السيطرة على عقول الناس . اي نحارب اتخاذ المبدأ سبيلاً للمصلحة

« اما ماذا نصنع موضع الدين بهذه مسألة يجيبكم عنها علماء الفلسفة الوضعية او الحسية. فانهم يقولون ان للبشر ثلاثة اطوار: طور الطفولية وهو الاعتقاد بان العالم محكوم بالارواح والآلهة . وطور الشباب وهو البحث في ما وراء الطبيعة . وطور الرجولية وهو طلب الهيئة الاجتماعية «نفع الناس» بناء على «الواجب» ومحبة الناس والعقل والمصلحة المتبادلة . وهم يقولون ان البشر متى وصلوا الى هذا الطور صاروا يعملون ما يجب عليهم عمله من غير ارهاب ولا تشويق بل بسائق فطرتهم ومصالحهم المتبادلة المحصورة في هذه العبارة « يجب ان لا اصنع بالناس الا ما اريد ان يصنع الناس بي »

فصاح الخطيب

— اذًا تكون قصارى فلسفتهم ايها السادة ان يأكل الناس ويشربوا وينامو ويعيشوا معيشة الخنازير . هذه هي « المعيشة الوضعية » وكثيرون من البشر هذا شأنهم

اليوم . وهم يضيفون الى ذلك التمتع بكل شهواتهم واهوائهم الحيوانية . فهل يكون في المستقبل ايها السادة هؤلاء الحيوانيون العابثون بكل شيء مصيبين والذين صرفوا حياتهم بالعفاف والزهد والفضيلة والخير والصلاح مخطئين . هل المستقبل سيذبح الفضيلة هذه الذبحة الهائلة بان يثبت ان اولئك كانوا اقرب الى الحقيقة من هؤلاء . اذاً ما افظع الحاضر وما اقبح المستقبل . و ياهاويات الفناء . يا جحيم العدم . ابتلعينا منذ الآن واريحينا من حاضر فظيع ومستقبل قبيح

« ولكن لا لا . ان الله موجود ايها السادة « وكل ما في الطبيعة يدل عليه ويشير اليه . ولا ينكره الا الاشرار الذين يخافون عدله» . ونحن لا نعلم هل يوجد في العالم بشر تكفيهم تلك المعيشة الخنزيرية المجرّدة عن كل عاطفة انسانية كريمة وكل جنوح الى ما وراء الطبيعة ولكننا على ثقة من ان في العالم قوماً لا تكفيهم هذه المعيشة الحيوانية . بل ان نفوسهم الشريفة وفطرتهم السامية تجنح دائماً الى خالق الطبيعة وواهبها قواها . الى الآخرة التي هي وطننا الحقيقي . الى الحياة الروحية التي هي الحياة الحقيقية . وبناء على ذلك يكون علمكم وفلسفتكم مما يرضي قسماً من الانسانية فقط . والقسم الثاني لا يستغني عن علمنا وفلسفتنا اي عن مبادئنا الدينية . ولذلك يكون الدين من حاجات قسم كبير من الناس لاختلاف قلوب الناس باختلاف فطراتها ولان اصوله مغروسة في النفوس لا في الكتب والاوراق

فصاح به المعترض

— ولكن هذا الفريق من الناس ينقرض متى دخلت الانسانية في الطور الثالث من اطوار الفلسفة الوضعية التي تقدم ذكرها

فصاح الخطيب ضاحكاً ومتهكماً

— انتظروا فاننا معكم منتظرون . ولكن على افتراض ان هذا القول صحيح هل يجوز جرح عواطف الناس بمهاجمة معتقداتها قبل حصول هذا التغيير ودخول الانسانية في طور التحوّل عما بين يديها

فاجاب المعترض

— نحن نجاهد كالرسل والانبياء . ولولا هذه المجاهدة لما تقدمت المبادىء . وهل تظنون ان المسيحيين والمسلمين لو انتظروا حصول التغيير في الارض من مجرّد سير المبادىء كانوا قد وصلوا الى ما وصلوا اليه

فصاح الخطيب وقد فرغ صبره

— بئس هذا الجهاد الذي تقومون به . فانكم تهدمون به كل شيء محبوب الينا . واي شيء سلم من هدمكم . لقد هدمتم الدين وهدمتم الوطن وهدمتم الجيش وهدمتم العائلة وهدمتم العادات الجليلة المقدسة

فضحك هنا كثيرون من فريق العلم وقال احدهم

— انك تتسلح بالمبادىء الوطنية وبالدفاع عن الجيش تقوية لحجتك

فقال الخطيب

— وهل تنكرون انكم افسدتم الفكرة الوطنية وشوهتم مبادئها المقدسة . اما نسمعكم دائماً تعلمون الناس ان البشر اخوان وان الحدود يجب ان تزال من بين بني الانسان . فما معنى هذا عندكم . اليس معناه تسليم الوطن للاجانب . ثم اما انتم الذين تدعون الى نزع السلاح وقصدكم من ذلك اضعاف جيشنا لكي يصبح غير قادر على مقاومتكم يوم تريدون انفاذ اغراضكم . اما انتم الذين تحرضون الجنود على الفرار من الخدمة العسكرية لانها عار في مذهبكم لقيامها على حمل السلاح وسفك الدماء وتنشرون المنشورات بين صغارهم ليعصوا قوادهم ولا يكبحوا جماح العمال في اوقات الاعتصاب . اما انتم الذين ادخلتم الطلاق في العائلة فضعضعتم به اساسها واساس الهيئة الاجتماعية ثم تريدون الآن توسيع نطاقه باعطاء كل واحد من الزوجين حق الطلاق حينما يطلب ذلك وان لم يرضَ به الثاني . اما انتم الذين تدعون الى اباحة الزواج من غير زواج والعياذ بالله اي من غير عقد رسمي سوى رضى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ومتى شاءا يفترقان كما اجتمعا

فصاح حينئذٍ كبير من فريق رجال العلم

— يظهر ان هذا الكذب لا حدّ له عندكم فانكم تنسبون الينا كل اعمال الاشتراكيين مع علمكم اننا براء منها

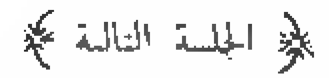
فقال الخطيب

— ولكن أليست هذه كلها نتائج مدنيتكم هذه . انما اردنا ان نظهر للامة الهاوية التي تجرُّون البلاد اليها اذا بقيت لكم الحرية . فانكم تعطلون عقائد الامة بجرّها الى الالحاد . وتثيرون الحرب الاهلية بتحريضكم الصغار على الكبار والضعفاء على الاقوياء . وتفرّقون الجامعة الوطنية والدينية بدعوتكم الى الاخاء والتعاون الانساني . وتُضعفون قوة البلاد بمقاومة جيشها واهانته في كل يوم . وتهدمون الهيئة الاجتماعية والفضائل المدنية بمحاربتكم العائلة ووضعكم الفاحشة موضع الزواج المقدس اللطيف

« هذه ثمار اعمالكم ايها السادة . ومن ثمارهم تعرفونهم . فلا يفتخروا بعد الآن بانهم حفظة « النظام المطلق » مع انهم مضعضعوه . ان النظام يقتضي قبل كل شيء « انكار الذات » اي ان يتنازل الانسان عن شيء من حقوقه في سبيل المصلحة العمومية اكراماً للذين يخدمون و ينفعون . فالرؤساء والحكام والاغنياء والكبراء يتفانون في الخدمة العمومية ونفع الامة ولذلك يجب على افراد الامة ان ينكروا ذواتهم قليلاً و يتركوا لهم شيئاً من حقوقهم في مقابلة متاعبهم ومسئوليتهم . ولذلك تكون المساواة المطلوبة بين هؤلاء وافراد الامة عبارة عن وهم وخيال . اما المساواة الممكنة الحقيقية ايها السادة فهي تكون في السماء لدى الله لا في الارض بين الناس »

وهنا فرغ الخطيب من خطابه وجلس وهو يمسح العرق عن جبينه . ويظهر ان الغيظ الذي كان في اثناء كلامه يجيش في صدور العمال والغلاة من انصارهم قد طفح حين سكوت الخطيب فهاجوا وماجوا وصرخوا صرخة واحدة قائلين « فليسقط الظالمون » وصاح احدهم « قلت ان المساواة وهم وخيال فالوهم معتقدك والخيال في دماغك اما المساواة فسنحققها او نموت » وصاح اخر « ان قولك وهم وخيال ينقض كل الاديان ولكن لا يهمكم دينكم ما دامت مصلحتكم مصونة » — فردَّ عليهم حينئذ فريق من رجال المال ورجال الدين وعلت الضوضاء واحتدم الجدال وتماسك فريق منهم بعضهم ببعض وتضاربوا فعمت الفتنة الحديقة كلها واضطرت الجنود الى المداخلة حفظاً للامن . ولكن الجنود لم تتمكن من ذلك الا بشق النفس لعظم الاضطراب . ثم انجلت الفتنة عن جريحين حُملا الى المستشفى بحالة النزع . واخرجت الجنود الناس من الحديقة وفرقتهم في المدن الثلاث لان التحمس كان شديداً

الفصل الثامن



الجلسة الثالثة

الدين ومساكله

وفي اليوم التالي ابتدأ السكان على اصوات جلبة العمال واجتماعهم في الشوارع والاسواق افواجاً افواجاً لاعتصابهم وتركهم العمل بتاتاً في ذلك اليوم . فعاظم الخطب وازداد الاضطراب .

لكن لما بلغ العمال ان شيخ اهل العلم سيخطب في تلك الليلة ردًّا على خصومهم خمدت قليلاً نار حدتهم . ولما امسى المساء غصت الحديقة بالناس حتى لم يبقَ فيها مكان لوضع قدم . وكانت جميع الابصار حائمة على صفوف اهل العلم لتشاهد شيخهم الكبير الذي كان لا يخرج من خلوته في مدينة العلم ولا يحضر المجتمعات العمومية ليبدي رأيه فيها الا في اشد الاوقات . وبينما هم يتطاولون نحو صفوف العلم انفرد من هذه الصفوف شيخ مهيب جليل كلل الشيب رأسه وهو يناهز السبعين . فجلس على كرسي منفرد كان موضوعاً على دكة وابتدأ خطبته والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير . وكان حليم جالساً مع رفيقه في الزاوية التي تقدم ذكرها قريباً من شيخ العلماء والشيخ الرئيس وقد صار شديد الاهتمام مما عليه اهل هذه المدن من الاختلاف بعد ما سمعه في الليلتين السابقتين

اما شيخ العلماء فانه انشأ يقول

خطبة شيخ العلماء

ايها الاخوان

— قرأتُ اليوم في الجرائد خطبة اخينا المدافع عن الدين الحامل على العلم حملة منكرة فخيل لي وانا اقرأها اني في مشهد مصارعة وان الخطيب مصارع يطلب اعدام خصمه لا اقناعه . فذكرت حينئذ مشهداً كهذا المشهد فيه فكاهة وعبرة معاً . فاني كنتُ اسمع مرة احد المتحمسين في الدين يدعو الى دينه . فكان يتكلم بصوت كالرعد القاصف ويخبط الهواء بيديه خبطاً متوالياً ويرفس الارض بقدميه رفساً شديداً وينادي ملء فيه : ان البشر لا يستغنون عن الدين . ان دينه خير الاديان كما ورد في كتابه . ثم اردف ذلك باقوال عن العلة والمعلول والفاعل والمفعول والواجب والممكن وغيرها . فلبثت في مكاني مبهوتاً واما اقول : ان هذا الرجل يطلب ان يدلنا على طريق السماء ومع ذلك فانه يغطي وجهها بالغبار الذي يثيره حدته وبالسحب المتراكمة من اقواله الجافة الغامضة التي لا يفهم سامعوه لها معنى . والتفتُّ لارى حالة سامعيه فابصرتُ في زاوية امامي فتاةً جاثية على بلاط الارض ووجهها لاصق بالثرى وهي تصلي ولا تسمع شيئاً من كلام ذلك المتحمس . فثارت نفسي لهذا المشهد وقلت ان هذه الفتاة بلطفها وهدوئها وسكوتها تعرف طريق السماء وتؤثر في الارشاد اليها اكثر من ذلك الواعظ البليغ الفصيح

« وان سألتم لماذا يكون تأثير هذه الفتاة مع سكوتها اوقع في النفوس من تأثير ذلك الواعظ المتحمس مع كثرة كلامه . فاجيب : ذلك لان هذه الفتاة تمسك باسمى مبادىء

الدين ولا تلتفت الى ما بقي . واسمى مبادىء الدين التسليم والاستسلام الى الخالق وترك الدنيا لطلب ما وراءها لا للاستيلاء عليها وعلى عقول سكانها . فبماذا كبرت الاديان وشرفت وعظمت ؟ هل كان ذلك بالحروب والسيوف والمدافع ؟ كلاً وانما كان ذلك بدم الشهداء . اي تسليم الانسان نفسه الى كبرياء المخلوق اعتماداً على عدل الخالق . وقد كان الخالق عادلاً فان ذلك المسيحي الذي كان يحتمل كل عذابات الموت بسكوت وفرح وشكر لله لانه اختاره ووجده اهلاً لان يتعذب من اجله . وذلك العربي الذي كان في واقعة اليرموك يهجم طالباً الموت منادياً « يا محمد امتك امتك » — قد اسسا في العالم اديانًا عظمى وممالك كبرى . فكان انتصارهما عظيماً

« فدماء الشهداء ايها السادة وظلامات المظلومين هي التي نصرت الاديان وجعلت على هامة الدين اكليلاً من الجمال والسناء . فاحذروا ان ترفعوا هذا الاكليل عن هامة الدين . وانكم لترفعونه عنها وتضعونه على هامة قوم غيركم يوم يصير الشهداء في صفوف غير صفوفكم . فينتقل يومئذ صولجان العظمة والجمال منكم الى اولئك الشهداء الذين تعادونهم وتعذبونهم . اذاً لا تضطهدوا العلم والعلماء ولا تفتروا عليهم ولا تقاوموا العمال المساكين انتصاراً لاصحاب الاعمال فان هولاء العزل هم شهداء العصر الحاضر . وارجعوا الى الله في نفوسكم والى مبادئكم الاساسية التي منها درجتم فتنكشف لكم الحقيقة التي تنشدها معكم

« ولا تخشوا ان اقع في الخطاء الذي يقع فيه الناس عند طلبي التساهل والاعتدال منكم . فانني اعلم ان التساهل الديني ليس سوى فرع من التساهل العمومي الواجب بين جميع الناس في جميع المعاملات . اذ ماذا يفيدنا ان نطلب التساهل الديني فنحصل عليه ثم يبقى التعصب والتصلب في باقي الامور شديد البنيان راسخ الاركان . كلا . اننا نطلب التساهل المطلق . التساهل بكل فروعه . لان هذا التساهل العام هو وحده الضربة القاضية على الحيوانية والاثرة البشرية . فالذي يفتخر بانه متساهل في دينه لا يبغض غيره ولا يطلب ضرره بسبب مذهبه ثم تراه ظالماً في معاملاته الخصوصية فسمه متعصباً لا متساهلاً . وهكذا يكون صاحب العمل الذي يظلم عامله متعصباً . والعالم الذي يتصلب برأيه ولا يحتمل رأي غيره متعصباً . وهلم جراً . فاطمئنوا فانكم لستم وحدكم مصدر التعصب لان للتعصب انواعاً متعددة

« ولكني اعتقد انه يحسن بخدمة الله ان يكونوا الدعاة الاولين لاقامة مملكة التساهل في الارض وقتل روح التعصب على انواعه . فساعدونا ايها السادة على محاربة الاثرة البشرية وحب

الذات واعادة الامن والنظام الى نصابه في البلاد

« وتوصلاً لذلك علينا ان نبحث معكم في مسألتين (الاولى) علاقة العمال بارباب الاعمال (والثانية) علاقة العلم بالدين

« اما المسألة الاولى فقد قرأتُ اقوال الفريقين فيها . فرأيت العلو في الجانبين . فلتكن وظيفتنا ايها السادة التوفيق بين المصلحتين لا نصرة احداهما على الاخرى

« وقد القيتُ الى حضرة الرئيس حين دخولي الى هذا المكان لائحة فيها عدة اقتراحات اظنها كافلة بهذا التوفيق

« اما المسألة الثانية فحلها اسهلُ من حل المسالة الاولى . فان العلم والدين اذا اختلفا في الطرق فانهما يتفقان في الغرض . ذلك لان غرض العلم والدين واحد وهو تحسين حالة الانسانية وترقية شؤون البشر . فما الموجب لجعل الواحد يناقض الثاني ويحاربه

« لا موجب لذلك سوى الاهواء والمصالح ايها السادة

« فلننبذ الاهواء والمصالح ولنتمسك بالمبادىء والمبادىء توفق بيننا وان اختلفنا في تفسير بعضها

« ولكن فاعلموا جيداً ايها السادة انه لا سبيل للوفاق بين الفريقين الاَّ بتساهل الاثنين . فعلى الدين قبل كل شيء ان يتذكر ان العالمَ قد تغير وتبدل ولذلك يجب ان يغير شيئاً من مبادئه وقواعده القديمة . وعلى العلم ايضاً ان يتذكر ان العالمَ قد تغير وتبدل ولذلك يجب ان يغير شيئاً من مبادئه وقواعده الماضية . ـ ذلك ان العدو الحقيقي للدين والعلم ايها السادة انما هو الاثرة والشراهة والرغبة في الانفكاك من كل قيد . او كما يقول بعضهم " اعطاء الفرد مداه لاشباع كل قواه " . وما نتيجة هذا الامر الاَّ استعلاء ذوي الفطر الدنيئة على ذوي الفطر السامية اي تغلب صغار النفوس على كبارها لان المواهب السامية والعواطف الكريمة المودعة في النفوس الكبيرة لا تعود نافعة لشيء ما دام الغرض من الحياة التمتع بما فيها من اللذات . وحينئذ يملك في الارض اصاغر سكان الارض اعني الشرهين والحمقى والوقحين والمعتدين والظالمين . وينزوي الاكابر الحقيقيون في زوايا الاهمال يندبون سقوط كل ما هو جميل وجليل . ولا عزاء لهم حتى ولا بحياة اخرى لان اولئك يضحكون منهم ويخبرونهم انها حياة وهمية

" نعم ايها السادة اننا مثلكم نبكي حزناً واسفاً كلما رأينا العلم يؤدي بعضهم الى هذه النتائج المكروهة . ولكن رحماكم انصفوا ولا تلقوا التبعة في ذلك على العلم بل على الدين اخرجوه هذا المخرج . اي على النفوس التي استنتجت منه هذه النتيجة القبيحة . ان العلم

« كمدى السماء . ولا يبقى الندى نقيًا الاّ اذا وُضع في اناء نقي ». فالنفوس التي تُخرج العلم المقدَّس ذلك المخرج ليست بنفوس نقيَّة ولذلك يفسد العلم فيها . فقبل لومكم العلم لوموا الفطرة الطبيعية الدنيئة

« ثم هل تظنون ان العلم وحده يُنتج نتائج كهذه النتائج . كلا . فان تعليمكم الدين بالطريقة التي تعلمونه بها يُنتج مثلها ايضًا . فانكم تعلمون مبادئ وقواعد قديمة لم تعد العقول تقبلها في عصر كهذا العصر . وتطلبون تدبير الحاضر بالماضي . وتقولون ان الناس لا يمكنهم فهم الكتب الا بواسطتكم ولذلك تفسرونها وتضعون رايكم في هذا التفسير في موضع الحقيقة الثابتة التي لا يجوز مسّها بدل ان تتركوا الناس يفهمونها كما تسوقهم فطرتهم . فكم من نفس ساذجة كريمة تفهم مع سذاجتها تلك الكتب بالروح اكثر مما تفهمونها انتم . بل هي تصنع افضل من هذا فانها لا تفهمها فقط بل تعمل بها ايضًا وهذا فضل لها عظيم عليكم يا من تكتفون بالقول دون العمل . فلماذا تجعلون انفسكم بين الله والناس في منزلة الوسيط والمدافع عن الدين اي عن الضمير البشري . من اقامكم وسطاء ومدافعين عن هذا الضمير . دعوا البشر يعيشون بملء حريتهم الروحية . فان كتبهم الدينية بين ايديهم . وضمائرهم اذا لم تفسدوها بالجدل والمماحكة والاهواء فانها لا تقرأ فيها الا الحقائق الازلية ومبادئ الاخاء البشري . ولا تقولوا نحن نرشدهم . فانكم بشر مثلهم . اي فيكم جميع اهواء البشر الصالحة والفاسدة . وهذا الارشاد لا يقبله البشر الا من الملائكة . ويوم تصيرون ملائكة مجردين من كل ضروب الشقاء البشري فاعلموا اننا نحن نسعى اليكم من غير ان تأتوا الينا ونطلب مساعدتكم . فدعونا ولا تقفوا بيننا وبين الله لتجبرونا على ان نفهم حياتنا وكتبنا والهنا ومصالحنا كما تريدون انتم : فان ذلك الضغط يجرنا الى الكفر بكل شيء

« ثم هل انتم تكتفون بذلك ؟ كلا : فانكم لا تنفكون عن محاربة بعضكم بعضًا . فهذا المذهب يكفّر ذاك وذاك هذا الى ما شاء الله . والاقبح من ذلك الحرب بين الاديان اي بين دين ودين لا بين مذهب ومذهب فقط . فان الدين مصلحتهم قائمة بتكدير الاخاء بين البشر واثارة التعصب في نفوس اهل السذاجة (ولولا ذلك لم يكن ثمَّت موجب لوجودهم ولا معنى له) لا ينفكون عن النداء ان دين اولئك باطل لاحتوائه على كذا وكذا فيجيبهم غلاة هذا الدين بل دينكم الباطل لاحتوائه على كذا وكذا . وفي اثناء ذلك يكون رجل ثالث واقفًا بعيدًا عن الفريقين يسمعهما . فلما يرى الفريقين في سكرة من الجنون والحماقة الى هذا الحد . لما يرى انه لا غرض لها من هذا الطعن غير التدجيل والشعوذة « لملء الخزانة واشباع

الخزانة » كما قال الزمخشري في بعضهم على افتراض ان هذا التدجيل يجوز على عقول اهل السذاجة ـ فانه حينئذ يهب من مكمنه و يقول للفريقين : ان رمتما الحق فكلا كما في ضلال . وليس هنالك دين صحيح غير ديني . فيسالانه : وما هو دينك ؟ فيجيبهما « ديني ان اعمل ما اريد كما اريد وقتما اريد . وما بقي فاوهام وخزعبلات حاكتها التصورات والخيالات وهدمتها كل الفلسفات » ـ وهكذا يكون تكفير الناس بعضهم بعضاً في عصر كهذا العصر مؤدياً على خط مستقيم الى هدم جميع الاديان على السواء . وليست التبعة في ذلك واقعة فقط على الغلاة من اهل العلم والفلسفة بل هي واقعة ايضاً على الغلاة من اهل الاديان في اي دين كان .

« من اجل هذا طلبنا منكم التساهل والاعتدال وترك الصراع والنزاع . ان مبادئكم ـ كتلك الفتاة التي كانت جاثية بخشوع على البلاط تصلي في اثناء هياج الخطيب المصارع ـ لا تؤثر تأثيراً حقيقياً الا بالتسليم لرحمة الله والهدوء والاقناع . فكونوا هادئين ومخلصين مقنعين ومقتنعين ... واعلموا ان الوفاق في بلادنا بين عناصرنا لا يمكن الا بمراعاة الوسط الجديد الذي صرنا فيه لان الوسط الماضي قد تغير علمياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً . وهذا الوسط لا بد ان تجتمع فيه جميع المذاهب والآراء والمبادىء والافكار . وبناء على ذلك لا سبيل لدوام الوفاق بين الجميع الا باطلاق الحرية المطلقة لجميع تلك المذاهب والآراء والمبادىء والافكار من اي نوع كانت . وهي من تلقاء نفسها متى تركت لذاتها ولم يكن هنالك شهوة دنيئة تحركها تتفق وتتجه الى غرض واحد وهو الخير اي محاربة الرذيلة والشناعة والفظاعة والشرور في الارض من اي مصدر وردت وباي صورة كانت . وحينئذ لا يبقى منها الا الافضل « لان الافضل ينسخ بما هو افضل منه » كما قال ابن رشيد . ونحن نقبل هذا الافضل في اي جانب كان ومن اي مصدر كان .

ولا تقولوا ان اقوالي هذه تهدم آمالكم القديمة واحلامكم الجميلة . كلا . فانه لا حلم ولا أمل اجمل من رفع الجنس البشري وانهاض الشعوب . فاصرفوا همكم لا الى تحريك التعصب في صدور الشعوب ولا الى طلب المستحيل بل الى خدمة الشعب خدمة حقيقية . ويتم ذلك بانارة عقول ابنائه ـ دون سيطرة عليها ـ ومساعدتهم في حياتهم وتعزيتهم في مصائبهم وذلك بالفعل لا بالقول فقط . فان القول لم يعد يؤثر شيئاً والقدوة خير المعلمين . فاحملوا اذا لواء الفقر والرفق والمحبة والايثار والزهد وامشوا في طليعة جيش الشعب . فانكم لهذا وجدتم . اما اذا رمتم حمل لواء البذخ في صفوف الحكام والكبراء واصحاب الاعمال

فيكون حينئذ مثلكم مثل ملوك يخاصون انفسهم ويخونون وظيفتهم و ينقضون مبادئهم ،،

ولما سكت الشيخ الخطيب علا من صفوف العمال شيء من الجلبة لعدم رضائهم عن هذه الخطبة كل الرضى . واما صفوف اهل المال واهل العلم فانهم صاروا اقل مقاومة مما كانوا. على ان الجميع باتوا ينتظرون الاقتراحات التي اشار اليها الخطيب في اثناء كلامه ليروا منها هل الاتفاق ممكن ام لا . فتناول الرئيس حينئذٍ ورقة ونشرها ثم قال يخاطب الجميع

ايها الابناء

ـ اليكم نص الاقتراحات التي يقترحها من احترامه واجب علينا جميعاً وذلك حسماً للنزاع والخلاف . وانني ارجو ان تكون وسيلة لاتفاقكم

(المادة الاولى) تزاد رواتب العمال والمستخدمين والموظفين ٥٠ في المائة . ولكن هذه آخر زيادة الا للذين تجب مكافأتهم في المستقبل حين الاقتضاء

(المادة الثانية) لا يمكن استخدام احد في اي عمل كان باقل من مائة فرنك في الشهر

(المادة الثالثة) ساعات العمل في اليوم ٨ فقط ٤ قبل الظهر و٤ بعده

(المادة الرابعة) اما الاولاد والنساء فانهم يعملون ٦ ساعات فقط لان كثرة العمل تهدم بنية الولد وتمنع النساء من افتقاد منازلهن

(المادة الخامسة) ينشأ صندوق يدعى ،، صندوق تقاعد العمال ،، وكلما شاخ عامل او عجز عن العمل لمرض فانه يتناول رزقه الضروري من هذا الصندوق طول عمره

(المادة السادسة) لا يجوز لاصحاب الاعمال ان يستغنوا عن احد من المستخدمين والعمال بحجة قلة العمل او ان يخفضوا اجور بعضهم لاي سبب كان . وعليهم ان يعتبروا جمعيات العملة نائبة عن هؤلاء في كل مخابراتهم

(المادة السابعة) توضع ضريبة على الايراد مقدارها ١٠ في المائة . فمن كان ايراده الف جنيه في العام يدفع ١٠٠ جنيه ومن كان ايراده ١٠ الاف جنيه يدفع ١٠٠٠ جنيه وهلم جرّا . وذلك لتخفيف الرسوم والضرائب عن عنق الشعب . ولكن كل من كان ايراده اقل من ٢٠٠ جنيه فان ضريبته تكون ٣ في المائة فقط ومن كان ايراده اقل من ١٠٠ جنيه ١ في المائة . ومن كان ايراده ٥٠ جنيهاً فلا يدفع ضريبة ولا رسماً على الاطلاق

(المادة الثامنة) تتعهد الحكومة بأن تنشىء في البلاد من اموال الضريبة على الايراد التي تقدم ذكرها مزارع واسعة ومصانع عديدة تشغل بها كل من كان بلا عمل وبان تبني في كل مدينة من المدن الثلاث مستشفيين للمرضى وملجأين للشيوخ والعجزة

ودارين للايتام ودارًا للقطاء

(المادة التاسعة) تتعهد الحكومة ايضاً بان تنشىء للشعب مدارس مجانية يكون فيها التعليم اجبارياً لكل ابناء الامة . ولا يُدرس في هذه المدارس صغراها وكبراها من الاصول الدينية غير المبادىء العمومية التي تقبلها جميع المذاهب »

تلك كانت اقتراحات شيخ العلماء . وقد تغامز اهل المال كثيرًا بينما كان الرئيس يتلوها . ويظهر انه لم يسؤهم منها كثيرًا غير وضع الضريبة على الايراد لانها من امهات المسائل . اما العمال واهل العلم فصاروا يتناجون في السر ويتساءلون عن النتيجة . وفي هذا الحين قال الشيخ الرئيس مخاطباً الجمهور

— لا ارى مانعاً من فض هذا الاجتماع الآن للبحث في هذه الاقتراحات غدًا لانها تقتضي الامعان والمشاورة

الفصل التاسع

✻ وضع الجنون موضع العقل ✻

وخرج الجمع من الحديقة وهم يتباحثون في هذه الاقتراحات . وكان حليم في جملتهم يباحث فيها رفيقه صادقاً ويعرب له عن سروره بنيل الشعب ما لم ينله سواه في باقي البلاد

وقد انقضت تلك الليلة بهدوء وسكينة . لكن لم يطلع الصباح حتى علت ضوضاء شديدة في المدينة . فان السكان انتبهوا على اصوات باعة الجرائد « خيانة خيانة » ففتحوا نوافذهم فوجدوا على الجدران في كل مكان اعلانات حمراء طويلة عنوانها باحرف غليظة

« الشعب المهذّب يخون الشعب المسكين »

وهذا نصّ ذلك الاعلان الغريب

» ايها الاخوة العمال والمستخدَمون

» لقد خانوكم وضحكوا عليكم

» فلا تصدّقوهم

» ولا ترضوا باقتراحاتهم

» اذ لا غرض لهم من هذه الاقتراحات سوى ارجاعكم الى العبودية بالاجرة

» وانتم لا تطلبون الضريبة على الايراد ولا زيادة رواتبكم بل تطلبون مشاركة اصحاب الاعمال في اعمالهم

» فاذا رفضوا هذا الطلب فان من حقوقكم الاستيلاء على المعامل والمزارع والمتاجر والمصانع لانها ملك لكم بحكم الطبيع وهو خير من حكم الشرع

» فاستولوا عليها ولا تخافوا فان الجيش معكم

» ايها الاخوة

» هل تعرفون الذين خانوكم

» خانكم اولئك الذين يسمون انفسهم علماء معتدلين وما دروا ان الاعتدال لا يحصل حقاً ضائعاً

» يقولون انهم اهل العلم وانهم خرجوا من احشاء الشعب ولذلك يرومون خدمته

» فاخبروهم انكم في غنى عن خدمتهم اذا كانت على هذا المثال

» وخير لنا عداوتهم

» انهم اقتدوا برؤساء الدين ومالوا لاصحاب الاموال ترويجاً لمصالحهم واشباعاً لبطونهم

» فقولوا لهم ان خيانتهم مزدوجة . اولاً لانهم يفتخرون بكونهم خرجوا من الشعب وثانياً لانهم تهذبوا ولم يمنعهم تهذيبهم من الخيانة

» فما احط ابن الشعب الذي حين ارتقائه لا يعرف همه الا خيانة ابيه الشعب الفقير المسكين

» وانتم تفضلون ولا شك ارباب الاعمال المتغطرسين عليكم والمقاومين لكم على هؤلاء الاخوة الكاذبين الخائنين

» ايها الاخوة . نحن في غنى عن الجميع . واعتمادنا على انفسنا . فلنجتمع اليوم على ابواب المصانع والمزارع والمتاجر لنناقش اصحابها الحساب ونريهم قوتنا ونبلغهم نهائياً اننا نطلب الموت او مشاركتهم في ارباح اعمالهم

فلما نزل حليم من الفندق وقرأ هذا الاعلان في الشارع احس بقشعريرة تدب في جسده . وقال لرفيقه صادق : ان الموقف حرج والمصير سيئ . ثم ذهب يجول في اسواق المدينة وشوارعها فوجد الاضطراب سائداً فيها . فان اصحاب المعامل والمزارع والمتاجر بعثوا حين وقوفهم على ذلك الاعلان يطلبون من الحكومة جنداً لحراسة مخازنهم ومعاملهم

بجاه الجند وطوقوها تطويقاً . وكان العمال والمستخدمون يتوافدون عليها مئات مئات من كل صوب وهم يصيحون « الاشتراك او الموت » . فلما قربوا منها وشاهدوا الجند حولها ازدادوا حدة وهياجاً وصاروا يصيحون « ايها الجنود نحن وانتم اخوان لاننا جميعاً من ابناء الشعب . فلا تسيئوا الينا » وكانت الجنود تسمعهم وتحول نظرها عنهم اتباعاً لنظامها

ولما حاول بعض العمال الدخول الى المعامل والمخازن حال الجنود بينهم وبين الدخول . فحدثت فتنة بين الفريقين . واتفق في هذا الحين ان اطلق واحد من العمال طلقاً من مسدس كان معه فاصاب كتف احد الجنود . فعمّ الاضطراب في تلك الناحية . وصدر الامر الى الجنود بان تجرد السلاح وتهجم لتفرّق العمّال من غير سفك دم . فهجمت الجنود طاعة لرؤسائها هجمة واحدة . غير ان صفاً واحداً منها كان مؤلفاً من ٥٠ جندياً القى سلاحه وانضمّ الى العملة . فصرخ العملة حينئذ صراخ الابتهاج والفرح . اما رؤساء الجند فعلا وجوههم الاصفرار من هذا التمرد وخافوا ان يحذو باقي الجند حذو هؤلاء المتمردين فيصير الامر للعمال ويُقضى على السلطة القديمة

لكن النظام العسكري كان متأصلاً في نفوس اولئك الجنود بتربية عدة سنين . ولذلك كان اكثرهم يسيرون كالعميان الى حيث يقودهم رؤساؤهم ولو كان ذلك ضد مصلحتهم . فتمكن الجند في ذلك النهار من تفريق العمّال واعادة النظام . ومع ذلك لم يرضَ الشيخ الرئيس حاكم المدن الثلاث ان يعقد جلسة في تلك الليلة في الحديقة لان الافكار كانت شديدة الحماسة

الفصل العاشر

﴿ تحالف الارض والسماء ﴾

على تاركي مبدإ الرفق والاخاء

ولما اقبل المساء ساد على المدينة سكون تام . فتنفس الحكام واصحاب الاعمال الصعداء واطمأنت نفوسهم قليلاً . وعاد لمدينة المال شيء من منظرها الاعتيادي بعد ذلك الاضطراب . فكان الناس في القهاوي والساحات العمومية جالسين يستنشقون نسيم المساء وهم يتباحثون بهدوء في حوادث النهار

ثم انتصف الليل واطفئت الانوار في المدينة ونام جميع السكان . وساد سكوت تام حتى لم يعد يسمع فيها سوى خرير النهر الجاري يسقي المدن الثلاث وصوت الخفاش في طيرانه في الظلام ووقع اقدام الجنود والحراس الذين كانوا يحرسون المدينة في الليل . وكان هؤلاء الحراس يسمعون حيناً بعد حين في ظلمة الليل صوت طائر بعيد فيقول بعضهم لرفاقه: ان عظامي تنتفض كلما سمعت هذا الصوت في الليل في احوال كهذه الاحوال

ذلك ان ذلك الصوت كان صوت البوم المشهور بانه نذير الخراب

وبقيت المدينة نائمة بهدوء واطمئنان تحت جنح الدجى حتى الساعة الثالثة قبل الفجر . في هذه الساعة انتشرت في انحاء المدينة انوار مختلفة في جوانبها الاربعة . ثم علا الصياح والصراخ . ثم ارتفع الدخان فسد منافس الفضاء . وحينئذ حدث حادث ترتعد له الفرائص وترتجف القلوب . فان المدينة كلها هبت من الرقاد هبة مجنون . وصار الرجال يصرخون والنساء يولولن والاولاد يبكون وينتحبون . ذلك ان لسان النار لعبت في اكثر منازل المدينة خصوصاً في معاملها ومتاجرها ومنازل اصحاب الاعمال فيها . وهجم عليها جماعات كانهم ابالسة خرجوا من الجحيم فصاروا ينهبون ويسلبون . وكان حليم و رفيقه نائمين في فندق من اشهر فنادق المدينة . فلما انتبها وشاهدا النار تاكله اخذا الستائر والسجادات فعملا منها حبلاً وتدليا عليها الى الارض . ولما باتا في الشوارع ابصرا فيها ما تنفطر له القلوب . ابصرا الانسان بحالته الحيوانية الحقيقية . فان جماعات السلابين النهابين كانوا يهجمون كوحوش ضارية ويكسرون المخازن والحوانيت ويحملون ما فيها . وكانوا يصعدون الى القصور الكبيرة والنار تضطرم فيها وبدل ان ينقذوا النساء والاولاد الذين كانوا يختنقون فيها من الدخان او يحترقون بلهيب النار كانوا يقتلون و ينهبون كل ما وصلت اليه ايديهم . اما الجند والمطافئ فماذا تقدر ان تصنع في ثورة عمومية كهذه الثورة . فانه لم يكن في المدينة سوى ١٠ مطافئ . ومع ذلك فقد كانت النار مضطرمة في ٥٠٠ منزل . وعن قريب ستصل الى باقي المنازل فتاكلها كلها

وقد ظن حليم لاول وهلة ان هذا المصاب قد حل بمدينة المال وحدها ولكنه لم يلبث ان سمع الصراخ من جهتي مدينة العلم والدين ورأى اللهيب يرتفع من جوانبهما . فقال لرفيقه هذه مؤامرة دبرها الغلاة المتطرفون ولا شك انها نتيجة الاعلان الذي نشر امس . فسأله رفيقه وما رأيك فيها . فاجاب حليم لو كنت املك الآن مسدساً ومائة خرطوشة لكنت اظهر لك رأيي فيها . فانني كنت اذهب واحرق ادمغة كل من اراه في طريقي

من هؤلاء الابالسة الذين يقتلون وينهبون . ولا شكّ عندي ان عقلاء العمال والاشتراكيين انفسهم يأنفون من انزال مبادئهم الى هذه الحاة من اللصوصية والسفالة .
فقال له رفيقه : ولكن الا تظن ان هذا التطرف نتيجة لازمة عن تطرف الفريق الثاني
فهمّ حليم ان يجيبه بانه لا يريد ان يعرف عذرًا للسلب والقتل والنهب مهما كان سببه . واذ ارتفع في المدينة صراخ اليأس والاضطراب تمازجهما طلقات البارود . فاصغى حليم وسأل ما هذا . ثم علم ان الجنود قد اخذوا كل ما في ثكناتهم من الرصاص وهجموا بقيادة رؤسائهم على جماعات الثائرين يفتكون بهم فتكًا ذريعًا . فدارت بين الفريقين رحى حرب حقيقية سالت بها الدماء وكان لتلك الدماء على اشعة النيران المتقدة حولها بين حشرجة القتلى وولولة النساء وصراخ الرجال منظر مريع

وكان حليم يُسرح نظره من بعيد في المشاهد الفظيعة التي كان يراها امامه وهو مشتغل البال بها لا يقدر على ردّ شيء منها ومضطرب الفكر لما عسى ان يكون قد جرى للفتاة العزيزة التي شاهدها في البستان عند « قرية الدخول » وكان يفكر بها . لكنه بعد برهة سمع هديرًا عظيمًا قريبًا فعلم انه صوت انهدام القصور المحترقة . ثم سمع اصوات القتل والبنادق اقرب منه مما كانت . فرأى ان يخرج من المدينة فرارًا من البلاء ما دام لا يقدر ان يرده . فاخذ رفيقه وخرج معه من المدينة بنفس متألمة اشد الألم وقصدا اكمة قريبة مشرفة على المدن الثلاث وكانت مغروسة اشجارًا يتفيأ السكان ظلها في حر الهجير . فشاهدا منها مشهدًا جليلاً مريعًا . فان السنة النار كانت تندلع في المدن الثلاث فتنير الافق بنور تخالطه سحب من الدخان القاتم تحت سماء مستترة بالغيوم السوداء — كأنّ السماء خجلت من ان تشاهد فظائع البشر في الارض في تلك الساعة . وكانت اصوات القتال تردُ من المدن الثلاث في صفاء ذلك الليل فتزيد ذلك المنظر رهبة وفظاعة

ولكن يظهر ان السماء كرهت ان تبقى واقفة لدى هذه الفظائع الارضية وقفة المتفرج المشاهد زمنًا طويلاً . نعم ان صبرها طويل ولكن لكل شيء حدًا . ولذلك تناول جوبيتر اقوى صواعقه وارسلها في الفضاء . فالمع الرعد فوق تلك المدن الثلاث كانذار وتهديد للارض من السماء ان تسكن وتهدأ والا اخربتها . ولكن اهل الارض لم يسمعوا هذا الانذار لان اصوات البارود وصراخ القاتلين والمقتولين كانت تصمّ آذانهم . فحدث حينئذ ما زاد تلك المناظر رهبة وفظاعة . فان زوبعة هائلة هبت على السهل الذي كانت فيه المدن الثلاث وصارت تكنس كل ما في طريقها . وزأرت الريح وقصفت الرعود ومدت التنانين

خراطيمها من السحاب وهطل المطر كافواه القرب . وكأنّ الارض خشيت من السماء قبل البشر ولذلك اهتزّت تحت المدن الثلاث بزلزلة شديدة . وهكذا تحالف على المدن الثلاث التعيسة النار والقتل والصواعق والزوابع والزلازل . كأنّ السماء تخلّت عنها وقضت عليها قضاء نهائياً

وكان حليم في ذلك الحين جالساً مع رفيقه تحت شجرة والمطر قد بلل ثيابهما . ومع ذلك فقد كانا ينظران باهتمام الى تلك المدن و ينتظران طلوع الفجر . فلما طلع الفجر وصار في امكانهما ان يلمحا المدن لم يشاهدا فيها — واأسفاه — سوى خرائب واكوام سوداء ينبعث الدخان عنها

فصاح حليم حينئذ : واحرباه . اهكذا خربت سدوم وعمورة وبابل ونينوى في القرون الماضية ؟

ولما لفظ حليم هذه العبارة وقع نظره على فرسان قادمين من جهة مدينة المال . فلبث يحدق في جهتهم حتى انكشفوا له وكان الفجر قد زاد اشراقاً . فدبّت حينئذ في نفس حليم قشعريرة شديدة . ذلك ان هؤلاء الفرسان كانوا خمس فتيات وهن هن اللواتي شاهدهن في البستان قرب قرية الدخول . وكانت حسناؤه صاحبة الحلة البيضاء راكبة في وسطهن كما كانت هناك . فصاح حليم برفيقه : ماذا نصنع الآن . اترى هؤلاء الفتيات بقية من بقي من سكان المدن الثلاث جئن يلجأن الى هذه الاكمة فراراً من الزلازل والنار . عزيزي صادق ماذا نصنع . الا تظنّ انهن يجفلن و يخفن منا اذا شاهدننا هنا

و بعد برهة دنت الفتيات على افراسهن . وكان في يد كل واحدة منهنّ منديل تمسح به دموعها من حين الى حين وهنّ بلباس النوم . وكانت وجوههن صفراء كوجوه الموتى . فلما وقع نظر حليم على هذه الوجوه وتلك الدموع لم يتمالك ان بكى ملء عينيه . وقال في نفسه . ان الابالسة والشياطين حين اتيانهم الشر في الارض لا يفتكرون ان شرهم لا يقع اشد اذاه الا على اللواتي هنّ اقل تحملاً له

ولما صعدت الفتيات الى الاكمة وشاهدن فيها بشرًا اغرقن في البكاء . وصرن لا يرفعن مناديلهن عن عيونهنّ الا للنظر الى المدن وما صارت اليه . فاين بكاء ارميا على انقاض « ابنة صهيون » من بكاء هؤلاء العذارى على وطنهنّ المحبوب . لقد فقدن — بفقده — كل شيء . لقد خرجن منه كما يخرج السيف من غمده . فالاهل والمال والمنزل والصداقة ورغد العيش والوطن والعائلة والآمال — كل هذه ذهبت في ليلة واحدة ولم يبقَ في

مكانها غير اكوام الفحم والحجارة واشلاء القتلى ورائحة الدماء والدخان. فيا ايتها السماء لماذا كنتِ قاسية الى هذا الحد. يا ايها الخالق الحكيم ليتك كنتَ اكثر رحمة واشد رأفة. لانه اذا استاء هل كل اولئك العتاة القساة عقابك فهؤلاء الضعيفات الطاهرات الرقيقات — والوف غيرهن — لا يستاء اهله

وكان حليم في تلك الاثناء منزويًا مع رفيقه وقلبه يتقطع حزنًا واسفًا . وبعد برهة تقدم وهو يبكي لبكاء الفتيات التعيسات وقال مخاطبًا حسناء، وكان يظهر انها اكبرهن سنًا وارشدهن رأيًا

— هل تسمح سيدتي في حين كهذا الحين ان اعرض عليها وعلى رفيقاتها خدمتي

وكان حليم قد خاطب حسناء بقلب خلا في تلك الساعة من الحب لان عاطفة الحب قد غرقت حينئذ في عاطفة الحزن والشفقة والرأفة . وهذا شان القلوب الكريمة ؛ ذلك لان عاطفة الحب اكثرها مصوغ من عاطفة محبة الذات واما عاطفة الحزن والشفقة والرافة فاكثرها مصوغ من محبة الغير . والقلب الكريم في ساعة كهذه الساعة يفتكر بغيره لا بذاته

فاشتد بكاء الفتيات عند سؤال حليم واجابته فتاته

— عفوًا يا سيدي . ماذا تقدران تعمل. ان ابانا حاكم المدينة كان اول القتلى ومنزلنا كان اول المنازل المحروقة . ولولا مساعدة الجند الذين كانوا نيامًا في دارنا لما نجا منا احد . بل كان حل بنا ما حل بباقي السكان الذين مات نصفهم بالسيف والنار والرصاص ونصفهم بالزوابع والزلازل . فكل ما نطلبه منك هو ان تصلي الى الله معنا ان يرحمنا ويعزينا

ورغبة من حليم في ان يروح هموم الفتاة قليلاً ويشغل فكرها عنها ولو دقيقة سالها

— ولكن ما الذي دعا الى هذه الفاجعة الهائلة ياسيدتي بعد ما رايناه من سكينة الاحزاب

فاجابت الفتاة والدموع ملء عينيها

— انني انقل لك ياسيدي السبب الذي ذكره لي ابي امس قبل دخولي الى غرفة النوم . فانه اخذ يدي بين يديه وقال لي : اتعرفين سبب كل هذه القبائح يا بنية . سببها الشراهة والاثرة والطمع. ولست ابرىء منها حزبًا دون حزب . لان التبعة واقعة على الجميع . ولا استغرب ان تخسف بنا الارض او تنقض علينا صواعق السماء ما دمنا بعيدين الى هذا الحد عن مبداء الرفق والاخاء .

الخاتمة

ومما لا يحتاج الى بيان ان حليماً استطاع بعد ذلك تعزية فتاته بعض التعزية . وبما انها كانت مع شقيقاتها وارثات المدن الثلاث وما يتبعها من السهول فانها تولت اعادة بناء هذه المدن لتقيم فيها هيئة مبنية على « الرفق والاخاء » تكفيراً عن سيئات المعيشة القديمة . وقد اختارت حليماً زوجاً لها واصادقاً زوجاً لاحدى شقيقاتها ثم زوجت شقيقاتها الثلاث الاخريات ثلاثة شبان من اصدقاء حليم وعاشوا جميعاً في تلك الاماكن مع نسائهم وعالمهم ونسل عالمهم معيشة يحسدهم عليها اهل العصر الذهبي . ولا نعلم هل نتمكن يوماً من الايام من وصف هذه المعيشة الفردوسية التي لم ترَ الارض مثالها قبلها كما وصفنا معيشة المدن الثلاث القديمة . اما الآن فنكتفي بان نقول بان حبيبة حليم لم تنس ان تقيم ثلاثة آثار في ثلاثة اماكن على سبيل التذكار : المكان الاول البستان الذي شاهدت فيه حليماً اول مرة عند قرية الدسول والمكان الثاني الاكمة التي وجدته عليها يوم خراب المدن الثلاث . والمكان الثالث الدار التي قتل بها ابوها الشيخ الرئيس

تمت

اغلاط مطبعية

وقعت بعض اغلاط مطبعية في الكتاب . منها في الصفحة ٢ « اقام لها فيه » وصوابه « اقام له فيها » وفي الصفحة ٥ « كما بعضها » وصوابه « كما بعضها » وفي الصفحة ٩ « سعداء بعلمهم » وصوابه « سعداء بالعلم »وفيها ايضاً في سطرين اسم « جميل »وصوابه حليم . وكذلك في الصفحتين التاليتين في ثلاثة مواضع . ومنها في الصفحة ١٧ « قد بدا » وصوابه « قد بدأ » وفي الصفحة ٤١ « ابن رشيد » وصوابه « ابن رشد » وفي الصفحة ٤٣ السطر ٣ « اهل العلم » وصوابه « اهل الدين » وفي الصفحة ٤٧ « تفم آذاهم » وصوابه « تصم آذانهم » وغيرها مما لا يفوت ذكاء القارئ.

الجزء الخامس — السنة الرابعة

الجامعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — اغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ — جماد اول سنة ١٣٢١

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف جول سيمون

والاحتفال بنصب تمثاله في باريز في الشهر الماضي

(مثال الرجل الفاضل)

احفروا الترع في البلاد ونظموا الريّ . ابنوا الخزانات العظيمة للنيل افتحوا للامة ابواب التجارة والصناعة . اعقدوا جمعيات لتدريب الناشئة على الرياضة البدنية اصلاحاً لبنية الامة. انشئوا مدارس كثيرة في كلّ مدينة وكل قرية لتعلّموا ابناء الامة في هذه المدارس ان الحياة عراك شديد يقوم فيه القوي ويسقط الضعيف فيجب ان يكونوا اقوياء لا ضعفاء غالبين لا مغلوبين احشوا عقولهم بمبادىء العلوم الطبيعية والتاريخية والتجارية . و بعبارة واحدة نقول افتحوا موارد الرزق والثروة والقوة دفعة واحدة للامة لتنال منها ما لم تنله امة قبلها . فماذا تكون النتيجة ؟ واي جنس من البشر يكون لنا في ختام هذا السعي العظيم .

يكون لنا في نهاية هذا السعي بشر آلهتهم بطونهم وجيوبهم . جيل ثقيل شره قاس غايته في هذه الحياة ان يدوس كل شيء تأييداً لمصلحته ولا مبدأ له غير منفعته . ولعمر الحق ان سكنى الارض خاوية خالية او المعيشة فيها ممتلئة فقط بالحيوانات الطبيعية الفطرية خير من الاقامة بين جيل كهذا الجيل

وقد ذكرنا هذا التمهيد في هذا الفصل مقدمة لكلام عن الفيلسوف الكريم الذي وقف حياته للمناداة بهذه الحقيقة والتصريح بان ادواء الهيئة الاجتماعية الحاضرة لا تشفيها الثروة مهما عظمت ولا دواء لها الا التربية الادبية وانشاء الاخلاق الفاضلة

وهذا الفيلسوف هو « جول سيمون » الذي احتفل الفرنسويون في الشهر الماضي باقامة تمثال له تحت رعاية الحكومة الفرنسوية . فان هذا الرجل الكريم وقف حياته في قومة لتعليمهم المبادىء الابدية و الواجبات والفضيلة والآداب والحرية . وقد علمهم ذلك بقوله وفعله . فانه

وجد نفسه مرتين (١) في حياته بين طريقين . الطريق الواحدة تؤدي الى السلطة والنفوذ والثروة والجاه ولكن يجب ان يدوس من اجلها ضميره . والطريق الثانية ان يحرص على مبادئه ويعمل بما يجب عليه ادبيًا وان خسر تلك الخيرات كلها . وغني عن البيان انه اختار الطريق الثانية طريق الضمير والنزاهة الادبية . وبذلك كسر مستقبله كسرًا ولولا ذلك لكان الآن معدودًا بين رؤساء الجمهورية ولقدر ان يجمع من المال ما يغنيه عن ان يشتغل ليعيش وهو في الثانين من عمره (١)

فالذين يحبون خير الامة الشرقية ويرومون انهاضها لا يجدون مثالاً وقدوة لها احسن من هذا المثال . وهذا ما حملنا على تصدير هذا الجزء بترجمة الفيلسوف عدا اننا مديونون له بما اخذناه عنه ودرسناه في كتبه دينًا لا يفيه تقريظ ولا ثناء

﴿الاحتفال﴾ اما الاحتفال الذي اقيم له في باريز في هذا الشهر فقد رأسه المسيو شوميه وزير المعارف العمومية وحضره اكابر رجال العلم والسياسة والوجاهة مع نجليه الكريمين الدكتور غوستاف سيمون والمسيو شارل سيمون واولادهما . وقد القيت فيه عدة خطب . (الخطبة الاولى) للمسيو فاليير رئيس مجلس الشيوخ (والخطبة الثانية) للمسيو ديفيل رئيس المجلس البلدي (والخطبة الثالثة) للمسيو دي سلفوالي باريز (والخطبة الرابعة) للمسيو شوميه وزير المعارف (والخطبة الخامسة) للمسيو بول ديشانل بالنيابة عن الاكاذميه الفرنسوية (والخطبة السادسة) للمسيو جورج بيكو بالنيابة عن مجمع الفنون الادبية والسياسية . (والخطبة السابعة) للمسيو جان ديبوي بالنيابة عن نقابة الصحافة . (والخطبة الثامنة) للمسيو مارسل بريفو بالنيابة عن جمعية الادباء

☀ التمثال ☀ وقد نقش هذا التمثال النقاش دنيس بوش المشهور وقد صنعه من الرخام وهو ثلاثة اقسام القسم الاول وهو اكبرها يمثل « جول سيمون » بحجمه الطبيعي واقفًا على منبر الخطابة ويداه مطويتان على صدره وهي الوقفة التي كان يختارها عند الخطابة وتحت هذا القسم عن الشمال واليمين قسمان : الاول شخصه جالس الى مائدته وبجانبه عاملة تفتكر وولد يقراء ولقيط يمدّ اليه يده اشارة لصرفه حياته في انقاذ اللقطاء ونشر التعليم وترقية شؤون

« ١ » مرة الاولى احتجاجه على لويس بونابرت لقلبه الجمهورية " الصفحة ٣٦٣ السطر ٢٢ " والمرة الثانية مقاومته حزب الجمهورية معه " الصفحة ٣٦٥ السطر ٢ "

" ١ " كان جول سيمون في شبوخته يشعر ليعيش فكان يكتب في كل يوم مقالة للجرائد وفي ذات اليوم الذي توفي فيه نشر مقالة من قلمه في احدى الجرائد

العملة . والثاني يمثله وهو واقف في قاعة السربون ينادي بالاحتجاج على نابليون الثالث لانه قلب الجمهورية واقام الامبراطورية ـ وقد نُصب هذا التمثال في ساحة المادلين في باريز بجانب البيت الذي عاش الفيلسوف فيه نحو ٥٠ سنة . وكان منزله في الطبقة الخامسة

خطابة رئيس مجلس الشيوخ واولى هذه الخطب خطبة المسيو فاليير رئيس مجلس الشيوخ الفرنسوي ورئيس اللجنة التي جمعت المال لصنع هذا التمثال . ومعلوم ان رئيس مجلس الشيوخ المقام الثاني في الحكومة اذ لا مقام فوقه غير مقام رئيس الجمهورية . فلما ازفت ساعة الاحتفال رُفع الستار عن التمثال فصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً فانبرى رئيس مجلس الشيوخ وقال : انه عند تسليمه هذا التمثال الى مدينة باريز لا يتمالك من التأثر لذكرى حياة الرجل الذي شغل في الآداب والسياسة حيزاً عظيماً . ثم ذكر جول سيمون فقال انه كان معلماً في مدرسة المعلمين وهو بسن الطلبة . ثم ترقى حتى صار ينوب مناب فيكتور كوزين في تدريس الفلسفة بالسوربون . وهو اعظم منصب فيها . فاجتذب اليه السامعين من كل صوب بفصاحته وسمو فكره وحسن اخلاقه وشرف معيشته . وهكذا حقق قول رموزا « ان الفضيلة مستقلة عن الثروة وما برحت الآداب ثابتة في الارض لا تتغير مع كثرة التقلبات والتغيرات » وقد قال الخطيب ذلك لان جول سيمون كان فقيراً

ثم قال : ومنذ ذلك الحين اخذ عقله يتملص من قيود الحواس وفلسفته صارت تبرز شيئاً فشيئاً . ومآلها الاعتقاد بخلود النفس وان هذا الخلود شاهد بوجود الله . وبما انه كان متعوداً الصعود الى ينابيع المتقدمين للاستقاء منها فقد اخذ يعلم مع افلاطون (ان الفلسفة هي علم الناس الاحرار) وينادي ان الحق والعدل اذا لم يقرنا بالحرية اصبحا هدفاً للقوة ولم تكن هذه الاقوال عبثاً فان ذلك الخطر كان قريباً من البلاد . فان لويس نابوليون رئيس الجمهورية رام قلبها في سنة ١٨٥١ فاقترح على الشعب اقتراحاً عاماً « هل يريد اعادة الامبراطورية » فبلغ يومئذ الاضطراب معظمه . فوقف جول سيمون ليلة الاقتراح في منبر قاعة السوربون ونادى باعلى صوته « ايها السادة . انا هنا معلم للآداب . وكني اليوم مديون لكم بمثال لا بامثولة . فقد حان الحق جهراً من عُهد اليه ان يدونه . وستنطق فرنسا غداً بالحكم فترى هل ترضى عن الخيانة ام تنكرها . اما انا فاقول منذ الآن انه اذا لم يكن في صناديق الاقتراع غير ورقة واحدة تنكرها فتلك الورقة تكون مني »

فلما سمع الحاضرون هذا الكلام صفقوا تصفيقاً ما بعده تصفيق فقال لهم جول سيمون حينئذ برزانة وجد (لقد اعتبرت تصفيقكم هذا كقسم وعهد منكم . فاذا وافقتم الحائنين بعد

الآن طمعاً في الربح فانكم تحنثون بيمينكم

فاشتد التأثر حينئذ حتى ضاقت به الصدور فامتدت جميع الايدي نحو الخطيب وصاروا يهتفون له ولم يتخلص من الشعب الذي كان يطلب حمله في الشارع الا بتعب شديد

ومنذ هذا الحين فصل جول سيمون عن السوربون و بذلك وقع في مصاعب الحياة واخذ يشتغل بالسياسة جاعلاً همه تنبيه الرأي العام الذي كان قد اصابه الشلل . ولكن الديموقراطية لم تحتج قط الى رؤساء ومدربين اذ حالما احتاجت اليهم وجدتهم . وما نراه في ايامنا قد كان مثله في تلك الايام التي طمست فيها الاضطرابات مبادىء العدل والحقيقة . ولذلك تنفس الناس الصعداء لما ابرز جول سيمون كتابه « الواجب » ليذكّر مواطنيه بواجباتهم . وقد كان هذا الكتاب الجليل ضرورياً يومئذ للنفوس التي اخذت تضعف لانه اعطاها الامل والثقة في المستقبل

وبعد مدة ظهر كتابه « الدين المطلق » وهو عبارة عن انجيل نفس تملصت من حرفية القواعد واخذت تعترف باعتقاداتها في قرن ساد فيه ترك الاعتقاد .

ثم صدر كتابه (حرية الضمير) وآخر عنوانه (حرية الفكر) وآخر عنوانه (الحرية المدنية) وكلها اجزاء كتاب واحد كان غرضه تدريب الديموقراطية وارشادها . فلم يعد جول سيمون يخاطب بني وطنه في هذه الكتب بلسان الفيلسوف بل بلسان السياسي الذي يدرس حاجات قومه . فدرس اصل حقوق الامم واثبت هذه الحقوق وردّ على سفسطائيات التعاليم التي كانت تتجدد منذ الثورة وتميتنا في مسيرنا . وعيّن مقدار الحقوق التي يجوز لهم (للاشتراكيين) المطالبة بها وسطر بروغراماً كبيراً انجزنا بعضه الى الآن

ثم دخل جول سيمون الى المعامل والمناجم لاصلاح احوال العملة . فدرس هذه الاحوال بنفسه . وشاهد فيها الاب والام يهجران منزلها للعمل في المعمل والولد يُقرن بالآلة العاملة وعمره ٨ سنوات فسماه « العامل في السنة الثامنة » . وبعد الدرس الدقيق اخذ يصيح « ان داءنا داء ادبي قبل كل شيء . فيجب مداواة النفوس وشفاؤها . يجب ان نتغلب على الحانات والخمارات . يجب اصلاح المعيشة العائلية التي هي وحدها مدرسة الحرية والشجاعة الادبية . يجب اتخاذ كل الوسائل التي تسمح بها الحرية لاعادة الاب والام الى المنزل » وما عدا هذا يجب فتح ابواب المدارس لتعليم الامة تعليماً عمومياً وازالة كل الموانع من هذا السبيل ـ وفي صفحات بليغة لم ينقص الزمن شيئاً من اهميتها اخذ يدعو الى الاصلاح والتضامن البشري دعوة ادخلت هذه الروح من ذلك الحين في نظاماتنا واحوالنا . وبما

انا اليوم نسير نحو الارتقاء لنصل الى انسانية افضل فمن العدل ان نكرم جول سيمون لانه كان في زمنه احد الدعاة الى قسم من هذه الاصلاحات

ولقد كان في منتصف عمله لما دخل في مجلس النواب . فصارت الحكومة تخشى بطشه وطارت شهرته كخطيب كبير . وان من لم يرَ جول سيمون في منبر الخطابة ولم يسمع كلامه لا يقدر ان يعرف مقدار تأثير الكلام في النفوس وسحره لها . فكل شيء في كلامه ونظره ولهجته كان لطفاً وقوة . وقد كان عند اشتداد اللجاج ينتظر سكوت سامعيه لعلمه انهم لا يضنون بالسكوت على واحد مثله . وكان يرتجل خطبته ارتجالاً ولكن ليس ارتجاله عبارة عن ترك كلامه للصدفة والاتفاق بل كان يرتجل وفقاً لقاعدة الارتجال وهي « ان الارتجال معرفة الخطيب ماذا يريد ان يقول دون ان يعرف باية عبارة يقوله » وقد كانت براهينه وادلته آخذة بعضها برقاب بعض . واذا ورد في اثنائها نادرة او ملحة فلا تظن انها وردت عبثاً بل انها وردت لتقوية الدليل واستخراج النتيجة . وقد كان يسدّد سهام التهكم في خطابه ولكنه كان تهكماً خفيفاً اذ يجعل الخصم يشعر بوخزه دون ان يجرحه به . وكان يمازج كلامه التأثر واحياناً رفع « الكلفة » وكانت لغته بسيطة انيقة جيلة . وكان لها لين الفولاذ وقوته . واحياناً كان لها شرره وذلك لما يرتفع فكره ويضرب به تلك الضربات التي تُنيل النصر والظفر

ثم استطرد المسيو فالير الى ذكر جول سيمون كسيامي وجهوري ووطني نزيه وقف حياته للنزاهة وخدمة الخير والحرية والواجب . فقال ان كل الناس يذكرون جهاده في مقاومة السياسة الامبراطورية في انحاء فرنسا كلها . فقد كان اسمه يومئذ في كل الافواه وكتاباته يقرأها الناس في جهات فرنسا الاربع وخطبه كانت تُنتظر بفروغ صبر وتُشرح بشدة وحدة . فكان فكره يحرك جميع الضمائر والافكار التي كانت تجنح الى الاصلاح . وكان ذلك الفكر يبقى في نفوس الناشئة اثراً لا يفنى يحثهم على المقاومة ويرشدهم الى الغاية . ثم لما جاءت اهوال سنة ٧٠ صار اكبر مساعدي المسيو تيرس اذ عهدت اليه وزارة المعارف واعطي القوس باريها . فرام ادخال الزامية التعليم في فرنسا ومجانيته فلم تطاوعه الاحزاب القديمة . ثم كانت رئاسة المرشال مكماهون للجمهورية . فعهد الى جول سيمون رئاسة الوزراء ارضاء للاحزاب الجمهورية لانه كان اكثرهم اعتدالاً . فرضي جول سيمون بهذا المنصب لعله يمنع حدوث الزوبعة . ولكنه اضطرّ بعد ذلك للاستقالة فخرج من رئاسة الوزراء ابيّ النفس شامخ الرأس ولكنه خرج ساكتاً لان السكوت في مقام كذلك المقام خير من الكلام

قال المسيو فالبير: ومنذ هذا الحين انتهت اعمال جول سيمون الوزارية. ولكن حياته العمومية اضطربت بعد ذلك بحادثة تُعرف عندهم بالمادة السابعة. فان الحزب الجمهوري يومئذ رام امرين (الاول) جعل المدارس الابتدائية مستقلة عن الدين وهو ما يسمونه (جعلها على الحيادة) بين جميع المذاهب (والثاني) عدم الاذن للرهبانيات بالتعليم. فانفصل يومئذ جول سيمون عن حزبه الجمهوري الذي خدمه كل عمره وصار يقاومه في هاتين المسألتين. فطلب ان يُكتب بالدستور وجوب تعليم الطلبة ما يجب عليهم لله ونادى بحرية التعليم بلا شرط سوى كفاءة المعلم وأدبه. وقد فاز على حزبه الجمهوري كله فحقد عليه هذا الحزب واعتبره خائناً له. ولكن لم يلبث ان حصل ردّ فعل لهذا النفور. فان الجنرال بولانجه قام يتهدّد الجمهورية فبادر جول سيمون واشرع قلمه ضده فكان ينشر في كل يوم مقالةً فابعد بذلك عن الجنرال كثيرين ممن كانوا نووا الانتصار له. وكانت مقالات الفيلسوف تترجم عن عواطف الحزب الجمهوري احسن ترجمة. فعادوا اليه بعد ذلك النفور الذي جرّه عليه انتصاره للحرية المطلقة وفقاً لمبادئه التي شب وشاب عليها

وقد ختم المسيو فالبير خطبته الشائقة بهذه الخاتمة:

لقد كان جول سيمون احد مؤسسي الجمهورية الثالثة البواسل وداعياً من اشد الدعاة الى التضامن الاجتماعي. ولقد اعانه في شيخوخته التي كان يشتغل فيها ايضاً لكسب الرزق الخيرُ الذي كان يصنعه حوله بلا حساب. هذا ما عدا عناية اهله. فكان يساعد المشروعات الخيرية ويهبها مع وقته ثمرة خبرته وحكمة نصائحه. وكان وهو فوق الثمانين من العمر يجد في كلامه قوة الشباب لمهاجمة الشرونبش دفائنه وردّ غاراته او اصلاح تخريبه. فكم من مرّة نادى بالالتفات الى ضعفاء الارض كحملة الدين بلا عمل والمرضى بلا عناية والعجزة بلا مساعدة والاولاد المهجورين الذين هم كلهم ضحية التعاسة او الفساد او سوء التدبير. وقد كانت تلك العناية منه شرفاً لحياته وستكون مجداً له عند الاجيال الآتية

هذه خلاصة خطبة المسيو فالبير. وقد لخصناها كلها لانها عبارة عن ترجمة الفقيد. وقد نشر في العام الماضي نجلا الفقيد كتابين في ترجمة حياته اكثرها كتب بخط يده وفيها من الملح والنوادر والعبر ما يلذ ويفيد. فربما لخصناها في مقالة تالية

جول سيمون والجامعة ولقد جاء علينا زمن كنا فيه اذا فتحنا كتاباً من كتب جول سيمون «كالواجب» او «المرأة في القرن العشرين» او «المدرسة» او «العاملة» او «الحرية السياسية» وغيرها فانما كنا نفتحه باحترام يحكي احترام رجال الدين

حين دنوهم من الحراب . ولقد نقلنا منذ بضع سنوات كتابه « المرأة في القرن العشرين » الى اللغة العربية وكتبنا الى الفيلسوف الكريم نستاذنه في نشره . فوصله كتابنا قبل وفاته وهو بين ايدي الجراحين لاصابة عينيه بالكاتركت (الماء الزرقاء) . فاجاب عليه بما خلاصته « لقد عرضت كتابكم على ابني (١) ونحن مسرورون لنقلكم « المرأة في القرن العشرين » الى اللغة العربية . ولقد ترجمت حتى الآن الى اللغة الروسية والاسوجية . وقد كنتم في غنى عن طلب الاذن بنشرها . ولم اشاء ان ابطىء في ابلاغكم ذلك وان كنت الآن بين ايدي الجراحين لعملية الكاتركت الخ . . . . » وفي الحقيقة ان الجواب لم يبطىء الا بمقدار سفر الباخرة وعودتها — ولا يزال كتابه عندنا نحفظه كما نحفظ شيئاً مقدساً

❊ عود الى المقدمة ❊ هذا هو الرجل الذي ننصبه مثالاً للشرق بعد ان كان مثالاً للغرب . وخلاصة ترجمته معيشة طاهرة نقية لم يدنسها شيء حتى ولا نقائص الشباب . وجد بالغ حده رفع صاحبه من قرية سان جان بريفيلاي حيث كان فلاحاً صغيراً الى قمة رئاسة الوزراء وذروة العلم والفلسفة والشهرة . وشهامة ونزاهة تامة حببتا اليه الفقر مع العدالة والنزاهة والواجب على الغنى والجاه من طريق لا يرضى عنه الضمير والذمة . وسعي مجيد في خدمة الطبقات الضعيفة من الامة ومقاومة طبقاتها القوية حينما كانت تروم الاستئثار بالمنافع والخيرات دونها

فبارك الله في الامم التي يظهر فيها رجال كهذا الرجل . ويا لشقاء الامم التي لا تفهم هذه المبادىء السامية بل تصرف نفوس ابنائها وعقولهم قبل كل شيء الى مستنقعات الارض لالتقاط اشيائها المادية . ذاهلين عن ان تلك المبادىء الادبية — بين تقلبات الحياة ومعاركها المختلفة — هي وحدها الانسانية الحقيقية وان الحياة بدونها لا قيمة لها الا بمقدار قيمة الحياة الحيوانية

« ١ » الدكتور غوستاف سيمون مؤلف القسم العلمي الصحي من كتاب المرأة في القرن العشرين



نشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات العلمية والطبية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

الاوقاف المصريّة القديمة

وتقلها السلطة من يد الملك الى يد رئيس الكهنة

من مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية

للاضطراب الذي نشأ في فرنسا في هذا العام بشأن حرية التعليم وحل الرهبانيات الغير المأذونة اسباب عديدة اعظمها الخوف من تكاثر الاوقاف الاكليريكية واستغراقها كثيراً من املاك الامة . ولذلك يقولون انه لولا خطبة المسيو والدك روسو في طولوز لما رمي بعض الجمهوريين المعتدلين بمحاراته في سن نظام الرهبانيات . قال المسيو والدك روسو صاح في خطابه هذا : ان املاك الرهبانيات واوقافها صارت تُقدر « بمليار » وتلك وهي في ازدياد مستمر فاذا لم تضعوا لذلك حدّاً امتصّت هذه الرهبانيات دماء الامة وصارت دولة في الدولة

فتناول يومئذ الاشتراكيون والغلاة كلمة « المليار » وصاروا يحاربون بها الرهبانيات . وهال بعضَ معتدلي الجمهوريين هذا الرقمُ وهذه الثروة فرأوا من الواجب ان يضعوا حدّاً لذلك . ومن هنا نشأ نظام الجمعيات الدينية

فانت ترى في ما تقدَّم ان اوروبا لا تنظر اليوم الى اوقافها بعين الرضى والطمأنينة خصوصاً في البلاد التي يكون رجال الدين فيها مقاومين للسلطة الحاكمة . ولكن الدول التي يكون فيها رجال الدين على وفاق مع السلطة الحاكمة كروسيا مثلاً يكون شأن اوقافها شأن الاوقاف في بلادنا الشرقية وحكومتها تشجع الواقفين وتثني عليهم لانهم بحبسهم املاكهم للهيئة الدينية وقفاً على «الفقراء والمساكين» انما يمنحون الحكومة نفسها قوة جديدة طالما يكون فوق

يدها يد تراقب التصرف بهذا الوقف لاتفاق دخله في افضل الوجوه التي تنفع الامة نفعاً حقيقياً

ويظهر ان خوف الحكومة الفرنسوية كان في محله . فقد عثرنا في هذا الشهر على مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية نشرها في احدى جرائد اوروبا وذكر فيها انتقال صولجان السلطة في مصر قديماً من ايدي الفراعنة الى ايدي الكهنة بسبب كثرة هذه الاوقاف واستغراقها قسماً عظيماً من البلاد والعباد . واليك خلاصة هذه المقالة المهمة . قال المسيو ماسبرو .

لما شاخ رعمسيس الثالث تنازل عن الملك لابنه رعمسيس الرابع واقام لذلك احتفالاً عظيماً في هيكل الاله عمون . ثم اخذ رعمسيس الثالث (الاب) يساعد ابنه بالنصح والارشاد و يشتغل بكتابة وصيته السياسية لبلغ اخباره الى الاجيال التالية . ومن حسن الحظ ان احدى هذه الاوراق وقعت في يد رجل يُدعى المستر هرس وكان قنصلاً لانكلترا في الاسكندرية ثم ابتاعها منه متحف لندن بعد بقائها ٣٥ سنة معه . وهذه الورقة تنتهي بذكر فتوحات رعمسيس واعماله . وفيها ما عدا ذلك بيان الاملاك والهبات التي وهبها للآلهة المصرية . وقد جاء في الورقة ان رعمسيس هو الذي وهبها للآلهة ولكن الحقيقة ان تلك الاملاك كانت موهوبة لها من اسلافه من ملوك الاسرة الثامنة عشرة حتى التاسعة عشرة . فالاهمية في هذه الورقة في بيان املاك الآلهة واوقافها في زمن من اهمّ الازمنة . ولذلك كانت فريدة في بابها .

وقد ورد في هذه الورقة ذكر اوقاف الآلهة في ثيبة وعين شمس (هليوبوليس) ومنفيس وبعض المدن الصغرى . وفيها تفصيل كل صنف من الاملاك كالبساتين والعبيد والحقول والمواشي مما يضيق المقام عن ذكره . غير اننا نكتفي بذكر ما كان للاله عمون الذي هو اكبر الآلهة المصرية القديمة . فقد كان يملك ٨١٣٢٢ نفساً من العبيد والخدمة والخادمات و ٤٢١٣٦٢ رأساً من المواشي الكبرى والصغرى و٤٣٣ بستاناً و ٢٣٩٣ كيلومتراً مربعاً من الاطيان كانت تُزرع حنطة و٨٣ سفينة تمخر عباب النيل والبحر و ٤٦ معملاً للبناء و ٦٥ مدينة او قرية (منها سبع في آسيا) . وما عدا ذلك فقد اهداه الناس في اثناء المدة التي ملك فيها رعمسيس الثالث وهي ٣٢ سنة ٣١ كيلوغراماً من الذهب و٨٣٣ غراماً — و ٩٩٧ كيلوغراماً من الفضة و٨٠٥ غرامات — و ٢٣٩٥ كيلوغراماً من النحاس و ١٢٠ غراماً — و ٣٧٢٢ قطعة من النسيج و ٣٠٩٩٥٠ هيكتوليتراً من القمح و ٣٨٩٥٣٠ طائراً وكثيراً من الخيوط والكتان والزيت والخمر والبخور والبقول . وعلى ذلك فقد كانت

ثروة الاله عمون فوق كل ثروة دون ثروة فرعون . وكانت املاكه عبارة عن جزء من ثمانية اجزاء من بلاد مصر وكانت آخذة بالازدياد والاتساع

ومن اجل هذا استنتج متأخرو المؤرخين نتيجة نشير اليها . فانه من المعلوم انه بعد انقضاء مائة سنة او ١٢٠ على ملك رعمسيس الثالث قام كاهن عمون الذي كان الكاهن الاعظم في ثيبة ونادى بنفسه ملكاً جامعاً بذلك بين السلطتين المدنية والروحية . وبذلك سقطت سلطة « الرعامسة » . فالمؤرخون كانوا يعتقدون حتى اليوم ان السبب في حلول سلطة رئيس الكهنة محل سلطة الفراعنة منذ نحو ٣ آلاف سنة كون الاوقاف للكهنة والآلهة زادت زيادة كبرى عن املاك الملك فصار لهم القوة والسلطة دونه لرجحان ثروتهم على ثروته . ولكن المسيو ارمن الذي نشر منذ مدة كتاباً موضوعه البحث في « بابيروس هرس » وهي الورقة التي تقدم ذكرها يقول انه يجب ابطال هذا الرأي لان اوقاف الاله عمون لم تبلغ اكثر من عشر البلاد . والناس الذين كانوا تابعين لها لا يبلغون جزءا من ١٠٠ جزء من سكان مصر . فكيف والحالة هذه يمكن ان تتغلب طبقة الكهنة على اسرة الملوك

الا ان المسيو ماسبرو صاحب المقالة يردّ على المسيو ارمن . وردّه في غاية السداد على ما يظهر فانه قال ان ورقة هرس نقلت الينا بيان ثروة الاله عمون في آخر حكم رعمسيس الثالث . وكانت خزانة رعمسيس يومئذ تطفح بالمال وارداً من سوريا . لكن في القرن الذي تلا ذلك الزمن اضطر الملوك الى ترك ولايات سوريا البعيدة وانقطع دخلها عن خزائنهم ولم يبق لهم غير دخل املاكهم في مصر . وبناء على ذلك نقص دخل الملوك نقصاً عظيماً بينما دخل الكهنة بقي على حاله تقريباً لانه لم يخسر الا ايراد بعض المدن السورية التي تُركت وهي خسارة قليلة . واذا حسبت الهدايا التي كانت تُهدى اليه كلما ارتقى ملك الى العرش وجدتَ ان ذلك يعادل خسارته المذكوره آنفاً . فرجحان ثروته على ثروة الملوك لم يكن من قبيل زيادتها بل من قبيل حفظه لدخله وتناقص دخل الملوك . ولما رأى رئيس الكهنة قوته ورجحان ثروته اغتنم هذه الفرصة وطلب جعل حق رئاسة الكهنة في اسرته فصار رئيس الكهنة لا يُختار الا منها وبذلك اصبح هذا المنصب وراثياً من الاب للابن . ومنذ هذا الحين زادت سلطة الكهنة وصارت الاسرة الرئيسة تزوج ابناءها بنات الاغنياء والعظماء زيادة لقوتها واعوانها . فلم يمض على ذلك قرن او قرن ونصف حتى صارت بلاد ثيبة وهي ثلث بلاد مصر تقريباً وقفاً للاله عمون وملكاً له ولكهانه . وكان رئيس الكهنة يحكم البلاد من اصوان الى اسيوط ويقود الجيش ويحكم بلاد الجنوب حتى الحبشة نفسها

كانت تحت سلطته · وهكذا لم يلبث ان صار مالكاً لمصر من النيل الازرق حتى نواحي اسيوط · ولكنه لم يستطع ان يصنع في الدلتا (الوجه البحري) ما صنعه في الجنوب لقلة املاكه فيها · فقامت في تنيس اسرة ملوكية جديدة لتزاحمه فاجبرت مدن الدلتا العديدة السكان اهل ثيبة على اقسام يمين الطاعة لها · ومنذ ذلك الحين صارت مصر مقسومة الى قسمين احدهما في الجنوب يحكمه بالاسم الاله عمون وبالفعل رؤساء كهنته ذكوراً واناثاً

قال المسيو ماسبرو الذي هو اليوم اعظم ثقة في الآثار المصرية مختتماً كلامه : نعم ان ثروة عمون لم تكن السبب الوحيد في تلك الثورة التي احدثت هذا الانقلاب ولكنها السبب الاصلي · فانه لولا تلك الثروة لما تمكن الكهنة من التغلب على الملوك

فلسطين واشهر آثارها

محصرة نجيب افندي نصار اللبناني في طبريا

بيت لحم

بلدة بيت لحم واقعة على مسافة خمسة اميال الى الجنوب من القدس تقطع الطريق منها اليها وادي ابن هنوم تحت جبل صهيون وتمر في سهل الرفائيين شرقي المستعمرة الالمانية القدسية · فدير مار ايلياس الذي بناه مطران بهذا الاسم في تاريخ مجهول فصار المتاخرون ينسبونه للنبي ايليا · فقبر راحيل امرأة يعقوب المعروف باسم قبة راحيل

وقد اكتشف هذا المكان (قبة راحيل) منذ ابتداء التاريخ المسيحي وكان مبنياً باثني عشر حجراً بشكل هرمي اشارة الى اسباط اسرائيل الاثنى عشر · اما بناؤه الحالي فهو قبة فوق القبر ورواق امامها بنيا في القرن السابع عشر · وقد جاءت ابحاث الدكتور روبنصن مخالفة للاعتقاد الراسخ منذ نحو الفي سنة في اذهان البشر على اختلاف مذاهبهم بصحة هذا المكان · قال هذا العلامة : وان يكن الموقع مطابقاً لقول التوراة بان راحيل دُفنت بالقرب من افراته التي هي بيت لحم الا انه لا ينطبق على قول صموئيل بكون قبرها واقعاً على الحد بين يهوذا وبنيامين · لان الحد بعيد الى الشرق من تلك النقطة · ولا يوافق رواية التوراة ايضاً في ان شاول في عودته من الرامة من عند صموئيل الى بلده جبعة مر بقبر راحيل · فالرامة وجبعة واقعتان الى الشمال من هذه النقطة · فحقيقة حال هذا المكان تبقى

مجهولة الى ان تُظهرها ابحاث المدققين

وهنا نترك طريق الخليل اليمنى ونتبع الطريق اليسرى فتقادوك بضع دقائق الى بيت لحم

﴿ البلدة ﴾ في محاطة باشجار الزيتون والكرم وواقعة على تلاين علوها ٢٥٠٠ قدماً عن سطح البحر

﴿ سكانها ﴾ يربون على الثمانية آلاف نسمة نصفهم روم ارثوذكس والنصف الآخر كاثوليك الا قليلاً من المسلمين والبروتستنت . ويظنون ان البيتلحميين من سلالة الصليبيين لان هيئاتهم والوانهم تشابه بالحقيقة هيئات والوان الاوروبيين . والرجال منهم يتعممون بالعمائم الحريرية الصفراء فوق الطرابيش المغربية ويلبسون العباءة فوق القفطان (القنباز) والنساء يلبسن اثواباً (قمصاناً) قطنية واسعة طويلة مصبوغة بلون ازرق ومطرزة بالحرير الملون على قباتها وصدورها واكمامها . ويلبسن فوقها عباءة صوفية حمراء ذات اكمام قصيرة . وقد صرن يستبدلنها (بصاطات) الجوخ ويغطين رؤوسهن بقبعات صغيرة هي اشبه بالطرابيش الصغيرة مزينة بالقطع الذهبية والفضية ويسترنها بملاءة قطنية مطرزة بالحرير الاحمر والعنابي تطريزاً متقناً ويرسلنها على اكتافهن وظهورهن ويشددن خصورهن بزنار

﴿ صناعتها وتجارتها ﴾ والرجال يتقنون صناعة الاصداف وعرق اللولؤ (كما يحسن القدسيون صناعة الادوات الجميلة من خشب الزيتون) فيصنعون منها المسابح والصلبان والدبابيس الصدرية ومقاطع الورق وصنوفاً اخر عديدة وينقشون على القطع الكبيرة من هذه الاصداف رسوماً انجيلية وكنسية منقنة غاية الاتقان يبيعونها لسياح الفرنج والزائرين ويتجرون بها مع البلدان الاميركية والانكليزية خصوصاً والاوروبية عموماً . وللبلده تجارة مع العربان المجاورة لها في الحنطة والسمن والصوف وجلود الضأن .

﴿ اسواقها ﴾ ضيقة حتى ان مركباً واحدة اذا مرت في اكبرها تسده ويتعذر على المارين المرور معها غير انها نظيفة

﴿ مدارسها ﴾ فيها مدارس خارجية للذكور والاناث للطوائف الارثوذكسية واللاتينية والبروتستنتيه ومدرسة داخلية بروتستنتيه للبنات واخرى كاثوليكية للذكور وقد بنت احدى الجمعيات الخيرية الالمانية مدرسة كبرى لذكور الايتام فيها .

﴿ حكومتها ﴾ هي مركز مديرية تابعة للواء القدس

﴿ تاريخها ﴾ لم يختلف الرواة في كون بيت لحم هي القرية لان اسمها ومعناه بالعبرانية بيت الطعام لم يتغير . والمسافة الكائنة بينها وبين القدس هي عين المسافة التي يعينها الكتبة

الاقدمون في عصور مختلفة . وكانت في بداية التاريخ اليهودي قليلة الاهمية الى حد انهالم تذكر في عدد القرى المعطاة ليهوذا . وذُكرت بعد ذلك مرة بمناسبة ميخا عابد الاصنام واخرى بمناسبة الافرايمي وسريته التي نشأت بسببها حرب عوان في اسرائيل . غير انها فيما بعد بلغت مقاماً عظيماً من الاهمية بقيام داود منها وله شمت الاسرائيليين وجمع كلمتهم وجعل مملكتهم قوية ذات صولة وشأن عظيم تجاه القبائل العديدة المعادية لهم والمحيطة بهم . و بولادة المسيح فيها حسب رواية الانجيل اخذت شهرتها تزداد بانتشار الدين المسيحي فلم تلبث بعد ذلك قروناً حتى ملاء اسمها الاقطار وحلا ذكرها لدى جميع المسيحيين في جميع الامصار ففاقت مع صغرها وحقارتها عواصم الممالك في الاهمية والاعتبار وصار السياح والزوار يتواردون لزيارتها من جميع البلاد . و بنت فيها القديسة هيلانه كنيسة سناً تي على ذكرها . وقد اصطفتها بولا الرومانية بنت فيها اديرة وصرفت باقي حياتها في واحد منها الى جانب استاذها جيروم الذي اتم فيها ترجمة نسخة من التوراة من العبرانية الى اللاتينية ومات ودفن فيها على رواية بعضهم . واحاطها جوستينيانوس باسوار هدمها العرب فيما بعد . ثم دخلها الفرنج بناء على طلب اهلها واعادوا بناء اسوارها وحصنوها بقلعة . وفي سنة ١١١٠ جعلها بلدوين كرسي اسقفية وفي سنة ١٢٢٤ خربتها جيوش خارزميان ففقدت مقامها ولم تعد بذات اهمية حتى القرنين الاخيرين . لكنها بقيت عرضة لهجمات البدو ومناوشاتهم . والسبب في ذلك ان اهلها لم يكونوا يخضعون كاهالي باقي القرى لاستبداد قبائل البدو الذين كانوا يضربون الجزية على القرى المجاورة لهم و ينهبون مواشيهم و يسلبون ابناء السبيل منهم اذا لم يؤدوها . وكان ذلك قبل امتداد سلطة الحكومة ونفوذ كلمتها في هذه القبائل الرحالة

المغارة

التي ولد فيها المسيح

﴿ كنيسة العذراء ﴾ اشهر مايذكر ببيت لحم كنيسة الولادة المدعوة باسم العذراء وهي احدى الكنائس الثلاثة التي شادتها القديسة هيلانه في البلاد المقدسة الفلسطينية . مبنية على طراز بسيط يستدل منه ومن تقارير الكتبة المتشابهة عنها في الاعصر المختلفة انها لم تزل على حالها منذ بُنيت فضلاً عن كونهم يعترفون بانها لم تلاقِ ما كانت تلاقيه باقي الكنائس والاديرة من الخراب اثناء الحروب الويلة . وهي قائمة على صفي اعمدة من حجارة كلسية يبلغ علو الواحدة منها بما فيه قواعدها المربعة ورؤوسها الكورنثية تسع عشرة قدماً . وقد رصع

الامبراطور مانوئيل البيزانتي جدرانها بالفسيفسا ونقش رسمه عليها في عدة محال غير ان هذه النقوش طمست وغدت اثرًا بعدعين. وفي سنة ١٤٨٢ جلب اليها ادورد الرابع ملك انكلترا وفيليب امير بورغانديا صناعًا من البندقية (فنيسيا) وأصلحوا سقفها الذي جردته الحكومة في سنة ١٦٧٢ من الرصاص لعمل القنابل. وبعد مارُمت استولى عليها الروم والارمن غير ان الكاثوليك اخذوا بواسطة نابوليون الثالث حصة منها وشادوا كنيسة ملتقة على حصتهم.

﴿ صحة موقعها ﴾ قلنا ان الكنيسة قائمة فوق مغارة المهد فالكتبة المدققون يعترضون على حقيقة هذا الزعم بقولهم ان ولادة المسيح كانت على حسب رواية الاناجيل في منزل وليس في مغارة وفي رأينا ان هذا الاعتراض في غير محله لان الاولين كانوا ينقرون المغاور في الصخور ويتخذونها منازل وتشهد بذلك مغاور بيت جبرين الواسعة العديدة وغيرها من مغاور القرى العديدة في البلاد الفلسطينية. وان قيل ان مغارة المهد نفسها كانت صغيرة لا يمكن ان تكون نزلاً للغرباء قلنا انها مع مغارة جيروم الواقعة الى جانبها والتي هي بالحقيقة قسم منها كافية لان تكون نزلاً لغرباء قرية كبيت لحم بحسب ظروف ذلك الزمان. ولا ينبغي ان يعتقد المتأخرون ان منازل الاولين كمنازل اليوم في تنظيمها وتعداد غرفها فان غرفة واحدة كبرى كانت كافية لمبيت عدد غير يسير من ابناء السبيل في ذلك الزمان. وزد على ذلك ان المسيحيين كانوا يعتقدون بولادة السيد في هذه المغارة منذ اواسط القرن الثاني. ومما يُروى ان ابناء الطوائف الاخرى لم يكونوا يعترضون على اعتقاد المسيحيين هذا في القرون الاولى. ويوسيبيوس قبل القديسة هيلانه بعدة سنين يؤكد هذا الزعم. فيظهر ان مجال الاعتراض على حقيقة هذا المكان ضيق بالرغم عن طول باع المعترضين وانقياد الحجة والبرهان لهم. (هذا بصرف النظر عما قاله بعضهم من ان ولادة المسيح كانت في الناصرة) ـ وقرب دير الروم محلات اخرى كمغارة الحليب وبيت يوسف لا محل لذكرها هنا

بيت ساحور

او بيت ساحور النصارى تبعد ميلاً الى الشرق عن بيت لحم ربما تناولت اسمها من اشحور ابن تقوع المذكور في سفر الايام الاول اومن اسحار وهي بقلة تسمن الغنم كان الرعاة يرعون غنمهم فيها كما قيل لما بشرهم الملاك

سكانها نحو سبعمائة نسمة من المسيحيين وفيها عدة مغاور وآبار اكبرها في وسط القرية ويقول العامة ان ماءها ارتفعت باعجوبة الى فمها فشربت منها العذراء اذ ابت النساء اللواتي

كن يسقين ان يسقينها من دلائهن . وهناك ايضاً مغارة يعتقد الناس ان الرعاة كانوا يقيمون فيها

وعلى مسيرة نحو عشر دقائق الى الشرق من بيت ساحور بقعة خصيبة يدعونها سهل بوعز

اما المغارة التي صار الناس منذ القرن السادس عشر يعتقدون ان الملائكة ظهروا للرعاة وهم فيها فهي على مسافة عشر دقائق الى الجهة الشمالية الشرقية من سهل بوعز وفيها كنيسة ينزل اليها بواحدة وعشرين درجة فيها قطع اعمدة و بقايا نقوش بالفسيفساء يقول الخبيرون بهذا الفن انها من صنعة الاجيال المتوسطة . وفوقها بقايا ابنية ربما كانت بقايا الكنيسة التي كان الصليبيون يدعونها « المجد لله في الاعالي » قالت بولا : ان برجاً للرعاة كان قائماً هناك

جبل الفريديس

« هيروديوم »

هو تل مخروطي الشكل . ربما دعي الفريديس لانه يشرف على مناظر متسعة بديعة ولانه كان محاطاً بجنائن جميلة تشبه الفردوس . واقع على مسافة ساعة الى الجنوب الشرقي من بيت لحم و يدعي ايضاً جبل الفرنج لان بعض الرواة قالوا ان الصليبيين اقاموا فيه مدة اربعين سنة بعد ما خرجت القدس من ايديهم . علوه ٢٤٨٧ قدماً ومحيطه ٧٦٠ قدماً

« تاريخه » اختلف الرواة في حقيقته فقال بعضهم هو بيت هكاريم المذكورة في ارميا ص ٦ ع ١ واخرون بيت اوليا غير انه يتضح من اقوال يوسيفوس في اخبار اليهود (كتاب ١٤ فصل ١٣ قطعة ٩) (وكتاب ١٥ فصل ٩ قطعة ٤) ان بعض هذا التل طبيعي والبعض الآخر اصطناعي . لان هيرودوس كله حتى صار بشكل صدر امرأة وبنى عليه قلعة حصنها بالابراج المنيعة وقصراً بهيجاً واحاطه بالجنائن تذكاراً لتغلبه على انتيغونوس الذي كان يطارده خوفاً منه على ولايته على اليهودية . وآثار ابنية هيرودس لم تزل شاهدة بكونها من عصره خلافاً لما يقال بكونها صليبية . وقد تبين ان مسافة الستين غلوة التي يذكرها يوسيفوس بينه و بين القدس تنطبق عليه . و يزيد بذلك تاكيداً صحة نسبة هذه الستين غلوة الى الثلثمائة غلوة المسافة التي يذكرها هنا المؤرخ بين القدس والبحر الميت . وقد نقلت جثة هيرودوس بعد وفاته ودفنت في هذه القلعة ولذلك يسمون هذا الجبل « هيروديوم »

برك سليمان

واقعة على مسافة ساعة من قبر راحيل الى يسار طريق العربة من القدس الى الخليل في منحدر وادي ارطاس ٠ وهي ثلاث برك الواحدة فوق الاخرى ولكن على خط غير مستقيم ٠ وقعر العليا يوازي سطح الثانية وهكذا في الثانية والثالثة ٠ وتبعد الاولى ٥٣ يرداً عن الثانية وهذه تبعد ١٠٠ يرداً عن الثالثة

البركة الاولى — طولها ١٢٧ يرداً وعرضها ٧٦ واعمق نقطة فيها من جهة الشرق ٨ يردات بعضها منقور بالصخر والبعض الاخر مبني بالحجارة وينزل اليها بدرج عند زاويتها الجنوبية الغربية

البركة الثانية — طولها ١٤٠ يرداً وعرضها ٥٤ وعمقها ثلثة عشر والدرج اليها في زاويتيها الشمالية الغربية والشمالية الشرقية وتصب فيها قناة عين صالح عند زاويتها الشمالية الشرقية واكثرها تجويف في الصخر ٠

البركة الثالثة — اكبر من اختيها طولها ١٩٤ يرداً وعرضها ٥٠ وعمقها ستة عشر بعضها حفر في الصخر والبعض الاخر كمل بالبناء وينزل اليها بسلمين في زاويتيها الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية وفي حائطها السفلي دهليز يوصل الى كهف نبع الفروجة الذي يصب في قناة القدس ٠

﴿ تاريخها ﴾ يظهر ان هذه الاحواض قديمة العهد جداً لان كثيرين من كتبة اليهود الاقدمين يذكرونها وخصوصاً كتبة التلمود الذين يشيرون الى نبع عيطام بين القدس والخليل ويقولون ان ماءه كان يصب في بئر ومنها يجري بقناة الى اورشليم ٠ ويقول يوسيفوس ان عيطام لم تكن بعيدة عن القدس وان سليمان الملك غرس الجنائن حولها وجر ماءها الى الهيكل المقدس وسكت الكتبة الذين جاؤوا بعدهم عن ذكرها حتى القرن الرابع عشر اذ ذكرها رودولف دي سوخم بقوله ان آبار اورشليم كانت تسقى باقنية من ماء الخليل ٠ غير ان كوتيفيكوس يصف البرك في سنة ١٥٩٨ وصفاً دقيقاً ٠ واذ كانت هذه الاقنية خربة جرت الحكومة العثمانية ماء البرك من منذ ثلاث سنوات باقنية حديدية جديدة الى القدس وخففت عن الاهالي كرباً وضيقاً كانا يحلان بهم في خريف كل سنة وقت نفاد ماء الشتاء من صهاريجه ٠ وقد ظن الدكتور روبنسن ان عيطام التي بناها يربعام (ايام ص ١١ ع ٦) هي ارطاس بلدة بجوار بيت لحم

مدينة الخليل

وطن ابراهيم الخليل — بلدة اقدم من صوعن

فيها مضيف لرجل اسرائيلي وآخر للزوار الروسيين ويقبل غيرهم اذا كان معهم كتاب توصية من الارشمندريت الذي يقيم في مسكوبية القدس

تبعد نحو اثني وعشرين ميلاً الى الجنوب الغربي عن القدس وهي واقعة في وادخصيب يكثر فيه شجر اللوز والدراق · اما الكرمة فتنمو وتثمر ثمرًا وافرًا يانعًا حتى ان بعض الكتبة اجمع رأيهم على ضرورة كون وادي اشكول الذي عاد منه الجاسوسان الى يشوع بقطف عنب كبير للدلالة على خصب الارض — كان في هذا الجوار · وسكانها يبلغون عشرة الاف نسمة منهم نحو الف من اليهود

﴿المدينة﴾ والمدينة تعلو ثلاثة الاف قدم عن سطح البحر · وقد كانت تنقسم الى اربعة احياء غير ان الابنية ازدادت كثيرًا في المدينة حتى اتصلت الاحياء بعضها ببعض وصار يعسر تمييزها · وهي مركز قائمقامية وفيها شعبة بوسطة وتلغراف ومكاتب ابتدائية عثمانية ومعامل زجاجية من القرون المتوسطة تصنع فيها السرج والاساور والخواتم الملونة التي تتزين بها النساء وتباع للزوار وسياح الفرنج · واهلها يدبغون جلود الحيوانات ويصنعونها قربًا يبيعونها من الحجاج والعرب ويتجرون مع العربان المجاورة والبرية فينقلون اليهم لوازمهم ويستبدلونها منهم بالصوف والسمن والقرود والاسرائيليون يصنعون الخمور من عنبها الجيد

﴿ تاريخها ﴾ يُظن ان المدينة القديمة كانت واقعة مقابل الحديثة على تل الرميدة الذي وان كان قد صار مشجرًا بشجر الزيتون الا انه لا تزال عليه بعض آثار الابنية القديمة والحديثة وبينها قبر يدعى ابي داود ومزار اربعين شاهدًا وفي سفحه بئر منسوبة لسارة امرأة ابراهيم الخليل يدعى العين الجديدة

والمدينة كانت تدعى قديمًا (قرية اربع) قال بعض كتبة اليهود القدماء دُعيت كذلك لان الشيوخ الاربعة وهم ادم وابراهيم واسحق ويعقوب ماتوا ودفنوا فيها · وقال آخرون منهم انها قرية ادم لان كلمة اربع تفيد معنى آدم · وهي تدعى ايضًا حبرون · والمسلمون يسمونها خليل الرحمان وحبرا ومجد ابراهيم ويدعون المقاطعة كلها جبل الناصرة ·

وهي مدينة عريقة جدًا في القدمية جاء في التوراة في سفر العدد « ١٣ : ٢٢ » انها بنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين · وقال يوسيفوس في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٩

قطعة ٧ » انها اقدم من منفيس وانها بنيت قبل زمانه بالفي وثلثمائة سنة · وفيها عاش ابراهيم واسحق ويعقوب · ومنها رحلت عائلة يعقوب الى مصر عن طريق بئر سبع ولما عاد الاسرائيليون من مصر وجدوا قبيلة العنافيين فيها فاعطاها يشوع لكالب ابن يفنة الذي طردهم منها · ثم صارت المدينة ملجاء واعطيت للاويين (يشوع ٢١ : ١٣)وفيها ملك داود على سبط يهوذا سبع سنين · وعند بابها قتل يوآب ابن صروية رئيس جيوش داود ابنير قائدجيش شاول · وفيها سمي داود ملك على مملكة اسرائيل كلها · وفيها ايضاً جاهر ابشالوم ابنه بالتمرد عليه · وحصنها رحبعام ابن سليمان بعد انقسام مملكته · وعاد اليهود فسكنوها بعد رجوعهم من سبي بابل · ويفهم من اقوال يوسيفوس والمكابيين ان الادوميين استولوا عليها وعلى القسم الجنوبي من البلاد وان سمعان المكابي طردهم منها وطرد سربليس احد قواد فسباسيانوس منها سمعان خيور بدس الذي عصي وتحصن فيها في القرن الاول بعد المسيح

ولم تفقد المدينة شيئاً من اهميتها بدخولها في حكم المسلمين لانهم سروا باستيلائهم عليها ولم يدمروها في الحرب اجلالاً لابراهيم الخليل الذي اتخذها لنفسه ·وطناً ومقيلاً ابدياً · بل انشئوا فيها مضيفاً للغرباء من جميع الملل تذكاراً لحسن ضيافته على رواية بعضهم وعلى قول آخرين ان المضيف انشيء باسم تميم الداري احد اصفياء الرسول(صلعم) اذ استوهبه المدينة وبعض القرى المجاورة فوهبه اياها

واستولى الصليبيون على الخليل بعد القدس فوهبها كودفري دي بيلون الى جرهار وفي سنة ١١٦٧ صارت اسقفية كاثوليكية · ثم طرد صلاح الدين الفرنج منهـا كما طردهم من باقي البلدان · وفي سنة ١٧٥١ احدثت مناوشات بين اهلها واهل بيت لحم فاصيب الفريقان بضرر شديد

﴿ حرمها ﴾ هو فوق مغارة المكفيلة التي هي اقدم مكان مقدس في ارض الميعاد لانها اول قطعة اشتراها ابرهيم ليدفن فيهـا امرأته ثم صارت مدفناً عائلياً له ولسلالته · وهي مؤلفة من طبقتين الواحدة فوق الاخرى ولذلك دعيت المكفيلة (المزدوج) وفيهـا قبور الشيوخ الثلاثة ونساؤهم وربما قبر يوسف ايضاً · والمسلمون يحتفلون بها كثيراً حتى انهم لا يجيزون لاحد من غير المسلمين ان يطاء اديمها الا باذن خاص من صاحب الخلافة · والطبقة العليا منها تتضمن مقامات اشبه بالمدافن الحقيقية قائمة فوقها على خط مستقيم واليها يدخل الزائرون المأذونون خلافاً لحرم القدس الشريف الذي تجيز الحكومة المحلية للسياح الدخول اليه

وقد اختلف الرواة في حقيقة الابنية القائمة فوق هذه المدافن · فمن كتبة المسيحيين من عزاها الى هيرودس · غير ان يوسيفوس الذي ذكر جميع ابنية هيرودس في القدس وخارجها يشير الى هذه بلغة تدل على كونها بنيت في زمن سابق لزمانه · قال في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٩ قطعة ٧ » في سياق كلام له عن ابرهيم : ولا يزال يُدَلُّ على مشهده « مقامه » في تلك المدينة الصغرى « الى هذا الزمان بعينه » و بناؤه من رخام مصنوع بابدع اسلوب ـ فاعتمد المخالفون من المسلمين والمسيحيين لاصحاب الرأي الاول هذه الكتابة ونسبوا الابنية لسليمان لكونه اشهر بناتي القرون الاولى · غير ان التوراة جاءت بتقارير وافية عن ابنية سليمان الذي صفا ملكه فاطمأنت رعاياه وتفرغ الكتبة الى ذكر حوادث العمران فلم يفتهم شيء من ماجرياته · ولكنهم لم يذكروا شيئاً يتعلق بحرم ابرهيم مع كونه عظيم الاهمية عند اليهود · فبناء على ذلك و بناء على ما نعلمه من حوادث داود في تلك الايام كقتله قتلة ابن الملك شاول واستيائه من يواب لانه قتل ابنير نستدل على انه كان يرغب في تأليف قلوب الاسرائيليين وجمعها على حبه ولذلك نعتقد انه هو الذي بنى هذا المقام الشائق على مدافن اجداده واجدادهم استرضاء لهم فضلاً عن انه لم يكن اقل رغبةً من سليمان في اقامة الابنية لانه طلب ان يبني هيكل الله قبله · ولا يؤاخذ كتبة اليهود اذا فاتهم ذكر ذلك في ذلك العهد لان افكارهم كانت تشتغل عن كل الامور الثانوية بما كان يتهدد مملكتهم من الخطر الناشيء عن القلاقل والحروب الاهلية والخارجية

وقد ذكر سائح برذو في بداءة القرن الخامس بناء مربعاً حول الابنية القائمة فوق المغارة قال فيه الدكتور روبنصن انه ربما فات يوسيفوس ذكره · وقد جرت عادة كثيرين من الكتبة ان يكتبوا عن الاشياء الرئيسة و يهملوا ذكر توابعها · وانطونيوس الشهيد قبل المسلمين بقليل يشير الى كنيسة وايوان غير مسقوف و يقول ان النصارى واليهود كانوا يزورون المقام و يحرقون البخور فيه · و يظن ان الكنيسة هذه هي من بناء جوستنيانوس ومجير الدين يقول ان ابرهيم الخلنجي بنى قبر يوسف بامر احدى نساء الخليفة في الحقل الخارج عن بناء سليمان قبالة قبر يعقوب ابيه مع ان رواية التوراة تدل على ان يوسف دفن بقرب شكيم « نابلس » غير انه يحتمل ان يكون اليهود نقلوا عظامه بعد ما توطنوا في الارض وضموها الى عظام ابائه بحسب طلبه قبل وفاته · ولكن لا يوجد دليل على ذلك في تواريخهم · وعلي بك يقول ان اصل الجامع الحالي كنيسة ارثوذكسية . وهي قائمة على اربع قناطر ولها ثلاثة اجنحة اوسطها اعلاها · اما مقاما اسحق و رفقه فهما في داخلها ومقامات ابرهيم وسارة

[illegible]

* [illegible]

[illegible]

* [illegible]

[illegible] الاشياء التي في الاطلاع عليها لذة وفائدة

زراعة الزيتون وفائدته

[illegible]

الزيتون زراعته من اهم [illegible] . وهي تقتضي [illegible]
متى غرست [illegible] وصارت تعطي ثمراً [illegible]
بشيء يسير . ولكن بعض البلاد في [illegible]
وكاليفورنيا وغيرها يتعرفون منه في كل عام [illegible] زراعة القطن في مصر [illegible]

فان زراعة الزيتون تقتضي الصبر ولا [illegible] . ولكن الشرقي [illegible]
بعد هذه الغلة الجيدة . و[illegible] هذه [illegible] التي [illegible] في احدى مدن [illegible]
الفلاح الشامي شبيه برصيفه المصري : سمع بعضهم ان الزيتون يعطي [illegible]
ممن تعوّدوا زراعة ارضهم قمحاً يستورد منه في كل عام ثمانية او عشرة جنيهات . [illegible]
غرس ارضه زيتوناً . فاحضر الشجيرات وغرسها واعتنى بها واخذ ينتظر . [illegible]

الاولى فلم يعطه الزيتون شيئاً . ودخلت الثانية وبقي الزيتون على حاله . فذكر حينئذٍ انه يخسر بذلك في كل عام بضعة جنيهات فجاء واقتلع الزيتون ليزرع في مكانه حبوباً كما كان من قبل وهو يقول في نفسه : دينار عاجلاً خير من ٢٠ آجلاً

غير ان للزيتون الذي هو في كثير من البلاد مورد رزق لاصحابه كما تقدم آفات اذا اصابته قطعت ذلك الرزق عن اهله . واليك بيانها .

واولاها الآفة التي تُدعى « دودة الزيتون » (œcophara oliviela) وهي دودة صغيرة تبيض على ثمرة الزيتون اول تكونها و يغتذي صغارها من لب البزرة . الا ان هذه الدودة لا تضرّ ذات الثمرة التي يعصر منها الزيت وانما ينحصر ضررها في ايقاف نمو الثمرة حيناً و بعد ذلك تعود الى حالها .

والآفة الثانية تُدعى « ذبابة الزيتون » (Dacu oleae) وهذه اشد الافات عليها . وهي عبارة عن ذبابة صغيرة ذات رأس ابيض ضارب الى الصفرة وفيه نقطة سوداء من الجانبين وبطنها مخطط بخطوط سوداء منقطعة . فهذه الذبابة تقصد كل ثمرة من ثمار الزيتون وتغرز فيها بيضة واحدة . فلما تنقف هذه البيضة تجد طعامها حولها في الثمرة نفسها فتتمتع به متلذذة . وقد اصابت هذه الآفة زيتون ايطاليا في سنة ١٨٩٩ فاعدمت موسم الزيتون حتى ان اصحابه لم يتجشموا عناء جنيه لتحققهم ان ذلك لا يكافىء نفقاته . فاعلن يومئذ مجلس ادارة باري انه وضع جائزة قدرها ٥٠ الف فرنك لكل من يرشد الى دواء لاهلاك هذه الآفة واضافت الحكومة الايطالية ١٠ الاف فرنك الى هذه الجائزة . ولكنهم لم يجدوا لها دواء غير التعجيل في جني ثمر الزيتون قبل نقف البيض وان كان الزيتون لم يبلغ اشده وذلك رغبةً في ابطال نمو هذه الآفة واستئصال بيوضها

والآفة الثالثة تُدعى « قملة » الزيتون (Lecanium oleae) وهي حشرة لونها رمادي ضارب الى السمرة طولها مليمتران الى ٤ مليمترات . وهذه الحشرة شديدة الفتك بالزيتون في كل مكان . وهي تقيم على باطن الورقة وتتوالد بسرعة غريبة فلا تلبث ان تملأ اوراق الشجرة كلها . ومن خواصها انها تفرز سيالاً سكرياً يجف على الورقة فيمتنع نموها فضلاً عن كون تلك الحشرة تمتص عصارة الورقة وتحرمها غذاءها . وما عدا ذلك فان المادة السكرية التي في ذلك السيال يجتمع عليها نوع من الفطر يُدعى (Capnodium elaeophilum) وهو ما يسمونه « الداء الاسود » لانه عبارة عن مادة سوداء تجتمع على اوراق الشجرة واغصانها . وهذا الفطر الاسود يضر بالشجرة اشدّ ضرر . فانه ينشىء قشرة سميكة فوق الشجرة فيسد مسامها و يمنعها

من التنفس اللازم لها . واذا حصل ذلك قبل الازهار قلَّ زهر الشجرة او أُعدم . واذا حصل عند تكوّن الثمر فان الثمر يسقط . واذا حصل بعد كبر الثمر فانه يمنع تضخمه ونموه وبذلك يقلل زيته

دواؤُه غير انهم وجدوا من حسن الحظ دواء لهذا الداء العام ويسرّنا ان نشير اليه هنا لان زراعة الزيتون في غاية الاهمية في لبنان . وهذا الدواء قسمان صناعي وطبيعي . فالصناعي طليهم الشجرة وفروعها بهذا المحلول : يضاف كيلوغرامان من الصابون الاسود وليتران من زيت البترول (الكاز) الى مائة ليتر من الماء او الى محلول سلفات الحديد على نسبة ٥٠ في المائة . — وهناك علاج آخر جربه المستر جيلي مدير احدى المزارع الكبرى في اوستراليا وهو طلي الشجرة بمحلول مركب من غرامين او ثلاثة من كربونات الصوده في كل هيكتوليتر من الماء . ويجب طلي الاشجار بهذا العلاج في ايام الربيع بينما تكون الحشرات صغيرة . ويعاد هذا العلاج في كل ثلاث سنوات

واما العلاج الطبيعي فهو انجع فعلاً . وبيانه ان المستر الوود كوبر ادخل في عام ١٨٩٢ في مزارعه الزيتونية في كاليفورنيا بضعة ازواج من حشرة تدعى (Rhizodius ventralis) فلم تنقض بضعة اشهر حتى تكاثرت هذه الحشرة جدًّا وافترست ما كان على الاشجار من الحشرات المعروفة « بقمل الزيتون » وكذلك الحشرة (Erastria scituk) فانها تعيش على اوراق الزيتون ولا تغتذي منها بل من ميكروبات الفطر التي تتولد على الشجرة فتستأصلها كلها وتنفي الداء الاسود الذي تقدم ذكره . وهاتان الحشرتان هما انجع الادواء لداء « القملة » التي تقدم ذكرها

وهناك ادواء اخرى ميكروبية للزيتون ولكنها خفيفة الوطأة قليلة الضرر . مثال ذلك فطر يتولد على جذع الشجرة ويجعله فصفوريًّا . وتعقّد اغصان الشجرة تعقّدًا قد يفضي الى يبس الغصن المعقد

اعادة الفلسفة الى الشرق

حضرة الفاضل صاحب الجامعة

الفلسفة . هذه الكلمة كنت اذا سمعتها في موضوع فما اشعر الا وابواب ادراكي قد اقفلت ونور ذهني انطفأ ولم يعد يُدرك ولا يفهم . هذا ما كنت اشعر به قبل ان

كتبت الجامعة في الفلسفة · مضى زمن يتبعه زمن حتى اتاحت لي شهرة الجامعة ان اقرأها فانقطعت اليها بالفعل ولازمت بيتي في اوقات فراغي خصوصاً هذا الوقت وقت غروب الشمس وقت التمتع باجتلاء محيا الطبيعة صيفاً في الاسكندرية

نعم يا حضرة الفاضل ان هذا العلم اندثر من الشرق ولم يبقَ له فيه الا اثر بالٍ · وكتب هذا العلم اصبحت في ايدي الاجانب فاخذوا منها نوراً وضح لهم الطرق ونقح لهم الافكار ونقى من اذهانهم ما كان من نتائجه ظهور هذه المدنية الجديدة · وصار ما نراه من نبوغ الافراد واتساع هذا العلم بينهم · وبينما نرى طلوع الشمس هناك نرى غروبها هنا · ولولا الجامعة لما سمعنا بهذا العلم بيننا

الا انني لاحظت عند تدوينكم آراء فيلسوف من الفلاسفة انكم تاخذون بجامع القول وتشرحونه كانكم تشرحونه لمن سبق له دراسة هذا العلم · ولكن بالله من هم الذين درسوه؟ اظن انهم لا يتجاوزون عدّ اصبع يد لا يدين · وليس هذا غرضكم على ما اتفكر بل غرضكم هو ادخال هذا العلم في عقول الناشئة الجديدة لتتشرب هذا العلم وتحييه بعد مماته · ولذلك يجب ان تعرف الناشئة الجديدة ما هي اصول الفلسفة وما فروعها وما مذاهبها وكيف يفهمها الانسان · واذا عرف الانسان ذلك امكنه ان يفهم مثلاً اقوال ابن رشد او ابي حامد بدون ان يرجع الى الاصول

فيا حبذا لو تفضلتم واشتغلتم باهداء الناشئة كتاباً في الفلسفة تقرأه فتعرفها معرفة تامة ويكون بمثابة مدرسة يتخرجون فيها ولا يكبر ذلك على همتكم بعد ما رأيناه

واسمحوا لي ان اردتم ان آتي هنا على طرق تدريسه لنا بعد ان تروا ما ترونه وتنهجوا ما تنهجونه

يؤتى بمقدمات بسيطة للفلسفة تبين للمطالع بانه علم نفيس سهل يمكن لكل ذكي تحصيله ويكتب هذا الكتاب جزءاً جزءاً بالجامعة حتى اذا تمت السنة جُمعت الاجزاء وطُبعت على حدة · ويؤتى في خلال الشرح بامثلة واضحة وضوحاً تاماً · وتطبق فيه المبادىء الدينية العامة على اصول الفلسفة كيلا ينفر منها البعض ممن لم يفهموا الغرض من الدين · ولا مانع من ان تذكروا افضل المؤلفين الفرنج في هذا العلم واحسن الكتب الفرنجية التي الفت فيه

هذا ما بدا لي ان اكتبه لحضرتكم فاملي ان لا تضيعوا عليَّ هذا الوقت الثمين وهذه الآمال الثمينة وفقكم الله الى ما فيه نفع الشعب المصري خصوصاً والشرق العربي عموماً

وان ما كتبته ليس ما اريده انا منفرداً بل ما يريده الفيف الاخوان المتعلم الذي

اعاشره واشاركه و يشاركني في الافكار علماً وتربية · فان اجبتم الطلب فهو اجابة لعدد عظيم متعطش لآرائكم

« موظف بمصلحة البوسطة باسكندرية »

﴿ الجامعة ﴾ نشكر لكم حسن ظنكم بالجامعة ويسرنا جداً ان نجيبكم الى هذا الاقتراح المهم لاننا بذلك ندرس معكم علماً خطيراً . ولسنا نقول هذا على سبيل الانضاع الكاذب بل نقوله من صميم القلب لاننا طالبون له مثلكم · غير ان اوقاتنا القصيرة واشغالنا الكثيرة لا تسمح لنا بذلك الآن اذ علينا الاهتمام بمواد المجلة قبل كل شيء · والكتابة على الطريقة التي ترومونها قلما تروج لدى عشرة في المائة من قراء اللغة العربية . فربما اجلناه الى فرصة اخرى او رجونا احد الاصدقاء ممن يوثق بنقلهم ان يخرج لنا هذا الكتاب المهم . اما الآن فنكتفي بان نردكم الى بحث للفيلسوف الشهير ابي نصر الفارابي موضوعه ما يجب على طالب الفلسفة ان يعرفه قبل الاقدام عليها · فتنشوا عليه . وعليكم لمعرفة اصول الفلسفة بكتاب « الواجب » للفيلسوف جول سيمون وكتاب « المختصر الفلسفي » له ولشربكين معه · فاننا اول مصافحتنا لالاهة الفلسفة كانت في هذين الكتابين · ولا نردكم الى كتب سبنسر وقنت وهجل وكونت فانها كلها مطولات عويصة · ولا ريب عندنا ان كتاب « الواجب » الذي تقدم ذكره يقوم مقام الكتاب الذي تقترحون انشاءه · وربما لخصنا شيئاً من هذا الكتاب في فرصة اخرى · وما عدا ذلك فان الجامعة تنشر حيناً بعد حين تراجم اساطين الفلسفة كاوغوست كونت وباكون وابن رشد ومتى اتمت نشر هذه التراجم كان ذلك بمثابة تاريخ لجميع مبادىء الفلسفة ومذاهبها لان تاريخ الفلاسفة هو تاريخ الفلسفة نفسها · واذا راجعتم تاريخ الفلسفة الرشدية في اوروبا في كتاب (ابن رشد وفلسفته) رأيتم فيه خلاصة المبادىء الفلسفية القديمة اجمالاً

هذا وقد قلنا في غير هذا الموضع ان الوفاق في الشرق بين عناصره المتعددة لا يكون راسخ الاركان الا متى اهتمّ اهله بالفلسفة ورأوا ما فيها لهم و لمذاهبهم من النور والظلمة · فهي وحدها تجمع القلوب وتنشر روح التساهل اذ تنير الطريق وتُري البشر ما فيها . و يسرنا جداً ان نرى اقبال نبهاء الشرقيين على هذا العلم وتنبيههم له · كما يسرنا في هذا المقام ان نذكر ذلك الزمن الجميل الذي كانت فيه بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة والقيروان مدارس عليا للفلسفة · بل اصعد مراقي التاريخ الى ابعد من ذلك تجد الدلائل على اهتمام كل ذي فكر بالفلسفة · قال الامام علي (رضه) في رواية بعضهم « رحم الله امرءاً عرف نفسه واستعد

لومسه وعلم من اين وفي اين والى اين » فاذا صح سند هذا الحديث دل على واحد من امر ين خطيرين . فاما ان يكون الامام العظيم قد طالع كتباً للنساطرة في الفلسفة فاخذ منها هذه العبارة « من اين وفي اين والى اين » التي هي ترجمة حرفية لعبارة ارسطو الشهيرة « من انا . ومن اين جئت . والى اين اذهب » (١) واما انه ابتكرها ابتكاراً على سبيل توارد الخواطر . وفي الحالتين كفى ذلك دلالة على اهمية الفلسفة وكونها شملت عقول اعاظم البشر في كل الازمنة . واحرِ بالعقلاء ان يحفلوا بها و يرفعوا نفوسهم عن المطالب المادية التي قصاراها الاكل والشرب والنوم وجمع المال والتسليم الاعمى

مسيح الهند ومعجزاته

عود الى الاحلام

بقلم هندي مصدق لمسيح الهند ووصف معجزاته فيها

حضرة الفاضل منشيء مجلة الجامعة الغراء

ان بحث الجامعة في الاحلام الجأني ان اعرب اقسام الاحلام واسرارها واورد هنا بعضها تجربة فارجو ان تدرجوها في مجلتكم الجامعة الغراء

ان الاحلام على ثلاثة اقسام . نفسانية . وشيطانية . ورحمانية

الاحلام النفسانية ان تتمثل خيالات في نفس احد فيراها في النوم على اشكال مناسبة الخيالات وكما قال القائل في الفارسية ما ترجمته « عين العاشق لا ترى في النوم الا تراب سكك معشوقه . لان المرء كما يراه او يخيل له بيقظة يراه في النوم — »

الاحلام الشيطانية ان تجتمع جذبات شيطانية وشهوانية في نفس احد فتتمثل على مناسبتها فيراها في النوم

الاحلام الرحمانية ان ينبيء الله تعالى احداً بواقعات المستقبل المتعلقة بالبشارات والانذارات . فكان حلم يوسف عليه السلام من هذا القبيل بشارة له . كما قال الله تعالى حكاية عنه : واذ قال يوسف لابيه يا ابتِ اني رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر

---

(١) قول الامام ايضاً في تلك العبارة « رحم الله امرءاً عرف نفسه » لا تخفى اهميته اذ اساس الفلسفة عند الفلاسفة « معرفة النفس »

رايتهم لي ساجدين . فلما مكنه الله تعالى في مصر واجدب كنعان لجاء يعقوب عليه السلام مع احد عشر من اولاده الى مصر فرفع يوسف أبويه على العرش (اي قرب ابويه لسرير الملك) فخروا له سجدًا فقال يوسف لفرط السرور وجدانًا هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا

واني اكتب هنا عدة من كشوف والهامات تجربة ومشاهدة من احد اعظم المقربين خليفة الله في الاسلام الامام الهمام مجدد الزمان حضرة ميرزا غلام احمد القادياني مهدي الوقت ومسيح الدوران ولقد شهد على صحة وصدق الهاماته مئات الالف من الناس وقد كتب حضرته في كتبه قبل الوقوع لبعض الواقعات المتعلقة بازمنة مستقبلة فجربنا ورأينا باعيننا انها وقعت كما كتب من قبل . وان كشوفه والهاماته المتعلقة بالنبوءة وآياته الباهرات كثيرة لا تحصى ولا تعد — واني اورد هنا نبذة منها ملخصًا لقارئي الجامعة وهي هذه .

منها ما كتب في كتابه انجام اتهم — ان روح ابني الرابع تحرك في صلبي بعالم المكاشفة ونادى اخوانه ان بيني وبينكم ميعاد يوم قال ان المراد من يوم سنة واحدة وقال لمن ينكر الهاماته ومبشراته بخلاً وحسدًا انك تكون حيًا حتى يولد هذا الولد الموعود . فرأينا باعيننا ان الولد الموعود ولد بعد سنة واحدة من الاعلان وسمي الموعود بمبارك احمد وان المنكر حي حتى الآن

ومنها ما كتب في كتابه انوار الاسلام اني رايت في عالم المكاشفة انه سيلد لمولوي نور الدين الطبيب ولد ذكر ويخرج الدمامل والبثور على بدن ذلك الولد . ولقد راينا هذه الواقعة ايضًا باعيننا انها وقعت كما كان كتب من قبل .

ومنها ما كتب في عدة من كتبه اعلانًا لموت احد من كبار براهمة الهنود المسمى ليكهرام الفشاوري وقد كان اعلن الساعة وشخص وقت موته فرأينا انه وقع كما كان اعلن منذ سنين قبل وقوع الواقعة ومات ليكهرام وفقًا للوعيد

ومنها ما كتبه منذ خمس وعشرين سنة في كتابه براهين النبوءات المتعلقة بالطاعون وقد رأينا باعيننا انه حدث الطاعون في الهند وهلك به مئات الوف من الناس .

ومنها ما كتبه منذ ستة اشهر في كتابه (اعجاز احمدي) نبوءة بحق القرية التي كان يسبه اهلها وكانوا من اعدائه الاشداء فقال بحقهم (ارى ارض (مد) قد اريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تجذر . وان كلامي صادق قول خالقي . ومن عاش منكم برهة فينظر)

فسمعنا من الثقاة ان تعداد ساكني تلك القرية كان نحو مائتين من الرجال والنساء والاولاد فهلك مائة وثمانية منهم بالطاعون الى اول ربيع الاول سنة ١٣٢١ هـ وان الطاعون حتى الآن فيهم

ومنها ما كتب في كتابه (دافع البلاء ومعيار اهل الاصطفاء) منذ سنتين نبوءة من الله تعالى متعلقة بالطاعون وهلاك اكثر مخالفيه به ونجاة قريته ومؤمنيه منه · وقد رأينا ان قريته القاديان محفوظة من الطاعون حتى الآن وحولها في جميع القرى والمدن في بنجاب طاعون جارف فهذه آية من الله تعالى

والآن اني اكتب بعض الهاماته المتعلقة بالطاعون ملخصاً لقارئي الجامعة وهي هذه (ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم · انه اوى القرية لولا الاكرام لهلك المقام · اني انا الرحمن دافع الاذى · غضبت غضباً شديداً · الامراض تشاع والنفوس تضاع · ان الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فاولئك لهم الامن وهم مهتدون · اني اجهز الجيش فاصبحوا في دارهم جاثمين) · فلنا انا نؤمن بكلها انها من الله تعالى لانها وقعت كما قيل من قبل وقوع الواقعة منذ سنين ·

مولوي محمد فضل خان (الهند)

✻ الجامعة ✻ يظهر ان حضرة المراسل حوّل مسألة الاحلام الى دعوة على صفحات الجامعة لمسيح الهند الجديد الميرزا غلام احمد القادياني · وقد كنا ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة شيئاً عنه لكن لم يكن يومئذ يخطر لنا في بال ان له هذا المقام وهذه الاهمية في الهند حتى ان بعض الادباء المطلعين يصدقونه و يتبعونه · اما مسألة الاحلام والبحث في صدقها وعدمه في هذا العصر من قبيل الفكاهة فقط ولذلك كان حضرة المراسل في غنى عن ذكر اقسامها واسرارها

وبعد كتابة هذه السطور وردتنا رسالة اخرى من المراسل يعترض فيها على ما جاء في كلام ابن الاثير الذي نقلناه في الجزء الثالث من ارتفاع المسيح الى السماء · وهو يردّ على هذا القول و يقول ان المسيح هو اليوم في الهند ·· ور بما نشرنا هذه الرسالة في الجزء القادم

آثار الشرق القديمة

الباب العالي « في الاستانة »

كتب احد كتاب الفرنج فصلاً في تاريخ الباب العالي في الاستانة قال فيه ما يعرفه الجميع من انه سمي كذلك للاجلال والاكرام ثم ارتأى انه من المحتمل ان لا يكون المقصود بذلك ذات الباب بل معناه الشرقي . فان معنى « الباب » باللغات الشرقية « الرئاسة والقوة والسلطة » (١) وقد ورد شيء من ذلك في الانجيل حيث قيل « على هذه الصخرة ابني كنيستي « وابواب » الجحيم لا تقوى عليها » ولكن هذه الترجمة خطاء لان كلمة « ابواب » الاصلية معناها قوات ولولا ذلك لما كان لمعنى الآية ما له من القوة

عادة ايزيس المصرية في باريز

ايزيس الاهة مصرية مشهورة يتغزل بجمالها الادبي والبدني دارسو تاريخ مصر والباحثون في آثارها . ويظهر ان بعضاً منهم قد اشتد بهم الوجد فانشئوا في هذا الشهر في باريز هيكلاً ومذبحاً احتفلوا به بعبادة هذه الالاهة . وقد حضر هذا الاحتفال المزلي على ما نظن كثيرون من الرجال والنساء . وقد جعلوا مذبح الالاهة في الوسط وارتقى الكاهن الاعظم بملابسه الرسمية الرمزية الى المذبح ووراءه سيدات لابسات ملابس مصرية قديمة وفي ايديهن باقات من الازهار تتمايل بها ايديهن طبقاً لعادة كاهنات ايزيس في القديم . فهل تحركت عظام ايزيس في ارض تيبة لهذا الاكرام الباريزي

المعارف اللاتينية في مصر

تيت ليف مؤرخ لاتيني مشهور ولد في بادو في سنة ٥٩ قبل المسيح وتوفي في سنة ١٩ بعده . وله مؤلفات ضائعة يتحسر عليها طلاب المعارف . الا ان بعضاً من السياح وجدوا منذ مدة في اثناء سياحتهم في مصر اوراقاً لاتينية من كتاب له فابلغ المسيو ريناخ بجمع الآثار في باريز هذا الاكتشاف واهتموا به لدلالته على اشتغال المصريين في ذلك الزمان بالوقوف على المعارف اللاتينية

« ١ » تطلق كلمة (الباب) عند الشيعة على الامام علي بن ابي طالب « رضه » ماخوذاً من الحديث (انا مدينة العلم وعليّ بابها) ولما قام صاحب مذهب البابيين في بلاد فارس سُمي « الباب » ايضاً مقارنة بينه وبين الامام

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لنشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات ولكننا نرجو الاختصار اذ لا ننشر في كل موضوع من مواضيعه غير صفحة واحدة او اقل

ابن رشد والشدياق

كتب الينا صديق في البرازيل يخبرنا بانه سمع بان في مكتبة ريودي جانيرو العمومية كتاباً من تأليف احد زعماء النهضة الادبية في الشرق احمد فارس الشدياق وموضوعه فلسفة ابن رشد وشرح بعض كتبه . ثم كتب الينا في كتاب آخر يقول :

سافرت الى الريو وثاني يوم وصولي اخذت شخصاً ايطالياً دلني على مكتبة الحكومة وكان ذلك في الليل . فدخلنا وطلبتُ مؤلفات ابن رشد فجاءوني بكتاب رنان وكتاب آخر باللاتينية قديم جدًّا . فسألت المدير هل عنده سواهما . ففتش كثيرًا ولم يجد . ولما الححت عليه بقولي انه يوجد كتاب آخر قال لي ربما يكون ذلك الكتاب باقياً بين كتب الامبراطور في المكتبة التي ينقلونها ولذلك يتعذر عليه الحصول عليه الآن . وهذه المكتبة كبيرة جدًّا وهي تحوي الوفاً كثيرة من المجلدات وكانوا شرعوا بنقلها من البناء الذي كانت فيه قبلاً الى بناء آخر . وكتب الامبراطور مميزة عن باقي الكتب . وهذا الامبراطور هو بطرس الثاني خلع سنة ١٨٨٩ وكان على جانب عظيم من العلم وكان يعرف ١٤ لغة وقد زار الشام والشرق مرتين . وفي كل مرة كان يصحب معه كتباً من تأليف المرحوم فانديك ومن مطبوعات الاميركان واليسوعيين . والظاهر انه حصل على كتاب ابن رشد المشروح بقلم المرحوم احمد فارس الشدياق في احدى زيارتيه . ولما خلعه الاهالي لاقامة الجمهورية استولت الحكومة على مكتبته الخصوصية واضافتها الى مكتبة الحكومة . لكنها لا تزال تبقيها لوحدها ضمن بناء المكتبة العمومية

وانا لا ازال مصمماً على الحصول على هذا الكتاب مهما كلفني الامر لانسخه لكم . وربما في الشهر القادم انزل الى الريو وارى هل يتيسر لي ذلك هذه المرة . واذا يسر الله هذا الامر فسابعث اليكم بتلغراف هكذا (**Eureka**) اعني « وجدتهُ »

وفي هذه الليلة ساذهب ايضاً الى مكتبة سان باولو العمومية لارى هل اجد فيها شيئاً من كتب ابن رشد اذ ذلك محتمل ولكن تعليق احمد الشدياق افكاره على كتب ابن رشد ام الاشياء فعسى ان نجده

الحب وبسيكولوجيته

جناب صاحب مجلة الجامعة البهية

ارجو ان تذكروا هذا السؤال في مجلتكم الغراء على سبيل الفكاهة

قيل ان القلب دليل على القلب وقال بعضهم اصل الحب فقال ان في عيون العاشقين كهربائيه فبمجرد نظر الحبيب للمحبوب « قبل الحب طبعاً » تلتقي الكهربائيتان ومتى تقابلتا اتحدتا ومن ثم تتمكن بينهما عرى الحب والعكس بالعكس وقد سبق وقال شاعرنا العربي في هذا المعنى

سقتني بعينيها الهوى وسقيتها   فدب دبيب الراح في كل مفصل

والذي دعاني لتسطير هذا السؤال حادثتان قرأتهما في احدى الجرائد اليومية الاولى تؤيد هذا المذهب والثانية تنافيه

— ١ — تيم احد الاعراب فتاة تركية في السويس فسألت والديها ان يرضيا بالعربي بعلاً لها فابيا فلم تجد مخرجاً من هذا المازق الا بالانتحار فصبت قليلاً من البترول على ثيابها واضرمت بها النار ثم القت بنفسها من نافذة في منزلها فذهبت شهيدة هواها وعنادها

— ٢ — اكثر احد الالمانيين من التصبب الى ممثلة من ابناء جلدته بارعة الجمال ولكنها لم تكن تهواه وكانت تعرض عنه كلما تعرض لها واتفق في الاسبوع الماضي انها كانت عائدة الى منزلها بعد انتهاء التمثيل فوقف بها هذا الثقيل في الطريق وجعل يغازلها فما كان منها الا ان القت بنفسها الى النهر المخترق برلين لتتخلص من مضايقة هذا المحب الثقيل . ولما اسرع المشاهدون بقوارب الانقاذ لانتشالها اعرضت عنهم وسبحت الى الجهة الثانية تفادياً من الالتقاء بالمحب الذي اغمي عليه لما رأى تلك الحالة

قلت فما هو السبب في حب الانسان لانسان آخر مع معرفته ان هذا لا يحبه . وهل ان هذا يحصل بين الجنسين فقط ام يمكن حصوله في جنس واحد ايضاً

(مصر)   احمد البارودي

﴿ الجامعة ﴾ نترك الجواب عن هذا السؤال لمن شاء من القراء خصوصاً الشعراء لانهم ادرى الناس بهذه المواضيع ٠

اقتراحات الجزء الثالث

وردتنا بضعة اجوبة بشأن اقتراحات الجزء الثالث « السودان ونعمته الجديدة » فرأينا ان نشير اليها هنا

منها رسالة مسهبة لجناب سليمان افندي كرم في الشيخ فضل افتتحها بقوله « طالعتُ يامعان في الجزء الاخير من الجامعة مقالة « السودان ونعمته الجديدة » فباحثت في هذا الموضوع صديقاً لي سكن الخرطوم زمناً طويلاً وتجوّل في جميع انحاء السودان حتى فشوده لاتحقق هل ما رويته « السودان » مطابقاً للحقيقة ٠ ولقد وجدتُ بعد البحث الدقيق ان اكثر تلك الاقوال غلو ومبالغة »

ومنها رسالة لاحد قرائنا في السودان قال فيها « مثل روح الامة السودانية الآن مثل الشمع ينطبع فيها كل ما اريد طبعه ٠ وقد قيل ان ذكر الشيء وتكراره يفضي الى ايجاده فاذا كثر الكلام في لهجة كلهجة جريدة السودان ادى ذلك الى وجود هذا الداء حقيقة وان يكن الآن في بدئه ٠ وغني عن البيان ان هنالك امرين ينفّران السودانيين ٠ الاول اختلاف الاذواق والاخلاق والاجناس والثاني تسلطنا عليهم منذ الفتح الاول ٠ ولا سبيل للوفاق ما داموا يقولون السودان للسودانيين »

تعبير عربي لكلمتين افرنجيتين

﴿ سؤال ﴾ ما هي الترجمة الصحيحة لكلمة « Libres penseurs » و « Liberté de penser » التي تُرجمت « احرار الفكر » وحرية الفكر » ـ وما هو التعبير الصحيح لقولهم « بقاء الانسب ٠ او بقاء الاصلح »

﴿ الجامعة ﴾ ليس معنى « Libres penseurs » احرار الفكر لان كل انسان قد يكون حرّ الفكر ولا يكون « Libre penseur » بالمعنى الذي اصطلحوا عليه وهو ان لا يقبل شيئاً الا اذا اثبته العقل ٠ وقد ترجم ابن رشد هذه الكلمة ﴿ اهل التحقيق ﴾ ونقلها عنه رنان في كتابه ـــ وكذلك قال ابن رشد في كتابه تهافت الفلاسفة « ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه » وهو عين قولهم بقاء الانسب او الاصلح ٠ والاحسن القول « بقاء الافضل » وهنا موضع للعجب في اكتشاف ابن رشد هذا الناموس قبل دروين وولس بعدة قرون

باب الاخبار العلمية

﴿ انماء المزروعات بالكهربائية في الجزائر ومصر ﴾ عرض الكولونل مرشان مشروعاً لجمع الكهربائية من جوّ الجزائر والاستعانة بها على انماء مزروعاتها وهو امر كان برتلو قد قال به منذ عدة سنوات . ومما يجدر ذكره ان اشجار النخيل التي تغرس في الجزائر ومصر تكون احسن موصل بين التربة والكهربائية في الجو فتنقل اليها منها ما يزيد النترات في التربة فيتوفر الخصب . واذا كان جو الجزائر اصلح الاجواء كما قالوا للاستنبات بالكهربائية لانه جافّ وحامل لمقدار كبير منها فضلاً عن قوة نوره فان جو مصر مشابه له

﴿ انقلاب مالي عظيم ﴾ اخذ البرلمان الفرنساوي يبحث في اصلاح عظيم وهو الضريبة على الايراد رغبة في المساواة بين دافعي الرسوم والضرائب اذ يدفع كل واحد بقدر دخله . وان قيل كيف يُعرف دخله قلنا يُعرف من دفاتره اذا رام اطلاع الموظفين عليها والاَّ فانّ الموظفين يقدّرون ذلك بحسبما يتراءى لهم . وهم يحسبون اجرة البيت الذي يسكنه الانسان عشر دخله اي جزءا من عشرة منه ويقبضون منه على هذه النسبة نصفاً في المائة من ايراده . ولا خلاف في ان هذا الامر زهيد الآن ولكن اذا زيدت هذه الضريبة وجعلت ٢ او ٤ او ٦ في المائة فانها تكون بلاء على الاغنياء هناك خصوصاً لانها متفاوتة الدرجات

﴿ كهربائية الارض وكهربائية السماء ﴾ ثبت من درس كهربائية الجو وكهربائية الارض ان كهربائية الجو كهربائية ايجابية وكهربائية الارض كهربائية سلبية . وهذه الكهربائية تكون قوية بقرب الارض ولكنها تضعف ضعفاً شديداً في علو ٤ او ٥ الاف قدم عنها . وهي في اضعف حالاتها في الصيف وفي اشدها في الشتاء

﴿ اكتشاف غش الخمور ﴾ اكتشف المسيو ارمان كوتيه طريقة يعرف بها هل ان الكحول التي تكون موجودة في عصير العنب بعد اختماره هي من نفس العنب ام مضافة اليه من الخارج

﴿ بعثة جريدة الى القطب الجنوبي ﴾ تجمع الآن جريدة الماتين الفرنسوية من قرائها مالاً لارسال بعثة من قبلها لارتياد القطب الجنوبي وقد بلغ اكتتابها الى الآن نحو

٩٠ الف فرنك وتبرعت الحكومة بعشرة آلاف فرنك منها . وقد قدرت نفقات الحملة بمائة وخمسين الف فرنك .

﴿ لاون الثالث عشر والفيلسوف رنان ﴾ كان لوفاة البابا لاون الثالث عشر دوي عظيم في العالم لانه فوق منصبه الروحي الرفيع كان من اعظم رجال الارض عقلاً



﴿ المرحوم لاون الثالث عشر البابا المتوفى ﴾

بلابسه الحبرية وهو يبارك الناس

وتدبيراً ودهاء . ومما يروى عن تساهل قداسته انه لما توفي اميل زولا الكاتب المشهور المعادي للكنيسة نقل اليه هذا الخبر فقال « رحمه الله فقد كان حسماً كريماً » ونقلت جريدة « الجرنال » انه حين وفاة الفيلسوف رنان موءلف تاريخ المسيح سأل قداسته « هل مات بلا توبة . فاجيب نعم . فاطرق يفكر ثم قال : ذلك خير من ان يتوب . ولا يبقى له امل غير امل العاملين بحسن نية . ثم قال ان قيام رنان في الارض كان عقاباً لبعض اللاهوتيين ليهزم



﴿ يوس العاشر البابا الجديد ﴾

ويجزيهم على عملهم » وغني عن البيان ان هذا القول لا يفيد رضاه عن قيامه

اما خلفه قداسة البابا يوس العاشر فهو مشهور بالتقوى اكثر من السياسة . وربما عدنا في فرصة اخرى الى ترجمته ومبلغ تأثير منصبه في العالم واعمال سلفه « البابا المعظم » لشرح علائق الكرسي البابوي بامم الارض وما يقوم بينهما من المشاكل احيانًا كالحال الآن بين الفاتيكان والحكومة الفرنسوية

﴿ مدنية المانيا وانكلترا وفرنسا ﴾ قال [illegible] الايطالي ان الشعب الفرنسوي اكرم الشعوب [illegible] الحديثة مبادىء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

باب التقريظ والانتقاد

وقاية الشبان

لحضرة الدكتور سعيد افندي ابي جمرا

وردنا هذا الكتاب من حضرة مؤلفه الدكتور سعيد افندي ابي جمرا صاحب جريدة الافكار الغراء في البرازيل وعليه هذه الكلمات « اذا لم يكن بهذا الكتاب ما يستحق التقريظ فان به ما يستحق الانتقاد » ولعل الرصيف قد اراد بذلك ان يذكرنا باساءته الى الجامعة في جوابه على انتقادها كتابه « الحياة التناسلية » فنحن نعذره لاستيائه من ذلك الانتقاد كما ان الجامعة معذورة في كتابته . ذلك انها وجدت نفسها بين امرين : فاما ان تضرب صفحاً عن ذكر الكتاب واما ان تجهر برأيها فيه . ففضلت الامر الثاني على الاول لسببين اولاً لانها تكره تعويد نفسها ان تكتم رأيها خوفاً من غضب المؤلفين الذين تذكر كتبهم وثانياً لان كل الكتب خير لها ان تُذم من ان تُهمل . ولو امعن الرصيف قليلاً في كلام الجامعة لوجد انها لم تلم المؤلف على تأليفه كتابه بل لامته على قوله في المقدمة كلمة هي اساس الخلاف . واليك ما جاء في كلام الجامعة « وهو يتضمن ابحاثاً طبية من اختصاص الاطباء البحث فيها ولكن اذا كان من اختصاص الاطباء البحث في ابحاث كتلك الابحاث فليس من اختصاصهم في رأينا القول بان مواضيع ذلك الكتاب مما يجب على (محبي الحقائق) الاطلاع عليه في عصر استنار اهله بنور العلم الصحيح وما عاد الخجل السطحي والحشمة والحياء الكاذبان تلاقي محلاً في قلوب المطالعين » ـ فاعتراض الجامعة كان على هذا القول لا على موضوع الكتاب . ومتى انصف الرصيف ونظر في ذلك الكلام بحسن نية علم انه كان ظالماً في اساءته الظن برصيفته . والعقلاء لا يرضون الظلم لانفسهم

اما كتابه « وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان » الذي نحن الآن في صدده فهو على نسق كتابه « الحياة التناسلية » ولكن من حسن الحظ لم يذكر في مقدمته ان « محبي الحقائق يجب عليهم الاطلاع عليه في عصر استنار اهله بنور العلم الصحيح وما عاد الخجل السطحي والحشمة والحياء الكاذبان تلاقي محلاً في قلوب المطالعين » فبناء على ذلك لا يطالع هذه الكتب الا من يحتاجها . وهذه نقطة الخلاف من اصله .

وفي كل حال فاننا نحب ان نقابل اساءات الرصيف المتعددة بالمعذرة والصفح

﴿ تقدمة الشكر ﴾ هي خلاصة اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية عن سنة ١٩٠٢ ويؤخذ منها ان مجموع دخلها في ذلك العام بلغ اكثر من ٥٦ الف غرش ومجموع نفقاتها اكثر من ٤٤ الفاً فتكون الزيادة نيفاً و١٢ الفاً اضيفت الى راسمال الجمعية . فنثني على همة حضرة رئيسها الهمام المسيو وهبه كرم الذي لا يألو جهداً في رعايتها وتضحية اوقاته واتعابه في سبيل خدمتها وعلى حضرات اعضائها الافاضل جزاهم الله خيراً

﴿ الانتقام ﴾ هي الرواية العشرون من روايات مسامرات الشعب تعريب حضرة احمد افندي حافظ عوض المحرر بجريدة المؤيد الغراء . وان كل من يقراء مقالات حضرته في المؤيد ونخص منها مقالته الاخيرة في (القديم والحديث) يعجب بسلامة ذوقه وجراءته وطول باعه ويستغرب كيف يطاوعه قلمه بعد ذلك على الاشتغال بتعريب روايات قد تكون بلا اهمية . فنحن مع المعجبين باجتهاده نتمنى ان يصرف قلمه الى المواضيع الوطنية لتكون رواياته عبارة عن صورة لمقالاته بزيادة شيء من الجراءة عليها . وهذه خدمة من افضل الخدم للامة

﴿ شهداء الآباء ﴾ هي الرواية الثامنة عشرة من روايات مسامرات الشعب بقلم مصطفى افندي ابراهيم بمصلحة البوسطة بالاسكندرية . وكل من عرف حضرة الكاتب وعلم انه يسترق اوقات فراغه لانفاقها في الاشتغال بالادب لا يسعه الا ان يعجب بهذه الشبيبة المصرية الجديدة التي تنفق اوقاتها في كل ما يفيد .

﴿ منتخبات الشيخ نجيب الحداد ﴾ جمع حضرة الاديب حنا افندي نقاش منتخبات المأسوف عليه الشيخ نجيب الحداد فقيد النظم والنثر وقد طبعها طبعاً متقناً على ورق جميل فجاءت مجموعة كبيرة حاوية لكثير من المقالات والفصول التي انشأها الفقيد في اثناء حياته الصحافية . وهي تطلب منه في الاسكندرية او من المكتبة الخديوية وثمنها عشرون غرشاً صاغاً

﴿ الحسناء الوفية ﴾ هي رواية ادبية بقلم جناب احمد افندي رفعت افتتحها بوصف مدينة الاسكندرية بهذه الاسطر « الاسكندرية ثغر جميل المنظر حسن الموقع طيب المناخ تحيط به مياه البحر المتوسط من كل الجهات وبه من المباني الكبرى والقصور العظمى والاندية الجامعة والمتنزهات الواسعة والرياض النضيرة والمزارع الكبيرة والحمامات البحرية والضواحي الحلوية والاثار التاريخية ما يجعله يتيه به على سواه ويشغل كل من وفد عليه بهواه » ثم يدخل المؤلف في موضوع الرواية وينتقد فيها كثيراً من العادات السيئة فنتمنى ان يقتدى به في هذا الشأن المفيد

الدين والعلم والمال

(كتاب الجزء السابق وبعض الآراء فيه)

نشرنا في الجزء السابق كتاباً كاملاً عنوانه « الدين والعلم والمال » وقد سرّنا ان قراءنا ارتاحوا الى هذه الطريقة التي اتبعتها الجامعة وهي نشر كتاب مستقل مفرد في موضوع مهم في اكثر اجزاء المجلة . ذلك مع ابقاء ابوابها الاعتيادية كما هي بل بزيادة عليها كما يرى القراء في هذا الجزء . وهذا ما كتبه الينا احد القراء الاصدقاء بهذا الشأن قال « هذا ابتكار مفرد من حين انشاء الصحافة . ونحن نعلم ما يكلفكم من العناء . وقد سمعت اليوم بعض القراء يعجبون منه و يقولون ان كل جزء من الجامعة يسوى قيمة الاشتراك . وهم يعذرونها معها تاخر صدورها لان ما يُبذل فيها من العناية والتعب والروية جدير بان يستغرق وقتاً كهذا الوقت »

وبعد بيان ارتياح القراء ورضاهم لا بأس ان نذكر شيئاً عن آرائهم في الكتاب الذي نشرناه في الجزء السابق . وهنا اختلفت الاقوال . كتب الينا احد الافاضل « شرقنا في اشد الحاجات الى هذه المبادىء وهذه اللهجة الصريحة باخلاص صريح واستقلال صريح . فهذا هو نسيم الحرية الحقيقية الذي يهبّ على النفوس فيحييها ويبث فيها القوة الحقيقية . فزيدونا زيدونا منها جزاكم الله خيراً »

وكتب مراسل فاضل آخر يسأل عن المصادر التي استقينا منها ذلك الكتاب . لانه « استغرب » كلمة التأليف في صدره ونحن لسنا في اوروبا لنؤلف في هذه المباحث دون اعتماد على المؤلفات الاوروبية . فجوابنا على ذلك مختصر وجيز . فان كتاب « الدين والعلم والمال » نتيجة مطالعة ثلاث سنوات في اهمّ الجرائد والمجلات الفرنسوية . فقد اشتدت الازمة الاجتماعية في فرنسا في السنوات الاخيرة فكنا في اثنائها نقراء كل ما تكتبه فيها الطان والدبيا والماتين والفيغارو والاورور والفولوار ومجلة باريز ومجلة المجلات واحياناً مجلة العالمين . ولما شرعنا في الكتاب لم نراجع شيئاً سوى ما كان قد علق في الذهن من هذه المواضيع فادمجناه في الكتاب باسلوب رواية . فاذا حلل القارىء ذلك الكتاب تحليلاً وجد ان مبادئه كلها تختلج اليوم في اوروبا اختلاجاً شديداً . فكانه يقف فيه على اهمّ اخبار الامم الاوربية ونتيجة تمدنها واحوالها الاجتماعية والسياسية

وكتب مراسل آخر يسأل أليس الافضل ترك هذه المسائل الخطيرة وعدم تحريكها في فضاء الشرق لئلا يلتهب بها. فجوابنا عن هذا السوءال الذي كنا ننتظره اننا لا نريد ان نعرف حدّاً لحرية الفكر والنشر. والجامعة انما تكتب عن لذة في الكتابة ولا جزاء لها الآن غير هذه اللذة. فيوم يقال لها قيدي قلمك قليلاً فانها تفضل تركه على تقييده اذ لا يبقى في حياة الكاتب من اللذة ما يساوي العناء. فابقوا لنا هذه اللذة على الاقل. ولعمر الحق اننا لا نفهم كيف ان الكاتب يجوز له ان يشتغل بالصحو والمطر. والنبات والحيوان. والصين وفيليبين. وتاريخ الامم الغابرة. ويترك اهم شيء يجب عليه الاهتمام به لانه الصق الاشياء به وهو النظر في اعماق اساس الهيئة الاجتماعية لمحاربة الفساد الذي فيها وتقوية الصلاح وتربية الاذواق الادبية وتكوين الضمائر الحية التي بدونها لا يكون الانسان انساناً. فان هذا افضل ما تحتاج اليه اليوم بلادنا الشرقية والاهتمام به مقدم على كل اهتمام

وقد نظم حضرة الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي في «الدين والعلم والمال» الابيات الآتية

هي الافلاك لاشم القباب	ولا كالفلك تجري في العباب
تدور بما تدور ونحن منها	مكان الظل من فوق التراب
ولو ان الورى كانوا عليها	لبانت كالسفينة في الضباب
يد الانسان آثمة ولو في	ذرى الافلاك من فوق السحاب
ولو خلت الملائك عاشرته	لقلت ارى الحمامة كالغراب
ضعيف وهو اقوى من عليها	قوي وهو اضعف من ذباب
وليس الناس اجساماً تراءى	ولكن كل نصل في قراب
تفاوتت النفوس فرب نفس	على فلك ونفس في ثياب
فلا عجب اذا الانسان امسى	لدى الانسان كالشيء العجاب
يعد الناس ضعف الناس ذنباً	لذا خلق القوي من العقاب
فذو المال استبد بكل نفس	وذو العلم استخف وذو الكتاب
لدن ركبوا سفين الدهر ظنوا	بني الدنيا متاعاً للركاب
وليس «المال» غير العين اما	غدت سود الحوادث كالنقاب
فلا يفخر بصير عند اعمى	فما غير المصاب سوى المصاب
سلوا من ظن امر المال سهلاً	اكان السهل الا بالصعاب
لعمرك انما الذهب المفدى	نفوس لم تعد بعد الذهاب

هم اكتسبوا لغيرهم فاسمى عليهم الا كتساب بالاكتئاب
وصيغ شبابهم ذهباً اليست على الدينار زخرفة الشباب
يخبون السعادة وهي منهم مثال الماء في بحر السراب
وانّ خزانة الآمال ملأى لمن تلقاه مهزول الجراب
ومن يغترّ بالاقوى يجده كنصل السيف يغمد في الرقاب
متى نادى الدجاج بثعلبان فقل حُييت من داع مجاب
يظن الاغنياء الفقر ضعفاً وكم من حية تحت الخراب
ولا يخشون من جاعوا لديهم وليس اضرّ من جوع الذئاب
الم تكن السفينة من حديد فما للماء يخرقها بناب
اذا شمخت على الامواج انفاً فما بعد العلوّ سوى انقلاب
اما «العلم» سلطان على من يرى ان الفضائل في الغلاب
وما ذو العلم بين الناس الا كمن كبح البهيمة لاحتلاب
يظل بها يمارسها شقياً وحالبها يمتع بالوطاب
وكم بين الطروب وذي شجون اذا ابصرت كلاً في اضطراب
ارى العلماء اذ يشقون فينا نعيماً كامناً تحت العذاب
كقطعة سكر في كاس بن تذوب ليغتدي حلو الشراب
ومن اخذ العلوم بغير خلق فقد وجد الجمال بغير سابي
وما معنى الخضاب وانت تدري بان الشيب من تحت الخضاب
اذا الاخلاق بعد العلم ساءت فكل الجهل في «فصل» و «باب»
ولولا العلم لم تسكن نفوس على غيّ الحياة الى الصواب
ولولا «الدين» كانت كل نفس كمثل الوحش تسكن للوثاب
رأيت الدين والارواح فينا كصحب الغريب أُخا اغتراب
فلا روح بلا دين ومن ذا رأى راحاً تُصب بلا حباب
ليجحد من يشاء فرب قشر يكون وراءه عجب اللباب
الى الله المآب فكيف يعمى اخو الاسفار عن طرق المآب
وما ظماءى وفي جنبيّ نهر تدفق بين قلبي والحجاب

ثمن النسخة الواحدة فرنكان واجرة البوسطة غرش صاغ

الوحش الوحش الوحش

او

سياحة في ارز لبنان

بقالب رواية علمية اجتماعية ادبية

﴿تأليف﴾

فرح انطون

منشىء مجلة (الجامعة)



﴿منظر شجرة الارز﴾

اكبر اشجار الارز مصغرة مئات مرات

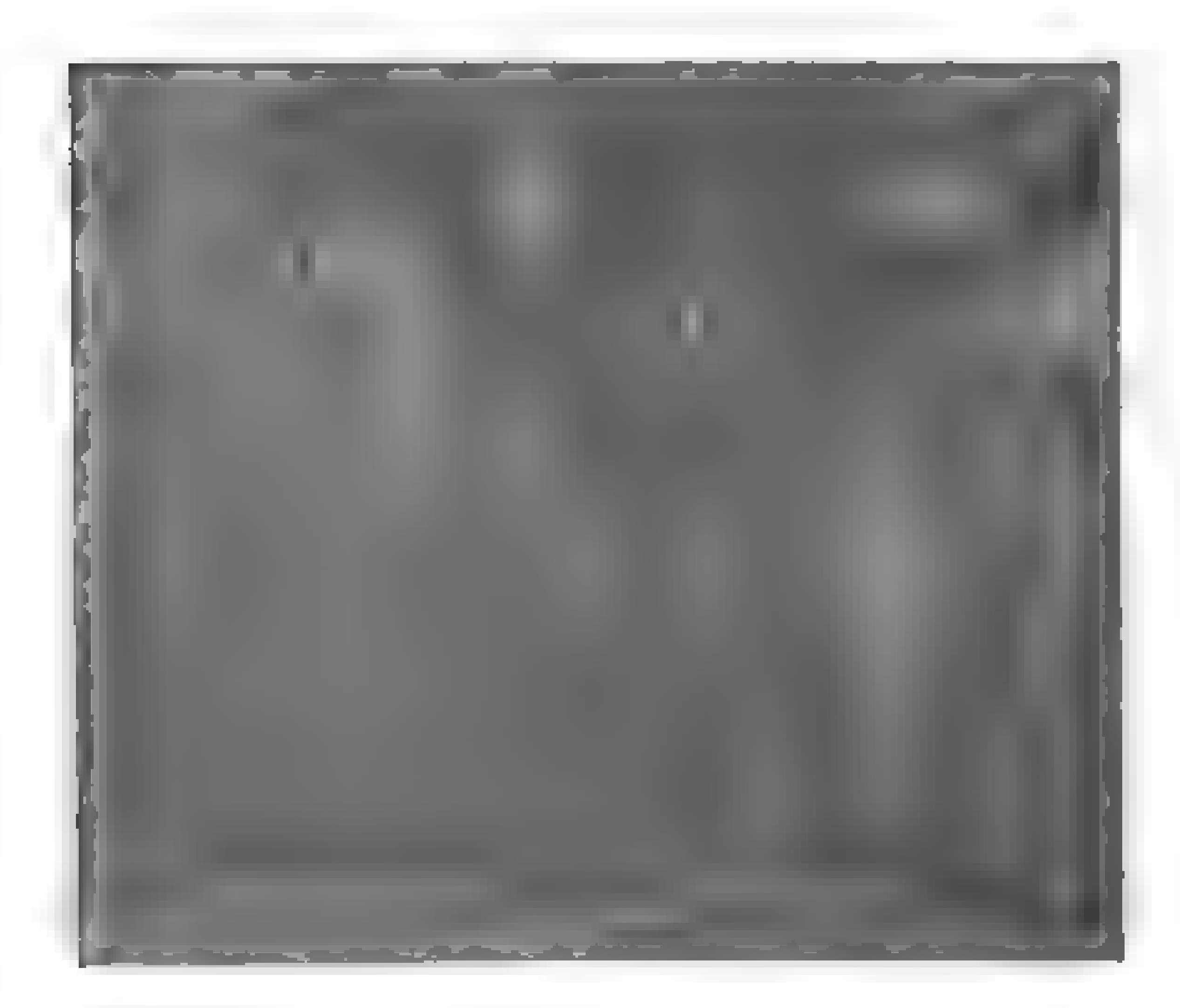
الاسكندرية في ١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٣



ارز لبنان

﴿ منظر الارز من بعيد وفوقه الجبال وامامه السياح يقصدونه ﴾

حرش الارز ظاهر في الوسط



(هذان الرسمان منقولان عن صورتين فوتوغرافيتين مصورتين في العام الماضي)



﴿ الوحش الوحش الوحش ﴾

الفصل الأوّل

﴿ على طريق الجبل ﴾

طرق الارز · سفر سليم وكليم · الشاعر لامرتين والمجد جد اللبناني · نادرة عن المكارين والسوقة فيح وقلحات وما يلوم بينها من الخصام · عن المصري وغش القروي · بعض اغاني لبنانية · نجمة الصباح رفيقة المكارين المحبوبة

أشهر الطرق من البحر الى (ارز لبنان) طريقان · واحدة عن طريق اهدن فبشري · او الحدث فحصرون فبشري — وهي من امام الارز · وواحدة عن طريق بعلبك من وراء الجبال الشامخة المحيطة بهذا الحرش · والطريق الاولى طريق الثغور من طرابلس حتى البترون · والطريق الثانية طريق السياح الذين يصعدون من بيروت الى بعلبك لمشاهدة آثارها ثم يعطفون منها الى الارز لمشاهدة آثاره الجليلة الطبيعية بعد مشاهدة آثار بعلبك الصناعية ·

ففي ليلة ٨ اغسطس من السنة التي نكتب تاريخ حوادثها هنا قرع مكار في آخر الليل باب غرفة عالية كائنة في غربي قرية قلحات فوق طرابلس الشام وهو ينادي ياخواجه كليم ياخواجه كليم · فدوى صوته في القرية في صفاء ذلك الليل دويًّا هرت له الكلاب التي كانت راقدة في الشارع قرب تلك الغرفة فساعد هريرها على تنبيه النائمين فيها · ولذلك لم يلبث ان فُتح الباب واطل منه الخواجه كليم وهو يفرك عينيه ويقول : هل ظهر نجم الصباح ياجرجس · فاجابه المكاري اظنه سيظهر بعد نصف ساعة على الكثير والارجح ان الشمس تشرق لنا عند سطرام · فقال كليم فلنعجل اذًا فاننا نروم الوصول الى الجبل قبل اضطرام وطيسها فرارًا من الحر

وحينئذ التفت كليم ليبه رفيقًا له كان نائمًا معه في الغرفة فوجده واقفًا وراءه · فقال

له هلمّ تركب يا سليم فان مطيتينا حاضرتان ولنلبس ملابسنا اولاً

وبعد ثلث ساعة كان كليم وسليم على جوادين قويين سائرين في صماء الليل تحت اشعة النجوم الضئيلة ولا انيس لهما غير المكاري يسير وراءهما وهو تارة يحدو فرسيه بكلام مشجع وتارة يزجرها لانها صدما حجراً في طريقهما . ولم يكن يُسمع في ذلك الهدوء ما عدا وقع حوافر الجوادين وصوت المكاري سوى اصوات الحشرات الصغيرة التي تنتشر في لبنان على اشجار الزيتون والتوت وتنشد في الليل والنهار اناشيد متواصلة

ويظهر ان جفون كليم وسليم كانت لا تزال مثقلة بالنعاس لانهما كانا يتثاءبان من حين الى حين . فرغبة في طرد النعاس ابتدأ كليم قائلاً : اسمع ياصاح اصوات هذه الحشرات الصغيرة التي تهكم عليها لافونتين تهكماً شديداً (١) حقاً انه ظلمها بهذا التهكم ترى ما عساها كانت تجيبه لو درت بتهكمه

فتثاءب سليم وقال : لا ريب انها كانت تجيبه جواباً جميلاً . فانها تقول له « ليس بالخبز وحده تحيي الكائنات الحية بل الحياة الحقيقية هي الحياة الروحية . وحياة الروح عند هذه الحشرات نشيدها المستمر الدال على انها في حالة الانبساط والراحة . ولو خُيرت في ايهما احب اليها . فِقدانها هذه الحياة الروحية التي هي فطرتها وطبيعتها ام فقدانها الخبز اليومي الذي هو حياتها البدنية فانها لا شك تختار فقدان هذه الحياة على تلك . وما الذنب في ذلك ذنبها لانها هكذا صُنعت وهكذا فُطرت . ومع ذلك فان لافونتين لم يقدر على قهرها بتهكمه في ذلك المثل الا لانه قاس معيشتها على معيشة البشر و بذلك جاءت حجته قوية . ولكنه لو امعن النظر لرأى ان هذا الحيوان الصغير لا يحتاج الى القوت بعد مرور ايام الحصاد حتى في اشد اوقات الشتاء . فان قطرة من قطرات المطر كافية لشربه . و ورقة واحدة من اوراق الشجر كافية لايوائه وتدفئته . واقلّ حشرة صغيرة او دودة حقيرة كافية لتغذيته . ولو عقل هذا الحيوان لاجاب ذلك الشاعر : عندنا في الطبيعة ليس من حيوان ولا نبات يحتاج الى قوت ويبيت بلا غذاء . فان فظائع كهذه الفظائع لا تحدث الا بين البشر في الاجتماع . نعم نحن

(١) La cigale et la fourmie « الجُدجد والنملة » قصة الجدجد والنملة مشهورة وخلاصتها ان تلك الحشرة التي تصرف اوقاتها في الغناء جاءت في الشتاء الى النملة وطلبت منها ان تقرضها شيئاً من القوت حتى يمضي فصل الشتاء فاجابتها النملة ولكن ماذا كنت تصنعين في الصيف في ايام الحصاد ولماذا لم تدخرين شيئاً لهذا اليوم العصيب . واجابتها الحشرة . في ايام الحصاد كنت اغني . فضحكت النملة واجابت : كنت تغنين يومئذ اذاً فارقصي الآن . — وقد اراد لافونتين بهذا المثل البديع اظهار وجوب التدبير والادخار لاوقات الضيق

مأكل بعضنا بعضاً احياناً ولكننا نفعل ذلك حين الحاجة فقط قياماً بسد عوزنا . اما انتم فمع كونكم ذوي عقول تعقل ونفوس تدرك فانكم تأكلون بعضكم بعضاً بحاجة ومن غير حاجة . وكثيراً ما يكون ذلك ارضاء لكبريائكم فقط لا لضرورة : ولذلك قال احد حكمائكم (١) ياوحوش البرّ وافاعي الغابات خذيني اليكِ آكل من طعامك واشرب من مائك لا تخلص من صحبة الانسان

فقهقه كليم هنا وقال نعم هذا خير ما يعتذر به عن طياشة ذلك الطوير المطرب

وكأن المكاري ضجر من هذه اللغة التي لم يكن يفهم منها شيئاً فتحول ضجره الى غضب على جواده فصاح به باعلى صوته « ديه سوق . . » وهمَّ باتمام عبارته . فصاح به كليم اياك ان تكلها ياجرجس . فقال جرجس وما هذا يا معلمي . فقال كليم انت فهمت كلامي بلا تفسير

فسأل سليم كليماً وما معنى كلامك . فاجاب كليم باللغة الانكليزية . هي نادرة مضحكة تحدث بين بعض هؤلاء المكارين والعائلات المدنية التي تصيّف في قرام . فانهم يسمون هذه العائلات « سوقه » وحينما يرومون التهكم عليهم في الطريق يقول احدهم لرفيقه « سوق يا اخي سوق يلعن ها لسوقه » يظهر انه غير راضٍ عن سير الدواب والحقيقة ان مراده « سب » « السوقة » في وجوههم دون ان يدروا بذلك

فضحك سليم وقال : يظهر ان صاحبنا غير راضٍ عنا حتى رام اهانتنا . والذنب في ذلك ذنبنا لاننا لم نهتمَّ بملاطفته لنستميله الينا . ثم التفت سليم الى جرجس ليفاتحه بالحديث فقال

ــ لماذا سرتَ بنا يا جرجس على هذه الطريق من الوادي . خذنا من فوق عن طريق « فيع »

فقال جرجس لا يا معلمي لا نستطيع الآن المرور عن طريق فيع لحدوث خصام شديد بين قريتنا واهالي تلك القرية منذ يومين

فقال سليم نعم سمعنا بهذا الخصام ويقال ان قد جُرح رجلان واسقطت امرأة في اثنائه فما سببه

فقال جرجس . سببه يا معلمي خصام بين اولاد فيع واولاد قلحات . فقد كان خمسة اولاد من اولاد فيع يلعبون بازاء حقول العنب الكائنة بين القريتين ويأكلون من العنب بلا حق فاسرع اليهم ثلاثة من اولادنا لردعهم عن الاعتداء على رزقنا ففرَّ اولاد فيع ووقفوا بعيداً فصار اولادنا يتغنون بغناء قديم عندهم وهو

---

(١) لابرويير

يا رايح الى فيع دبدب لا تضيع
يابين قلحات احسن من شيخ فيع

وكان بين اولاد فيع ابن شيخ فيع نفسه فاغتاظ لاهانة ابيه فركض الى شجرة توت قريبة فتسلقها وقصف منها غصناً ثم اندفع نحو اولادنا بينما كان رفاقه يغنون بغنائهم

يا رايح الى قلحات تمتلي منها .. اط
يابين فيع احسن من شيخ قلحات

ولما وصل ابن شيخ فيع الى اولادنا امسكوه (وزلوافيه) ضرباً فاسرع رفاقه الى نجدته فدار الضرب بين الفريقين فجرح منهما بضعة اولاد . فركض حينئذ احد اولادنا ووقف فوق القرية وصاح ان اهل فيع قتلوا اولادنا . فهب كثيرون من الرجال الى محل الحادثة . وكذلك ركض احد اولاد فيع وابلغ اهلها مثل ذلك الخبر فاسرع بعض رجالها ايضاً . ولما التقى الفريقان في محل الحادثة دار الضرب بين الكبار بعد ان كان بين الصغار ولو لم يحضر «الآغا» مع نفرين لاشتبك القتال بين اهل القريتين جميعاً — ولذلك لا نقدر ان نمرّ الآن بجانب فيع لئلا يتحرشوا بنا كما انهم هم ايضاً لا يقدرون للمرور بجانب قريتنا

وكان الحوادان قد صعدا في ذلك الحين من وادي قلحاط وجانبا قرية فيع . ذلك ان قرية قلحات كائنة على اكمة مخمصة بين واديين من اشجار السنديان واحد من جهة الشرق وواحد من جهة الغرب . وهي على مسافة ربع ساعة من دير البلمند المشهور المشرف من جبله العالي على مدينة طرابلس الشام . وهواء هذه القرية جاف نقي لانها واقعة بين حرشين من السنديان كما تقدم

وقطع سليم وكابم الطريق حتى فوق فيع دون ان يطلع نجم الصباح الذي وُعدا بطلوعه قريباً . فقال كابم لجرجس : لم تطلع نجمة الصبح بعدُ ياجرجس . فاجاب جرجس ستطلع قريباً . فضحك كابم وقال لرفيقه : يظهر ان صاحبنا «عملها معنا» فقال سليم واي شيء عمل . فقال كابم : للمكارين عادة وهي انك اذا طلبت من احدهم السفر في الغد قبل طلوع نجم الصبح بنصف ساعة يجيئك قبل طلوعها بساعتين ويقول لك انها ستطلع بعد ربع ساعة . وهكذا تركب معه في ظلمة الليل وتقطع الطريق كلها وتصل الى مكان قصدك قبل ان تطلع نجمة الصباح . وبذلك يكفي نفسه ودابته عذاب الحرّ في اثناء الطريق . فالظاهر انه صنع معنا ما يصنعه غيره مع غيرنا . وربما وصلنا الى المحل قبل ان تطلع الشمس مع ان بيننا وبينه نحو خمس ساعات .

فتثاءب سليم وقال اف لاجل هذا اشعر بنعاس شديد واكاد انام على ظهر الجواد

ولما راى صاحبنا جرجس ان الحديث لا يطول بينه وبين رفيقيه بل هما يتحادثان معاً لوحدهما راى ان يلهي نفسه بنفسه . وكان الجوّ صافياً كانه مرآة الغربة والنجوم تسطع فيه كمصابيح بعيدة معلقة في قبة الفلك فلا تكاد تنير طريق الجوادين في سيرهما . ولكن الجوادين كانا قد اعتادا السير في ظلام الليل ولذلك كانا يبصران الطريق المخططة كانهما في نهار . وهذا ما جعل الفارسين يعجبان له . وكان الهواء يهب في خلال نور النجوم الضئيل بارداً ضعيفاً فيشرح الصدر وينعش الفؤاد . وتلك الطبيعة القروية الساذجة كانت ساكنة هادئة كانها تستريح تحت جنح الليل من عناء النهار . فاثار هذا المنظر الجميل في نفس جرجس عاطفة الجمال الكامنة فيها فاندفع ينشد الاناشيد التي يعرفها . فهل درى حينئذ ذلك القروي الجاهل الساذج انه بعمله دلّ على ان نفسه كانت في تلك البرهة ارق من نفسي رفيقيه الحضريين . ان نفسه لدى مناظر الليل البهية ثارت على غير علم منها واندفعت تترجم بالغناء والنشيد عما كان يختلج فيها حينئذ من عاطفة الجمال بسبب تلك المناظر . واما نفسا رفيقيه الحضريين فقد كانتا مشغولتين بالتثاؤب والنعاس عن الجمال الذي كان يحيط بهما . فلا ريب ان ذلك كان من افضل الادلة على ان النفس الاولى ربيت في احضان الطبيعة قليلة الحاجات قوية على كل متاعب الحياة . والنفسان الاخريان ربيتا ضعيفتين بين جدران المدن لا تستطيعان مقاومة سلطان ضعيف كسلطان النعاس الذي هو — لمن نام ساعتين او ثلاثاً — اخف الحاجات الطبيعية

ولما اخذ جرجس في الانشاد اصغى اليه كليم وسليم . وقال كليم اسمع اغاني الجبل . وكان جرجس ينشد

حنيّانا يا حنيانا يا حنيانا يا قمر سلّم على غيابنا

فضحك كليم وقال « من سوء الحظ ان القمر غائب ايضاً » فضحك سليم لهذه الحاشية . اما جرجس فانه كان مستمراً في الانشاد

يا ظريف الطول وقّف تقولك رايح عالغربه وبلادك احسن لك
خايف يا محبوب تروح وتملّك بتعاشر الغير وتنساني انا

فهنا التفت سليم الى جرجس وصاح به : ما هذا ما هذا الغناء اعده . فاعاده جرجس فتنهد سليم وقال لله درّ قائل هذين البيتين فكأنه خرق بنظره حجاب الغيب وتنبأ عما يكون من المهاجرة الى اميركا — « خايف يا محبوب تروح وتملّك » نعم قد راح المحبوب

وتملكوا هناك « بتعاشر الغير وتنساني انا » نعم قد عاشروا الاميركيين وامتزجوا بهم وكثيرون منهم نسوا بلادهم وتجنسوا بغير جنسيتهم . فيا ايها الشاعر العامي الذي كُشف له الغطاء عن المستقبل قبل وقوعه انك شاعر عظيم وان كنت لا تعرف القراءة والكتابة

وفي خلال تبادل هذه الافكار بين سليم وكليم كان جرجس يجدُّ في الانشاد في هدوء ذلك الليل فيدوي صوته دوياً

يا ظريف الطول يا سنّ الضحوك — يا مَرَبى الدلال بحضن امك وابوك
جاني خبر يا حبيبي خطبوك — تخطب يا عيني وتتزوج بالمنا

بيجانا عليجانا عليجانا — يا حبائب لا تغيبوا جيت انا

واقفة بالباب والباب صغيّار — تنظرلي بعينها وصرت انا محيّار
ويالي مفارق حبيبو كيف حالو صار — ما حد فارق حبيبو غيري انا

وكأنَّ جرجس سئم هذا القدّ بعد دورين فدخل باعلى صوته في القدّ الآتي الذي يحلو لحنه على الخصوص في هدوء الليل

هلولوليا هلولوليا عيني ياموليّا — يا نائمين انهضوا جتكم حراميّا

وتقولي صابوني وتقولي صابوني — مروا عليَّ العدى وبالعين صابوني
ولو قطعوني شقف كالواح صابوني — ما بحيد عن عشرتك يا نور عينيَّ

هلولوليا هلولوليا عيني يا لابنيّة — يا نار قلبي اشعلي واشوي لحم نيّـا

ومن هون لارض الدير ومن هون لارض الدير — السرّ اللي بيننا ايش وصّلو للغير
وان كان ما فيه ورق لاكتب على جناح الطير — وان كان ما فيه حبر بدموع عينيَّ

وتحوشي بالكره وتحوشي بالكره — يا خدود بنت لكم يازهرة الحمرا
وان عيروني وقالوا محبوبتك سمرا — سمره تشيل الحمل قنطار وشوّيا

هلولوليا هلولوليا عيني يا لابنية — يا نار قلبي اشعلي واشوي لحم نيا

والبنت تقول لامها يا امي ظلمتيني — اول عريس طلب ليش ما عطيتيني
وثاني عريس اللي طلب دينو على ديني — وثالث عريس اللي اجا يانور عينيَّ

ثم انتقل الى القدّ الآتي

يــا دوم عيني يا دوم | تعذبني وتقول اليوم

يا طير ياللي طاير | يا للي اسمك عبد الله
بوسه مايحصل منك(١) | ياللي ما تخاف من الله

يا طير فاينك طاير | قاعد براس الزعروره
جيب من حبي علامه | الله يخلي هـا الصورة

ولما سمع الفارسان صوت مكاريهما اخذا في الحديث . فقال كليم انني اشعر بان جوادي صار بعد الغناء انشط مما كان قبله فهل تظن ذلك لانه طرب لصوت صاحبه . فقال سليم دع المزاح جانباً فانني انا نفسي صرت اشعر بشيء من النشاط وذهب عني النعاس تقريباً بعد سماعي هذا الغناء . ولا شك ان ذلك من تأثير الشعر علي فقال كليم وهل اعجبك هذا الغناء . فقال سليم ان الامر الذي ادهشني في هذا الغناء رقته وتجرّده من الاقوال الباردة التي تخدش الادب وظاهر ان هذا الغناء غناء عامي وهو من ملاهي الطبقات الضعيفة . فاقتصاره على وصف العواطف الحبية بكلام رقيق ادبي خالٍ من الالفاظ القبيحة والتلميحات القطيعـة دليل مدهش على ارتقاء الاداب هنا بين العامة وصلاح نفوسها . لانك تعلم ان الاناشيد العامية قد تكون افضل دليل على اخلاق الامم . وحقاً ان من يسيح في اقطار العالم ويشاهد قبائح بعض طبقات العامة فيه ثم يعود الى بلاد كهذه البلاد ويسمع اناشيد كهذه الاناشيد يفضّل آداب هؤلاء السذج على آداب كثير من عامة الغربيين المتمدنين

وكان الجوادان قد قطعا عند هذا الكلام قرية فيع وانحدرا في سهل بطرام . فالتفت كليم الى المكاري وصاح : يا جرجس لم تطلع نجمة الصبح بعد . فاجاب جرجس وهو يحك رأسه باظافره : ستطلع قريباً يا معلمي . ثم لطم كفل الجواد بيده صارخاً ديه . ديه . فقال سليم ان سوقك الجواد يركضه هو اما نجمة الصبح فتبقى في مكانها دون ان تركض فركّضها هي اذا قدرت . فتنهد جرجس هذه المرة . ولا شك انه قال حينئذ في نفسه شيئاً لا يحلو للرفيقين .

وبعد سكوت خمس دقائق التفت كليم الى سليم وسأله على اي شيء عزمنا الآن في سفرنا هذا . هل نذهب الى اهدن لمشاهدة اصحابنا فيها ام لا . فقال سليم الامر اليك

(١) هنا على ما نظن اقصى حد في الخلاعة يصل اليه هذا الغناء العامي هناك

فقال كليم بما انا ذاهبون الآن الى الارز عن طريق الحدث وهي الطريق الغربية فاننا نعود منه عن الطريق الشرقية طريق اهدن . فسأل سليم اذًا لا نعود الى الحدث بعد مبارحتها ؟ فقال كليم كلا فان طريق اهدن مقابلة لطريق الحدث . فقال سليم اذًا يجب ان نقيم عشرة ايام في الحدث بدل الخمسة التي اتفقنا عليها وذلك اكرامًا لصاحبنا فيها . فقال كليم سنرى ذلك بعد وصولنا . فقال سليم وكم يومًا عزمنا على الاقامة في الارز . فاجاب كليم بقدر ما تطيب لنا الاقامة . فقال سليم هل وزنت نفسك قبل السفر من طرابلس . فقال كليم نعم فكانت زنتي ٦١ اقه . وانت . فقال سليم انا وزنتُ نفسي قبل سفري من بيروت فكانت زنتي ٥٩ اقه : فقال كليم هازًا رأسه . كاننا وزننا وزن طيور لرقة اجسامنا . فقال سليم ضاحكًا لا تعيرِ الرقيق ولا تستضعفه فالرعود والصواعق لا تنشأ الا عن رقيق السحاب . فقال كليم لا ريب عندي انك بعد نزولك من الارز تتغير رأيك فتمدح السمان لا الرقاق لان كل واحد منا سيزيد على الاقل ٥ اقات .

وبعد نصف ساعة انقضى في سكوت تام لان كل واحد من الرفقاء الثلاثة كان يناجي نفسه واذا بجرجس يصيح ملء صوته : الحمد لله . فقال كليم ماذا فقال جرجس طلعت النجمة فالتفت كليم وسليم الى جهة الشرق وكانت امامها فابصرا « الزهرة » في طرف المشرق من وراء الجبال تتهادى بجمالها الفتان ونورها الباهر تتيه به على جميع النجوم الزواهر التي كانت تزين حينئذ قبة الفلك الدائر . فصاح كليم وسليم لدى هذا المنظر الفخيم : تبارك الخالق . تبارك الخالق . اما جرجس فانه رفع يديه نحو رفيقته في اسفاره وقال « هلّيك ومستهليك جملك علينا يومًا مباركًا » فنسي لفرحه ان هذا الكلام يُقال للهلال حين ظهوره في اول الشهر لا لنجم الصباح . ولكن ما الذي يمنع جرجس ان يقول لرفيقته المحبوبة ما يُقال للهلال عادة هل هو افضل منها . كلا . لانها تهدي في آخر الليل كما يهدي الهلال في أوّله . واذا كان لاحدهما مزية على الآخر فالمزية (للنجمة) الجميلة . ذلك لان صحبة الهلال تنتهي بالاستياء منه لافوله ويبقى المسافر حزينًا بعده لما يجده من الوحشة اما صحبة (الزهرة) فتنتهي بالسرور لانها رسول الصباح ومقدمة النور . وكل الذين عانوا مشاق السفر في الظلام في ليالي البرد والمطر والريح واخطار الطريق يعرفون قدر (الزهرة) متى طلعت تبشر بدنو الشمس التي تنعش وتدفىء والنهار الذي يبعد الاخطار . فهي عندهم رسول الامل وابتسامة الطمأنينة وعهد من الخالق على نفسه ان لا يجعل ظلام الليل ظلامًا ابديًا . فهي اذًا عندهم حاجة وضرورة لا مسرّة يُلهى بها وتُفرّج النفس بمشاهدتها . ولذلك كانت حياتهم

ومعيشتهم · مرتبطة بحياتها · وهذا هو السبب في انه بينما كان سليم وكليم يخاطبانها بقولهم (يا الاهة الجمال التي عبدها الاقدمون · يا عروس كواكب السماء · يامفيدة ابن رشد(١) ـ كان المكاري جرجس ينظر الى دليلته السماوية نظر المرؤوس الى رئيس له تربطه به مصالح ومنافع متبادلة لا لمجرد الاستحسان فقط · ولو مثلت الزهرة حينئذ فتاة كما كان يمثلها المتقدمون لشوهدت تبتسم للمكاري جرجس وتهتم به اشد من اهتمامها برفيقيه الحضريين الظريفين

الفصل الثاني

﴿ كلام عن الدير امام دير ﴾

عند كسبا · مدخل الجبل الحقيقي · صورتان للدير واحدة عليه وواحدة معه · النذور الثلاثة التي من اجلها اضطهد الفرنسويون رهبانهم · تغيير وظيفة الدير بعض الشيء تبعاً للعصر الجديد وجعلها للتعمير والتمدين

وبعد برهة اخذت ذرات الفجر تنتشر في الفضاء وصارت نجوم السماء تبهت خجلاً من سلطانة النهار القادمة على هودجها الناري بيهائها العادي · وقد طلعت الشمس لاصحابنا الثلاثة عند قرية كسبا حين دخولهم بين الجبلين في الطريق المؤدية الى اعالي لبنان (١) وان من لم تطلع عليه الشمس في ذلك المكان بعد السير اربع ساعات في ظلمة الليل لا يدرك اللذة التي شعر بها سليم وكليم حين استقبالها تلك الطريق الصاعدة · فقد كان عن يمينها جبل عال يمران بجانبه وعن يسارهما جبل آخر عال بعيد عنهما · وعلى قمة هذا الجبل الشمالي بناء حوله اشجار باسقة ولكنها تظهر صغيرة لبعد المسافة والبناء بينها كانه عش طائر بني هناك في مأمن من الزوابع والعواصف · وفي الحقيقة انه كان عشاً بني للامن من العواصف ولكنه عش انساني بناه البشر الذين يحبون الانفراد عن معارك الاجتماع وعواصفه وهو الدير

---

(١) وجدوا في تلاخيص الفيلسوف ابن رشد في حياته هذه العبارة « ظهر ان الزهرة احد الالهة » فكان هذا القول من جملة الاسباب التي اتخذها حساده لسبه والنقمة عليه راجع ابن رشد وفلسفته الصفحة ١٧

* ١ * صارت المركبات اليوم تسير على طريق اعدت حتى بشري ولذلك انصرف اليها المسافرون عن هذه

المعروف بدير «حنطوره» — وعلى موازاة الطريق الى اليسار تحت الدير يسمع الراكب هديراً شديداً ناشئاً عن مرور نهر ابي علي في واديه المقدَّس منحدراً الى طرابلس . وكلما صعد الراكب بين ذينك الجبلين على الحافات النهر بين نسمات الصباح التي تداعب وجهه باردةً اكثر من هواء السهل يشعر ان جبل لبنان الحقيقي انما يبتدئ من ههنا . وحينئذ يخطر في باله ان سكان هذا القسم من الجبل كانوا في كل الازمنة والعصور قذى في عيون الفاتحين . فان جبالهم كانت تحميهم اكثر من كل الحصون والمدافع . ولذلك كانت تلك الارض عبارة عن حَرَم الحرية المقدس . نعم ان هذا الحَرَم قد فتح مراراً ولُطّخ مراراً ولكن الغلبة كانت دائماً للمدافعين عنه . ذلك ان الطبيعة نفسها كانت تحارب معهم بين صفوفهم . وربَّ مائة رجل من اهله فقط لقوا بين تلك الآكام والوهاد عشرة آلاف جندي بمدافعهم دون ان يتركوا لهم سبيلاً اليهم — فثارت عواطف سليم وكليم وتصوراتهما لدى هذه الافكار وهذه المناظر الجميلة فاحسا انهما صاعدان الى عالم آخر غير هذا العالم . ويظهر ان نفسهما قد خفَّت حينئذ ونشطت عما كانت فيه اوّلاً فنزلا عن جواديهما ليتلذذا بالسير على اقدامهما فوق تلك الارض الجديدة . وكان سرورهما بالمشي في تلك الساعة على تلك الارض المؤدية الى الاماكن التي تقطع السحاب ويعممها الضباب دائماً يعادل سرور الاولاد حين انصرافهم من المدرسة الى نزهة خصوصية

وبعد ربع ساعة كثرت العقبات في الطريق فعاد كليم وسليم الى جواديهما فنبههما جرجس ان ينحرفا على ظهر الجواد قليلاً الى امام في عقبة الصعود وينحرفا قليلاً الى وراء في عقبة النزول — فضحك سليم وقال هذا درس في « طريقة الركوب في العقبات » ثم اخذ الرفيقان يتحادثان لقطع الوقت بعد ان وجدا في المشي شيئاً من الراحة . ولا عجب فكما ان السكوت بعد الحركة فيه راحة كذلك الحركة بعد السكون .

فقال سليم : ما رأيك ايها الصديق في الاقامة طول العمر في هذا الدير الجميل الذي شاهدناه . هل تعرف مكاناً اجمل من هذا المكان للراحة والسعادة

فقال كليم سؤالك هذا يذكرني سؤالاً آخر . يقول كتاب العرب ان الحوار بين « الرسل » سألوا المسيح « من افضل منا . اذا شئنا اطعمتنا وسقيتنا » فاجاب « افضل منكم من يأكل من كسب يده » فالافضل والاجمل من الاقامة في هذا الدير الدخول في العالم والاكل من كسب اليد لان خبز الاحسان خبز دنيء كما قال روسو

فثار هنا جرجس وقال : ارجوك يا معلمي ان لا تجدف على الدير والرهبان . فاننا في

طريق . واخاف على افراسي لا على نفسي . وبالامس كان جارنا ابو يعقوب سائرًا قرب البلمند قادماً من المدينة (يعني طرابلس) وكان الراكب على حمارته واحدًا من (السوقه) لا يحب الرهبان وكان يتهكم عليهم . فبركت الحمارة في الارض قرب الدير ولم تنهض حتى نذر ابو يعقوب للدير نصف الاجرة التي ياخذها من الراكب

فصاح كليم بصاحبه اسمعت قول الرجل ؟ هذه هي المبادىء التي يعلمها للشعب الرهبان الذين نسلمهم ارزاقنا ونتفق على تسمينهم كالعجول

فقال سليم : هذه مسالة اخرى غير تلك فاننا لا نبحث الآن في هل هم قائمون بوظيفتهم التي وُجدوا لها ولكني اسألك هل تحب المعيشة في الدير اذا كان الدير قائماً بحسب النظام الذي وُضع له للغرض الحقيقي الذي يجب ان يوضع له . فاجبني انك تفضل على هذه المعيشة معيشة الانسان الذي يأكل من كسب يده

فقال كليم نعم هذا هو رأيي . لاني اكره الكسل والبطالة ولا استطيع ان اتصوَّر اناساً كالبعوض والبق والعلق والبراغيث يعلقون على جسم الميتة ليمتصوا دماءها وهم قاعدون بلا عمل بحجة انهم يخلصون انفسهم ويصلون لغيرهم

فسكت سليم برهة يفتكر . ثم قال : كل من يسمع هذا الكلام يوافقك عليه لاول وهلة . ولكن لدى التأمل يظهر انك ظلمت المعيشة الديرية بهذا الوصف الذي لا ينطبق عليها الا اذا كانت بلا عمل ارضي ينفع كما قلتَ . قلتُ «ارضي» لان «السماوي» ليس من بحثنا الآن . وعندي ان معيشة الدير لها صورتان كل واحدة منها جميلة بحد ذاتها . ويطيب لي الآن في هذه الارض ارض الاديرة والرهبان ان ارسم معك هاتين الصورتين . واذا كان في الهواء الذي يحيط بنا اذان خفية تسمع ورامت ايقاف صوتنا فنحن باسم اله الحرية الساكن في هذه الجبال نقوى عليها . ذلك لانها لا تستطيع انكار اله الحرية اذ طالما استنجدت به في هذه الجبال . وبما ان الحرية واحدة لا تتجزاء ولا تنقسم — سواء كانت في الفعل او في القول — فمن الحق والعدل ان تخضع لهذا الاله بعد ان اخضعت له غيرها

« فالصورة الاولى للمعيشة الديرية هي ما ذكرتَ . بشرٌ ضعفاء من طبقات لا تقدر على كسب رزقها ينسدُّ في وجهها باب الرزق في العالم وترهب معارك الحياة وتنازع البقاء فتطلب مكاناً تلتجيء اليه وتعيش فيه بامان . وهي للحصول على هذه المعيشة تنازل عن اشرف واثمن ما لدى الانسان اريد حريته الشخصية . فتصبح آلة في يد الرئيس لا ارادة لها ولا قوة . ذلك انها تنذر اول كل شيء الطاعة العمياء . ثم الفقر . ثم ترك الزواج .

وبهذه النذور الثلاثة المشهورة تحرم الهيئة الاجتماعية قوات ضرورية . فبنذر الطاعة تضع ضميرها بين يدي الرئيس وما ادراك ما هو التنازل عن الضمير . فان ذلك ينفي شخصية الانسان ويحقّر الانسانية فيه ويجعل تحت سلطة ذلك الرئيس جيشاً كثيفاً مطيعاً يؤثر اشد تاثير على الهيئة المدنية لفائدة الهيئة الدينية . وبنذر الفقر يحرم الانسان نفسه وغيره ثمار تعبه من خيرات الارض التي حُلل له التنعم بها . فيعيش ذليلاً وضيفاً . وبنذر العفاف يجني على امته لان الامم يهمها تكثير النسل وهي لا تأْلو جهداً في الحث عليه بالطرق الحاملة . — فالنذور الثلاثة اذاً تعارض المدنية الحاضرة وتعاكسها . لا سيما وان هذه المدنية جلبت معها مبادىء جديدة مناقضة لمبادىء الهيئة الدينية كل المناقضة في كثير من شؤونها الاساسية

« والصورة الثانية للعيشة الديرية ان ينقطع بعض البشر عن البشر لنفع روحي ومادي . اما النفع الروحي فلا يدركه حق الادراك الا كل من رمته عواصف الدهر بين معارك الحياة اليومية وراْى ما في هذه المعارك من الهمجية والخشونة والفظاعة . فهناك واأسفاه يكون البشر حيوانات وحشية لا بشراً . هناك الظفر والغلبة لا يكون بالاستقامة والفضل وشرف المبادىء والاخلاق . فان هذه الفضائل التي هي جميلة في المجتمعات الرسمية والنوادي الادبية تكون سبباً لضعف صاحبها في وسط تلك المعارك لا لقوّته . وانما يكون الظفر والغلبة للاكثر وقاحة والاكثر ظلماً والاكثر اعتداء والاكثر خداعاً . ولذلك قال رنان : ان الانسان لا يكون دائماً قوياً في الحياة الا متى كان يُظهر دائماً انه كان مغشوشاً في ما صنعه من الخطاء مع انه كان غاشاً . فماذا تصنع النفوس الحساسة اللطيفة التي جبلها الله لا تحب الغش والظلم والاعتداء حين وجودها في هذا الوسط المائل . هل تسلّم سلاحها خافضة جنح الفضيلة امام وقاحة الرذيلة وتقع في ميدان العراك في جملة الاسرى او القتلى ؟ ام تخلع عنها ثوب الفضائل السماوي الذي البستها اياه اليد الجميلة الابدية لترتدي بدله بثوب الظلم والاعتداء والغش والنهب والسلب وتصنع ما يصنعه غيرها ؟ وهل يجوز ان تبخل عليها الارض والسماء حينئذ بزاوية صغيرة في احدى زوايا الارض لتعيش فيها بامن وسلام دون ان تُضطر الى ذلك الانحدار وهذه الجناية

« ان هذه الزاوية هي الدير . فالدير وُجد لسد فراغ في نفوس فريق من البشر في الارض . وهو موجود قبل الديانة المسيحية بقرون عديدة لان انفراد بوذه وانصاره في جبال الهند نوع من المعيشة الديرية . وستبقى هذه الحاجة لازمة في الامم ما دام فيها ناموس

ثناً لموجهاد في تحصيل الرزق والطمع يحكي جهاد الفاتحين . وقد احترم صاحب الشريعة الاسلامية هذه الحاجة لانه اوصى بالصوامع والرهبان خيرًا . وكذلك الخلفاء الراشدون . فضلاً عن ان التكايا التي انشأت بعد ذلك في انحاء العالم الاسلامي انما هي نوع من المعيشة الديرية ايضاً . وهذا يدل على ان هذه المعيشة الاشتراكية للزهد والانقطاع الى الله كانت حاجة من حاجات النفوس في كل الازمان

«اما النفع المادي فهو اعتبار الدير عبارة عن قوة ممدنة تستعمر الجهات التي يكون الدير قائماً فيها . والدبور انما تقام عادةً في القفار والجبال والقرى البعيدة . اي في الاماكن المحتاجة اشد احتياج الى تعمير واحياء . فتامل مقدار الخير الذي يستطيع ذلك الدير صنعه في تلك الجهات اذا جعل نفسه عبارة عن شركة عظيمة يجتمع حولها اهل القرى ليتلقوا منها طريقة زراعة الارض ويتعلموا صناعات جديدة ويعتمدوا عليها في جميع شؤونهم العملية اعتماداً متبادل النفع بين الفريقين . فان الدير يصير في هذه الحالة عبارة عن مركز اعمال القرويين ومستشارهم في جميع اشغالهم . وكيف لا يحلو للمتامل ان ينظر ذلك الراهب الذي كان يصلي الى الله منذ مدة يأخذ معوله وفاسه ويقصد حقول القرية حيث يقابله اهلها كرسول العلم والثروة والمدنية بينهم ويسترشدون بارشاداته التي اكتسبها بالدرس والمطالعة والتي لا تصل الى هؤلاء القرويين بدونه . لا ريب ان هذا الأمر يساوي عندي على الاقل خروجه من الدير وبيده الانجيل لعيادة مريض في القرية او تسلية حزين . ولست اعرف شيئاً في العالم يعادل نفعه نفع هذه الدبور في التمدين والتعمير اذا سلكت باخلاص ونزاهة هذا السبيل

«هذا فيما يختص بالاشتراك الخارجي بين اهل الدير واهل القرى في تعمير الاراضي ونشر الخير والثروة حولهم . بقي هناك اشتراك آخر داخلي . وهو تعاون الافراد المجتمعين في ذلك الدير على جعل معيشتهم فيه عبارة عن مثال لارقى حكومة في الارض . فان اهل الدير قد ارتفع عنهم عند دخولهم اليه همّ تحصيل الرزق والطمع والجهاد في سبيله . وذلك مما يسكن النفس ويبقي قواها . ثم اضف الى ذلك الانفراد عن معارك الحياة تجد ان النفس تصفو في ذلك الانفراد عن كدوراتها اليومية وتتملص من كل اهوائها الفاسدة التي كانت تضغط عليها وتعذبها في حالة الاجتماع . وهكذا يصبح اهل الدير عبارة عن بشر فوق البشر لانهم خرجوا عن دائرة البشر . ويصير البشر في الاجتماع ينظرون اليهم نظرهم الى معلمين مرشدين موضوعين فوقهم . فكأنّ الانسانية في هؤلاء المنفردين قد تكررت وتصفّت وصارت انسانية جديدة

وبهذه النذور الثلاثة المشهورة تحرم الهيئة الاجتماعية قوات ضرورية . فبنذر الطاعة تضع ضميرها بين يدي الرئيس وما ادراك ما هو التنازل عن الضمير . فان ذلك ينفي شخصية الانسان ويحقّر الانسانية فيه ويجمل تحت سلطة ذلك الرئيس جيشاً كثيفاً مطيعاً يؤثر اشد تاثير على الهيئة المدنية لفائدة الهيئة الدينية . وبنذر الفقر يحرم الانسان نفسه وغيره ثمار تعبه من خيرات الارض التي حُلل له التمتع بها . فيعيش ذليلاً وضعيفاً . وبنذر العفاف يجني على امته لان الام يهمها تكثير النسل وهي لا تأْلو جهداً في الحث عليه بالطرق الحالة . — فالنذور الثلاثة اذاً تعارض المدنية الحاضرة وتعاكسها . لا سيما وان هذه المدنية جلبت معها مبادىء جديدة مناقضة لمبادىء الهيئة الدينية كل المناقضة في كثير من شؤونها الاساسية

« والصورة الثانية للمعيشة الديرية ان ينقطع بعض البشر عن البشر لنفع روحي ومادي . اما النفع الروحي فلا يدركه حق الادراك الا كل من رمته عواصف الدهر بين معارك الحياة اليومية ورأى ماقي هذه المعارك من الهمجية والخشونة والفظاعة . فهناك وااسفاه يكون البشر حيوانات وحشية لا بشراً . هناك الظفر والغلبة لا يكون بالاستقامة والفضل وشرف المبادىء والاخلاق . فان هذه الفضائل التي هي جميلة في المجتمعات الرسمية والنوادي الادبية تكون سبباً لضعف صاحبها في وسط تلك المعارك لا لقوته . وانما يكون الظفر والغلبة للاكثر وقاحة والاكثر ظلماً والاكثر اعتداء والاكثر خداعاً . ولذلك قال رنان : ان الانسان لا يكون دائماً قوياً في الحياة الا متى كان يُظهر دائماً انه كان مغشوشاً في ماصنعه من الخطاء مع انه كان غاشاً . فماذا تصنع النفوس الحساسة اللطيفة التي جبلها الله لا تحب الغش والظلم والاعتداء حين وجودها في هذا الوسط الهائل . هل تسلّم سلاحها خافضة جنح الفضيلة امام وقاحة الرذيلة وتقع في ميدان العراك في جملة الاسرى او القتلى ؟ ام تخلع عنها ثوب الفضائل السماوي الذي البستها اياه اليد الجميلة الابدية لترتدي بدله بثوب الظلم والاعتداء والغش والنهب والسلب وتصنع ما يصنعه غيرها ؟ وهل يجوز ان تبخل عليها الارض والسماء حينئذ بزاوية صغيرة في احدى زوايا الارض لتعيش فيها بامن وسلام دون ان تُضطر الى ذلك الانحدار وهذه الجناية

« ان هذه الزاوية هي الدير . فالدير وُجد لسد فراغ في نفوس فريق من البشر في الارض . وهو موجود قبل الديانة المسيحية بقرون عديدة لان انفراد بوذه وانصاره في جبال الهند نوع من المعيشة الديرية . وستبقى هذه الحاجة لازمة في الامم ما دام فيها نفوس

ثناً لم وجهاد في تحصيل الرزق والطمع يحكي جهاد الفاتحين . وقد احترم صاحب الشريعة الاسلامية هذه الحاجة لانه اوصى بالصوامع والرهبان خيراً . وكذلك الخلفاء الراشدون . فضلاً عن ان التكايا التي انشأت بعد ذلك في انحاء العالم الاسلامي انما هي نوع من المعيشة الديرية ايضاً . وهذا يدل على ان هذه المعيشة الاشتراكية الزهد والانقطاع الى الله كانت حاجة من حاجات النفوس في كل الازمان

واما النفع المادي فهو اعتبار الدير عبارة عن قوة ممدنة تستعمر الجهات التي يكون الدير قائماً فيها . والدبور انما تقام عادةً في القفار والجبال والقرى البعيدة . اي في الاماكن المحتاجة اشد احتياج الى تعمير واحياء . فتامل مقدار الخير الذي يستطيع ذلك الدير صنعه في تلك الجهات اذا جعل نفسه عبارة عن شركة عظيمة يجتمع حولها اهل القرى ليتلقوا منها طريقة زراعة الارض ويتعلموا صناعات جديدة و يعتمدوا عليها في جميع شؤونهم العملية اعتماداً متبادل النفع بين الفريقين . فان الدير يصير في هذه الحالة عبارة عن مركز اعمال القرويين ومستشارهم في جميع اشغالهم . وكيف لا يحلو للمتامل ان ينظر ذلك الراهب الذي كان يصلي الى الله منذ مدة يأخذ معوله وفاسه ويقصد حقول القرية حيث يقابله اهلها كرسول العلم والثروة والمدنية بينهم و يسترشدون بارشاداته التي اكتسبها بالدرس والمطالعة والتي لا تصل الى هؤلاء القرويين بدونه . لا ريب ان هذا الامر يساوي عندي على الاقل خروجه من الدير وبيده الانجيل لعيادة مريض في القرية او تسلية حزين . ولست اعرف شيئاً في العالم يعادل نفعه نفع هذه الدبور في التمدين والتعمير اذا سلكت باخلاص ونزاهة هذا السبيل

هذا فيما يختص بالاشتراك الخارجي بين اهل الدير واهل القرى في تعمير الاراضي ونشر الخير والثروة حولهم . بقي هناك اشتراك آخر داخلي . وهو تعاون الافراد المجتمعين في ذلك الدير على جعل معيشتهم فيه عبارة عن مثال لارقى حكومة في الارض . فان اهل الدير قد ارتفع عنهم عند دخولهم اليه هم تحصيل الرزق والطمع والجهاد في سبيله . وذلك مما يسكن النفس ويتقي قواها . ثم اضف الى ذلك الانفراد عن معارك الحياة تجد ان النفس تصفو في ذلك الانفراد عن كدوراتها اليومية وتتخلص من كل اهوائها الفاسدة التي كانت تضغط عليها وتغضبها في حالة الاجتماع . وهكذا يصبح اهل الدير عبارة عن بشر فوق البشر لانهم خرجوا عن دائرة البشر . و يصير البشر في الاجتماع ينظرون اليهم نظرهم الى معلمين مرشدين موضوعين فوقهم . فكأن الانسانية في هؤلاء المنفردين قد تكررت وتصفت وصارت انسانية جديدة

لام" لما في الارض غير صنع الخير ومساعدة الضعفاء . وهذه الحالة تسوقهم بالطبع الى الاشتغال بالعلم والأدب وهنا مسألة المسائل الجديرة بكل اهتمام . هنا مفتاح ترقية العلوم والفنون والصناعات المختلفة . اذ ماذا يصنع الرهبان في كل اوقاتهم الطويلة . وباي شيء يقطعونها . هل من شيء يُقطع به الوقت (ما عدا صنع الخير) انفس من الاشتغال بالعلم والادب . وبذلك يكمّل الرهبان المنفردون في اديرتهم الجميلة نقصاً ظاهراً اليوم في هيئتنا الاجتماعية . انظر الى الحركة العلمية والادبية عندنا تجد انها مطلوبة للمال لا لذاتها . وبما ان طالبي العلم والأدب يهتمون بالمال اكثر من اهتمامهم بالعلم فالعلم بقي بيننا قاصراً . ذلك لان العلم لا يتقدم ولا يترقى الا اذا امكن للمشتغلين به الانقطاع اليه انقطاعاً لا دخل لشهوة المال فيه . وهذا امر بعيد الحصول عندنا ما دام اصحاب الثروة لا يشتغلون بالعلم . فالرهبان اذاً عليهم سد هذا الفراغ لانهم قادرون على الانقطاع اليه اتم الانقطاع اذ كل حاجاتهم مضمونة عندهم . وفي وسع كل واحد منهم ان ينقطع الى علم او فن في عشرين سنة او اربعين فيرقيه اتم ترقية عندنا دون ان يحتاج شيئاً . وحينئذ تصبح الديور مصدراً لنهضة علمية جليلة ويصير كل واحد منها عبارة عن اكاذيمية كبيرة كل عضو من اعضائها عالم في فن وفي علم . ومجموع الاعضاء يتألف منه مجموع المعارف البشرية . والاختراعات والاكتشافات تتتابع من هذه الاكاذيميات الجديدة لنشر الخيرات في الامة وتحسين شؤونها . فتكون هذه الديور مثالاً « للعلم » كما كانت مثالاً (للصلاح) في ما تقدم . وهي ما عدا ذلك تكون ايضاً مثالاً (للنظام) المطلق . فان معيشتها اشتراكية محضة . الكل اخوة متساوون قولاً وفعلاً . وليس احد فيهم يقول هذا لي لان كل شيء يكون بينهم مشتركاً . ولكنهم مع تساويهم هذا خاضعون لسلطة عليا خضوعاً تاماً بلا مراجعة ولا تردد لعلمهم انها لا تأمرهم الا بالخير وما فيه خير . ولذلك ترى اكبرهم واصغرهم يعفران رأسيهما بابتهاج وسرور تحت قدمي هذا النظام الذي انقذهما واعطاهما هذا الوسط الهادىء النقي — وهكذا بينما تكون الدنيا قائمة قاعدة بالاضطرابات والفتن والثورات بين كل الطبقات . بينما ترى روح الاستفراد العصري الذي ضرب به رينان بسوطه ضربات شديدة (١) يبذر بذور الشقاق في العالم حتى بين الأب وابنه والمرأة وزوجها لرغبة كل انسان في ان يعيش حراً على هواه — ترى الهدوء والنظام والخير عامة شاملة في الدير وما حوله من القرى . كانه صار قطعة من الجنان »

وهنا سكت سليم واخذ يمسح العرق عن جبينه لانه قد تحمس في اثناء وصفه . فصاح

« ١ » الجامعة السنة ٤ الجزء ٣ الصفحة ٨٧ السطر ٣

جرجس مسروراً : عافاك عافاك يا معلمي هكذا يجب الكلام عن آبائنا الرهبان . اما كليم فانه قهقه شديداً وقال لرفيقه : كفى تحلم كفى تحلم . فهم في واد وانت في واد . ومن كلامك يظهر انك لا تعرف ما هو الغرض من الدير فسكين انت ايها الجاهل . معنى الدير عندهم اليوم ان يقيم فيه الرهبان يكررون صلوات مألوفة ويجمعون من الناس بحجة هذه الصلوات ما امكنهم جمعه من المال سواء كان نقوداً او اوقافاً ذات دخل عظيم . والسذج يبذلون بسخاء في هذا السبيل ابتغاء للثواب على ما يقولون . وهكذا بدل ان تكون هذه الديور ناشرة الثروة والخير في ما حولها من القرى صارت مصاً للثروة لنفسها . وقد قلت ان اهل العلم عندنا مضطرون الى الافتكار بالمال قبل العلم والا تعذر عليهم الاشتغال به . فانا اخبرك ان اهل الدين ـ الذين وظيفتهم نذر الفقر كما ذكرت ـ صاروا ايضاً يفتكرون بالمال قبل الدين

فقال سليم : لا لست احلم بل انا انظر الى الدير كما يجب ان يكون وانت تنظر اليه كما جعلوه اليوم . وهذا اوضح دليل على ان كل شيء انما يصلح ويفسد تبعاً للطرق التي يُستعمل بها والاشخاص الذين يتولون استعمالها . وهذه مسألة المسائل في كل الشؤون حتى سياسة الامم . ولست اخلتك تزعم ان الديور كانت في القديم (واعني القرون الاولى لا القرون المتوسطة) على حالتها الحاضرة اليوم . فانها لو كانت كذلك لما قام لديانتها قائمة . وانما كانت الديور يومئذ عبارة عن انقطاع حقيقي الى الله للخلاص من حياة الاجتماع التي تجر الانسان احياناً الى ما لا يهواه . ولا عتب في ذلك على اولئك المتقدمين لانهم كانوا يومئذ في الطور الذي يُسمى « طور الايمان الحار » ولذلك يجب ان لا نلومهم لانقطاعهم عن الناس بقولنا انهم فعلوا ذلك مدفوعين بعامل الاثرة وحب الذات فان الرغبة في معيشة الانفراد الاشتراكية كائنة في طبيعة البشر خصوصاً الضعفاء منهم . ولكننا اذا كنا لا نلومهم اليوم فاننا لا نحث الديور في هذا الزمن على ان تنسج على منوالهم بل نطلب ادخال تغيير على حالة الاديرة طبقاً للوصف الذي ذكرته آنفاً . فان الهيئة الاجتماعية قد تغيرت . والنفوس الدينية صارت كما يظهر من قولك لا تكتفي (بالايمان الحار) . فبناء عليه بطلت وظيفة الدير الاولى التي هي البعد عن البشر والانقطاع الى الله انقطاعاً حقيقياً وصار من الواجب ان يحل محل هذه الوظيفة وظيفة مساعدة الناس مادياً وادبياً كما وصفت ذلك آنفاً . والا فلا معنى لوجود الدير في هذا العصر . وانا على يقين ان هذا التغيير امر سهل وكثيرون من رجال الدين يرضون به لانه يحيي البلاد والعباد بثروات الاديرة والاوقاف الدينية . انما يشترط فيه وجود

رؤساء كرام يفهمونه ويتبذون الاطماع جانباً . فلماذا لا يقوم اكابر الطوائف وافاضلها لمراقبة اوقاف الاديرة والاملاك الدينية مراقبة شديدة بواسطة مجالس دائمة خصوصية تُنشأ لهذا الغرض لانفاق دخلها الطائل في وجوه نافعة لمجموع الامة؟

الفصل الثالث

﷽عين السنديانة﷽

مجنون ليلى

وبقي سليم وكليم يتحادثان في هذا الموضوع حتى وصلا الى عين السنديانه وهي محطة يستريح فيها المسافرون في طريقهم الى اعالي الجبل . والمكان مؤلف من منزل اتخذه مستأجره حانوتاً يبيع فيه مواد الغذاء للمسافرين . وامامه دكة عالية قليلاً يجلس المسافرون عليها وبجانبها عين ينبع منها ماء بارد يشرب به المسافرون بظماء ولذة بعد تعب الطريق وحرها

فنزل كليم وسليم للراحة وتناول الطعام . وبعد حين طلبا بيضاً مقلواً وجبناً وعنباً وجلسا يأكلان . واذا برجل قد دنا من احد الفرسين ومدَّ يده الى الخرج الذي كان عليه واخرج منه جريدة انكليزية . فقال كليم لرفيقه . ما شاء الله ان صاحبنا يفعل بخرجنا ما يشاء « بدون تكليف » ثم نهض ودنا من الرجل وسأله . ماذا تريد . فعبس الرجل وقال . لا اريد شيئاً ولكنني احب ان اقرأ

ثم انه ادار ظهره لكليم وجلس على طرف الدكة ونشر الجريدة الانكليزية وصار يقرأ فيها .

فاستغرب كليم وسليم امر هذا الرجل . وكانت هيئته وثيابه مما يزيد الاستغراب . فانه كان في نحو الاربعين من عمره ذا لحية كثة وخطها الشيب وشعر وافر في رأسه يتدلى من تحت طربوشه القذر . وكان طويل القامة عريض المضل يلبس ثياباً قديمة قذرة ويمشي بحذاء ممزق . الا ان سحنته كانت تدلُّ على الهدوء واللطف والسكينة

وبعد ان قرأ هذا الرجل بضعة اسطر في الجريدة رفع رأسه وضحك ضحكاً شديداً ثم قال : كلهن سواء . ثم التفت الى كليم وقال . اليس حقيقياً ما اقول . فقال كليم عن اي شيء تتكلم . فضحك الرجل ضحكاً اشد من ضحكته الاولى وقال وهو يهزّ رأسه طرباً

جننا بليلى وهي جنّت بغيرنا واخرى بنا مجنونة لا نريدها

ثم وقع على الارض واغمي عليه ·

فذعر حينئذ كليم وسليم · اما صاحب المحل فانه ركض مسرعاً وهو يضحك فنضح وجه ذلك الرجل المسكين وصدره بالماء · ثم التفت الى سليم وكليم وقال : لا تخافا فان هذا الرجل مجنون · بل هو نصف مجنون · وهو يصاب بهذه النوبة مرة كل يوم او كل يومين · فاشتد حزن سليم وكليم على حالة الرجل حينئذ وبادرا اليه يسعفانه بالمعالجة · وبينما كانا يفركان يديه بايديهما سألا صاحب المحل وما قصته واين بلاده فانه غريب عن لبنان على ما يظهر · فاجاب صاحب المحل · الذي سمعته انه غريب عن لبنان و يقال ان سبب جنونه حبه فتاة رام الاقتران بها فرفضت وهجرته · وهو من ذلك الحين يطوف البلاد على قدميه يأكل اذا وجد طعاماً ويصوم اذا لم يجد · واحياناً ينام تحت سقف منزل واحياناً تحت قبة السماء فهو شبيه برجل تائه على وجهه في البلاد · وكل الاهالي يعرفونه

فلما سمع سليم وكليم هذه القصة تأثرا تأثرًا شديدًا · ومما زاد تأثرهما امتزاج تعاسة الرجل بشيء غزلي جميل لانه جُنّ بسبب الحب كما سمعا · فقال سليم لرفيقه : حقًا انني لما كنت أسمع كلام صاحب المحل خيل لي وانا افرك يد هذا المريض ان يدي تمس الآن يد مجنون ليلى او غيره من عشاق العرب المشهورين · ومن العجب ان يبقى اليوم في الارض اناس رقاق الشعور شديدو الانجذاب النفسي حتى انهم يجنّون بسبب الحب مع ما هو معروف في هذا العصر من اندفاع تيار الشهوات الحيوانية التي تقتل ذلك الشعور الدقيق

فسأل كليم صاحب المحل وما اسم هذا الرجل التعيس · فاجاب ان الناس يسمونه مخلوف وفي هذه الدرجة اختلج مخلوف اختلاجًا شديدًا وصار يصرخ صراخًا هائلاً ويخبط بيديه ورجليه · فامسكه بها الثلاثة الحاضرون لئلا يؤذي نفسه · وكان قد اجتمع عليهم بعض من الاولاد وهم يتعجبون من دنو سليم وكليم منه لان اكثر العامة في اقطار الشام يخافون كثيرًا ممن يعمى عليه ذلك الاغماء لاعتقادهم ان فيه شيطانًا يسبب ذلك الاضطراب · وهم يسمون المعمى عليه « واقع في الساعه »

وبعد حين ارتخت اعضاء مخلوف وتنهد تنهدًا عميقًا ثم فتح عينيه وصار يضحك لمن حوله ضحكاً لطيفًا كضحك الاولاد · فقال له كليم كيف حالك الآن يا مسيو مخلوف · فاجاب مخلوف : حالي كما ترى · فقال سليم : هذا امر بسيط وكثيرًا ما يقع فيه الناس اما بسبب الحر او ضيق الصدر او التعب · فجلس مخلوف حينئذ وقد ظهر الغضب في وجهه وصاح : لم

يؤثر في الحر ولا ضيق الصدر ولا التعب وانما هذه الجريدة الملعونة . فكيف تجير لها السماء والارض ان تتركه وتذهب . هو يحبها كما يحب الله . هو يطرح تحت قدميها اسمه وميراثه وشرفه لتتنازل وتاخذها وترضى فقط بالابتسامة له . ومع ذلك فانها ترد هذه الهبات بقدميها وتفرّ منه كالبرق وتختفي . فما هو جزاؤها يا ترى ؟ ! ليس القتل . والخنق . والحرق . والشنق . والدوس بالاقدام . والتقطيع قطعة قطعة

وكان مخلوف قد بلغ به الغضب عند هذه الكلمات مبلغاً عظيماً . فجحظت عيناه وانتفخت اوداجه وصعد الدم الى راسه فكاد يخنقه وبدا الزبد على فمه كالجمل الهائج . فهال منظره سليماً وكليماً وعلما حينئذ انه قرأ في الجريدة الانكليزية هذه الحادثة فاذكرته حادثته . فتلافى سليم الامر رغبةً في تسكينه وتعزيته وقال . لقد نطقتَ بالحق فان تلك الفتاة تستحق اكثر مما ذكرتَ . ولكن هل قرأتَ ثمة حادثة مس « لنهيم » التي تشير اليها . فاجاب مخلوف وهو يلهث تعباً من اثر الهياج : لا . فماذا جرى لهذه الخبيثة بعد تركها حبيبها . فقال سليم . لقد لقيتْ عقابها . ـ فصاح مخلوف حينئذ وشرر الجنون واليأس تتطاير من عينيه « هل ماتت» فارتعدت فرائص سليم وكليم لذلك الصوت الذي حكى صوت وحش جُرح برصاصة . واجاب سليم . كلا كلا . فانه لا يموت احد الحبيبين اذا افترقا وخصوصاً اذا كان احدهما مظلوماً الا بعد اجتماعهما . فبهت مخلوف يتأمل قليلاً ثم قال : وكيف ذلك . فقال سليم روى فرفوريوس عن نيقوديموس عن افلاطون عن ارسطاطاليس ان كل نفس مظلومة لحبها نفساً اخرى لا تموت اذا ثبتت في حبها وصدقت قبل ان ترى النفس المحبوبة . ولذلك فكلُّ فتاة تهجر فتىً يحبها ويثبت الفتى على حبه لها تعود اليه ذليلة من تلقاء نفسها بعد ذلك وتستغفره عن ذنبها وتطلب اليه ان يشاركها في حياتها . وهكذا جرى لمس لنهيم التي قرأتَ في الجريدة حادثتها . فانها عادت بعد مدة ذليلة واستصفحت خطيبها

فهنا استوى مخلوف جاثياً على ركبتيه وابرقت عيناه برقاً غريباً وقال . واذا كان قد انقضى على غيبتها عدة سنوات

فادرك كليم في الحال ما قام في نفس ذلك المجنون التعيس فهمس في اذن رفيقه : انك تحاول نفعه بالامل ولكنك ستضرّه . فاجاب سليم وهل بعد الجنون من ضرر فانني الآن اجرب طريقة لاصلاح شأنه وتسكين جهازه العصبي الى حين

ولما سأله مخلوف السؤال الذي تقدم اجابه سليم بقوله : سواء كان الوقت قصيراً

او طويلاً فانها تعود رغماً عن انفها . ولكنني لم اذكر لك الطريقة التي استعاد بها المستر «ارثور» حبيبته المذكورة . فانه قبل كل شيء ثبت على حبها ثبات الابطال . فكان لا يذكرها بكلمة سوء ولا يحكي قصتها لاحد . ثم كان يتظاهر باللطف والبشاشة دائماً ولا يضر احداً من الناس وينفعهم بقدر استطاعته وكان على الخصوص يعتني بنفسه فيأكل من الغذاء ما يكفيه ولا يتعب كثيراً بالطواف في البلاد ويداري صحته ما امكنه . وبهذه الطرق صار رجلاً جميل المنظر لطيفاً محبوباً من الناس . فما لبثت حبيبته ان عادت اليه تطلب منه الصفح عن هجرها اياه

وكان سليم يتكلم ومخلوف يفكر . وقد اخذ العرق يقطر من جبينه فدلّ ذلك على ان نفسه كانت حينئذ في صراع شديد مع نفسها . ولما أتى سليم على آخر كلامه انهملت دموع مخلوف على خديه . فوضع رأسه بين يديه وصار يبكي بكاء شديداً فاغرورقت حينئذ بالدمع عينا سليم وكليم . وازدادت دهشتهما من ان يوجد اليوم في الارض اخلاص كاخلاص هذا العاشق المجنون التعيس .

ولما استغرق مخلوف في البكاء رام كليم تسليته من وجه آخر فقال له انت مصيبٌ في بكائك يا مسيو مخلوف . فبارك الله في عواطفك الرقيقة وقلبك الحساس . انك ولا شك تبكي على جميع الازواج التعساء في العالم . انك تبكي على الزوج المسكين الذي يتزوج ويُرزق اولاداً من زوجته ومع ذلك يرى عين امرأته ناظرة الى سواه ـ الى شاب اغض منه شباباً فتجعل حياته جحيماً دائماً انك تبكي على الزوج الذي يتزوج اليوم ثم تموت زوجته الفتاة الرطبة الجميلة بعد سنتين تاركة على ذراعيه طفلين يصيحان دائماً « يا اماه » بينما قلبه يصيح معهما يا « حبيبتي » ـ انك تبكي الزوج الذي يموت بعد زواجه بسنتين تاركاً ارملة فتاة وصغيرين لا معين لهما غير الله . انك تبكي الزوج الذي يرى عائلته تكبر شيئاً فشيئاً ـ كل سنة ولد ـ ويرى باب رزقه ضيقاً : فهذه الاحوال الاجتماعية جديرة يا مسيو مخلوف بدموعك . واذا كنتَ لم تتزوج بعدُ فاشكر الله لانك لم تقع في احدها

ولكن يظهر ان المسكين مخلوف لم يفهم معنى هذا الكلام او كأنه لم يسمعه لاشتغاله عنه بما كان يجول حينئذ في ضميره . فلما سكت كليم تحفز للنهوض فامسك به سليم وكليم ليشاركهما في الطعام فاعتذر ونهض . فحاولا اقناعه بالسفر معهما الى الحدث ومنها الى الارز . فلما سمع كلمة الارز قال لهما بهيئة جدية يضحك منها من يعرف جنونه انه مسافر بعد مدة الى الارز للسياحة هناك وانه سيقابلهما فيه . ثم تخلص منهما وودعهما باحناء راسه وسار في سبيله

كأنما هو في حلٍّ ومرتحلٍ   موكَّلٌ بفضاء الله يذرعه

ولما غاب عن بصرها في منعطف المكان التفت سليم الى رفيقه وقال حقًّا ان حالته حالة مؤثرة . وبعد ان تناولا الطعام واستراحا قليلاً ركبا وسارا في طريقهما مع جرجس . وكان كل واحد منهما يفكر في شجون . وبعد برهة دار بينهما الحديث على الطريق لان الطريق خير محرّك للحديث . فقال سليم هذه اول مرة ارى فيها محبًّا جُنَّ من حبه . فما احسن هذه الاخلاق الدمثة اللطيفة مع الجنون فقال كليم اما انا فقد شاهدت مجانين عشاقًا قبل اليوم . وعندي قصة اشد تأثيرًا من قصتنا هذه . فانني منذ سنتين زرتُ في طريقي مع بعض الاصحاب دير هزقل حيث يُعزل بعض المجانين . فلما اشرفنا على مكانهم وجدنا احدهم منفردًا عن الباقين وهو جالس حزينًا ملوي الراس فقلنا « ان كان فهذا . فوقفنا به فسلمنا عليه فردّ السلام . فقلنا له ما تجد . فانشأ يقول

الله يعلم انني كمدُ   لا استطيع ابثّ ما اجدُ
نفسان لي نفس تضمنها   بلدٌ واخرى حازها بلدُ
واري القيامة ليس ينفعها   صبر وليس يفوقها جلدُ
واظن غائبتي كشاهدتي   فكأنها تجد الذي اجدُ

فقلت له احسنت والله . فاوماء الى شيء ليرمينا به وقال : امثلي يُقال له احسنت . فولينا عنه هاربين . فقال اسأ لكم بالله الا ما رجعتم حتى انشدكم . فان احسنت قلتم لي احسنت وان اساءت قلتم لي اساءت فرجعنا ووقفنا وقلنا له قل . فانشأ يقول

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهمُ   ورحلوها وسارت بالدمى الابلُ
وقلبت من خلال السجف ناظرها   ترنو اليَّ ودمع العين منهملُ
وودعت ببنان عقده عنم   ناديت لا حملت رجلاك يا جملُ
ويلي من البين ما دا حل بي وبها   من نازل البين حلَّ البينُ وارتحلوا
يا راحل العيس عرّج كي اودعهم   يا راحل العيس في ترحالك الاجلُ
اني على العهد لم انقض مودّتهم   يا ليت شعري بطول العهد مافعلوا

فقلتُ له ماتوا . فصاح وقال . ماتوا ؟ وانا والله اموت . ثم تربّع وتمدّد فمات لساعته . فما برحنا حتى دفناه » (١)

---

(١) ليست هذه الحادثة تصنعًا من المؤلف فقد وردت في اخبار المجانين في العقد الفريد جزء ٣ صفحة ٢٤٥ نقلاً عن المبرد محمد بن يزيد النحوي وقد شهدها كما قال في خروجه من بغداد الى واسط في « دير هزقل » الذي كانت تحبس به المجانين . ولذلك وضعناها بين قوسين لانها منقولة حرفيًا

فقال سليم يا للعجب وهل روحه في يده حتى يطلقها حين يريد . فقال كليم هذه قصة محزنة عن المجانين . وقد شهدتُ ايضاً حادثة اخرى ولكنها مضحكة . الاَّ انها تدل ايضاً على ذكاء هذه الطبقة التي اذا طمس الجنون عقلها فانه يبقي على نباهتها وحدة ذهنها . وتفصيل الخبر اني كنت ذات يوم ماراً بقرية القلمون الاسلامية الكائنة على شاطىء البحر تحت دير البلمند وقلحات فرأيت اجتماعاً عظيماً خارج القرية فسألت ما الخبر فعلمت ان هنالك معتوهاً يضحك الاهالي منه ويجوزون له ما لا يجوزونه لسواه . وكان هذا المعتوه « يجد » يجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) . وكان يركب قصبة في كل جمعة يومي الاثنين والخميس . فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة . فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان فيصعد تلاً وينادي باعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون . اليسوا في اعلى عليين . فيقولون نعم . قال هاتوا ابا بكر الصديق . فاخذ غلام فاجلس بين يديه . فيقول جزاك الله خيراً ابا بكر عن الرعية فقد عدلتَ وقمت بالقسط وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام في حسن الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى اوثق عروة واحسن ثقة اذهبوا به الى اعلى عليين . ثم ينادي هاتوا عمر فاجلس بين يديه غلام فقال جزاك الله خيراً ابا حفص عن الاسلام فقد فتحت الفتوح ووسعت الفيء وسلكت سبيل الصالحين وعدلت في الرعية اذهبوا به الى اعلى عليين بحذاء ابي بكر . ثم يقول هاتوا عثمان . فاتي بغلام فاجلس بين يديه فيقول له خلطت في تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم . ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه في اعلى عليين . ثم يقول هاتوا علي ابن ابي طالب . فاجلس غلام بين يديه . فيقول جزاك الله عن الامة خيراً ابا الحسن فانت الوصي وولي النبي بسطت العدل وزهدت في الدنيا واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وانت ابو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى اعلى عليين الفردوس . ثم يقول هاتوا معاوية فاجلس بين يديه صبي . فقال له انت القاتل عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندي الذي اخلقت وجهه العبادة . وانت الذي جعل الخلافة ملكاً واستاثر بالفيء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة وانت اول من غير سنة رسول الله ونقض احكامه وقام بالبغي اذهبوا به فاوقفوه مع الظلمة . ثم قال هاتوا يزيد . فاجلس بين يديه غلام فقال له . . . انت الذي قتلت اهل الحرة وابحت

* ١ * كذلك هذه الحادثة منقولة عن العقد الفريد الجزء ٢ الصفحة ٣٢٩ حرفياً وهي مروية عن العتبي عن ابي عبد الرحمن بشر وقد حدثت في زمن المهدي

المدينة ثلاثة ايام وانتهكت حرم رسول الله وآويت الملحدين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسيناً وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الابل · اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار · ولا يزال يذكر والياً بعد والٍ حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال هاتوا عمر فاتي بغلام فاجلس بين يديه · فقال جزاك الله خيراً عن الاسلام فقد احييت العدل بعد موته والنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فالحقوه بالصديقين · ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بني العباس فسكت · فقيل له هذا ابو العباس امير المؤمنين · قال : فبلغ امرنا الى بني هاشم · ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعاً » (١) فقيل له و بعدُ : فقال اين امويو الاندلس · فرفع اليه غلام · فقال له : ايه عبد الرحمن الداخل ذهبت تخرق خرقاً في الاسلام وتنشيء خلافة جديدة وسلطنة كبيرة لم تحسن انت وقومك الدفاع عنها · اذهبوا به الى النار · ثم قال اين الفاطميون · فرفع اليه غلام · فقال لقد المتم امراءكم واضعفتم الاسلام بشقه شطرين · خذوهم · فقيل له و بعدُ · فقال بعدُ ماذا · فقيل آل عثمان · فالتفت يمنة و يسرة ومدَّ لسانه وحك راسه وهمَّ بالكلام · فصاح به صائح : باب السجن مفتوح · فضحك المعتوه وقال : اما بنو عثمان فاننا نؤجل الحكم عليهم · فضحك الجميع وانصرفوا

فقال سليم حقاً ان امر هذا الرجل غريب فانه مع جنونه يصف كل امير الوصف الذي ينطبق عليه كانه من ابصر الناس بالتاريخ · اما صاحبنا مخلوف فانني ارى من القسوة ان نتركه في هذه الحالة ولذلك عزمت على معالجته لعلي اردّ عليه صوابه

---

* ١ * الى هنا انتهت رواية العقد الفريد

الفصل الرابع

﴿ الحدث ﴾

« احد اعيانه اميركا العظام فيها »

المذاهب والاديان · مريض لا اكرم منه · شهامة قروي · مرض الوطن

وطوى الفارسان بالحديث المسافة بين عين السنديانة والحدث · ولما وصلا الى هذه القرية دخلا اليها منقبضي الصدر لانهما كانا يعلّلان النفس بان يشاهدا في اعالي الجبل مناظر ابهى واجمل · وهذا شأن كل من يتصوّر شيئاً جميلاً قبل معرفته فانه قلما تكون صورته الحقيقية مساوية لصورته الخيالية خصوصاً اذا كان المتصور شديد الخيال · واشد الناس خيالاً وارقاهم تصوراً واسلمهم ذوقاً من لا يرى في صور الموجودات ــ مهما كانت عظيمة نفيسة ــ صورة تفوق او تساوي صورتها التي ارتسمت في خياله قبل ان يراها

وفي الحقيقة ان جمال الحدث لا يظهر للداخل اليها لاول مرة بل تجب الاقامة فيها يومين او ثلاثة لادراك محاسنها · فهي قرية صغيرة قائمة على قمة اكة في جبة بشري مطلقة للهواء والنور من جهاتها الاربع · فيظهر ان الذين بنوها لم يرهبوا الزوابع والرياح والثلوج في تلك الاعالي ولذلك لم يخفوا قريتهم في ظل اكة مرتفعة كقرية « قنات » القريبة منها الى الجنوب الغربي ولا بنوها في سفح جبل كاهدن التي تقابلها في الشمال ولا في قلب وادٍ كحصرون في الشرق · بل هم قصدوا بها على ما يظهر مصادمة تلك العناصر الطبيعية في تلك الاعالي التي يعممها الثلج و يغطيها الضباب نصف سنة تقريباً · وهذا ما جعل هواءها اجود الاهوية واجفها واجتذب اليها المرضى للاستشفاء فصاروا يفضلونها على سواها

ولما دخل سليم وكليم الى القرية كان اهلها في هياج واضطراب وبعضهم يتراكضون الى منزل قائم فوق حرش صغير بجانب القرية الى الجنوب الغربي · فقال كليم يا جرجس استخبر لنا الخبر · فسأل جرجس احد الاهالي فاخبره ان بعض الاميركان يرومون استئجار بيت في القرية ولكن في الاهالي فريقاً لا يريد تأجيرهم لانهم بروتستنت يحثون الناس على ترك مذهبهم الماروني الى المذهب البروتستنتي · فضحك سليم لما علم بسبب هذا الاضطراب وقال لرفيقه : ان هذه الخلافات في المذاهب والاديان تتبعنا حتى اقاصي البلدان · ثم سأل سليم جرجس · ما رأيك يا جرجس في هذا هل يجوز لهم ذلك ام لا

يجوز · فاجاب جرجس · الحق اقول لك يا معلي ان الاهالي لا يريدون تغيير مذهبهم الذي ربي عليه اباؤهم واجدادهم وهم يفدونه بدمائهم سواء كانوا في الكورة بناحيتنا او في الجبة بهذه الجهات · فاجاب سليم مازحاً · ولكن لماذا لا تصنعون انتم في نواحي الكورة ما يصنعه اهالي الجبة من طرد الاميركان فانكم قبلتموهم وقد فتحوا عندكم بضع مدارس · فاحتار جرجس في الجواب ثم قال · اهالي الكوره روم يامعلي واهالي الجبة موارنه · فضحك سليم وكليم لانهما ادركا معنى كلام جرجس وقال سليم انا ماروني يا جرجس وكن على ثقة انني أكره الاساءة حتى للمجوس · ولكنك قد جهلت السبب الحقيقي فاعلم ان لذلك اربعة اسباب (الاول) ان اهل الجبة احرص من اهل الكوره على استقلالهم وارسخ منهم قدماً في الدفاع عن حريتهم · وما برح اهل الجبال اشد استمساكاً بحريتهم المطلقة من اهل السهول · وهم يعتبرون مذهبهم الديني من جملة عواملهم وحاجاتهم الوطنية (والثاني) ان لرجال الدين عليهم سلطة عظمى خلافاً لرجال الدين في الكوره وذلك لما للهيئة البطريركية الدينية من النفوذ الخصوصي في سياسة الجبل (والثالث) ان فرنسا التي تحمي هذه السلطة الدينية يطيب لها ان تبعد ما امكنها كل اجنبي يروم مخالطة الاهالي واستمالتهم وعلى الخصوص البعثات الدينية الغير الفرنسوية (والرابع) ان الكورة تابعة لاسقفية طرابلس دينياً والروم والاميركان في طرابلس على شيء من الاتفاق · وكيف يستطيع اهل الكوره ان يعاندوا الاميركان ما دامت هيئتهم الدينية في طرابلس مسالمة لهم · — فقال كليم حينئذ وقد ضجر من هذا الكلام لله ما اصبرك على البحث في هذه المثات

وفي هذا الحين وصل الحوادان الى المنزل الذي كانا يقصدانه في القرية وهو اعلى المنازل في الجنوب وآخرها · وكان اهل المنزل في النوافذ ينتظرون الضيفين ويشاهدون اضطراب الاهالي وصياحهم حول المنزل الذي تقدم ذكره

وكانت العائلة المضيفة في هذا المنزل عائلة صديق لسليم وكليم يدعى الخواجا امين وكان مريضاً وهي مؤلفة من امين المريض وابن له في السبعين من العمر وام في نحو الستين · وكان امين مريضاً بعلة الصدر المشهورة التي كثرت في سوريا ولبنان في هذا الزمان وهو شاب في الخامسة والعشرين من العمر انقضى عليه ثلاث سنوات بهذه العلة فلم ينجع بها دواء ولم يبق لها علاج عند الاطباء غير الاقامة في الهواء النقي الجاف في اعالي الجبال · وكان امين وحيد والديه الشيخين وقبلة آمالها ولكن المرض لا يعرف رحمة ولا يرعى حرمة · وكان ابواه في يأس شديد من حالته يبكيان الليل والنهار على وحيدهما الشاب الذاهب عنهما تاركاً

اياها في آخر العمر وبدين وحيدين في هذه الحياة · الا انهما مع حزنهما المتصل في السر كانا يظهران امام المريض كل سرور وبشاشة · وكذلك كان المريض امامهما · فانه كان عالماً بعلّته التي كانت تجره الى الموت شيئاً فشيئاً ولكنه كان يحتملها بلا ضجر ولا شكوى لئلا يزيد في عذاب الشيخين اللذين كانا يعتنيان به · ولم يرَ احد قط صبراً على مرض كصبر هذا المريض الكريم ومرّضيه الشيخين

ولما دخل سليم وكليم عليه كان امين ممدداً في سريره لا يقوى على النهوض · فابتسم لما رآهما · اما هما فلم يقنعا بهذا الابتسام بل تقدّما منه ليصافحاه بهزّ اليد · فلما رآهما يمدان يديهما نحوه سحب يده واخفاها تحت اللحاف وقال لهما بدمع في عينيه : لا تتعباني بالسلام عليكما فانني في غاية الضعف · فنفرت الدموع حالاً الى عيني سليم وكليم لعلمهما ان ذلك المريض العزيز لم يخفِ يده الا فراراً من ان يعديهما من دائه · فيا ايها المرضى الذين يشكون من فرار الناس منهم خوفاً من العدوى · ويا ايها المصابون بامراض مزمنة يقضون اوقاتهم بالتضجر والتألم والتحسر : تعلموا هذا الشعور اللطيف والصبر الجميل من هذا المريض الكريم ·

وما جلس كليم وسليم يستريحان بعد تعب الطريق حتى اشتدّت الضوضاء في القرية وعلا الصياح فهرعا كلاهما الى النافذة واطلاّ منها ثم قال كليم لامين : لم نفهم جيداً سبب هذا الاضطراب · واذا بصاحب المنزل داخل · فسأله امين كيف انتهت المسألة يا ابامرعب · فقال ابو مرعب حقاً انهم تجاوزوا الحدود · وقد عزمت ان اذهب وادعو اولئك الضيوف الى منزلي هذا وادعهم يقيمون في الجانب الآخر فما قولكم · فقال له امين احسنت يا ابامرعب وهكذا فلتكن الشهامة · فقال ولكنني اريد ترجماناً بيني وبين الخواجات فهبّ سليم وكليم وقالا نحن نرافقك

وبعد خمس دقائق وصل ابو مرعب مع سليم وكليم الى المنزل الذي كان النزاع عليه فوجدوا حوله نحو عشرين رجلاً من اهل القرية وبضع نساء وعدة اولاد وامام المنزل ثلاثة بغال عليها حوائج السفر وبجانبها ثلاثة من الاميركان وترجمان وخادم

وكان ابو مرعب في نحو الخمسين من العمر وهو رجل كبير الجسم كثير السمن قوي العزم لا يهاب الموت اذا تمثل له في شخص انسان · وكان مشهوراً عنه انه حارب مع يوسف بك كرم وكان من اشد اعوانه حتى ان يوسف بك سماه « كلة مدفع » اشارة الى استدارة جسمه وقوته · فلما وصل ابو مرعب الى المتجمهرين دخل بينهم مع رفيقيه واستفهم منهم عن سبب الاضطراب والصياح · فعلم منهم ان ذلك الجمهور كان مقسوماً قسمين فريق كان

يقول ليس من آداب الضيافة ان نمنع الاجانب من الاقامة في قريتنا والاّ سبّنا الناس حتى اهل القرى المجاورة . وكان في هذا الفريق صاحب المنزل نفسه . وفريق آخر كان يقول : نحن لا نُبعد هؤلاء الضيوف لانهم بروتستنت فقط بل لان فيهم رجلاً مسلولاً اذ نخاف على قريتنا من العدوى

فرفع حينئذ ابو مرعب صوته وقال مخاطباً الفريق الذي كان يقاوم : يا شباب هل هذا المنزل منزلكم . فاجابوا كلا . فقال وهل لصاحبه الحق في اقفاله او هدمه او تلعيب القرود فيه ام لا . فاجاب احدهم وكان اجراهم . نعم له الحق في ذلك ولكنه ليس له الحق في ان يفعل فيه شيئاً يضر باهل القرية كلهم . فقال ابو مرعب وقد بدا الغضب في وجهه . وما هو هذا الشيء يا ابن طنوس . فقال « المرض » (١) فصاح به الشهم ابو مرعب : هل انت بدون دين يا ابن طنوس حتى تضطهد وتطرد المرضى والضعفاء الذين اوصت ديانتنا بمساعدتهم وزيارتهم . ولماذا لم تطرد القرية اباك لما مات منذ سنتين بعلة الجذام

فسكت ابن طنوس ولكن شاباً بجانبه اجاب : هل الغريب كالقريب يا ابا مرعب . فقال ابو مرعب عافاك الله يا ابن سركيس فانك نطقتَ بالحق . فانتم اذاً تريدون اضطهاد هؤلاء الضيوف لانهم اجانب وبروتستنت لا لحفظ صحة القرية . فانا اخبركم انني الآن آخذهم الى بيتي وكلٌ من تحدثه نفسه بمنعي فليتبعني

ثم اندفع ابو مرعب الى البغال فاخذ باحدها ومشى في المقدمة يتبعه المسافرون وبجانبه كليم وسليم يعجبان من كرم اخلاق هذا القروي

اما المسافرون الاميركان فانهم كانوا في اثناء ذلك يضحكون وقد افهمهم ترجمانهم كل ما جرى فاجابوا يس يس اي انهم رضوا بالاقامة في منزل ابي مرعب . الاّ انهم لم يشكروه على ذلك شكراً خصوصياً لانهم لم يعرفوا قيمة العمل الذي عمله معهم ذلك الرجل الكريم

ولما استقرَّ بهم المقام في بيت ابي مرعب نادى سليم وكليم ترجمانهم وكان من تراجمة بيروت قدم معهم لهذا الغرض . وبعد ان تعرفوا به سألوه عن رفاقه وقصتهم فاخبرهم ان هؤلاء الثلاثة الاميركان هم من حواشي اميركي كبير قادم للسياحة في جهات الارز . فسأله سليم وما اسمه فاجاب الترجمان . اسمه « مستر كلدن » فصاح سليم مستر كلدن احد اغنياء اميركا العظام . فقال الترجمان نعم فان زوجته مريضة وقد حضر معها للسياحة

« ١ » متى قيل المرض على الاطلاق يعنون به هناك داء السل

في اعالي لبنان · وقد اشار عليهم اطباء بيروت ان يتخذوا الحدث محطة لهم اذا اعجبتهم لان هواءها اجف الاهويه ومنها يزورون كل الاماكن الجميلة التي بجوارها · وهذا ما جعلنا نتقدمهم وننتظرهم

فقال كليم اذاً لستم مرسلين اميركيين كما ظن اهل القرية · فضحك الترجمان وقال كلا · فقال كليم ومَن من رفاقك المصاب بداء الصدر · فضحك الترجمان ايضاً وقال لا اعرف احداً مصدوراً بينهم ولكن لون احدهم ضارب الى الاصفرار فحسبوه مصاباً او انهم ادعوا ذلك تأييداً لحجتهم · فضحك سليم وقال لا بأس نحن نحمد هذه الصدفة التي جعلتهم قريبين منا لاننا سنتعرف بالمستر « كلدن » ولا شك · فقال الترجمان وهل تحبون التعرف برجال بطانته · فاجاب سليم · ذلك ما نتمناه

وفي المساء زار سليم وكليم المسافرين الاميركان فاحسنوا استقبالهم وقد سروا لمصادفتهم اديبين مطلعين يحادثانهم بلغتهم حديثاً مفيداً عن المكان السكان · وفي اثناء الحديث سأل سليم احدهم : بلغنا من الترجمان ان مسز « كلدن » مريضة وهذا سبب سياحتها مع زوجها المكرم ولكن ما مرضها · فضحك المخاطب واجاب « مرض الوطن » فاستغرب سليم وكليم ذلك فقال صاحبهما : نعم انا اخبركم الآن شيئاً جديداً وهو يسركما ولا شك · فان مسز كلدن اصلها من بر الشام · ولم تنفك عن الاشتياق الى وطنها الاول · فجاء بها المستر كلدن في هذا العام لعل صحتها تعود اليها في هذه السياحة التي هي متعبة وان كانت جميلة

الفصل الخامس

﴿ قصة مجنون ليلى ﴾

وهل اعطانت حبيبه ام اصابت في سفرها

وفي ذلك الليل نام كليم وسليم نوم الهناء بعد تعب السفر · ونهضا في صباح اليوم التالي نشيطين مسرورين · الاَّ انهما شعرا قبل شروق الشمس بشيء من البرودة لم يتعوداه في اغسطس لقياسهما الجبل على السهل · لكن لما طلعت الشمس وما زجت ذرات نورها الحار ذرات الهواء البارد شعرا بارتياح شديد لم يشعرا بمثله في حياتهما كلها · ومنذ هذه الساعة بدأت الحدث تكون جميلة في عيونهما

ولما تعالت الشمس فوق المشرق واشتدت حرارتها قليلاً انتبه امين من النوم واوعز الى ابويه ان يستعدا للذهاب الى حرش الصنوبر القريب من القرية ليتناولوا طعام الصباح هناك مع ضيفيهما فبعد نصف ساعة سار كليم وسليم نحو الحرش وركب امين حماراً لانه كان عاجزاً عن المشي لضعفه وسار ابواه وراءه. والمسافة بين القرية والحرش نحو ٤ او ٥ دقائق. وهذا الحرش قائم بين القرية القديمة وبضعة منازل جديدة بنيت وراءه الى الجنوب وهو مغروس فوق اودية مختلفة تتدرج من الحدث الى السهل فيُرى من ورائه بحر الكورة والبترون وما وراءه من الافق.

فجلس الرفاق هناك في اجمل مجلس وتناولوا طعام الصباح. وقد جعل امين مجلسه بعيداً من مجلس صديقيه وفصل طعامه عن طعامهما. فكان هذا الشعور اللطيف منه يزيد صديقيه رغبة في محو ذلك الاثر من نفسه. ولكن واأسفاه ما الفائدة من محو ذلك الاثر من النفس ما دام باديًا في الوجه. فان امينًا كان في تلك الجهة التي كانت تتمتع بالصحة والعافية في ذلك المكان المشرف على مناظر الجبال الجميلة والمعطر الهواء برائحة الصنوبر الطيبة عبارة عن شبح وخيال. فان العلة الهائلة اكلت وشربت لحمه ودمه. والهزال افنى قواه واخمد نار عينيه وصبغ وجهه اللطيف بلون الموت. ولم يبقَ من قوة لتلك الروح الصبورة في ذلك الجسم النحيف الذي صار كاجسام الاولاد — سوى قوة الابتسام بشفتيه الرقيقتين تحت شاربيه الاشقرين الدقيقين اللذين صارا لا يظهران كثيرًا لامتزاج لونهما بلون الوجه. فبالابتسام فقط كانت تظهر حياة امين وعواطفه وارادته. وكان يجود بالابتسام دائمًا اظهارًا للقوة وايناسًا لجلاسه. فهنا نقول مرة ثانية ايضًا: ما رأى المرضون قط مريضًا شجاعًا صبورًا مثل الفتى امين. والعجب من نفس قوية صبورة كهذه النفس كيف استطاعت العلة ان تقوى عليها

وكان لا ينغص عيش سليم وكليم شيء في ذلك المكان الجميل سوى هذه الافكار التي كانت تتردد عليهما. ورغبة في طردها وتسلية المريض دخلا في الحديث معه. فقال كليم الا تذهب معنا الى الارز ايها الصديق. فضحك امين وقال انت ترى انني لا اقدر على الركوب من القرية الى هنا. فقال سليم. لا تبالغ فانك بخير والحمد لله وانك تستطيع الذهاب معنا الى الارز اذا أردته. ولك علينا اذا سرتَ معنا ان نريك «فرجة» لم ترها في حياتك.

فقال امين وما هي. فقال سليم نريك مجنون ليلى. فقال امين ومن هو مجنون ليلى. فقال سليم هو رجل جنَّ من الحب. فصاح امين: لعلك تريد بهذا الرجل المسيو مخلوف. فدهش سليم وكليم وقالا: هل تعرفه. فقال امين هذا امر بسيط فان كل الناس هنا يعرفونه

و يعرفون قصته . فقال سليم وهل تعرفها بالتفصيل فقال نعم ولكن اين شاهدتموه

فقص عليه سليم كيف شاهدا مخلوف في عين السنديانة وما جرى له وكيف وعدها بان يقابلها في الارز . فقال امين : اظن هذا كل ما تعرفانه عنه اما انا فانني اقص عليكما قصته من اولها الى اخرها كما سمعتها من عارفيه واليك تفصيلها

ان اسم مخلوف الاصلي (يعقوب درمان) وهو شاب اديب من بلده صور وكان منذ عشر سنوات مكبًا على الدرس استعدادًا لفن المحاماة . فبينما كان ذات يوم يطالع بعض دروسه على شاطئ البحر واذا به يسمع صراخًا وعويلاً فركض فابصر خادمة تنادي على سيدة لها بين الامواج تكاد تغرق فالقى نفسه حالاً باثوابه في البحر وانقذ السيدة . وكانت هذه السيدة فتاة في نحو الثامنة عشرة من العمر وهي كريمة تاجر كبير في صور . وقد رامت الانتحار غرقًا لاسباب مجهولة . فلما انقذها يعقوب ارسلها الى بيتها وكانت مغشيًا عليها . فكاد ابوها يموت من حزنه ولكن الحياة عادت اليها . ومنذ ذلك اليوم احبها يعقوب درمان حبًا شديدًا يقرب من العبادة ومالت الفتاة اليه لانه انقذ حياتها . لكن الاقدار عاكستهما بعد ذلك . فان اباها على ما يقال توفي في ذلك العام وقد خسر جميع امواله وانحطت كرامته بين قومه بعد ان كان عزيزًا بينهم وبذلك بقيت ابنته وحدها اذ لم يكن في البيت غيرها لوفاة امها . وكان يعقوب درمان فقير الحال ايضًا . فرأت الفتاة انها اذ اقترنت به ازدادت سوء حال على سوء حال . وكانت عزيزة النفس شديدة الانفة لانها نشأت في الترف والغنى والدلال فكرهت ان تقيم ذليلة فقيرة في بلدة كانت فيها العزيزة المبجلة . فغافلت حبيبها يعقوب وفرت مسافرة مع احدى البواخر التي تمر على صيدا وتركت له ورقة تقول له فيها « انسني واسلني بعد الآن » ويظهر ان دماغ يعقوب ضعيف من فطرته فلم يقوَ على تحمل هذه الصدمة فجنّ من يومها

فقال سليم ولكن كيف سافرت الفتاة وحدها الى بلاد لا تعرفها ؟ فاجاب امين لا تسل عن ذلك فانها نشأت في مدارس الاميركان وانت تعلم انهم يربون البنات في مدارسهم على الجرأة والاقدام والاستقلال . وهو امر احيانًا يكون نافعًا واحيانًا يكون ضارًا

فضحك كليم وقال لا ريب اننا اذا رأيناه نحن في هذه الحادثة نافعًا فان الخواجه مخلوف يراه مضرًا جدًا لانه فقد به حبيبته وعقله

فقال كليم ولكن عندي ان الفتاة لم تخطئ اذ لا اصعب من معيشة الانسان محتاجًا الى الناس في بلدة كان فيها من قبل غنيًا عنهم . فان دناءة الشامتين ولؤم المنتقدين ووقاحة

حديثي النعمة الذين يحلون محل ذلك الانسان بعد سقوطه امور لا تحتملها النفوس

فقال امين بهدوء ورزانة : ما للانسان وكلام الناس انما عليه ان يعيش بهدوء مستوراً واذا كان في الناس قوم « اردياء » يشمتون وينتقدون ففيهم قوم « طيبون » يؤانسون ويعزون . فقد كان على الفتاة ان تبقى ولا تسافر بهذه الصورة الشنيعة .

فقال كليم ضاحكاً : لو سمعك مخاوف الآن لاعطاك طربوشه من فرحه

فقال امين ضاحكاً : وما نفعي منه فان طربوشه قذر — فضحك الجميع لهذا الجواب

الفصل السادس

✻ حديث في حرش صغير ✻

المصيف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسره واوروبا . هل يجوز للهيئة الاجتماعية عزل المرضى . السل داء الانسانية الاسود . آخر الآراء والابحاث في اسبابه وعلاجه . كوبنجي الاول

وقد طابت الاقامة لسليم وكليم في هذا الحرش الصغير فصارا في كل يوم يقصدانه مرة او مرتين للاستظلال به من حرّ الشمس . ولكنهما لم يكونا يجلسان في الظل ربع ساعة حتى يبردا فينهضا الى الشمس فيسخنا فينهضا الى الظل وهكذا على التتابع . وكانا يصرفان الوقت هناك بالحديث ومطالعة اطايب الكتب

فبعد ان مضى عليهما بضعة ايام في هذه المعيشة نظرا الى نفسيهما ذات يوم وهما في ذلك المكان فاذا بهما قد صار جسمهما ممتلئاً قوة وصحة وتوردت وجناتهما واكتسيا من هواء الجبال ثوباً زاهياً غطى ثوب الاصفرار والضعف الذي كستهما به المعيشة المدنية . وكانا ينظران الى نفسيهما في المرآة ولا يصدقان . فالتفت سليم الى كليم وقال : ان الذين يعيشون في السهول والمدن في الشام وغيرها يخطئون اشد خطاء اذا كانوا لا يصعدون مرة في العام الى جبال كهذه الجبال لتجديد قوام ودمائهم . فاجاب كليم انا موافق على رأيك بعد ما شاهدته في صحتي من التحسن . تالله انني احسب نفسي انني كنت ميتاً وبعثت . فانني آكل ولا اشبع . واشرب ولا اروى . وامشي ولا اتعب . واحياناً اخشى لنشاطي وخفة جسمي ان اطير في الهواء . فضحك كليم وقال : ما رأيك باصحابنا في الشام وفي مصر الذين يقصدون جبال سويسره وبلاد اوروبا في الصيف ويتركون هذه الجبال التي فيها المعيشة ارخص مايكون .

فقال كليم مَن جهل شيئاً لم يحفل به · فهم يجهلون فضائل هذه الجبال · هذا عدا عن ان طريقها وعرة (١)

وفي هذا الحين وصل الى الحرش شابان · فصاح كليم · بهما : اهلاً بالخواجه فاضل والخواجه حنانيا · ثم جلس الشابان بازاء رفيقهما واخذا في الحديث معهما · وكانا من رفاق كليم وابناء وطنه وهما مصيفان في القرية ·

وكان حنانيا شاباً تدلُّ هيئته على « البساطة » ولكن في الزوايا خبايا · وكان بلحية ضاربة الى الشقرة وهو كثير التنحنح كلما فاه بعبارة · وكان رفيقه فاضل يكثر من ممازحته ومداعبته وكذلك كليم · وقد كان حنانيا يُسر بهذه المداعبة على ما يظهر لانه لم يكن يستاء منها ولو جرحته احياناً · وكثيرون وفي جملتهم المؤلف كانوا يعتبرون ان هذا الامر ناشيء بالاكثر عن « طيبة » قلبه

اما فاضل فقد كان شاباً هادئاً يحب الجدّ كما يحب المزاح وقد كان في عينيه ما يدل على صفاء قلبه · وفي اساليبه وكلامه وسكونه ما يدلُّ على انه ربي في عائلة ذات نعمة · وكان من المشهور عنه انه شديد الاخلاص والرغبة في نفع غيره فلم يكن احد يساله شيئاً في طاقته ويقعد عنه ·

ولما دار الحديث بين الرفاق الاربعة قال فاضل ان رفيقنا حنانيا قد ابتاع اليوم كرماً · فقال حليم وكيف ذلك · فقال فاضل : جرت عادته انه كلما رام ان يأكل عنباً يقصد هذه الكروم الممتدة امامنا من القرية الى حرش الارز الصغير المشرف عليها وكلما شاهد عنقوداً جميلاً جلس كالثعلب بجانبه وتناول منه انضج حبوبه واكبرها · ولا يزال يفعل ذلك حتى يشبع · ففي هذا الصباح بينما كان « يفطر » بهذه الطريقة نظره (ناطور) الكرم فصاح به واسرع اليه فاجابه صاحبنا بكل « برودة » قلب ماذا تريد · فقال له (الناطور) اخرج من الكرم · فقال له بغضب ولماذا · هل هو كرمك · قال بلا شك · فقال له صاحبنا ارني (الحجة) التي بيدك لاتحقق ذلك ـ ولعمري ان هذه خير الطرق للشبع من العنب بدون دفع بارة واحدة ·

فقال كليم اذاً لايظلم اهل القرية كثيراً ضيوفهم بمعاندتهم والرغبة في التخلص منهم

«١» كانت كذلك في زمن هذه القصة اما اليوم فمركبات تسير الى اعالي الجبة كما تقدم فعسى ان يكون في هذا الكلام ما يجذب الى كرام المصريين والسوريين التصييف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسرة واوربا

اذا كانوا كلهم « على نسق » صاحبنا حنانيا

فقال حنانيا انا لست سلاً ولا برونسنت ليستطيعوا طردي فانني قاعد هنا على صدورهم الى ان يحاولي السفر . ثم فلنترك الآن المزاح هل بلغكم عزم اهل القرية على التجمهر لاخراج المرضى من قريتهم

فقال سليم . وما قولكم في قصدهم هذا الا ترون فيه شيئاً من الحق

فاجاب فاضل بحدة : عفواً عفواً . ان لاهل القرية الحق في ابعاد المرضى عنهم كان للمرضى وخصوصاً المصدورين الحق في اختيار الحدث للاقامة فيها لان هواءها اجف الاهوية والاطباء يامرونهم بان يسكنوها . ومن الخشونة والهمجية ان يداس حق الضعفاء ارضاء للاقوياء

فقال سليم فما الحيلة لارضاء الفريقين . اليس هناك يا ترى طريقة جامعة

فقال فاضل كنتُ افكر منذ مدة في هذا الامر حين سماعي ذلك الخبر فحللت هذه المشكلة . وذلك ان يُبنى فوق القرية تحت الارزات التي هناك « مستشفى للمرضى » مؤلفاً من عشرين او ثلاثين غرفة جامعة لكل الشروط الصحية على نسق المستشفيات الصحية للمسلولين في اوربا (سانتوريوم) وحينئذ يجتمع المرضى من تلقاء انفسهم في هذا المستشفى بدل ان ينتشروا في منازل القرية ويخاصموا الاهالي لاستئجارها (١)

فقال كليم لقد اصبتَ فان هذا خير حل . وحينئذ يكون من حق الاهالي اجبار المرضى على الانفراد بذلك المستشفى . والا فكل مقاومة منهم تعد خشونة وقسوة اذ الارض ليست ارضهم ولا الهواء هواءهم بل هما لله . اي انهما مشتركان بين جميع البشر . واذا لم يقم احد لبناء هذا المكان الصحي فانني اؤكد ان الحدث لا يقصدها في المستقبل غير المرضى فتخسر خسارة غير قليلة

فقال سليم . نعم ان السل آفة هائلة . والناس يرهبونه كما يرهبون نيران جهنم

فقال حنانيا ولكن من اين تنشأ هذه الآفة المهلكة التي كثرت في بلادنا . ثم اليس من دواء لها

فقال سليم لقد اطلعت منذ اسبوعين على آخر الابحاث والآراء في هذه الآفة ومنها يظهر ان السل يصاب به نصف البشر على الاقل . فبعضهم يشفى منه دون ان يدري به (١)

« ١ » بني هذا الراي على المبدإ الذي يجري عليه اليوم جمهور الاطباء والشارعين في الغرب وهو انهُ ليس للهيئة الاجتماعية ان توجب على الطبيب التصريح بعلة مرضاه لتعزلهم الحكومة عن الناس الا متى بنت لهم الحكومة مستشفيات صحية مجانية يجدون فيها كل عناية

« ١ » عُرف ذلك من تشريح الجثث في مستشفى باريز

وبعضهم يموت . ولذلك سموه « داء الانسانية » وفي فرنسا وحدها فقط يموت به في كل عام ١٥٠ الف شخص . اما سبب هذه الآفة فهو الافراط في كل شيء : الافراط في السكر الافراط في الزواج الافراط في التعب والهم الافراط في السهر وسوء المعيشة وقلة الغذاء وفساد الهواء الخ . . ويقولون انه ينتقل بالوراثة وهذا رأي ضعيف اذ جلّ ما تفعله الوراثة اعطاء الولد بنية ضعيفة . فاذا كان الاهل حكماء استطاعوا تقويتها وانقذوا الولد . والا سقط . فسقوطه اذاً يكون لا من وراثته داء السل بل من وراثته ضعف البنية . وكأنّ آفة السل تمثال اسود للشقاء والعذاب منصوب في ساحة تؤدي اليها كل طرق الشقاء والغلو والافراط والفساد

« اما دواء هذا الداء فبسيط جداً . وانا احب ان يُنادى على السطوح على مسمع من جميع المرضى المساكين ان داءهم قابل للشفاء خلافاً لما بلغهم . بل ان شفاءه اسهل من شفاء الحمى التيفوئيدية والجدري وغيرهما — لكن على شرط ان يُتدارك من اول ظهوره . فقولوا للمرضى به لا تحزنوا ولا تخافوا ان داءكم بسيط اذا احسنتم مداواته . ولكن اذا اهملتموه قضي عليكم لا محالة . وان قيل كيف تُحسن مداواته فالجواب لا دواء له غير شيء واحد وهو « الهواء النقي والغذاء الكافي » اما ما يُقال عن العلاجات والادوية فهو كله تدجيل في تدجيل . وكثيراً ما تناول المصدورون ادوية فنفعتهم شهراً او شهرين ثم انتكسوا بعد ذلك من فعل تلك الادوية وانتهى أجلهم (١) فترك الدواء اذاً هو كل الدواء . ومعرفة وقت ابتداء الداء هي السر الوحيد في الشفاء . ولا ينبغي للمسلول ان ييأس من شفائه ابداً فان بعض الاطباء داوى بعض المرضى بالسل ٢٠ سنة وكانوا ينفثون الدم مع البلغم ومع ذلك رزقوا اولاداً وعاشوا عمراً طويلاً . ولكن المسلول العازب عليه ان لا يتزوج وان تزوج ولم يكن « حكيماً » غلبه داءه . اما النساء المسلولات فالحبل فقط يضرهن ضرراً شديداً ويغلّب داءهن عليهن . ومن ذلك كله يظهر ان الاعتدال وحسن المعيشة في الهواء النقي الجاف في الجبال مع قليل من الرياضة الخفيفة هي الدواء الوحيد الشافي من هذا الداء

وما اتى سليم على هذا الكلام حتى نُظر ابو مرعب راكضاً نحو الحرش ينهب الارض نهباً . فاشرأبت اليه الاعناق وقال كليم خيراً ان شاء الله ما وراء ابي مرعب . ولما وصل ابو مرعب صاح وهو يلهث تعباً هل بلغكم الخبر . فقالوا ماذا . فقال قد وجدنا كنزاً . فقال كليم وما هذا الكنز . فقال ابو مرعب لا اعلم . كنز كنز عظيم . فقال كليم فاخبرنا ما هذا

---

* ١ * هذه المعلومات عن السل مأخوذة من رسالة مطولة حديثة للدكتور داربرج وهي من اهم ما قيل في هذا الموضوع

الكنز. فجلس ابو مرعب وقصّ عليهم ما يلي

كنت الآن هناك مع ترجمان الجماعة واذ كنتُ اسأله عن المستر كدن. نكدن كيف يلفظ اسمه ؟ فاجاب كليم « كلدن » فقال تام « كلدن » فاجابني الترجمان انه غني عظيم تُقدر ثروته بخمسين مليون ليره . واذ كنتُ اسأله عن اخلاقه وصفاته اخبرني خبراً غريباً . فقد قال لي ان هذا الرجل يخرج في السنة مرة من بيته في شيكاغو الى المدينة وجيوبه ممتلئة باوراق البنك . ولا يزال يوزع منها على الذين يخدم في طريقه حتى تنفد . فربما وزع مليون فرنك في ذلك النهار . ولذلك يسميه الناس نهار كدن . . نكدن كيف اسمه فقال سليم ضاحكاً « كلدن » فقال ابو مرعب نعم نعم « نهار كلدن » وقد اخبرني الترجمان ان الذي ابتكر هذه الطريقة وحثه عليها شاب مستخدم في محله يُدعى « المستر كرنيجي » وكثيراً ما يرافقه في ذلك النهار . فما قولكم اذا جاء صاحب الملايين غداً وعلم بأني انقذت رجال حاشيته الا (يفتح يده) ويرينا جوده وكرمه .

فضحك الحاضرون وقال سليم اشير عليك ياعمي ابا مرعب ان تطلب منه ان يصنع « نهار كلدن » مرة في الحدث. فقال ابو مرعب والله هذا رأيٌ في غاية الصواب. وسنطلب ذلك منه كلنا. ثم نهض ابو مرعب واسرع ليجتمع ببعض رفاقه من اهل القرية ويتفق معهم على هذا الطلب

فلما غاب عن اصحابنا التفت كليم الى حنانيا وقال ماذا تصنع يا حنانيا اذا صنع المستر كلدن « نهاره » في الحدث

فاجاب فاضل عن حنانيا : اعوذ بالله . ان صاحبنا حنانيا يقطع نفسه عشرين قطعة في ذلك اليوم ليصادفه صاحب الملايين عشرين مرة

وكان حنانيا يضحك في اثناء ذلك وهو ساكت .

ولما عاد الاصحاب الاربعة من الحرش وجدوا خمسين قروياً جالسين حول ابي مرعب تحت بيته وهم يبحثون في طريقة يقنعون بها المستر كلدن ان يصنع « نهاره » في الحدث . وقد اخذوا منذ تلك الساعه يلاطفون رجال حاشيته ويكرمونهم احسن اكرام . ومابرحت المصالح تغيّر قلوب الناس في كل زمان ومكان

الفصل السابع

﴿ لا تريد المرور على بيروت ﴾

زوج اميركي وزوجة شرقية · الحسن الاميركي والحسن الشرقي · علطة ماذا بكتها صبرها · كيف احب كلدن امرأته واقترن بها

وفي هذه الاثناء كان المستر كلدن وزوجته وابنتان لهما وحاشيتهما الكثيرة صاعدة عند دير حنطورة في الطريق الموصلة الى عين السنديانة ·

وكانت الابنتان في مقدمة الركب وكل واحدة منهما على جواد ووراءهما امهما على جواد ايضاً يليها الأب على فرسه و بجانبه وكيل اشغاله ووراءهم الحاشية والخيام والبغال تحمل الاثقال

وكان المستر كلدن كهلاً في الخمسين من العمر · وهو جميل الوجه طويل القامة احمر اللون اشقر الشعر متقد العينين بالذكاء الاميركي المعروف وفي كل حركة من حركاته وكل كلمة من كلماته شيء يدل على النشاط والحدة

اما زوجته فقد كانت في نحو الثلاثين · وكانت بيضاء الوجه كالثلج المعمم قمم لبنان سوداء الشعر والعينين رشيقة القوام كغصن البان خفيفة الحركة فوق جوادها الرشيق كانها غزال على غزال

فكان هذا الزوج وزوجته يمثلان ضربَي الحسن في العالم · الحسن الاميركي الاشقر والحسن الشرقي الجامع بين اللون الابيض الناصع واللون الاسود الفاحم

والغريب ان ابنتيهما جاءتا واحدة على شكل امها وواحدة على شكل ابيها · وكانت احداها في التاسعة من العمر والاخرى في السابعة · وكانتا ثابتتين على ظهر جواديهما ثبات الفوارس · ولا عجب في ذلك لانهما ربيتا تربية اميركية

ولما حاذى الركب دير حنطوره كان المستر كلدن في حديث مع امرأته وقد تنحى عنه وكيل اشغاله · وكان يقول لها : لماذا تكرهين بيروت يا اميليا الى هذا الحد · حقاً انني صرت اخجل من قومي فيها لعدم استقبالنا اياهم فاجابت زوجته والحزن بادٍ في وجهها : حقاً انني ندمت يا جورج على سياحتنا هذه · فقهقه المستر كلدن وقال : كيف تندمين الآن بعد ان بكيتِ سنتين على هذه الزيارة · وفي كل يوم كنت تتنهدين وتقولين : هل ارى بلادي مرة قبل ان اموت ؟ فقالت اميليا والدموع في عينيها · لا تمزح يا صديقي في مسألة

بقول ليس من آداب الضيافة ان نمنع الاجانب من الاقامة في قريتنا والا صدّنا الناس حتى اهل القرى المجاورة . وكان في هذا الفريق صاحب المنزل نفسه . وفريق آخر كان يقول: نحن لا نبعد هؤلاء الضيوف لانهم بروتستنت فقط بل لان فيهم رجلاً مسلولاً اذ نخاف على قريتنا من العدوى

فرفع حينئذ ابو مرعب صوته وقال مخاطباً الفريق الذي كان يقاوم : يا شباب هل هذا المنزل منزلكم . فاجابوا كلا . فقال وهل لصاحبه الحق في اقفاله او هدمه او تلعيب القرود فيه ام لا . فاجاب احدهم وكان اجراهم . نعم له الحق في ذلك ولكنه ليس له الحق في ان يضع فيه شيئاً يضر باهل القرية كلهم . فقال ابو مرعب وقد بدا الغضب في وجهه . وما هو هذا الشيء يا ابن طنوس . فقال « المرض » (١) فصاح به الشهم ابو مرعب : هل انت بدون دين يا ابن طنوس حتى تضطهد وتطرد المرضى والضعفاء الذين اوصت ديانتنا بمساعدتهم وزيارتهم . ولماذا لم تطرد القرية اباك لما مات منذ سنتين بعلة الجذام

فسكت ابن طنوس ولكن شاباً بجانبه اجاب : هل الغريب كالقريب يا ابا مرعب . فقال ابو مرعب عافاك الله يا ابن سركيس فانك نطقت بالحق . فانتم اذاً تريدون اضطهاد هؤلاء الضيوف لانهم اجانب وبروتستنت لا لحفظ صحة القرية . فانا اخبركم انني الآن آخذهم الى بيتي وكل من تحدثه نفسه بمنعي فليتبعني

ثم اندفع ابو مرعب الى البغال فاخذ باحدها ومشى في المقدمة يتبعه المسافرون وبجانبه كليم وسليم يعجبان من كرم اخلاق هذا القروي

اما المسافرون الاميركان فانهم كانوا في اثناء ذلك يضحكون وقد افهمهم ترجمانهم كل ما جرى فاجابوا يس يس اي انهم رضوا بالاقامة في منزل ابي مرعب . الا انهم لم يشكروه على ذلك شكراً خصوصياً لانهم لم يعرفوا قيمة العمل الذي عمله معهم ذلك الرجل الكريم

ولما استقر بهم المقام في بيت ابي مرعب نادى سليم وكليم ترجمانهم وكان من تراجمة بيروت قدم معهم لهذا الغرض . وبعد ان تعرفوا به سألوه عن رفاقه وقصتهم فاخبرهم ان هؤلاء الثلاثة الاميركان هم من حواشي اميركي كبير قادم للسياحة في جهات الارز . فسأله سليم وما اسمه فاجاب الترجمان . اسمه « مستر كلدن » فصاح سليم مستر كلدن احد اغنياء اميركا العظام . فقال الترجمان نعم فان زوجته مريضة وقد حضر معها للسياحة

« ١ » متى قيل المرض على الاطلاق يعنون به هناك داء السل

في اعالي لبنان . وقد اشار عليهم اطباء بيروت ان يتخذوا الحدث محطة لم اذا اعجبتهم لان هواءها اجف الاهويه ومنها يزورون كل الاماكن الجميلة التي بجوارها . وهذا ما جعلنا نتقدمهم وننتظرهم

فقال كليم اذاً لستم مرسلين اميركيين كما ظن اهل القرية . فضحك الترجمان وقال كلا . فقال كليم ومن من رفاقك المصاب بداء الصدر . فضحك الترجمان ايضاً وقال لا اعرف احداً مصدوراً بينهم ولكن لون احدهم ضارب الى الاصفرار فحسبوه مصاباً او انهم ادعوا ذلك تأييداً لحجتهم . فضحك سليم وقال لا بأس نحن نحمد هذه الصدفة التي جعلتهم قريبين منا لاننا سنتعرف بالمستر « كلدن » ولا شك . فقال الترجمان وهل تحبون التعرف برجال بطانته . فاجاب سليم . ذلك ما نتمناه

وفي المساء زار سليم وكليم المسافرين الاميركان فاحسنوا استقبالهم وقد سروا لمصادفتهم اديبين مطلعين يحادثانهم بلغتهم حديثاً مفيداً عن المكان السكان . وفي اثناء الحديث سأل سليم احدهم : بلغنا من الترجمان ان مسز « كلدن » مريضة وهذا سبب سياحتها مع زوجها المكرم ولكن ما مرضها . فضحك المخاطب واجاب « مرض الوطن » فاستغرب سليم وكليم ذلك فقال صاحبهما : نعم انا اخبركم الآن شيئاً جديداً وهو يسركما ولا شك . فان مسز كلدن اصلها من بر الشام . ولم تنفك عن الاشتياق الى وطنها الاول . فجاء بها المستر كلدن في هذا العام لعل صحتها تعود اليها في هذه السياحة التي هي متعبة وان كانت جميلة



الفصل الخامس

⁂ قصة مجنون ليلى ⁂

وهل اعطات حبيبته ام اضابت في سفرها

وفي ذلك الليل نام كليم وسليم نوم الهناء بعد تعب السفر . ونهضا في صباح اليوم التالي نشيطين مسرورين . الا انهما شعرا قبل شروق الشمس بشيء من البرودة لم يتعوداه في اغسطس لقياسهما الجبل على السهل . لكن لما طلعت الشمس وما زجت ذرات نورها الحار ذرات الهواء البارد شعرا بارتياح شديد لم يشعرا بمثله في حياتهما كلها . ومنذ هذه الساعة بدأت الحدث تكون جميلة في عيونهما

ولما تعالت الشمس فوق المشرق واشتدت حرارتها قليلاً انتبه امين من النوم واوعز الى ابويه ان يستعدا للذهاب الى حرش الصنوبر القريب من القرية ليتناولوا طعام الصباح هناك مع ضيفيهما · فبعد نصف ساعة سار كليم وسليم نحو الحرش وركب امين حماراً لانه كان عاجزاً عن المشي لضعفه وسار ابواه وراءه · والمسافة بين القرية والحرش نحو ٤ او ٥ دقائق · وهذا الحرش قائم بين القرية القديمة وبضعة منازل جديدة بنيت وراءه الى الجنوب وهو مغروس فوق اودية متتابعة تتدرج من الحدث الى السهل فيُرى من ورائه بحر الكوره والبترون وما وراءه من الافق ·

فجلس الرفاق هناك في اجمل مجلس وتناولوا طعام الصباح · وقد جعل امين مجلسه بعيداً من مجلس صديقيه وفصل طعامه عن طعامهما · فكان هذا الشعور اللطيف منه يزيد صديقيه رغبة في محو ذلك الاثر من نفسه · ولكن واأسفاه ما الفائدة من محو ذلك الاثر من النفس ما دام بادياً في الوجه · فان امينا كان في تلك الجمعية التي كانت تتمتع بالصحة والعافية في ذلك المكان المشرف على مناظر الجبال الجميلة والمعطر الهواء برائحة الصنوبر الطيبة – عبارة عن شبح وخيال · فان العلة المائلة اكلت وشربت لحمه ودمه · والهزال افنى قواه واخمد نار عينيه وصبغ وجهه اللطيف بلون الموت · ولم يبقَ من قوة لتلك الروح الصبورة في ذلك الجسم النحيف الذي صار كاجسام الاولاد – سوى قوة الابتسام بشفتيه الرقيقتين تحت شاربيه الاشقرين الدقيقين اللذين صارا لا يظهران كثيراً لامتزاج لونهما بلون الوجه · فبالابتسام فقط كانت تظهر حياة امين وعواطفه وارادته · وكان يجود بالابتسام دائماً اظهاراً للقوة وايناساً لجلاسه · فهنا نقول مرة ثانية ايضاً : ما رأى الممرضون قط مريضاً شجاعاً صبوراً مثل الفتى امين · والعجب من نفس قوية صبورة كهذه النفس كيف استطاعت العلة ان تقوى عليها

وكان لا ينغص عيش سليم وكليم شيء في ذلك المكان الجميل سوى هذه الافكار التي كانت تتردد عليهما · ورغبة في طردها وتسلية المريض دخلا في الحديث معه · فقال كليم الا تذهب معنا الى الارز ايها الصديق · فضحك امين وقال انتَ ترى انني لا اقدر على الركوب من القرية الى هنا · فقال سليم · لا تبالغ فانك بخير والحمد لله وانك تستطيع الذهاب معنا الى الارز اذا أردته · ولك علينا اذا سرتَ معنا ان نريك « فرجة » لم ترها في حياتك · · فقال امين وما هي · فقال سليم نريك مجنون ليلى · فقال امين ومن هو مجنون ليلى · فقال سليم هو رجل جنَّ من الحب · فصاح امين : لعلك تريد بهذا الرجل المسيو مخلوف · فدهش سليم وكليم وقالا : هل تعرفه · فقال امين هذا امر بسيط فان كل الناس هنا يعرفونه

و يعرفون قصته . فقال سليم وهل تعرفها بالتفصيل فقال نعم ولكن اين شاهدتموه

فقص عليه سليم كيف شاهدا مخلوف في عين السنديانة وما جرى له وكيف وعدها بان يقابلها في الارز . فقال امين : اظن هذا كل ما تعرفونه عنه اما انا فانني اقص عليكما قصته من اولها الى اخرها كما سمعتها من عارفيه واليك تفصيلها

ان اسم مخلوف الاصلي (يعقوب درمان) وهو شاب اديب من بلده صور وكان منذ عشر سنوات مكبًا على الدرس استعدادًا لفن المحاماة . وبينما كان ذات يوم يطالع بعض دروسه على شاطئ البحر واذا به يسمع صراخًا وعويلاً فركض فابصر خادمة تنادي على سيدة لها بين الامواج تكاد تغرق فالقى نفسه حالاً باثوابه في البحر وانقذ السيدة . وكانت هذه السيدة فتاة في نحو الثامنة عشرة من العمر وهي كريمة تاجر كبير في صور . وقد رامت الانتحار غرقًا لاسباب مجهولة . فلما انقذها يعقوب ارسلها الى بيتها وكانت مغشيًا عليها . فكاد ابوها يموت من حزنه ولكن الحياة عادت اليها . ومنذ ذلك اليوم احبها يعقوب درمان حبًا شديدًا يقرب من العبادة ومالت الفتاة اليه لانه انقذ حياتها. لكن الاقدار عاكستهما بعد ذلك . فان اباها على ما يقال توفي في ذلك العام وقد خسر جميع امواله وانحطت كرامته بين قومه بعد ان كان عزيزًا بينهم و بذلك بقيت ابنته وحدها اذ لم يكن في البيت غيرها لوفاة امها. وكان يعقوب درمان فقير الحال ايضًا . فرأت الفتاة انها اذ اقترنت به ازدادت سوء حال على سوء حال . وكانت عزيزة النفس شديدة الانفة لانها نشأت في الترف والغنى والدلال فكرهت ان تقيم ذليلة فقيرة في بلدة كانت فيها العزيزة المبجلة. فغافلت حبيبها يعقوب وفرّت مسافرة مع احدى البواخر التي تمر على صيدا وتركت له ورقة تقول له فيها « انسني واسلني بعد الآن » ويظهر ان دماغ يعقوب ضعيف من فطرته فلم يقوَ على تحمل هذه الصدمة فجنّ من يومها

فقال سليم ولكن كيف سافرت الفتاة وحدها الى بلاد لا تعرفها ؟ فاجاب امين لا تسل عن ذلك فانها نشأت في مدارس الاميركان وانت تعلم انهم يربون البنات في مدارسهم على الجرأة والاقدام والاستقلال . وهو امر احيانًا يكون نافعًا واحيانًا يكون ضارًا

فضحك كليم وقال لا ريب اننا اذا رأيناه نحن في هذه الحادثة نافعًا فان الخواجه مخلوف يراه مضرًا جدًا لانه فقد به حبيبته وعقله

فقال كليم ولكن عندي ان الفتاة لم تخطئ . اذ لا اصعب من معيشة الانسان محتاجًا الى الناس في بلدة كان فيها من قبل غنيًا عنهم . فان دناءة الشامتين ولؤم المنتقمين ووقاحة

حديثي النعمة الذين يحلون محل ذلك الانسان بعد سقوطه امور لا تحتملها النفوس

فقال امين بهدوء ورزانة : ما للانسان وكلام الناس انما عليه ان يعيش بهدوء مستوراً واذا كان في الناس قوم « ارديا » يشمتون وينتقدون ففيهم قوم « طيبون » يؤانسون ويعزون . فقد كان على الفتاة ان تبقى ولا تسافر بهذه الصورة الشنيعة .

فقال كليم ضاحكاً : لو سمعك مخلوف الآن لاعطاك طربوشه من فرحه

فقال امين ضاحكاً : وما نفعي منه فان طربوشه قذر — فضحك الجميع لهذا الجواب

الفصل السادس

﴿ حديث في حرش صغير ﴾

التصييف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسره واوربا . هل يجوز للهيئة الاجتماعية عزل المرضى . السل داء الانسانية الاسود . آخر الآراء والابحاث في اسبابه وعلاجه . كريحي الاول

وقد طابت الاقامة لسليم وكليم في هذا الحرش الصغير فصارا في كل يوم يقصدانه مرة او مرتين للاستظلال به من حرّ الشمس . ولكنهما لم يكونا يجلسان في الظل ربع ساعة حتى يبردا فينهضا الى الشمس فيسخنا فينهضا الى الظل وهكذا على التتابع . وكانا يصرفان الوقت هناك بالحديث ومطالعة اطايب الكتب

فبعد ان مضى عليهما بضعة ايام في هذه المعيشة نظرا الى نفسيهما ذات يوم وهما في ذلك المكان فاذا بهما قد صار جسمهما ممتلئاً قوة وصحة وتوردت وجناتهما واكتسيا من هواء الجبال ثوباً زاهياً غطى ثوب الاصفرار والضعف الذي كستهما به المعيشة المدنية . وكانا ينظران الى نفسيهما في المرآة ولا يصدقان . فالتفت سليم الى كليم وقال : ان الذين يعيشون في السهول والمدن في الشام وغيرها يخطئون اشد خطاء اذا كانوا لا يصعدون مرة في العام الى جبال كهذه الجبال لتجديد قوام ودماءهم . فاجاب كليم انا موافق على رأيك بعد ما شاهدته في صحتي من التحسن . تالله انني احسب نفسي انني كنت ميتاً وبُعثت . فانني آكل ولا اشبع واشرب ولا ارتوى . وامشي ولا اتعب . واحياناً اخشى لنشاطي وخفة جسمي ان اطير في الهواء . فضحك كليم وقال : ما رأيك باصحابنا في الشام وفي مصر الذين يقصدون جبال سويسره وبلاد اوروبا في الصيف ويتركون هذه الجبال التي فيها المعيشة ارخص ما يكون .

[illegible]

[illegible]

[illegible] في القرية

[illegible] ضربة [illegible] الشقية [illegible]

[illegible] وكملت [illegible]

[illegible] بلا [illegible] (صية) [illegible]

[illegible] على [illegible] وفي [illegible] وكلامه [illegible] من المشهور [illegible] شديد لاحلاص ورغبة في [illegible] وقصد [illegible] .

وبنا [illegible] الحديث بين [illegible] فقال حليم وكيف ذلك . [illegible] جرت عادته [illegible] الكروم الممتدة امامنا من القرية الى حرش الارز الصغير [illegible] جيلاً جلس كالثعلب بجانبه ويتناول منه انضج حبوبه واكبرها . ولا [illegible] يشبع . ففي هذا الصباح بينما كان « ينطر » بهذه الطريقة نظره [illegible] الناطور [illegible] الكرم [illegible] واسرع اليه فاجابه صاحبنا بكل « برودة » قلب ماذا تريد . فقال له [illegible] الناطور [illegible] الكرم . فقال له بغضب ولماذا . هل هو كرمك . قال بلا شك . فقال له [illegible] (الحبة) التي بيدك لاتحقق ذلك ـ وامري ان هذه خير الطرق لا [illegible] من [illegible] بارة واحدة .

فقال كليم اذاً لايظلم اهل القرية كثيراً ضيوفهم بمعاملتهم [illegible]

« ١ » كانت كذلك في زمن هذه القصة اما اليوم [illegible] ان يكون في هذا الكلام ما يجب الى كرام [illegible] او طرابلس بدل سويسرة واوربا

اذا كانوا كلهم « على نسق » صاحبنا حنانيا

فقال حنانيا انا لست سلاً ولا بروتستنت ليستطيعوا طردي فانني قاعدهنا على صدورهم الى ان يحلو لي السفر . ثم فلنترك الآن المزاح هل بلغكم عزم اهل القرية على التجمهر لاخراج المرضى من قريتهم

فقال سليم . وما قولكم في قصدهم هذا الا ترون فيه شيئاً من الحق

فاجاب فاضل بحدة : عفواً عفواً . ان لاهل القرية الحق في ابعاد المرضى عنهم كان للمرضى وخصوصاً المصدورين الحق في اختيار الحدث للاقامة فيها لان هواءها اجف الاهوية والاطباء يامرونهم بان يسكنوها . ومن الخشونة والهمجية ان يداس حق الضعفاء ارضاء للاقوياء

فقال سليم فما الحيلة لارضاء الفريقين . اليس هناك يا ترى طريقة جامعة

فقال فاضل كنتُ افكر منذ مدة في هذا الامر حين سماعي ذلك الخبر فحللت هذه المشكلة . وذلك ان يُبنى فوق القرية تحت الارزات التي هناك « مستشفى للمرضى » مؤلفاً من عشرين او ثلاثين غرفة جامعة لكل الشروط الصحية على نسق المستشفيات الصحية للمسلولين في اوربا (سانتوريوم) وحينئذ يجتمع المرضى من تلقاء انفسهم في هذا المستشفى بدل ان ينتشروا في منازل القرية ويخاصموا الاهالي لاستئجارها(١)

فقال كليم لقد اصبتَ فان هذا خير حل . وحينئذ يكون من حق الاهالي اجبار المرضى على الانفراد بذلك المستشفى . والا فكل مقاومة منهم تعد خشونة وقسوة اذ الارض ليست ارضهم ولا الهواء هواءهم بل هما لله . اي انهما مشتركان بين جميع البشر . واذا لم يقم احد لبناء هذا المكان الصحي فانني اؤكد ان الحدث لا يقصدها في المستقبل غير المرضى فتخسر خسارة غير قليلة

فقال سليم . نعم ان السل آفة هائلة . والناس يرهبونه كما يرهبون نيران جهنم

فقال حنانيا ولكن من اين تنشأ هذه الآفة المهلكة التي كثرت في بلادنا . ثم اليس من دواء لها

فقال سليم لقد اطلعت منذ اسبوعين على آخر الابحاث والآراء في هذه الآفة ومنها يظهر ان السل يصاب به نصف البشر على الاقل . فبعضهم يشفى منه دون ان يدري به(١)

« ١ » بُني هذا الراي على المبداء الذي يجري عليه اليوم جمهور الاطباء والشارعين في الغرب وهو انه ليس للهيئة الاجتماعية ان توجب على الطبيب المريض بعلة مرضاه لمعزلهم الحكومة عن الناس الا متى بنت لهم الحكومة مستشفيات صحية مجانية يجدون فيها كل عناية

« ١ » عُرف ذلك من تشريح الجثث في مستشفى باريز

وبعض بيوت . [illegible] الاسنة [illegible]

[illegible] . [illegible] لا [illegible] الا [illegible]

في [illegible] الا [illegible] [illegible]

ويقولون [illegible] [illegible]

ضعيفة . [illegible]

بكثير [illegible] ضعف البنية . [illegible]

والقلب [illegible] في صحة تؤدي اليه كل طرق الشقاء [illegible] بالفساد

« [illegible] الدواء [illegible]

جميع [illegible]

في [illegible]

المرضى به لا [illegible]

عليكم لا [illegible] . [illegible] كيف تحمي [illegible] فجوابي لا دواء [illegible] غير [illegible]

« الهواء النقي والغذاء الكافي » [illegible] عن العلاجات والادوية [illegible] في

التعجيل . وكثير [illegible] دوية [illegible]

فلك من [illegible] تلك الادوية [illegible]

وقت ابتداء الداء في [illegible] وحيد في التنفس . ولا ينبغي [illegible]

فان بعض الاطباء داوى بعض المرضى بالسل ٢٠ سنة وكثير يعيشون [illegible]

رزقوا اولادا وعاشوا عمرا طويلا . ولكن المسلول [illegible]

ولم يكن « حكيما » [illegible] . اما النساء المسلولات [illegible]

ويتناب داءهن عليهن . ومن ذلك كله يظهر ان الاعتدال وحسن المعيشة في الهواء النقي

الجاف في الجبال مع قليل من الرياضة الخفيفة هي الدواء الوحيد الشافي من هذا الداء

وما اتى مليم على هذا الكلام حتى نظر ابو مرعب راكضاً نحو الحرش يلهب الارض نهباً . فاشرأبت اليه الاعناق وقال كليم خيران شاء الله ما وراء ابي مرعب . ولما وصل ابو مرعب صاح وهو يلهث نبأ هل بلغكم الخبر . فقالوا ماذا . فقال قد وجدنا كنزاً . فقال كليم وما هذا الكنز . فقال ابو مرعب لامنا . كنز كنز عظيم . فقال كليم فاخبرنا ما هذا

---

* ١ هذه المعلومات عن السل مأخوذة من رسالة مطولة حديثة للدكتور [illegible] وهي من [illegible] ما قيل في هذا الموضوع

الكنز . فجلس ابو مرعب وقص عليهم ما يلي

كنت الآن هناك مع ترجمان الجماعة واذ كنت اسأله عن المستر كدن . نكدن كيف يلفظ اسمه ؟ فاجاب كليم « كلدن » فقال تام « كلدن » فاجابني الترجمان انه غني عظيم تقدر ثروته بخمسين مليون ليره . واذ كنت اسأله عن اخلاقه وصفاته اخبرني خبراً غريباً . فقد قال لي ان هذا الرجل يخرج في السنة مرة من بيته في شيكاغو الى المدينة وجيوبه ممتلئة باوراق البنك . ولا يزال يوزع منها على الذين يخدم في طريقه حتى تنفد . فربما وزع مليون فرنك في ذلك النهار . ولذلك يسميه الناس نهار كدن . . نكدن كيف اسمه

فقال سليم ضاحكاً « كلدن » فقال ابو مرعب نعم نعم « نهار كلدن » وقد اخبرني الترجمان ان الذي ابتكر هذه الطريقة وحثه عليها شاب مستخدم في محله يدعى « المستر كرنيجي » وكثيراً ما يرافقه في ذلك النهار . فما قولكم اذا جاء صاحب الملايين غداً وعلم بانني انقذت رجال حاشيته الا (يفتح يده) ويرينا جوده وكرمه .

فضحك الحاضرون وقال سليم اشير عليك يا عمي ابا مرعب ان تطلب منه ان يصنع « نهار كلدن » مرة في الحدث . فقال ابو مرعب والله هذا رأي في غاية الصواب . وسنطلب ذلك منه كلنا . ثم نهض ابو مرعب واسرع ليجتمع ببعض رفاقه من اهل القرية ويتفق معهم على هذا الطلب

فلما غاب عن اصحابنا التفت كليم الى حنانيا وقال ماذا تصنع يا حنانيا اذا صنع المستر كلدن « نهاره » في الحدث

فاجاب فاضل عن حنانيا : اعوذ بالله . ان صاحبنا حنانيا يقطع نفسه عشرين قطعة في ذلك اليوم ليصادفه صاحب الملايين عشرين مرة

وكان حنانيا يضحك في اثناء ذلك وهو ساكت .

ولما عاد الاصحاب الاربعة من الحرش وجدوا خمسين قروياً جالسين حول ابي مرعب تحت بيته وهم يبحثون في طريقة يقنعون بها المستر كلدن ان يصنع « نهاره » في الحدث . وقد اخذوا منذ تلك الساعه يلاطفون رجال حاشيته ويكرمونهم احسن اكرام . وما برحت المصالح تغير قلوب الناس في كل زمان ومكان

الفصل السابع

﴿لا تريد المرور على بيروت﴾

زوج اميركي وزوجة شرقية · الحسن الاميركي والحسن الشرقي · غلطة فتاة يبكتها ضميرها ·
كيف احب كلدن امرأته واقترن بها

وفي هذه الاثناء كان المستر كلدن وزوجته وابنتان لهما وحاشيتهما الكثيرة صاعدة عند دير حنطورة في الطريق الموصلة الى عين السنديانة ·

وكانت الابنتان في مقدمة الركب وكل واحدة منهما على جواد ووراءهما امهما على جواد ايضاً يليها الأب على فرسه وبجانبه وكيل اشغاله ووراءهم الحاشية والخيام والبغال تحمل الاثقال

وكان المستر كلدن كهلاً في الخمسين من العمر · وهو جميل الوجه طويل القامة احمر اللون اشقر الشعر متقد العينين بالذكاء الاميركي المعروف وفي كل حركة من حركاته وكل كلمة من كلماته شيء يدل على النشاط والحدة

اما زوجته فقد كانت في نحو الثلاثين · وكانت بيضاء الوجه كالثلج المعمم قمم لبنان سوداء الشعر والعينين رشيقة القوام كغصن البان خفيفة الحركة فوق جوادها الرشيق كانها غزال على غزال

فكان هذا الزوج وزوجته يمثلان ضربي الحسن في العالم · الحسن الاميركي الاشقر والحسن الشرقي الجامع بين اللون الابيض الناصع واللون الاسود الفاحم

والغريب ان ابنتيهما جاءتا واحدة على شكل امها وواحدة على شكل ابيها · وكانت احداها في التاسعة من العمر والاخرى في السابعة · وكانتا ثابتتين على ظهر جواديهما ثبات الفوارس · ولا عجب في ذلك لانهما ربيتا تربية اميركية

ولما حاذى الركب دير حنطوره كان المستر كلدن في حديث مع امرأته وقد تنحى عنه وكيل اشغاله · وكان يقول لها : لماذا تكرهين بيروت يا اميليا الى هذا الحد · حقاً انني صرت اخجل من قومي فيها لعدم استقبالنا اياهم فاجابت زوجته والحزن بادٍ في وجهها : حقاً انني ندمت يا جورج على سياحتنا هذه · فقهقه المستر كلدن وقال : كيف تندمين الآن بعد ان بكيت سنتين على هذه الزيارة · وفي كل يوم كنت تتنهدين وتقولين : هل ارى بلادي مرة قبل ان اموت ؟ فقالت اميليا والدموع في عينيها · لا تمزح يا صديقي في مسألة

كهذه المسالة فان قلبي في غاية الالم . نعم كنت اشتاق في بلادنا الى رؤية البلاد التي ربيتُ فيها ولكني اول ما وصلتُ اليها تغير قلبي فعلمت حينئذ انه قد كتب لي التعاسة على هذه الارض . فانني اذا قمتُ في بلادنا اميركا شعرتُ انني غريبة فيها واذا جئت بلادي الاصلية شعرتُ ايضاً انني غريبة . فشاني شان طائر نسفت الزوابع عشه واستأصلت الشجرة التي كان ياوي اليها فلم يبقَ له أمل في الراحة وان وجد عشاً احسن من عشه الاول وشجرة افضل من شجرته الاولى . وليس معنى كلامي هذا انني غير راضية بحالتي الحاضرة . فانني من فضلك ونعمتك في الف فصل والف نعمة . ولكن ماضيَّ شديد الضغط على نفسي

وهنا انحدرت الدموع من عيني اميليا . فصاحت بها ابنتها الاولى : عدنا الى البكاء يا ماما . اذا لم تسكتي فانني ابكي ايضاً . وقال لها زوجها . الحق اقول لك يا عزيزتي انني لا أعرف سبباً لهذا الحزن واليأس . فانك تعلمين اننا صنعنا كل ما في امكاننا لم نعثر على اثر لابيك . وقد عرضتُ عليك الف مرة ان ننتقم من اعدائه فكان جوابك ما الفائدة من الانتقام .

فهنا اغرقت اميليا في البكاء وقالت نعم ما الفائدة من الانتقام فانه لا يردُّ لي ابي . ولو عثرت على ابي فربما كنتُ طاوعتك على الانتقام ارضاء له . لانه تعذب كثيراً في اثناء حياته . ومن العدل ان يعذَّب معذبوه وان كنت لا احبُّ عدلاً كهذا العدل . ولكن ماذا كان جواب الباحثين عنه في جهات البرازيل

قال لم يجدوا له اثراً . وانت تعلمين انني نشرت منشوراً في جميع اقطار الارض في الشام ومصر واوربا واميركا وآسيا وافريقيا ووعدت بدفع مليون فرنك جائزة للذي يجد « الخواجه متى حاروم » ويدلنا عليه وها قد مرَّ على هذا المنشور سنوات والوف من الناس يبحثون عبثاً طمعاً في الجائزة . فاعتقدي يا حبيبتي بعد الآن ان اباك الكريم قد توفي الى رحمة الله وسبقنا الى الآخرة . لانه من المحال ان يكون حياً ولا نعثر عليه بعد كل هذا التفتيش . ولا تنسي اننا كلنا ضيوف في هذه الارض وان وطننا الحقيقي فوق . فتعزي ولا تحزني حزن الذين لا رجاء لهم

فاطرقت اميليا برهة تبكي بسكوت . ثم قالت ليس بكائي للموت بل بكائي للغلطة العظيمة التي ارتكبتها . وهذا ما يعذبني ويضغط على نفسي وضميري . فانني تركت ابي في اشد الاوقات عليه حين تخلت عنه الارض والسماء وابتعد عنه الاقربون والابعدون . فكنت اقسام عليه واجمدم لجميله لانني كنت اقربهم اليه . وانني اخشى ان يكون قد

مات في الشيخوخة والضعف والفقر والوحدة وهو يلعنني

فهنا رام كلدن ان يصرف فكر زوجته عن هذه التذكارات المحزنة فقال ضاحكاً : اما انا فلا اعتبر سفرك من بلادك الى اميركا غلطة يا اميليا لانني لولا هذا السفر لما التقيت بك واقتنصتك . فانا اشكرك لتلك الحدة التي حملتك على السفر . ولا يزال يحلو لي ان اتذكر معك اليوم الذي لقيتك فيه في واشنطون . فقالت اميليا مبتسمة دعنا من هذه الذكرى . فقال لا بل دعيني اتكلم بحياتك . فقد خرجتُ في ذلك اليوم لأعمل « نهار كلدن » ومعي المستر كريبجي كاتم اسراري . فبعد ان ذهب نصف ما في جيوبي من الاوراق وصلت الى الساحة القريبة من دار الحكومة فوجدتك سائرة في طريقك مع احدى بنات جنسك . فمدوت يدي اليك بورقة قيمتها خمسمائة دولار وقد فعلتْ فيَّ عيناك ما لا يفعله السحر . ذلك انكم انتم الشرقيون لا تعرفون مبلغ التأثير الذي يؤثره فينا الجمال الشرقي الخاص بكم . فكان جوابك انكِ رفعتِ يدكِ ولطمتني على وجهي لطمة ارتني « نجوم الظهر » كما يقولون في لغتك . لانك ظننتِ انني رجلٌ بذيءٌ يقصد اغوائك بماله . فكبر قدرك منذ ذلك الحين في عيني وازدريت بهذا الفعل جمالك الادبي بعد ان رأيت في وجهك جمالك الاذوي . وانتِ تعرفين التتمة . فبالله اخبريني كيف اجترأتِ على لطم رجل قوي مثلي قادر على سحقك بقبضة واحدة

فقالت اميليا تعلمت ذلك من معلمتي في المدرسة فانها قصت علينا يوماً ان احد الوقحين عرض عليها في سوق نيويورك مالاً لتجاوبه فلطمته بلطمة على وجهه ففرَّ كالمرِّ المطرود . فقال كلدن حينئذ رافعاً رأسه افتخاراً : هل من ينكر بعد هذا فضل مدارسنا في الشرق .

وقد سرَّ المستر كلدن من اجوبة زوجته لانه قدر بذلك على صرف افكارها عن موضوعها الاول . ولم يعد يسألها لماذا كانت تكره الاقامة في بيروت والسفر الى صور وصيداء

الفصل الثامن

الفلسفة والمكاري بطرس

(قصة امين)

وبينما كان كلدن وزوجته صاعدين مع حاشيتها الى الحدث كان سليم وكليم يتأهبان للسفر منها الى الارز . لان اصدقاءهما في اهدن سافروا الى الارز وبعثوا يستعجلونهما . فقال كليم لرفيقه ستتعرف بالمستر كلدن بالارز فهلمَّ بنا نسافر لان الاقامة هناك تحت ظل الارز العظيم افضل من الاقامة هنا

ولما دخل كليم وسليم لتوديع صديقهما امين ظهر الحزن في وجهه . وكان قد ازداد ضعفاً وهزالا . فودعهما وهو يقول اظن هذا الوداع هو الوداع الاخير . فقال كليم متأثراً لم نعهد قلبك ضعيفاً ايها الصديق فعلامَ الخوف وانت متقدم الى الصحة ان شاء الله. فهزَّ امين رأسه وقال هل تظن انني اخاف الموت . كلاَّ . فان الموت راحة لمن كان مثلي . وانما انا آسف لامر واحد .

قال ذلك وانحدرت الدموع من عينيه

فترقرق الدمع في عيني سليم وكليم وقال كليم : ما هو هذا الشيء . فقال امين: هو ان اخرج من هذه الحياة قبل ان انتقم من الظالمين

ففهم كليم مراد امين في الحال واجابه : كن على ثقة ايها الصديق انك ستشفى وتنتقم لنفسك . فان الله اعدل من ان يسحق المظلومين ويرفع الظالمين . واذا افترضنا المحال وقويت عليك علتك لعدم مداراتك نفسك فاعلم ان الظالم سيسقط من نفسه لان كل ما يُبنى على الظلم فهو مهدوم . والبغي مصرعه وخيم

فهزَّ امين رأسه وقال : وااسفاه انني لا ارى هذا الامر واضحاً كل الوضوح في الحوادث البشرية . — ثم انطرح على فراشه يفكر والدموع ملء عينيه . وكان منظره حينئذ كمنظر جندي سقط قتيلاً في ساحة العراك في آخر النهار

اما سليم وكليم فانهما ركبا بغلين قويين وانحدرا من الحدث قاصدين وادي حصرون . وكانا هذه المرة ساكتين يفكران بكلام الصديق امين . فسأل سليم رفيقه هل من مانع

يمنعك من اطلاعي على مرادامين بكلامه الاخير . فقال كليم كلا ولكن ليست هذه القصة جديدة في الارض . فانها قصة كل المغلوبين والمقهورين والمظلومين فيها . انها قصة العراك الابدي الذي بين الناس وهو ما يسمونه (تنازع البقاء) فان اميناً كان من موظفي الحكومة وكان محبوباً مسموع الكلمة لذكائه وعقله . وكان على وشك الاقتران بفتاة يحبها وهي ذات دوطة طائلة . وكان احد تجاركم في بيروت يطمع في دوطتها ليصلح بها احوال محله التجاري المتضعضع . فوشى لدى الحكومة سرًّا بان اميناً يعاون حزب تركيا الفتاة ويراسله فعزل وسجن واهين ولم يطلق سراحه حتى ظهر مرضه . اما الواشي فلم يتمكن من الاقتران بخطيبته لانها تركت الاثنين معاً

فقال سليم ومن هو ذلك الواشي . فقال كليم : هو « الخواجه لوقا طمعون » فقال سليم هذا تاجر اصله من صيدا لا من بيروت وقد سمعت الناس يذمونه كثيرًا لسوء اخلاقه .

وكان مع الرفيقين في هذه المرة مكارٍ من الحدث وهو شاب قوي البنية ربعة الجسم يُدعى (بطرس) فسأل رفيقيه « هل تمرون على الديمان في طريقكم يا خواجات » فسأله كليم هل اليوم غبطة البطريرك في مصيفه هذا . فاجاب بطرس كلا بل هو غائب . فقال كليم فلنمضِ اذًا في سبيلنا

وكانت يومئذ الدار البطريركية في الديمان دارًا يدل ظاهرها على البساطة والقدم . اما اليوم فقد اقيم هنالك قصر فخيم على الطراز الحديث للسلطة البطريركية

وكانَ سليماً وكليماً راما طرد الافكار السوداء التي كانت تتردد على ذهنيهما من كلام امين ووداعه فقال الثاني للاول : لقد سلانا المكاري جرجس قليلاً من قلمات الى الحدث فبماذا يسلينا بطرس . فقال سليم اسمع . ثم التفت الى بطرس وقال له يا بطرس : لماذا تنادينا خواجات . فاجاب بطرس بوجل اذا كنتم بكوات يا معلمي فارجو السماح . فقال سليم ولا بكوات . بل نحن بشر مثلك . فاذا كنا خواجات فانت خواجه ايضاً لان كل البشر اخوان . فتنهد بطرس وقال : هذا في القول يامعلمي فقط . وما ابعد القول من الفعل الا ترى انكم راكبون وانني ماشٍ . وهذا اول فرق بيننا . فضحك سليم وكليم وقال سليم لرفيقه حقاً ان مكارينا نبيه . ثم التفت اليه وقال . ما عنيتُ هذا بقولي . وانما عنيتُ انا واياك متساوون لدى الحكومة ولدى الله وان كان البشر يعطون بعضنا امتيازات دون بعض . فانت لست بمديون لي بشيء سوى ما تقبض اجرته مني . وانا كذلك . فالآن انا راكب وانت ماشٍ باختيارك وطوعك حسب الاتفاق الذي عقدناه على ان اعطيك اجرة تعبك . فلست اذًا

امتاز عنك بشيء سوى انني تعبت وحصلت مالاً اقدر به على ان اريح نفسي من المشي · وبئست هذه الراحة لانني افضل ان اتعب مثلك واكون بصحة كصحتك

وكان سليم يتكلم وبطرس يظهر الدهشة والاستغراب · ثم اجاب · حقاً قلتَ الصواب يامعلمي · فصاح سليم رجعنا الى «معلمي» اما انا بشر مثلك · بل انت الآن معلمي لانك اقوى مني ونفعتني يبغلك اكثر مما نفعتك · فضحك بطرس وقال : حقاً قلتَ الصواب فيما يختص بالاجرة والركوب · ولكن قولك يا معلمي اننا كانا متساوون لدى الحكومة والله فيه نظر · فانني اصدق كل شيء الا هذا · اما المساواة عند الله فلندعها جانباً · لاننا متى وصلنا الى هناك نبقى نتكلم عنها · واما المساواة لدى الحكومة فاحب ان ندخل على سعادة القائمقام حين يصيف في الحدث (١) ونرى الناس كيف يجلسون في حضرته وبعد ذلك نبقى نتكلم عن المساواة لدى الحكومة

فقال سليم هذا ليس ببرهان لان الناس كثيراً ما يسيئون في تنفيذ الشرائع فلا تلصق الاساءة بالشرائع نفسها بل بمنفذيها

فقال كليم لرفيقه لا بأس بهذا الحديث اذا كان لا يحدث منه ضرر · ولكني كنت اتمنى ان لا تكون هذه التجربة فينا لئلا نكون اول من يجني ثمارها

ثم استمر الرفاق الثلاثة سائرين فقطعوا الديان وهبطوا في وادي حصرون · وكان بطرس في اثناء ذلك يفكر في كلام سليم وهو يقول في نفسه : حقاً ما اجهلنا نحن سكان القرى · صحيح · ما الفرق بيننا وبين الخواجات والبكوات والحكام · نحن ناكل كما ياكلون ونشرب كما يشربون ونمشي كما يمشون ونفتكر كما يفتكرون وندفع ما علينا للحكومة كما يدفعون · فلماذا يكون كل الاكرام لهم وعلينا الخدمة والطاعة والذل · والله لما اعود الى القرية ويقول لي البك اعمل هذا اولا تعمل هذا فكل جوابي يكون انني ادير له ظهري واهزّ راسي وامشي في سبيلي

وفي هذا الحين كان الرفاق الثلاثة قد قطعوا حصرون ووصلوا الى نبع ماء على الطريق ماؤه كالفضة الجارية صفاء والثلج الذائب برودةً · فصاح سليم : يا بطرس ناولنا ماء لنشرب · وكان بطرس يفكر كما تقدم في عباراته الاخيرة · فكان كل جوابه لسليم ان هزّ راسه وادار ظهره وسار في سبيله

(١) كان قائمقام البترون يصيف في الحدث مع دوائر الحكومة لما تكون القائمقامية في عهد المرحوم اسعد بك كرم المشهور الذي كان يصيف في وطنه اهدن

فقهقه كليم حتى كاد يقع عن ظهر البغل وقال لسليم · تفضل يا صاحبنا وانظر نتيجة مبادئك
اما سليم فانه غضب وصاح ببطرس قلت لك ناولني ماء لاشرب · فاجاب بطرس ولماذا
لا تشرب انت · فقال لان كاس الماء بعيدة ولا استطيع الدنو من النبع وانا راكب · فقال
بطرس هذا امر سهل فانزل واشرب · فقال سليم انا لا امزح واسالك للمرة الاخيرة اتناولني
الماء ام لا · فقال بطرس وانا لا امزح لان مناولتك الماء لم تدخل في الاتفاق الذي ذكرته
فاذا شئت الشرب فانزل واشرب

وكان كليم في اثناء ذلك لا يزال يضحك · فرغبةً في انهاء هذه المسالة قال لبطرس ·
طيب هذا الامر لم يدخل في الاتفاق كما ذكرت · فناولنا الماء ونحن في مقابلة ذلك نعطيك
« خمسينية » من عرق بشري

فضحك بطرس حينئذ وقال الآن تم الاتفاق · ثم دنا وناولهما الماء

وبعد الشرب قال كليم لرفيقه وهما سائران ارايت نتيجة الحرية والاستقلال والمساواة
والاخاء اذا بُذرت بذورها قبل اوانها بين طبقات لم تستعدّ لها

فاجاب سليم ولكن مع غضبي من صنعه افضل هذه الحرية التي هي في غير محلها على
العبودية والذل والموت المعنوي · ولولا انني كنتُ شديد الظمأ وغلبني غضبي لما لمته بل كنت
اقول له : برافو يا خواجه بطرس فان امثولتنا اثمرت فيك في ساعة واحدة

فقال كليم ولكن هنا مذهبان واحد معك وواحد عليك

فقال كليم ولكن مذهبي هو المذهب الصحيح الابدي الذي انتصر مع الثورة الفرنسوية ·
هو مذهب الحياة والنور والحرية للطبقات الضعيفة التي تئن تحت نير الطبقات القوية

الفصل التاسع

﴿ ارز لبنان ﴾

وصف الارز [illegible] شجرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والحركة والاعمال [illegible] [illegible] هل هو الحرش الذي [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] هيكله في القدس

ثم جدّ الرفاق الثلاثة في السير فبلغوا بشري فابتاع منها بطرس « خمسينية عرق » على
حساب رفيقيه حسب الوعد ثم تسلقوا [illegible] العقبة المؤدية الى حرش الارز [illegible]

ولما قطعوا تلك العقبات الطويلة التي يلي بعضها بعضاً وصعدوا الى مساواة الحرش بان لهم الارز من بعيد . فاشرق وجه سليم وكليم ابتهاجاً وسروراً وصارا ينظران الى الارض التي تطأها حوافر بغليهما نظرهما الى اشياء مقدسة

وكان وصول سليم وكليم الى الارز عند غروب الشمس . وكانت الطيور تتوافد من جميع جهات تلك الجهات الجرداء الى اشجار الارز لتبيت فيها . وكانت الغربان اشدها ظهوراً. فكان يُسمع صوتها الناعب من حين الى حين كانه صوت الزمان ينعي الاجيال والقرون الماضية

والارز عبارة عن حرش متسع عظيم قائم على آكام متعددة تحيط به نصف دائرة من الجبال الشامخة واشجاره شديدة الاشتباك حتى ان الشمس تكاد لا تعرف ارضه . وفي هذه الاشجار ما هو صغير وفيها ما هو ضخم كبير سامق الى السماء ويكاد عشرة رجال لا يحيطون بجذعه اذا مدوا اذرعهم حوله . وهم يقولون ان هذه الاشجار الفخمة الهائلة ترتقي الى زمن الملك سليمان الذي بنى منها هيكله المشهور في اورشليم وزمن افسس التي بنيت من خشبها بعض اماكنها اليونانية القديمة . ولكن هذا زعم لا يؤيده دليل بل ان علم النبات ينقضه . الا انه من المحتمل ان اولئك المتقدمين قطعوا اخشاباً من هذا الحرش وقامت الاشجار الحاضرة على آثار الاشجار المقطوعة او اشجار تلتها

اما صفة الارز فهي كما تراه في الرسم . فانه عبارة عن جذع شامخ يتوارى عنك رأسه في الفضاء لعلوه . ومن هذا الجزع تتفرع اغصان بخط افقي كما ترى في الرسم . ويبلغ طول هذه الاغصان احياناً عدة امتار . وهي تحمل اكوازاً خضراء حرشوفية كرؤوس الصنوبر بعضها ذكور وبعضها اناث ثم تنقلب عند البلوغ فتصير حمراء . ولها رائحة طيبة ترتاح اليها النفس فتعطر بطيبها وبشر اشجارها هواء الارز النقي . ويكون في عقبها بزرتان لحفظ نوعها متى بلغت وسقطت على الارض . والارز عدة فصائل وانواع وهو ينمو في جبال سوريا وجبل حملايا في الهند وجبل الاطلس في افريقيه وجبل طورس في آسيا وفي غيرها من الجبال . ولكن أرز لبنان اشهرها كلها

والمقرر ان القطع في الحرش ممنوع اليوم قطعياً بامر من حكومة الجبل حتى ان الزائر لا يستطيع ان يقصف غصناً ليأخذه تذكاراً من الارز الا في السر او يبلغ يدفعه الى الحارس . ولقد احسنت الحكومة في هذا المنع حفظاً لهذا الاثر الجليل . ومما يُذكر لها بالشكر ايضاً انها سوّرت الحرش كله بسور من الحجارة والطين لمنع الدواب من الدخول اليه .

ولكنها مع ذلك تدخله . وهذا السور صار اليوم متهدماً وهو لا يحماصه يتسلقه الولد بسهولة لانه لا يعلو عن متر واحد

ومن الاسف ان الحكومة لا تزرع في هذا الحرش الكبير ارزاً جديداً ليقوم مقام الارز القديم متى شاخ وانقرض في القرون القادمة . والاشجار التي تنبت من تلقاء نفسها في الحرش قليلة جداً . ولكن في جهات اخرى فوق الحدث في وادٍ الى الجنوب وفي اماكن اخرى في اعالي لبنان احراشاً واسعة مؤلفة من ارز صغير آخذ في النمو . فلا ريب انه سيقوم مقام الارز الكبير في القرون القادمة . وربما وقف سائح بعد ٥٠٠ او ٨٠٠ سنة في الحرش الذي وراء الحدث في الوادي وصار يتساءل ويستنطق التوراة وكتب التاريخ ليعلم هل قطع سليمان الخشب لهيكله من ذلك الحرش ام من سواه

وسواء قطع سليمان الخشب من الحرش الكبير او من سواه فان السياح الافرنج من امراء وعظماء وعلماء يتقاطرون على هذا الحرش ويزورونه باحترام عظيم . والغريب انهم يفدون لهذا الغرض من اقصى الاقطار مع ان جيران الارز في الشام ومصر لا يعرفونه . ورجال الدين منهم يصلّون هناك بخشوع زائد ويعتبرون اجر الصلاة فيه مضاعفاً . وجميعهم ينقشون اسماءهم او بعض حروفها على جذوع اشجاره فقطعوا بها كثيراً منها حتى صدر الامر بمنع ذلك حفظاً للاشجار . والزائر يشاهد احداها مكشوطة القشرة بفأس او سكين على قدر شبر او اكثر وفيها اسم منقوش . فلا نعلم كيف ان ذلك القاسي البارد ناقش هذ الاسم طاوعته يده على طعن تلك الارزة المقدسة الجليلة هذه الطعنة في صدرها

الفصل العاشر

﴿ ليلة باردة تحت اشجاره ﴾

(بلا فراش ولا غطاء)

فدخل سليم وكليم الى دائرة الارز مشياً على الاقدام وتبعهما بطرس مع بغليه فربطهما وراء غرفة صغيرة مبنية على انفراد بازاء الكنيسة القديمة القائمة في شمالي الارز

وقد افتقد سليم وكليم اصحابهما الذين بعثوا في طلبهما فلم يجدا لهم اثراً فاستغربا ذلك . وكان في الغرفة التي اشرنا اليها عائلة مؤلفة من امرأتين وبضعة اولاد ولم يكن في الارز

غيرهم . فسألاها فاجابتها ان قوماً كانوا نازلين في الارز قوضوا خيامهم في ذلك الصباح وساروا في جهة الجنوب ليقيموا هناك يوماً او يومين

فاستاء الرفيقان من ذلك لانهما لم يحضرا غطاء ولا فراشاً . ولكنهما تذكرا الكنيسة لان المسافرين ينامون فيها . فقيل لهما ان امين مفاتيحها غائب ولا يعود الاّ في اليوم التالي

وكان قد أمسى المساء وهبط الظلام وبرد الهواء برداً قارصاً . فصار كليم وسليم يضحكان من نفسهما لانهما سيضطران الى النوم على اديم الارض تحت السماء (١) ولكن جوعهما ذكّرهما بالطعام قبل الرقاد . فاختارا ارزة عظيمة قائمة بجانب الغرفة المذكورة الى الشمال فبسطا تحت جذعها بساطاً كان معهما وتناولا طعامهما من الخرج وجلسا . فجلس بطرس بجانبهما يأكل معهما . وكانت السيدتان صاحبتي ذوق فاحضرت احداهما قشاً وحطباً واشعلته بجانب سليم وكليم لطرد البرد والظلام . اما بطرس في اثناء ذلك كان يقول للسيدتين وفمه ممتلئ بالطعام « عافاكم عافاكم » كأنّ السيدة صنعت ذلك اكراماً له

ولما حان وقت الرقاد بسط الرفيقان بساطهما بجانب جذع الارزة ليتقيا به الريح الباردة التي كانت تهب من المشرق واردة عن قمم رأس القضيب وفم الميزاب . ووضع كل واحد منهما احد كيسي الخرج تحت رأسه وادار ظهره لرفيقه وتغطيا بغطاء خفيف احضراه معهما اتفاقاً . ويظهر ان غربان الارز كانت تنظر اليهما حينئذ من اعلى الاشجار لان اثنين منهما اخذا ينعقان . فخيل للرفيقين ان صوتهما عبارة عن قهقهة وضحك من نومهما على هذا الفراش

ولما درت السيدتان ان الرفيقين سينامان تلك « النومة المكربة » خرجتا اليهما ودعتاهما الى النوم في الغرفة خوفاً عليهما من البرد . فامتنع سليم وكليم من ذلك تأدباً اذ لم يكن مع السيدتين رجال . ولكن صاحبنا بطرس دبّ حينئذ في جسمه برد شديد . وصار لا يطيق النوم في الخلاء . فقال انا اقبل دعوتكما بشكر . ثم حمل غطاءه واتجه نحو الغرفة . فصاح به سليم وكليم يا بطرس كيف تترك بغليك خارجاً الا تخاف عليهما من ذئب او ضبع . فاجاب لا فانكما انتما على مقربة منهما

فقال سليم حينئذ : كثّر الله خيرك . اما كليم فانه كان يقهقه ويقول لرفيقه « ضبّط اذا كنت تقدر على مبادىء الديموقراطية التي تدعو اليها »

وهكذا نام بطرس في الغرفة مع السيدتين وبقي سليم وكليم في البرد والظلام يحرسان نفسيهما والبغلين

« ١ » اما اليوم ففي الارز فندق للمبيت والطعام المتيء منذ بضع سنوات

وفي الحقيقة ان الرفيقين لم ينما تلك الليلة نوماً هنيئاً · فكانا كالاسد ينامان بعين ويسهران بعين خوفاً من الضواري · ولكن ذلك السكون التام في هدوء الليل وسط جبال شاهقة واحراج متسعة وجهات مقفرة مما يجعل نفس اقوى الاقوياء في حذر دائم سواء كان ذلك من اللصوص او الوحوش

ويظهر ان خوف سليم وكليم كان في محله فانه لم تدخل الساعة الثالثة بعد نصف الليل حتى انتبه سليم على صوت قرقعة فرفع رأسه قليلاً فلم ير شيئاً ولكنه سمع صوتاً كصوت كلب يقفقع غضباً · ثم تلا ذلك صوت البغلين يرفسان ويصهلان وقد قطعا قيادهما واخذا يهيمان بين اشجار الارز · فحينئذ انتبه بطرس وخرج من الغرفة وصاح " ذئب ذئب " فهبَّ الرفيقان مذعورين اذ لم يكن في يدهما سلاح حتى ولا سكين تجرح · ولكن من حسن الحظ كان لدى السيدتين بندقيتان لرجليهما حين كانا قد سافرا الى بشري في ذلك اليوم فتسلح سليم وكليم بالبندقيتين · وبذلك عادت اليهما قوة الابطال

ولما لم يرَ الذئب الرفيقين قضيا بقية الليل في السهر خوفاً من غدره · فلم يلبث الصباح ان ذر قرنه وهبت نسماته ابرد من الثلج · وتنبهت الطيور في اعالي الاشجار تستقبل الفجر باصواتها الحنونة · فقال سليم لرفيقه لا ادري كيف تطيق عينانا شمس الصباح بعد تعب وسهر ونحن في البرد · ولكن لما اسفر الصباح وتعرضت الوجوه لهبّ سليم وكليم يتمشيان بقوة ونشاط فوق العادة · ويستغربان ذلك · ويعجبان من جودة ذلك الهواء النقي الخارج من يد الله كما صنعه الله يجدد القوى ويملأ النفس نشاطاً وارتياحاً

وبعد ان غسل الرفيقان وجهيهما بالماء المتدفق من نبع قريب من الارز قال سليم : ان هذا الذئب قد احدث في ليلنا من المزعجات ما يكفي · فهيا بنا نأخذ البندقيتين وشيئاً من الرصاص ونصعد الى الجبال التي فوقنا فنصطاد فيها ونتفرج ونشاهد ونروض اجسامنا باجتيازها ونتغذى من طيب هوائها الذي ترى فيه · واذا وجدنا الذئب في طريقنا فويل له

فوافقه كليم على ذلك واخذا البندقيتين وسارا وقد تركا بطرس في الارز في احسن رفقة على ان يعود في المساء · وكان اتجاههما في جهة الشرق نحو رأس القضيب وراء الارز وهو جبل مشرف عليه وعلوه نحو ٩ آلاف متر عن سطح البحر · وهو مقابل " الحرجب " الذي يصعد اليه قبله

الفصل الحادي عشر

﴿ الوحش الوحش الوحش ﴾

ملك راس القضيب وم الميزاب

وقطع الرفيقان المسافة بين الارز وسفح الجبل يصطادان ما يجدانه فاصابا غرابين وثعلبًا. وبينما كانا واقفين على احد الرعاة يحلب لهما لبنًا واذا بالراعي صفر صفيرًا شديدًا. فهبت كلابه كالبرق الخاطف . ثم اشار الراعي الى سفح الجبل وقال انظرتم ذلك الذئب

فابصر الرفيقان حينئذ شبحًا بعيدًا هيئته كهيئة الكلب يثب من صخرة الى صخرة في سفح الجبل

فشرب سليم وكليم لبن الشاة على عجل ثم اتجها نحو الذئب

وكانت الشمس قد ظهرت حينئذ من وراء تلك الجبال العالية فصار الجبل يدخن من تأثير حرارتها. فضحك كليم وقال اصعد فهذا طور سيناء يعممه الضباب . فقال سليم لا تشغلنا بالمزاح الآن والا فاتنا الذئب. ويظهر ان الذئب قد رآهما لانه اخذ يعدو عدوًا سريعًا موغلاً في الجبل . فجد سليم وكليم في طلبه وهو تارة يظهر وطورًا يغيب . واستمرا على ذلك نحو نصف ساعة حتى كلّت قواهما . وكان الذئب يتلفت ثم يجدّ في العدو فيخيل لهما حين لفتته انه يضحك منهما ويقول لهما (أراه غباري ثم قال له الحق)

ولكن هذا الطراد لم يستمرّ وقتًا طويلاً . فان الضباب كان قد تكاثف على الجبال المجاورة وصارت الريح تسعيه نحو سليم وكليم . فلم يمض ربع ساعة حتى اقبل عليهما مسرعًا . فقال سليم هذه مصيبة ما كانت في الحسبان . وفي الحقيقة انه مصاب ذو شأن . فان الضباب غطى الجبل واحاط بهما من كل جانب فلم يعودا يعرفان الطريق (١) وكانا قد قطعا تلك الجبل والذئب امامهما ولا تخلو تلك الاماكن المقفرة من غيره من الوحوش . فصارا يسيران رجوعًا على غير هدى راضيين من الغنيمة بالاياب سالمين من مفاجئة الوحوش والذئاب لانهما كانا لا ينظران شيئًا ابعد من عشرين قدمًا . فاشبها في هذه الحالة رجلين مكتوفين

« ١ » يسمون هناك هذا الضباب غطيطه لانه يغطي الارض . والطرابلسيون يرونه من مدينتهم يعمم جبال لبنان كالغيوم

ملقيين لسباع البرّ لان سلاحهما وايديهما التي كانا يعتمدان عليها لم تعد تجديهما نفعاً . وبذلك صارا ضعيفين كطفلين

وكانا من حين الى حين يطلقان بندقيتهما في الفضاء ارهاباً وابعاداً للوحوش عنهما وبينما هما سائران كعميان يتلمسون الطريق وقد تكاثف الضباب فيها حتى لم يعد يرى احدهما موضع قدمه واذ هوت اقدامهما في واد صغير فسقطا وانطلقت البندقيتان في سقوطهما ولولا رحمة الله لقتلتهما . ولكنهما لم يكادا ينهضان مترضضين حتى سمعا طلقاً ناريّاً قريباً منهما في بطن الوادي وصائح يصيح بصوت اجش ـ « الوحش الوحش الوحش »

فانقطعت حينئذ انفاسهما وجمدا في مكانهما يتوقعان امراً جديداً

فلم يلبث ان لاحت لهما من خلال الضباب المتكاثف على قيد ذراعين منهما صورة هائلة فان وحشاً هائل الجثة منتصباً على قدميه مغطى جسمه بالشعر وله وجه كوجوه البشر حوله شعر كثيف طويل ولحية مخيفة كان واقفاً امامهما وقفة الاسد ينتظر فريسته

فكاد دمهما حينئذ يجمد في عروقهما خوفاً وجزعاً . ومدّ سليم يده الى بندقيته ولكنه ذكر انها كانت فارغة

اما ذلك الشخص الهائل فكأنه فهم فكر سليم فرفع بندقيته في الفضاء كتهديد وانذار وصاح بصوته الاجش « الوحش الوحش الوحش »

فعجب حينئذ سليم وكليم من ان ذلك المخلوق الغريب قادر على النطق كالبشر . فرأيا حينئذ وجوب المجاملة فاخفيا جزعهما وابتسما وقال كليم (العوافي يا عمّ)

فاجاب ذلك المخلوق الهائل (الله يعافيك ماذا تصنعون هنا)

فثاب الرشد حينئذ الى سليم وكليم وتحركت نفسهما للدخول في الحديث معه فاجابا نحن نتصيد وقد فاجأنا الضباب وادركنا الجوع فهل معك طعام

فقال الرجل عندي طعام . ولكن لماذا دخلتم الى هنا من غير اذن مني

فقال سليم كنا قادمين لاستئذانك فالحمد لله اننا لقيناك هنا

فقال الرجل . فاياكم مرة اخرى ان تدخلوا هذا المكان من غير اذني

فاجاب سليم وكليم . امرك يا عم

وفي هذا الحين هبت ريح شديدة من جهة الشرق فكنست الضباب عن الجبل ودفعته الى جهة الارز فانجلى المكان للانظار فوجد سليم وكليم نفسيهما في وادٍ صغير واسع الاديم وعليه في جانبه العالي كوخ صغير مستور عن الانظار لانه على مساواة الجبل .

فمشي الرجل المائل نحو الكوخ قائلاً : تعالوا لاطعمكم ٠

تخيل لسليم انه قال : تعالوا لا كلكم لانه خاف عاقبة السير معه الى حيث يقصد ٠ وذكر في تلك اللحظة حكايات الغول والجن التي سمعها في صغره من العجائز والشيوخ وكيف انها تأكل الناس فقال لرفيقه مازحاً في ابان الخطر اظهاراً للقوة : ما جئنا نسمن اجسامنا في الارز لكي نجعلها طعاماً لوحش كهذا الوحش

وكان الرجل المائل قد بلغ كوخه في طرف الوادي ودخله ثم خرج ومعه بيضتان وكسرتا خبز فوضعهما على حجرين بازاء الكوخ واوماء الى الرفيقين قائلاً : تعالوا كلوا

وكان سليم وكليم لا يزالان جامدين في مكانهما يتشاغلان باصلاح ملابسهما ٠ فلم يريا مناصاً من اجابة الرجل الى دعوته ٠ فتقدما نحو الحجرين بجانب الكوخ وجلسا ٠ اما الرجل فانه جلس بازائهما بعيداً عنهما نحو ثلاثة امتار

فحدق به الرفيقان هذه المرة جيداً فذهب عنهما حينئذ شيء من الجزع والخوف ٠ فان ذلك الرجل كان انساناً لا يختلف عن باقي البشر الا بكونه يلبس رداء مصنوعاً من جلود الغنم الى ركبتيه وليس على جسمه لباس غيره ٠ وكان وجهه محاطاً بشعر كثيف طويل شاب اكثره ولكن في عينيه وملامحه دلائل الهدوء والتأمل والانكسار وما هذه بعلامات الوحوش او قطاع السبيل ٠ فسكن حينئذ بال الرفيقين وقال سليم لكليم هلم ندخل معه في الحديث فانني ارى لهذا الرجل شاناً يُذكر

فالتفت اليه كليم وقال : هل مضى عليك وقت طويل في هذا المكان يا عمّ

وكان الرجل حينئذ مطرقاً الى الارض يتأمل ويفكر بما قام في نفسه لدى مشاهدته هؤلاء البشر القادمين من المدن ٠ فرفع رأسه لسؤال كليم وادار فيه عينين متحمستين واجاب ٠ اقيم هنا من حينما جئت الى هنا ٠ فقال سليم ومتى جئت الى هنا ٠ فتنهد الرجل واجاب ٠ من حين تكوين العالم

فنظر سليم الى رفيقه بدهشة ٠ فقال الرجل : مالك لا تصدقني قلتُ لك انني هنا من حين تكوين العالم ٠ فاذا كنتَ نبيهاً فافهم والا فاسكت وارحني

فقال كليم : عفواً يا عم واسمح لي ان اكلمك بحرية ٠ اننا لما نظرناك اول مرة دهشنا لاقامتك منفرداً في هذا المكان ٠ اما الآن فيظهر لنا من كلامك انك في شأن عظيم فهل تكرم علينا وتفيدنا شيئاً

فلما سمع الشيخ هذا الكلام اللين اطرق الى الارض بانكسار وصار يفكر ٠ ثم رفع رأسه

وقال : اني مسرور من لطفك ولين كلامك . وهذه اول مرة في حياتي ارى فيها رجلاً عاقلاً . ولكن اعذرني فان سري هائل

فازداد سليم وكايم رغبة في الوقوف على خبر هذا الرجل الغريب فقال سليم : نحن اولادك ياعم فلا تحذر منا

فلما سمع الشيخ كلمة « اولادك » اجفل ونهض كأنَّ افعى لسعته . وبدا الغضب في وجهه فقال : لا لا ليس لي اولاد ولا اريد ان يكون لي اولاد

فقال كايم لرفيقه : لقد هدمتَ ما بنيناه . ثم التفت الى الشيخ وقال : الحق اقوله لك يا عم اني لا استطيع كتمان ما في نفسي . فلا تغضب علينا ودعنا نستفيد منك . اني ارى في امرك شيئاً مدهشاً ويخيل لي اني اقرأه في عينيك . فاستحلفك باسم الله ان لا تحرمنا من الفائدة

فلما فاه كايم بكلمة « الله » احنى الشيخ عنقه وجثا على الارض وعفر خده بالتراب وهو مطبق العينين

فقال كايم لرفيقه همساً : لقد قبضنا على شيء . ثم قال للشيخ . فالله سبحانه وتعالى قد هيأ لنا اليوم فرصة لقياك . ولا ريب ان ذلك بتدبير منه وعناية خصوصية . فهل لك ان تطلعنا على سبب اقامتك هنا انفاذاً لارادة الله

فرفع الشيخ راسه واستوى جالساً . ثم قال . نعم ربما كان لله ارادة بهذا الامر . ولا اخفي عنكم اني في الليالي الاخيرة سمعت مراراً صائحاً يصيح . لقد انتهى لقد انتهى

« اجل يا اخوان لقد انتهى ملك الشر والظلم والكذب والرياء والاعتداء في العالم الفاسد . ان الفأس قد وضعت على اصل الشجرة فكل شجرة لا تثمر ثمراً صالحاً تُقطع وتلقى في النار

« انظروا هذه المملكة الواسعة التي امامنا . هذه هي العالم الحقيقي . ولذلك قلت لكم انني ههنا منذ تكوين العالم . فانا الآن هنا اكوّن العالم الحقيقي الذي يسود فيه الخير والصلاح . وقد مرت عليَّ سنوات عديدة اهذبه واؤدبه . فتم لي ذلك بمعونة الله تعالى . واذا فتشتم هذه الاقطار كلها لا تجدون فيها بين سكانها اثراً لفظائع العالم وشروره الهائلة

فقال سليم همساً . نعم لا نجد فيه شيئاً حتى ولا سكان . فاجاب كايم همساً ايضاً . يظهر ان صاحبنا مجنون

ثم التفت كايم الى الشيخ وقال . اني اتعجب ياعم كيف استطعت تهذيب هذه المملكة مع ان الملوك عجزوا حتى الآن عن تهذيب ممالكهم

فصاح الشيخ حينئذ بغضب . ويل للملوك ولترتجف عروشهم من غضب الله . ولو كان اصغر الملوك يصنع بمملكته ما صنعته بمملكتي لما بقي فيها شر . فانني سألت نفسي حين تسلمت

هذه المملكة ما هو اصل الشر؟ فرايت ان اصله الوحش الذي في الانسان . فانكم تعلمون ان في الانسان شيئين . الوحش والانسان . فالوحش يطلب كل شيء لنفسه ولو مات غيره والانسان يشفق على نفسه وعلى غيره ايضاً . فقلت إن رأس واجباتي كملك لهذه الديار قتل الوحش لاستئصال الشر . فاقتنيت هذه البندقية وقد اشتريتها بجلود عشرين ذئباً واسدين وخمسين ثعلباً وعشر ضباع . وكنتُ اجلس على هذه الرابية وكلما رايت احداً يعتدي على غيره — اي كلما رأيت الوحش يطمع في ما هو لغيره — قتلته برصاصة واحدة . في بدء الامر قتلت مئات ثم عشرات اما الآن فقد تناقص الشر وقلما اقتل في الشهر واحداً

فارتعدت حينئذ فرائص سليم وكليم لهذا الكلام وتحققا جنون ذلك الشيخ التعيس . وصار همهما اظهار التقوى والصلاح والقداسة لئلا يلحقهما بن فتك بهم حنونه من قبل . اما الشيخ فكان في هذا الحين يسرّح نظره في مملكته الواسعة . واذا به قد صرخ بغتة بصوت كصوت الوحوش « الوحش الوحش الوحش » وقام يعدو و بندقيته في يده . فالتفت كليم وسليم وهما مدهوشان الى الجهة التي سار فيها فنظرا على اكة قريبة ذئبين يتقاتلان . فلما خرج الشيخ من واديه اطلق على الذئبين طلقتين فصرعهما بالحال . ثم اسرع اليهما فاجهز عليهما وجرّهما الى كوخه وطرحهما امام سليم وكليم وهو يضحك لفوزه و يقول . كلاهما معتدٍ فارحنا المملكة منهما

فتنفس سليم وكليم حينئذ الصعداء لانهما علما انه انما كان يقصد بكلامه الحيوانات لا البشر . وقال كليم حينئذ للشيخ الذي كان يحشو بندقيته . « لقد ادهشتنا يا عم بقوتك ونشاطك وصلاحك . فلماذا لا تذهب معنا الى المدن لمحاربة الشر هناك وتكوين العالم الحقيقي فيها . ان مدننا الفظيعة القبيحة محتاجة الى هذا الاصلاح . فلماذا تحرمها من مساعدتك

فعبس الشيخ حينئذ وقال وشرر الغضب تتطاير من عينيه « المدن ويل للمدن . وويل لي اذا دخلت المدن . فانني لا اقدر على جميع الوحوش التي فيها اذ ليس لي غير يدين ولا اقدر ان امسك بهما اكثر من بندقية واحدة . وبندقية واحدة لا تكفي لاخضاع الوحوش الذين فيها . اه من المدن ومن العذاب الذي ذقته في المدن . لا تصدقوا انني ولدت هنا بل انني ولدت في المدن وعشت في المدن . ولكن الوحوش فيها اكلتني وطحنتني ففررت منها . كلا يا اخوان ان صحبة الذئاب والضباع والنمورة في البر افضل من صحبة الانسان في المدن . ولكن لا بأس ستاتي نوبة المدن . وحينئذ ادخل اليها باذن الله دخول المنتقم لله من وحوشها الضارية »

الفصل الحادي عشر

الجميع في الارز

[illegible]

ونزل سليم وكليم من راس القضيب بعد ان وعدا [illegible]
لزيارته ما داما مقيمين في الارز

وفيما هما منحدران اخذا يتحدثان في امر هذا الرجل [illegible]
انه مجنون ولكن هل رأيت كيف ان جنونه منصرف الى ام [illegible]
فقال مسألة رفع الظلم والاعتداء والضغط عن الناس [illegible]

رديئة تحمل الحيّ على اضرار حيّ آخر والاعتداء عليه طمعاً في الفائدة لنفسه · فيا للحكمة والفلسفة في اهواء المجانين وعندي ان هذا الرجل لم يدرك هذه الحقيقة الا بالاختبار والمصائب · فيظهر انه كان تعيساً جدًّا في حياته في وطنه كما قال حتى انصرف جنونه الى هذه الجهة

فقال كليم سننبش ذلك في زيارتنا الثانية ·

وما قرب الرفيقان من حرش الارز حتى سمعا ضجة عظيمة وابصرا الناس جماهير جماهير حول الحرش وداخله · وكانوا بين فتيان وفتيات ورجال ونساء · وهم يبلغون نحو الف شخص فعجب الرفيقان من ذلك ولما وصلا الى الحرش دخلا بين الناس واستخبرا الخبر فعلما حينئذ ما يلي

لما وصل الخواجه كلدن وزوجته الى الحدث لم يعجب المكان السيدة اميليا لانها كانت مضطربة النفس من سياحتها لا يعجبها شيء · فتضجرت وقالت : ان جبال كاليفورنيا اجمل من هذه الجبال · فامر زوجها رجاله بالمبيت في الحدث تلك الليلة للراحة فقط وبالسفر الى الارز في مساء اليوم التالي لانه كان على ثقة من رضى اميليا عن الارز اكثر من الحدث · وفي المساء بلغ اميليا رغبة بعض الاهالي في ان يصنع زوجها (نهاره) عندهم فضحكت وابلغت زوجها هذا الخبر · وكان كلدن يعلم ان ذلك يسرّ زوجته جدًّا لميلها بالطبع الى الشرقيين ابناء وطنها · فامر وكيله ان يعدّ له ريالات عثمانية بقيمة الف جنيه وقال لابي مرعب وقومه (يس يس سنامل يووم كلدن في المرز) يعني (سنعمل يوم كلدن في الارز)

فمنذ هذا الحين طار هذا الخبر بسرعة البرق الخاطف بين السكان والقرى في الجبة كلها · فضحك له الخاصة وسرّ به العامة · واذ عُلم ان ذلك الغني الاميركي مسافر في اليوم التالي الى الارز اخذ القرويون ينسلون الى الارز من كل حدب وصوب ليستقبلوه استقبالاً عظيماً وينتظروا يومه · وكان اكثر القادمين من الطبقات المحتاجة · ومع ذلك فقد كان اكثرهم يظهرون انهم قادمون لاكرام غني كريم كهذا الغني ومشاهدته لا لنواله · فيا لعزة نفس الشرقي الذي يرى توزيع المال عليه من غير عمل يتعب فيه نقيصة وعاراً

وبينما كان الرفيقان يجولان بين الجموع التي اجتمعت في الارز واذا برجل يناديهما من بعيد « يا خواجات يا خواجات » فالتفتا فابصرا رجلاً عربيًّا لا يعرفانه · ولكن هذا الرجل ضحك ودنا منهما · ولما اقترب صاح سليم وكليم معاً : مسيو مخلوف · فقال المجنون العاشق مبتسماً : نعم مسيو مخلوف · هل علمتم متى يحضر الاميركي

فلم يجب الرفيقان عن هذا السؤال لانهما كانا مشتغلين بالدهشة من حالة مخلوف الجديدة · فقد كان لابساً ثياباً نظيفة مرتبة وفي رجله حذاء ليس بقديم وعلى رأسه طربوش نظيف

وشعره ولحيته مقصوصان ومزينان وكانت هيئته وكلامه واشاراته كلها تدل على انه معتنٍ بنفسه اشد عناية · فعطن سليم في الحال الى ان هذا الانقلاب الجديد فيه نتيجة الدرس الذي القاه عليه في عين السنديانة · فسرّ بهذا الخبر الذي قدر على صنعه مع هذا المسكين · ومن هذا الحين ازدادت عنايته به لاتمام عمله

واذ انفرد سليم بمخلوف سأله اين بدلتَ ملابسك يا خواجه مخلوف · فنظر اليه المجنون بلطف كلطف الاولاد واجاب بدّلتها في حصرون · فقال وهل تعرف احدًا فيها · فحدق مخلوف فيه واجاب : وهل نحن محتاج لمعرفة الناس · اما نحن جميعًا اخوان · انني حيثما اكون ادخل اول بيت اراه في وجهي واطلب من صاحبه او صاحبته ما اكون في حاجة اليه · فآكل واشرب والبس ثم انطلق على شرط انني لا احمل معي شيئًا حتى ولا كسرة خبز لان الله يرسل خبز الغد · فدهش سليم وساله : واذا منعوا عنك ما تطلب · فغضب المجنون واجاب : كيف يمنعون عني ذلك اما نحن احوان · اليس لي مالهم ولهم مالي · الا يعلمون انهم اذا امنعوا عني شيئًا فالله يمنع عنهم اضعافه

فضحك سليم وقال له : اذا بقيتْ لك هذه الافكار الجميلة يا خواجه مخلوف فانك تبقى سعيدًا وتنال امنيتك ...

وما اتى سليم على هذه العبارة حتى شوهدت الجموع في الارز تتحرك كلها مسرعة نحو الطريق فقال مخلوف لعل صاحبنا الاميركي قد اتى

وكان قد امسى المساء واشعة الشمس لم تعد تصل الى الارز لانها توارت وراء آكام بشري والديمان والحدث · الا ان عصابة منها كانت تزين رؤوس الجبال فوق الارز دلالة على انها لم تغب بعد · وكان القادمون في هذه الساعة رجال المستر كلدن سبقوه لنصب الخيام فاجتمع عليهم الناس · وقد نصبوها في شرقي الارز تحت اشجاره على اكمة عالية تشرف عليه · اما المستر كلدن وزوجته وابنتاها ووكيل اشغاله فكان وصولهم بعد هبوط الظلام

و بعد وصولها بساعتين اذا بثلاثة بغال داخلة الى الارز · وعليها امين وابواه · فدهش سليم وكليم لذلك · وكان امين في اضطراب وانزعاج شديد ثم علما من ابويه ان عدوه القديم الخواجه لوقا طمعون وصل الحدث للتصييف فيها ولذلك فرّ امين منها · هذا فضلاً عن رغبته في حضور « يوم كلدن » في الارز

ولم ينتصف الليل حتى صار عدد المتوافدين على الارز نحو الفي شخص فلما رآهم سليم وكليم يتمددون على الارض للرقاد بدون غطاء ولا فراش قال سليم لكليم · نحن حسبنا

انا صنعنا امس صنع الابطال بنومنا تحت هذه الاشجار على خرج تحت غطاء خفيف فانظر الى اصحابنا القرويين فانهم ينامون بلا خرج ولا غطاء كأن الامر عندهم في غاية البساطة

فاجاب كايم هذا مصداق لقول روسو يجب ان لا يربى الانسان كشجرة تعيش في هذا الاقليم ولا تعيش في ذاك بل يجب ان يُجعل قادرًا على المعيشة في كل الاقاليم فحيثما القيته جاء واقفًا على قدميه نشيطًا قويًا قادرًا على احتمال كل تقلبات الحياة

الفصل الثالث عشر

✻ كيف يكون غضب النساء ✻

تاجر في بيروت يطلب وكالة الاشغال في الشرق · حلم اميليا · غضبها · قصتها

وفي الصباح انتبه المستر كلدن مع غربان الارز لانه كجميع الرجال النشيطين اعتاد التبكير · ولما نهض استدعى كاتم اسراره المستر كرنيجي وساله هل انتبهت لادي كلدن · فاجاب كلا · فقال كلدن خذ كرسيًا يا مستر كرنيجي واجلس · هل ورد البريد الاخير · فاجاب كاتم الاسرار نعم يا سر قد اخذناه في الحدث وهذه بضع رسائل تقتضي الجواب · فتناولها المستر كلدن بنشاط واجال نظره فيها

وبعد حين سأله من هو كاتب هذا الكتاب · فاجاب كرنيجي هو تاجر مشهور في بيروت وهو يقول في ختامه انه قادم لمقابلتكم للترحيب بكم والاتفاق معكم على الشروط · فقال كلدن وما رأيك في طلبه · فقال كرنيجي بما انكم عزمتم على احتكار الشرانق والحرير في العالم فمن الصواب ان تجعلوا لكم وكيلاً وطنيًا في سوريا ولبنان لابتياع الموسم · فقال كلدن وهل هذا الرجل مشهود بامانته واستقامته · فضحك كرنيجي وقال لقد ارسل مع كتابه شهادات من اعظم الرؤساء الدينيين والمدنيين حتى من بعض قناصلنا · وهذه هي الشهادات

ثم ان كاتم الاسرار القاها على مائدة في وسط الخيمة

وكانت هذه الخيمة منصوبة بجانب خيمة لادي كلدن وابنتيها · فيظهر ان حديث الرجلين نبّه اللادي من نومها · فانها في ذلك الحين ازاحت باب الخيمة وظهرت بثوب النوم باسمة موردة الخدين كانها وردة رطبة برزت من وراء غصنها · فقام اليها المستر كلدن مسرورًا لسرورها فقبلها قبلة شهية في الصباح وادخلها خيمته لان البرد كان قارصًا في الخارج

فخرج حينئذ كرنيجي من الخيمة . فسألها كلدن كيف ترين الارز . فاجابت هذه اول مرة سررت فيها بسياحتنا . ولولا هذا المكان الجليل الجميل لاسفت على انتقالنا من اميركا . فقال كلدن الحمد لله الحمد لله . وهل ذهبت الافكار السوداء . فعبست اميليا وقالت بحياتك لا تذكرني بها . آه لو تعلم الحلم الجميل الذي رايته في هذا الليل . فقال ماذا رأيت . فقالت وقد بدت الدموع في عينيها رأيته في السماء لابساً ملابس الملائكة وهو يبتسم لي ويقول . رضي الله عنك رضي الله عنك . لا تحزني فانني استرحت هنا بعد عذابي في الارض

وهنا انخرطت اميليا في البكاء فاكبت على المائدة التي كانت في وسط الخيمة وصارت تذرف الدموع . فلام المستر كلدن نفسه لانه فتح هذا الباب . ورغبة في صرفها عنه مال اليها ملاطفاً ومتوجعاً وهو يقول . بحياة عينيك يا حبيبتي لا تنغصي عيشنا في هذا اليوم الجميل ولا تهيجي عينيك بالبكاء فعليك مقابلة الناس . فرفعت رأسها وقالت اي ناس . فقال انك ستصنعين « يوم كلدن » بيدك . فتكون الهبة اكثر قيمة واشد تاثيراً . اذ شتان بين يدك البيضاء الجميلة ويدي الخشنة . وفضلاً عن ذلك فان تاجراً مشهوراً من ابناء وطنك سيزورنا اليوم . فقالت بدهشة اي تاجر . فقال هو تاجر من بيروت يطلب ان يكون وكيل اشغالنا التجارية في الشرق كله وهذا كتابه وشهاداته امامك على المائدة

فمدّت اميليا يدها الى الاوراق وادارتها لترى التوقيع الذي على الكتاب

وحينئذ صاحت صيحة من اعماق قلبها ووثبت مجفلة كان حية لسعتها

فاجفل المستر كلدن وعرته دهشة عظيمة فصاح ما بك ما بك

اما اميليا فكانت منتصبة بهياج شديد وراء المائدة ووجهها كوجوه الاموات لاصفراره فهال منظرها المستر كلدن وحسب انها جنت . فصاح بحياتك اميليا قولي ما بك

فصاحت حينئذ اميليا بصوت كصوت لبوة هوجمت اشبالها : من اوصل هذه الاوراق الى هنا

فقال كلدن : هل تعرفين صاحبها

فصاحت اميليا : يسألني هل اعرفه . ومن ذا الذي لا يعرف الذئاب والوحوش الضارية . ماذا يريد هذا الرجل مني . اما كفاه انه سمم اول حياتي فجاء الآن يسمم آخرها

ففهم كلدن حينئذ ان في المسألة سراً : فقال لها بلطف . عفواً يا اميليا . هدئي بالك واجلسي لنتحادث في هذا الشأن بهدوء . ولا يكون الا ما تحبين

فقالت اميليا . لا لا . لا اريد ان اتكلم عن هذا الرجل ولا ان اسمع اسمه ولا ان

اری وجهه . حبيبي جورج اقتلني ولا تجعل له في حياتي ذكرًا بعد اليوم . لانه يسمم حياتي . انني اری دهشتك الآن واعلم ماذا تقول في نفسك . انك تقول لم اعهد اميليا رديئة القلب الى هذا الحدّ . فانها من الذين يصفحون ويحلمون ويحبون اعداءهم ويباركون مبغضيهم فما بالها الآن عمدت الى الرداءة والخبث . لا لا يا حبيبي لست رديئة ولا خبيثة . وانما انا فتاة ذاقت من هذا الرجل ما لم تذقه الفرائس من الوحوش فانا اغتفر كل الذنوب والآثام واصفح عن كل الاساءات الا عن اساءة هذا الوحش . واذا كان الله يكتب عليّ هذه العاطفة الرديئة فانني افضل دخول جهنم على الصفح عن هذا الرجل

وكانت اميليا حينئذ في حالة لو رآها رافاييل لعض اصابعه تحسرًا على انه لم يظفر بمثلها في حياته ليصوّر بتصويرها اجمل سيدة في اجمل غضب . ولو سمعها الناصري لعلم مبلغ ظلامتها من مبلغ تأثرها وحينئذ يقول لها : ايتها المرأة مغفورة خطيئتك

اما كلدن فانه صار يضحك بعد وقوفه على حقيقة المسألة . فقال لها . انا لا اسيء الظن بك لانني اعرف قلبك . فاجلسي وقصي عليّ القصة من اولها . ثم ان غضبك في غير محله فان الغضب يكون عادةً سلاح الضعفاء المغلوبين لا الاقوياء . وهو الآن ضعيف بالنسبة الينا لانه جاء يرجو منا لتجعله وكيل اشغالنا . فصاحت اميليا . كما كان وكيل اشغالنا فقال كلدن اذاً فاضحكي يا عزيزتي ضحك القوي الواثق بقوته وبحقه . المنتصر على خصمه . بدل ان تغضبي غضب الخوف والاهتمام بما لا يستحق الاهتمام

فسكن حينئذ جاشُ اميليا شيئًا فشيئًا وجلست تقصّ عليه قصتها . فعلم كلدن ان الخواجا لوقا طمعون هو الرجل الذي كان سبب مصابها ومصاب اهلها . فانه كان اولاً من اصدقاء ابيها وكان يتزلف اليه ويتقرب منه طمعًا في الفائدة . وكان يتظاهر بانه يريد الاقتران بابنته . فاصطفاه ابوها واطلعه على اشغاله واسراره وصار يعوّل على نصائحه وآرائه ويعدّه بمساعدته نفعًا له وترويجًا لاعماله . فاغتنم لوقا هذه الفرصة وغدر بالرجل ليبني اشغاله على انقاض اشغاله ويحلّ محله في بلده ويجمع لنفسه رأسمالاً من رأسماله . فادت دسائس لوقا لابيها الى خسارة ابيها امواله كلها وخراب محله وسقوط منزلته . فماتت امها قهرًا من هذه الحالة . وهي نفسها عزمت يومًا على الانتحار تخلصًا من الفقر والضيق والجوع فالقت نفسها في البحر ولكنها أُخرجت قبل فراق الروح . فعدلت حينئذ عن الانتحار وعزمت على الفرار من بلدها ففرت وتركت اباها وحيدًا فريدًا . وهذا ما كان يطير صوابها . الا انها كانت تؤمل ان اباها يقدر ان يعيش براحة وحده في منزله . فخاب املها من سوء الحظ

ونكد الطالع لان اصحاب الديون بتحريض لوقا استولوا على المنزل وباعوه وطردوا الرجل منه · وكان قصد لوقا من ذلك محو كل اثر لهذه العائلة واثرها القديم لانها تذكره بحالته القديمة · ومنذ هذا الحين لم تعد الفتاة تسمع شيئاً عن ابيها · فكيف تستطيع الآن ان ترى وجه ذلك الرجل الذي كان سبباً في كل هذه الفظائع والمصائب

ولكن ما اتت اميليا على آخر الكلام حتى علت في الارز جلبة شديدة وكثر الصياح والصراخ فخرج المستر كلدن من خيمته ليعلم السبب فلقي سكرتيره المستر كرنيحي داخلاً فسأله ما الخبر · فاجابه قوم يتخاصمون ويتضاربون

الفصل الرابع عشر

مجنون ليلى وملك راس القضيب

احتماع جنونها على واحد

وكان لتلك الجلبة والصياح سبب في غاية الاهمية · واليك بيانه

كان الخواجه لوقا طمعون المذكور آنفاً تاجراً صغيراً في صيداء يرتزق من معاملة كبار التجار · ولكن لم تمض عليه عدة سنوات حتى انتقل الى بيروت لان صيداء ساقية لا تحمل سفينة كبيرة · فوسع اشغاله في بيروت ما شاء التوسيع ولكن دولاب حظه كان واقفاً في تجارته مع ذكائه ومهارته · ولولا اعتماده على اهل له في بيروت لما قامت له قائمة ولا قدر على ان يعمل شيئاً · فلما سمع بمجيء المستر كلدن الغني الاميركي المشهور الذي يملك الملايين وعزمه على اقامة وكيل له في الشرق للاعتماد عليه في تجارته الاميركية صادراً ووارداً علم انه اذا نال هذه الوكالة كانت له غنيمة عظيمة · فلم يدخر وسعاً في ذلك ولا ترك واسطة الا استعملها · ولكن لما قدم كلدن الى بيروت لم يستطع لوقا مقابلته لان لادي كلدن ابت استقبال احد في بيروت كما تقدم وسافرت منها في الحال · فعلم الخواجه لوقا ان صاحبه مسافر الى الحدث فركب مركبة من بيروت قاصداً البترون ومنها امتطى فرساً الى الحدث · فلما وصل اليها قيل له ان الاميركي سافر الى الارز فتبعه على الاثر

وكان الخواجه لوقا كهلاً في نحو الاربعين من العمر وهو بدين ذو جسم قوي ولسان طلق · وكان جريئاً مع الضعفاء ولكنه ضعيف مع الاقوياء شأن اهل السياسة الجبناء · الا انه مع ضعفه مع الاقوياء كان قادراً على مقابلة رجل كالمستر كلدن واستمالته وارضائه

وكان وصوله الى الارز قبل بزوغ الشمس وكان كليم وسليم وامين جالسين عندئذ على اكمة صغيرة مشرفة على الطريق خارج الارز

فلما ظهر الخواجه لوقا في الطريق ارتجف امين وقال لكليم : لا حول ولا قوة الا بالله ان هذا الرجل الذي قطع حبل حياتي يتبعني اينما ذهبت

وكان مخلوف المجنون قادماً من الارز في هذه الساعة نحو الرفاق الثلاثة . فلما وصل اليهم كان الخواجه لوقا قد صار على مقربة منهم

فالتفت مخلوف الى القادم وهو ينشد حسب عادته

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا واخرى بنامجنونة لا نريدها

ولكن ما وقع نظره على القادم حتى جمد في مكانه كانه صنم اصم . ولولا تقليبه عينيه في الرجل القادم لظن رفاقه انه فارق الحياة وهو قائم على قدميه

وبعد هذا الجمود برهة أسرع مخلوف وعينه تستطير شرراً فنزل عن الاكمة ووقف على الطريق . فلما وصل اليه الراكب صاح مخلوف صيحة كعواء الكلاب والذئاب . وقال « هذا هو » ثم اطبق على لوقا فاخذ به وشده فالقاه عن جواده على الارض كالجذع الممدود وبرك فوقه

فهجم حينئذ المكاري وسليم وكليم ليرجعوه عنه فكان مخلوف يهيج كالوحوش والزبد على شدقه « لا يرجعني عنه احد غير الله . . . قد اهلكني . . . قد حرمني حياتي . . . لولاه لما فرّت حبيبتي . . . الانتقام . . . الانتقام »

وكان عند كل كلمة من كلامه يضرب لوقا بقبضته ضرباً شديداً وهو كالجمل الهائج وناهيك بغضب المجانين . فاسرع الناس من جهات الارز على صوته عشرات ومئات مئات فتكاثروا عليه وانهضوه عن خصمه بعد جهد شديد . فانقلب مخلوف من الغضب على خصمه الى الغضب على نفسه وهو في اشدّ حالات الجنون . فتناول حجراً وصار يضرب به نفسه ويلقي نفسه على الارض ويقوم وهو يهذي بهذا الكلام « مسكتك يا ظالم . . . دعوني معه لاحاسبه . . . مضت سنوات وانا افتش عليه . . . هل يموت حق حبيبتي . . . ابعدوا والاّ قتلتكم كلكم . . . اليوم يوم الثار . . . يا الهي ارسل الآن صواعقك اذا كنت عادلاً . . . صاعقة واحدة فقط . . نقتلني ونقتله »

وكأنّ الله اجابه الى طلبه في هذه الساعة . فان الناس الذين كانوا يمنعون عنه فريسته تركوها واجفلوا راجعين القهقرى اجفال العصافير حين ظهور الباشق . ذلك انهم شهدوا امامهم مشهداً مريعاً . فان وحشاً بشرياً هائل المنظر كان قادماً نحوهم وفي يده بندقية

فالتفت سليم وكليم وصاحا : هذا صاحبنا . ما جاء به

اما مخلوف فانه لم يهمه شيء من كل ذلك . بل انه لما رأى الجموع قد فرّت من وجهه وتركت الخواجا لوقا وحده مشغولاً باصلاح ملابسه هجم عليه كالذئب واخذ بخناقه

فحينئذ خرج من فم الوحش البشري القادم وفي يده بندقيته صوت اجش سمعه القارئ قبل الآن في رأس القضيب وهو صراخه « الوحش الوحش الوحش » — ثم انه سدّد بندقيته نحو مخلوف ليطلقها عليه

فعلم سليم وكليم ان صاحبهما ملك رأس القضيب سيقتل مخلوف ولوقا معاً اذا لم يدخلا بينهم لاعتباره ان مخلوف ظالم معتدٍ كما كان يقتل الحيوانات التي تعتدي على رفاقها . فدخل سليم وكليم حينئذ بين الفريقين وواريا مخلوف ولوقا وراءهما وصاح كليم . يا عمّ دعه فنحن نؤدبه ونأتيك به

وكان مخلوف وخصمه يتصارعان حينئذ بقوة هائلة والناس لا يجسرون على الدنو منهما للدخول بينهما . ولكن حانت من مخلوف التفاتة فابصر ذلك الوحش البشري ينظر اليه وبندقيته مسددة نحوه . فانتبهت فيه عاطفة الحرص على البقاء . فترك خصمه وخطا خطوتين نحو الشيخ الهائل غضوباً فتبعه سليم وكليم لئلا يقتله الشيخ

ولكن ما تقدم مخلوف بضعة امتار حتى وقف مدهوشاً هذه المرة ايضاً وصرخ صرخة دوت لها الجبال . ثم هجم على الشيخ صائحاً « متى حاروم حنا حاروم ... جئت في وقتك ... وفي يدك بندقيتك ... انظر صاحبك لوقا طمعون ... »

فلما سمع الشيخ الهائل اسم (لوقا طمعون) ظهرت الرعدة في جسمه وجحظت عيناه واصطكت ركبتاه . فهجم كالذئب نحو لوقا . واذ عرفه زمجر كالاسد صائحاً « يا لعيني اميليا .. حقاً لقد انتهى » ... ثم سدد البندقية نحو لوقا واطلق نارها عليه

فصاح سليم وكليم وهجما نحوه ولكن من حسن الحظ لم ينطلق الرصاص لان الضباب كان قد رطب بيت البارود

فحينئذ القى الشيخ بندقيته وهجم على لوقا طمعون فتبعه مخلوف هاجماً لهجومه

فكل من رأى ذئاباً تهجم واسوداً تثب وضباعاً تغضب يمكنه ان يتصور هجوم هذين التعيسين على ذلك التعيس

فصاح كليم وسليم بالجموع التي كانت تنظر اليهم من بعيد . الينا يا شباب وساعدونا فهذا وقت المروءة . فهجم الناس لمساعدتهما ولكنهم لم يستطيعوا الفصل بين المجنونين وفريستهما

الا بجهد شديد . وذهب لوقا طمعون نحو خيام المستر كلدن والدماء تسيل من وجهه والجماهير تتبعه ليغسل جروحه . اما مخلوف والشيخ فقد ادركتهما نوبة الجنون حنقاً لعجزهما عن خنق الخصم فسقطا على الارض مصروعين بلا حراك . فقيدهما سليم وكليم لئلا يضرا نفسيهما ثم نقلاهما الى الغرفة المقابلة للكنيسة واقفلا الباب

هذه هي الحادثة التي كانت سبباً في الجلبة التي سمعها المستر كلدن بينما كان يحادث امرأته

الفصل الخامس عشر

﴿ ذئب لدى لبوة ﴾

موقف حرج

فهنا وا اسفاه لم تبقَ حاجة الى شرح الحادثة التي تقدمت لان القارىء اللبيب فهم كل تفاصيلها وروابطها واسبابها . وعرف مبلغ تعاسة اميليا

وما استقرَّ المستر كرنيجي برهة في الخيمة مع المستر كلدن وزوجته حين دخوله عليهما كما تقدم حتى دخل الترجمان يقول ان رجلاً يدعى الخواجه لوقا طمعون قد حضر من بيروت للسلام على حضرة السر . فعاد الاضطراب حينئذ الى اميليا ونهضت لتخرج الى خيمتها . فاوماء اليها المستر كلدن ان تبقى لتلتذ بمشاهدة خصمها تحت قدميها . ثم همس بضع كلمات في اذن سكرتيره ليطلعه على طرف من المسالة . وبعد ذلك قال للترجمان قل للرجل ان يدخل

فدخل لوقا طمعون باشاً ضاحكاً كانه لم يُصب بمكروه . فحيا اجمل تحية . فجاوبه المستر كرنيجي . اما المستر كلدن فقد كان يتشاغل بتقليب الاوراق على المائدة واما اميليا فقد ادارت ظهرها للباب وانحرفت نحو الظل وهي ترتجف من الغضب والحقد

فساء لوقا هذا الاستقبال البارد فجلس منقبضاً . وبعد ان دام السكوت دقيقة قال المستر كلدن بنزق وهو ينظر في الاوراق لا في وجه ضيفه : ماذا تريد حضرتك . فاجاب لوقا . لقد كتبت لجناب السر اعرض عليه خدمتي في كل ما يريده في الشرق اذ بلغني انه يطلب وكيلاً . فقال كلدن . وكيف تريد ان اتخذك وكيلاً من غير ان اعرف امانتك واستقامتك

فانجرح هنا لوقا في صميم شرفه التجاري والادبي فصعد الدم الى رأسه واجاب : لقد

قدمت لحضرتك الشهادات الكافية وفي جملتها شهادة رئيس ديني كبير

فقهقه حينئذ كلدن بصوت عالٍ وقال : شهادات ؟ هل تريد ان اجعل احد خدامي يجلب مثل هذه الشهادات بعشرة ريالات فقط . ثم التفت الى اميليا وقال : ما قولك مس هل تُقبل منه هذه الشهادات

فلم تجاوب اميليا لانها كانت غير قادرة على الكلام . اما لوقا فعدل حينئذ عن مطلبه فقال بشيءٍ من عزة النفس : عفواً يا سر . انا سالت حضرتكم سؤالاً فاذا قبلتموه شكرتكم واذا رفضتموه عدتُ من حيث اتيت مسروراً باني تشرفت بمعرفتكم

فحينئذ دبت الحماسة في صدر اميليا لانها شعرت بان الخصم لا تزال له قوته التي سحقتها في ما مضى . فعزمت على سحق هذه القوة للانتقام منها . فجمعت قواها كلها وقالت

— ان طلب المستر كلدن حق اذ بلغته اعمالك في صيداء

فقال لوقا في نفسه الآن علمتُ سرَّ المسألة فان اعدائي ومزاحميَّ سعوا بي لدى هؤلاء الكرام ولذلك اساءوا استقبالي . ثم اجاب مبغوتاً ومظهراً الدهشة . عفواً ياسيدتي الكريمة اية اعمال تعنين . ان جميع اهل صيداء يشهدون لي بحسن السيرة والسريرة والشرف . واذا تفضلتِ واطلعتِ خادمك الامين على الاقوال التي بلغتكم من حسادي واعدائي فاني انقضها كلها قولاً قولاً

فاجاب المستر كلدن حينئذ بحدة : انا لا احب كثرة الكلام يا مستر لوقا . فاذ شئتَ ان تكون وكيلاً لاشغالنا فجئنا بشهادة شرف واستقامة من الخواجا متى حاروم في صيداء

فلو ان الصاعقة وقعت تحت قدمي لوقا لما اثرت فيه تأثير هذا الكلام . فنهض بحدة وصاح . لا تصدق ياسيدي لا تصدق كل ما سمعته . فان هذا الرجل جاهل سيء التدبير خرب نفسه و . . . .

فهنا لم تعد اميليا تستطيع السكوت فقطعت كلامه وصاحت بحدة رغماً عنها . لا تهن الناس ياخولجه بل اجب اتاتي بالشهادة المطلوبة ام لا

فقال لوقا في نفسه حينئذ . انني اذا ذكرت لهم ان متى حاروم موجود الآن في الارز بحالة الجنون والهول وقد كاد يفتك بي فتلك اقبح شهادة . فانهم يسألونه ويعلمون منه ما يريدون علمه . واجاب . ان متى حاروم ياسيدتي لم يوقف له على اثر منذ عشر سنوات

فقالت اميليا ودموعها في عينيها . ومنزله . فقال قد بيع . قالت واهله . فهل كان له زوجة

فتموت وابنة طائشة ورثت وتركته

فحينئذ وثبت اميليا كمن لسعته افعى في صميم قلبه وصاحت باعلى صوتها : يا ظالم تخرب بيته وتميت زوجته وتهرب ابنته وتبيع منزله وتمحو اثره ثم لا تكتفي بكل ذلك بل لا تزال تطارده بحقدك و بغضك فتهينه وتهين ابنته امامنا الآن ·

فنهض لوقا عند هذا الكلام وقال : الوداع يا سادتي · وهمَّ بالخروج · فوثب اليه كلدن وثبة الاسد فاخذ بذراعه وقال بحدة · مستر لوقا قبل ان تخرج من هنا اجث واطلب الصفح من مسز كلدن ابنة الخواجه متى حاروم

وان القلم ليعجز عن وصف ماجرى حينئذ وكيف استقبل لوقا هذه الصاعقة التي انقضت على راسه ولكن لما انقضت دهشة لوقا وعلم خطارة موقفه وهوله جمع قواه وكبرياءه التي كانت قد فارقته · و بعد السكوت برهة قال · الآن فهمتُ ياسيدتي سبب ماجرى · فصار يجب عليَّ تبرئة نفسي لا للحصول على وكالة اشغال بل حفظاً لكرامتي لديك · فكل ما بلغك عني يا سيدتي كان معكوساً او مبالغا فيه · اذ اي عمل عملته في معاملتي ابيك ولا يعمله كل الناس اليوم · والمستر كلدن زوجك المحترم لا يستطيع تكذيب كلامي · اما ليه اذا شئت كيف جمع ثروته الطائلة وملايينه العديدة · اما افلست بنوك خصومه وقامت بنوكه · اما امتصت سككه الحديدية ثروة سكك اعدائه · اما خربت في الاحتكارات التي احتكرها الوف من المحلات وافلس في مضاربته الوف من المضاربين · فما الحيلة اذا كانت هذه طبيعة التجارة نفسها · وكيف نستطيع جمع الثروة لننفع بها الناس اذا كنا نحذر من ضرر هذا ونخاف مزاحمة ذاك · فهذه سنة العالم وقد قال جوت « الى الامام الى الامام ولو فوق الجثث »

فدهش المستر كلدن لثبات جأش الرجل بعد تضعضعه وللطريقة التي حوّل بها الموضوع عن محوره · اما اميليا فقد خلعت عن نفسها لدى هذا الكلام ثوب الحاضر وارتدت بثوب الماضي واجابت بحدة

ـ كل هذا الكلام يا سيدي لا يبرىء السرقة والاحتيال والدسائس والسلب والنهب · نقول التجارة والاصول التجارية ولكن اي تاجر شريف يزعم ان التجارة يطلب دائماً ضحايا بشرية ودماء بشرية · اي تاجر خال من عواطف الشرف والانسانية يرضى بان يجمع ثروة من طعام الاطفال ودموع البنات وموت الاولاد وخراب البيوت · اذا وجد في العالم هذا التاجر فلا اسميه تاجراً بل لصاً وقاطع طريق · بل هو ادنى من اللصوص لان اللصوص يهاجمون الانسان من وجهه اما هو فانه يغدر به لانه يباغته من وراء ويغمد خنجره في ظهره ·

كلا يا سيدي ليست تجربة في شيء دعتني في صنيع ما صنعت بل عصت وعصيت في ثروة
بابنة طريق كنت . ولكن الآن لست آسفة على ما ضاع من نقود وفاروق فان الله
عوضني خيراً منه وما اسفي على شيء واحد لا يعوض وهو فقد ابي

وهنا ترقرق الدمع في عيني اميليا فترقرقت عنده الدموع وهنا تذكره وتذكر فيه
اهانة له لانه رآه ممزوجاً بشيء من العطف لاميليا وما كان يتفطر له قلبه ففكر قليلاً ثم
قال باسماً : سيدتي انني اعرف مكان ابيك . وصيحت منه بشهودة مضروبة

فرفعت اميليا حينئذ يديها وعينيها الى السماء وصاحت بجنون «ماذا تقول» فقال لوقا
نعم انني اعرف مكان ابيك . فنهض حينئذ المستر كلدن مدهوشاً وصاحت اميليا «اين اين
قل فاملاه فاكدرا . ردّه الي فانسى كل اساءاتك . وا ابتاه وا ابتاه . صحيح ما تقول ..
قل قل مالك لا تتكلم . متى نظرته ؟» فاجاب لوقا «اليوم» فصاحت اميليا «اليوم ؟ واين
ذلك اين» فقال لوقا هنا في الارز

الفصل السادس عشر

﴿ صوت الابنة الكريمة ﴾

يحيي العظام الرميمة

فحينئذ ذهلت اميليا عن نفسها وعن زوجها وعن مقامها ووثبت خارج الخيمة كالبرق الخاطف وهي تصيح «اين اين»

فتبعها المستر كلدن وسكرتيره ولوقا . وحينئذ عرف المستر كلدن من لوقا تفصيل ما جرى فرام كلدن تسكين جاش زوجته واقناعها بالانتظار الى ان يصلحوا ملابس الشيخ ويحسنوا حالته وينقلوه من تلك الغرفة . اما اميليا فلم تصغ لاحد بل مرقت كالسهم قاصدة الغرفة فلم يكن لوقا ولا كلدن يعرفان وا اسفاه انه كان مجنونا

* * * * * * * *

فلما وصلت اميليا الى باب الغرفة دفعته وهي ترتجف ودخلت فابصرت على الارض شخصين مقيدين راقدين ـ والحقيقة انهما كانا في نوبة الصرع كما تقدم

فصرخت اميليا صرخة الجنون واليأس حين وقع نظرها على ابيها بتلك الحالة ورجعت

القهقرى خوفاً . ولكنها كالبرق عادت اليه وأكبت عليه

وكان الناس قد اجتمعوا في الخارج فنادى كرنيجي اثنين منهم وحمّلها مخلوف فنقلاه الى الكنيسة فبقيت اميليا مع ابيها

فانحنت الابنة حينئذ تقبل قدميه ويديه . وكانت تبكي وتناديه بصوتها اللطيف «ابتاه ابتاه . انتبه فقد جاءت اميليا . . ابتاه . افتح عينيك وانظر اليّ . . لقد جئتك بحفيدتين معي . قم وانظر اليهما فانهما تذكّرانك اميليا صغيرة . . ابي هل غضبتَ عليّ ولعنتني لما تركتك . هل خطر في بالك انني فررتُ من خدمتك . . قم واخبرني انك لم تسيء الظن فيَّ . . ان ضرباً من الجنون استولى علي ودفعني الى السفر . . فلعل الله هو الذي اراد ذلك لاعود اليك بالخير والغنيمة والظفر . . ابي مالك لا تجيبني . . ما هذا الرباط الذي في يديك ورجليك . . ما هذا الجلد الخشن الذي يسترجسمك مع انه كان يلبس الملابس الناعمة . . ما هذا الشعر المائل الذي يغطي جبينك الذي كان صافياً هادئاً . وما هذه الشقوق التي في قدميك . . آه لقد تعذبتَ في شيخوختك كما تعذبتُ في صباي . ولكننا استرحنا الآن . فقم وعانقني . ابتاه ابتاه مالك لا تجيب . »

فيا لتأثير الحنان البنوي . يا لفعل القلب في القلب . يا للعدالة الابدية التي لا تسمح بموت « الحق » في العالم

فان الشيخ المائل لم يلبث ان تحرك لذلك الصوت الملائكي اللطيف وانتفض وفتح عينيه . فجمدت اميليا في مكانها جمود الصنم . فادار الشيخ نظره في المكان متحيراً كأنَّ على عينيه غشاوة . ثم صاح ماذا تريدون . فمصت اميليا بدمعها واجابت . « ابي . هل انتبهت . » فبهت الرجل وقال متحيراً من انتِ . فقالت « انا اميليا اميليا »

فحينئذ جلس الشيخ متثاقلاً وصاح غاصّاً بدموعه . اميليا متى جئتِ يا حبيبتي . — فانطرحت الفتاة بين ذراعيه وصارا يبكيان بكاء اللقاء بعد طول الفراق

ولم يدوّن علم الطب قط في تاريخه حادثة شفاء من الجنون كهذه الحادثة الغريبة . وكل من سمع بها رجح ان الشفاء كان من فراغ جنون الشيخ في تهيجه الاخير على لوقا وان كان لصوت ابنته دخل في ذلك ايضاً

واذ سألت اميليا اباها عن حالته وسبب وجوده هناك ولبسه تلك الملابس وجدته اشد منها عجباً ودهشة من ذلك . لانه بعد رجوع عقله اليه نسي كل ما كان

* * * * * * * *

وبعد ساعة ونصف حضر « مزين » من بشري فاصلح شعر الخواجا متى واُلبس ملابس نظيفة ونُقل الى صدر خيمة اميليا . وكان الناس في الخارج قد ضجروا وهم ينتظرون « يوم كلدن » فلما بلغ ضجرهم الى المستر كلدن قال لاميليا باسماً « لا انا ولا انتِ بل ان اباك هو الذي سيعمل يوم كلدن »

فجيء بكيس كبير فيه ريالات بقيمة الف جنيه فحمل مفتوحاً على حمار وسار وراءه الخواجا متى بملابسه النظيفة المزينة وشعره المصقول وصار يفرق في الجماهير الحاضرة ريالاً ريالاً لكل واحد من الاولاد وريالين ريالين لغيرهم . وكانت الجماهير تزحمه من كل جانب

فلما ابصر سليم وكليم صاحبهما « ملك راس القضيب » بتلك الحالة الجديدة اعتراهما العجب الشديد . فكانا يدنوان منه ويتأملان فيه . اما هو فلم يعرفهما . ولم تفارقهما الدهشة حتى اطلعهما الترجمان على تفصيل الحادثة

* * * * * * * *

وفي المساء عزم كلدن وزوجته على السفر من الارز للرجوع الى اميركا بعد وجودها ضالتهما المنشودة . فقوضا الخيام وعزما على الركوب . وكان لوقا طمعون قد انفرد عنهما بعد الحادثة ولم يلتقِ بتي . فقبل السفر قصد اميليا وسألها ضاحكاً أتسمح له الآن بوكالة الاشغال التي طلبها . وكان كلدن حاضراً فاجابه هذه المسألة صارت متوقفة على رضى الخواجا متى

واذ قُصت هذه القصة على الخواجا متى وطُلب رأيه فيها ضحك اولاً ثم اطرق مفكراً وبعد ذلك قال « رأيي ان الصفح اولى . فان الوحش الذي في الانسان لا تذلله المقاومة والعناد بل الحلم والصفح . ولذلك يكون الاقل حيوانية والاكثر عقلاً اكثر صفحاً وحلماً »

فلو سمع سليم وكليم هذا الجواب لقالا ان فلسفة صاحبنا في « الوحشية » وهو مجنون مخالفة من حسن الحظ لفلسفته فيها وهو عاقل

* * * * * * * *

وقبل السفر استدعى كلدن سكرتيره وقال له وهو يطوف معه بين اشجار الارز : مستر كرنيجي اما تعلمت شيئاً من هذه الحادثة . فاجاب كرنيجي : تعلمت وجوب الرحمة يا سر للضعفاء الذين يسقطون في جهاد الحياة . والا لم يكن هنالك فرق بين البشر و بين الحيوانات . فقال صدقت ياصديقي . اذاً خصص في كل عام مليون فرنك لمساعدة العيال التي تسقط . واكتب لمحلنا يقرض مليون دولار لمحل حصماً « ارميس » الذي افلس من مزاحمتنا ومليوناً آخر لمحل « ودن » الذي خسر ثروته في احتكاراتنا . فانني بعد الآن صرت ارى ان البشر لا يكونون

بشرًا اذا كانوا يصرفون كل ما اعطاهم الله من النباهة والعقل والقوة في مجاهدة بعضهم بعضاً ليستأثر اقوياؤهم بالمنافع والخيرات دون الضعفاء ويدوسونهم كما يدوسون الحيوانات الدنيئة (١)

* * * * * * * *

وفي المساء ركب الجميع مسرورين قاصدين بيروت عن طريق بعلبك وكان سليم وكليم وامين جالسين على اكمة ينتظرونهم فلما مروا بهم وشاهد امين خصمه لوقا يحادث مَتي ويضاحكه واميليا تنظر اليهما وتبتسم مسرورة لنقلب الزمان صار امين يبكي ويقول : اين العدالة في العالم . فتنهد سليم واجابه : العدالة ياصاح موجودة ولكن المهمّ الجدّ والانتظار والثبات . الم تنظر كيف انتصرت اميليا ولوقا بهذه الصفات . فلا تجدف على النواميس الابدية فانه ليس بالامكان ابدع مما كان . وكل ظلامة مهما كانت عظيمة تكشف عن صاحبها اذا تسلح بهذه الفضائل . فان الله اعدل من ان يخذل الحق . وهو لنصرته لا يطلب من البشر غير الصبر والجد والانتظار

فقال امين متاوهاً : وما الحيلة بمن لا يستطيع الانتظار لان ايامه معدودة

فاجابه سليم . هذا وهمٌ يا صاح وعلى افتراض صحته فان المظلوم يكون اقرب الى الله في الآخرة مما لو انصفه الله هنا

فهزَّ امين راسه وقال . كلام حلو للتعزية . كلام حلو للتعزية

الفصل السابع عشر

حب المجانين

لوقا يأكل الحصرم ومخلوف يضرس

وكانت الاكمة التي جلس عليها الرفاق الثلاثة قريبة من الكنيسة . واذا هم يسمعون حينئذ صراخاً عظيماً فيها فتفطنوا حينئذ الى مخلوف الذي سجن فيها فنهض سليم ليراه . ولكنه لم يخط خطوتين حتى كان مخلوف قد كسر الباب وخرج منها وعينه تستطاير شرراً . فلما رأى سليم صاح به ابن متى . حاروم . ولوقا ظمعون . فاجابه سليم قد رحلا . فوثب حينئذ مخلوف راكضاً الى الطريق ليتبعهما واذا به يرى الدواب والاحمال امامه لانها لم تكن قد بعدت

(١) من هذا تعلم كرنيجي توزيع امواله بعد ان ترى ثراه عطيما كسيده كندن

بعد . فاطلق سافيه الريح وراءها . فثار سليم وكليم وراءه ايضاً . فوصل مخلوف الى المسافرين وصار يقلب نظره فيهم ، فلما وقع نظره على اميليا صاح صيحة دوت لها الجبال وانطرح على الارض صارخاً : لقد صدق سليم . عادت اميليا

فضحك كلدن وقال لم تخلص من الاسرار بعد . فاخبره حينئذ متى انه شاب مجنون انقذ في زمانه حياة اميليا . فمد كلدن يده الى جيبه واخرج منها ورقة بخمسمائة دولار واوماء بها الى مخلوف قائلاً . خذ هذا تذكارًا من اميليا . فصاح به ومن انت . فقال كلدن ضاحكاً انا زوجها

فيا ليتك يا مستر كلدن لم تلفظ هذه الكلمة . فان مخلوف ازدوج حينئذ جنونه فصار يضرب الارض بيديه ورجليه وراسه و يصيح «زوجها ، زوجها ، وانا اذاً من انا ، من اذنك ان تتزوجها ، كيف تسلبني حقي ومالي ، عاما متى حاروم ، ما شاء الله ماشاء الله ، ثياب جديدة وشعر مقصوص ، وراكب على بغل ، قه قه قه ، بغل على بغل ، لو لم تكن بغلاً لما زوجت ابنتك هذا البغل وتركت رجلاً مثلي ، ولكن اظنكم تضحكون ، اميليا اميليا انسيت يعقوب»

فقال كلدن حينئذ لزوجته مسز سوفي جوادك الى الامام واتركينا

فوثب حينئذ مخلوف وثبة الذئب وصاح « ال انت تتركها » ثم مدَّ يده الى جيبه واخرج منها سكيناً وهجم على كلدن

فلم يكن كلمح البصر حتى اطبق عليه كليم وسليم من وراء وقبضا على يده فاسرع البغالون وشدوا وثاقه بحبل غليظ . فانكسرت حدة مخلوف حينئذ فصار ينوح و يصيح متذللاً باكياً (اميليا ، اميليا ، بحياتك لا تتركيني ، ماذا صنعت لك حتى تعذبيني ، اما انقذتك من الموت . هل انقذتك لغيري ، اما احببتك عشر سنوات دون ان انساك ، اميليا اميليا ، يقولون انه زوجك ، فلا باس ، هو زوجك فخذيني انا خادماً لك ، انني اتبعك ماشياً لا راكباً ، لا اكلمك ولا ادنو منك وانما احرسك واخدمك واقبل قدمك . اميليا اميليا انظري انا صديقك تعيس الآن ولوقا طمون عدوك سعيد . يا لنكران الجميل . يا للظلم . هو يركب بجانبك مسرورًا وانا يشدونني بالحبال ويعذبونني . اميليا اميليا خذيني معك . لا تقتلي نفساً بريئة فان الله يحاسبك)

فاثرت هذه الكلمات في نفس اميليا حتى بكت لها شفقة على ذلك التعيس فخاطبت زوجها مستاذنة في امر ثم وجهت جوادها نحو مخلوف فدنت منه وهو مشدود الوثاق . فكان روحه عادت اليه . فمدت يدها البيضاء اللطيفة ووضعتها على كتفه وقالت له بنغمتها الساحرة . عزيزي مستر يعقوب . فصاح مخلوف : بلا مستر بلا مستر بحياتك قولي عزيزي يعقوب

كما كنت تقولين . فقالت عزيزي يعقوب لا اقدر على اخذك الآن معي . ولكن اعدك انني ساطلبك . فصاح مخلوف . متى يكون ذلك . فقالت حين وصولي الى بلادي . فبكي مخلوف وصاح بلادك ولكن بلادك هنا . فقالت بل بلادي اميركا يا عزيزي مستر يعقوب . فعش هذه المدة مسرورًا راضيًا بغيابي لانني ساتذكرك دائمًا وارسل اليك كل ما تحب الى ان يتيسر لي استدعاؤك »

وهكذا هداء ذلك المجنون العاشق التعيس بشيء من اللطف والوعود . ولكن هدوءه كان وقتيًا فانه ما تحرك الركب وسار حتى اشتد به الجنون وشرست اخلاقه فاضطروا الى شد وثاقه وارسلوه الى دير قزحيا ولا يزال في الدير الى اليوم ينشد الاشعار و يترنم بذكر حبيبته اميليا

فمسكين انت يا مخلوف . تحامم البحر والريح فكان الصالح عليك . ولكن اما سمعت ما قال سليم . ان العبرة بالانتظار والثبات . وانت لم تقدر على الانتظار لان عقلك رحل عند اول صعوبة . على انك لو انتظرت وكنت الآن عاقلاً فربما كنت نلت الآن اسمى منزلة عند اميليا بعد منزلة زوجها

* * * * * * *

اما سليم وكليم فقد اقاما في الارز بضعة ايام وكان تخلصهما من مكار يعيا بطرس الثقيل بواسطة امين الذي عاد على بغله الى الحدث . وحين عودتهما من الارز ممتلئين صحة وقوة كان سليم يقول لكليم كلما مرّا بالاديرة : اما اقتنعت الآن بعد ما رأيناه من تقلبات حوادث الحياة وقصصها المضحكة والمبكية انه خير للانسان الذي يريد الراحة ان يعيش منفردًا عن العالم في دير او في نفق

فتنهد كليم وقال ليس الانفراد عن الناس هو الذي يريح الانسان . فان مخلوف منفرد الآن عنهم في دير ولكنه تعيس جدًا . فراحة الانسان وسعادته في داخله اي في نفسه . فلا يبحث عنهما خارجًا عنها . والنفوس القوية العادلة المستقيمة تقدر ان تكون مستريحة سعيدة حتى في وسط تقلبات الحياة

تمت

الجزء ٦ و٧ و٨ — الجامعة — السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — الجزء السادس — سنة ١٩٠٣ م — سنة ١٣٢١ هـ



﴿ رنان في آخر عمره ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف رنان

« الاحتفال في الشهر السابق بنصب تمثاله في فرنسا »

مثال الفيلسوف الكامل

لم نكد نفرغ في الجزء السابق من تفصيل الاحتفال بنصب تمثال الفيلسوف جول سيمون حتى قامت الضجة في فرنسا لنصب تمثال الفيلسوف ارنست رنان في بلدة « تريجيه » مسقط راسه(١) وقد ذكرت الشركات البرقية هذا الحادث في حينه ليس فقط لسمو منزلة الرجل بل لان ناصبي التمثال جعلوا له معنى خصوصياً خيف ان يحدث بسببه اضطراب في بريطانيا . واليك البيان

من المشهور ان مقاطعات بريطانيا الفرنسوية شديدة التمسك بالتقاليد الدينية القديمة . وقد ولد رنان فيها في بلدة « تريجيه » التي تقدم ذكرها . ولا يزال منزله فيها كعبة يحج اليها الاوروبيون والاميركيون ليشاهدوا الجدران التي تحركت ضمنها روح افلاطون المتأخرين وكبير حكماء الفلسفة الادبية والدينية في العالم . فبسبب ما قام في فرنسا بين الحزب الجمهوري والحزب الاكليريكي في العامين الماضيين وانتصار البريطانيين للحزب الاكليريكي انتصاراً شديداً كاد يفضي الى ثورة اهلية في بريطانيا حين اقفال مدارسها الاكليريكية الغير المأذونة ـ خطر لابناء بريطانيا الجمهوريين ان ينصبوا تمثالاً لرنان في مسقط راسه ليوجدوا بين البريطانيين حركة تدفعهم عن المبادىء الاكليريكية الى المبادىء الجمهورية . وهؤلاء الجمهوريون البريطانيون يدعون « البريطانيين الزرق » تمييزاً لهم عن « البريطانيين البيض » وهم المخالفون لهم في السياسة . فألف « البريطانيون الزرق » لجنة لجمع المال وانشاء التمثال فنشرت اللجنة اعلاناً بغرضها بين جميع مشاهير الارض فوردتها الاموال ورسائل

---

١ اطلب ترجمته في الجزء الثاني السنة الثالثة

الاشتراك من كل الجهات . وقد كان المشتركون معها من كل الاحزاب العاقلة المتساهلة كاثوليك وانجيليين واسرائيليين وفلاسفة . وفي جملتهم المؤرخ ممسن اعظم علماء الالمان اليوم والعالم جبرائيل مونود اعظم علماء البروتستانت في فرنسا والمسيو ريبو الكاثوليكي الذي امتاز في فرنسا بالعامين الاخيرين بالانتصار للحزب الاكليريكي صوناً لمبداء الحرية والجمهورية وهو من رؤساء الوزارات السابقين . والمسيو والدك روسو المشهور . وكثيرون من علماء الارض من كل البلاد . وكلهم كتبوا الى اللجنة كتباً خلاصتها ان الانسانية وفرنسا يحق لها ان تفتخرا بظهور رجل فيها نزيه الاخلاق واسع العلم مترفعاً عن دنايا الارض مثل ارنست رنان . وقد جمعت اللجنة هذه الرسائل كلها في كتاب ضخم دعته « كتاب رنان الذهبي » لانه عبارة عن شهادة له من مئات من اكابر علماء الارض وعقلائهم بصفات علمية وفلسفية وادبية لم تنسب لغيره من عهد افلاطون . ولذلك دعوه « افلاطون المتأخرين »

***

رنان والاحزاب ومن البديهي ان الرغبة في نصب تمثال رنان في بريطانيا اسخط الحزب الاكليريكي . فكتب كاهن تريجيه الى شيخ البلدة يقول له انهم اذا جرّوا هذا العار والفضيحة على تريجيه فانه يمتنع عن الدخول الى الشارع الذي يُنصب فيه التمثال حتى اذا حضرت الوفاة احد المسيحيين في ذلك الشارع لم يستطع الذهاب اليه لتزويده بالاسرار المقدسة . فعدلوا حينئذ عن نصب التمثال امام منزل رنان وقرروا نصبه في ساحة الكنيسة امام بابها الكبير . فازداد الخصام والانقسام بين الحزبين في فرنسا كلها وصار اسم رنان عبارة عن راية يتحاربان تحتها

على اننا بعد مطالعة ما طالعناه من كتب رنان يظهر لنا انه لو كان حياً لما رضي باقامة تمثاله في تريجيه بهذه الطريقة وان كان يحب مسقط راسه حباً بريطانياً كما كان يقول . ذلك لانه كان يحب الحرية والتساهل فوق كل شيء . واقامة تمثاله في تريجيه بتلك الطريقة كانت عبارة عن تحرش بمعتقدات الغير واعتداء عليها . وهذا ما ذكرته الطان البروتستانتية والدبيا الكاثوليكية . فانها قالتا ان رنان كان رسول التساهل وحرية الاعتقاد في العالم ومن كانت هذه صفته لا يرضى عن الاساءة الى معتقد غيره

وتقسم الاحزاب الفرنسوية اليوم الى سبعة (١) الحزب الراديكالي (٢) الراديكالي الاشتراكي (٣) الاشتراكي (٤) الحزب الجمهوري المعتدل المحالف للراديكالي (٥) الحزب الجمهوري المعتدل المستقل ولكنه يميل نحو الحزب الملكي اكثر من الميل الى الحزب الراديكالي

الاشترا كي لخوفه من المبادىء الاشتراكية (٦) الحزب الملكي الاكايريكي (٧) حزب الناسيوناليست ـ فالاربعة الاحزاب الاولى وهي الاكثرية الكبرى أ ألفت ما سموه " عصبة " واقامت وزارة على مبادئها لادخال الاصلاحات التي ترى لزومها . فهذه الاحزاب الاربعة هي التي كانت تضجّ في اثناء الاستعداد للاحتفال برنان وتحارب خصومها بالدفاع عنه . فكانت الطان والديبا اللتان هما لسان حال الحزب الجمهوري المعتدل المستقل (الخامس) تضحكان وتقولان لهم ان مبادىء رنان لا تنطبق على مبادئكم

***

رنان والجمهورية ذلك ان رنان عاش ومات بين الاحزاب . فلم يكن منسوباً لاحدها . يروى ان سقراط الحكيم سُئل من اي وطن انت ؟ وربما رام سائله تعييره بذلك لانه كان يدعو الى وحدانية الله وهذه الدعوة مخالفة لتعدد الآلهة عند اليونانيين وكان عندهم من يسيء الى الآلهة فقد اساء الى وطنه . فاجاب سقراط " وطني العالم " ـ وكذلك لو سُئل رنان في حياته : ما هو حزبك . لاجاب ولا شك : حزبي البشر كلهم لانني اخ لهم جميعاً لا لفريق منهم

وهذا هو السبب في انك ترى في افكار رنان شيئاً كثيراً من التناقض . فانه يبش للملكي والجمهوري . والجاحد والمؤمن . والقديم والحديث . والتعصب والتساهل . ذلك ان فكره واسع رحب يستطيع فهم كل ما في تلك المتناقضات من الجمال والحقائق . فيذكر محاسنها ومساوئها معاً باستقلال تام وانصاف كامل كانه واقف امام الدينونة الاخيرة . وهذا معنى قولنا عنه في صدر الكلام انه مثال الفيلسوف الكامل

ولقد ندّد رنان في الجمهورية والديموقراطية بعد حرب السبعين لان الغلاة اتوا فيها كثيراً من المنكرات التي اغضبته . وفضلاً عن ذلك فذوقه ارستوقراطي نحيف ولذلك كان يودّ لو تكون حكومة البشر ملقاة الى عصبة من العلماء والفلاسفة ويكون ملكها عالماً ايضاً وغاية في الكمال . ولكنه لما رأى بالخبرة ان العلم يترقى مع الجمهورية اكثر مما يترقى مع الملكية لان الجمهورية تُطلق له الحرية والملكية قد تقيده بقيود حديدية صار يفضل الجمهورية . وعلى ذلك فحرية العلم اي حرية الفكر والنشر مقياس الافضلية عنده . ورأيه في ذلك مبسوط في كتابه (المباحثات الفلسفية) الذي كتبه في آخر حياته . ففي احدى مباحثات هذا الكتاب قصة كاليبان وبروسبيرو . وبروسبيرو هذا هو ملكه العاقل الكامل . واما كاليبان فهو رجل قاصر مشوه الدماغ وهو كناية عن الشعب . فقام كاليبان واسقط بروسبيرو وعن



منظر مدينة آثينا

وفوقها الاكروبول الذي وقف فيه رجال يصلي الى الالاهة آثينا الصلاة المذكورة في الصفحة ٢٠٥

ملكه وحلّ محلّه قبل ان ينضج رأيه وتصلح حاله · قال رنان « انني احب بروسبيرو ولكنني لا احب الذين يريدون ارجاعه الى ملكه · فان كاليبان (مع حالته القاصرة) ينفعنا اكثر من بروسبيرو اذا عاد الينا على يد الجزويت والجنود الجبرية · ذلك لان عودته تكون ضغطاً علينا لا نهضة لنا · اذاً فلنبق كاليبان »

***

﴿ الله والدين ورنان ﴾ وانما قالت الطان والدبيا للاحزاب الفرنسوية المتطرفة ذلك القول لان رنان يرى في الله والدين ما لا تراه هي · ويحسن بنا هنا ان ننقل شيئاً من آرائه في هذه المواضيع الخطيرة لعلّ الذين تعلموا من الغرب سب رنان في الشرق تدعوهم ذمتهم الى الاعتدال والانصاف ولو قليلاً

قالت جريدة الدبيا الكاثوليكية ان رنان خدم الروح الديني في العالم خدمة ما بعدها خدمة · فانه هدم « روح فولتير » هدماً · تعني روح التهكم على الاديان والمذاهب واعتبارها اساطير قديمة · وانما هدم رنان تلك الروح بشيئين : الاول اعتماده في كتابته تاريخ الديانة المسيحية على الكتب المسيحية نفسها · والثاني تعليمه الناس احترام الامور الدينية واظهاره جمال العواطف الصادرة عنها · ولذلك قالت جريدة الطان ان الذي نشّط الحركة الدينية في العالم وزادها اتساعاً هو رنان · فان كل قارىء لا يتمالك ان يطير طرباً كلما قرأ ذلك الكلام اللين الحلو الممتلىء روحاً دينياً وتنتشي نفسه منه · وهكذا نشأ متأدبو العصر على احترام العواطف الدينية ووضعها في اسمى منزلة في نفوسهم بعد ان كان لا همّ لهم الا التهكم عليها واحتقارها · وبذلك حلّت « الروح الرنانية » محل « الروح الفولتيرية »

واليك بعض الامثلة لذلك

قال رنان في خاتمة كتابه « اعمال الرسل » ان الانسان حيوان ديّن اي مفطور على الدين · وكلما ارتقت الانسانية ازداد شعوره الديني · وقد شرح ذلك هناك شرحاً وافياً · وهذا الرأي مخالف رأي الماديين والوضعيين على خط مستقيم

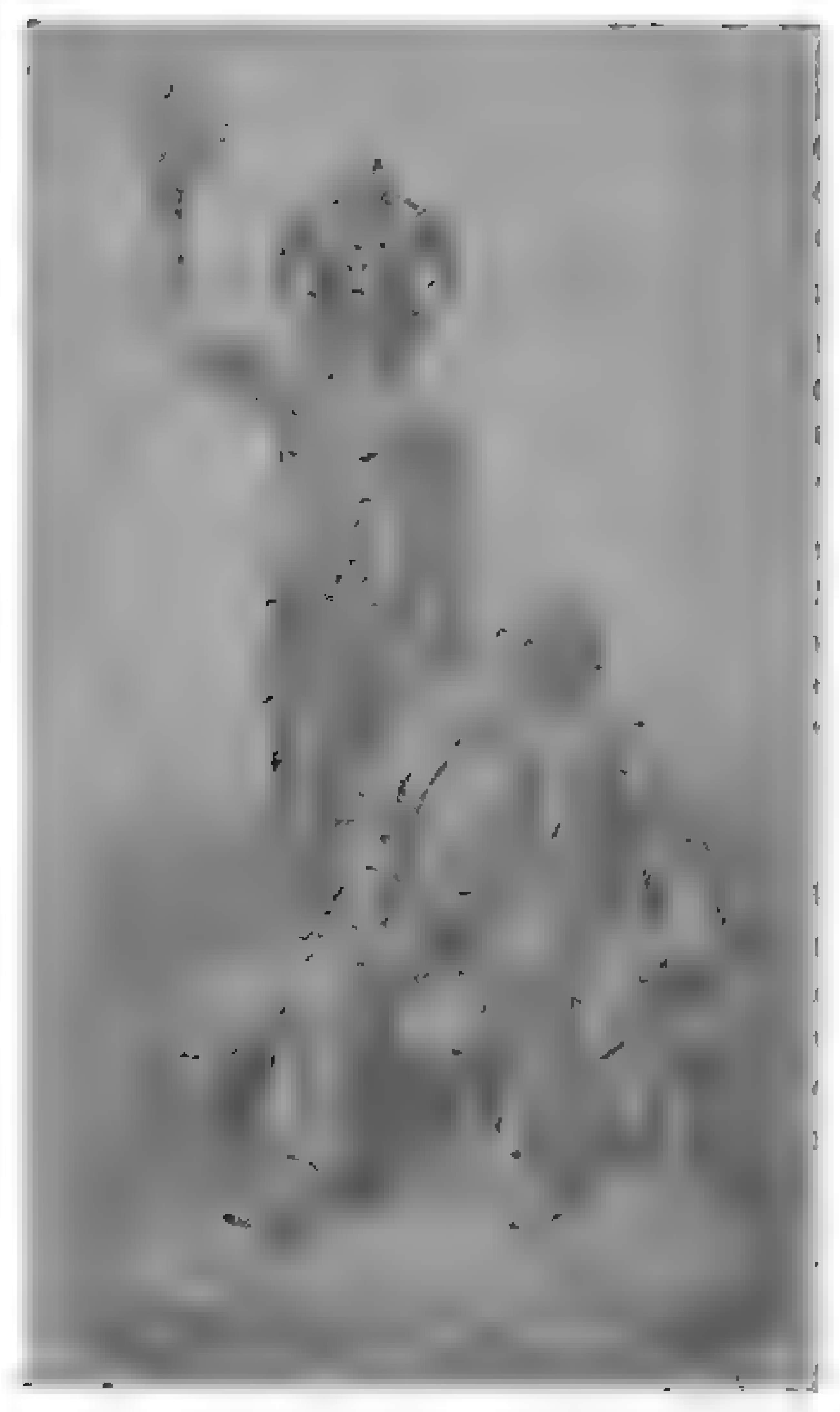
وقال في منتخباته ما ملخصه « انه لما كان في غزير (لبنان) نزل ضيفاً على احدى الاسر الكبيرة هناك · فلما قامت الضوضاء في فرنسا بسببه دعا كبير تلك الاسرة نجلاً له وسأله قائلاً يابني ما بالهم ينسبون الى المسيو رنان ما ينسبون · اخبرني عن اعتقاده · ولنبدأ اولاً بالاب · هل يعتقد بالله · فاجاب الفتى : اما في هذا فانه وطيد الايمان · فاجاب ذلك الشيخ الكريم : هذا شيء كثير هذا شيء كثير » وقد اورد رنان هذه القصة لاثبات ايمانه

وحدّث في الشهر الماضي احد كتاب الدبيا فقال : بعد دفن اخت رنان في جبيل (لبنان) كان رنان يستدعي الكهنة لاقامة القداسات عن نفسها . ولما قيل له في ذلك اجاب انني استنزل عليها بركة شيوخ صالحين كهؤلاء الشيوخ واحول بذلك دون اهانة قبرها بعد سفري اذا سمع هنا عني شيء يكرهونه

وقال في مقدمة كتابه « اوراق منثورة » « هل الحاجة الابدية التي في ضمائرنا الى ما وراء الطبيعة هي وهم وخيال ؟ كلا ثم كلا . فان من ينفي ذلك نفياً قطعياً مثله مثل من يثبت ذلك اثباتاً قطعياً . لانه اذا كان لم يثبت عقلياً ان للكون نفساً وايصاً لم يثبت انه ليس هنالك نفس له . فكل ما نعلمه اننا لا نعلم شيئاً . هذا كل ما نقدر ان نقوله عما وراء الطبيعة . فلا ننكرنّ شيئاً ولا نتبيّن شيئاً . بل فلنتمسك بالامل »

وقال في موضع آخر « ان نفسي ستسكن بعد وفاتي في خرائب كنيسة القديس مخائيل بشكل طائر البحر الابيض . وسيبقى هذا الطائر حائماً في الليل حول ابواب الكنيسة ونوافذها تائهاً عن المدخل شاكياً متألماً . وهكذا تبقى نفسي المسكينة حائمة متألمة حول هذه الاكمة الى الابد . فيقول عنها الفلاح حين مروره بها انها نفس كاهن يطلب الدخول الى الكنيسة لتلاوة قداسه » قال محرر الدبيا بعد ايراده هذه الشذرة « ولكن يا للاسف انه لا يجد ابداً اولاداً يخدمون هذا القداس »

والآن اليك ما قاله في معلميه واساتذته وكلهم من رجال الاكليروس لانه كان راهباً في شبابه « كان اساتذتي يعلمونني ما هو افضل من الانتقاد والاستنباط الفلسفي . ذلك انهم كانوا يعلمونني حب الحقيقة واحترام العقل والمعيشة الجدية . وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر فيّ . ولقد صرت بتربيتهم لا اقدر على شيء من الحياة الزمنية فانصرفتُ الى الحياة الروحية . وصرت ارى كل عمل مأجور عملاً دنيئاً . فيا اساتذتي الاعزاء الذين مات اكثرهم الآن . انني اراكم احياناً في احلامي ولكنني اراكم كتذكار حلو عندي لا كتبكيت وتوبيخ . فانني لم اخنكم بقدر ما تظنون . نعم قلتُ ان تاريخكم غير كاف وفلسفتكم اضعف من الفلسفة التي تعلمنا ان لا نقبل « شيئاً خاصاً وراء الطبيعة » ومع ذلك فانني لا ازال تلميذاً لكم . فانني مثلكم اعتقد ان الحياة لا قدر لها ولا قيمة الا بصرفها في الاخلاص والحقيقة والخير . الا انكم تفسرون هذا الخير تفسيراً ضيقاً وتجعلون هذه الحقيقة مادّية مجسمة وان كنتم مصيبين من حيث اساس الموضوع . فانا اشكركم لانكم طبعتم فيّ كطبيعة ثانية ذلك المبدأ الذي قد يمنع نجاح الانسان الدنيوي الا انه ينيله السعادة



التمثال الذي نُصب لرنان في فرنسا

(رنان في نحو الاربعين جالس على مقعد في وطنه تريجيه كما كان يجلس في حياته يتأمل في الكون والانسان . وفوقه الالاهة آثينا الالاهة الحكمة والعقل تناصب لتكليله باكليل المجد . وهي الالاهة التي صلّى اليها رنان الصلاة المشهورة في ما يلي لما زار هيكلها في الاكروبول في آثينا)



احد هياكل الاكروبول مصورة عن قرب وتظهر فيه دقة الصناعة اليونانية

والراحة وهو ان للانسان عليه ان ينصب امامه غرضاً شريفاً يسعى اليه في الحياة سعياً مجرداً عن المصلحة الخصوصية »

هذه هي مبادىء رنان وافكاره الدينية ولا ريب ان كثيرين من القراء يدهشون من بعضها لما يقرأونه عادة من طعن المتحاملين عليه لاغراض مختلفة . ولكن الغرض مرض لا دواء له

***

﴿ التمثال والاحتفال ﴾ ولما دخل ١٤ سبتمبر كان تمثال رنان منصوباً في ساحة تريجيه تحف الوزراء والعلماء والكبراء في وسط للاحتفال برفع الستار عنه . وهذا التمثال يمثل رنان جالساً على مقعد في تريجيه كما كان يجلس عادةً وهو في سن الستين ووقفه « بالاس آثينا » الاهة الحكمة عند اليونان تحمل اكليلاً لتضعه على رأسه وقبعته الى جانبه وعصاه في يده وهو غائص في بحر التفكر والتأمل في الحياة والكون والانسان حسب عادته . وهذا التمثال من صنع النقاش جان بوشه . وقد قامت تريجيه وقعدت في ذلك اليوم لكثرة المتوافدين عليها . وحدث بين حزب رنان والحكومة وبين الحزب الاكليريكي الملكي شيء من الاضطراب ولكن من حسن الحظ غلب الفريقان العقل على الجنون فانتهى الامر على احسن حال . وكانت الحفلة تحت رئاسة المسيو كومب رئيس الوزراة والمسيو شوميه وزير المعارف العمومية . ولما رفع الستار عن التمثال صفق الحاضرون وهتفوا فتلت حينئذ المدموازل ماربنو « صلاة رنان على الاكروبول » التي ترجمناها بعد وهي ابلغ ما كتبه الفيلسوف . ثم شرعوا في الخطب وهي ست (الاولى) للمسيو كيس رئيس جمعية « البريطانيين الزرق » صاحبة التمثال . (والثانية) للمسيو كيلرم شيخ تريجيه (والثالثة) للمسيو شوميه وزير المعارف بالنيابة عن الحكومة والجمهورية (والرابعة) للمسيو برتلو الكيماوي المشهور صديق رنان الحميم بالنيابة عن جمعية العلوم (والخامسة) للمسيو اناتول فرانس الكاتب الكبير الذي خلف رنان في فرنسا برقة العبارة والجراءة (والسادسة) خطبة شكر تلاها المسيو بسيشاري صهر رنان . وكانت قرينته مدام بسيشاري ابنة رنان حاضرة الى جانبه

***

﴿ صلاة رنان على الاكروبول ﴾ قلنا انه تلي في الاحتفال « صلاة رنان على الاكروبول » والاكروبول قلعة اثينا القديمة وهي مزينة بالهياكل وتماثيل الالهة بينها تمثال الالاهة « آثينا » ابنة جوبيتير الاهة العقل والحكمة . وهذه الالاهة كانت حامية اثينا عند

اليونان وباسمها سميت المدينة . فلما زار رنان اثينا في عام ١٨٦٥ وشاهد جمال هذا التمثال البالغ حد الكمال دُهش واصبح يعتقد بان الكمال من هذا العالم حتى لقد سمى تلك المصنوعات « معجزات يونانية » حقيقية وصار يستصغر كل تمدن دون تمدنها . ولاعجابه بها كتب الصلاة التي تقدم ذكرها . وقد تطرف رنان في هذه الصلاة لانه كان يخاطب « الاهة العقل » بالعقل فقط اي انه وضع القلب جانباً كما قال فيها . وان هذا القلم قد سجد عشرين مرة لقلم رنان الساحر حين ترجمتها لعله يغفر له تقصيره في نقل ابلغ كلام صاغته نفس بشرية . وهذه ترجمتها ملخصة طبقاً للاصل الا في موضعين او ثلاثة اختصرناها فراراً من التطويل

من رنان الى الاهة العقل والحكمة

وهي الالاهة «آثينا» المصوَّرة في صدر الجزء تكلل الفيلسوف

«يا مثال النقاء والجمال الساذج الحقيقي . يا ايتها الالاهة التي يُتقرَّب اليها بالحكمة والعقل . يا من هيكلها عبارة عن مثال ابدي للاخلاص والمعرفة . لقد ابطأت في الوصول الى هيكل اسرارك . وانني جئت اليك بضمير متألم . ولم اتوصل اليك الا بعد ابحاث لا نهاية لها . انك كنتِ بابتسامةٍ منكِ تمنحين الاثينوي حين ولادته قوة معرفتك والاشتراك معك اما انا فما حصّلتُ هذه القوة الا بالتفكر والجهد الشديد

لقد ولدتُ ايتها الالاهة ذات العينين الزرقاوين في بلاد السيميريين وهم قوم كرام فضلاء يسكنون على شاطىء بحر مزبد مغطى بالصخور . وكان اجدادي يشتغلون بالسفر في الابحار البعيدة التي لم يصل اليها قومك الارغونوتيون . ولما كنت صغيراً كنت اسمع منهم الاغاني التي كانوا ينشدونها في الاسفار القطبيّة . فشببت عليها وعلى اقاصيص الثلوج المتحركة والابحر التي يغطيها الضباب كانها من اللبن والجزر المأهولة بطيور تنشد في اوقات معينة وتطير الى الفضاء ، مما تحجب وجه السماء

وقد رباني كهان دين غريب جاءنا من سوريي فلسطين . وكان هولاء الكهان عقلاء حكماء فعلموني قصصاً طويلة عن « خرونوس » الذي خلق الكون وعن ابنه الذي جاء العالم كما قالوا . اما هياكل هؤلاء الكهنة فهي اعلى من هيكلك ثلاث مرات وهيئتها كهيئة حرش ولكنها ليست وطيدة لانها تنهدم كلما مرَّ عليها ٥ او ٦ مائة سنة . فهي من صنع البرابرة (١) الذين يظنون انه يمكن صنع شيء ثابت بغير القواعد التي وضعتها يا الاهة العقل . ولكن تلك الهياكل كانت تعجبني . فانني لم اكن درست ذلك الالهي بعد . فضلاً عن

(١) كان قدماء اليونان يسمون برابرة كل من عداهم من الناس

اني كنت اجد « الله » فيها . وكانوا يغنون فيها اغاني ما زلت اذكر بعضها . منها« السلام عليكِ يا نجمة البحر . . يا ملكة الذين يتألمون في هذه الدنيا دار الدموع » او « يا وردة رمزية . يا برج العاج . يا بيت الذهب . يا نجمة الصباح » ـ اطري ايتها الالاهة . اني حينما اتذكر هذه الاغاني يتفطر قلبي حنوًا واكاد اجحدك . فصفحًا عن هذا الضعف المضحك . انك لا تقدرين على فهم السحر الذي اودعه الشعراء البرابرة في هذه الابيات الشعرية ولا ان تدركي مبلغ ما اعانيه حين سماعها لاتمكن من اتباع العقل المجرد وحده

ثم انك لا تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الارض . فان كل استقامة ذهبت منها . وقد ملك السكيثيون (١) العالم ولم تبقَ فيه جمهوريات مؤلفة من اناس احرار . بل كل ما فيه ملوك خرجوا من دم ثقيل . جلالات لو وقع نظرك عليهم لضحكتِ منهم . وكذلك مدعون ثقلاء يسمون « خفيفي الرأس » كل من يخدمك . وقد تألف من كل الصغائر والدنايا عصبة طوقت العالم بلفائف من رصاص تكاد تخنق النفوس . حتى الذين هم انفسهم يخدمونكِ كم هم يستحقون شفقتك . هل تذكرين ذلك المكدوني الذي جاء منذ ٥٠ عامًا وحطم هيكلك بالمطارق ليحمله الى «طوله» ؟ أن جميع الذين يخدمونك اليوم يصنعون صنعه . . . فلقد كتبت بحسب القواعد التي تحبينها ايتها الالاهة تاريخ حياة الاله الشاب الذي خدمته في صباي فعاملوني معاملة افيميروس . وقد صاروا يكتبون لي و يسألونني ماذا اقصد بذلك . فكأنهم لايرون فائدة الا في ما يثمر لهم ثمرًا ماديًا . ولكن يا ابنة السماء . اسألك لماذا يكتب الناس تواريخ الالهة . اليس ذلك لتحبيب ما فيهم من الروح الالهي الى الناس واظهار ان هذا الروح لا يزال حيًا في قلب الانسانية وسيبقى فيه الى الابد

او تذكرين ايتها الالاهة ذلك اليهودي الصغير الدميم الذي كان يتكلم يونانية السوريين والذي جاء الى هنا في عهد ديوبيزودوروس فطاف في ساحات هيا كلك دون ان يفهمك وقرأ النقوش التي على آثارك قراءة معكوسة فظن انه وجد في دائرتك مذبحًا مقامًا« لاله مجهول » ــ الا فاعلمي الآن ان هذا اليهودي قد تغلب على العالم . ولقد انقضى الف سنة يا ابنتها الحقيقة وهم يسمونكِ وثنًا . لقد انقضى الف سنة والعالم شبيه بقفر قاحل لا تنبت فيه زهرة . ففي ذلك الزمن كنتِ ساكتة خرساء يا نبراس الفكر البشري . وكان من يحبك حينئذٍ يُحسب حابيًا يا الاهة النظام ومثال القرار السماوي . حتى اليوم وقد

---

(١) السكيثيون قبائل متوحشة كانت في عهد اليونان

افرغنا الجهد للاقتراب منك بعد متاعب شاقة صاروا يتهموننا باننا جنينا على العقل البشري بكسرنا قيوداً كان افلاطون نفسه في غنى عنها

انت وحدك فتية طاهرة نقية ايتها العذراء الجميلة . انتِ وحدك قوية يا الاهة النصر . انت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها . فان لك من « المريخ » كل ما يلزمك من القوة . ولكن لا عرض لك غير السلام . فيا واضعة الشرائع العادلة . يا ايتها الديموقراطية التي مبدأها الاساسي ان كل خير هو آتٍ من الشعب وان كل مكان ليس فيه شعب يوحي الى النفوس عظائم القرائح فليس فيه شيء — علمينا كيف نستخرج « الماس » من الجموع الجاهلة . ويا عناية جوبتير . يا ام كل الصنائع . يا حامية العمل . يا ايتها الحكمة ابنة زفس المتحدة في جوهر ابيها . يا ايتها النار التي تشعل نفوس الابطال واصحاب القرائح العظمى . اجعلينا روحيين نفساً وجسداً . — يا ايتها الالاهة . لما تخاصم فيك الاثينويون والرودسيون اختارتِ الاقامة بين الاثينويين لانهم اكثر حكمة . فانزل ابوكِ على الرودسيين الاله بلوتوس في سحابة ذهبية مكافأة لهم على اجلالهم ابنته . فصار الرودسيون اغنياء . اما الاثينويون فانهم صاروا حكماء واكتسبوا البشاشة والذكاء اي اكتسبوا السرور الابدي وطفولية في القلب دائمة

ان العالم ايتها الالاهة لا يخلص الا اذا عاد اليكِ وبذ صلاته البربرية . فلنركض اليكِ ولنأتِ افواجاً افواجاً . يا له من يوم جميل يوم تأتي كل المدن التي اخذت انقاض هيكلك كالبندقية (فنيسيا) وباريز ولندن وكوبنهاغ وترد تلك السرقة معتذرة بقولها « عفواً ايتها الالاهة ما اخذناها الا لحمايتها من شياطين الليل » وهكذا يعيدون بناء جدرانك على نغم المزمار تكفيراً عن جناية ايزاندرس (١) ثم يقصدون سبارطة للعن تلك الارض التي صدرت عنها اغلاط مظلمة ويهينونها لانها لم تعد موجودة

اني اؤمن بك ايتها الالاهة ومتى كنت قوياً فيك فاني اقاوم كل نصح يغرني . اقاوم ارتيابي الذي يحملني اشك في الشعب . اقاوم اضطراب فكري الذي كما وجد الحقيقة لا يكتفي بها ويدفعني الى البحث عنها ايضاً . اقاوم هوسي الذي يمنعني من الرضى بحكم العقل كل ما حكم العقل حكماً قاطعاً ويحرم نفسي الراحة . فيا مثال الكمال الذي به اصحاب القرائح العظمى في مصنوعاتهم الكبرى اني افضل ان اكون الاخير في منزلك على ان اكون الاول في سواه . فاعلمي اني ساوقف نفسي على خدمتك واربط روحي في هيكلك . سانسى كل

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

نظام غير نظامك واجعل غرفتي بجانب غرفتك . بل اعظم من ذلك انني ساجعل نفسي (اذا قدرتُ) متعصباً متحيزاً اكراماً لك . فلا احب شيئاً غيرك . وهوذا انني سأتعلم لغتك وانسى كل لغة سواها . ساكون ظالماً لكل شيء لا يتعلق بك . ساجعل نفسي احقر خادم لاحقر ابنائك . سامدح سكان ارضك واحب فيهم كل شيء حتى عيوبهم . ساقنع نفسي بانهم من سلالة اولئك الفرسان الذين يحتفلون فوق على رخام نقوشك بعيدهم الابدي . ساسلخ من قلبي كل شيء لا يكون عقلاً وصناعة مجرَّدة . ساعدل عن حب امراضي والارتياح الى الحمى التي تحرقني . فساعديني يا ابتها الالاهة وانقذيني

ولكن كم من المصاعب تعترض طريقي . فانني ساضطر الى تعبير عادات عقلية كثيرة ونبذ تذكارات جميلة من نفسي . ساجرب ذلك وان كنت غير واثق من نفسي . ذلك لانني ابطأت في معرفتك يا ذات الجمال الكامل فاخشى ان يعاودني ضعفي . ان فلسفة فاسدة جعلتني اعتقد ان الخير والشر . واللذة والالم . والجميل والدميم . والعقل والجنون ـ كلها تتحول وتتداخل بعضها في بعض بطرق خفية لا تُدرك كما ان الناظر لا يدرك مغاوي عنق الحمامة . وحينئذٍ تصير الحكمة في ان لا يحبّ الانسان شيئاً مطلقاً ولا يبغض شيئاً مطلقاً . فانه لو كانت احدى الهيئات الاجتماعية او احدى الديانات او احدى الفلسفات قد حازت الحقيقة المطلقة لكانت تغلبت على ما بقي وعاشت وحدها في عصرنا الحاضر . اذ ان كل الذين ظنوا ان الحقيقة في جانبهم منذ البدء حتى اليوم قد اخطأوا في هذا الظن وهذا امر واضح كل الوضوح . فهل من الحكمة ان نعتقد نحن في نوبتنا ان الحق في جانبنا وان المستقبل لا يحكم علينا كما نحكم على الذين تقدمونا . ـ هذه هي المسبّة التي تجول في فكري الفاسد . ان الاشياء اذا كانت صحيحة سليمة من كل جهة مثلك فانها تدعو الى الملل والسآمة

انك تضحكين من سذاجتي . ولكن قلت واقول الملل والسآمة . فان عقولنا فسدت وما الحيلة . بل انني اقول لك اكثر من ذلك ايتها الالاهة المستقيمة واطلعك على حقيقة فساد قلبي . عندي ان العقل وسلامة الحكم لا يكفيان . لان في نشوة « الثراس » وجليد « السثريمون » شيئاً من العزّل لا يوجد في سواها . وسيأتي زمن يكون فيه تلامذتك تلامذة السآمة . ان العالم اكبر مما تظنين . ولو انك شاهدت ثلوج القطب واسرار السماء الجنوبية فان جبهتك لا تكون صافية هادئة الى هذا الحدّ . ورأسك حينئذٍ يتسع اكثر فيسع ضروباً من الجمال مختلفة

انت الحقيقة . انت كاملة نقية لا لطخة على بلاطك . ولكن هيكل هاجيا صوفيا في

بيزانس (١) بآجره وحدرانه يُحدث في النفس تأثيراً الهياً مثلك · فانه رمز الى قبة السماء · ومع ذلك فانه سينهدم · ولو كان بيتك واسعاً حتى يسع الجموع مثله لانهدم ايضاً ·

ان نهراً واسعاً يحملنا كلنا الى هاوية النسيان الهائلة · فيا ايتها الهاوية ·· ان دموع كل الشعوب دموع حقيقية · واحلام كل الحكماء فيها شيء من الحقيقة · وكل شيء في هذه الارض ليس الا رمزاً وحلماً · فان الالهة تمرّ وتذهب كالناس · وليس يحسن ان تبقى ابدية · والايمان الذي كان للانسان لا يجب ان يكون له قيداً · فانه متى لفه باعتناء في الكفن الارجواني الذي ترقد فيه الالهة الميتة يكون قد وفاه حقاه »

هذه هي صلاة الاكروبول التي هي اشهر ما كتبه رنان · ومما يحسن ذكره هنا ان جمعية العلوم في باريز ارسلت الى اثينا في العام الماضي احد اكابر المصوّرين الباريزيين فصوّر في الاكروبول رنان بحجمه الطبيعي واقفاً امام الالاهة (اثينا) وباقي الآثار يتلو لديها صلاته المذكورة

***

﴿ جواب الالاهة على صلاة رنان ﴾ وقد ذكرنا ان المسيو اناتول فرانس الذي خلف رنان بفرنسا في رقة العبارات وعذوبة الالفاظ قد خطب في جملة الخطباء · ففي ختام خطبته التي كانت في غاية الجمال جعل الالاهة اثينا تجاوب على صلاة رنان بالجواب التالي

« ايها السادة

« لقد اصاب النقاش الذي وضع « آثينا » بجانب رنان · فان هوميروس يخبرنا انها كانت تنزل من السموات الواسعة لتزور الرجال الذين كانت راضية عنهم · وقد زارت عولس غير مرة · وكأنني الآن اسمعها تخاطب صديقها الارضي وتقول

انني الحكمة · ويصعب على الناس حتى افضلهم ان يعرفوني لاول وهلة بسبب الحجب والسحب التي تستر في لانني كالسماء غائمة صافية · اما انتَ يا ايها السلتي الظريف فانك طلبتني دائماً وكلما وجدتني بذلت جهدك في معرفتي · فكل ما كتبته فيَّ ايها الشاعر حقيق · ان قريحة اليونان انزلتني الى الارض · ولما قضت خرجتُ منها · فجاء بعدهم البرابرة واجتاحوا العالم · وكانوا يخافون الجمال ويحسبونه شراً · فلما رأوني جميلة شكّوا فيَّ ولم يحسبوا انني الحكمة · فطردوني . ولكن بعد ليل دام عشرة قرون بزغ فجر النهضة · فنزلت الى الارض

« ١ » هو اليوم جامع آيا صوفيا في الاستانة

وزرت نصراء الانسانية والفلاسفة في غرفهم الضيقة حيث كانوا يصونون بقمة كتب جميلة في باطن الصناديق • وكذلك زرت المصورين والنقاشين في معاملهم التي كانت حينئذٍ حوانيت صغيرة • ولما حدث الاضطهاد فضّل بعض انصاري الموت حرقاً بالنار على جحودي • والبعض الآخر تخلصوا من مضطهديهم بالتهكم والمزاح • ولكنهم لم يلبثوا ان نموا وتكاثروا شيئاً فشيئاً • وكان الفرنسويون اول من اقام لي الهياكل • وان قرناً بجملته من تاريخهم قد اهدي اليّ

ومنذ ذلك الحين صار الفكر حرّاً واُقبل الفلاسفة والعلماء وارباب الفنون على اكرامي • ولكنك انتَ من بينهم كلهم قدمتَ لي على ما اظن العبادة التي هي اشقّ ما يكون وارق ما يكون • ومنك انتَ رفعتْ اليّ الصلاة التي هي اُنقى صلاة واحرّها • فانك على اكروبولي المقدّس حييتني اجمل تحية بكلام لم يُصغ مثله في الارض منذ ذلك الزمن الذي كانت فيه نحل الحكمة تلقي عسلها على شفاه سوفوكلوس وافلاطون

ان الآلهة الخالدة مديونة بشيء كثير للذين يعبدونها • وهي مديونة لهم قبل كل شيء بالحياة • وهذا سرٌّ قد عرفته انت • فان الآلهة انما تستمد غذاءها من الناس • وهي تغتذي من البخار المتصاعد عن دماء الفريسة • ولا ريب انك تعلم ان المقصود بذلك ان حياتها مؤلفة من جميع افكار البشر وعواطفهم • فالناس الكرام الصالحون تكون آلهتهم كريمة صالحة • اما الآلهة الشريرة القاسية فلا تكون الاَّ للذين تكون عواطفهم وتقدماتهم كذلك • وحقاً قلتَ : ان الآلهة كالبشر غير خالدين • ومنها ما لا يعيش اكثر من الفي سنة

واما انا الالاهة « آثينا » ذات العينين الصافيتين فانني مديونة لك بانني ما زلت حية • ولكني ما كنت لاكتفي فقط بالحياة وطول العمر • فانني اشفق على الآلهة التي في خلال البخار وبقايا البخور تجرُّ ذيل الهبوط • بل انك زدت في جمالي وعظمتي • لقد غذيتني من قوتك ومن مبادئك • وبكَ وبمن يشبهك اتسعت دائرة عقلي حتى صار يسع عالمَ كبلر ونيوتن

لقد ولدتُ ذكيةً في بلاد اليونان السعداء • وفي صباي اكتشفت من النواميس والشرائع ما لم يعلم به الاله الذي طردني • ولكن العالم كان يومئذٍ صغيرًا • فانني ما كنت اعلم من الهندسة الا ما كان يعلمه اقليدس ولا من الطب الا ما كان يعلمه ابيوقراط ولا من علم الفلك الا ما كان يعلمه اريسترخس من جزيرة صاموس • ولم تكن عيناي تقعان الاّ على بحر الاتيك وجباله البنفسجية التي ينمو الزيتون فيها • ولم اكن اعرف من البرابرة غير

السكيثيين · وكنت اظن ان السفن الفينيقية الراسية في مياه البيره هي تجارة الدنيا كلها · وقد كنت متشرعة فانني من شاهق مخزني المقدسة هذه كنت احكم على بضعة الوف من الاحرار البلداء · وكانوا يدرونني على كتب القصاء بجمال جامع بين السذاجة والرقة وهو لا يزال يفتن ناظريه حتى اليوم · نعم يا رنان · انني استحق الاسماء التي سميتني بها · كالاهة السلام · وحامية العمل · والديموقراطية · والنصر · ولكن قل لي اية نسبة بين مدننا القديمة والامم العظمى التي في هذا العصر · فالحكماء اليوم قد كشفوا عن ناظري واروني ما لا نهاية له من العوالم · فرأيتُ على ارضٍ ترتجف من نفخ البخار وصدم الكهرباء امماً عديدة عددها مليار وستمائة مليون شخص كانت امس بعضها اعداء لبعض وهي اليوم بعضها اقرب من بعض مما كانت وكلها مندفعة للعمل في الصناعة والعلم يشتغل بعضها لبعض او بعضها ضد بعض متحاسدة متباغضة متزاحمة

ولكن ترى كيف تكون نهاية هذا الزحام والنزاع بين كل تلك القوى المتعددة والاهواء المختلفة ؟ من يكون الغالب في الخاتمة ؟ الحب ام البغض ؟ الجهل ام العلم ؟ الحرب ام السلم ؟ الهمجية ام المدنية ؟ قوات الذين سميتهم « ملوكاً خرجوا من دم ثقيل » ام قوة الديموقراطية ؟ ـ لا تسلني عن ذلك يا رنان · فان المستقبل محجوب حتى عن الذين يصنعونه · لا تسل كيف تكون حالة المستقبل ولكن كن على ثقة من انني سابنيه وحدي · ذلك لانه لا مهندس ولا بنّاء غيري · ولم يستدعني الفلاسفة والعلماء الى الارض عبثاً · فانه بينما يشتغل الجبابرة اعداء الآلهة العادلة بصنع الاسلحة ووضع الجبال بعضها فوق بعض ابني انا مدينة المستقبل المقدسة وان كان الحكماء انفسهم لا يرون ذلك ويشكّون في انني ابنيها · ولكن المستقبل سيعرف ابنيتي هذه من قوتها ومتانتها لان مباني الجهل والضلال لا تلبث ان تنهدم من نفسها · وانك ذكرت ذلك يا رنان وقلت ان لا شيء يدوم و يبقى الا اذا كان منظماً بيدي بحسب قواعدي · ذلك لانني امُّ الاحتياط و النظام · ذلك لانني فكر كل ذي فكر وعلم كل ذي علم · بل فكرك وعلمك يا صديقي رنان

فكن مطمئناً واقبل الآن من يدي غصن الذهب الذي استحقه جدك وكدك · عش ممجّداً معظماً في انقى القلوب واقوى النفوس · احيَ فيَّ لاحيى فيك يا اعظم اصدقائي · فلقد نلتَ الخلود الذي كنت تصبو اليه · وكل ما ابرزته نفسك من الجمال والخير لا يذهب شيء منه سدى بل يبقى الى الابد · فان الانسانية لا بدّ ان تحقق احلام الحكماء شيئاً فشيئاً وان كان سيرها بطيئاً » ـ انتهت خاتمة المسيو اناتول فرانس

الخاتمة

هذا ما رأينا ذكره عن الفيلسوف رنان في هذا الفصل . وليس غرضنا منه سوى الاشتراك في اكرام هذا الفيلسوف العظيم الذي خدم البشر في الارض بكل قوى عقله الفائق وفطرته الخارقة العادة وان كان قد تطرف في ذلك تطرفاً حسابه بينه وبين الله وحده

وان قيل ما فائدتنا من هذه المقالة فالجواب لنا فيها فائدتان مهمتان . (الاولى) من حيث لغة رنان (والثانية) من حيث فلسفته

﴿ الفائدة الاولى ﴾ اما الفائدة الاولى وهي من حيث اللغة فهي لا تخلو من اهمية للكتّاب الشرقيين . ذلك ان رنان من حيث اللغة هو ممثّل الكمال والجمال فيها بين جميع كتاب العالم . فلغته ارقّ وابلغ لغة خطها بنان انسان والفرنسويون كلهم مجمعون على انه ابلغ كتابهم من يوم وجود اللغة الفرنسوية الى اليوم . ولكن بلاغة رنان خاصة به . فان الطفل يقرأ كلامه ويفهمه بسهولة دون ان يحتاج ان يفتش عن كلمة في قاموسه . وكان رنان حينما يبالغون في الاعجاب بلغته الحلوة السهلة البسيطة يتعجب من مبالغتهم ولا يفهم اعجابهم هذا . وسبب ذلك ان هذا الاسلوب كان طبيعياً فيه وربما انه لم يكن يتعب في صوغه فقد كان يستهينه ويظنه امرًا سهلاً على غيره . فبلاغته اذاً كانت مصوغة من مادتين : الاولى الفاظ سهلة بسيطة مألوفة الاستعمال يفهمها كل الناس حتى الاولاد والاطفال . والثانية رقة خصوصيّة في نفسه تبث الحياة في تلك الالفاظ وتحببها بحلاوة تسكر النفوس ولو كان الموضوع من اصعب المواضيع الفلسفية والتاريخية والعلمية مبقيةً له كل ما يلزم من السهولة والبساطة لسرعة الفهم

وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الادب ليذهب الطلاّب ويفتشوا فيها عنها بل هي في الطبيعة نفسها اي طبيعة الكون الجميلة وطبيعة نفس الانسان اي في باطنه . فمن لا يملكها في نفسه فعبثاً يطلبها في الكتب . فانها حسناء ذات دلال لا تُنبي الاّ مرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه . فالبلاغة اذاً عبارة عن حسن فطري باطنيّ اي نفسيّ كما ان حسن الوجه حسن خارجي . وربما كان هنا شيئاً من الفرق والاختلاف بين البلاغة الافرنجية والبلاغة العربية لاعتماد هذه على الالفاظ وتنميقها اكثر من اعتماد تلك على ذلك . واذا كان هذا الرأي صحيحاً فهو عثرة في سبيل البلاغة العربية . ولكن من حسن الحظ ان هذه العثرة قد اخذت تزول بعد ان طما على اللغة العربية سيل البلاغة اليونانية في عصر النهضة العباسية والاندلسية الاولى وبلاغة الافرنج في هذا العصر وان

كانت هذه مصدرها تلك ايضاً . ولذلك صار اصحاب الذوق يستملحون البلاغة الافرنجية كصلاة رنان على الاكروبول المشهورة آنفاً وغيرها . وفي الحقيقة ان هذه الصلاة الفلسفية في اول الاقوال على حقيقة البلاغة الافرنجية . ويا ليت الذين يختارون بعض الترجمات السقيمة لافكار ابناء الافرنج ثم يحكمون بركاكة لغتهم بالنسبة الى اللغة العربية يجيلون النظر في معاني رنان في صلاته هذه وحينئذٍ يعرفون حقيقة البلاغة فتعاف نفوسهم بعدها كل لغة لا تكون قريبة منها كما يعاف آكل السكر الثمر المرّ بعده . ويعلم حينئذٍ الذين ينسبون الى اللغة العربية القصور عن مجاراة لغات الافرنج انهم ظلموها بذلك لان القصور هو في اسلوبها البدوي القديم الذي لا ينطبق على حاجات العصر لا فيها نفسها . لانها لم تخرج عن كونها لغة ساميّة رقيقة يعبّر بها عن كل العواطف الجميلة متى هُجر ذلك الاسلوب وحلّ محله الاسلوب الذي سموه « افرنجياً » وهو في الحقيقة طبيعي ازلي لانه سبق الافرنج واليونان والرومان ووجد مع الانسان اول بلاغته

﴿الفائدة الثانية﴾ هذا ما نستفيده من حيث اللغة من قراءة هذا الفصل حين الوقوف على كلام رنان الساحر . اما ما نستفيده من حيث فلسفته فهو اهمّ من ذلك بكثير

قال رنان في آخر حياته في احدى خطبه وهو من اشهر اقواله . « وددت لو يكون قبري في وسط دير . ولكن الدير فرع عن الكنيسة والكنيسة لا تريدني وان كانت مخطئة في ذلك . واودّ ان يحفروا على قبري هذه العبارة « لقد احبَّ الحقيقة » أجل انني احببت الحقيقة وطلبتها وسعيت وراءها الى حيث كانت تدعوني دون ان التفت الى ما اعانيه في سبيلها . ومما لا يحتاج الى بيان ان سرّ الكون لم ينجلِ لاحد بعد . وليس هنالك احد على ثقة من انه وجده . فان اللانهاية التي تحيط بنا وتضغط علينا لا يحيط بها علم وهي تتملّص من كل حدّ وقيد . ولكن هنالك شيء واحد يستطيع الانسان تأكيده ويكون على ثقة منه وهو حسن نية القلب . ولقد عملت ما عملتُ بحسن نية . واذا اقسم على صدق هذا القول بموقفي الاخير في يوم الدينونة » وقال في موضع آخر « متى وجدتُ في اثناء بحثي تعليماً او مبادىء تعترضني وتسد الطريق في وجهي فانني احكم عليها بالضعف واعرض عنها لانني اريد اللانهاية ولا اقبل شيئاً غيرها »

فيظهر من هذا ان غرض رنان انما كان طلب الحقيقة المجرَّدة بقواه العقلية دون اعتماد على شهادات الكتب والناس . فاذا اخطأ فقد اخطأ عن حسن نية واذا اصاب فقد اصاب بحسن نية . وكل انسان يطلب ما يشاء بحسن نية اي يطلبه لذاته مجرداً عن المصلحة

الخصوصية فهو معذور ولا شك لانه يتبع ضميره ووجدانه . وبذلك لا تكون صناعة القلم عبارة عن صناعة تجارية يُقصد بها جمع الفكاهات والفوائد التي تُرضي الناس وتدرّ المال بل تكون — فوق الاهواء وفوق الناس — محكّمة عليا للمبادئ والضمير اذ لا غرض لها الا تقرير الحقائق لذاتها بين الجميع وطلبها حيثما كانت . وحينئذٍ تكون هـذه الصناعة صناعة الهية وميزان الله في الارض بين الصغائر والدنايا البشرية

فيا موحية هذه الصناعة الالهية يا « آثينا » العظيمة اسمحي لنا بعد صديقكِ العظيم ان نوجه اليكِ رجاءنا وسؤالنا نحن معاشر الشرقيين . وليس لك ان تنكري علينا كثيراً فان بيننا رحماً قديمة . اتذكرين يا ايتها الالاهة اولئك الفينيقيين الامرى الذين كان يختطفهم بحارة جزائرك في الارخبيل من شواطئ صور وصيداء ويسوقونهم الى بلادك . ان هؤلاء الاسرى كانوا من مساعديك على تمدين قومك وتعليمهم الفنون الجميلة لاول مرة وهم من قواعد نهضتك . ففي عروقك اذاً يا ايتها العذراء الجميلة شيء من دماء شرقية . فنناشدك بحق حرمة هذا النسب القديم ان تبعثي الى الشرق جدك القديم شيئاً من سناء نورك العظيم . علّمينا ان ننسى اهواءنا ومصالحنا الخصوصية لنضع انفسنا في موضع خدمة المصلحة العمومية . علّمينا ان نجهر بمعتقدنا ايّاً كان ولا نخاف فيه فوات الارض والسماء لئلا نكون خونة لك ضعفاء جبناء . افهمينا معنى الحق والعدل والواجب والعقل لنتخذها نجوماً تهدينا في ظلمات هذه الحياة وجامعة جديدة تقوم لدينا مقام كل جامعة بدل انقسامنا وتفانينا في تأييد المصالح والجهالة والاهواء . ثبّتينا دائماً في احتقار ملاذّ الارض وموادها لئلا تشغلنا عنك فان تلك الملاذ الباطلة تقتلك وتقتلنا اذا قويت عليكِ وعلينا وحينئذٍ تصبح الارض مستنقعاً نتناً يسود فيه الاكثر شراهةً والاشدّ قابليّةً . افتحي عيوننا لنرى اننا في طلبنا الاصلاح في الشرق يجب ان نكون مخلصين قلباً وقالباً مهتمين بالجميع لا بفئة واحدة وان نبدأ باقرب الاشياء الينا اي بانفسنا . واكمالاً لهذا الاصلاح بثّي فينا يا ايتها الالاهة القادرة ذلك الروح الذي لا خلاص لنا بدونه وهو روح التساهل المطلق الذي كان صديقك رنان رسوله الكبير . ونعني بهذا التساهل اعطاء جميع الآراء والافكار حق الظهور في الشرق بين الناس لتكمل بذلك الحركة الشرقية تمهيداً للنتيجة العظيمة التي تخرج منها بعد استيفاء فعلها واختمارها . ونحن نرضى هذه النتيجة مهما كانت لاننا على ثقة من انها لا تكون مناقضة لروحك روح العدالة والنزاهة الابديّة الالهيّة . واذا كنا لا نشاهدها في زماننا فحسبنا ان يشاهدها احفاد احفادنا ولو بعد عشرين عقباً

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما نهم مطالعته من المقالات الفلسفية والطبية والادبية والتاريخية والعمرانية
ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

مصر قبل التاريخ

وسكانها الاصليون

لم يحقق علماء التاريخ بعد مسألة سكان مصر الاصليين ولا تزال هذه المسألة موضوعة موضع البحث والتنقيب . وقد كتب بول كومب في ذلك فصلاً مسهباً اليك خلاصته

قال سانهيلير « اننا اذا بحثنا في حيوانات مصر بحثاً دقيقاً لم نجد فيها حيواناً خاصاً بها » اي ان جميع حيواناتها قادمة اليها من خارج . وما يقال في الحيوانات يقال في البشر الذين سكنوها . قال المسيو دي مورغان مدير الآثار المصرية السابق في كتابه « اصل مصر والعصر الحجري والمعدني فيها » ان صناعة الحجارة في مصر جرت في تكيفها وارتقائها مجرى هذه الصناعة في باقي اقطار الارض . يريد بذلك انه كان لها اتصال بالخارج وهو يعتقد انها من صنع شعب افريقي استولى عليه شعب غريب قادم من آسيا واعطاه صناعة المعادن التي كانت اساس التمدن المصري القديم

وعلى ذلك يكون اصل سكان مصر افريقياً . وقد وافق على هذا القول شمبوليون المشهور فانه يقول في كتابه « خلاصة تاريخ مصر » ان القبائل الاولى التي سكنت وادي النيل من شلالات اصوان الى البحر قدمت اليه من الحبشة او من سنار . ويستحيل تأريخ هذه الهجرة لانها متناهية في القدم . وهؤلاء السكان كانوا يشبهون سكان بلاد النوبة اليوم . ولسنا نجد بين الاقباط في هذا الزمان لوائح اولئك السكان الاقدمين لان الاقباط خرجوا من امتزاج جميع العناصر التي حكمت مصر على التوالي »

ولكن اذا كان قد تقرر ان سكان مصر الاصليين قدموا اليها من اعالي النيل فانه قد

ثبت ايضاً ان مصر خالطت آسيا قبل الدولة الاولى . وقد عُرف ذلك من درس رسوم حيواناتها . فقد وجد في جملتها الثور الاسيوي والحمار الاسيوي والغنم الاسيوية وكلها تختلف عن حيوانات مصر الافريقية احتلافاً شديداً . ولذلك ذهب اكثرهم الى ان مبدأ التمدن المصري القديم كان في آسيا . وهذا رأي المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية لهذا العهد . فانه يقول في كتابه « تاريخ مصر القديم » ان سكان مصر مشتقون من قبائل ساميّة مختلطة قدمت اليها من آسيا عن طريق السويس فوجدت فيها نوعاً آخر من البشر وربما كان اسود فطردته الى داخل افريقيا »

قال بول كومب « فما تقدم يظهر ان سكان مصر الاصليين كانوا من سود افريقيا وانهم نزلوا اليها مع الوقت على موازاة النهر . وان الحيوانات الافريقية التي وجدت في الآثار المصرية القديمة انما كانت متخلّفة عن هؤلاء السكان . ثم زحفت الى مصر قبائل اسيوية معها حيوانات اسيوية وعندها صناعات معدنية فكان بها مبدأ التمدن المصري القديم

ولكن من اين جاءت تلك القبائل الاسيوية ومن اي جنس هي . هنا موضع البحث والتنقيب

﴿ الكوخ الهندي ﴾

قرآته في المدارس

في الثغر مدرسة يونانية مهمة تُدعى « مدرسة افيروف » اسسها المرحوم افيروف الشهير . وهي تدرّس اللغة العربية لتلامذتها اليونانيين على اختلاف سنهم . وقد كان استاذ اللغة العربية فيها منذ مدة سيادة الاب المفضال الارشمندريت الياس شحاده ذيب رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الثغر . فهذه المدرسة قررت تدريس « الكوخ الهندي » لطلبتها الذين يتعلمون اللغة العربية نظراً لسهولة عبارته وسمو المبادىء التي وضعها فيه مؤلفه برناردين دي سان بيير . وهنا محلّ للاعجاب باهتمام اخواننا الافرنج . فانهم يسبقون الناس دائماً الى طلب ما يفيد ويرقي حتى ان مدارسهم اليونانية سبقت المدارس العربية في مصر والشام الى قراءة رواية عربية كالكوخ الهندي على الطلبة . مع ان اساتذة مصر والشام لو انصفوا لما تركوا تلميذاً لم تحاولوه من هذا الكتاب

وقد كادت تنفد طبعة الكوخ الهندي الاولى كما نفدت روايات الثورة الفرنسوية تقريباً فاذا عوّلت مدرسة اخرى على قراءته اضطررنا الى اعادة طبعه

فلسطين واشهر آثارها

(لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا)

ان رضى القراء عن هذه الفصول السابقة في وصف الآثار المشهورة في فلسطين يمنعنا من اختصارها حرصاً على فوائدها لان القارئ الذي لم يزر فلسطين وتلك الاماكن المقدسة عند الامم الثلاث يراها ماثلة امامه كانه يشاهدها بعيني راسه لا سيما وان واصفها الفاضل من صرفوا عمرهم بالتنقل بينها ودرس شؤونها

طريق اريحا

اريحا واقعة على مسافة نحو ستة عشر ميلاً الى الشمال الشرقي من القدس · وطريقها طريق مركبات تدور من وراء سور المدينة من جهة الشمال بين محجر سليمان الى اليمين وهو مغارة كبيرة قطع منها سليمان الحجارة للهيكل واقصره لها باب صغير في حائط السور وتمتد كثيراً الى الداخل تحت ابنية المدينة · ولم تزل آثار الاسافين والازاميل ظاهرة في اماكن كثيرة في جدرانها — وبين مغارة ارميا الى اليسار والارجح انها قسم من محجر سليمان

ثم تنحدر الطريق فتقطع وادي قدرون الفاصل بين جبل الموريا وجبل الزيتون عند كنيسة العذراء في بطن الوادي الى يسار الطريق · وقد ذكرها اركولفوس في سنة ٦٩٧ م اما مارينوس سناتوس فيظن انها بنيت في الاعصر المسيحية الاولى وانها توارت بخرابات المدينة في عهد ادريانوس · اما البناء الحالي فقد بنته امراة فولك انجو رابع ملوك القدس من الصليبيين · وينزل اليها بسبع واربعين درجة وفيها قبرا يهوياكيم وحنة نقلا اليها في القرن الخامس عشر وقبرا يوسف والعذراء · والى جانبها بئر قديمة منقورة في الصخر يقال انها مغارة الآلام · ثم ترى بستان جثسياني الى اليسار · وفي الوادي تحت الطريق الهرم المسمى تارة طنطور ابشالوم واخرى طنطور فرعون · ويرشقه اليهود بالحجارة لما يمرون بجانبه ازدراء بعصيان ابشالوم على ابيه · وقد ترجح انه قبر اسكندر جانيوس احد امراء الحشمونيين · وفي الوادي ايضاً توجد مغاور منحوتة في الصخر وهي مدافن قديمة كانوا ينسبونها في كل قرن الى قوم آخرين من الانبياء والاولياء والرسل الى ان اقتاد البحث عنها المسيو دي فوكوه الى اكتشافه كتابة بالاحرف العبرانية من الشكل المربع تتضمن اسماء عشرة انفار من عشيرة بني حزير الذين كانوا من رؤساء الكهنة في ايام الحشمونيين وهيرودس

وبعد ذلك تمتد الطريق الى قرية العازرية

☀ قرية اللعازرية او بيت عنيا ☀ تبعد نحو ميلين عن القدس ومنه المسافة هي عين الخس عشرة غلوة التي يذكرها يوحنا في انجيله · والبلدة واقعة في بقعة خصيبة في الجهة الجنوبية الغربية من سفح جبل الزيتون عدد سكانها نحو ثلثمائة نفس من المسلمين وهي « بيت عنيا » التي كان المسيح يتردد عليها والتي تعشى فيها مع صديقه لعازر وفيها مسحت رجلاه بطيب الناردين · وفيها بنت مالبسدا امرأة فولك التي مر ذكرها في المكان المزعوم انه بيت لعازر ديرًا للراهبات ربما خرب في القرن الثالث عشر · وبالقرب منه من جهة الغرب بقايا برج روماني شاهق

اما قبر لعازر فهو على مسافة قريبة الى الشمال من البرج في مغارة سفلية ينزل اليها باربع وعشرين درجة · واما الكنيسة التي ذكر جيروم في القرن الرابع بانها كانت مبنية فوقه فقد ذكرها اركولوس في القرن السابع ايضاً · وقال احد كتبة القرن الخامس عشر بانه شاهدها محوّلة الى جامع.

وقد رجحت الاقوال على كون بيت سمعان الابرص واقعاً بالقرب من هذا القبر من جهة الشرق · والله اعلم

ويزعمون ان مريم ومرثا اختي لعازر لاقتا المسيح الى مسافة نحو ميل الى الجنوب من بيت عنيا حيث جلس ليستريح على حجر هناك · فاحاط الارثوذكسيون ذلك الحجر بدير.

☀عين الرسل ☀ ومن العازرية تنحدر الطريق في منعطفات كثيرة الى واد عميق فيه نبع ماء يُدعى الحوض وقد سماها الصليبيون عين الرسل لاعتقادهم ان تلاميذ المسيح استراحوا عندها وشربوا منها في طريقهم من اريحا الى القدس · ولا يبعد ان هذه العين كانت كما هي الان محل استراحة المسافرين لانها العين الوحيدة على هذه الطريق · وقد بنت الحكومة بجانبها نزلاً صغيرًا لهذه الغاية · ولم يختلف الرواة في كون هذه العين هي عين شمس (يشوع ١٥ : ٧—٨) الواقعة على الحد بين يهوذا وبنيامين

☀ عقبة الدم ☀ وبعد نحو ساعة تصل الطريق الى عقبة الدم وهذه ايضاً على الحد بين يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥. ٧—٨) قال بعضهم ان اسمها اشتق من لون اديمها الاحمر المشابه لون الدم · وقال البعض الآخر بل من كثرة الدماء التي اهرقها اللصوص فيها لانها كانت قديماً مكمناً لا يخلو من اللصوص · وفي راسها خان بنته حكومة القدس ايضاً · ويعتقد الجمهور ان الفندق الذي قال المسيح ان السامري وضع فيه ذاك الذي ضربه اللصوص وجرحوه وعروه وتركوه بين حي وميت (لوقا ١٠ : ٣٠ — ٣٧) كان قائماً في موضع هذا

الفندق بدليل ان هذا الخان واقع في منتصف الطريق بين القدس واريحا وبحماية القلعة التي بناها الرومانيون وعززوها بحامية من الجند لحماية هذه الطريق الممتدة بين جبال اليهودية الجدباء وآثار هذه القلعة لم تزل مشهورة على تل واقع على مسيرة ٥ دقائق الى الجنوب الشرقي من الخان . وهي تشرف على القسم الكبير من الطريق وقد ذكرها يوسيفوس باسم « داغون » وقال ان بطليموس لجأ اليهـا بعد ما قتل حميه سمعان المكابي . ودعاها الصليبيون القلعـة الحمراء

﴿ وادي النبي ايليا ﴾ ثم تمتد الطريق الى ان تصل الى بقية قناة قديمة مبنية بالحجارة والكلس ربما كانت من بقايا الاقنية التي بناها هيرودس او ارخيلاوس ابنه لجر الماء الى اريحا . وعندها نترك المركبة ونتسلق التلال الى يسار الطريق فنعلو في نحو دقيقتين رابية تشرف على واد عميق هائل تكاد جدرانه الصخرية تكون عمودية يدعى وادي القلط فيه مسيل ماء يؤكدون انه نهر كريث الذي قيل ان النبي ايليا لجأ اليه فرارًا من وجه اخاب ملك اسرائيل وصارت الغربان تموله هناك (ملوك ص ١٧ ع ٣–٨) وفي وسط جانب ذلك الوادي الايسر بنى الروم الارثوذكس ديرًا باسم يوحنا المعمدان . وبجانب الدير مغارة في الصخر يصعد اليها بسلم يظنون انها المغارة التي اختبأ فيها النبي ايليا . وفي جانب الوادي الآخر نقر ارخيلاوس قناة لتحويل ماء النهر الى الاقسام العلوية من غور اريحا . وبعض هذه القناة منقور في الصخر وبعضها مبني بالحجارة والكلس والرمل . وقد رممها الصليبيون وانتفعوا بها

وبعد نحو ساعة تصل الى اريحا

اريحا

او مدينة النخل

هي واقعة في جهة غور الاردن الجنوبية . تحت سطح البحر بنحو ساية قدم . ولذلك تشتد فيها الحرارة في فصل الصيف الى درجة لا تطاق . وهي تابعة للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك السلطاني) ما عدا القليل منها . وتدير شؤونها الزراعية شعبة ملحقة بمديرية الاملاك الخاصة بالقدس . وفيها اربع « لوكندات » معدة لقبول السياح الغرباء . غير انهـا لا تفتح في الصيف وذلك لشدة الحر ولعدم وجود مسافرين . وفيها ايضًا مضيف رومي اما اهلها فهم من سبط الفوارنه (سكان غور الاردن) وهم قوم نحاسيو اللون يميلون

الى الراحة لان الحر الشديد يحل عزائمهم فيقعدهم عن العمل والجد . ولذلك تراهم في فقر شديد وسذاجة كلية . وهم يسكنون بيوتاً مصنوعة من الاخشاب والقصب والطين وقلما يبنون بالحجارة

ويقول اكثر الرواة ان اريحا الصليبية التي كانت يومئذ نضرة بكثرة اشجارها وبساتين قصب السكر التي كانت فيها كانت في موقع هذه . وقد بنى فيها الصليبيون في ذلك الزمن كنيسة وديرًا باسم استفانوس . وحصنوها بقلعة . واما اليوم ففيها كنيسة ارثوذكسية يزعمون انها في مكان بيت زكا العشار . وفيها كثير من شجر الموز والعنب الذي ينضج ثمره قبل البلدان الباردة العالية . ولذلك يُباع باثمان غالية . وفيها غابات من الجم النبك وهو نبت وادي الاردن الكثير . ويظنون ان اكليل المسيح ضُفر من شوكه

اما اريحا القديمة فقد كانت على زعم يوسيفوس وغيره من الكتبة الاقدمين واقعة على التلال القائمة الى جانب عين السلطان على مسافة نحو ميلين الى الشرق من اريحا الحالية . وهي التي جاءها الجاسوسان الاسرائيليان والتي سقطت اسوارهـا بدون حرب امام الجيوش العبرانية (يشوع ص ٦)والتي اعاد بناءها حيئيل البيتئيلي فوضع اسسها بابيرام بكره ونصب ابوابها بسجوب صغيرة (ملوك ١٦ : ٣٤) وكانت من نصيب سبط بنيامين . غير ان مملكة اسرائيل الشمالية استولت عليها بعد انقسامها عن اختها في ملك رحبعام . وبقيت في حوزتها حتى الاسر البابلي . وقامت فيها في غضون ذلك مدرسة للانبياء . اما اريحا الرومانية التي يرجح الجمهور انها كانت على مسافة نحو ميل وربع الى الجنوب من عين السلطان فقد قيل ان اليهود بنوها بعد ما رجعوا من الاسر البابلي وحصنها بخشيد قائد جيش ديمتريوس ابن سلوقس بعد واقعة بيت حجلا مع المكابيين . ومر فيها بومبيوس في طريقه من بيت شان الى القدس . وجعلها غابيوس بعد ان سلخ الحكم من ايدي اليهود مركز قنصلية رومانية . ووهبها انطونيوس قيصر لكليوباترا التي باعتها من هيرودس الكبير فاعاد بناءها بعد ما كان خربها في بداءة ملكه وزينهـا بالابنية الكبيرة الشائقة التي سماها باسماء اصحابه منها قلعة كيبروس على اسم والدته التي كانت تصرف فصل الشتاء فيها . واليها جمع كبراء الامة اليهودية لما ثقل مرضه واوصى اخته بقتلهم يوم وفاته كما قيل ليعمّ الحزن والنواح الامة كلها في ذلك اليوم . غير ان اخته اطلقت سراحهم حال موته فكان يوم فرح عظيم شامل « يوسيفوس حروب اليهود كتاب واحد فصل ٣٣ قطعة ٦ » وخلفه ابنه ارخيلاوس فحصّن القلعة وحسنها وجرّ المياه الى المدينة من قرية تُدعى نيريا وزينهـا

بساتين البلسان والحناء والبلسم وغرس فيها كثيرًا من النخل · وقد قال يوسيفوس انه كان فيها غابة من شجير النخل النضر تبلغ مساحتها مائة ستاديا

ولقد كان اليهود القادمون للعيد الى اورشليم يجتمعون فيها من الجليل ومن بيريا الواقعة شرقي الاردن · وقد مرّ فيها السيد المسيح مرة وتلمذ زكا « لوقاص ١٩ » وترك فيها فسباسيانوس الفيلق العاشر من جنده لوقاية تلك المقاطعة من الثائرين · وفي بدء القرن الرابع صارت كرسي اسقفية وبنى فيها جوستينيانوس كنيسة للعذراء · ولقد قال بعضهم ان اريحا كانت حصن اليهودية ومفتاحها · والحقيقة خلاف ذلك لاننا لم نعثر اثناء البحث في تاريخها على كون اهلها كانوا يتنازلون اعداءهم ويحاربونهم او يثبتون على الاقل في الحصار امامهم · بل كانوا على الدوام اما يسلمون للاعداء او ينهزمون من امامهم · ولكنها احق بان تسمى مخزن اليهودية الكبير بسبب غناء اراضيها بالحاصلات ولانّ واردات وادي الاردن الخصيب كانت تأتي القدس ويافا بطريقها وتودع في غالب الاحيان في مستودعاتها

عين السلطان

عين السلطان على مسافة ميلين تقريباً الى الشرق من اريحا الحاليـة وهي العين التي قيل ان اليشع النبي ابرأها بوضعه الملح فيها « ملوك م ٢ : ١٩ — ٣ » وجاء يوسيفوس على ذكر ذلك في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٨ قطعة ٣ » قال بعض الكتبة ان بيت المرأة راحاب التي قبلت الجاسوسين فيه كان بقرب هذه العين · ماؤها ينبع من الارض في بركة مبنية حولها طولها ٩٠ قدماً وعرضها ١٨ قدماً · ودرجة حرارتها ٨٠ بمقياس فرنهيت · وعليها ثلاث مطاحن وهي تسقي المدينة الصغيرة وبساتينها النضرة

والى الغرب من هذه العين بقايا ٣ معاصر لقصب سكر ربما كانت من اثار الصليبيين وبالقرب منها عدة اقنية يغلب الظن انها من اقنية ارخيلاوس · وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة من عين السلطان الى الشمال الشرقي من معاصر قصب السكر توجد عين النويعمه وعين الدوك وقلعة دوكس المذكورة في سفر المكابيين « ١٦ : ١٥ » وتصل من هناك في عشرين دقيقة الى دير الاربعين الذي يزعمون ان السيد المسيح صرف عنده مدة الاربعين يوماً صائماً · ومن على قمة الجبل الواقعة فوق الدير ورد في الانجيل ان الشيطان اراه جميع ممالك العالم ومجدها « متى ٤ »

البحر الميت

تسير المركبة ببعض الصعوبة في طريق طبيعية من اريحا اليه · وعند منتصف الطريق

تشاهد دير حجلا للروم الارثوذكس ربما بني على آثار قرية بيت حجلا القديمة التي كانت على الحد بين يهوذا و بنيامين والتي تغلب فيها سمعان واخوه يهوذا المكابيان على بخشيد قائد ديمتريوس

اما البحر الميت فيدعى في التوراة بحر لوط وبحيرة الملح والكتبة العبرانيون يدعونه بحر الاسفلتيس وطوله ٤٧ ميلاً وعرضه يختلف من ثلثة اميال الى تسعة واعمق مكان فيه يبلغ الف وثلثمائة قدم. وارضه اقل من اليابسة انخفاضاً لانها اوطأ من سطح البحر بالف وثلثمائة قدم . وتطفو مياهه كثيرًا في ايام الربيع بسبب فيضان نهر الاردن والجداول الاخرى التي تصب فيه وبسبب قلة التبخير منه لضعف حرارة الشمس في ذلك الفصل من السنة. غير انها تتناقص كثيرًا في الصيف بسبب شدة حرارة الشمس التي تمتص منها اكثر كثيرًا من المياه المنتهية اليها. ويؤكد ذلك الادلة التي اكتشفها علماء الطبيعة بكون سطح هذا البحر كان اعلى كثيرًا في الاعصر الغابرة مما هو الان . وماءه أجاج واثقل مياه الابحر المالحة . قال يوسيفوس ان فسباسيانوس ربط ايدي وارجل بعض الاسرى الذين لم يكونوا يحسنون السباحة وطرحهم فيه فلم يغرقوا . وقال ايضاً انه (اي البحر) كان يقذف مادة من الحمر كانوا يستعملونها لطلي السفن ولحاجات اخرى . وقد كانت السفن كثيرة في هذا البحر واما اليوم فلا يوجد فيه سوى واحدة وضعتها الحكومة لتسهيل المواصلات بين الكرك ومدينة القدس . اما العناصر الموجودة في الماء فهي كلوريد الصوديوم وكلوريد المغنيسيوم وكلوريد الكلس و بعض عناصر اخر ثانوية . وقال يوسيفوس ايضاً ان المدن الخمس التي كانت على هذا البحر وهي صدوم وعامورة وادمة وصبو ييم وجبو ييم (تكوين ص ١٤) كانت آثارها ظاهرة في ايامه

نهر الاردن

ولئن كان هذا النهر اكبر انهر سوريا الا انه يحسب جدولاً بالنسبة الى انهر العالم الكبيرة كنهر الامازون والميسيبي والتيمس . غير انه يفوقها شهرةً لوجوده في ارض الميعاد المقدسة ولتعلقه بعدة حوادث دينية . وله ثلاثة ينابيع رئيسية احدها حاصبيا و يقال له الحاصباني والاخر عند بانياس يخرج من مغارة الاله بان الذي اتخذت البلدة اسمها منه . والثالث يخرج من تحت تل القاضي وهو حد مملكة اسرائيل الشمالي . وتتحد هذه الانهر عند رأس سهل الحولة الشمالي وتصب في بركة الحولة المدعوة في التوراة مياه ميروم فبحيرة طبريا فالبحر الميت . ويصب في هذا النهر عدة جداول أخر بعضها دائم كنهر اليرموق الذي ينضم

اليه بعد خروجه من بحيرة طبريا ٠ وعليه بقايا عدة جسور رومانية بعضها خرب والبعض الاخر لم يزل قائماً كجسر بنات يعقوب بقرب صفد وجسر الجامع بقرب طبريا ٠ ويعلو مخرجه عن مصبه ثلثة الاف وثلثمائة قدم ولذلك يسير بسرعة زائدة وله تعاريج كثيرة حتى ان مسافة مجراه تعدل ثلاث مرات المسافة الكائنة بين مخرجه ومصبه البالغة نحو ١٢٥ ميلاً ٠ وتكثر اشجار الدفل والقصب على ضفتيه ٠ وفيه من انواع اسماك بحيرتي الحولة وطبريا غير انها اذا سيقت بطغيان الماء الى البحر الميت تموت حالما تدخله

⁂معبر الاردن⁂اما المكان الذي يُظن ان الاسرائيليين عبروا منه الى ارض الميعاد فهو على مسافة ساعة من البحر الميت تسير اليه المركبة في طريق غير ممهدة ٠ وهناك يزعمون ايضاً ان ايليا ضرب الماء بردائه فاوقفه وقطع على اليبس الى الضفة الاخرى وصعد بمركبة نارية الى السماء (٢ ملوك ص ٢) وكذلك يوحنا المعمدان كان يُعمد فيه فتكون معمودية المسيح قد جرت هناك ٠ ولذلك شبه المسيحيون نهر الاردن بنهر الموت وعدوا عبور الاسرائيليين اياه الى ارض الميعاد والحوادث الاخر التي ذكرناها رمزاً الى انتقال المسيحي من عالم الخطيئة الى دار البقاء ٠ فلذلك تزدحم به الالوف في احترامه و يتواردون من جميع الانحاء الى زيارته والاعتماد فيه وينقلون من مائه الى البلدان القصية ليمزجوه بالماء الذي يعمدون فيه اطفالهم تبركاً ٠ قال انطونيوس في القرن السادس عشر ان ضفتي النهر كانتا مبلطتين في هذا المكان وان صليباً خشبياً كان منصوباً في وسط الماء

⁂مأوى يحيى⁂بالقرب من هذا المكان دير ماري يوحنا للروم الارثوذكس يُقال ان القديسة هيلانة بنته فوق الكهف الذي كان يوحنا المعمدان يأوي اليه لما كان يكرز ويعمد في برية اليهودية بقرب الاردن ٠ غير ان الاقوال الحقة تشير الى كون جوستينيانوس بناه فخرب فاعيد بناؤه في القرن الثاني عشر ٠ ويوجد فيه بقايا اقبية قديمة وبقايا نقوش بالفسيفساء

⁂الجلجال⁂محطة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم النهر لم تزل حقيقة موقعها مجهولة غير انها لا بد ان تكون متوسطة بين النهر واريحا لان التوراة تقول انها في تخوم هذه

⁂ غور الاردن ⁂ يليق بنا قبل الفراغ من هذه المقالة ان نذكر شيئاً عن حقيقة وادي الاردن مصدر ثروة فلسطين اذ يملأ ايدي الفلاح خيراً من دون تكليفه عملاً شديداً كباقي الاراضي ٠ ويمر في عرضه على جانبي الاردن عدة مشارع وجداول بحيث يتيسر ري اراضيه بسهولة ٠ وتنمو فيه كل اشجار البلدان الحارة نمواً سريعاً وتنضج اثمارها بسبب الحر قبل الاوان فتباع باسعار غالية ٠ ويطلق اسم الغور على القسم الواقع بين

طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيرًا واوسع نقطة فيه عند غرين تبلغ نحو ١٠ اميال

اما الاقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير وفيه تلال كثيرة اصطناعية وربما كانت حصوناً ومزارع قديمة . واطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدباء من كثرة الملح المنتشر فيها . والقسم الاكبر منه الآن تابع للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتدير شؤونه الزراعية مديرية بيسان ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير اراضيه واستغلالها بعد ان كانت مهملة ان اسباب العمران لا تتوفر الا بتوفير اسباب الامن والراحة كمد طريق مركبات تتصل بطريق القدس عند اريحا وبطبريا من الطرف الآخر . وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه . وقد كتبنا بذلك مرة الى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فرأينا انها اقتصرت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتمهيد الطريق حواليها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الاردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمرة . ويعسر السفر في الغور في ايام الحر لانه يشتد ويكثر البرغش في وقت سكون الارياح فيعمي الابصار ويصم الاذان وافضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا الى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرأناها لبعضهم منذ مدة وهي قوله في كلامه عن احدى المجلات ما معناه

« ان تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر . فانه يكفي ان تكون في مكتبة الكاتب دائرة للمعارف الاوروبية (انسيكلو بيذيا) لتكون مجلته او جريدته علمية تاريخية صحية فلسفية زراعية سياسية صناعية . اذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ . . »

فجواب المنصف على ذلك ان هذا الانتقاد في محله اذا كان الغرض منه لوم الكتّاب لتركهم « الاخصاء » (انصراف كل عالم الى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمعقول معاً . فيكون احدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً اديباً فيلسوفاً في وقت واحد مع

انه لو صرف عمره في فنٍّ واحد من هـذه الفنون لما استطاع اتقانه كما يجب ولما المَّ بكل ما يُكتب فيه · وقد سبقت الجامعة الى هذا الانتقاد في مقالتها « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » لان الجهر بالحق واجب وان كان مرّاً · ولكن اذا كان الغرض من كلام المنتقد تحقير العاملين في الشرق اليوم فانه تحامل وتطاول على الذين يشقّون انفسهم بالتعب والكدّ لنفع الناس · ولو انَّ اصحاب المجلاَّت الاوروبية والاميركيَّة يسمعون بان في الشرق مجلاَّت وجرائد قد ينفرد باحداها فرد يبذل عرق القربة في تحرير موادّها العلمية والادبية والسياسيَّة المختلفة وابوابها المتعدّدة وان بين قراء الشرق من يجزي اصحابها على ذلك بالتصغير والتحقير جزاء سنّمار فانه يدهش من ذلك ويعرف به سرًّا من اسرار التأخر في الشرق وهو مقاومة العاملين النافعين

فالمجلات والجرائد في الشرق مضطرة الى تنويع ابحاثها تبعاً لاذواق قرائها · ولو افردت كل واحدة منهـا بمادَّة لما قامت لها قائمة · فالتبعة اذًا واقعة بالاكثر على الجمهور اذ ليس بين قرائه قرّاء يطلبون مادة واحدة ويكفون المجلة المشتغلة بها · ولو وضعتَ اي عالم من علماء الغرب بين قومه موضع كتابنا بين قومنا اي انك عهدتَ اليه ان يحرر بقلمه وحده مجلة « تبحث في كل شيء » كما يقولون وتحوز رضى الجمهور الغربي واكرامه لاستحق اليك بقوله « عفواً فلستُ حطّاباً » وما ذلك الاّ لانه يرى نفسه مع سعة علمه في فنه عاجزاً عن ارضاء الجمهور الغربي في باقي الفنون لان التأليف عندهم هناك ابتداع لا اتباع · ومن المحال ان يكون الابتداع في جملة فنون لان عمر الانسان قصير وقواه محدودة

ولنا احسن دليل على ذلك في كبير مؤلّفي الغرب الفيلسوف ارنست رنان · فانه في مقدّمة كتابه « القديس بولس » لم يخجل من التصريح بانه استعان في كتابة هذا الكتاب بالمسيو دارانبورج والمسيو نولاير فيما يختص بالتلمود · وبالمسيو رو وهوزي ودي جاردين وكيبر فيما يختص بالجوغرافيا · وبالمسيو رنيه واكجر وواد نكتن فيما يختص بالمعتين اليونانية واللاتينيَّة · قال ولم يكن فكري يستريح فيما يختص بشؤون سوريا وآسيا الصغرى الاّ متى جاء رأيي مطابقاً لرأي المسيو وادنكتون الرحالة المشهور · اي ان رنان كان يقابل من ذكرنا من الاخصائيين في اثناء تأليفه كتابه ويستعين بعلمهم — فاذا كان مؤلف مثل رنان يعتمد على غيره أيحرّم على كتّاب الشرق الاعتماد على كتاب الغرب الذين سبقوهم بمراحل

ثم ان الذين يظنون ان الترجمة والتلخيص أمر سهل يخطئون خطاء عظيماً · اذ القصد من الترجمة الصحيحة ابراز نفس مادة المؤلف بقالب مساوٍ لقالبها الاصلي في القوة والسهولة

والجمال · وهذا يقتضي قوى كقواه · نعم ان ترجمة وتلخيص الفصول التاريخية والنباتيّة والصحية والطبيعية امر سهل لان الكاتب اذا تصرّف فيها لا يشوّهها ولا تقتضي تعباً غير معرفة الاصول وضبط الاصطلاحات · ولكن ترجمة المواد الفلسفية والادبيّة على الخصوص بقالب كقالبها الاصلي لا يعرف صعوبته الاّ من عاناه · ولقد صرفنا نصف نهار في ترجمة « صلاة رنان على الاكربول » المنشورة في هذا الجزء مع اننا متى كانت المواد حاضرة لدينا نكتب بنصف هذه المدة اطول مقالة من مقالات الجامعة تأليفاً او تلخيصاً · وعلى ذلك فترجمة كتلك الترجمة هي في الحقيقة اصعب من التاليف

وبناء على ذلك لا غنىً للكتّاب اصحاب المجلات والجرائد في الشرق عن الاعتماد على علماء الغرب في جميع فروع الحركة العلمية لان الغرب اليوم مصدرها كما ان الشرق كان مصدرها من قبل وكان الغرب ياخذها عنه · والمخلصون منهم الذين يكرهون الشعوذة يعترفون بذلك و يقولون ان وظيفتهم انما هي قائمة باقتطاف المعارف الغربية من حدائق علمائها الاعلام المنصرفين الى غرس هذه الحدائق علماً وعملاً · اما الذين يحاولون انكار ذلك والظاهر بضده فلا يجوز ايهامهم الاّ على السذّج والعامة الذين يصدّقون كل ما يقال لهم · ولو لم يكن المنتقد من الفريق الثاني لما صدر هذا الانتقاد عنه

وربما يُقال ان الكلام في المواضيع الشرقيّة لا ينطوي تحت هـذا الحكم · فتاريخ الشرق وعادات الشرق وجغرافيـة الشرق لا تؤخذ الاّ عن الشرقيين انفسهم · فجوابنا على ذلك بكل حرية وصراحة ايضاً اننا من سوء الحظ في هذا ايضاً لا غنى لنا عن علم الغرب وجدّه وصبره · فهنالك مستشرقون عظام ينفقون اموالهم واعمارهم في درس الشرق وآثاره معتمدين على مكاتبهم الخاصة بكتب علماء الشرق الاولين · وربّ واحد منهم يسيح في الشرق سنة ويتفكر ويطالع في موضوعه سنتين ويكتبه في سنتين وينقحه في عشر سنوات ثم يبرزه آية في الجمال والكمال · فالمؤلفون في الشرق لا وقت عندهم ولا مال ولا احوال تساعدهم على هذا الانقطاع فيضطرون الى الاعتماد على رصفائهم الغربيين بالاكثر فيأخذون في سنة ما تعب اولئك سنوات في وضعه · واحياناً يذكرون ذلك واحياناً لا يذكرونه · فالشرق لا يزال طفلاً في كل شيء حتى فيما يختص بنفسه · والطفل لا يصير رجلاً بمجرّد دعوى الرجولية · واذا كان هذا الطفل لا يزال يجلب ملابسه وآلات عمله وجميع حاجاته من الغرب فهل من الغرابة ان يجلب منه علمه ايضاً · هل ان ايجاد العلم اسهل من ايجاد المصنوعات · كلا بل ايجاده اصعب من ايجادها بكثير لانها ليست سوى نتيجة له · ولكن

العلم يسهل انتحاله والمصنوعات لا يسهل انتحالها

وغني عن البيان ان هذا القول لا يشمل التلخيص او التأليف من الكتب الشرقية العربيّة التي بين الايدي لان هذا الامر اسهل من التلخيص او التأليف من الكتب الافرنجية. ذلك لانه لا يستلزم سوى الصبر على المطالعة وحسن التأليف بين المواد الموجودة امامه في الكتب اي جمعها بعضها الى بعض مع ملاحظة تناقضها ومبالغتها

كل ذلك يعترف به الكتّاب ولا ينكرونه . وهم يعجبون بغيرة بعض الشرقيين الذين لا يرضون ان تتبع مجلاتهم وجرائدهم خطى علماء الغرب بل يطلبون ترقيتها لتستقل بنفسها وبعلمها . ولكن هؤلاء الغيورين ينسون من سوء الحظ ان ذلك لا يتمّ لها بالتطاول والتحامل عليها ولكن بمساعدتها وتشجيعها

اللغة العربية والشرق

بقلم جناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

((يحق للقارئ بعد تلاوة هذه القصيدة الغراء ان يقول معنا هذا هو الشعر العربي المبين والدرّ النظيم . وقد خصص كلٌّ من نابغي الشعر في مصر نفسه بمقام رفيع يلوذ به . فشوقي بك شاعر الحضرة الخديوية . وحافظ افندي ابرهيم والشيخ مصطفى افندي المنفلوطي شاعرا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اما الرافعي ناظم هذه القصيدة فهو على ما يظهر يحب ان يكون (شاعر الشرق) لكثرة حنينه اليه . وكل من يعرف شباب الناظم لا يشكّ في انه سيكون له في هذا الفنّ في الشرق ارفع مقام اذا استمرّ يطلب فنه لذاته ولم ييأس منه ويتشاغل عنه . والآن اليك درره في اللغة العربية والشرق))

أمٌّ يكيد لها من نسلها العقبُ ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ

كانت لهم سبباً في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سببُ

لا عيب في العرب العرباء ان نطقوا بين الاعاجم الا انهم عربُ

والطير تصدح شتّى كالانام وما عند الغراب يزكّى البلبل الطربُ

اتى عليها طوال الدهر ناصعةً كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ

ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها كالبدر قد طمست من نوره السحبُ

ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبه — صبح فكان ولكن فجرها كذبُ
ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدة — كأنها لمعة في الجو تلتهب
سلوا الكواكب كم جيلٍ تداولها — ولم تزل نيراتٍ هذه الشهب
وسائلوا الناس كم في الارض من لغة — قديمة جددت من زهوها الحقب
ونحن في عجب يلهو الزمان بنا — وما اعتبرنا وبئس الشيمة العجب
ان الامور لمن قد بات يطلبها — فكيف تبقى اذا طلابها ذهبوا
كان الزمان لنا والألسن جامعة — فقد غدونا له والامر ينقلب
وكان مَنْ قبلنا يرجون نهضتنا — فاليوم لو نظروا من بعدهم ندبوا
أنترك الغرب يلهينا بزخرفه (١) ومشرق الشمس يبكينا وينتحب
وعندنا نهرٌ عذب لشاربه — فكيف نتركه في البحر ينسرب
لكم بكى القول في ظل القصور على — أيام كانت خيام البيد والطنب
والشمس تلفحه والريح تنفحه — والظل يعوزه والماء والعشب
وأيما لغةٍ تُنسي أمرأً لغةً — فانها لعنة من فيه تنسكب
ارى نفوس الورى شتى وقيمتها — عندي تأثرها لا العز والرتب
الم ترَ الحطب استعلى فصار لظىً — لما تأثر من مس اللظى الحطب
فهل نضيّع ما ابقى الزمان لنا — وننفض الكف لا مجدٌ ولا حسب
انا اذًا سبة في الشرق فاضحة — والشرق منًا وان كنا به خربُ
هيهات ينفعنا هذا الصياح فما — يُجدي الجبان اذا روّعته الصخب
ومن يكن عاجزًا عن دفع نائبة — فقصرُ ذلك ان تلقاه يحتسب
اذا اللغات ازدهت يومًا فقد ضمنت — للعرب اي فخار بينها الكتب
وفي المعادن ما تمضي برونقه — يدُ الصدا غير ان لا يصدأ الذهب

---

(١) فليسمح لنا الناظم ان نقول هنا بان تمدن الغرب ليس بزخرف بل هو تمدن عظيم . والاحسن ان نشترك في فضله ونقول انه ليس سوى تتمة التمدن الشرقي الاوّل وبناء على ذلك اذا اقتبسناه فانما نسترد بضاعتنا القديمة

آثار عرب الشام

الغساسنة

بينما كان علماء الالمان في هذا العام يبحثون في الجامع الاموي في دمشق الشام عن آثاره الخطية القديمة وينشرون ما انطوى فيه من الكتب والرسائل العبرانية والسامرية واللاتينية والارمنية واليونانية والسريانية كان المسيو برهرت احد المستشرقين الالمانيين ايضاً يجول بين يدي سكة الحجاز الحديدية في غربي الاردن حيث تكثر الخرابات والآثار القديمة . وقد سهَّل له ذلك المهندسون الالمان في السكة الحديدية الحجازية

ولما عاد المسيو برهرت الى وطنه نشر شيئاً من نتيجة رحلته . وأهمُّ ما جاء فيها تنبهه الى خرابات مجهولة قائمة وراء الاردن على طريق الحج تدعى « المشتى » وقد سميت كذلك لان البدو هناك يصرفون فصل الشتاء فيها

وخرابة « المشتى » هذه عبارة عن قلعة مربعة تقريباً طول جدارها الجنوبي ٦٠ متراً وجدرانها الثلاثة الاخرى اقصر بثلاثة امتار . وعلى هذه الجدران الثلاثة برجان ضخمان وخمسة ابراج اخرى اصغر منهما . والمدخل اليها كائن في صدرها الجنوبي . وهذا الصدر مزين بنقوش في غاية الجمال وإحكام الصنعة حتى ان السائح ليدهش من اتقانها

لكن يظهر من حالة البناء انه لم يتمّ قط اي ان الذين شرعوا في بنائه عدلوا عنه بعد الشروع فيه . قال المسيو برهرت : ولكن من بنى ذلك البناء الفخيم في تلك البرية الجرداء التي لا اثر للقرى والمدن من حولها ؟ يظهر ان السائح يرجّح ان ذلك الاثر من آثار الغساسنة عرب الشام . فان المسيو دي فوكوه يقول ان آثار شربة البيداء في الصفا في شرقي دمشق هي من آثار الغساسنة والمشتى شبيهة بشربة البيداء من عدة وجوه . وفضلاً عن ذلك ففي قرب المشتى قلعة اخرى تُدعى « القسطل » مشهور عنها انها من آثار الغساسنة . (انظر كلام ابي الفداء بعدُ) وفي ذلك دليل على صحة رأْي المسيو برهرت

ومعلوم ان الغساسنة عرب اصلهم من اليمن من بني الازد وقد هاجروا بلاد العرب عقب حروب واضطرابات مختلفة (١) « ونزلوا على ماء بالشام يقال له « غسان » فنسبوا اليه . وكان قبلهم بالشام عرب يُقال لهم الضجاعمة من سليح فاخرجت غسان سليحاً عن ديارهم

(١) ابو الفداء يقول عقب سيل العرم

وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم . واول من ملك منهم جفنة بن عمرو . وكان ابتداء ملكهم بالشام قبل الاسلام بما يزيد على اربعمئة سنة وقيل اكثر » (ابو الفداء) ولما ظهر الاسلام اتخذهم القياصرة اعوانًا لهم على المسلمين كما اتخذوهم من قبل اعوانًا لهم على الفرس فكان الدم العربي المسيحي في جيش الروم يحارب الدم العربي في جيش المسلمين - اي ان الاخوين كانا يقتتلان كل واحد دفاعًا عن دينه وملكه وبلاده . وغير غريب ان تكون خرابة المشتى الجميلة أثرًا من آثارهم فقد روى المؤرخون انهم كانوا مولعين بالبناء وانشاء الحصون والقصور . منها صرح الغدير (١) في اطراف حوران لاميرهم ثعلبة . والقناطر وادرح والقسطل الذي مرَّ ذكره لجبلة . والخفير ومصنعه للحارث بن جبلة . ودير ضخم ودير النبوة (٢) للايهم بن الحارث . وقصر السويداء للنعمان الذي قال النابغة الذبياني في ابيه عمرو

علَيَّ لعمرو نعمة بعد نعمة   لوالده ليست بذات عقارب

واصلح النعمان بن الحارث صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين . وبنى الايهم بن جبلة بن الحارث ابنية في تدمر وكان له عامل يدعى « القين » بنى حصنًا وقصرًا عظيمًا في البرية ومصانع الذي يظن ابو الفداء انه قصر برقع

وكان الغساسنة يحبون السكنى في القفر والسهول الجدباء على الاقامة في المدن والقرى وذلك لانطباعهم في الاصل على المعيشة البدوية ولكن امراءهم كانوا يتخذون القصور والحصون مقامًا لهم ويبنونها في وسط القفار . وكان لديهم بناؤون ماهرون في صنعة البناء من اليونان والفرس . وكل امير منهم لم يكن يبني شيئًا في حياته فانه يكون عندهم قد خلف سنة اجداده كما رأيت فيما تقدم

وقد شهد مسيو برهرت في سياحته التي نحن في صدرها في جهات ادوم بعد تحرّي الادومية (غير صخرة العربية) وهي التي كانت موجودة في عهد موسى - قسم ارض ميعاد بين بني اسرائيل ودخلت يومئذ في قسم روبين . ولكن لما انها كانت على حدود مملكة روبين وادوم وموآب فقد كانت تنتقل بين هذه الممالك الثلاث تبعًا للمنتصر . وقد صارت في عهد قسطنطين الكبير وبسبب الحروب كرسيًا للولايات العربية وبلغت من الحضارة مبلغًا عظيمًا . وفي عصر مملكة تدمر كانت حصنًا للحدود ومركزًا عامًا لقوافل التجارة .

---

(١) هي شرقية السويداء التي تقدم ذكرها آنفًا

(٢) يقول ابو الفداء « النبوة » ولعلها صحيحة بسبب اللاهوت فيه

اما اليوم فلم يبقَ فيها سوى خرابات لخيمة و بيوت حقيرة تسكنها ثلاثون او اربعون عائلة
ولكن السائح وجد بجانب بصرى هذه خرائب قريتين تدعيان « غسام »قال بعضهم:
فمن المحتمل ان تكون هذه الكلمة محرفة عن «غسان» وان تكون تلك الآثار من آثار الغساسنة
ايضاً . وبذلك تقوى حجة القائل بان خرابة « المشتى » من آثارهم لثبوت وصولهم الى بلاد ادوم

كتاب مفتوح

الى عطوفتلو رشيد بك والي بيروت قبلاً
و والي بروصه الآن

هي قصة صغيرة نرجو من عطوفتكم ان تسمحوا لهذه المجلة ان نقصها عليكم . وهي مضطرة الى ذلك بسبب وظيفتها الاولى التي كانت لها

فانكم تعلمون يا صاحب العطوفة ان هذه المجلة كانت تُدعى « الجامعة العثمانية » ونذكر انها صدرت وعطوفتكم في بيروت . وقد صرفت همها منذ نشأتها للدعوة الى ما فيه التوفيق بين العناصر العثمانية المختلفة . وذلك لسببين (الاول) ان اخلاق صاحبها تكره الشقاق والنزاع . وهو يفضّل ان يكون بين الاحزاب تصيبه الصدمات من الجانبين على الانحياز لاحد الفريقين . ذلك لان الانحياز يقتضي التنازل عن الاستقلال الشخصي وطلب الغلبة لا طلب الحقيقة . وقد قال فولتير واصاب في هذه ان من ينشد الحقيقة المجردة لا يمكن ان يكون مع حزب دون حزب لان كلاً من الاحزاب في جانبه شيء من الحق . والعقل يوجب على العاقل الاعتراف بهذا الحق بدلاً انكاره تأييداً لحقه . (والسبب الثاني) ان مصلحة الدولة العثمانية نفسها ومصلحة « كل » العناصر فيها قائمة بالتوفيق والاتحاد والمسالمة

وقد استمرت « الجامعة العثمانية » في سنتها الاولى تبحث في الاصلاح العثماني وطرقه بكل حرية وهي تدخل مع البريد العثماني مارة على قلم المراقبة دون ان يؤخر جزء منها او تُنقص صفحة من صفحاتها . . فخيبتم بذلك ظن صديق غيور كان يرسل اليها من بيروت مع احد الاصدقاء يقول لها ان تعدل عن الكلام في الاصلاح وذكر الاصلاح لئلا يصيبها اذى . ذلك لانكم فهمتم غرضها وأحسنتم الظن بها

ولكن من سوء الحظ نُشرت في الجزء التاسع منها مقالة لم ترضوا عنها . فردّ الينا الجزء المذكور . فحينئذٍ علمنا انكم لا تريدون ان نقول « الحقيقة المجرَّدة » بل ترومون ان ننظر اليها من جانب واحد فقط . وبذلك هدمتم مشروعنا الاول باشارة واحدة . لان الذمة لا تطاوع على ان نكتم شيئاً ونظهر شيئاً . وبما اننا كنا نكره القيل والقال عزمنا على العدول عن الخطة السياسية الاولى . فغيَّرنا حجم المجلة وتركنا السياسة جانباً على نية ان نعود اليها يوماً في جريدة سياسية خصوصية . وبدل ان تكون « الجامعة » مقتصرة على الشؤون العثمانية كما كانت ، وسعت حينئذٍ فضاءها ومدَّت حدودها وصارت «الجامعة» الشرقية

ولم نذكر هنا يا صاحب العطوفة هذه الاخبار التافهة لابراز السبب الذي من اجله عدلت الجامعة عن خطتها السياسية الاولى . كلا . وانما ذكرنا ذلك لحدوث حادث كبير فرط عقد الجامعة العثمانية التي انشئت هذه المجلة اولاً للدفاع عنها . وعلى ذلك يجب علينا ان نقول الآن كلمة فيها . والا فسكوتنا في حال كهذه الحال يعدُّ بمنزلة تهكم جارح لها وللمبادىء التي دافعت من قبل عنها

ونظنكم قد علمتم اننا لا نريد بالقصة المذكورة سوى حادثة بيروت المشهورة . ولا تخافوا فاننا لا نكبّرها . ولكننا ايضاً لا نصغّرها . وقد مضى عليها الآن من الوقت ما كسر الحدَّة في الجانبين فصار يمكن الكلام فيها بعقل واعتدال لوجود من يسمع هذا الكلام بعد ذهاب سورة الغضب والجنون

ثم اننا لا نقصد بهذا الكتاب القاء تبعة الفتنة عليكم او على غيركم فان هذا الامر من شؤون مجالس التحقيق . وانما الغرض استخراج النتائج من هذه الحادثة لنرى هل جاءت مطابقة على مصلحة احد من الفريقين او على مصلحة السياسة التي كان والي بيروت السابق اميناً عليها

عطوفة والي بيروت السابق كان بينه وبين دولة مظفر باشا حاكم جبل لبنان شيء من النفور . وذلك لسببين السبب الاول رغبة والي بيروت السابق في خدمة السياسة العثمانية من جهة لبنان . وكانت سياسته في هذا الامر موجهة الى مقاومة استقلال لبنان بقدر الامكان لاظهار عجز الشرقيين عن حكم انفسهم بانفسهم وهدم هذه المقاطعة المستقلة التي وضعتها الدول هناك كوباء يُخشى ان تسري عدواه . ولذلك لم يكن والي بيروت السابق يقاوم ذات المتصرف بل ذات حكومته . والدليل على ذلك ان والي بيروت السابق كان يقاوم نعوم باشا كما كان يقاوم مظفر باشا . وقد شاهدنا بعيني رأسنا رسائل مهمة ضد متصرفية الجبل في عهد نعوم باشا واردة من بعض المراسلين المسيحيين في بيروت وفيها ان والي بيروت السابق

يريد نشرها دون حذف شيء منها . هذا هو السبب الاول في استيائكم من مظفر باشا والي لبنان . واما السبب الثاني فهو ان مظفر باشا كتب ضدكم الى الاستانة وقال فيكم ما قاله . فاستأتم من ذلك ورمتم الاخذ بالثأر منه : قال المخبر البيروتي الثقة وهذا كان اصل البلاء بقطع النظر عن وصول الاسطول الاميركي

ذلك انكم كنتم تريدون كما قالوا ان يفرّ بعض من الاشقياء الى لبنان لكي تشكوا دولة مظفر باشا الى الاستانة بانه يشجع الاشقياء الذين يعبثون بالامن العام ويحميهم في بلاده . وفي الحقيقة ان هذا كان اشد انتقام منه لعلمكم ان جلالة السلطان يبذل ما عزّ وهان لحفظ الأمن في مدينة كمدينة بيروت في أحوال كهذه الاحوال . ولكن الضربة جاءت اكبر بكثير مما كنتم تظنون . فانكم بعثتم رجال البوليس لنزع السلاح من المزرعة والقبض على بعض المعتدين ثم ذهبتم الى مصيفكم في عاليه . ولكن ما لنا ولهذه التفاصيل المحزنة فلنضرب صفحاً عنها . ولننظر الى نتيجتها . ان نتيجتها لم تكن فرار خمسة او عشرة اشقياء الى لبنان لاتهام حاكم لبنان بحمايتهم بل كانت نتيجتها فرار عشرات الوف من « العثمانيين » الى لبنان . وانظروا ذلك التهكم الغريب الذي جاءت به تصاريف الاقدار : ان مظفر باشا الذي رمتم نكايته ، كلّف من قبل الدولة بالنزول الى بيروت لمساعدة دولة الناظم الهام على اصلاح الفساد

فمن ذلك يظهر ان نتيجة الحادثة جاءت مخالفة لمقصد والي بيروت السابق ولسياسته الشخصية كلّ المخالفة . فبدل ان يخرج له منها ما يرضي جاءه منها ما يُسخط لانها أحلّت سلطة خصمه — بل خصميه اي الناظم والمظفر — محلّ سلطته . ولكن فلنبحث . اذا لم يكن في تلك النتيجة نفع لسياسته الشخصيّة افما كان فيها نفع لسياسته العمومية من جهة لبنان

والاسف مسعاه حبط هنا كما حبط هناك ايضاً . ولم يحبط فقط بل انه ادى الى نتيجة معاكسة للنتيجة التي كان يطلبها . فان الحادثة المعلومة جعلت لبنان للفريق اللاجىء اليه بمنزلة حصن الأمن الذي تُحقن فيه الدماء . فلم يعد اللبنانيون وحدهم يتمسكون بامتيازاتهم فيه بل ان جيرانهم في كل الثغور صاروا اشد حرصاً عليها منهم لاشتراك منافعها بينهم . فكأن والي بيروت السابق قوّى امتيازات لبنان وزاد الناس تمسكاً بها بدل اضعافها . وحسبه ان يرى الآن تنبّه العواطف القديمة في لبنان ليعلم سوء سياسته من نحوه

فهذه الحادثة يا صاحب المطوفة لم تنفع والي بيروت السابق شخصياً ولا نفعت سياسته العمومية . بقي علينا الآن ان ننظر الى المضرة التي نشأت عنها

ولسنا نقصد هنا بالمضرّة ما نزل في بيروت من الخراب المالي والتجاري . كلا . فان

هذا عارض والعارض يزول · وانما نقصد بامصرية نفحفح عاطفة كانت آخذة في النمو · وفي نموها مصلحة الدولة بلا مراء · واليكم البيان

تعلمون يا صاحب العطوفة ان ساسة الدولة العثمانية الاعلام مثل عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا كانت سياستهم مع المسيحيين في البلاد العثمانية تدور على محورين (الاول) استمالة رؤساء المذاهب المسيحية اليهم منعاً لمداخلات اوروبا بينهم وبينهم (والثاني) بذل الجهد لفصل الرعايا المسيحيين « سياسياً » عن رؤساء مذاهبهم الدينية اذا لم يمكنهم استمالة هؤلاء الرؤساء · وكانت طريقتهم الى ذلك تدل على ثاقب فكرهم وواسع نظرهم واصابتهم الدواء اللازم وصفه لداء · فانهم وضعوا هذا المبداء : ان الدين علاقة خصوصية بين المخلوق والخالق · والمسيحي حرٌ في ان يعبد الله كما يشاء · وليس من حق الدولة ان تتداخل في شيء من ذلك · ولكن اتخاذ الامور الدينية سبيلاً الى الامور السياسية في الدولة امر يوجب على الدولة المداخلة · ولكي تمكنها هذه المداخلة يجب عليها الاهتمام باقامة العدل على السواء بين الجميع ومعاملتهم سراً وجهراً معاملة الاخوة الحقيقيين · فبهذه الطريقة ينفصل نبهاء المسيحيين شيئاً فشيئاً عن الاحزاب الدينية السياسية القديمة فيكونون اعواناً لنا · وبذلك تسقط عنهم وعنا السلطات السياسية الدينيّة

ونحن نخبر عطوفتكم يا صاحب العطوفة ان ذلك الحزب الجديد او النبت الجديد كان قد اخذ يتكاثر وينمو في بلاد الدولة · والداعي لكم كاتب هذا الكتاب يُقسم لكم بكل ما هو مقدس انه يعرف كثيرين منه · فان سياسة جلالة السلطان السلميّة من جهةٍ واهتمام اكثر رجال الدين بانفسهم قبل الاهتمام برعيتهم من جهة اخرى وظهور انانية اوروبا لمسيحيي الشرق ظهوراً رفع الحجاب عن عيونهم من جهة ثالثة ـ كل ذلك صار يُربي في ظلال الراية العثمانيه نابتةً جديدة لا مطمع لها في غير العدل الحقيقي والمساواة الحقيقية لتكون مخلصة الى اقصى درجات الاخلاص · وقد اشتغل كثيرون من الكتاب والخطباء في مساعدتها على ذلك اذ فيه مصلحتها ومصلحة دولتها معاً

فبينا نحن في ذلك واذا بحادثة بيروت تهدم مبداء عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا · اي تهدم البناء الذي بناه العقلاء في النفوس منذ ٢٥ عاماً · فماذا جرى حينئذ ؟ ان رجال المذاهب والاديان صار لهم في هذه الحادثة الاهمية الاولى واليد الطولى · والناس الذين كانوا ينتقدون رجال الدين لانهم لا يقومون بواجباتهم خرست السنتهم واختبئوا في الزوايا لعلمهم انه لم يبقَ الآن احد يسمع لهم · وكيف يسمع الناس عذلاً وانتقاداً في من يصونون

حياتهم ويسدون جوعهم . بل هنالك امر اعظم . اننا نعرف صديقاً في الاسكندرية مستاء من مطران في بيروت . وكان لا يطيق ان يسمع بذكره لاعتباره انه اساء اليه في مسألة مهمة وان كان سيادة المطران يجهل تلك الاساءة او لم يتعمدها . فلما حدثت حادثة بيروت وسمع عن المطران ما سمع صار يضحك ويسر لذكره . وقد اتفق مع احد اصدقائه وارسل اليه ٢٠ جنيهاً لينفقها على المحتاجين

ونظراً لما نعلمه من ان هذا الكتاب لا يطلع عليه احد غير عطوفتكم نخبركم خبراً عن الجامعة نفسها من هذا القبيل فان « الجامعة » نشرت في جزئها الخامس رواية عنوانها « الوحش الوحش الوحش او سياحة في ارز لبنان » وفي هذه الرواية فصل طويل بشأن الديور والرهبان . وقد جاء في هذا الفصل ان الديور لا نفع منها اليوم للناس اذا لم تغير خطتها . فلما حدثت حادثة بيروت تألمنا واخّرنا ارسال الرواية الى لبنان . لانها لو وصلت في ابان الحادثة لقوبلت بالسخط والضحك . وربما لا تعدم هنالك راهباً متحمساً يقف ويقول « نفع الديور في هذا الزمان ظاهر للعيان . فانها تفتح ابوابها لالوف اللاجئين من بيروت فتؤويهم وتغذيهم وتسكّن قلوبهم » وهكذا يا صاحب العطوفة يضطر حزبكم ان يسكت . ونريد هنا بحزبكم حزب فؤاد باشا وعالي باشا اي الحزب المسيحي الذي يروم الانفصال عن الامور الدينية السياسية انفصالاً قطعياً للانضمام الى جامعة عثمانية مبنية على الاخاء والمساواة المطلقة والحرية

هذه هي المضرة الكبرى التي حدثت بسبب تلك الحادثة . وقد ذكرناها لكم بكل حرية دون رياء ولا تصنع . ولا ريب عندنا ان الدولة تستاء من هذه النتيجة اشد استياء لانها منافضة للباب سياستها ومصلحتها . ولكن من المسئول عن ذلك يا ترى ؟ هنا نراكم تفكرون ملياً ثم توعزون الى سكرتيركم ان يجاوب عنكم فيجاوب بهذا الجواب الطويل

« هل تظنون ان الوالي ملاك هابط من السماء ؟ ان الوالي بشر كباقي البشر . فحين يولى مدينة زاهرة كبيروت يُخيل له انه ملك في مملكة . فالعناصر المختلفة تزحف لاجلاله وتكريمه . واكثر اغنيائها لا يدخرون وسعاً في استمالته . فاليوم يقيمون له المآدب . وغداً يقدمون له الهدايا . وبعد غد يدعونه الى المراقص . واحياناً يرقص ابنه في هذه المراقص مع سيدة جميلة وبعد الرقص تعرق السيدة من التعب فتمسح بمنديل الوالي عرقها عن وجهها وعن الديكولته . نعم ان حرمه حينما يدرين بذلك يسخطن منه ولكن رضى السيدات قريب كسخطهن وهكذا لا يرى الوالي من نصارى بيروت غير الجوانب الدنيوية

المزخرفة ولا يصادف امامه من رجالهم الا طلاب الوظائف والاغراض . فيخيّل له ان جميع نصارى بيروت على هذه الشاكلة . فيطمع فيهم ويستخف بهم . وكم من والٍ يتهيّب بيروت في الاسبوع الاول من ولايته ثم يستخف بها منذ الاسبوع الثاني . ولذلك قال بعض ولاة الديار الشاميّة يعني جميع اهل الشام نحن لا نستخف بهم بل هم يحنون لنا ظهورهم و يقولون اصعدوا واركبوا . فاين هذه الشهادة من شهادة معاوية بصلابة اهل الشام وحرصهم على حقوقهم .

ومن جهة اخرى فان لبيروت داء غير هذا الداء وهو دسائس الاجانب . وهنا تنفس سكرتيركم الصعداء وقال : انني اترك الدسائس السياسية جانباً واء نظر الى ما هو اهمّ منها واريد به دسائس بعض تراجمة القنصليات في بيروت . فان بعضهم يتخذ السلطة القنصليّة آلة يمتص بها منافع لنفسه ويدوس كل نظام وكل حق للوصول الى اغراضه . وقد كثرت هذه الشكوى حتى صار الناس يتمنون ان تجعل بعض الدول تراجمة قنصلياتها في بيروت اناساً من ابنائها ممن يحسنون اللغة العربية . فلماذا تلومون الوالي وحده مع ان له شركاء في المسئولية . ان الوالي ضيف . وهو اليوم هنا وغداً هناك . اما اولئك فهم ابناء البلد ولذلك يكونون احقّ باللوم منه متى سهّلوا العبث بمصالح بلادهم وقومهم خدمة لمصلحتهم الخصوصيّة . ولكن كل ذلك لا يُذكر بالنسبة الى الداء المهم وهو وجوب توحيد التربية والوجهة بين العثمانيين كما تصنع فرنسا اليوم في بلادها لقطع كل مداخلة اجنبية في داخليتها بواسطة رعيتها . وبدون ذلك لا تقدم ولا راحة »

فهنا نقطع كلام سكرتيركم يا صاحب العطوفة لنستحسن كل الاستحسان ما ذكره عن توحيد التربية العثمانية ونجيبه عليه اولاً . نعم نعم يجب توحيد هذه التربية . نعم نعم يجب ان نتشبه بفرنسا وذلك بان نمنع ان يكون في قلب الامة امتان وشعبان . ولكن هل يعلم طالبو هذا الامر الهام الذين كثروا في سوريا ومصر على الاخص اي شيء يقتضي؟ انه يقتضي قبل كل شيء وضع الدين جانباً اي ان كل مدارس الدولة التي يدرس فيها الفريقان درساً واحداً و يتلقنان فيها مبادىء متشابهة يجب ان تكون كالمدارس الفرنسوية معزولة عن الدين عزلاً قطعياً . فالطلبة من اي مذهب كانوا لا يدرسون فيها غير الدروس العلمية والادبية واما الدروس الدينية والمبادئ الدينية فتدرّس في المعابد والمنازل . و يوم تعزم الدولة على توحيد التعليم في الامة العثمانية بناء على هذا المبداء مقروناً بالعدل المطلق والمساواة المطلقة قولاً وفعلاً فانها تجد من ابنائها المسيحيين اناساً يبذلون كل ما عزّ وهان في سبيل تاييدها . ولكن بغير هذا المبداء ليس تحت قبة السماء قوة قادرة على توحيد مبداء الامة العثمانية

والاسفاه هنا مصدر دائنا · ولا نعلم متى يمن الله علينا بالدواء الذي لا دواء سواه دون مداخلة من الاجانب في شؤوننا · وعلى ذلك فكل ما ذُكر غير هذا انما هو فرع عنه وتابع له

ولكننا لا نجهل هنا الاعتراض القوي الذي يُعترض به على هذا القول · وهو هذا. كيف نُترك السياسة الدينية ما دامت اوروبا نفسها تستعملها في الشرق كآلة سياسية · والاسفاه · وهنا اوروبا تقول ايضاً : كيف اترك السياسة الدينية في الشرق ما دامت الدولة تجعلها محورها السياسي وقاعدتها الاولى فتبقى الضغائن الدينية فيه قائمة قاعدة في املاكي واملاكها كدرع للمصالح المادية الخصوصية يمنع الاتفاق النهائي الصحيح · وبناء على ذلك تبقى هذه متعلقة بتلك وتلك بهذه الى ما شاء الله والرعية مسلمين ومسيحيين بين الجانبين تستغيث بالله من الناس وتقف حيرى في ساحة الارتقاء بينما جميع الامم يزحفون ويتقدمون

هذا يا صاحب العطوفة ما اردنا رفعه الى مسامعكم الكريمة بعد الحادثة المشومة · ومنه يظهر ان والي بيروت السابق قد اخطأ الى الدولة خطأ شديداً بتمهيده السبيل لذينك الامرين (الاول) زيادة الميل والتعصب في سوريا ولبنان لامتيازات لبنان (والثاني) جعل السلطة الدينية في سوريا او بالحري في بيروت السند الوحيد للرعية المسيحية وبذلك قوي نفوذ هذه السلطة بعد ضعفه وخرس المقاومون لها لانكم سددتم افواههم بالحجارة · فاين عيون فؤاد باشا وعالي باشا تنظر هذا الامر وتندب انهدام ما تعب العاملون سنوات عديدة في بنائه · ولا ريب عندنا بعد هذا الانهدام انكم تشاركوننا في الاسف لحصول ذلك على يد والي بيروت السابق · واذا لقيتموه يوماً فتفضلوا بابلاغه هذا الاسف والسلام

« الجامعة العثمانية القديمة »

« حاشية » ـ بعد كتابة ما تقدّم دخل علينا احد قراء الجامعة وقال انه كان يُطالع في هذا الصباح مقالة « ثلاث دول » المنشورة في الجزء الاول من هذه السنة · قال «فوصلت الى وقوع المعتمد بن عباد امير اشبيلية العربي بين نارين : نار الافرنج في الاندلس لطلبهم ملكه ونار المغاربة في افريقيا لطمعهم فيه ايضاً · فاستنجد بالمغاربة على الافرنج قائلاً « لئن يرعى اولادنا جمالهم احبُّ الينا من ان يرعوا خنازير الافرنج » فجاء امير المغاربة يوسف بن تاشفين بجنده فردوا الافرنج ولكنهم استولوا على اشبيلية واسروا ملكها المعتمد بن عباد · ثم جاء بعدهم الموحّدون فاسقطوهم وحلوا محلهم · وبقي النزاع في الاندلس قائماً

قاعداً بين العرب والمغاربة وقبائلهم بعضها مع بعض فاشتغلوا به عن حفظ انفسهم وتقويتها بينما كان خصومهم الافرنج يقوون انفسهم بالاتحاد تحت رايات دولهم . بل بلغ الحمق من تلك السياسة ان استنجدت دولة المرابطين بجيش من الافرنج على دولة الموحدين فلما فتح هؤلاء مراكش وجدوا فيها جيشاً افرنجياً (ابن الاثير) قال المحدث فلما وصلت الى هنا رأيت ان هذه الحادثة تنطبق كل الانطباق على حادثة بيروت . فان اهل المزرعة المعتمد ابن عباد واهل البسطة يوسف بن تاشفين وجنده . والافرنج ما زالوا افرنج . فهل يريد المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين ان يشملا في بيروت مرة اخرى للافرنج كما اشتغلا لهم من قبل في الاندلس فصارت تلك البلاد كلها لهم »

قلنا سنوصل رأيك هذا الى عطوفة والي بيروت السابق ايضاً

العلم يبحث متلمساً

(الموت والحياة والسعادة والانسان)

آراء جديدة غريبة للعلامة الدكتور مشنيكوف في كتاب له حديث

اهتمت الدوائر العلمية في اوربا في هذا العام اهتماماً شديداً بكتاب عنوانه « مباحث في طبيعة الانسان » نشره العلامة الدكتور مشنيكوف الروسي وكيل ادارة معمل باستور في باريز . وقد ذكر فيه آراء في غاية الاهمية عن الموت والحياة واصلاح طبيعة الانسان اصلاحاً فسيولوجياً . واليك خلاصة هذا الكتاب الغريب فانه يجب ان يكون له صدى بين قراء اللغة العربية ليقفوا على اغرب الآراء في مستقبل الانسان والحياة في الارض

❊ هل الانسان مخلوق كامل ❊ تساءل العلامة مشنيكوف هل يمكن ان يكون الانسان سعيداً في الارض . قال : ذلك ممكن ولكن بشروط . فان بعض الحشرات والازهار قد خُلقت مزوَّدة بكل الاعضاء والغرائز التي تُتيح لها السعادة فما عليها الا ان تترك نفسها تعيش لتكون مستريحة سعيدة . ولكن الطبيعة غير عاقلة . فانها لم تخلق كل شيء بحكمة . وما الخلق عندها الا عبارة عن تصادم دقائقها حسب الاتفاق . ولذلك جاء الانسان على غير ما ينبغي ان يكون ووجدت فيه اعضاء تتعبه وتنغص عيشه على غير فائدة وقد ورثها من الحيوانات اجداده . فان « الزائدة المعوية » فيه (الابانديس) لا وظيفة لها في جسمه غير المرض لانها اثر قديم . ولكنها في الارانب ذات وظيفة مهمة لانها تساعدها

على هضم الطعام . وكذلك المعى الغليظ فهو مفيد جداً للحيوانات المجترة ولكنه في جسم الانسان موضع للخطر لان فضلات الطعام تجمع فيه . وكذلك المعدة فانها مفيدة للبقر مثلاً ولكنها متعبة للانسان لانها تسبب له سوء الاخلاق وينشأ فيها السرطان . ولقد استأصل الاطباء المعدة من كثيرين فعاشوا دون معدة مسرورين مستريحين وذلك لاقتصارهم على اغذية كيماوية خفيفة على امعائهم

هذا من حيث اعضاء الانسان الداخلية . ولننتقل الآن الى امر آخر وهو «غريزته الحيوية» اي حبه الفطري للحياة . فنجد ان هذه الغريزة تعذبه اشد عذاب . فانها تنمو وتشتد كلما تقدم الانسان في السن . وسبب ذلك ان الانسان لا يبلغ اشده حتى تصيبه الشيخوخة والعجز . فتنتهي حياته قبل ان يتمتع بها كما يريد . ولذلك يزداد تمسكاً بها . ويتمثل له الموت دائماً نصب عينيه . واذا قيل ان ذلك ناموس طبيعي عام فالجواب ان هذا القول خطأ . فان كثيراً من الحيوانات وكل الديدان تموت دون ان يصيبها هذا الانحطاط اي المرض والشيخوخة . ومع ذلك فموت الحيوان لا يشبه موت الانسان . لان الانسان يشعر ويحس ان له اجلاً سيموت بعده وهنا موضع عذابه . واما الحيوان فلا يشعر بذلك بل يأتيه الموت ويأخذه دون علم منه . نعم ان كثيراً من الخيل تظهر في ساحة الحرب اذا كانت مفروشة بالجثث خوفاً فطرياً ولكنها لا تدري بان لها اجلاً

فبناء على ذلك يكون المرض والشيخوخة والموت اعظم موانع السعادة والراحة في هذه الحياة

❊ اصلاح طبيعته بسكين الجراح ❊ قال العلامة مشنيكوف ولكن لنا طريقة لازالة هذه الشرور وانقاذ الانسان من الضعف والمرض وهي ان يشق باطن كل طفل حين ولادته وتمد اليه سكين الجراح فتحذف الزائدة المعوية وتبتر المعى الغليظ وتصلح المعدة او تحذفها . . وهذا ما يسمى اصلاح طبيعة الانسان . وبما ان الشرائع تمنعهم من تجربته في الاطفال فقد شرع مشيكوف وتلامذته في تجربته بالقرود . . فراحة الانسان وسعادته هي اذاً مسألة جراحية

ولكن فلنفرض ان هذه الاحلام قد صحت وتمكن العلم من التغلب على الامراض بطريقة باستور اي طريقة المداواة بالمصل فماذا تكون النتيجة ما دام الانسان لا خلاص له من الشيخوخة . قال العلامة مشيكوف : ولكن الشيخوخة نفسها يقدر العلم عليها واليك رأيه

❊ منع الشيخوخه قبل الثلاثمائة سنة ❊ في دم الانسان ودماغه كريات حية نافعة بزيادتها وقوتها زيادة نشاطه وقوته . وفيه ايضاً جراثيم مضرة بزيادتها وقوتها ضعفه

وخموله · وكلا الفريقين في حرب دائمة هذا يأكل ذاك وذاك هذا · ولكن الفريق الاول يكون اقوى في زمن الصبى والشباب · الا انه اذا اضعف الانسان قواه بامر من الامور تقوى الجراثيم المضرة على الجراثيم النافعة لضعف هذه حينئذ فتاكلها تلك وتحتل محلها في الجسم وتنشئ فيه الياقاً تخينة هي علة الضعف والشيخوخة · فرغبة في منع الضعف والشيخوخة يجب ان تُدخل الى دم الانسان مدداً للجراثيم النافعة لتقويتها دائماً على الجراثيم المضرة وبذلك نمنع الضعف والشيخوخة · وهذا المدد يكون مصلاً خصوصياً لذلك · هذه طريقة اولى · والطريقة الثانية ان نبحث عن اصل تلك الجراثيم المضرة ومصدرها · فهنا لا يعلم العلم شيئاً · وانما يظن الدكتور مشنيكوف ان تلك الجراثيم المضرة تصدر عن المعى الغليظ في الانسان لان الاطعمة تجتمع هناك وتختمر وقد تفسد فتنشأ فيها الجراثيم المضرة وتتفرق منها في الجسم كله (١) ولذلك يوجب تقليل اكل اللحم ما امكن او الامتناع عنه قطعياً خصوصاً عن اللحم النيء وذلك رغبة في تقليل تلك الجراثيم · قال فاذا عولجت طبيعة الانسان كما تقدم وذهبت اسباب الامراض والضعف والشيخوخة امكن الانسان ان يعيش مائتي سنة بل ثلاثمائة دون ان يشكو شيئاً ··· فيكون طفلاً في المائة الاولى ··· وفتى في المائة الثانية منصرفاً الى عواطف الشباب وملاذه ··· ورجلاً خبيراً في امور الحياة في المائة الثالثة ······ ويكون في المئات الثلاث سعيداً مستريحاً سليماً من الامراض ···

❊ بقي الموت ❊ قالوا ولكن ما الفائدة من كل هذا التعب اذا كان الانسان بعد بلوغه سن الثلاثمائة سنة سيموت · فالموت او فكر الموت يبقى اكبر منغص لعيشه واشد مانع له من الراحة والسعادة في الارض · قال مشنيكوف كلا ثم كلا · ان الموت مسألة علمية ايضاً · فان العلم متى بلغ الحالة التي ذكرناها يكون قد حلَّها احسن حل · فاننا نحكم اليوم على الموت بانه شرٌّ ونخاف منه اشدَّ خوف وما ذلك الا لان جميع الذين يموتون اليوم انما يموتون موتاً غير طبيعي اي قبل الاوان · وهم يموتون قتلى بسم الجراثيم المضرة التي ذكرناها · اما الموت الطبيعي · الموت الحقيقي فلا وجود له اليوم · فكيف نحكم عليه بانه مخيف منغص للعيش قبل ان نعرفه ونختبره · فان شيخاً بالغاً مائة سنة قال لمشنيكوف « لو كنت بلغت سني لعلمت ان الانسان قد يحلو له الموت » وقال تولستوي في اثناء مرضه الشديد في عام ١٩٠١ وقد اشرف على الموت « ان الحياة لذيذة ولكني ارى الموت ألذ » · فغير بعيد بل الواضح كل الوضوح انه متى بلغ الانسان الثلاثمائة سنة وشبع من الدنيا والحياة توجد فيه

---

(١) هذا الراي الجديد من العلامة مشنيكوف جدير بالانتباه

« غريزة الموت » كما فيه « غريزة الحياة » فيصير يرى الموت عبارة عن نوم هادئ لطيف بعد تعب الحياة كما يرى احدنا الليل بعد النهار فيستقبل الموت في اجله متلذذاً مسروراً .
اما الآن والواحد منا يموت في الاربعين او الخمسين من عمره فاننا لا نقدر ان نشعر بتلك الغريزة . فمثلنا في ذلك مثل بعض الفتيات الحبشيات اللواتي يتزوجن في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من العمر ويقضين نحبهن باول ولادة فيمتن قبل البلوغ دون ان يشعرن بغريزة الحب ولذتها

هذه زبدة اراء العلامة مشنيكوف الغريبة في موضوعه الغريب . وهي وان كانت ممزوجة بكثير من التصورات الا انها تستحق مع ذلك كل امعان واهتمام لصدورها عن عالم له بين العلماء ارفع مقام . فترى هل يحقق العلم في المستقبل هذه الاحلام

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لننشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات ولكننا نرجو الاختصار اذ لا ننشر في كل موضوع من مواضيعه غير صفحة واحدة او اقل

ابن رشد والشدياق

نشرنا في صدر باب المراسلات في الجزء السابق رسالة تحت هذا العنوان . وقد علمنا بعد ذلك من جناب كاتب تلك الرسالة انه تحقق بعد ارساله رسالته ان الكتاب الذي اشار اليه لم يكن من تأليف الشدياق في ابن رشد ولكنه كتاب من كتب ابن رشد كان من كتب الشدياق وعليه اسمه . فانتفى بذلك ان يكون الشدياق قد كتب في هذا الموضوع . على اننا نرجو من كل من يعلم شيئاً عن هذا الامر ان يخبرنا عنه وله الفضل

روايات الجامعة

حضرة الفاضل منشئ الجامعة الغرّاء

بعد تقديم واجب التحية لحضرتكم لا يسعني الا ان اشكركم على اتحافكم قراء الجامعة بروايات هي بدعة في حسن السبك والاسلوب مع النظر الى حاجات العصر وفقر البلاد الى

المبتكرات الرقيقة الجامعة للحكم والفكاهات . فحقا ان ما نراه او نسمع به عن مجلات الغرب قد تشخص الان لدينا بهذه الخطة الحسنة التي انتهجتموها حضرتكم فاصبح واحدنا ما يقرأه في الجامعة من المقالات والروايات مكتفياً بها عن تلك لان خطة كبار المؤلفين الذين يسبكون رواياتهم في قوالب المعاني والحكم ويحيكون عباراتهم على نول الرقة والذوق الحسن ممثلة بروايات الجامعة . فانها بعيدة عن الحب الفاسد والخيالات الوهمية المبنية على الغرام والوجد . فالروايات التي لا ينتقل قارئها الا من بيت العاشق الى مسكن العشيقة ومن لوعة الحب الى فرط الغرام ليست الا كمكاو تحرق قلب الشبيبة وترمي بهما في وهدة اليأس وهاوية الضلال والغواية . فحاجة بلادنا هي الى روايات مائها الرقة والاداب ومغزاها تثقيف العقول وانهاض الهمم ورفع الافكار الى اسمى درجات الكمال . وهذا ما نقرأه الان على صفحات الجامعة فنسأل الله ان يوفقكم الى تتميم مقاصدكم الحسنة

(الشيخ فضل)   سليمان كرم

الربوة هي كشمير وفيها قبر المسيح

بقلم هندي مصدق لمسيح الهند ومؤيد له

حضرة الفاضل منشىء الجامعة الغراء

ان الذي نشرته الجامعة من تاريخ حياة المسيح واعماله نقلاً عن ابن الاثير الجرزي لنا كلام في بعض مواقعه . مثلاً ان الذين قالوا ان المسيح عليه الصلاة والسلام رُفع الى السماء الثانية او الرابعة بجسده العنصري وصُلب مكانه رجل آخر فالعقل والنقل يخالفان هذه القصة ولا يصدقها المتفرسون . فان الذي صُلب في مصلب عيسى عليه الصلاة والسلام ان كان من المؤمنين فكيف صلبه الله وقدجاء في التوراة ان من صُلب فهو ملعون وان كان المصلوب من اعداء عيسى ومن الكفار فكيف سكت المصلوب عند صلبه وما برّأ نفسه وكيف بقي امره مكنوناً والمصلوبون لا يموتون الا الى ثلاثة ايام او اكثر . الم يكن له شهداء من امه وزوجه واخوانه وجيرانه واحبابه واصحابه ومن الذين كان اودعهم اسراره وكانوا يعرفونه . فهذه القصص لا تقبلها الفطرة الصحيحة

ثم كتب ابن الاثير في كتابه ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك . اقول ان الربوة التي ذكرها الله في هذه الآية « وآويناها الى ربوة ذات قرار معين »

فيها نبوءات متعلقة بعيسى وامه لتخص امرها وهي هذه (١) ان الله تعالى آواها بعد ما رأيا اشد المصائب ولم يريا بعدها مصيبة مثلها لان لفظ الايواء لا يستعمل الا لايواء احد من مصيبة اصابته فيقال آويته ايواء اي هيأت له اسباب النجاة واففته بالراحات بعد ما رأى التكاليف والمقاسات . ولم تمض على عيسى وامه زمان مصيبة صعبة قبل واقعة الصليب . فعُلم ان الله تعالى اثارها الى ملك آخر وآواها بربوة بعد ما رأيا واقعة الصليب (٢) مكنها بربوة مرتفعة عن سطح الكرة الارضيـة (٣) ابقاها بتلك الربوة الى آخر حياتها معاً (٤) ان الربوة ذات ينابيع وعيون وان ماءها صافٍ وشافٍ وهي كلها من نعماء الله تعالى وان الله تعالى لم يسلب منها تلك النعماء بعد العطاء . فليتدبر القراء كلمات الآية المزبورة جيداً جداً . واما ما احتار ابن الاثير فيه من تعيين الربوة فنحن نرفع الاختلاف والحيرة بحول الله تعالى بتعيين تلك الربوة مستهدين بشهادة الآية المذكورة الفصيحة والتواريخ الصحيحة والقرائن الصريحة والمشاهدة العيانية فنقول ان تلك الربوة هي « كشمير » ومن اراد تفصيل هذا الاجمال فليطلب منا « اعلان قبر المسيح وتواريخه » واما الذين يُصعدون عيسى الى السماء فاراهم مخالفين القرآن كما قال الله تعالى « فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » . واما قوله تعالى بل رفعه الله اليه فهو كقوله تعالى « ورفعناه مكاناً علياً . » وكقوله عن ابراهيم عليه السلام « اني ذاهب الى ربي » . وكقوله تعالى « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك » . ومثله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »

محمد فضل خان (الهند)

❋ الجامعة ❋ قلنا فالنتيجة التي تخرج من هذه الرسالة ان قبر المسيح في جبل كشمير (الهند) وانه قام اليوم من الاموات ليهدي الناس ويجمعهم على دين واحد وانه هو الميرزا غلام احمد القادياني نبي الهند الجديد الذي تقدم ذكره في غير هذا الجزء . فياحبذا لو كان في الامكان ان نحقق هل ان حضرة المراسل يجد ام يهزل في هذه الرسالة

❋ ارز لبنان ❋ روت الجرائد الانكليزية انه يوجد في لندن وضواحيها من غصون الارز اللبناني ما لو جمع لزاد مقداره على ما في جبل لبنان ذاته ولو لم يكن لهذه العاصمة التي هي اكبر عواصم الارض سوى هذا الدليل من ادلة العظمة لكفى (الشرق)

آثار الشرق القديمة

اشهر الآثار الشرقية

عمود ميزا من عصر التوراة — هل هو مزوّر

اشهر الاكتشافات الاثرية الشرقية عمود ميزا الذي ابتاعه متحف اللوفر في باريز في عام ١٨٧٣ . هكذا قال عنه رنان في جريدة الدبيا في عام ١٨٧٠ . وسبب هذه الاهمية ان هذا العمود يحتوي كتابة لملكين من ملوك مواب الوارد ذكرهم في التوراة احدهم يدعى ميزا وهذه الكتابة تفصّل بعض الحروب التي حصلت بين بني اسرائيل ومواب في زمن هذا الملك . فكأنها تتمة للتوراة . مثال ذلك قول ميزا « انا ميزا ابن كاموجاد ملك مواب . لقد بنيت بعل مون . واصلحت بناء كيرياتايم . وكان ملك اسرائيل قد بنى ياحاس واقام فيها مدة الحرب . فطرده كاموس من وجهه . فاخذت مائتي جندي فقط وصعدت الى ياحاس فضممتها الى ديبون . ولقد بنيت قرحا واتممت ابوابها وبرجها وبنيت قصر الملوك وبنيت سجونًا في وسط المدينة . ولم يكن فيها آبار من قبل . فقلت للشعب « فليحفر كل واحد بئره في بيته » ثم حفرت اقنية الى قرحا بواسطة اسرى من بني اسرائيل . ولقد بنيت ارويير ... ولقد بنيت بيت باموت بعد انهدامها ... الخ الخ » على هذا النسق مما لا تخفى اهميته لان الحوادث الواردة في التوراة مشتركة مع هذه الحوادث

وهذا العمود ارتفاعه متر وعرضه ٦٠ سنتيمترًا وهو مؤلف من ٣٠ قطعة لانه وجد قطعًا قطعًا . والكتابة المنقوشة عليه مكتوبة باللغة الموابية في سنة ٨٩٦ قبل الميلاد المسيحي . واللغة الموابية فرع عن اللغة العبرانية ونقشها بالعمود بحروف الهجاء الفينيقية التي سبقت حروف الهجاء اليونانية

هذا في الشهر الماضي نشر احد العلماء النمساويين وهو المسيو البير لاوي رسالة قال فيها ان هذا العمود مزوّر كما ان تاج سايتفارنيس الذي ذكرناه مرة كان مزورًا . فتصدّى له العلامة كليرمون كانو المستشرق الفرنسوي المشهور وهزأ بقوله . وقال انه يكفيه شهادة رنان وشهادة علماء انكلترا والمانيا بصحة مصدر الكتابة والعمود . وقد ايّد المستشرقون هذا القول . وانما اهتم المسيو كليرمون كانو هذا الاهتمام لانه هو الذي ابتاع لللوفر هذا العمود لما كان ترجمانًا لقنصلية فرنسا في القدس . وقد ابتاعه من البدو الذين وجدوه على مسافة ثلاثة ايام من القدس في جهات البحر الميت . وما كان المسيو فوكوه في القدس شاهده وشهد بصحته

باب الاخبار العلمية

❊ **وظيفة الضحك** ❊ قال المسيو دي فاريني ان الضحك عبارة عن احتجاج على عمل منافض لاصول الاجتماع وتنبيه الى النظام المتبع · فهو اذاً ذو وظيفة اجتماعية اصلاحية خصوصية · ولذلك انفرد الانسان به دون الحيوان

❊ **ميكروب جديد** ❊ قدم المسيو رو بلاغاً الى المجمع العلمي بالنيابة عن المسيو سازراك يقول فيه انه اكتشف ميكروباً جديداً يؤكسد الغليسرين

❊ **الصاعقة وابرة فتاة** ❊ وقعت الصاعقة منذ مدة في فرنسا على فتاة تشتغل بالابرة في البيت تخطفت الابرة منها دون ان تُصاب الفتاة بضرر سوى الاغماء

❊ **اطول رجل في العالم** ❊ معدل طول قامة الانسان متر واحد و٩٣ سنتيمتراً ولكن الاستاذ لوشان شهد في شهادة خطية انه فحص قامة رجل من كوميجا كي في روسيا عمره ٢٢ سنة ويُدعى فيودور ما خوف فوجد طولها مترين و٣٨ س وهو اطول رجل في الارض وقد استاجروه ليعرضوه في بلاد اوربا

❊ **ترتيب الحروف بالتلغراف** ❊ عرض المسيو درسونفال على المجمع العلمي الباريزي آلة اخترعها المهندس روزار واسمها (اليكترو تيبوغراف) ووظيفتها ترتيب الحروف بالتلغراف في عدة اماكن معاً اي ان صاحبها اذا مدّ سلكه التلغرافي الى خمس ادارات من ادارات الجرائد استطاع بآلته ترتيب حروف مقالة واحدة في هذه الادارات معاً

❊ **عدد الزلازل منذ التاريخ** ❊ احصي عدد الزلازل منذ التاريخ فكان ١٥٦ الف زلزال منها ٢٠ في المائة بعضها حدث في الخط بين اسيا الشرقية واميركا الغربية وبعضها حدث في خط البحر المتوسط · فاستدلوا بذلك على ان هنالك سبباً محلياً

❊ **ظهور المذنب بورلي** ❊ شاهدت مراصد مرسيليا هذا المذنب في الصيف وقد كان يُرى من فرنسا بالعين المجردة ولكن خفيفاً · والمدهش ان ذنبه تغير تغيرات مدهشة كما يؤخذ من صوره الفوتوغرافية · فانه كان يوماً كالحرف S بشكل مستطيل · ثم عاد فاستقام ولكن صار طرفه معكوفاً · وبعد عدة ايام تقطع ذنبه عدة قطع وتحول عن مركزه الاصلي ثم نبت له ذنب ثانٍ وبعد ذلك صار باربعة اذناب · فكان امره غريباً · وهو بعد ذلك اتجه

بجو الشمس فغاب عن الانظار . وقد حللوا غازه فوجدوا فيه شيئاً كثيراً من الهيدروكاربون وحامض السينيدر يك الذي هو سم زعاف . ولذلك قال المسيو برتلو في المجمع العلمي انه اذا صدم احد المذنبات الارض مات سكانها اختناقاً بهذا الغاز كلهم البرق الا اذا كان هذا الغاز يحترق حين اتصاله بجو الارض

❋ اختراع جديد للغرقى ونقل السمك ❋ عُرضت في باريز آلة جديدة لمساعدة الغرقى والسمك . اما الغرقى فتقدّم بالاوكسجين وهم في البحر لتطيل مدة بقائهم الى ان يأتيهم المدد . وهي مؤلفة من كيس يُخزن فيه الاوكسجين وتلصق آلته على الوجه . واما السمك فيفيده هذا الاوكسجين في نقله من مكان الى مكان دون ان يموت . وقد نقلوا بهذه الآلة ٢٠ كيلوغراماً من السمك في ٨٠ ليتراً من الماء فقط من جنيف الى فينا وبقي السمك حياً

❋ حمم الارض ودم فتاة ❋ خاف بعضهم لتتابع الزلازل في هذين العامين ان تنفجر الارض لكثرة الحمم الخارجة منها فردَّ عليه آخر يقول ان الحمم التي خرجت من البراكين نسبتها الى الارض كنسبة الدم الذي يخرج من اصبع فتاة تُطعن بابرة الى تلك الفتاة

❋ اهم مموث في العالم ❋ المموث حيوان هائل كالفيل انقرض في جملة الحيوانات المنقرضة . واهمُّ حيوان منه وجد منذ مدة في سيبيريا مطموراً بين الثلوج ولا يزال لحمه وعيناه وجلده ولسانه سليمة . وطوله ٣ امتار وعلوه متران وقد نقل الى بطرسبرج بعد تقطيعه لكن جلده اخذ بالفساد فاذا استطاعوا حفظه وتركيبه كما كان كان مموثاً حقيقياً فريداً في العالم كله

❋ سير زورق في البحر وحده ❋ عرض المسيو ابرت على مجمع العلوم في باريز اختراعاً للمسيو توريس المهندس الاسباني ومداره ارسال قوة كهربائية بلا سلك من البر الى زورق في البحر وتسييره بها الى اية جهة كانت دون ان يكون فيه احد . وعلى ذلك فربما سُيرت السفن الكبرى في المستقبل على هذه الطريقة بلا سكان (دفة) ولا آلة بخارية وربما قُذفت بها الطوربيد من البر الى السفن الهاجمة فاصابتها مهما كانت بعيدة



باب التقريظ والانتقاد

﴿ عرفات ﴾ وددنا لو اتسع لنا المجال في هذا الجزء لتعريف هذه الجريدة الجديدة الى قراء الجامعة تعريفاً يفيها حقها . فهي جريدة اسبوعية فرنسوية العبارة انشأها حضرة الشهم الفاضل محمود بك سالم من كرام المصريين المشهود لهم بالفضل ومكارم الاخلاق . وغرضه منها تعريف الشرق والاسلام الى الغربيين . ويسرّنا ان نكون على اتفاق في كثير من المسائل مع رصيفتنا عرفات . ويكفينا منها للدلالة على مشربها قولها في صدر العدد الثالث ما ترجمته « لو اتبع المسيحيون تعليم المسيح اتباعاً حقيقياً وكذلك المسلمون تعليم القرآن لما بقي بين الفريقين من فرق ولا قيد اصبع » وعندنا انه اذا استمرّت « عرفات » في الجادة المستقيمة فان اسم منشئها الفاضل يضمّ في دفتر الاصلاح الشرقي العظيم الى اسم قاسم بك امين وغيره من المصلحين الذين لهم جرأة وقوة على الجهر بالحق اينما وجدوه

﴿ الآداب ﴾ هي خطبة لحضرة الفاضل الاديب جرجي افندي نقولا باز تلاها في جلسة جمعية شمس البر في غرف القراءة في بيروت وقد جمع فيها كثيراً من اقوال الفلاسفة والعلماء في « الآداب » وقد تفضل باهدائها الى الجامعة اشتراكاً في تنشيطها وتشجيعها في خدمتها . فنشكر له هذه الهدية النفيسة ونرجو ان تبقى الجامعة اهلاً لثقة اهل الفضل والادب

﴿ رباعيات المعري ﴾ نظم حضرة امين افندي ريحاني الكاتب الجريء شيئاً من شعر ابي العلاء المعري شعراً انكليزياً وطبعه في محل الخواجات دو بلندي وبج وشركائهما في نيويورك فنثني على حضرته الثناء الذي يستحقه فضله واقدامه على الامور المفيدة التي ترفع الشرقيين في نظر الغربيين

﴿ كتب مدرسية ﴾ اهدانا حضرة رصيفنا الفاضل احمد افندي طباره رئيس تحرير جريدة ثمرات الفنون الغراء ثلاثة كتب مدرسية طبعت على نفقته اثنان منها تأليف حضرة العالم الشيخ طاهر الجزائري (اولها) ارشاد الالبا الى طريق تعليم الف باء (وثانيها) رسالة الف با وهي ملخصة من الكتاب الاول (والثالث) المقامات العشر للطلبة المصر وهي مختارة من المقامات الحريرية ومشروحة شرحاً وافياً بقلم جناب الاستاذ الشيخ محمد المبارك الجزائري فنشكر لها ولحضرة الناشر خدمتها للادب

﴿ الشرق ﴾ الشرق اسم لجريدة سياسية يومية صدرت في الثغر لصاحبيها حضرات الفاضلين حنا افندي جاويش وطانيوس افندي عبده . وقد جاء « الشرق » منذ اول صدوره كبيرًا في حجمه ومواضيعه وانتظم في سلك الجرائد اليومية الكبيرة فندعو له بتمام النجاح

﴿ الظاهر ﴾ الظاهر جريدة يومية جديدة صدرت في العاصمة لصاحبها ومديرها حضرة المحامي المشهور عزتلو محمد بك ابو شادي وقد انتظمت منذ صدورها في سلك الجرائد اليومية الكبرى فندعو لها بالنجاح

﴿ المهاجر ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية جديدة تصدر في نيويورك لحضرة صاحبها الكاتب الفاضل امين افندي غريب وغرضها ان تكون صلة بين المهاجرين في اميركا واهلهم في الشام . فنتمنى لرصيفتنا النجاح الذي تستحقه

﴿ كتاب لهربرت سبنسر في التربية ﴾ اعلن حضرة الرصيف الفاضل نجيب افندي شقرا صاحب مجلة الاستقلال الغراء عزمه على نشر كتاب في التربية للفيلسوف هربرت سبنسر المشهور بعد ان استأذن الفيلسوف في ترجمته . وسيصدره في هذا العام . فنى صدر وفيناه حقه

﴿ السنان الفيلسوف ﴾ هي الرواية الثانية والعشرون من روايات مسامرات الشعب تأليف حضرة الفاضل احمد افندي حافظ عوض المحرر بالمؤيد . ولا عجب ان تصدر المسامرات عدة روايات متتابعة من قلم حضرته فانها تعلم ما لاسمه من المنزلة في نفوس القراء

﴿ العصر الجديد ﴾ هي مجلة شهرية لصاحبها جناب محمود افندي صادق سيف واشتراكها السنوي ٤٠ غرشًا صاغًا فندعو لها بالنجاح

﴿ الاعراب عن قواعد لغة الاعراب ﴾ كتاب موضوعه المعاني وضعه جناب الفاضل رشيد افندي عطيه وهو مكتوب باسلوب سهل مقرون بالشروح التي توضح قواعده فنشكر له هديته

﴿ الواعظ ﴾ هو جريدة اسبوعية عمومية لصاحبها ومحررها جناب الكاتب الفاضل محمود افندي سلامه المشهورة آثاره في جرائد مصر اليومية فندعو لرصيفتنا بالنجاح الذي تستحقه

﴿ بلزار ﴾ هي رواية ادبية سياسية للكاتب الفرنسوي مرمونتال تعريب حضرة عباس افندي ابي نخول البجاني الشبابي اللبناني وقد نشرت تباعًا في رصيفتنا جريدة المناظر وهي تطلب منها في سان باولو بالبرازيل

﴿ مجلة ابقراط الطبية ﴾ هي مجلة طبية عملية للاطباء وصحية للعائلات لمنشئها حضرة الدكتور الفاضل حسين افندي يسري وادارتها في مصر فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ الشبيبة السورية ﴾ هي جريدة تهذيبية انتقادية جديدة اصدرتها في البرازيل جمعية الشبان السوريين في ريوجانيرو فنرجو ان تخدم قراءها الخدمة المفيدة المنتظرة من شبان افاضل يعرفون حاجات قومهم

﴿ البستان ﴾ جريدة يومية سياسية انشاتها شركة من كرام السوريين في بوسطن من اعمال الولايات المتحدة وعهدت تحريرها الى جناب سليم افندي مركيس فنرحب بالرصيفة وندعو لها بالنجاح

﴿ الخلاصة ﴾ هي خلاصة مشروعي انشاء كنيسة واقتناء مقبرة للطائفة السورية الارثوذكسية في نيويورك . وضعها حضرة الاب الفضال الارشمندريت روفائيل هواويني فنثني على همة سيادته ونسأل الله ان يقويه في خدمة رعيته

﴿ الامة الشرقية ﴾ هي مجلة علمية ادبية لصاحبها ح . ص . تصدر في الشهر مرة وقيمة اشتراكها اربعة فرنكات ونصف فقط فندعو لها بالنجاح

﴿ المباحث ﴾ وردتنا هذه المجلة الجديدة لمنشئها حضرة الاب جرجس فرج صفير وهي تبحث في كل المواد العلمية والادبية والفلسفية والدينية والانتقادية فندعو لها بالنجاح والاعتدال

﴿ المعاني ﴾ هي جريدة فكاهية انتقادية لصاحبها ومحررها جناب يوسف افندي يعقوب وهي مكتوبة باللغة العامية فندعو لها بالنجاح

﴿ الانسانية ﴾ هي مجلة جديدة لصاحبها ومديرها حضرة المحامي محمد افندي ابي النصر ومحررها حضرة الشيخ ابرهيم الدماغ واسلوب الانسانية في التحرير والانتقاد اسلوب جامع للمتانة والظرف مما يندر في غيرها

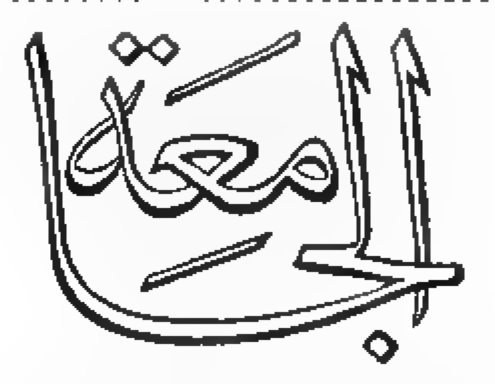
﴿ النيل ﴾ هي جريدة ادبية فكاهية تصويرية لصاحبها حضرات محمد افندي غانم وسليم افندي قبعين وتصدر كل اسبوع مرة فنرجو لها النجاح

﴿ روض المسرة ﴾ هو عنوان الكتاب الذي جمعت فيه تهانئ الحبر الفضال السيد جراسيموس مسرَّة مطران الروم الارثوذكس في بيروت لمناسبة انتخابه مطراناً لابرشيتها . وقد خُصص ثمن هذا الكتاب لوجه البر وهو مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة رصيفتنا جريدة لبنان الغراء . فنكرر لسيادته التهنئة بهذه المناسبة

﴿ الجريدة الماسونية ﴾ اصبحت المجلة الماسونية الشهرية جريدة نصف شهرية لصاحبها جناب نقولا افندي سابا ومحررها ع . ب وقيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً صاغاً في السنة

اضطررنا الى اختصار باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء لضيق المجال

الجزء ٩ و١٠ السنة الرابعة



مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ الجزء ٩ و١٠ ـ سنة ١٩٠٤ م ـ سنة ١٣٢٢ ه

خاتمة السنة الرابعة

بهذا الجزء (التاسع والعاشر) والكتاب الملحق به انتهت السنة الرابعة للجامعة ودخلت المجلة في سنتها الخامسة

﴿ الكتاب الملحق بهذا الجزء ﴾ اما الكتاب الملحق بهذا الجزء فهو كتاب (تاريخ يسوع) مضافاً اليه عدة اضافات اذ لم يكمل نشره قبل الآن ونخص من هذه الاضافات المقدّمة التي صدّر الكتاب بها والتي نؤمل ان يقرأها كل قارىء بالامعان والتساهل الجديرين بأهل العقل والرزانة · وقد طبعنا هذا الكتاب النفيس على ورق ممتاز طبعاً ممتازاً باتقانه ونظافته · وهو يُهدى الى كل مشترك سدد قيمة الاشتراك ولغير المشتركين يباع بخمسة فرنكات

﴿ عدد كتب العام الماضي ﴾ وبناء على ذلك تكون الكتب التي اصدرتها الجامعة في سنتها الماضية (الرابعة) هديّة لمشتركيها اربعة وهذه اسماؤها

(١) تاريخ المسيح (٢) اوروشليم الجديدة

(٣) سياحة في ارز لبنان (٤) الدين والعلم والمال

ونظن ان هذه السنة هي «اخصب» سني الجامعة لانها ستصرف اهتمامها في السنة التالية (الخامسة) الى صدور اجزائها على التوالي بدل الاهتمام بكتبها كما فعلت في السنة الماضية

﴿ مطبعة الجامعة ﴾ ومما يسهّل لها الآن هذا الامر استقلالها بطبعة خصوصيّة لها

تقدّم اشغالها على كل شغل وتوفّر لها النفقات الطائلة التي كانت تنفقها من قبل على نفسها في المطابع الاخرى . ولذلك نقلت الادارة من محلها القديم في ملك طوسن باشا الى محل يسع ادارتها الجديدة وما جلبته من الآلات والمعدّات وذلك في باب رشيد تجاه محل البرنطان . ولا حاجة الى القول بان كل ما يطلبه قراء الجامعة ووكلاؤها في مصر وخارج مصر من طبع مطبوعات لم يُقضى باسرع ما يكون و بنظافة واتقان مشهورين في جميع مطبوعات الجامعة . والشرط الاول في الطباعة النظافة والاتقان كما هو معلوم

﴿ مكتبة الجامعة ﴾ وبالنظر لامتداد علائق الجامعة الى خارج القطر المصري في اقطار عديدة بعيدة صار كثيرون من قرائها الافاضل يعتمدون عليها في استيراد الكتب التي يحبون اقتناءها بين كُتب علمية وادبية وفكاهية ومدرسية وروايات مختلفة مما يطبع في مصر والشام وغيرهما . واكثرهم يلحون عليها بارسال فهرس تلك الكتب ظناً منهم بان للجامعة مكتبة خصوصيّة . فلما راينا من القراء هذا الاهتمام خطر لنا ان نجمع لهم في ادارة الجامعة اهمّ الكتب التي طُبعت في مصر والشام . فجعلنا في ادارة الجامعة محلاً خصوصياً (لمكتبتها) مشرفاً على الشارع العمومي يُدخل اليه ويُخرج منه من باب خصوصي غير باب الادارة العمومي . وبذلك تكون المكتبة مستقلة عن الادارة وكل زائر يستطيع في طريقه تقليب الكتب التي فيها بين علمية وادبية ومدرسية وروايات مختلفة من كل ما يُطبع في مصر وخارجاً لانتقاء ما يطلبه منها

اما فهرس الكتب الموجودة في (مكتبة الجامعة) فهو تحت الطبع ومتى فرغت المطبعة منه يُرسل هدية لكل من يطلبه . واما الكتب الغير الموجودة في المكتبة فادارة المجلّة تتولى ارسالها لمن يطلبها اياً كان نوع الكتاب واسمه وسواء كان من مطبوعات مصر او الشام او تونس او الهند اذ بينها وبين اكثر مكاتب سوريا ومصر حساب جارٍ تطلب به كل ما يُطلب منها

فكل قارىء من قراء الجامعة الكرام في مصر او خارج مصر يقدر ان يطلب منها اي كتاب اراده فيرسل اليه بالحال . ولكن يجب ارسال ثمن الكتاب واجرة البريد مع الطلب اذ ليس في دفاتر الادارة حساب مفتوح للمكتبة . وهذه القاعدة لا يمكن مخالفتها قطعياً

هذا ومما تقدم يظهر للقارىء ان هذه المقدمة كانت على الاكثر « مقدّمة تجارية » وهو امر لا بدّ منه في الشرق على ما يظهر لمن يشتغل بصناعة العلم والادب لان اكثر اهله لم تسمح لهم العناية بعد بالوصول الى الدرجة التي يغنون بها طالبي العلم والادب عن طلب التجارة ايضاً . وذلك لانهم لا يزالون يهتمون بمعدهم اكثر من اهتمامهم بعقولهم ونفوسهم . وهنا الصعوبة الكبرى في هذه الصناعة العزيزة . فانه يُطلب من المشتغل بها الحريص على كرامتها امران

قد يكونان متناقضين في كثير من الاحيان . وهما حفظ كرامة العلم والادب بالترفع عن السفاسف التي تقتضيها التجارة احياناً وعدم التفريط بالحقوق التجارية لان الاعمال لا تقوم الا بحفظها ونحن نؤمل ان قراءنا الكرام يساعدون المجلة وادارتها على حفظ هذين الامرين معاً حقوقها الادبية وحقوقها التجارية وذلك بسهولة تسديدهم قيمة الاشتراك وسهولة معاملاتهم مع الادارة في كل اشغالها . وليس ذلك على فضلهم بكثير

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

عمر الخيامي

(الذي يسميه الافرنج فولتير الشرق)

✱ ترجمته ✱ يسميه الافرنج «عمر الخيّام» ويسميه العرب (عمر الخيامي) كما رواه بهاء الدين العاملي . واسمه الحقيقي (غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابرهيم) سمي الخيامي نسبة الى ابيه الذي كان يصنع الخيام ويبيعها . وقد ولد في نيسابور سنة ٤٠٨ للهجرة (١٠١٧ للميلاد) وتوفي فيها سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) اي انه عمّر فوق المائة سنة . اما قبره فلا يزال في نيسابور ولكنه لم يُكشف الا بعد وفاته بمدة طويلة والذي اكتشفه تلميذ له يدعى «نظامي» ولم يترك له استاذه من علامة يعرفه بها سوى قوله «ان قبري سيكون في مكان تهبُّ عليه ريح الشمال فتدفنه بالورد»

ومما رواه مؤلفو العرب والفرس من ترجمة عمر الخيامي في صباه انه تلقى العلم على علماء نيسابور اخصهم الامام الموفق . وكان يتلقى العلم معه فتى يدعى حسن صباح وهو الذي صار بعد ذلك امام الاسمعيلية وفتى آخر يدعى ابا علي حسن الطوسي وهو الذي رقي بعد ذلك الى دست الوزارة للدولة السلجوقية العظيمة وسمي (نظام الملك) . فهؤلاء الرفاق الثلاثة اتفقوا وهم في المدرسة على ان الذي يسبق رفيقيه الى ولاية امر او رفعة شأن يرفع شأن رفيقيه معه . فلما ارتقى نظام الملك الى الوزارة (اطلب ترجمته في الجزء الثالث) ذكر عهده فاستدعى حسن صباح وقرّبه اليه ورام تقريب عمر فابى عمر ذلك لرغبته في

الانقطاع الى درس الرياضيات . وسواء صحت هذه الرواية ام لم تصح فما لا ريب فيه ان ملكشاه الذي كان نظام الملك وزيراً له استدعى عمر الخيامي بعد ما سمعه عن علمه وحذقه في الرياضيات واطلاعه على رسالته العربية في علم الجبر وفوّض اليه ادارة مرصد بغداد الفلكي

وكان عمر قد اكتسب بانصبابه على الدرس والبحث علماً واسعاً وشهرة بعيدة . فلما ولي ادارة مرصد بغداد دون علماء وقته ازداد مقامه رفعة عند بني عصره . وصارت مرتبته عندهم مساوية لمرتبة الشيخ ابن سيناء الفيلسوف المشهور الذي توفي وعمر الخيامي ٢٠ عاماً . فكأنه كان خلفاً له

ونقسم معارف الخيامي الى ثلاثة اقسام (علمه) و (فلسفته) و (شعره)

***

⁂ علمه ⁂ اما علمه فحسبنا ان نقول فيه انه كان اول عالم رياضي بحث في مقاييس المكعبات واتخذ لها مقياساً خصوصياً . ورسالته العربية في الجبر كانت مشهورة بين علماء الشرق حين كانوا يعنون بدرس الرياضيات . وفي اثناء ادارته مرصد بغداد الفلكي وضع خرائط فلكية سماها (زيج ملكشاه) نسبة الى هذا السلطان الذي قربه اليه وولاه ادارة المرصد . وهو الذي وضع حساب الوقت واصلح التاريخ الفارسي باضافة سنة كبيسة الى كل اربع سنوات من سني الحساب الفارسي . و يعرف هذا الاصلاح الحسابي بالاصلاح (الجلالي) نسبة الى جلال الدين وهو لقب لملكشاه . قال المسيو سلمون الذي اعتمدنا عليه في هذه التفاصيل : ان حساب السنة الجلالية (التي اصلحها الخيامي) اصح من الحساب الغريغوري الذي وضع بعد ذلك بخمسة قرون

ولا يقدح في فضل الخيامي ان يوجد في معلوماته الرياضية والفلكية اغلاط كثيرة فان العلم كالطفل ينمو و يشب شيئاً فشيئاً . ولقد مرّ على الخيامي سبعة قرون ونصف قرن والعلم لم يشب عن طوق الصبى بعد مع جميع ما وجدوه حديثاً من الاصول الجديدة . لانه (كما قال تولستوي في رده على اهل العلم الذين يتكبرون بعلمهم الناقص) متى صار العلم علماً حقيقياً لم يبقَ لديه شيء مجهولاً . واذا كان الله قد قدّر للانسان هذه السعادة والكمال في الارض فذلك لا يكون الا بعد الوف وعشرات الوف من السنين

***

⁂ فلسفته وشعره ⁂ لا نقصد بقولنا (فلسفته) انه كان للخيامي مذهب فلسفي

خاص به ولكنا نقصد بذلك رأيه في الواجب والوجود والحياة والآداب والحكمة وما وراء الطبيعة . وهذا بمثابة قولنا انه لم يكن فيلسوفاً بل مفكراً وباحثاً لان الفيلسوف لا يُدعى فيلسوفاً الا اذا كان له في تلك الامور مذهب فلسفي خاص به . وهنا نصل في ترجمة الخيامي الى آرائه الدينية

يظهر ان الخيامي لم يستطع ان يضع لعقله شكيمة تكمه وحداً يقف عنده . ولذلك كان بينه وبين رجال الدين في حياته نزاع شديد . وكان الصوفية اشدهم اضطهاداً له لانه كان يتهكم على تقشفهم وزهدهم في الدنيا تهكماً جارحاً . وكل ديوانه الفارسي (رباعيات الخيامي) مداره على الغزل ووصف الخمر وصفاً غريباً مهيجاً والاستهزاء بالزهد والقناعة والدين ورجاله . واحياناً يجترئ على الالوهية نفسها . واليك بعض الامثلة من رباعياته قال ما ترجمته

((سمعت في الفجر صوتاً يصيح : الي الي يا اهل الشراب والسرور . يا ايها الفتيان المجانين انهضوا واملأوا كأساً احرى من الخمر قبل ان يملأ القدر كأس حياتكم))

ومنها

((يا رفاقي الاحرار . اذا متُّ فاغسلوني بخمرحمراء مشرقة ولا تدفنوني الا في ظل كرمة))

ومنها

((اصبحت شارداً عن الدين كدرويش . قبيح المنظر كالبغي . ولم يبقَ لي دين ولا مال ولا امل في جنة))

فلا ريب ان قارئ هذه السطور يظن ان صاحبها سكّير معتوه يهذي بها في ابان نشوته . ولكنه في موضع آخر يسمعه يقول راجعاً الى الله رجوع الضال الى الصراط المستقيم

((ليست هياكل الاصنام والكعبة سوى اماكن للعبادة . وما اصوات الاجراس الا تسبيح بحمد القادر على كل شيء . وكذلك محراب الجامع والكنيسة والهيكل والصليب كلها ليست في الحقيقة الا اشكالاً مختلفة لحمد الله وعبادته))

فهذا القول ليس بقول رجل سكير معتوه يهذي بل هو قول رجل حكيم طار باجنحة الحكمة الى ما فوق عادات البشر وتقاليدهم . ومن العجيب ان يلتقي الخيامي في هذا الموضوع بالامام المشهور العارف بالله الشيخ محيي الدين بن العربي الذي يقول من قصيدة

لقد كنتُ قبل اليوم انكر صاحبي ... اذا لم يكن ديني الى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ ... فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبانِ

وبيت لاوثانٍ وكعبة طائفٍ والواح توراة ومصحف قرآنِ
ادين بدين (الحب) انى توجهت ركائبه (فالدين) ديني وايماني

قوله « فالدين » يعني «الدين المطلق» وهو ما تسميه فلاسفة اوروبا Religion naturelle فرحم الله الامام التقي الشيخ محي الدين على هذا القول الجليل الذي اظهر به تساهلاً تطرب له عظام الفيلسوف رنان في قبرها . وغفر الله للخيامي بهذا كثيرًا من سيئاته

***

﴿ كيف نتصور الخيامي ﴾ وكان الخيامي مشهورًا في بلاد الفرس والعرب بعلم الرياضيات والفلك ولكن شهرته بالشعر كانت اعظم واوسع . فان بني عصره من الفرس على الخصوص كانوا يلتقطون رباعياته ويتناقلونها من بلد الى بلد ومن منزل الى منزل فتملأ البلاد سرورًا بما فيها من الدعوة الى لذة الحياة والتمتع بالطيبات والتغزل بالنساء والخمر والهوى النفساني الشديد الذي لم يصفه احد كما وصفه الخيامي . وهنا موضع للسؤال عن غرض الخيامي من شعره هذا . وقد انقسمت الآراء في ذلك الى ثلاثة . (الرأي الاول) ان الخيامي كان بتغزله في الخمر ودعوته الى ملاذها لا يقصد الا مقاومة الشرائع الدينية . قال المسيو درمستتر المستشرق المشهور في حكمه على الخيامي . « ان اغاني اوربا الخمرية ليست الا اغاني جماعة من السكيرين . اما اغاني الفرس الخمرية فهي بمثابة حرب تُشهر على التقاليد الدينية الضاغطة على طبيعة الانسان وحريته وثورة عليها . فعندهم شرب الخمر عبارة عن طلب الحرية » (والراي الثاني) وهو رأي كثيرين من الفرس قالوا به بعد وفاة الخيامي انه انما كان يتغزل بالخمر الالهية لا خمر الكرمة . فان هذه الخمر عند الصوفية عبارة عن رمز الى الخمرة الالهية . ولكن يكفي لرد هذا الرأي ان الخيامي كان والصوفية على طرفي نقيض . وما جاز قوله في ابن الفارض لا يجوز في الخيامي . ولقد حكم المسيو باربيه دي مينار المستشرق المشهور في هذه الآراء حكمًا مبهمًا فقال « سواء كان هذا الكتاب (يعني رباعيات الخيامي) اعتراضًا على التقاليد الاسلامية او كان ثمرة تصور عليل وخليطًا غريبًا من الشك والتهكم والنفي المؤلم فانه من الغريب المدهش ان نجد في بلاد الفرس منذ القرن الحادي عشر رجالاً سبقوا جوت وهنري هين الى كثير من افكارهما » (١)

فبعد ما تقدم تظهر لنا صورة الخيامي بعد ثمانية قرون من وفاته واحدة من اثنتين : فاما

«١» جوت وهنري هين من اعظم نوابغ المانيا في الشعر والادب وكانت هذه المقارنة بين الخيامي وجوت من اكبر الاسباب التي وجهت الافكار الى شعر الخيامي في اوروبا واميركا

انه رجل كبير من رجال العقل والنقد كان يطلب محاربة التقاليد والاوهام ليطلق العقل البشري من عقاله ويهدم النظام الاجتماعي الذي كان في عصره لانه قائم على ظهور الصغار لمنفعة الكبار (١) واما انه رجل منتفخ الجسم دموي المزاج شديد الشهوة الى المسكرات وما وراءها اتخذ حرية عقله سبيلاً الى اشباع شهواته حين لم يجد وراء هذه الحرية شيئاً . وهذا شأن النفوس الصغيرة التي تطلب تحرير عقولها والانطلاق من قيد المعتقد لتبيح لنفسها المرح في ميدان الملاذ والشهوات في هذه الدنيا . وحينئذ يكون بين الخيامي وبين ابي العلاء المعري فيلسوف شعراء العرب وحكيمها من الفرق ما بين التراب والتبر . فان المعري كان يبحث في تحرير عقله ونفسه ليضعهما تحت نير اشد واصعب من نير الدين وهو نير الحكمة وكراهة الشر والتقوى الادبية التي تقوم عند العقلاء المخلصين مقى كانت حقيقية مقام الشريعة الدينية والتقوى الدينية

***

﴿ شعرته في اوربا واميركا ﴾ ولقد عاصر الخيامي كثيرين من علماء العرب وفلاسفتهم اشهرهم الفيلسوف ابن سيناء وحجة الاسلام الامام الغزالي وابو العلاء المعري . ولم نعثر في اثناء مطالعتنا انه التقى بابن سيناء ولا بالمعري . فان ابن سيناء توفي وعمر الخيامي ٢٠ سنة كما تقدم وانما وجدنا ان الخيامي توفي وهو يقراء « الشفاء » كتاب ابن سيناء المشهور . اما المعري فقد كانت وفاته في عام ٤٤٩ للهجرة كما روى ابن خلكان . وحيث ان الخيامي ولد في سنة ٤٠٨ فيكون عمره يوم وفاة ابي العلاء ٤١ سنة . وانما ذكرنا هذه التفاصيل للسبب التالي

اطلع علماء اوربا منذ سنة ١٧٤٢ للميلاد على معارف الخيامي الرياضية والفلكية بما نقله عنه المسيو جيرار ميرمان في كتاب له نشره في ليدن . وفي سنة ١٨٥١ م نشر سديلو وشاسل ووبك ترجمة رسالة الخيامي في الجبر وهي خمسة اقسام . وفي سنة ١٨٥٧ نشر المسيو كارسين دي تاسي شرحاً على رباعيات الخيامي . وفي سنة ١٨٦٧ نشر المسيو نقولا الرباعيات نفسها باللغة الفرنسوية . والمسيو نقولا هذا يعتقد في الخيامي انه كابن الفارض

---

(١) قال المسيو سلمون: اول ما ظهر شعر الخيامي في اوروبا سموه « فولتير الشرق » ولكن لا مشابهة بين الاثنين الا من وجهين الاول شدة التهكم بجارح في كلامهما والثاني عطفهما على الصغار والضعفاء في الحياة وانتصارهما لهم قلنا وهذا الوجه مؤيد للراي المسطر فوق . ثم اردف المسيو سلمون بقوله اظهاراً للفرق بين الشخصين ان مولتير لم يتكلم قط عن الهوى النفساني بالشدة التي تكلم بها الخيامي ولا حمل على الاقدار التي تجهل هما احياناً هدم كل ما هو كبير وكريم وجميل حملة الخيامي عليها

متغزل بالحرة الالهية . وقد قال في مقدمة كتابه انه تلقى هذا الرأي من رجل ثني من طهران . وفي سنة ١٨٩٨ ترجم تشوفوسكي الرباعيات الى اللغة الروسية . غير ان الترجمة التي اطارت شهرة الخيامي في اوربا واميركا والعالم اجمع هي ترجمة الشاعر الانكليزي فيتس جرالد للرباعيات في سنة ١٨٥٩ . فان جرالد ترجم الرباعيات شعراً انكليزياً وتصرف بالترجمة فاعجب الانكليز والاميركان بشعر الخيامي واقبلوا عليه اقبالاً عجيباً لانهم وجدوا فيه ما يعجبهم بالاكثر في شاعريهم بيرون وسوينبير من الاراء السامية في ذم الفساد في الدنيا وسطوة الشر على الخير والقبيح على الجميل فيها . فنال المترجم جرالد بهذه الترجمة شهرة واسعة وراجت كتبه وشعره بواسطتها رواجاً كثيراً . وقد بلغ ببعضهم الاعجاب بالخيامي ومترجمه ان اجتمعوا في لندن في سنة ١٨٩٦ (اي منذ ٨ سنوات) وانشأوا نادياً (كلوب) خصوصياً دعوه (كلوب العمربين) نسبة الى عمر الخيامي . ولعلَّ هذا الكلوب لا يزال قائماً حتى اليوم . واول ما ظهرت الرباعيات في اوربا واميركا سمى قراؤها الخيامي « فولتير الشرق » .

ويظهر ان الشهرة التي نالها الخيامي في انكلترا على الخصوص قد نال مثلها في اميركا ايضاً . وهنا وصلنا الى السبب الذي جعلنا نقرن اسم الخيامي باسم ابي العلاء المعري على ما تقدم . فان احد الكتاب السوريين المجيدين في اللغة العربية والانكليزية في نيويورك (١) ظهر له ان الخيامي مستمدٌ كثيراً من افكاره وارائه الدينية من شعر ابي العلاء المعري . ولذلك ترجم الى اللغة الانكليزية شيئاً من شعر ابي العلاء بعنوان (رباعيات ابي العلاء) ونشره في نيويورك . وقد ذكرنا هذا الكتاب في الجزء السابق . ومن المحتمل ان يكون كل من الخيامي وابي العلاء قد روى شعر صاحبه الا اننا لا نجزم بان الخيامي قد تحدى المعري واقتبس شعره . والاصح انهما كلاهما كانا يتناولان الهاماتهما من مصدر واحد وهو العقل وحب الحرية والبحث — ذلك الحب المشترك بين جميع النفوس وانما ينقطع اليه بعضها دون بعض بحسب استمداداها والمؤثرات التي تؤثر فيها

﴿ بين الخيامي والامام الغزالي ﴾ هذا ما اكتفينا به من الكلام عن عمر الخيامي . وقد ذكرنا آنفاً انه كان من معاصري حجة الاسلام الامام الغزالي . فنحن نختم هذا الفصل بذكر حادثة وقعت له معه وقد رواها بهاء الدين العاملي قال

---

(١) امين افندي ريحاني

«كان عمر الخيامي مع تبحره في علوم الحكمة سيء الخلق له ضنة بالتعليم والافادة . وربما طوّل الكلام في جواب ما يُسأل عنه بذكر المقدّمات البعيدة وايراد ما لا يتوقف المطلوب على ايراده ضنةً منه بالاسراع الى الجواب . دخل عليه حجة الاسلام الغزالي يوماً وسأله عن المرجح لتعيين جزء من اجزاء الفلك للقطبية دون غيره مع انه متشابه الاجزاء. فطوّل الخيامي الكلام وابتدأ بان الحركة من اي مقولة . وطوّل بالخوض في محل النزاع كما هو دأبه وامتد كلامه الى اذان الظهر . فقال الغزالي حينئذ: « جاء الحق وزهق الباطل وقام وخرج »

فهذه الرواية التي تدل على شهرة الخيامي ومنزلته من العلم حتى ان اماماً عظيماً كالغزالي يقصده مستفتياً او مختبراً — تدل ايضاً على ما كان بين العلم والدين يومئذ من النزاع والخلاف فكأنها آلة فوتوغرافية تصوّر لنا جانباً من جوانب ذلك العصر . اجل ايها الامام الجليل لقد صدقتَ بقولك «جاء الحق» عند سماعك المؤذن يدعو الى الله ويذكّر الناس بان فوق المادة شيئاً يُدعى روحاً وان الحياة الحقيقية هي حياة الروح والفكر لا الحياة المادية البدنية التي هي حياة حيوانية . وهذه القضية هي « الحق » الابدي الذي لا يتزعزع مهما صدمته زوابع المادة والعلم الحسي Positivisme وقد قال رنان تخاطباً رجال الدين « انني مثلكم اعتقد ان الحياة لا قدر لها ولا قيمة الا اذا كانت مصروفة في الخير والحقيقة والاخلاص » ولم يقل ان قيمتها في الاكل والشرب وجمع الثروة بكل الطرق . ولكن لماذا ايها الاستاذ بعد قولك « جاء الحق » اردفتَ بقولك « زهق الباطل » ؟ واي شيء تعني بالباطل . اتعني به العلم ام ما كنتَ تراه وتسمعه عن شراهة الخيامي؟ اذا كنتَ تعني به العلم (اي العلم الطبيعي الذي سميته في كتابك « تهافت الفلاسفة » تخيلات) فلو امدَّ الله في اجلك الى هذا العصر لتحققتَ انه لم يكن كما ظننتَ . ولكن اذا عنيتَ به حالة الخيامي فالسلام عليك ايها الاستاذ . اجل انَّ من كان بنفس كنفسك يقضي اواخر عمره تائهاً بين بغداد ومصر والاسكندرية ودمشق الشام يدرس اخلاق البشر ويلتمس ما يسكّن فكره الثائر ويطفئ في نفسه النار التي قال رنان « ان الآلهة توقدها في نفوس الابطال » ثم ينتهي به طول التفكير والبحث وراء الحقيقة الى الانقطاع عن الناس والتجوّل في القفار في ضواحي طوس والطابران بملابس الدراويش وحالة المساكين مع ان الوزير الكبير نظام الملك كان يستعطفك في كتبه للعودة الى المدرسة النظامية الكبرى في بغداد للتدريس فيها وانت تابى ذلك لانك تكره « الانتقال من المرتبة العليا الى المرتبة الدنيا »

كما قلت له في جوابك — ان من كان بنفس كنفسك هذه لجدير بان يرى الباطل كل الباطل في افكار واعمال الخيامي . ومن هذا الوجه الحق كل الحق في جانبك ايها الاستاذ . ولكن نم براحة يا استاذ فان ما شكوت منه في عصرك بهذا الشان صغير بالقياس الى شكوى اهل هذا العصر . فان عصرنا (خيامي) اكثر من عصرك . انك كنت تحمل حملاتك الهائلة على الشر والاستبداد — اي على الفساد الاجتماعي والسياسي — فتطعن بقلمك يا اعظم شخص ادبي « قام بين موالي الاسلام (١) اولئك الخياميين الذين (لا همَّ لهم الا ما يدخل في بطونهم) كما كنت تقول فكان الشر يرتعد منك و يتستر تخجلاً . اما في هذا العصر فقد مزق الستار ورفع الحياء . دع روحك يوماً يا استاذ تمر من بعيد على اندية الفساد والمسكرات والميسر في جميع اقطار البلاد وانظر كم زاد عدد الخياميين من عصرك الى عصرنا . بل دعنا من هذه الطبقة ولنصعد بضع درجات . انعلم يا استاذ ماذا يسمون في هذا العصر الطمع والشره والاعتداء والغدر والظلم والتهجم لسلب ما في يد الغير باية الطرق على شرط ان يكون لها ظاهر « القانون » ؟ انهم يسمون كل هذه الاسماء « تنازع البقاء » . وربما لا تفهم هذا القول يا استاذ لانه من اللغة الجديدة وهو اصطلاح جديد ولكن لو فهمته لرولت عائداً الى قبرك مستعيذاً بالله من هذه المعيشة الحيوانية . ولكن حسناً تصنع يا استاذ بتركك هذه المشاهد وعدم تعقبك باقي الافكار والعواطف العصرية . فانك لو فعلت ذلك لرايت هنا العجب لا في رجب . فانك ترى الدين عند جميع الامم قد صار آلة ووسيلة بعد ان كان غاية . ترى رؤساء الشعوب يعاملونها معاملة الحيوانات السائمة يجزّون صوفها و يستدرّون لبنها وهمّهم بقاؤهم لا بقاؤها . فهم كامراء عصرك الذين ضربتهم في كتبك خصوصاً في رسالتك « ايها الولد » ضربات هائلة . ترى ثروات الامم وخيراتها وسلطتها تجتمع شيئاً فشيئاً في ايدٍ قليلة يجلس اصحابها على بساط البطالة والكسل والبطر والتبذير والباقي من الامة يسخرون لهم باجور تافهة قد لا تكفي لمعيشة البهائم بل قد لا يجدون هذه الاجور التافهة فيقضى عليهم وعلى اولادهم في الشوارع والاسواق جوعاً وعرياً وبرداً . ترى الشر — استغفر الله لم يبقَ في الارض شرٌّ اذ ما هو الشرُّ ما دام الغرض من الحياة التمتع بملاذ الدنيا واحتكار الانسان ما يستطيع احتكاره من خيراتها لنفسه باية الطرق و بصرف النظر عن غيره تحت ستار قانون يسنه من مصلحتهم موافقة لمصلحته . ان الشر والخير والحرام والحلال قد امتزجت في الباطن و يكاد لا يبقى لانفصالها اثر الا في الظاهر .

«١» كذا يسمي مؤلفو الافرنج الامام الغزالي وقد قال سديليو في تاريخه عن العرب مثل ذلك

الخير والشر والحلال والحرام كلام كلام كلام كما قال هملت. وفي الحقيقة ليس هنالك شر ولا خير ولا حلال ولا حرام. بل كل ما هنالك آكلون ومأكولون. غاشون ومغشوشون. ظالمون ومظلومون. و بعبارة اخرى جماعة يتخذون المبادىء ستاراً يقفون وراءه مصالحهم واغراضهم ولذلك يكونون دائماً اقوياء في نظرهم. وجماعة يعتقدون لسذاجتهم بهذه المبادىء اعتقاداً حقيقياً وتدفعهم سذاجتهم وانخداعهم الى العمل بها ولذلك يكونون دائماً ضعفاء بين اولئك . وهكذا يا استاذ بدل ان تكون هذه الحياة حياة جدية مبنية على الاخلاص والخير والتعاون والامانة والصداقة والمحبة والعدل جعلها الخياليون عبارة عن دار خلاعة وضحك ولعب وقفراً موحشاً محرقاً يفوز فيه الاشد شقاوة و ثروة والاكثر خداعاً واعتداء. فبازاء هذه الحالة ماذا يجدي ايها الاستاذ صراخك وصراخنا معك: (جاء الحق وزهق الباطل) ان هذا الباطل لا يزال منصوراً . وبعض من اهل العلم حتى فضلائهم يقولون انه سنة ابدية لا يجاربها الا من اصيب بداء الجهل او اعتلال الجسم او عسر المفهم. فعلامَ التعب بلا فائدة ايها الاستاذ ...



ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات العلمية والعملية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

حكمة العرب والعجم

حكم مختارة من اقوال حكماء المتقدمين من العرب والعجم واليونان وهي مروية عن اكابر ادباء العرب ومجموعة من كتبهم القديمة المتداولة

١ قيل «لديوجانس الحكيم» هل لك بيت تستريح فيه فقال انما يُحتاج الى البيت ليستراح فيه وحيثما استرحت هو بيت لي

٢ وكان في زمانه رجل مصوّر فترك التصوير وصار طبيباً فقال له : احسنت انك

لما رأيتَ خطأ التصوير ظاهرًا للعين وخطأ الطب يواريه التراب تركتُ التصوير ودخلت في الطب

٣ ورأى رجلاً اكولاً سمينًا فقال : يا هذا ان عليك ثوبًا من نسج اضراسك

٤ « في شرح الشهاب للراوندي » ورد في الاخبار كراهة النوم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فانه وقت قسمة الارزاق

٥ « قال بعض الحكماء » انكاؤك لعدوك هو انك لا تريه انك اتخذته عدوًّا

٦ « قال احد الحكماء » ينبغي للعاقل ان يعلم ان الناس لا خير فيهم وان يعلم انه لا بدَّ منهم فاذا عرف ذلك عاملهم على قدر ما تقتضيه هذه المعرفة

٧ « سُمع » رجل يقول: اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة . فقال له : يا هذا . اقلب كلامك وضع يدك على من شئت

٨ « قال يونس النحوي » الايدي ثلاثة : يد بيضاء . ويد خضراء ويد سوداء . فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف . واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف . واليد السوداء هي المنّ بالمعروف

٩ « قال بعضهم » اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف

١٠ « كتب » ملك الهند الى الرشيد يتهدده في كتاب طويل فكتب اليه الرشيد : الجواب ما تراه لا ما تقراه

١١ « من كلام بقراط واضع الطب » انا والعلة وانت ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول لما اقول صرنا اثنين وانفردت العلة والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه

١٢ وسئل ما للانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدواء . فقال : كما ان البيت اكثر ما يكون غبارًا اذا كُنس

١٣ « وقال » يداوى كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة متطلعة الى هواها نازعة الى غذائها

١٤ « قال بعض العارفين » (١) اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت لانك ان قلتَ « لا » فقد كفرت وان قلت « نعم » فقد كذبت

١٥ « من كتاب الاحياء للغزالي » قال علي بن الحسين هل يدخل احدكم يده في كمّ اخيه او كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذن . فقيل لا . فقال اذهبوا فلستم باخوان

(١) يعني العارفين بالله

١٦ الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد الهاك

١٧ «سمع بعض الحكماء» رجلاً يقول : قلب الله الدنيا . فقال اذن تستوي لانها مقلوبة

١٨ الابتلاء بمجنون كامل اهون من الابتلاء بنصف مجنون

١٩ « قال بعض الحكماء » اذا قيل نعم الرجل انت وكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت بئس الرجل

٢٠ « قال بعض الحكماء » اذا قال السلطان لعماله هاتوا فقد قال لهم خذوا «٢»

٢١ « كتب بعض البلغاء » كتابة بليغة الى المنصور يشكو فيها سوء حاله وكثرة عياله وضيق ذات يده فكتب المنصور في جوابه : البلاغة والغنى اذا اجتمعا لامرئ ابطراه وان امير المؤمنين يشفق عليك من البطر فاكتف باحدهما

٢٢ « قال سقراط » لولا ان في قولي لا اعلم اخباراً باني اعلم لقلت اني لا اعلم

٢٣ « قال بطليموس » افرح بما لم تنطق به من الخطاء اكثر من فرحك بما نطقت به من الصواب

٢٤ من ضاق قلبه اتسع لسانه

٢٥ «من كتاب انيس العقلاء » كان من عادة ملوك الفرس انه اذا غضب احدهم على عالم حبسه مع جاهل

٢٦ « قيل لحكيم » من ابعد الناس سفراً قال من كان سفره في ابتغاء الاخ الصالح

٢٧ « رأى مالك بن دينار » غراباً يطير مع حمامة فعجب وقال : اتفقا وليسا من شكل واحد . ثم وقعا على الارض فاذا هما اعرجان . فقال من ههنا

٢٨ « قال ارسطو للاسكندر» وهو صبي اذا وليت الملك فاين تضعني . قال حيث تضعك طاعتك

٢٩ « مرَّ ديوجانس الحكيم » بشرطي يضرب اماً فقال : انظروا الى لص العلانية يؤدب لص السر

٣٠ « قال انوشروان لبزرجمهر» اي الاشياء خير للمرء فقال عقل يعيش به . قال فان لم يكن . قال اخوان يشيرون عليه . قال فان لم يكن . قال فمال يتحبب به الى الناس . قال فان لم يكن قال فعي صامت . قال فان لم يكن قال فموت جارف

«٢» يعني من الرعية

٣١ « قيل لصوفي » ما صناعتك قال حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس

٣٢ « قال بعضهم » خرجت يوماً الى المقابر فرأيت البهلول فقلت له ما تصنع هنا قال اجالس قوماً لا يغدرونني · وان غفلت عن الآخرة يذكرونني · واذا غبت لا يغتابونني

٣٣ « في الاحياء للامام الغزالي » ان رؤية الثقيل هي العمى الاصغر · وقد قيل للاعمش لم عمشت عيناك فقال من النظر الى الثقلاء

٣٤ « من كلام بعضهم » يا ابن آدم انما انت عدد اذا ذهب يوم ذهب بعضك

٣٥ « قال بزرجمهر » اعلم الناس بالدنيا اقلهم منها تعجباً

٣٦ « في الاغاني » دخل يوماً علوية المجنون على المأمون وهو يرقص · يصفق بيديه ويغني

عذيري من الانسان لا ان جفوته صفا لي ولا ان صرت طوع يديه

واني لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال المأمون : يا علوية خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب

٣٧ « كان يحيى بن معاذ » كثيراً ما يقول : ايها العلماء ان قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية ومواكبكم قارونية واوانيكم فرعونية واخلاقكم نمروذية وموائدكم جاهلية ومذاهبكم سلطانية : فاين المحمدية

٣٨ « من كلام افلاطون » انبساطك عورة من عوراتك فلا تبذله الا للمأمون عليه

٣٩ ارعَ من عظمك من غير حاجة اليك

٤٠ « قال بعض الحكماء » اذا اردت ان تعرف من اين حصل الرجل المال فانظر في اي شيء ينفقه

٤١ « من كلام بعض الوزراء » من كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منه

٤٢ « قيل لفيثاغورس » من الذي يسلم من معاداة الناس · قال من لم يظهر منه خير ولا شر · قيل وكيف ذلك · قال لانه ان ظهر منه خير عاداه الاشرار · وان ظهر منه شر عاداه الاخيار

(جمع الجامعة)



فلسطين وأشهر بلدانها

(لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا)

﴿ اطراف اليهودية الشمالية ﴾

ولننتقل الآن بالقارىء الى بلاد اليهودية

﴿ اليهودية ﴾ بلاد جبلية تعلو عن بيت المقدس قليلاً . وكنت مساحتها تختلف باختلاف العمال والشؤون والازمان فتارةً تضيق الى مسافة ثمانية اميال عن العاصمة وتمتد اخرى الى ثلاثة او اربعة عشر ميلاً . ومما يجدر بالذكر من هذا الجانب من البلاد ما يلي :

﴿ تل سكوباس ﴾ المقابل القدس والمحيط بها مع جبل الزيتون . وقد قال يوسيفوس انه يبعد عنها سبع غلوات وان القائدين الشهيرين سيستوس وطيطس اقاما فريقاً من جيوشهما عليه في اثناء حصارها . والمدينة بهيكلها وجميع ابنيتها مكشوفة للواقف عليه انكشافاً تاماً

﴿ قرية شافاط ﴾ من وراء هذا التل الى يسار الطريق . قيل انها (نوب) المذكورة في صموئيل الاول « ٢١ - ٢٢ » وهي قرية صغيرة محاطة بشجر الزيتون وفيها آثار كنيسة صليبية وحوض منقور في الصخر

﴿ تل الفول ﴾ يقابل شافاط من جانب الطريق الآخر . وعليه بقايا قلعة صليبية وهو مشرف على كل البلاد المجاورة . ويتضح من قول يوسيفوس بان طيطس بعد ما قام بجيشه من جفنة في حملته على القدس خيم في وادي الشوك وراء جبعة شاول التي تبعد ثلاثين غلوة عن المدينة كون تل الفول هذا الواقع فوق الوادي بين جفنة والقدس وعلى البعد الذي ذكره عن المدينة هو جبعة شاول بن قيس اول ملوك الاسرائيليين بلا اشتباه . وهي التي سمح داود للجبعانيين ان يصلبوا فيها سبعة من اولاد شاول (صموئيل الثاني ص ٢١)

﴿ النبي صموئيل ﴾ قرية قائمة على تل شاهق على مسافة اربعة او خمسة اميال الى الشمال الغربي من تل الفول . وقد اختلف الرواة الاقدمون في حقيقتها فقالوا انها الرامة بلد صموئيل النبي التي ولد ومات فيها . مع ان يوسيفوس وجيروم يشيران الى كون

الرامة واقعة في السهل بقرب قرية اللد التي مرّ ذكرها · والصليبيون اذ وجدوها منسوبة لصموئيل قالوا انها شيلوه · غير ان العلاّمة الدكتور روبنصن قرّر كونها المصفاة ومعناها المشهد او المرقب ووافقه جمهور الكتبة على رأيه هذا · وهي بلدة بنيامينية كان يأتي اليها الاسرائيليون مرّة في السنة الى صموئيل ليقضي لهم فيها · وفيها انتخب شاول بالقرعة ملكاً على اسرائيل واقام الكلدانيون جليليا عاملاً على من تركوهم من عجزة اليهود في البلاد بعد السبي فقتله اسمعيل ابن نثنيا (ملوك ثاني ٢٥ : ٢٢ : ٢٥)

❋ جيب ❋ في الوادي امام النبي صموئيل من جهة الشمال والمرجح انها جبعون التي عاهد اهلها يشوع (يشوع ص٩) والتي قدم سليمان محرقاته فيها بعدما طلب حكمة من الله تعالى (ملوك اول ٣ : ٥) ونرى ايضاً على مقربة من الطريق من الجهة الغربية قرى بيت إكسا وحانينا وبيت نبالا وهي قرى صغيرة لا ريب في انها قائمة على آثار قرى قديمة لم يتوصل الباحثون الى معرفتها بعد

❋ خان الغرايب ❋ على مسافة نحو خمسة اميال من تل الفول وهو احد الخانات القديمة التي كانت مبنية على طرق القوافل التجارية بين بلاد الشام والعربية ومصر والطريق القديمة بجانبه رومانية كانت مرصوصة بالبلاط ولم تزل بعض اقسامها تشهد باهتمام تلك الامة العظيمة بوسائل العمران

❋ الرام ❋ قائمة على تل مرتفع غير بعيد عن الخان وهي قرية صغيرة يسكنها نحو خمس عشرة عائلة من فقراء المسلمين وهي رامة بنيامين القديمة وقد جعلها ملوك يهوذا بعد انفصال المملكة الشمالية عنهم حصناً منيعاً على الحد بين المملكتين · قال يوسيفوس انها تبعد اربعين ستاديا عن القدس وذكر بروكاردروس انها جنوبي البيرة · وهناك مقام يُدعى مقام الشيخ حسين ضمنه آثار كنيسة رومانية ومناظر هذه القرية فسيحة بديعة

❋ خربة عطاره ❋ على تل كبير امام الرام يظنها الكتبة انها عطاروث ادّار المذكورة في يشوع (٩ : ١٧)

❋ البيرة ❋ بلدة بنيامينية تبعد نحو عشرة اميال الى الشمال عن القدس · قال يوسيفوس كان المسافر يراها في الميل السابع الروماني في طريقه من القدس الى عمواس · وهي تظهر اليوم من تلك الطريق على مسافة ساعتين عن القدس فلا ريب في حقيقتها · وان اعتقد الصليبيون بكونها مخماش واليها هرب يوثان ابن جدعون من وجه ابيمالك اخيه الذي قتل اخوته التسعة والستين في عفرة (قضاة ٩ : ٢١) وقد كانت تختص بفرقة

الهيكليين من الصليبيين الذين بنوا فيها كنيسة تشبه كنيسة القديسة حنة في القدس . وبقاياها موجودة في اعلى نقطة في البلدة . وهم اول القائلين بان يوسف ومريم انما اشعرا فيها بتخلف السيد عنهما في عودتهما من زيارة بيت المقدس في العيد وهو ابن اثني عشرة سنة . وفيها نبع ماء غزير جيد . وربما اخذت اسمها (بئيروت) منه . وله حوض كبير قديم البناء وقد بني فيها محل صغير لراحة المسافرين بعد ما مدت اليها طريق العربة . سكانها نحو ثمانمائة من المسلمين

❊ رام الله ❊ واقعة على مسافة ميل الى الغرب من البيرة والارجح انها رعثايم صوفيم وفيها مدارس داخلية وخارجية للذكور والاناث لجمعيات اميركية وانكليزية وديران للروم واللاتين . وسكانها نحو ثلاثة آلاف من المسيحيين المجتهدين في زراعة الكرم في اراضيهم الصخرية

❊ بيت ابين ❊ واقعة على مسافة اثني عشر ميلاً الى الشمال من القدس وهي وان كان الكتبة مختلفين في كونها « بيت ايل » التوراة فنحن من الفريق القائل بحقيقة ذلك لان قلب اللام نوناً في اللغة العامية الدارجة في اواخر الاسماء العربية امر مألوف كاسماعين لاسماعيل وعزرائين لعزرائيل فضلاً عن كون يوسيفوس وجيروم يشهدان بكونها واقعة شرقي الطريق المؤدية من نابلوس الى القدس وعلى بعد اثني عشر ميلاً عن الاخيرة . وفيها نام يعقوب لما كان هارباً من وجه اخيه عيسو الى خاله لابان في حاران ورأى في نومه السماء مفتوحة فوقه وملائكة الله صاعدة ونازلة منها واليها على سلم مدلاة منها الى الارض فبنى فيها مذبحاً ودعاها بيت ايل بعد ما كانت تدعى « لوز » وكانت من نصيب سبط بنيامين « يشوع ١٨ : ١٣ » ثم صارت لابناء يوسف . واليها مع المصفاة والجلجال اللذين تقدم ذكرهما كان صموئيل يأتي مرة كل سنة ليقضي لشعب اسرائيل الذي كان يوافيه الى هذه الامكنة في الاوقات المعينة واتخذها يربعام مركزاً دينياً ليضاهي بها مدينة القدس واقام فيها معابد ومذابح للاصنام ليزورها اهل مملكته في المواسم بدل القدس حتى لا تبقى قلوبهم معلقة بهذه المدينة فيعودوا للانضمام تحت لواء ابناء داود ملوكها . ولكن لم تلبث ان عادت لمرك يهوذا في ملك الملك يوشيا الذي طهرها من المعابد والمذابح الاصنامية بعد ما ذبح عليها كهنتهم . فتمت بذلك نبوة رجل الله المذكورة في سفر الملوك « الاول ص ١٣ » وقد حصنها بخشيد في عودته من محاربة ياناثان المكابي في بيت بجلا التي مر ذكرها . وفيها بقايا ثلاث كنائس شرقية واحدة ضمن البرج المنسوب

اليها واخرى في اعلى نقطة في جهتها الجنوبية الشرقية والثالثة بين الخرابات الكائنة بجانب البرج المربع في الجهة الشماليه الغربية وفيها ايضاً بقايا مستودع ماء مكشوف طوله نحو ٣١٥ قدماً وعرضه يزيد عن المئتين · اهلها لا يزيدون عن الاربعمائة نسمة من المسلمين وكلهم فقراء · وعلى مسافة نحو ثلثة اميال الى الجنوب الشرقي من بيت ابن تل يشرف على جانب متسع من غور الاردن الخصيب و يعتقد بعض المتطرفين في تعيين المواقع الدينية بانه المكان الذي ارى الله منه ابراهيم الارض ووعده بان يعطيه اياها بعد انفصاله عن لوط ابن اخيه « تكوين ١٣ : ١٤ »

﴿ عاي ﴾ المدينة التي حاربها الاسرائيليون بعد اريحا وخذلوا فيها بخيانة عخان ولا بد من انها كانت قائمة في هذه الناحية « تكوين ١٢ : ٨ يشوع ٧ »

﴿ الطيبة ﴾ على مسافة نحو سبعة اميال الى الشرق من بيت ابن وقد اجمع رأي اكثر الكتبة على كونها عفرة بلد جدعون احد قضاة بني اسرائيل الذي دعاه الله لمحاربة المديانيين وتحرير الاسرائيليين من نير عبوديتهم « قضاة ٦ : ١١ »

﴿ تل عاصور ﴾ هو جبل شاهق يبلغ علوه نحو ثلثة آلاف ومائتين قدم تقريباً واقع الى الشمال الشرقي من بيت ابن وعليه بقايا قلعة صليبية · وقال اكثرهم انه بعل حاصور المذكور في صموئيل الثاني « ١٣ : ٢٣ »

اوروشليم الجديدة واراء الرصفاء

ليس من غرضنا في هذا الفصل ذكر ما كان لكتاب الجامعة الاخير «اوروشليم الجديدة» من الاثر في نفوس قراء الجامعة الكرام وما ورد علينا من اراء الادباء والفضلاء فيه — فاننا اعتدنا هذا التنشيط والتشجيع من قرائنا. ونحن نتلقى براهين ودادهم للجامعة واقبالهم على ما نكتبه بالشكر الجزيل ونعتبر انها انما نقوم بما يجب علينا من الخدمة فكل جهد نبذله فيها لا نستحق عليه شكراً ولا ثناء · وانما الغرض في مقالنا هذا شكر حضرات الرصفاء الافاضل الذين تفضلوا بذكر هذا الكتاب في جرائدهم ومجلاتهم تقريظاً او انتقاداً شأن الكرام الذين يحلّون الامور محلها و يشجعون العاملين بسلامة نية

هذا ونحن نغتنم هذه الفرصة لمحادثة حضرات الرصفاء الذين بسطوا بشان

الرواية بعض ملاحظات بدت لهم في اثناء مطالعتها . فمن ذلك مقالة نشرتها رصيفتنا جريدة المصباح البيروتية الغراء لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ سليم خطار الدحداح انتقد فيها الرواية انتقاداً يدل على سلامة ادبه وطول باعه. ونحن نرد لحضرته كل ما ورد في مقالته من عبارات الثناء على الجامعة ومنشئها ونشكر له هذا التنشيط. الا اننا نرجو ان يسمح لنا حضرته بان نستغرب الملاحظات التي وردت في خاتمة مقالته . فاننا لا نعلم من اين تلقى ان مبداء الجامعة مبداء (الكومونيزم) الذي دعا اليه افلاطون (١)، مع انه لو امعن النظر في الصفحة ٥٥ من (اورشليم الجديدة) في الحاشية (عن جمهورية افلاطون) لتحاقق ان مبداء الرواية ضد ذلك المبداء على خط مستقيم . واذا كان قد افضى به الى هذا الاعتقاد ما رآه احياناً في كلام الجامعة او بعض ابطال رواياتها من الاشارة الى المسائل الاشتراكية فقد كنا نأمل ان يراعي الفارق بين الاشتراكية الانجيلية التي ورد ذكرها احياناً في كتابات الجامعة والاشتراكية المادية المجردة عن كل عاطفة دينية . واما اذا كان يرى ان الاشتراكية الانجيلية نفسها لم يبقَ لها محلٌّ في هذا العصر فذلك نقض صريح للاصل الاول الذي قامت عليه الديانة المسيحية

وهناك اعتراض آخر لحضرته وهو إكباره العبارة التي وردت على لسان ايليا مخاطباً استير (لا تتركي الحواجز الصناعية التي يضعها البشر تحول بيني وبينك) ولسنا نرى في هذه العبارة شيئاً يخدش مذهباً من المذاهب اذ المقصود بها اقناع ايليا المسيحي استير اليهودية لترضى به زوجاً. وهذا الزواج مألوف اليوم وان كان عظيماً في ذلك الزمن . اما اعتراضات حضرة الكاتب الاخرى فهي من قبيل المسائل الادبية التي تحتمل وجهين او اكثر والمجال لا يتسع لذكرها كلها . انما نشكر حضرة الكاتب لتنبيهنا الى خطاء فاتنا في الصفحة ١٤٧

---

(١) استنتج حضرته هذا الاستنتاج مما قرأه في منشورات الجامعة ولكننا نرى جناب محرر (المنار) في العرازيل ادق استنتاجاً واحسن مطالعة . فانه بنى كلامه على كتاب الجامعة « الدين والعلم والمال » لام المؤلف لانه لم يحكم بين الاحزاب الاربعة اهل العلم واهل الدين واهل المال والاشتراكيين بل حرقهم جميعاً بنار وكبريت من السماء في ختام الرواية ولوم الكاتب في محله لو لم يكن عدم الحكم حكماً . فان معاقبتهم كلهم بالنار والكبريت دليل على انهم في ذهن المؤلف مذنبون جميعاً وهو ما يؤخذ من بعض عبارات في الختام . وعليه لا يكون المؤلف موافقاً على كل ما ورد في ادلتهم و براهينهم بل هو يرى ان في مذهب كل حزب منهم شيئاً حسناً وشيئاً لا يمكن قبوله في عدة ظروف . فهو يمسك بكل ما كان حسناً مقبولاً في كل حزب ويبعد ما كان غير مقبول في كل حزب . وهذا سبب عدم الحكم بين الخصوم في تلك الرواية . فاي معنى اذاً لنسبة المؤلف الى اشد تلك الاحزاب تطرفاً

فقد ورد فيها (الامبراطور كلوديوس) والصواب كلوديوس نائب الشعب لا الامبراطور . وتلك القطعة منقولة حرفياً عن مونشكيو كما ورد في الحاشية فمضينا في الترجمة دون انتباه الى حقيقة الاسم وهو سبب الخطاء . واذا كانت مقالة المنتقد الفاضل لا تحتوي غير هذه الفائدة لنا فكفى بها امثولة للمستقبل (١)

هذا ما رأينا بيله واجباً بشان مقالة المصباح اللطيفة . وهناك اعتراضات اخرى لرصفاء آخرين . منها ما آخذتنا به رصيفتنا جريدة الظاهر الغراء من ذكر (الميكانيكه) في زمن لم يكن فيه للميكانيكه اثر . والذي نعلمه ان عصر الميكانيكه اقدم من عصر الرواية بالوف من السنين . وهذه الاهرام الماثلة المبنية على مقربة منا والتي زرناها في الشهر الماضي لاشباع العين من منظرها الفخيم لا يمكن ان تكون بنيت الا بالات ميكانيكية اعانت العملة على بنائها ورفع حجارتها . وفضلاً عن ذلك فان الشيخ الراهب لم يذكر الميكانيكة على التحقيق بل على الظن وهو امر مالوف في انشاء الروايات . وكم من الروائيين يتصورون اليوم السياحة في الكواكب ويصفون اهلها وهم لم يتحققوا بعد هل هي ماهولة ام لا . اما انتقاد الرصيفة بشان رنان فجوابنا عليه اننا لو فهمنا كما تمنت لكانت هي اول الشاكين .

ولقد لاحظت رصيفتنا جريدة المنارة الغراء التي تطبع في البرازيل ملاحظة خلاصتها ان المؤلف لم يعرف الى القارئ (ارميا والشيخ سليمان) فلم يعلم القارئ شيئاً من ترجمتها ولا من اين قدما . وهذه الملاحظة في محلها الا ان المؤلف اعتمد في ذلك على ذكاء القارئ . والقارئ يستنتج من سياق الرواية وحوادثها ان الشيخ سليمان من اهل القدس وقد قُتل ابنه في حرب الفرس مذهب وانتقم له ثم عاد واقام في وطنه . وان ارميا معتوه مصاب بالهوس الديني ومثله كثير حول الاديرة . ونذكر هنا لرصيفنا الفاضل محرر المنارة صاحب هذه الملاحظة اننا لم نخلق ارميا خلقاً كما اننا لم نخلق مخلوف في رواية (الوحش الوحش الوحش) فان مخلوف موجود باللحم والدم وقد عرفناه وحادثناه في ربوع الشام . وكذلك ارميا فاننا رسمناه على صورة معتوه يهودي كان يدعي انه المسيح ويأوي الى كنائس المسيحيين مدعياً ان البيت بيته . فلما كنا نكتب عن ارميا كانت صورة ذلك الشخص المسكين حاضرة في ذهننا فكان لنا فيها غنى عن تعريف صاحبها

---

(١) انتقد ايضاً حضرة المنتقد تفسير (ابيروس والتراس) في الحاشية فظن الضمير في (هي رومانيا وبلغاريا اليوم) عائداً الى ابيروس والتراس والصواب الى التراس فقط والا لوجب ان يقال (هما)

[illegible] في [illegible] الرصيف [illegible] والانتقاد [illegible] جريدة
[illegible] فقد نشرت [illegible] الرصيف [illegible] « اورشليم الجديدة » بتوقيع « الرجل
[illegible] [illegible] من كتاب
[illegible] الرصيف للكتاب [illegible] صاحب
[illegible] [illegible] اصلاً
[illegible] ولا [illegible] منه

هذا وقد خرج الكلام عن نقد الرصيف وتجاوز [illegible] لاغراض [illegible]
[illegible] في جملة من عبارات [illegible]
[illegible] ولا يجارب
حداً منه بسلاح [illegible] . ونحن لا نشك في ان الرصيف لم يقصد [illegible] من قدر
الرواية في ما كتبه عنها لانه ارفع من هذا الامر الذي لا يأتيه الا من كان يكره حسنات
غيره ويسوءه التعب والجهد الذي يبذله العامل في عمله . ولا نرجح عنده ان الرصيف الكريم
كتب انتقاده في ساعة املال او ضجر او حصر [illegible] كما يقول بعضهم لا ندري [illegible] . وكل
من يعرف تعب انتقاد الكتب يعذره . مثلاً قال حضرته ان تاريخ الواقدي الذي اعتمدنا
عليه في بعض صفحات الرواية « موضوع رواية تاريخية كما يتضح من بطالته [illegible]
المؤلف ما نقله عنه » . فيظهر ان حضرة المنتقد قد قرأ « اورشليم الجديدة » بسرعة او
انتقدها قبل ان يقرأها او لم يقرأها . فقد قلنا في الصفحة (٣٢) في الحاشية ما نصه
بحرفه « نعتمد هنا (اي في ذلك الفصل) على الواقدي وان كان تاريخه يكاد يكون في
اكثر اقسامه قصة عنترية » وفي تلك الصفحة في الحاشية صححنا الواقدي لقوله عن [illegible]
او بيت المقدس) وفي الصفحة (٣٣) حذفنا من كلامه اسم خالد ابن الوليد لانه [illegible]
يقول في موضع آخر انه لم يسر في مقدمة الجيش . وفي الصفحة ١٠٤ قلنا في الحاشية
« الرواية التي رواها الواقدي هنا مخالفة للعقل بعيدة التصديق ولذلك لم نعبأ بها واولناها
هنا هذا التأويل » وفي الصفحة ١١٩ عارضنا رواية الواقدي برواية ابن الاثير في جواب
الامام علي وفي مطية عمر . وفي الصفحة ١٣٣ قلنا في الحاشية « لم نر في غير الواقدي اثراً
لهذا الغدر ومبالغاته مشهورة » فمن ذلك يتضح انا لم ننقل عن الواقدي الا كل ما رأيناه
موافقاً للعقل والنقل التاريخي الصحيح . ونظن ان هذا ما يدعى (تحريراً) . ولكن [illegible]
الرصيف لم ينتبه الى ذلك

وهنالك ملاحظة اخرى لحضرته وهي قوله ان في الرواية (نصائح وحكم يشف بعضها عن لوم صاحبها الدنيا) وهذا ايضاً لم ينتبه اليه الرصيف. فانه لم يرد في الرواية لوم للدنيا بل « للفساد الذي في الدنيا »ولا مشاحة في ان كل الناس يذمون هذا الفساد الا الذين يستفيدون منه ويملأون به خزائنهم ذهباً . وان قيل ان الصلاح سيتغلب على الفساد والخير على الشر في مستقبل الانسانية كما قال حضرته في خاتمة كلامه فهو قول ''مرجح''. ولكن هل يقع ذلك في المستقبل باعانة الاشرار على شرورهم للاستفادة منهم ام بمقاومة هذا الشر بكل القوى البشرية. لا ريب عندنا ان الطريقة الثانية هي الطريقة الوحيدة التي بُني عليها ناموس بقاء الافضل. فالذين يصدمون الفساد على الدوام معرضين مصالحهم للخسران هم انصار هذا الناموس والذين يقولون«اتركوا الفساد فانه يزول من نفسه»وذلك لخوفهم من مقاومة اصحابه او التماساً لفائدة منهم انما هم يعيقون سير هذا الناموس. لانه اذا قويت قوة الشر على قوة الخير ضعف الخير وان كان ضعفاً وقتياً فافضى به هذا الضعف الى التاخر وان كان لا يمكن ان يضمحل للقوة العجيبة التي وضعها فيه الخالق العظيم. ولكن اذا أُعين الخير على الشر كان انتصاره سهلاً قريباً

وهذا الكلام يجرنا الى ملاحظة صغيرة لاحد كتَّاب الفرنسويين . فقد كتب هذا الكاتب في احدى جرائد باريز ترجمة الشاعر الروسي العصري المشهور (مكسيم غوركي) الذي ساوت شهرته اليوم شهرة تولستوي في عالم الادب والشعر وفن الروايات فذكر عنه ان كتاباته اخذت تنبه في نفوس كبراء الروس الميل الى اخوانهم الصغار الذين دونهم في الحياة الاجتماعية بما يصوّره في رواياته من احوالهم وشؤونهم وانه سيكون لهذا الشاعر المؤلف على روسيا من التاثير بشأن الطبقات الضعيفة ما كان لروسو على فرنسا بشأن الطبيعة. فيكتشف الروس في رواياته وجود اولئك التعساء وذلك الفساد كما اكتشف الفرنسويون الطبيعة في كتب روسو ومالوا اليها . ثم قال « وقد يعجب بعض كتَّابنا من كساد سوق كتاباتهم واهمال الجمهور لها بازاء ما يرونه من تهافتهم على كتب غوركي مثلاً ولكن لا يلوموا احداً غير انفسهم . فانهم يصرفون وقتهم في البحث في الصحو والمطر والصعود والهبوط وغير ذلك من الامور الجامدة الناشفة المخصوصة باهل العلم الباحثين دون غيرهم مع انه لدينا هيئة اجتماعية معتلة علينا النظر في دوائها وفساد كبير علينا هدمه . والاشتغال عن هذا الاعتلال وهذا الفساد بالصحو والمطر والمد والجزر من قبيل اشتغال الانسان بالشيء الكمالي قبل الضروري . كاشتغال المريض المدنف مثلاً بشراء لم

لا يقدر على اكله ولا هضمه قبل شراء دوائه او كاشتغال ربة البيت بخارج بيتها واهمالها داخله .
ثم قال ان الكتّاب المشار اليهم معذورون لانهم لم يدرسوا حقيقة الحياة ولم يخالطوا الامة ليعرفوا مبلغ اتعابها وآلامها وطبيعة الفساد الذي تشكو منه »

وقد اراد الكاتب بهذا القول اظهار ان في كتّاب بلاده قوماً شبوا بمعزل عن الامة ولم يخالطوا الشعب كما خالطه غوركي «١» ليعلموا حاجاته وآلامه . ولكن عندنا ان هذا السبب وحده غير كاف . واذا صح هذا القول في الكتّاب الذين ينبغون في الطبقات العليا فلا يصح في الذين ينبغون في الطبقات التي تحتها وكثير ما هم . والصحيح ان «المصلحة والمنفعة» التأثير الاعظم في تغيير اخلاق الكتّاب وافكارهم وصرفهم الى الوجهة التي ينصرفون اليها فيجعلون همهم جمع المال بدل النفع العام . وهذه آفة العلم والسياسة والآداب — بعينها — في العالم . غير ان هذه الآفة لسوء الحظ طبيعية في الانسان . الا اصحاب العقول والقلوب العظمى الذين تمنحهم العناية الالهية قوة خصوصية فيزدرون الثروة والمجد المادي ويتحدرون من قمة مفاخر الدنيا والطبقات العالية الى وهاد الشعب وابناء الامة الرازحين تحت نير الطبقات القوية رغبة في تسليتهم واعانتهم على احتمال هذا النير او رفعه عن اعناقهم كتولستوي الذي هو « كونت » من اشراف روسيا وفولتير الذي كان من اشراف فرنسا . فان هؤلاء الاعاظم مع كونهم من الطبقات العالية ومن اهل المال دأبهم ان يحاربوا بكل قواهم في الطبقات العالية الحاكمة والمحكومة ذلك الفساد الاجتماعي والسياسي المبني على « سلطان المال » الذي يسمم دم الامة شيئاً فشيئاً لانه يقتل العدالة فيها لجعله القانون العوبة في يد المال يميل معه حيثما مال — ويحصر السلطة والمنافع والاملاك والارزاق في افراد قلائل يكون باقي الامة اجراء مسخرين لهم يتعبون ويكدون ويكدحون وغيرهم يتمتع بثمرة تعبهم دون ان يهتم او يفتكر بحالة الامة والعملة الذين يجمع ثروته منهم

ويظهر ان هذا الداء قد بدأ ينتشر في الشرق انتشاره في الغرب . فقد قرأنا منذ مدة في شهر واحد فقط عدة فصول في الجرائد العربية فيها بروق ورعود على « سلطان المال » في الشرق . منها مقالة في جريدة « الصاعقة » المصرية هي في الحقيقة صاعقة لم نقرأ قط مقالة بليغة بموضوع كموضوعها . واخرى في رصيفة في البرازيل لمراسل تكلم عن حالة

«١» غوركي كان في صباه حقيراً مستخدماً عند صانع احذية ثم ترك العمل وشرد في البلاد مع المتشردين وبعد ذلك تلقى العلم والادب من تلقاء نفسه وآخر كتبه الذي اقام روسيا واقعدها عنوانه « الطبقة السفلى » يعني ضعفاء الامة

الطبقات الاجتماعية . واخرى لسيادة مطران في بيروت وهي عظة بليغة نُشرت في احدى صيفاتنا البيروتية . وثالثة في الرصيفة نفسها وهي خطبة لدكتور في بيروت وجدنا في انفاسه فيها ريح الحرية والجرأة التي تعودنا استنشاقها في الرصيفة قبل طورها الاخير . ويظهر لنا مما نلاحظه ونقرأه ونسمعه حيناً بعد حين ان هذه الحركة آخذة في الامتداد والانتشار . ونحن نأسف لها لانها ستكون في مستقبل قريب او بعيد سبب نزاع شديد بين الشرقيين كما هي بين الغربيين . ولكن الاسف لا يوقف مجرى النواميس الطبيعية . ومتى جاء ذلك الزمن وصار معلوماً في الشرق ان هدم الفساد الاجتماعي مقدَّم على هدم الفساد السياسي لانه بدون الفساد الاجتماعي يستحيل وجود الفساد السياسي . وذهبت دولة « الاستفراد » العصري individualisme الذي اروج ما تكون بضاعته في صفحات رصيفنا المقتطف والاحتكار المالي الذي يقيم له الرصيف في صفحاته صوراً وتماثيل يمجدها اولئك الاميركيين الطغام الذين يحتكرون ارزاق الامم ويعيشون فيها كالعلق يمتصون دمها ولا ينفعونها . وحلّت محل تلك الدولة دولة التعاون الاجتماعي والتضامن البشري بين جميع طبقات الامة والاخلاص القلبي — فرواية كرواية « اورشليم الجديدة » تكون حينئذ مفهومة من رصيفنا الكريم المقتطف الاغر اكثر مما كانت اليوم

وفي ختام المقال نشكر للاستاذ شيخنا وكبيرنا ملاحظاته التي كانت السبب في لذة هذا الحديث معه ولا ريب عندنا في انه يتجاوز عن مواجهتنا له بهذا الردّ لعلمه ان انتقاد منتقد مثله لا يحسن ان يبقى بلا جواب وذلك ان لم يكن اتباعاً لسنة « تنازع البقاء » فاحتراماً لاراء العلماء الاعزاء

الشعر العصري البليغ

ديوان الرافعي « الجزء الثاني » «١»

كل من يقرأ شعر الرافعي يُدهشه ما يجده من البلاغة في شعر هذا الشاعر الجديد الذي ظهر في سماء الادب العربي على حين فجاءة ظهور الكواكب في السماء وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره . ولقد اعتاد بعضهم الغلو في تقريظ المؤلفين والمترجمين ارضاء لهم او تزلفاً اليهم اما الجامعة فانها رأت منذ وقفت على شعر هذا الشاعر ان تقوم بما يجب على المتقدمين

«١» تحت الطبع في مطبعة (الجامعة) وسيصدر قريباً

للمتاخرين متى ظهر فيهم من يجب تنشيطه لاستمرّ في عمله ولذلك كانت اول من وجه الانظار خاصةً الى الرافعي وشعره . وقد وقفنا الآن على « الملازم » الاولى من ديوانه الجزء الثاني فاحببنا اتحاف القراء ببعض مقتطفات منه . ففيها خير تقريظ لشاعرية الشاعر

قال في باب « الغنى والفقر » من ابيات كثيرة يذكر بها الفقراء والاغنياء و يخاطب كوخ الفقراء

فيا كوخ الفقير غدوت دنيا — وكل الارض للفقراء دارُ
على تلك القصور ارى دخاناً — اخف عليك منه ذا الغبارُ
وفيك سلامة من كل همٍ — وفيها من هموم الدهر نارُ
عليك الشمس تاج لم ينله — سواك ومن حُلى الطل السوارُ
وما يغني كبار الاسم شيء — وانفسهم وان كبروا صغارُ
فيا كوخ الفقير اداً سلاماً — فانت لبهجة الدنيا وقارُ
وما تلك القصور سوى ذنوبٍ — وانت لها من الدهر اعتذارُ

وقال ايضاً في مثل هذا المعنى

ارى الانسان يطغى حين يغنى — وما ادنى الهبوط من الصعودِ
كما تعمى البهائم حين ترعى — عن الشوك الكثير لاجل عود
اليس من التغابن وهو ظلمٌ — جزاء السعي يكتب للقعود

قلنا . هذا البيت الاخير يعدل وحده ديواناً كاملاً . فانه عبارة عن خلاصة الانتقاد الذي يوجهه بعض العلماء والفلاسفة كتولستوي مثلاً الى اغنيائهم الذين يتمتعون وهم قعود في مجالسهم دون عمل يعملونه بتعب عشرات ومئات والوف من البشر المستخدمين لهم

وقال مخاطباً نفسه

يانفس بعض اليأس لا تقنطي من رحمة الله ولا تحنقي
ان كان ما مرّ من العمر لم — يحقق الظن ففيما بقي
والناس في الدنيا دلاء فذا — يهوى الى القاع وذا يرتقي

وقال في الناس

ان الانام وحوش — وانما الاسم ناسُ
تخاتل وزحام — وقسوة وعراسُ

فاخش الضعيف وان لا ن كم من الضعف باس

قلنا ولكن الشاعر عاد فقال في فقرة اخرى قولاً غريباً . قال

تعلّم من الختل ما تتقي به كيد كل فتى خاتلِ
وخذ لمشيبك مكر الشباب ومن حادث العام للقابلِ
وان كان كل الورى في جنون فما انت وحدك بالعاقلِ
فكن عالماً جاهلاً بينهم فهم خدم العالم الجاهلِ

فهذا المبداء لا نستحسنه ابداً مع ما فيه من حسن السبك وجمال المعنى . وانما نستحسن المبداء الذي في البيت بعده

دع الدنيا ترفّع كل وغدٍ فان الخمر قد سدّت بطينِ

وهو قول في غاية البلاغة ومبداء في منتهى الاستقامة . فانّ الخمر اذا علاها الطين يجب ان تكتفي بكونها خمراً ولا تتمنى ان تنقلب طيناً اي وحلاً دنيئاً . فان من العلو والنجاح في العالم ما يكون شراً من الخذلان لانه يُكتسب بالشر والدناءة . او كما قال مؤلف رسالة «العلم والدين والمال» « بالضغط على الصغار والتسفل للكبار» وما احسن قول الشاعر في هذا المعنى من ابيات بعده

قالوا جنون قلت اي والذي يقدر المرء لمن يعقلونْ
انقلب الدهر بابنائه لذا ترى العقل غدا في البطون
جنوننا ما دام في رأسنا عقل وهم من عقلهم في جنون

وقد سمى الشاعر هذا الباب « باب التهذيب والحكمة » واردفه بالباب الثاني « باب النسائيات » ومن قوله فيه يصف جرّ السيدات الاذيال

فاعينُ القوم واذيالها « مصلحة » للرش والكنس

وقال في وقوف الحسناء امام مرآتها

وكنتُ لها بواحدة قتيلاً فكيف بها اثنتين على قتالي

اي هي وخيالها في المرآة

فيامرآتها وصفاء قلبي وعمر طفولتي وخلو بالي
ويا حظي وحاجبها ودهري وطرّتها وعينيها وحالي
تقلّبت الليالي بي ولما يرعني ان تقلّبت الليالي
فديتك ساعة المرآة طولي امدّك من ليالي الطوالِ

وقال في المرأة (الشرقية والغربية) معيداً اسباب تأخرنا الى ضعف تربية النساء كما هو الحق

واذا الامهات احببن شيئاً ... ورثت حبها له الابناء
واذا ما الفتاة شبت على اللهو ... فباللهو بعد ذاك تُساء
انما البنت زوجة ثم امٌّ ... ثم يبقى الحديث كيف تشاء
وهي كالماء كلما فطروه ... زاد حسناً ورقَّ بعدُ الماء
لست ادري وليتني كنت ادري ... نحن بين الاموات ام احياء
اي هذين في الرجال اهن الا ... مهات النسا ام الاباء
صورة الغرب والنفوس من الشرق ... فهم في ديارهم غرباء
اين حق البلاد اين ذكاء القلب ... اين النفوس اين الدماء
انما ضيَّع البلاد واهليها قديماً نساؤنا الضعفاء

وهذا البيت الاخير انما هو صاعقة من الصواعق على رؤوس النساء النحيفة وعندنا انه لو كان الشاعر سيدة لا رجلاً لالقى هذه الصاعقة على رؤوس الرجال لا على رؤوسهن لانهم لم يعلّموا النساء ولم يرشدوهنَّ وهم القوامون عليهنَّ . — وكأن الشاعر اسف لما قاله هناك فاردف يقول في ابيات بعدها

يا قوم لم تُخلق بنات الورى ... للدرس والطرس وقال وقيل
لنا علوم ولها غيرها ... فعلّموها كيف (نشر الغسيلْ)
والثوب والابرة في كفها ... طرس عليه كل خط جميلْ

وقال في النساء اللواتي يسلمن اولادهنَّ للمراضع والخدم

بداك ابرُّ بهذا السوار ... فان صار في يد اخرى انفصمْ
وصدرك اولى بمن هو منه ... فؤاداً ونفساً ولحماً ودمْ
ومن فيك تبعث فيه الحياة ... ويسقمه غيره كل فمْ
وما الطفل الا زيادة بطن ... لجد ولب وخال وعمْ
فان تعط طفلك للخادمين ... فما زدتِ الا عديد الخدمْ

يعني ان التي تسلم ولدها للخدم تجعله منهم لانه يكتسب اخلاقهم وعاداتهم

وبعد باب النسائيات « باب الوصف » . قال مخاطباً الشمس حين غروبها

فيا شمس هل مزقت ثوبك عندما نكبت وهذا الغيم في الافق اذيال
ام انتثرت منك الحليُّ لعثرة وهذا الهلال الساقط النصف خلخالُ
تودّعك الدنيا وتستقبل الدجى كما ودّع الام الرحيمة اطفالُ

وفي وصفه الترامواي الكهربائي يقول هذا البيت الذي يعدل الف بيت مشيراً الى خسارة المركبات والحمير بعد انشاء الترامواي

ويح قومي حتى جياد « اوروبا » نال من رزق خيلنا والبغالِ
ايها العرب علَّم الشرق ان الـ علم لا شيء فيه صعب المنال
كل شيء يجوز لكن على قدر العقول اختلافنا في المحال

وقال يصف القمر وقد رآه بين نجمتين

يا طلعة البدر اذا ال نجمان يكتنفانها
اذكرتني حبيبة كنتُ على سلوانها
ذا وجهها وذا قُرطان في آذانها

وله في الغزل ابيات رقيقة في غاية الجمال منها قوله في « القبلة المكتّمة »

ولم انسَ يوماً جئتها ذات صحوةٍ عليلاً كما هبَّ النسيم بلا وعدِ
وكنتُ وكانت والدلال يصدّها فتبدي الذي تخفي وتخفي الذي تبدي
وما زلت حتى كاغتني قبلةً على حذرٍ حتى من الحلي والعقدِ
وكنا كمثل الزهر يلثم بعضه ولا صوت للنسرين في شفة الوردِ
وكان فمي فيه اليها رسالة فلثمها فاها وحمّل بالرد

وقال في طلوع القمر على الحبيبة وهي نائمة يخاطبه

مكانكَ لا تعجل فتحضر ساعتي فاني ارى ساعات عمري ثوانيا
ويا بدر خذ عني فداك سريرها وتلك وان لم ادعها باسمها هيا
وذي قبلة مني اليها فالقها على فمها وارجع بانفاسها ليا
اغار عليها ان تقابل وجهها فتنقل عنه للوشاة معانيا
واخشى عليها من شعاعك مثلما يخاف على النفس الجبانُ المواضيا
فاني ارى جسمًا لو ارفضّ مدامعي جرين عليه اصبح الجسم داميا
بربك يا نفسي وربك شاهدٌ اتهتمة كان الهوى ام تعازيا

يكاد يفيض القلب من ذكرها دماً لا كتب منه في هواها القوافيا
وتذهب نفسي حسرة ان رأيتها واصرع وجداً كما قلت «آه يا ...»
اما لي عذر في الغرام واعيني ترى كل شيء فيك للحب داعيا
وقد رفعتك الناس حتى ظننتهم لاجلك يدعون النجوم جواريا

هذا ما اكتفينا به من هذا الديوان الجليل واكثره ان لم نقل كله على هذا النسق · ولا ريب عندنا في ان جميع المتادبين الذين يعشقون الشعر البليغ ويميلون الى ما فيه من الجمال والصفاء يرحبون بالرافعي وشعره وينشطونه باقتنائهم ديوانه ترويجاً لبضاعة الادب وتزيينا لمكاتبهم بشعر لا ينظم اليوم احد مثله غير اثنين او ثلاثة على حداثة سن ناظمه

موتمر المستشرقين الدولي

بعثت الينا ادارة مؤتمر المستشرقين الدولي باعلان خلاصته ان المؤتمر سيعقد جلسته التالية في العام المقبل في حاضرة الجزائر تحت رعاية حضرة حاكم الجزائر · وهذه اول مرة ينعقد فيها هذا الموتمر الجليل في ارض شرقية · اما جلسته الاخيرة فكان انعقادها في مدينة همبورغ في سنة ١٩٠٢ · واما مباحث المؤتمر فقد قسمت الى سبعة اقسام · الاول الهند واللغات الاوربية والهندية · الثاني اللغات السامية · والثالث اللغات الاسلامية وهي العربية والتركية والفارسية · والرابع مصر واللغات الافريقية ومدغسكر · والخامس الشرق الاقصى · والسادس البلاد اليونانية والشرق الادنى · والسابع الاثار القديمة والصنائع الاسلامية

والمقصود من نشر الموتمر هذا الاعلان « استلفات انظار اهل العلم والاداب نحو المنافع الجمة التي سيتعرض لها الموتمر في مثل هذه الجمعية العلمية الرفيعة الشان واعلامهم ان اللجنة مستعدة لقبول جميع ما يوجه اليها (من الاشتراكات والمراسلات) مع الاعتراف بالفضل لمن يجيبون نداءها بمشاركة المؤتمر في اعماله »

والقيمة الواجب دفعها على طالب العضوية في المؤتمر عشرون فرنكاً للرجال وعشرة فرنكات للسيدات

فنحث الشرقيين على اغتنام هذه الفرصة لايجاد العلائق والصلات بينهم وبين اكابر علماء الغرب · وعنوان المراسلات يكون باسم جناب السكرتير العام للموتمر « المسيو ادمون دوتي في بلد مصطفى بالجزائر » ومحل اقامته بستان العين الزرقاء

آثار الشرق القديمة

خبز المصريين القدماء

عُرضت على مجمع العلوم في باريز نتيجة التحليل الكيماوي الذي قام به المسيو ليندت بشأن كسر من الخبز المصري القديم وجدت في مدافن قدماء المصريين . والغريب انه مع تعاقب القرون على هذا الخبز بقي له منظر سليم يدل على شكله وحقيقته واغرب من ذلك استطاعتهم تحليله . وقد اثبت التحليل ان الخبز المصري القديم مركب من مواد قريبة من المواد التي يركب منها الخبز في هذا العصر . ومواده قسمان فقسم مصنوع بالخمير وقسم فطير بلا خمير فثبت بذلك ان الخمير كان معروفاً عند المصريين . اما كمية تركيبه فهي ١١ في المائة من الكلوتن و ٦٥ في المائة من الاميدون مع شيء قليل من التتر والملح

الصناعة المصرية

نقلت جريدة « عرفات » الغراء عن كتاب « الصناعة العربية » للمسيو كايت تسلسلاً جيلاً للصناعة البشرية . وقد جاء فيه ان المصريين في مدنيتهم القديمة اعطوا الاشور بعض صناعتهم في اثناء حروبهم معهم ورغبتهم في نشر دياناتهم . ومن الاشور انتقلت الصناعة الى الفينيقيين . ومن الفينيقيين الى اليونان . ومن اليونان الى الرومان ومن الرومان الى بزنطيه « السلطنة الشرقية » ومن بزنطيه الى العرب ومن العرب عادت الصناعة الى مصدرها الاول مصر فكان الاقباط فيها اول من خلعوا نير الصناعة اليونانية وانشأوا للخلفاء والامراء صناعة خاصة بمصر . وهذا القول بمنزلة تاريخ الصناعة الشرقية والعربية بمضع كلمات . وبه كانت مصر مبداء صناعة وخاتمة صناعة . والبلاد التي لها في تاريخ الصناعة هذا الاثر الجيد تستحق ان تكون اول البلاد الشرقية التي تعود الى احياء الصنائع والفنون

الشيخ عباده في الوجه القبلي

لقرية الشيخ عباده في الوجه القبلي شهرة واسعة عند علماء الافرنج وهم يسمونها « انطنوه » او انطنيوبوليس لان الامبراطور ادريانوس بنى بجانبها هيكلاً اكراماً لاحد اخصائه يدعى « انطنوه » الذي غرق في النيل فسمي المكان باسمه . وكانت المدينة تدعى « بيزه » Besa وهي قائمة على شاطئ النيل الايمن في نواحي ثيبة . وقد وجد المسيو كايت منذ مدة

في خراباتها آثاراً ثمينة تدل على معيشة اهل مصر القدماء واخلاقهم وعاداتهم في القرون الاولى الميلادية . ومن جملة هذه الآثار اثبات ان المسيحيين في ذلك العصر كانوا يدفنون بحسب التقاليد التي كان يدفن بها غير المسيحيين وانما كان يوضع في توابيتهم زهرة تدعى (زهرة الخلود البرية) وزهرة اخرى تدعى (وردة اريحا) وهي زهرة مشهورة بكونها تنتعش وتحيا بعد الذبول اذا وضعت في الماء وذلك اشارة الى البعث والنشور . وقد وجدت الزهرتان في تابوت الحسناء تايس المشهورة التي عاشت في القرن الرابع للميلاد واكتشف مدفنها في الشيخ عبادة المذكورة آنفاً

اورشليم الجديدة واتفاقان من غرائب الاتفاق انه ما صدر كتاب الجامعة الاخير (اورشليم الجديدة) حتى قرأنا في جرائد اميركا ان شركة اميركية كبيرة انشأت في معرض مدينة لويس العام محلة دعتها « اورشليم الجديدة » مساحتها ١١ فداناً وهي تمثل اورشليم (بيت المقدس) بمنازلها وآثارها المقدسة وكنائسها وجوامعها . وهناك اتفاق آخر اشد غرابة . فقد صدر بعد صدور (اورشليم الجديدة) بشهر رواية فرنسوية لكاتبة ذهب اسمها عن بالنا عنوانها (فتح اورشليم) وبينها وبين « اورشليم الجديدة » عدة امور مشتركة . « الاول » ان اسم بطلها يدعى « عليا » بدل « ايليا » « الثاني » انه يزور اورشليم تبركاً ولكنه يفقد معتقده فيها لما يراه من تزاحم المصالح واحتكاك المذاهب حول آثارها . « والثالث » انصرافه عن الامور الدينية الى اتقان الفنون الجميلة لترقية النفوس بها وتطهيرها بما في هذه الفنون من الجمال . وهذا معنى « فتح اورشليم » اذ المراد فتحها فتحاً سلمياً واعادة جمال السلم والعمل والاخلاص اليها . وهو بمنزلة انصراف « ايليا » عن الانتظام في السلك الديني الى سلك العمل في مزرعة الشيخ سليمان . « والرابع » تعلق بطل الرواية « عليا » بفتاة يحبها وطلبه الراحة والجمال والامل في هذا الحب . « والخامس » انتهاء الرواية بموتهما معاً . — وقد اسهبت جرائد باريز في وصف هذه الرواية الجميلة لا سيما وانها بقلم سيدة غير فرنسوية

وهناك رواية اخرى فرنسوية صدرت في باريز فيها اسم « اورشليم » وهي لكاتب من اشهر كتابهم يدعى « موريس دوناي » وعنوانها « العودة من اورشليم » وهي تمثيلية وقد قامت باريز وقعدت في هذا العام مروراً بها لاعتبار بعضهم انها موجهة الى الاسرائيليين وهو نزاع مشهور في باريز بين الفريقين

باب التقريظ والانتقاد

الالياذه

قلنا في كتابنا « ابن رشد وفلسفته » في فصل فلسفة ابن رشد الادبية « الصفحة ٨٥ » ما نصه « مما هو جدير بالذكر ان العرب لم يهتموا بمؤلفات اليونان الادبية اهتمامهم بمؤلفاتهم الفلسفية والمنطقية والطبيعية ولعل السبب في ذلك ان مؤلفاتهم الادبية كانت مخصوصة بهم . مثال ذلك الالياذه والاوديسه وخطب ديموستينوس وغيرها . فان هذه الكتب الادبية البديعة لا ذكر فيها الا للمسائل اليونانية الخصوصية التي قلما يهتم بها باقي الناس سوى طلاب البلاغة . ولكن العرب الذين نبغ في لغتهم من عرفنا من الشعراء والخطباء في الجاهلية وبعدها معذورون اذا لم يقتدوا بالافرنج من حيث طلب البلاغة في المؤلفات اليونانية »

نقول ويسر محبي الوقوف على تاريخ اليونان وبلاغتهم ان يعلموا ان الالياذه المشهورة التي اشرنا اليها آنفاً نقلت الى الامة العربية في الشهر الماضي بقلم سليل بيت العلم والادب حضرة سليمان افندي البستاني صاحب دائرة المعارف . وقد وضع لها حضرته مقدمة في غاية الاهمية عن الشعر وتاريخه عند العرب واليونان وفسر متن الالياذة بشروح مفيدة تدل على مبلغ التعب الذي عاناه في وضع هذا الكتاب الجليل . الا اننا كنا نود لو نقل حضرته الالياذه نثراً لا شعراً وبذلك كان كفى نفسه عناء كبيراً لا يعرفه الا من عانى الترجمة الدقيقة المراد بها التزام الاصل . فان صعوبة هذه الترجمة اضعاف صعوبة التأليف في الحقيقة خصوصاً متى كان المقصود ابراز المادة المترجمة بمتانة وجمال كتابة الاصل وجماله . وبدون ذلك يذهب التعب سدى

والالياذه المذكورة عبارة عن قصيدة طويلة في حرب طرواده المشهورة وهي منسوبة الى هوميروس اشعر شعراء اليونان . الا ان كثيرين من المحققين يقولون انها لعدة شعراء وان هوميروس لم يوجد في العالم . قال المسيو ديشان الناقد المجيد في جريدة الطان « ان الالياذه والاوديسه هما لشركة ادبية » يعني بذلك انهما لغير واحد وانما جمعتا ونسبتا الى هوميروس والله اعلم

وعدد صفحات الالياذه ١٢٦٠ صفحة كبيرة وفيها عدة رسوم جميلة تمثل ابطال اليونان وآلهتهم . وثمنها مائة غرش صاغ وتطلب من معرّبها المفضال في العاصمة وقد صرف حضرته في الاشتغال بها عدة سنوات فاستحق الثناء العاطر على صبره وفضله . واذا كان شعراء العصر المجيدون لا يجدون في شعر هوميروس العربي ما الفوه في منظومات اكابر شعراء العرب فكفى انهم يجدون في مقدمة الالياذه وشروحها من الفوائد ما لا يجدونه في كتاب آخر

وقد قلنا ان الالياذه مزينة بعدة رسوم جميلة ونزيد الآن انه فوق جمال ورقها واتقان طبعها لم يكن ينقصها سوى رسم واحد لاحد اكابر الرسامين . فان هذا الرسم يمثل جميع شعراء العالم وفي جملتهم ملتن وشكسبير وفيكتور هيغو وجوت وشيلر وهنري هين وراسين وموليير وكورنيل ولامارتين ودانت وعشرات غيرهم مجتمعين حول هوميروس ليتوجوه ملكاً عليهم . وهذا الرسم عندنا تحت امر حضرة المعرب . فانه مما يحسن تزيين صدر الالياذه به في طبعتها الثانية ان شاء الله

ومما يحسن ذكره هنا ان فريقاً من كرام اهل العلم المصريين والسوريين في مصر اجتمعوا في فندق شبرد وعددهم نحو ٩٠ شخصاً واقاموا حفلة ادبية اكراماً لحضرة المترجم وهي اول حفلة من هذا النوع في الشرق . والفضل يعرفه ذووه

﴿ ديوان التعاويذي ﴾ اعتنى حضرة العالم الفاضل المستر د . س مرجليوث احد الاساتذة في مدرسة اكسفرد الجامعة بطبع ديوان ابي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي فجاء في نحو خمسمائة صفحة مطبوعة بالشكل الكامل . ويظهر ان الفلسفة الحديثة والعلم الحديث قد كسرا جنحي الفلسفة القديمة والعلم القديم حتى قلما يوجد اليوم بين علماء الغرب من يعتني بمؤلفات ابن رشد وابن سينا وابن زهر والكندي والفارابي والغزالي اعتناء حضرة ناشر هذا الكتاب بشعر من الطبقة الثانية كشعر التعاويذي ويتأنق على طبعه بهذا الاتقان . ما كانت كتب اولئك الفطاحل اولى به . على انه اذا اسقطت الاهمية عن تلك المؤلفات الجليلة بالنسبة الى علماء الغرب فهي لا تزال في اسمى درجات الاهمية عندنا لانها انما صنفت لنا ونحن وارثوها . وعلى كل حال فاننا نثني اجمل ثناء على عناية حضرة ناشر هذا الديوان ونشكر له هذه الهدية النفيسة

﴿ صلاح الدين الايوبي ﴾ هي الرواية التمثيلية المشهورة التي هي افضل روايات فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وقد اعيد طبعها للمرة الثالثة في مطبعة الجامعة على نفقة علي افندي مظهر ومحمد افندي نصر الله وهي تطلب من ادارة الجامعة وثمنها خمسة غروش صاغ

﴿ الوفاق والطلاق ﴾ هي رواية للفيلسوف تولستوي اسمها في الاصل لحن كيتسر وقد ترجمت مرة اولى في البرازيل وترجمها مرة اخرى في مصر حضرة سليم افندي قبعين وطبعت على نفقة المكتبة الشرقية في العاصمة · وقد سألنا كثيرون من القراء عن رواية لحن كيتسر بعد نشر مجلة السيدات شيئاً منها حتى ان بعض الاصدقاء ارسل يطلب نسخة الادارة · فمن رام اقتناء هذه الرواية الآن فليطلبها من المكتبة الشرقية في العاصمة

﴿ اسرار ديوان التفتيش ﴾ هي الرواية السادسة من روايات حديقة الفكاهة الشهرية التي تصدرها المكتبة الشرقية في مصر وموضوعها في هذا الجزء (سجن الشاتله) وهي من تعريب كاتب مجيد تعتمد عليه حديقة الفكاهة في اصدار رواياتها · وثمن الجزء الواحد غرشان صاغاً · والاشتراك في العام عشرون غرشاً

﴿ مغاور الجن ﴾ هي رواية ادبية غرامية سياسية بقلم جناب نجيب افندي اسعد جاويش وقد اعادت مطبعة جناب جرجي افندي غرزوزي بالاسكندرية طبعها ثانية وهي في جزئين ثمنها ١٥ قرشاً صاغاً · وهذه الرواية من خيرة الروايات المفكهة التي لا بأس بادخالها الى المنازل

﴿ كنز النفائس ﴾ كنز النفائس في اتحاد الكنائس كتاب ديني من تأليف المعلم نقولا ابيرازي اليوناني وقد عربه حضرة الاب يوحنا حزبون راعي الكنيسة الارثوذكسية في طنطا وهو يُطلب من حضرته

﴿ اسرار الارتقاء ﴾ او عظات الشيخوخة للشبيبة هو كتاب جليل الموضوع عربه من الانكليزية حضرة توفيق افندي دوس المحامي في اسيوط · ونتمنى ان يوضع هذا الكتاب في ايدي الشبان والشابات لانه يحتوي على مواضيع وفوائد وارشادات ينبغي ان لا تفوتهم فنثني على حضرة معربه الفاضل ونشكر له هديته

﴿ مقالة في الكوليرا ﴾ هي رسالة في الهواء الاصفر وضعها حضرة الدكتور عفيف افندي عفيف من افاضل اطباء طرابلس الشام وذلك في اثناء ظهور الكوليرا فيها والرسالة تحتوي على كل ما يختص بهذا الوباء فنشكر لحضرة الدكتور خدمته بني وطنه

﴿ ادوارد وسلفا ﴾ هي رواية ادبية غرامية بقلم جناب اسكندر افندي كنعان الصباغ وقد طبعت على نفقة حضرة رصيفنا سليم افندي الضم صاحب مجلة الفضيلة بالاسكندرية وثمنها اربعة غروش صاغ وتطلب من مجلة الفضيلة

﴿ البورصة ﴾ هي رسالة مفيدة في احوال البورصة واعمالها واصطلاحاتها وضعها حضرة الشيخ نسيم العازار وثمنها غرش صاغ وهي تهم المشتغلين في البورصة خارج مصر للوقوف على اصطلاحاتها وحركاتها وما يتعلق بها

﴿ آفات المدنية الحاضرة ﴾ عينت جمعية شمس البر في بيروت جائزة قدرها خمسة جنيهات انكليزية لمن يؤلف افضل كتاب في آفات المدنية الحاضرة . فنال الجائزة حضرة الكاتب الفاضل جرجي افندي نقولا باز احد اعضاء الجمعية فنهنيء حضرته باحراز قصب السبق في ميدان الادب

﴿ زهرة البستان ﴾ طبع حضرة اسكندر افندي نحاس ثلاث قصائد في حرب الروس واليابان مما نشر في جرائد اميركا ووزعها بلا ثمن . وهذا اثر من آثار التحمس لهذه الحرب

﴿ منتهى البيان ﴾ منتهى البيان في حقيقة الانسان رسالة وضعها حضرة الشيخ محمد الشربتلي وقد شرح بها القصيدة النونية العرفانية الانسانية وقد طبعت على نفقة جناب عبد الحميد بك الطويجي

﴿ مناهج الحياة ﴾ وكتاب اقتصادي موضوعه السعي والعمل والاقتصاد تأليف حضرة زميلنا نقولا افندي حداد محرر جريدة الرائد المصري الغراء . وجدير برؤساء المدارس ومعلميها ان يضعوا هذا الكتاب بين ايدي تلامذتهم لانه من خير محركات الهمم ومرشدات افكار الطلبة

﴿ المعرض ﴾ هي جريدة اسبوعية تصدر في معرض سانت لويس العام الذي اقيم في اميركا في هذا العام لمديرها جناب سليم افندي شاهين وهي تبحث في شؤون المعرض وتنشر رسومه الجميلة

﴿ جامع الادلة على مواد المجلة ﴾ اعتنى حضرة الفاضل نجيب افندي هواويني المحامي في زحلة بطبع هذا الكتاب الذي يحتوي على علة الاحكام العدلية وشرح موادها بحسب اصلها الاول الذي طبع في الاستانة وعليه تعول المحاكم والمجالس في تطبيق الاحكام وسيصدره قريباً وقيمة الاشتراك فيه ريال واحد فنشكر له هذه الخدمة المفيدة

﴿ المنار ﴾ عادت زميلتنا الغراء جريدة المنار البيروتية الى عالم الصحافة بمديرها حضرة زميلنا الفاضل الشيخ رشيد نفاع ويشاركه في ادارتها وتحريرها حضرة الكاتب الشيق جرجي افندي نقولا باز فنرحب بالزميلة الكريمة

﴿ المرأة والشعر ﴾ هو الخطاب المار بحي الادبي الذي القاه في حفلة جمعية

التعاون الاخوي في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت حضرة الفاضل الدكتور نقولا افندي فياض وقد طبعته هذه الجمعية على نفقتها حرصاً لى فوائده ولا ريب عندنا في ان كل شاعر يلذ له الاطلاع على هذه الخطبة الجليلة التي هي عبارة عن (حمّام من جمال)

﴿ النور ﴾ هي مجلة ادبية اخبارية زراعية انتقادية لمنشئها جناب داود افندي سليمان مجاعص في الشوير (موقتاً) وتصدر في الاسكندرية فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ الطرائف ﴾ الطرائف جريدة اسبوعية ادبية لصاحبها حضرة الناظم الناثر رشيد افندي مصوبع صاحب الشعر الرقيق والنثر الانيق . فنتمنى لرصيفتنا كل نجاح

﴿ الاكسبرس ﴾ هي جريدة اسبوعية زراعية سياسية لصاحبها ومحررها حضرة محمود افندي ابرهيم . وهي تصدر في صباح كل احد وقيمة الاشتراك فيها مائة غرش صاغ . فنحن نرحب بالاكسبرس ونهنئه فان محرره الفاضل محمود افندي ابراهيم من شبان مصر المقدمين الذين نفتخر باقدامهم الشبية المصرية .

﴿ الجوهر الفرد ﴾ او الشعر العصري في التربية والعوائد والاخلاق والحقوق والواجبات وهو البدة الثالثة من نظم حضرة الشاعر المطبوع سليم بك عنحوري شاعر دمشق الفيحاء . ومن محاسن هذا الديوان تنوع مواضيعه فلا تقع عينك فيه الا على فائدة جديدة وهو منظوم بكلام سهل رقيق يفهمه الخاصة والعامة وثمن النسخة الواحدة فرنك و ٩٠ سنتيما مع اجرة البريد ويطلب من مكتبة جناب خليل افندي خوري في بيروت

﴿ الجمعية الشحرورية ﴾ تالفت في سنتنا ماريا مادلانا في البرازيل جمعية من ابناء قرية وادي الشحرور في لبنان وغرضها جمع المال لانشاء مدرسه في هذه القرية . وقد وردنا قانون الجمعية فنثني على حضرات اعضائها ونرجو نجاح عملهم المفيد

مصر الجديدة

او

المسيح الجديد

رواية تاريخية سياسية غرامية فلسفية على نسق اوروشليم الجديدة . وهي كتاب الجامعة الجديد الذي نشتغل به الآن . وسنبداه بنشره تباعاً في جزء قريب

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لننشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات ولكننا نرجو الاختصار اذ لا ننشر في كل موضوع من المواضيع غير صفحة واحدة او اقل

في كتب الجامعة (١)

(مصر) الشيخ حامد احمد البدوي

قرأت في كتاب الكوخ الهندي قول الدكتور الهندي الخارجي ان الاشجار تجذب اليها الصواعق في فصل الشتاء ولذلك يجب اجتناب الجلوس تحتها في هذا الفصل . فكيف جعلتم في كتاب «الدين والعلم والمال» «حليماً» يجلس تحت شجرة على الاكمة المشرفة على المدن الثلاث في اثناء انقضاض الصواعق . اليس في القولين شيء من التناقض

«الجامعة» قيل : يختار اهون الشرين . والفرار من شر محقق اولى من الفرار من شر ممكن . وبما ان المدن الثلاث قد احرقت في ختام الرواية ولم يبق لحليم من ملجاء يلجأ اليه من المطر الماطل كافواه القرب غير الشجرة التي على الاكمة التي كان حليم عليها فمن البديهي التجاؤه الى هذه الشجرة فراراً من شر محقق وان استهدف لشر ممكن

المعيشة تسعمائة سنة

(البترون) يوسف افندي نجم

لماذا كان الاقدمون في عصر التوراة يعيشون حتى التسعمائة او الخمسمائة سنة واهل عصرنا لا يكادون يبلغون المائة

«الجامعة» هذا سوءال يسأله كثيرون واذا راجعتم قول الدكتور متشنيكوف في الجزء السابق عن طول الحياة ومعالجة الشيخوخة رأيتم انه يتوقع للبشر في المستقبل عمراً يبلغ المائتين وذلك بايجاد مصل يقوي جراثيم الدم النافعة ويضعف الجراثيم المضرة مقاومة

---

(١) كثيراً ما تردنا آراء وملاحظات من قراء الجامعة ومطالعي كتبها بشأن ما يرد فيها فرأينا ان نفتح لذلك باباً نجاوب فيه عليها بياناً لما يشكل على القراء منها وزيادة في ايضاح مبادئها ومواضيعها . ويسرنا ان ننشر في هذا الباب كلما بردنا بهذا الشأن

للشيخوخة كما هو مفصل هناك · وبما ان معيشة الاقدمين واجسامهم لم تختلف طبيعتها عن معيشة المعاصرين واجسامهم اختلافاً كلياً فالقول بان اسباب الشيخوخة عندهم كانت اضعف منها اليوم قول لا دليل عليه · والارجح ان السنة المذكورة في التوراة يراد بها جزء من سنتنا المعروفة كأن تكون فصلاً من فصولها مثلاً وحينئذٍ تكون المائة سنة من سنينا اربعمائة في نظر اهل التوراة وهلم جرًّا

احصاء حروف القرآن

(مصر) محمد افندي احمد

بلغني ان بعضهم احصى ما في القرآن من الحروف والكلمات فهل هذا صحيح وما هو هذا الاحصاء

﴿ الجامعة ﴾ ذكر هذا الاحصاء بهاء الدين العاملي وهذا نصه · عدد الكلمات التي في القرآن · ٧٣٤٤٠ والحروف ٧٢٢٣٣٢ والالفات ٤٠٧٩٢ والباآت ١١٤٠ والتاآت ١٢٩٩ والثاآت ١٢٩١ والجيمات ٣٢٩٣ والحاآت ١١٧٩ والخاآت ٢٤١٩ والدالات ٤٣٩٨ والذالات ٤٨٤٠ والراآت ١٠٩٠٣ والزايات ٩٥٨٣ والسينات ٤٥٩١ والشينات ٢٥١٣٣ والصادات ١٢٨٤ والضادات ١٢٠٠ والطاآت ٨٤٠ والظاآت ٩٣٢٠ والعينات ١٠٢٠ والغينات ٧٤٩٩ والفاآت ٢٥٠٠ والقافات ٥٢٤٠ والكافات ٢٢٠٠٠ واللامات ١٤٥٩١ والميات ٢٠٥٦٠ والنونات ٢٠٣٦ والواوات ١٣٧٠٠ والهاآت ٧٠٠ والياآت ٢٥

ابتداء النزاع بين الشرق والغرب

(الاسكندرية) مصطفى افندي محمود

من اي زمن يبدأ النزاع بين الشرق والغرب وخوف هذا من ذاك

﴿ الجامعة ﴾ يبدأ من حروب الفرس واليونان القديمة وغارة الاسكندر المكدوني على المشرق وهذه حجة في الغالب فانه يحذر مغلوبه على الدوام · ومما رواه مؤرخو العرب عن الاسكندر بهذا الشأن قولهم « لما ملك الاسكندر بلاد فارس كتب الى ارسطو اني قد وترت جميع من في المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدي على قصد بلادي واذى قومي وقد هممت ان اقتل اولاد من بقي من الملوك والحقهم بآبائهم لئلا يكون لهم راس يجتمعون اليه · فكتب اليه ارسطو: انك ان قتلتهم افضى الملك الى الانذال والسفلة · والسفلة اذا ملكوا طغوا وبغوا · وما يخشى منهم اكثر والراي ان تملك كلا من اولاد الملوك كورة ليقوم كل منهم في وجه الآخر ويشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون · فقسم الاسكندر البلاد على ملوك الطوائف »

باب الاخبار العلمية

﴿ استخراج الذهب من ماء البحر ﴾ ثبت ان ماء البحر يحتوي على كميات مختلفة من دقائق الذهب منتشرة فيه وهم يلتقطونها تارة بآلات كهربائية تجعل الدقائق ترسب فيها او بحفر خصوصية يحفرونها على شاطئ البحر ويمر فيها الموج فيستودعها ما يحمله من هذا المعدن النفيس . وهم يقولون ان في كل طن من ماء البحر خمسين ميلغراماً من الذهب فاذا قدرت مياه البحار على هذه النسبة كان فيها من الذهب ١٠٢٥٠ مليون طن — الا ان نفقات استخراج الذهب من الماء لاتزال اكثر من قيمة الحاصل منه

﴿ مرض النوم والبيض ﴾ قيل ان مرض النوم لايصيب البيض في افريقيا ولكن المسيو لافران ابلغ الجمعية الطبية الفرنسوية ان بعضاً من البيض الساكنين في الكونغو اصيبوا به ونقلوا الى مستشفى انفرس

﴿ انيميا المعادن ﴾ يقول الدكتور مانوفريه ان سبب فقر الدم في اجسام العملة المشتغلين في المناجم دودة تنشأ في امعائهم بسبب الرطوبة والظلمة والحرارة المنتشرة فيها

﴿ راي جديد في مداواة الكوليرا ﴾ يقول المسيو كارتيونوفو احد الاطباء في شمالي منشوريا انه جرَّب في مداواة الكوليرا اطلاق براز المصاب بدل حبسه اي الامتناع عن اعطائه الادوية القابضة فكان ذلك افعل في الشفاء لان المكروب سبب العلة والفساد يخرج بسهولة ويريح الجسم من فتكه . فهو يحاربه باخراجه من حصونه في الجسم بدل قتله فيها . — ودواؤه الوحيد في ذلك برمنغنات البوتاسا

﴿ اكتشاف معدن جديد ﴾ اكتشفوا في مدغسكر معدناً جديداً اكثره مؤلف من المغنيسيا والصوده فدعوه « غرنديديري » نسبة الى غرنديديه رائد مدغسكر . واهمية هذا الاكتشاف وجودهم نوعاً من الصخور التي تتألف منها قشرة الارض غير معروف قبل اليوم

﴿ مداواة السل بنبتة ﴾ وضع المسيو دانان كتاباً شرح فيه مداواة السل بنبات ينمو في الجابك ومانيي يدعى « زهرة سنتياغو » وفيه مقدمة للدكتور متوزيه ويقول المؤلفان ان هذه الزهرة تفيد فائدة فعالة في الدرجة الاولى والثانية

﴿ طعام دود الحرير ﴾ جرب المسيو كاوج والمسيو بل كثيراً من المواد طعاماً لدود

الحرير باقدار مختلفة فاسفرت التجارب عن ان افضل طعام للدود هو ورق التوت دون ريب وانه اذا قلل طعامه قلّ ما تفرزه من الحرير وطالت مدة انسلاخه

﴿ كتاب المتزوجات ﴾ قرر المجلس البلدي في باريز منذ سنتين ان كل فتاة تتزوج تعطى ساعة عقد الزفاف رسالة صغيرة مطبوعة على نفقة المجلس وتحتوي على التدابير الصحية والنصائح الطبية المختصة بشأن الولادة وتربية الاطفال . ولا تزال هذه العادة متبعة هناك

﴿ المسكر الازرق ﴾ ساء بعض المتفننين في الاشربة ان لا يوجد في العالم مسكر ذو لون ازرق فاعلنت جمعية المشروبات في نيو يورك انها جعلت جائزة قدرها ٥ الاف ريال لمن يخترع شرابًا بهذا اللون على شرط ان يكون طيب المذاق رخيص الثمن

﴿ رؤوس المذنبات من الراديوم ﴾ راى المسيو بوبس رايًا جديدًا في رؤوس المذنبات وهو انها مركبة من الراديوم وبذلك يفسر سرًّا من اسرار المذنبات نعني بقاء اذنابها على ما هي عليه دون نقدها شيئًا من حجمها وهذا من خواص الراديوم الذي ينتشر منه ضباب منير دائم . فتكون اذناب المذنبات في رايه ضبابًا منيرًا منتشرًا من رؤوسها

﴿ اختراع لتدفئة السجادات بالشتاء ﴾ عرضوا في باريز بسطًا جديدة متصلة باسلاك كهربائية تدفئ الجالس عليها بتحمية السجادة نفسها في ايام الشتاء . وهذا آخر تفنن لهم بشأن التدفئة

﴿ ثمن طابع بوسطة ﴾ ابتاع المسيو كروفورد من لندن طابعًا ازرق من طوابع بريد جزيرة موريس قيمه ٣٦٢٥٠ فرنكًا

